الرؤية السياسية الإيرانية على ضوء التراث و التجربة



باقر الصراف

مكتبة مدبولى

الرؤية السياسية الإيرانية
على ضوء التراث والتجربة

الصراف ، باقر .
الرؤية السياسية الإيرانية على ضوء التراث والتجربة / باقر الصراف . ــ
ط١ . ــ القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠١١ م.
٥٨٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .
تدمك : 6 ــ 888 ــ 208 ــ 977 ــ 978
١ ــ إيران - تاريخ
٢ ــ إيران - الأحوال السياسية
أ ــ العنوان .
ديوى ٩٥٥
رقم الإيداع : ٢٢٣٩٩ - ٢٠١٠م
مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤
الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com
البريد الإلكتروني : Info@madboulybooks.com
الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١١١٤١٠١٣٣٢٠

باقر الصّراف

الرؤية السياسية الإيرانية
على ضوء التراث والتجربة

- ما هي أيديولوجية السلطة؟
- ما هي معالم ممارستها؟
- ما هي وظيفة المدافعين عنها؟

الناشر
مكتبة مدبولي
2011

الإهداء

إلى الصادقين في مواقفهم السياسية والفكرية...

إلى المخلصين للحضارة العربية الإسلامية...

المقـــدمة

هذا الكتاب الذي يتحدث مضمونه عن الرؤية السياسية الإيرانية على ضوء التراث العربي الإسلامي والتجربة الوطنية العراقية ليجيب على الأسئلة التالية: ما هي أيديولوجية السلطة؟. ما هي معالم ممارستها؟. ما هي وظيفة المدافعين عنها؟. الذي ينشر عن دار.......... يتناول السياسة الرسمية التي تديرها ما يسمى بـ«جمهورية إيران الإسلامية» تجاه العراق تحديداً، وتجاه قضايا الأمة العربية عموماً، وهو يتناول بالبحث والرصد والِاستقصاء هذه المسألة كلها، اِنطلاقاً من ثلاثة أقسام، يرمي مجموعها إلى تبيان حقيقة «البنية التكوينية» لعموم الموقف السياسي الإيراني، الفكري السياسي والمذهبي الطائفي، من خلال تسليط الأضواء على الواقع الأيديولوجي «لذهنية الفئة الحاكمة» التي تدّعي أنها متدينة مسلمة، لذلك فهو يناقش ماهية رؤيتها الفكرية والِاعتقادية، وكيف تكونت في بعديها القومي العنصري، والطائفي المذهبي، منظوراً إليها على أساس سياسي وإستراتيجي وتاريخي، بمعنى التقادم الزمني والتراكمات «الفكرية». هذا هو القسم الأول، الذي يهدف التوصل إلى حقيقة «معنى» و«مبنى» الرؤية الفارسية الصفوية وتجلياتها العملية في النصوص الوثائقية التي تحدد معايير ممارساتها الفعلية، وليس الِادعاءات المعلنة من أجل التزييف والمخاتلة، التي تسوق إلى الخارج أساساً: العربي خصوصاً.

أما القسم الثاني، فتندرج موضوعاته حول تسليط الأضواء على طبيعة ممارسات السلطة السياسية في إيران، منذ حدوث التغييرات العاصفة فيها في أواخر العقد السبعيني من القرن المنصرم. وتلمس الفعاليات العملية للأجهزة السياسية: الأمنية وخلافها، في الساحة العراقية. سعيتُ عبر الرصد والتحليل لتناول بعض الأحداث العاصفة التي مر العراق فيها، وقد اِجتهدت في تناول زوايا عديدة من «تجليات» الممارسة الإيرانية في العراق طوال الخمس سنوات الماضية التي تلت العدوان الأمريكي السياسي والعسكري على العراق، وهي تجليات كثيرة تناولتُ بعض أفعالها المشينة في حينها، ملاحقاً لمظاهرها، مسلطاً الأضواء عليها، محاولاً تفسير أبعادها، بالإضافة إلى نشر المقالات والتقارير

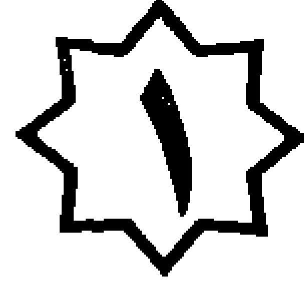
والوثائق التي كتبها سادة أفاضل آخرون، تعميقاً لتلك الرؤية وبرهاناً على صحة ما تذهب إليه، وكلا المحورين في التقويم - في أية حال - متروكان لحصافة القاريء وإدراكه، في تبين أبعاد علاقة ما يجري في العراق منذ تاريخ ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م: تاريخ الإِحتلال الأمريكي المشؤوم للعراق، ودور إيران في مجمل التطورات العراقية السياسية الداخلية، في محاولة لتشخيص ماهية الأسباب لإِستخدام «مفهوم الفارسية الصفوية»، من ناحية أولى، ودور الأدوات التنظيمية «العراقية» التي تتلقى أوامرها من قبل أجهزة المخابرات الإيرانية وتستمد طروحاتها السياسية من آليات التفكير الإيراني وسلطتها الثيوقراطية، التي هي، ومن وجهة نظر هذه الدراســة، الموشـور الحقيقي لرؤية مفهوم الأمن القومي الفارسـي الإيراني على كل الصـعد، من الناحية الثانية.

ويبقى القسم الثالث الذي عنوناه بـ«قرون الشيطان الفارسي: ضرورة مسكها وكشف مخاتلاتها»، وهو مقالات متعددة تحاول التكامل في نظرتها، والإتساق في طرحها، والتركيز على المشترك في توجهها من حيث الرؤية السياسية والفكرية، أما الهدف من هذا القسم هو إلقاء نظرة معمَّقة على الدور السياسي الإيراني عبر رصد موسع لكتابات أحد أنصار تلك الأيديولوجية: «الرؤية الفارسية الصفوية»، في دقائقها التفصيلية وأبعادها الزمانية، التي تلازمت مع العدوان الأمريكي/ الصهيوني على العراق، وتنامت ممارساتها على وشائج دعواتها السياسية وتراكمت أحداثها على أيدي عملائها أو أدواتها أو مريديها الذين جرى تطعيمهم بالأموال الإيرانية الغزيرة، أو أية أشكال متنوعة من الرشوات الأخرى كدعوات الزيارة السياحية: وخصوصاً «الدينية»، والرشوات المادية والمعنوية المقدمة من الأموال المنهوبة من القطر الأحوازي الذي يشكل حوالي ٨٧ ٪ من الدخل القومي الإيراني، والحوار الشخصي مع البعض حول ما يسمى: «بحوار الحضارات»، لكي نطلِّع تفصيلياً على الخطوط الأساسية للـ«الإعلام» الإيراني على شتى الصُعد التي تخص العراق، أو «الدعاية السياسية الإيرانية» فيما يتعلق بالعراق: الدولة التي تنطوي مفاهيمها العلمية على جماع: الإقليم أو الوطن، والشعب أو المجتمع، المؤسسات الخدمية التي تضمها المؤسسات الحكومية، قبيل إِحتلاله وبعده، على وجه التحديد.

الفصل الأول

الرؤية السياسية الإيرانية في ظل حكم الملالي:

خلفيات الرؤية الأيديولوجية للقيادات السياسية الإيرانية



ضرورة تفحص المقولات الأساسية لوجهة النظر التي نقول بها أي ضرورة وضع المعايير لتحديد المفهوم

الرصد الأول

يتردد في هذه الأيام، وبكثرة، مصطلح «الفارسية الصفوية» في الكتابات السياسية اليومية التي تمّس القضية العراقية، أو التي تعكس هموم العراقيين كلهم، إلا مَنْ تماهى مع الرؤية الأيديولوجية للقيادات الإيرانية الحالية بشقيها السياسي الفارسي والمتعصب مذهبياً. كون هذا المفهوم ذا سيرورة تاريخية مستمرة، ودالّة على نزوع قومي فارسي: عنصري ضد العرب العراقيين خصوصاً، وكذلك أنه مثال ملموس على الرؤية الطائفية - مثلاً - وهو مجسَّد عملياً وفعلياً خارج نطاق التجارب الإنسانية في إطارها الإسلامي، وإنْ غُلف عبر مخاتلات «فكرية» طابعها «المقدس» غير القابل للتساؤل، من وجهة نظرهم، أساسه النصُّ المتوارث، ومن دون الِاحتكام إلى أية منهجية عقلية سليمة تستخلص ما هو في حاصل في وقائع التاريخ من خطأ أو صواب.

إننا لا نجد أية شعوب مسلمة أو أيٍ قسم من المسلمين على كافة توزيعاتهم الجغرافية والقومية، يكرهون العرب والعروبة مثلما تكرهها الأمة الفارسية، كما يقررها حكامها السياسيون السابقون واللاحقون، وبعض العلماء المجتهدين في المذهب السائد في سلطتها، على ما في ذلك من مخالفة لنصوص قرآنية ونبوية كثيرة، من جهة، ومناقضة لمجرى تاريخي عربي إسلامي مفعم بالإيثار والتعامل الإنساني مع الآخر. فالعرب: كشعب وحضارة مثلاً اِرتضوا أنْ يخضعوا للعثمانيين طوال أربعة قرون من دون أنْ يخالفوا الرؤية الإسلامية من حيث الموقف السياسي - على سبيل المثال - ولم يثوروا على العثمانيين إلا بعد

صيرورة البورجوازية القومية الطورانية وتعبيرها السياسي: تنظيم جمعية الاتحاد والترقي. التي هي المظهر الرئيس في السلطة العثمانية، وإقدامها على التتريك الوظيفي والتتريك اللغوي، [1]، بعد تشبعها بالأيديولوجية الطورانية. وبتعبيرٍ أدق - وفق الاستخلاص الذي كتبه محمد عابد الجابري - فإنَّ مفهوم «العروبة» يتحدد، ليس بالعلاقة مع «الإسلام»، لا كدين ولا كحضارة، بل بالعلاقة مع «الآخر» التركي الحكم المتحكم.

فهل تكون هذه الظاهرة... ظاهرة السياسة الفارسية الصفوية ضد العرب والعروبة، ناجمة عن رؤية تاريخية لها أبعادها الفكرية المتأصلة في الرؤية الطائفية المذهبية وتجسداتها العملية في الواقع السياسي الراهن، الحديث والمعاصر، من حيث الموقف والممارسة على الصعيدين الأحوازي والعراقي وبعض بلدان الخليج العربي؟!...

نعم، نقول هذا الاستخلاص...

و - كذلك - نؤكد الجواب الإيجابي: نعم مرة ثانية وعن وعي تام.

يُبرزْ هذا الاستخلاص الفكري والسياسي في الواقع: بالاستناد إلى الوقائع التاريخية [من حيث المعنى الزمني] والملموسة عند كل مَنْ يفكـِّر سياسياً ويتبصر في الأحداث التاريخية ولا يشدّه التعصُّب الأيديولوجي لطائفته المذهبية، من الناحية الأولى، ولا تحتكر مواقفه السياسية الأموالُ الكبيرة المدفوعة من الخزينة الإيرانية بذرائع ما يُسمى بـ«سَهم الإمام» أو «الخـُمس»، في حين يعلم الجميع أنَّ هذه الأموال والنقود كانت لا تدفع إلا للحاشية المحيطة بالمجتهدين، وبعض الأقرباء والمريدين للسادة «المجتهدين الكبار»، ولكنها الآن تدفع الآن لمسؤولي الأحزاب الطائفية والمنظمات الأيديولوجية والتنظيمات الثقافية من أصحاب التوجهات السياسية التي تدور في خدمة الفلك الإيراني، من العراقيين وغيرهم من أبناء الوطن العربي، ومريدي رؤيتها «الفارسية الصفوية»، وبذرائع متعددة: سياسية أو «دينية»، من الناحية الثانية.

في الحقيقة، أنَّ سبر غور التاريخ منذ نشوء هذا المفهوم «الفارسية الصفوية» وصيرورته مظهراً رئيساً في إيران الحالية التي تزعم فيها نيابتها عن «الرؤية الإسلامية» العالمية - إنْ لم تكن قبلها - يُوضِح بما لا يقبل الشك أو إمكانية الدحض، أنه مليء بالإشارات العملية

والفكرية الموحية بقوة ترفض أية مخاتلات تبريرية على أي مستوى كان، التي تبرهن على تلك النزعة العنصرية: «الفارسية الصفوية» المتوسدة في الذهن الفارسي الموروث منذ زمانٍ بعيد، وتراكمها الكمي والنوعي منذ اِنبلاج فجر الرسالة الحضارية: العربية الإسلامية الأولى، والقضاء على الإمبراطورية الكسروية الفارسية التي كانت قائمة في خراسان الفارسية خلال حروب الفتح الإسلامي للعراق العربي والأحواز العربية، وتحرير أبنائه من السطوة الكسروية وتحقيق هزيمة الفرس المبينة في معركة «القادسية الجبارة»، [٢].

لقد تعمقت مشاعر الرؤية الفارسية الصفوية في المرحلتين الحضاريتين: الأموية والعباسية، وإنْ كانت تتخذ من «مفهوم الشعوبية» عنواناً لها، كما اِشتق تعبيرها أو مفهومها الأديب العربي أبو عمرو عثمان الجاحظ الذي عاش خلال سنوات ٧٧٥ م- ٨٦٨م [ميلادية] والمولود في مدينة البصرة، وهو من أئمة الأدب العربي العبّاسي، كما هو معلوم... اشتق مفهومها بعد أنْ لحظه وتدقيقه في ظاهرة «كثافة» الحملات «الأدبية والفكرية» التي يراكمها «الفرس» بهدف الإنتقاص من العرب على كل المستويات.

لقد اِستمر المسؤولون الفرس في تمجيد الشاعر الفارسي الفردوسي، خلال الوقت الراهن: الحديث والمعاصر، وهو الذي طعن بالعروبة والعرب بشكل بذيء ومفعم السوداوية... وشكَّل ويشكِّل اِستمرار هذا التمجيد النموذج الأبرز للموقف من العرب والعروبة، وإنْ لم يكن الأوحد، كونه مجرد مؤشر على تواصل ذلك الحقد التاريخي القديم مع الغل الفارسي الصفوي الحديث أو المعاصر. لقد حرص الرئيس السابق محمد خاتمي - مثلاً - على تقديم ديوان الفردوسي المطبوع في المطابع الحكومية في طهران والموشى بالذهب إلى البابا الذي كان الشخص الأول في المذهب الكاثوليكي المسيحي على مستوى العالم، والرمز الأكبر لجمهورية الفاتيكان، باِعتبار ذلك الديوان هدية من مسؤول إيراني له موقعه السياسي السابق ومركزه المعنوي الراهن ودوره الأيديولوجي الحالي، لحظة زيارته للفاتيكان، وحديثه الذي أعلن فيه: عن حمده لله أنْ أصبحوا مسلمين ولم يتحولوا للعروبة، في دغدغة للعواطف السياسية المضادة للعرب عند الغرب السياسي المتعولم، من جهة، وتأكيد نوعية هذه الهدية الفردوسية على التعصب الفارسي الذي يتحكم في قناعات خاتمي الأيديولوجية بشكل خاص، وعند عموم القيادات السياسية الإيرانية، من جهة أخرى.

ومعلوم، «أنَّ "الشهنامة" هي ملحمة شعرية وضعها الشاعر الفارسي "أبو القاسم الفردوسي بتكليف ملكي بقصد تحقير العرب وتمجيد الفرس وملوكهم، ورفع مكانة اللغة والتراث الفارسي والحط من منزلة العرب والمسلمين الذين دمروا الإمبراطورية الفارسية، وتقع في حوالي ٦٠ ألف بيت شعري، جمعها في فترة تتراوح بين ٣٠ و٤٠ سنة على أنْ لا ترد فيها أي كلمة عربية. حيث صب جل غضبه على العرب واصفا إياهم بأبشع الأوصاف التي من أقلها "الحفاة الرعاة، أكلة الجراد، الغزاة" وغيرها من النعوت والأوصاف الشائنة الأخرى.

كما جاء فيها المثل الشهير الذي يردده الإيرانيون:

"سكع أسفهان آبا يخ ميخرد، عرب در بي يابان ملخ مي خوراد" وتعني:

"الكلب الاصفهاني يشرب الماء البارد، والعربي يأكل الجراد في الصحراء"

وقد قام بعض ما يسمى بعلماء «الحوزة الدينية» المحسوبين على السلطة الفارسية الصفوية أو المؤسسة الثقافية الإيرانية بالترويج لهذا العمل بطبعها على قرص (سي دي) مدته ساعتان يتضمن ترجمة باللغات الإنكليزية والفرنسية والعربية للشاهنامة مع نبذة تاريخية عن حياة الفردوسي وصور عن قبره وتقوم الحوزة بصرف الملايين على إنتاجه وتوزيعه بالمجان من قبل المراكز الثقافية والسفارات الإيرانية المنتشرة في أكثر من مائة وعشرين دولة، [٣].

وهي - في أية حال - تلخِّص القناعات التاريخية عند عموم الرموز الفارسية الحاكمة، كما تبرهن على سيرورتها السياسة الإيرانية الراهنة تجاه العراق، من ناحية أولى، مثلما يكشف ذلك الحديث المستفيض للرئيس الإيراني السابق عندما يتحدث عن الحضارة المصرية والإيرانية الفارسية والهندية، وتجاهله المتعمد للحضارة العربية الإسلامية عند الحديث مع البابا والأجهزة الإعلامية ذات الإهتمام بشؤون البابوية... يكشف عن الحقيقة الفعلية لدواخله الفكرية والعنصرية المترسبة في تشكُل أفكاره، ومدى الحقد الفارسي التاريخي الذي يهيمن على وعيه الفكري والسياسي، بالرغم من أحاديثه الدعائية المتكررة عن ما يسميه بحوار الحضارات، وربما لا يعد ذلك المعمم أنَّ العرب ذوو حضارة، وبالتالي فإنهم لا يستحقون الحوار.

إنَّ تجاهل حديثه عن تناول - عرضي أو غير عرضي - أي مفهوم يتعلق بالحضارة العربية الإسلامية، أولاً، ومنجزات الحضارية العراقية القديمة، ثانياً، وهي كثيرة وغزيرة تحتويها المجلدات التاريخية المكتوبة والموثقة وتجسدها في أوابد وآثار تاريخية، من ناحية ثانية، هو أكثر من دلالة ملموسة ومعلنة لم ترد بشكل عفوي على لسان مسؤول فارسي فقط، بل هي أحاديث متناثرة قيلت بهذا اللسان الفارسي أو ذاك من مسؤولي «الدولة الإسلامية»، إذ أننا نورد تلك الواقعة العملية بإعتبارها مجرد مثال ملموس أكثر من كونه إستطراداً علمياً ورصداً تاريخياً لواقع فعلي: سياسي وفكري. إنه مجرد دلالة معاصرة على هذا المنحى «الفارسي الصفوي» المهووس والمتعصب.

وحتى الإتفاقيات والنزاعات التي تلت «معاهدة أرضروم» الأولى والثانية في العام ١٨٢٣ م و١٨٤٧ م التي كان طرفاها «الفرس» الذين يسيطرون على النظام القاجاري / الخراساني ومن بعده البهلوي الإيراني، أولاً، والإمبراطورية العثمانية التي كانت تتكون من شعوب مختلفة وقوميات متعددة، من ناحية، وهم الذين - كذلك - كانوا يسيطرون على العراق، من ناحية أخرى، ثانياً، وما ورثه الكيان العراقي الحديث: كدولة، من مترتبات ونتائج أنشأتها أو أفرزتها تلك الإتفاقيات والنزاعات، التي لا مجال متاح للتوسع فيها بسبب الموضوع المطروح للنقاش: المفهوم الفارسي الصفوي...؟ نقول لا مجال: لخوض التعرض التاريخي في ملابساتها وحيثياتها، كونها خارجة عن سياق الموضوع المثار، ولكن لابد من القول السريع حول الطابع العام لتلك المترتبات العملية التي وسمت مجموع سنوات التاريخ التي أعقبت تلك الإتفاقيتين، هو الأزمات السياسية المتوالية: الحديثة والمعاصرة التي تنشب بشكل متكرر بين الدولتين، ثالثاً، وما خلفه الدارسون التاريخيون الموضوعيون من تراث فكري في مجال تفسير هذا المفهوم: خصوصاً الصفوية، الذين أخذوا إعتبار مفهومي «الزمان» و«المكان» وطبيعة المرحلة الحضارية العربية الإسلامية في سياق نظرتهم العلمية، رابعاً. إنَّ كل ما تقدم في تلك النقاط الأربعة، ستكون المعايير السياسية والفكرية الناظمة لتحديد هذا المفهوم: الفارسي الصفوي.

المراجع والهوامش

ملاحظة جديرة بالإنتباه وإعتذار مسبق

سيرى القاريء الكريم، أنَّ الهوامش التالية ستكون مطولة بأكثر مما يجب ومألوف، ولكن دواعي إطالة هذه الإستشهادات تنبع من طبيعة المتلقي الذي هو بعيد عن مجريات الساحة العراقية: العربي من القطر المصري خصوصاً وتحديداً، وقد يكون ذلك الإبتعاد هو السبب الذي يكمن خلف عدم درايته بالوقائع الفكرية والثقافية التي تحدد وعيه بالمفهوم الذي نتطرق إليه، وعليه فإننا نقدِّم إعتذارنا المسبق على هذه الإطالة، وشكراً.

ب. ص

- مراجع الرصد الأول -

[١] - راجع كتاب السيد الدكتور توفيق برو المعنون العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨م - ١٩١٤م، الطبعة الأولى الخاصة بدار طلاس، ١٩٩١م، دمشق / سوريا، وهي رسالة أكاديمية علمية وجامعية، مقدمة للدراسة بمعهد الدراسات القومية، تتكون من ٥٠٠ + ثلاثة ملاحق، والمؤلف يجيد اللغة التركية وله علاقة بالفهم العميق للمفاهيم التكوينية للعقلية التركية، وكانت الحركة العنصرية الطورانية قد من خلال نهج جمعية الإتحاد والترقي في فرض التريك اللغوي والإداري وسياسات أخرى تخص العرب، ربما من بين أهمها السياسة المركزية الشديدة في إدارة شؤون الإمبراطورية التي تتكون من قوميات متباينة ومختلفة، وقمع تطلعاتهم، وخصوصاً قمع آمال العرب ورغباتهم السياسية: أي السياسيين العرب الذين كانوا يشكلون ممثلي غالبية سكان الدولة العثمانية، مُمَثَّلين في جمعياتهم وأحزابهم والشخصيات النشيطة من قياداتهم، إلى خيار التوجهات السياسية الجذرية للسكان العرب وقياداتهم الميدانية: عبر مطالبتهم بالإستقلال التام بعد أنْ تدرجت تلك المطالب من اللامركزية إلى الحكم الذاتي.

وللفهم الشمولي لتكثيف دروس تلك المرحلة، لنقرأ الخلاصة التالية التي يتوصل إليها الكاتب:

«أما العرب فلم يكن موقفهم من العهد الدستوري إلا موقف الإخلاص والولاء للرابطة العثمانية والعهد الجديد، وقد حاولوا في إبتدائه أنْ يتناسوا حتى لغتهم وشخصيتهم في سبيل الإندماج في الدولة، على أنْ يكون عهداً تتوفر فيه الحريات والحقوق والإدارة المحلية بشكل يرضي تطور الأفكار في البلاد العربية، ويتماشى مع النهضة الفكرية والثقافية التي عملت عملها منذ منتصف

القرن التاسع عشر، غير أنَّ الِاتحاديين أبوا إلا أنْ يتحكموا فيهم، وأنْ يستبدوا بهم اِستبداد القادر الغشيم، وأنْ يسوقوهم سوق الأنعام، لإرضاء ما جبلت عليه نفوسهم من السفسطائية التاريخية، وإدعاء حقوق العنصر الحاكم، فكان لابد من الِاصطدام: لذلك نمت العاطفة القومية العربية وترعرعت في خضم هذا النضال، إذ أسفر الِاحتكاك بين القوميات، بعضها ببعض، وتقابلا في ميدان النضال مع الترك، عن تحفّز الشعور القومي العربي، فاِضطر العرب إلى التشبث بقوميتهم التي خشوا من أنْ تضمحل وتذوب، فكان للضغط أثره في وعي العرب لحقيقة ساطعة سطوع الشمس في رابعة النهار.

إنَّ المستقبل هو للوعي القومي والرابطة القومية، ذلك الذي لم يتمكن الِاتحاديون من تقدير خطره، فكانوا متناقضين مع أنفسهم، إذ أدركوا قيمة هذا الوعي عند بني جنسهم، وأنكروه على غيرهم، فلم يكن منطقهم في هذا المجال، مختلفاً عن منطق المستعمرين. وهكذا ساروا بالدولة والأمة معاً، وسيروا العرب معهم، في طريق الهلاك والدمار، فأفسحوا المجال للِاستعمار الأوروبي أنْ ينشب مخالبه في كيان الأمة العربية، لأنْ تضمحل سيطرتهم عليها إلى الأبد، وبذلك يتيحون للسيطرة الإمبريالية أنْ تـُحكِم نيرها على عاتق الشعوب العربية في شتى أقطار الوطن العربي». [ص ٥٠٠].

فهل يستفيد الحكـّام الإيرانيون: الذين أغلبهم من المعممين والملالي من تجربة تاريخية ماثلة راهناً وعملية ملموسة اِستمرت أربعة قرون ونيف تمثلت بالسيطرة العثمانية تحت رؤية دينية إسلامية أتاحت للشعوب المكونة فضيلة العيش في ظلال فيء تقاليدها قبل أن تمارس «جمعية الِاتحاد والترقي» نهجها الطوراني العنصري في أواخر عمر الإمبراطورية العثمانية؟ أم تحاول تجريب المجرب، مرة أخرى، وهي تمارس أفعالها المناقضة لقيم «التعاون والتعارف بين الشعوب» المعروفة قرآنياً؟!، عبر الِاحتلال والإستيطان والتمييز على أساس الِانتماء القومي والتعذيب النفسي والجسدي!.

وهناك بعض الكتـّاب والباحثين مَنْ ينظر إلى عملية تهاوي الإمبراطورية العثمانية جاءت بسبب اِلتزام قيادة حزب الِاتحاد والترقي المفاهيم الماسونية - دون أنْ يضعها في السياق التاريخي ومجريات الحرب العالمية الأولى وتخطيط القوى الِاستعمارية الغربية لتقاسم تركة الرجل التركي المريض، كما خطط المستعمرون الأربيون وزعموا - وما يستبطنه: {أي القول بالرؤية الماسونية وأفعالها}، ذلك الِالتزام من مؤامرة يهودية صهيونية عمل على تنفيذها «يهود الدونمة»، متخذاً من طبيعة اِلتزام أغلبية قياديي جمعية الِاتحاد والترقي وخلفياتهم الدينية اليهودية مقياساً لحكمه ذاك، ومعياراً لقراءة جميع التطورات السياسية الموضوعية والذاتية التي شهدتها تركيا من حيث مرحلة إنهيار الإمبراطورية العثمانية، وكذلك المنطقة العربية في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي...؟!

ينظر هذا البعض المهووس «بنظرية المؤامرة» إلى «الأفكار الماسونية والإلتزام بتعليماتها» على أنها السبب الأساسي لنهاية الإمبراطورية العثمانية، وفي هذا المجال ينقل الكاتب عبد المجيد همو عن الأب لويس شيخو التالي: «فلما أعلن الدستور، وتم الإنقلاب العثماني، ظهرت اليهودية في أتم مجاليها، وكلٌّ يعلم أنَّ مركز الإنقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفاً، فلما أنشئت جمعية الإتحاد والترقي تحت سيطرة الماسونية كان للضباط وجندهم القوة العاملة، أما التدبير لتنفيذ العمل وإخراجه إلى حيز الوجود، فكان في أيدي اليهود الذين تعهدوا بدفع المبالغ المالية اللازمة لذلك المشروع، [...]، تخلقــّت جمعية الإتحاد والترقي بعد خلع عبد الحميد بأخلاق الماسونية واليهودية، ولبست لبوسها، فلما خمدت ثورة نيسان ١٩١٩م، نالت العناصر اليهودية أهمية كبيرة»، إلى آخره من شروحات قدّمها الكاتب حول تلك التطورات الموضوعية والتدقيق في أسبابها، وبيــَّن أهمية المسؤولين الماسونيين في نطاق ذلك الفعل، ذاكراً أسماء أبرزهم، والأدوار السياسية التي لعبوها. وكذلك، راجع كتاب «الماسونية والمنظمات السرية: ماذا فعلت؟ ومَنْ خدمت؟»، تأليف عبد المجيد همو، إصدار: الأوائل للنشر والتوزيع، سورية - دمشق، الطبعة الثالثة - آب ٢٠٠٥م، ص ٤٨٧ - ٤٨٩.

[٢] - والقادسية موقع في العراق شرقي النجف، حدثت فوق أراضيه المعركة الكبرى التي اِنتصر فيها العرب المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص على الجيش الفارسي بقيادة القائد العسكري الفارسي رستم بتاريخ ١٤ هجرية / ٦٣٥ ميلادية، [عن المنجد في اللغة والأعلام، توزيع عام ١٩٨٦م، ص ٤٣٠].
وما زال حكّام إيران الحاليون، بالرغم من تشدقهم بالإسلام الذي قضى على الجاهلية وهزم عبّاد النار المجوس، يتيحون الفرصة للوفود العسكرية التي تأتي لزيارتهم بغية اِصطحابهم إلى المتحف الخاص بالقائد العسكري الإيراني: رستم وهو المهزوم على يد رُسل الدين الإسلامي، كونه - مثلما يزعمون - من أكبر الرموز العسكرية الفارسية، وقائدها، كما يروجون، وعندما أبدى أحد الزائرين المهمين لطهران بناءً على دعوة رسمية من الملالي: رأياً قوامه أنَّ القائد العسكري رستم قد هـُزم على يد أبطال الإسلام وفي سياق معركة الإسلام ضد عبدة النار، أجابوه: ومع ذلك فـ«أنه يمثل أهم رموز العقلية العسكرية الفارسية، وأبرز أبطالها، وما يزال يمثلها»، بالرغم مما تقول وعلى الرغم من ذلك.

وفي أية حال، فإن هذه المعركة الجهادية الكبرى التي خاضها العرب المسلمون: كانت هي المعركة الفاصلة الأساسية في عملية التحرير للعراق والأحواز وتخليصها من أسر الهيمنة السياسية والعسكرية الفارسية، وشكلت الخطوة الأولى والرئيسة في تتابع الإنتصارات العسكرية العربية الإسلامية التي أدت في النهاية إلى عملية إسقاط عاصمة الفرس: المدائن بالقرب من بغداد التي سيبنيها أبو جعفر المنصور: الخليفة العباسي الثاني، وما تبعها من المعارك البطولية والفذة التي كانت الصفحات المشرقة في تاريخ النهوض العربي الإسلامي، وبالتالي ما نجم عنها من القضاء المبرم والنهائي على الإمبراطورية الساسانية الكسروية الفارسية.

وفي ذلك يقول المؤرخ الأستاذ أحمد عادل كمال ما يلي»حشد عمر [بن الخطاب] رضى الله عنه لهذه المعركة كل الطاقات المتاحة ووجهها إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص فبلغ جيشه شيئاً وثلاثين ألفاً، ووضع خطته على إختيار مكان مناسب على حدود ما بين الصحراء وبين شبكة المجاري والمسطحات المائية تقيهم مخاطر الوقوع في فخاخ المسالك المائية وتحفظ خط رجعتهم، بينما تحرم عدوّهم من تلك المزايا، وأنْ تكون المعركة حاسمة بحيث تكسر جيش فارسي فينفتح ما وراءه من أرض دولته.

وألقى الفرس في مواجهة المسلمين بكل ما أتيح لهم من طاقة وحشّدوا مائة وعشرين ألف مقاتل ومثلهم للخدمات يقودهم رستم. ودارت المعركة بالقادسية بين خندق سابور ونهر العتيق، اليوم الأول «أرمات» الخميس ١٣ شعبان ١٥ هجرية / ١٩ أيلول ٦٣٦ ميلادية، واليوم الثاني «أغوات» ثم الليل «ليلة السواد» واليوم الثالث «عماس» و«ليلة الهرير» ثم الرابع «يوم القادسية» الأحد ١٦ شعبان ١٥ هجرية / ٢٢ سبتمبر ٦٣٦ ميلادية، وإنتهت بهزيمة ساحقة للفرس ومصرع رستم.»، وأضاف المؤلف في ذات الصفحة التالي «ومن هنا نلتقط الخيط لنساير مسيرة المسلمين على أرض المجوس».

راجع كتاب الأستاذ أحمد عادل كمال المعنون: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، في سلسلة الفتوحات الإسلامية - ٣، إصدار دار النفائس، بيروت/لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هجرية/١٩٨٧ ميلادية، ص ١١ - ١٢، ولمزيد الإطلاع على تفاصيل المعركة: القادسية يرجى مراجعة كتاب نفس الكاتب والمعنون بالقادسية ضمن سلسلة الفتوحات الإسلامية [٢] الصادر عن الدار نفسها، الطبعة التاسعة الصادرة بتاريخ ١٤٠٩ هجرية - ١٩٨٩ ميلادية.

لكن الحكام الإيرانيين الحاليين يحاولون تزوير التاريخ ويرصفون كلماته على ضوء قناعاتهم الفارسية العنصرية الفارغة، ويلبثون على القراء الكرام بخلطهم الأساطير والخرافات بأسباه «الحقائق»: ولعل المثال الملموس الذي صنعته الحرب العراقية الإيرانية في الزمن الحديث كانت في نتائجها العسكرية الحاسمة أبلغ البيانات، فليس شرب ما هو أقسى من السم من قبل «مرجعهم الأعلى: الخميني» وإيقاف الحرب التي طالب بها العراق منذ نهايات سنة ١٩٨٢م، تكمن دلالات الهزيمة العسكرية، وإنما أيضاً، الفارق الكبير في نسبة القوى المادية بين الطرفين، وعلى الرغم من مساندة كيان الِاغتصاب الصهيوني لهم والدعم الأمريكي المعروف بـ«إيران غيت».

وفي تقديري أنهم يربّون أجيالهم على تنمية ذاكرة الحقد العنصري التاريخي المتراك في ذاكرة أجيالهم منذ مرحلة الشاعر الفردوسي... ينمونه على ورثة المسلمين الأوائل: العرب المسلمون،

وضرورة أخذ الثأر من العرب الذين دحروهم في التاريخ القديم والحديث، ولعل الآراء المتناثرة في المؤلفات الفارسية الراهنة، تصور جميع التطورات في المنطقة العراقية وجوارها التي حدثت في الماضي، وعموم المنطقة المشرقية العربية، على أنها فارسية الطابع على المستوى التاريخي، وحتى العصر العباسي الأول تجعله إرثاً فارسيا، [راجع - على سبيل المثال لا الحصر - كتاب الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، تأليف الدكتورة تغريد زعيميّان، إصدار الدار الثقافية للنشر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هجرية - ٢٠٠٣ ميلادية].

ومن الجدير ذكره أنَّ «جامعة العلامة الطباطبائي» في إيران التي ينبغي أنْ تكون لدراسة العلوم الدينية، كما هو مفترض، لعبت الدور الأيديولوجي الموجه لدراسة تغريد زعيميان من حيث الرؤية التاريخية والتي جاء فيها أقوا أساتذتها حول العصر العباسي الأول ما يلي: «وهو العصر الذي اِمتاز بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة، كما اِمتاز بالنفوذ الفارسي، على أنَّ العرب بسقوط الدولة الأموية التي كانت عربية خالصة كانوا قد خسروا سيادتهم المطلقة في الدولة، فالعباسيون ركنوا إلى الفرس الذين كان لهم فضل كبير في بنيان العرش العباسي، بذلك فقد العباسيون ثقتهم بالعرب فأقصوهم عن الحكم والسلطان وأبعدوهم عن تصريف شؤون الدولة، وأذلوهم بالحروب والتشريد وانتقال وسفك الدماء.

وفي هذا العصر ترسخت أسس الدولة العباسية واِنتقلت الخلافة إلى العراق بعد أنْ كانت بالشام، وأصبحت بغداد عاصمة للدولة العباسية بعيدة عن الشام، ولكنها قريبة من فارس ومن الجوالي الفرس في العراق نفسه»، [راجع ذلك الكتاب المذكور أعلاه، وعلى الصفحة، ١٠٦].

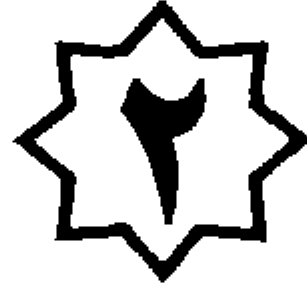
أما تصفية ظاهرة أبي مسلم الخراساني وأنصاره، والقضاء على ظاهرة البرامكة إبّان العصر العباسي الأول، فإنَّ الجامعة العلمية الطباطبائية - كما هو شأن المؤلفة كذلك - تتجاهله وتتجاهل مدلولاته التاريخية.

وفي ذلك الكتاب الكثير من «الرؤى العنصرية الفارسية» التي تناولت التطورات العراقية والعربية والإسلامية وعلى شتى الصعد وفي مختلف مناحي المعرفة، وكذلك يجري النظر إليها، وتناولها بالتفسير عبر الإيمان «القومي العنصري الفارسي»، علاوة على كونها أنها ليست من تاريخ الإسلام والعرب والعراق، بل من «إبداعات فارس وعلمائها».

ناهيك عن اِدعاءاتهم حول عائدية شريعة حمورابي القانونية: الملك البابلي العراقي لهم، كونها من نتاج عقلهم الفارسي، بالإضافة إلى رسمهم الخارطة الإيرانية المترامية الأطراف التي تضم أراضيها: العراق والخليج العربي في غرب إيران وأفغانستان وجوارها في شرق إيران، والتي يجري تلقينها

وبشكل دائم ومستمر لطلبة المدارس الإبتدائية خصوصاً وفي بقية المراحل بشكل عام من الذين يخضعون لتدريس مناهجها الفارسية الصفوية.

[٣] - وهذه النبذة المختصرة جرى سحبها من موقع إيلاف، العدد ٢٦٥٤، يوم الأربعاء الموافق بتاريخ ٢٧ / أغسطس/ آب ٢٠٠٨م، وهي من عرض السيد محمد حميدة/ القاهرة لكتاب: شاهنامة إرث الشيعة المزيف، تأليف الأستاذ فتحي عثمان، وملاحظتنا على عنوان الكتاب هو ربط مفهوم الشيعة بالتراث الفارسي الحاقد على الإسلام، الأمر الذي يدفعنا للقول أنَّ المدرسة الإمامية بُـراء من هذا النشر التي تقوم به المؤسسات الحاكمة في إيران، والتقديس المزعوم لهذا الكتاب، وإنما «المدرسة الفارسية الصفوية» هي التي تعمل جاهدة لزرعه في الأذهان من أجل غايات سياسية محددة، كونه يمثل تراثها الوحيد.



عالم ديني إيراني فارسي
يحدد مضمون المفهوم وآفاقه

الرصد الثاني

لقد كشّف تاريخياً ومعرفياً المفكر الإسلامي الإيراني الشهيد الدكتور علي شريعتي الذي إغتاله «سافاك» الشاه الإيراني في العاصمة البريطانية: لندن، جزءاً من المفهوم الصفوي بشكلٍ عام، مميطاً اللثام عن أهدافه السياسية الكلية والحقيقية لنظام الشاه الأريامهري الفارسي، وتناول بشكل معمّق الجانب المتعلق أساساً بالمفهوم السياسي لذلك المصطلح المرئي في الممارسة اليومية خلال المرحلة الشاهنشاهية البهلوية، أي: «المفهوم الصفوي» ذو البعد الطائفي، والذي جرى تلقيحه مفهومياً بالرؤية الفارسية العنصرية على أيدي الزمر المعممة الحاكمة اليوم في إيران الراهنة.

في الحقيقة، شكلت تلك الرؤية التاريخية والتحليلية عن مكنون «المفهوم الصفوي» أحد مسكوكاته العلمية التاريخية من حيث التنظير والإحاطة الشاملة: الفكرية والسياسية، أي أنَّ الشهيد شريعتي قد تناوله بالحديث الفكري المفصَّل والتحليل السياسي المعمَّق للأبعاد الفكرية والعملية لذلك المفهوم، الأمر الذي يجعل من إعتراضات البعض «العربي أو غير العربي» حول الإستخدام العلمي والعملي لهذا المفهوم من قبل القوميين العرب - في بعض التحليلات السياسية - هو نافل تماماً، وإتهام كل الذين يتعاطونه في الفكر السياسي على أرضية ما هو ملموس في أداء المهمات الوطنية العراقية والقومية العربية بأنهم «عنصريون» أو «يخدمون التوجه الأمريكي» أم مخاصمون لأي رؤية علمية، وبالتالي فإنَّ ما يشكله ذلك المفهوم مرتكزاً واحداً من المقولات النظرية الأساسية في تحليلاتهم السياسية... إتهامهم بأنهم قوميون وعنصريون من العرب، أو طائفيون من السنة

أو النواصب، أو فاقدو مواقعهم السياسية السلطوية السابقة، من تلك الألفاظ التي تروجها أجهزة الدعاية الإيرانية الرسمية، ويضخها يومياً أنصارهما، وغيرها من نعوت أيديولوجية صفراء يواصل القادة الإيرانيون السياسيون والمذهبيون النفخ في رمادها المسعور - خصوصاً - تفتقر إلى أية علاقة فكرية أو سياسية موضوعية بالواقع، ليس من بين أقلها أو حتى من بينها: التكفيريون والصداميون... تجعل كل تلك الأوصاف والنعوت مجرد اِتهامات فارسية عنصرية وأوهام طائفية لتمرير السم بالدسم، أي على طريقة ذلك المثل العربي: «ضربني وبكى وسبقني واِشتكي»... أي أنَّ اِتهاماتهم وتخرصاتهم تلك زائفة كلياً وباطلة تماماً، وكذلك تنطوي على رؤية أيديولوجية فارسية عنصرية مسبقة. لا شك أن بعض العرب المخلصين: من الكتاب والصحفيين قد وقعوا فيها، للأسف الشديد.

نقول إنَّ الدكتور الشهيد علي شريعتي الإيراني الفارسي الأرومة والمحتد، هو أبرزهم وأشهرهم وأنبلهم، في سياق طرحنا هذا المفهوم والمحاججة مع الآخرين: الخصوم خصوصاً ومَن نحن في صدده وسيكون - كذلك - مصدرنا الرئيس في الإفادة المعرفية والإحاطة التاريخية في تحديد هذا المفهوم: «الفارسية الصفوية» لأسباب كثيرة، منها بسبب المبادرة الريادية المنهجية والفكرية في تأصّيله وإرسائه لهذا المفهوم، من جهة، وكون أرومته فارسية ومادته الثقافية الغنية واضحة ومُتَمَثلَةَ بعمق، ولكنه المخلص للرؤية الدينية الإسلامية، ومجموع ذلك يمثل أحد المعالم التكوينية لفكره، من جهة أخرى، وشخصيته العلمية في إطار البحث التاريخي التدقيقي وحرصه على الأمانة والصدق مع الذات والآخر، إضافة إلى نزاهته الدينية، من جهة ثالثة، وموقعه في إطار الرؤية الجهادية: الفكرية والعملية ضد التغريب الثقافي الذي كان هو الشأن الفكري الشامل لرؤية الشاه الإيراني السابق المقبور: محمد رضا بهلوي وخصوصاً الحالة السياسية فيها. وهو فوق ذلك، صاحب رؤية سياسية غير مشكوك فيها وخصوصاً بالنسبة لبعض معتنقي الفكر الإمامي الإثنا عشري: عرب وغير عرب على وجه الخصوص، من جهة رابعة وأخيرة. [٤]

ومن الجدير بالذكر أنه خلال السنوات اللاحقة صدر العديد من الكتب التي تسلّط الأضواء على السلوك القومي الطائفي الإيراني المتعصب، لعل من أبرزها كتاب العالم المجتهد العلاّمة الدكتور موسى الموسوي والمعنون بالشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع تناول فيه مختلف جوانب الصراع في ماهية المدرسة الإمامية وتناقضها الغريب المريب مع سياسة إيران في ظل حكم الملالي، الصادر عام ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨م، من دون تحديد لمكان الصدور - وإنْ أخبرتنا الصفحة الأخيرة للغلاف أنَّ الكتاب قد صدر في عام ١٩٨٧م/ طبعة لوس أنجلس - وقد دون المؤلف هدفه الفكري من الكتاب في الإهداء الذي جاء فيه: «هذا كتاب يدافع عن الإسلام والإنسان والعقل اِبتغيت به وجه الله ورضاه وعونه وغفرانه وقصدت به الشيعة في كل زمان ومكان، فإلى مَنْ يتبع نداء التصحيح ويسعى لأجل مبادئه وأهدافه أهدي هذا الكتاب».

هل يعني أنَّ كل ما جاء به الكتاب: التشيع العلوي والتشيع الصفوي الذي سيكون مصدرنا الرئيس في تحديد البعض من أفكار وآراء المؤلف حول ماهية هذا المفهوم وتجلياته العملية، وما قاله الدكتور شريعتي في غيره لاسيما الجوانب الدينية والمذهبية من هذا الكتاب، هي مباديء فكرية أساسية ورؤى سياسية ملزِمة لنا في التقدير والتقرير، على مستوى الرؤية الفكرية والدينية والمذهبية التي سطّرها في عشرات الكتب الأخرى التي ألفها؟

كلا بالتأكيد...

فمنهجنا ورؤيتنا وأفكارنا وتوجهاتنا متغايرة تماماً: اِختلاف الرؤية الدينية المحضة التي يلتزم بها الشهيد شريعتي عن الرؤية الحضارية العربية الإسلامية التي نلتزم بها، وهدفنا السياسي متناقض معه على مستوى الرؤية التاريخية القومية العربية المُؤسسة على أخذ عاملي أو مفهومي «الزمان» و«المكان» بنظر الاِعتبار، كونهما مفهومين أساسيين في أي تحليل سياسي يحترم نفسه ويقدر خطورتهما، من الناحية الأولى، والرؤية الحضارية العربية الإسلامية كمسار تاريخي شكلت أبعاده محتويات الثقافة الكلية لسيرورة هذه المنطقة

العربية، من الناحية الثانية، إضافة إلى كوننا نعتقد بأنَّ أي تطور توحيدي على مستوى الأمة العربية سيكون، وبالضرورة، مدماك أساسي في أي تطور سيشهده العالم الإسلامي كله، ذلك هو مبدأ أساسي يتعلق بالمفاهيم الحضارية العربية الإسلامية، كما نعتقد ونؤمن، من الناحية الثالثة.

لذلك فإنَّ الإِستفادة مما تقدم يتعلق - أساساً - بضرورة فكرية موضوعية طابعها الإخلاص الوطني العراقي والتمثُل العميق لمفاهيم العمل القومي العربي، ولكن ما يجب ذكره وبشكل مبدئي ينطلق من الضروري التطرق لأفكار المبادرين في هذا الإِتجاه الفكري والتحليلي، كون ذلك من حقهم الإبداعي بالذات، أولاً، ومن أجل مواصلة مسيرتهم الفكرية في هذا النطاق بالذات، ثانياً، وذلك عن طريق الإضافة أو الحذف من أجل ترصين ما نراه فكرياً وسياسياً، في سياق مناقشة الظروف التاريخية المكونة لهذا المفهوم: «الفارسي الصفوي».

يستخلص الشهيد الدكتور شريعتي التالي، في سياق محاولته العلمية لتأصيل هذا المفهوم المبني على ركيزتين أساسيتين، كما يرى عن حق - ونتحفظ نحن حول مطلقاته الإيمانية والمذهبية التي سنتطرق لبعض التعبيرات عنها لاحقاً - وتلك الركيزتين الفكريتين هما: «المذهب الشيعي + القومية الإيرانية»، ويبني تصوراته الفلسفية على أساس رؤية معرفية خاصة تدقق في المسار التاريخي لتطورات المواقف الفارسية منذ أوائل عهد الدولة الإسلامية العربية التي أرساها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة وما أعقبها من سيرورة تاريخية في العصرين الأموي والعباسي، ولكن النظرة الفارسية للتطورات تلك - كما يرى - موتورة حاقدة ومسعورة على الدوام، كما يتجلى ذلك بإعلانه، أنَّ طابع ذلك الإِستخلاص ومبناه ومرتكزات أقانيمه الإِجتماعية والتاريخية هو «الحقد والضغينة وسوء الظن بالآخر والتهمة والإِفتراء والطعن واللعن والتحريف والتزييف والتفسيق والتكفير(... المقرون) بالجهود المريضة التي يبذلها بسخاء عملاء الأجهزة الدعائية الدينية التابعة لقصر: عالي قابو، أي بلاط الشاه»، [٥].

ولكن كيف يستطيع هذا المفهوم الفكري والسياسي أنْ ينتج «الأداة الإنسانية/ البشرية» المؤثرة على سلوك الفرد اليومي ويطبع دوره بسمات الممارسة العملية على ما فيها من مُحرَمـَّات، كان الدين الإسلامي واضحاً في التوقف أمامها وتحديد الموقف الحازم منها، كالقتل الغادر، على سبيل المثال؟!.

إنّ الإجابة على ذلك التساؤل الهّام والحيوي جداً وفق مقاييس النظرة الدينية الإسلامية، يكثفه الشهيد شريعتي على الوجه التالي «إنَّ رجل الدين الصفوي - ولا أقول العالم الشيعي - متعصب تعصباً أعمى، بمعنى أنه غير قادر على تحمل رأي المخالف وليس لديه أدنى اِستعداد للإصغاء إليه وفهم ما يقول، وليس المراد من (المخالف) هنا بالضرورة مَنْ يخالفه في الدين أو المذهب، بل حتى مَنْ يخالفه في نمط التفكير وطبيعة المزاج، فإنه لا يتورع عن تكفيره بدون تردد»، [٦]، أي أنْ يكون مصيره القتل غدراً أو تصفية جسدياً عبر الاِغتيال أو التعذيب الشنيع الفظيع، كما وثـَّقـّه العشرات من الصور والأفلام الملتقطة بالكاميرات.

وربما ما نجده اليوم على الصعيد العراقي من أحداث فظيعة تعبِّر عنها حالات الاِغتيالات الواسعة التي تطال «النواصب» - كما تقول دعاياتهم - من جهة، والتناول الحاقد الموسوم بالضغينة والمقرون بالألفاظ المقذعة لمحطات تاريخية كانت مظهراً رئيسياً لنشوء المفاهيم الخاصة بالأمة العربية والعالم الإسلامي وعموم مفاهيم الدين الإسلامي الحنيف، واتسام كل ذلك بالنقد السلبي الشائن والشتم المتواصل واللعن الأبدي، من جهة أخرى، هي إحدى العلامات الدالة على ذرا مفارقات ذلك التعصب الأعمى، والحقد غير المفهوم وفق معايير النظرة الدينية الإسلامية الصافية كما جاءت في القرآن الكريم والسُنـّة النبوية الشريفة وأقوال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه التي اِحتواها كتاب« نهج البلاغة» الذي أشرف على إصداره في أربعة أجزاء الإمام محمد عبدة: العالم المصري المعروف.

لذلك فالشهيد علي شريعتي يركز، اِبتداءً، على اللغة النقدية الواضحة تجاه النصوص، ومسألة التفاوت الكبير بين مفاهيم الاِختلاف، وهي ظاهرة إنسانية أي ظاهرة

الِإختلاف تنشِّط عوامل التدافع البشري والِإجتماعي من أجل التطور الموضوعي، من ناحية، والمفهوم الآخر: أي الخلاف المبني على رؤية أيديولوجية تتحكم فيها «القناعات المسبقة»، وهو المفهوم الذي يؤدي غالباً إلى التنازع والتهارش والصراع اللاموضوعي وحتى الحروب المفتعلة، مع الآخر من غير المنتمين إلى مدرسته الفكرية، من ناحية أخرى.

لذا، كما يرى الشهيد علي شريعتي، أنَّ «العالِم الديني الصفوي» يركز في مجمل أبحاثه الفقهية و«التاريخية» على مسائل من شأنها «الإثارة والِإختلاف بين السنة والشيعة وإهمال نقاط الِإشتراك أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف أو يفرغـّها عن قدرتها على أنْ تكون أرضية صلبة لموقف مشترك بين الفريقين»، [٧]، مما يؤدي وبالضرورة إلى صيرورة هذين التكوينين في المدارس الفقهية التي تنظر في التفصيلات الحياتية، ليس متناقضاً على طول الخط من حيث التفاصيل في بعض المسائل الفكرية فقط، وإنما جعل ذلك مجسَّداً في فريقين متقابلين متنازعين ومتصارعين... بلهَ صيرورتهما متحاربين عبر الِإستخدام لمختلف الوسائل وشتى السبل، وإنْ كان بصورة غير مباشـَرة.

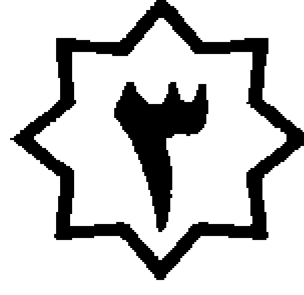
– هوامش الرصد الثاني –

[٤] - المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

[٥] - المصدر السابق، ص ٨٢.

[٦] - المصدر السابق، ص ١٤١.

[٧] - راجع قوله المذكور ذاك وكذلك الِإستشهاد الذي جاء به، في كتاب وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/ لبنان - كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤م، ط ١، ص ١٢٩.



المفهوم: عن أي مصلحة يعبّر؟

الرصد الثالث

وفي الواقع الفكري الملموس، أنَّ هذا التوجه هو مخالف لكل التعليمات الدينية الإسلامية، ومتمرد على روحيته التي تسعى للتكامل بين المسلمين كافة، ذلك اِنطلاقاً من رؤية ثقافية نابعة من المفاهيم التاريخية للدين العربي الإسلامي، بلهَ جعله مظهراً كبيراً وأساسياً ورئيساً في المجتمع الإسلامي الذي ينبغي أنْ يكون متكاملاً متواصلاً ومتنامياً أيضاً، كما هو مفترض، وذلك بناءً على قراءة متمعنة متفحصة مدققة واعية مدركة: مخلصة ونزيهة تعتمد على رؤية قرآنية صافية ومقرونة بسيرة نبوية واضحة كما أفرزته السنة النبوية الشريفة المنسجمة مع الظروف التاريخية...

وذلك في إطار نزعة إنسانية عالمية «قائمة على التسامح والاِعتراف بأقدار الأمم والشعوب وثقافاتها» وفقاً لما قاله الأستاذ عرفان عبد الحميد فتّاح: الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي من بغداد، مستنداً في ذلك إلى ما قرره الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: «ومن أوجب الحقَ ألا نذم مَنْ كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزيلة، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية، وينبغي ألا نستحي من اِستحسان الحق، واِقتناء الحق من أين أتى، وإنْ أتى من الأجناس القاصية عنا، والأمم المباينة لنا، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق»، [8]، إنَّ هذا المنطق ومضمونه الفكري ومحتواه الحضاري هو مصداق قول الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، «الحكمة ضالة كل مؤمن، خذ الحكمة من أهلِ النفاق»، و«خذ الحكمة أنّى كانت، فإنَّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن»، وكل ذلك - كما هو معلوم - يتناقض مع رؤية التعصب والاِنغلاق والطعن واللعن والإقصاء: الفارسية الصفوية!.

يبذل أولئك «المجتهدون» الفرس الصفويون في صياغة بنائهم الفكري / الأيديولوجي: أي إِستثمار المفاهيم المدرسة الإمامية وحتى مفاهيم بقية المدارس الإسلامية، على أرضية المصلحة الفارسية الإيرانية، في جعل التكوينات الإسلامية متناقضة متصادمة في صفيَّن هما «الشيعة» و«اللا شيعة»، وبالتالي تشييد أنماطها «الفكرية المذهبية» معرفياً لصالح صيرورتها طرفين متناقضين قبالة بعضها البعض، ومتصادمين في الفكر والعمل ليس في الحاضر فقط، وإنما في كل التاريخ الإسلامي الماضي أيضاً، بغض النظر عن المفاهيم الحضارية المسلمة المتكاملة والمتوحدة في الأهداف الإنسانية المشتركة.

وبذلك تمكن هذا الأسلوب «الفكري» الماكر الذي يتبعه حكام إيران الحاليون – على سبيل المثال المحدد والملموس – ومَنْ يدور في فلكهم من المعممين السياسيين والأيديولوجيين الذين يزعمون اِلتزامهم بـ«الرؤية الدينية الإسلامية» أو «الرؤية المذهبية الإثناعشرية، في العراق أو غيره، من التوصل إلى توليد حالة عملية ملموسة قوامها، كما يقول العالِم شريعتي في حركة جديدة: اِتحاد «التشيع الصفوي مع القومية الإيرانية: وأظن أنَّ الكاتب يقصد القومية الفارسية، إذ أنَّ الدولة الإيرانية، كما هو معلوم، تتكون من شعوب متنوعة قومياً: العرب، والأذريين، والأكراد، والبلوش، والتركمان، والفرس طبعاً، جمعتها ظروف تاريخية عابرة».

لقد اِمتزجت هاتان القوتان معاً حتى بات من الصعب التفكيك بينهما ونجم عنها مركب جديد يمكن أنْ نصطلح عليه تارة بأنه «تشيع شعوبي» وأخرى تارة بأنه «شيعة شعوبية». [٩]، وهو توليف غريب عن أي مفهوم إسلامي قرآني أصيل وغير مأوَل بشكل تعسفي أو قسري، إذ تولـدَ هذا المفهوم العنصري، وما نشأ عنه من تعاليم وفتاوى و«أفكار مقدسة» وترهات ميتافيزيقية خارجة عن نطاق العقل والمنطق... لقد تولد عن «عقد قران» بين «الرؤية الإمامية/ الشيعية» المزعومة و«القومية الفارسية»... عقد قران غير شرعي يتسم بالسِفاح، [١٠].

ولكن المرحوم الشهيد شريعتي لم يكن حياً في الواقع الآني والراهن، وبالتالي جعْله باحثاً علمياً يعطي الأمثلة الحسِّية الملموسة المستقاة من واقع تجربة الحياة اليومية الراهنة،

وبالتالي: يغترف الشواهد الحسية الملموسة من العراق السياسي في هذه المرحلة الذي اِنتصر فيها الطغيان العسكري الأمريكي على وطنه ومجتمعه العربي المسـلم وفق معايير الحضارة العربية الإسلامية، والذي جعله «خاضعا» كلياً للاحتلال الأمريكي وخصوصاً في ظل طابع أفكار إدارته الصليبية الصهيونية المنفلتة من أي عقالٍ سياسي تضبطه الشرعية الدولية، كما وردت في مواثيق الأمم المتحدة، وذلك من أجل البرهنة على وجهة نظره تلك من حيث مواقف الأتباع / العلماء المذهبيين والسياسيين الذين يديرون الوضع السياسي العراقي في هذه الأيام.

وبالتالي لكي يتطرق إلى قرائن التبعية السياسية الواضحة للرؤية الصليبية المتصهينة، وكذلك الِاستدلال على صحة أطروحاته الفكرية من خلال مناظر الجثث المقطوعة الرأس والمفصولة عن أجساها، التي ركبها الله في أحسن تقويم، والمثقوبة الأجساد بالمثقب الكهربائي (الدريل)، والمحروقة الجلود بالتيزاب والأحماض الكيميائية الأخرى وسلق المسلمين المؤمنين بالمياه المغلية، والمفقوءة أعينهم جرّاء التعذيب البشع، وكذلك ما تشكله من دلائل وبراهين تتمثل بالمقتلعين من مناطق إقامتهم التاريخية أو المرَّحَـلـَين من مواقع سكناهم على خلفية التفتيت المجتمعي العراقي والتجزئة الطائفية الملموسة، كما بينته تجارب صولاغ / مجلس آل الحكيم وأتباعهما من قوات «بدر» وغيرها، وأقسام كبيرة من جيش مقتدى الصدر، وغيرهم من المنظمات الطائفية «السنية» التي تقف في الصفوف المواجه لهم.

إذ أنَّ ردود الفعل الإجتثاثية أمر وبديهي في مثل هذه الأحوال، وتلتقي في نوعية الجرائم المرتكبة بحق العراقيين من مختلف الِانتماءات المذهبية والدينية! بغض النظر عن مفاهيم الشريعة الإسلامية التي تعد حياة الإنسان وكرامته خطاً أحمر لا ينبغي الِاقتراب منه، ناهيك عن اِنتهاكه المتعدد الوجوه، كما هو ملموس في الماضي الذي اِنقضت خمس سنوات على مآسيه، والذي أعقب الِاحتلال الأمريكي.

لقد كان الشهيد شريعتي - كما أتوقع - بأمس الحاجة لهذه الأمثلة الشاخصة الملموسة - للتدليل على وجهة نظره، إذ أنَّ السلطة «العراقية» الصفوية التابعة لإيران، القائمة في العراق المحتل، والمشبعة بتعاليم الرؤية الفارسية الإيرانية، والتي تنامت «قناعاتها السياسية» في الحاضنة الفكرية لمرشديها من «المراجع العظام»، هي المسؤولة رسـمياً عن

وضع الناس الأمني في داخل العراق بسبب تبعيتها المطلقة للمحتلين الأمريكيين، بلهَ لا يتوانون عن التصريحات المعلنة بضرورات التمسك بوجودها العسكري في العراق لحمايتهم من غضب الشعب العراقي.

كما أنَّ صدور التصريحات الإيرانية والواردة بلسان الرئيس الإيراني أحمدي نجاد والمعلنة في الأجهزة الإعلامية المختلفة حول ما يسمى بملء الفراغ الذي سيخلف إنسحاب القوات الأمريكية من العراق والمقرون بعدم الإشارة إلى دور الإرادة الوطنية الحازمة التي واجهت قوات المحتلين بالقتال، من ناحية أولى، وتأييد حكومة المالكي أو الشبيهة فيه، هي تستهدف، وبشكل محدد وقبل أي شيء، طمأنة العملاء والأتباع حول حمايتهم في المستقبل، فيما إذا إنسحب حماتهم من العسكريين الأمريكيين، من ناحية ثانية، ناهيك عن كونها تستبطن ملامح التفكير العنصري الذي يستهدف العراق تكويناً وتاريخاً ومضموناً قومياً، من ناحية ثالثة.

ولكن كيف تجسّدت هذه المفاهيم الصفوية على الصعيد الجنسي؟ أي على صعيد جانب محدد من الرؤية الصفوية للعلاقات الطبيعية بين البشر الأسوياء في المجتمع الواحد؟ والتي كانت سبباً في نقل الأمراض الجنسية المعدية والخطيرة للدرجة التي تركت أثارها الرهيبة المتمثلة في النخر الإجتماعي العراقي؟ هذا ما ستعالجه الرؤية الفكرية التالية بعد تلمس المجموع العراقي الممارسات الإيرانية/ الفارسية التي بتنا نراها في مجتمعنا العراقي والتي لم يعرفها سابقاً، وبالقطع!.

إنَّ التشيع الفارسي الصفوي، كما هو متجلٍ في الممارسة اليومية على الصعيد العراقي، وكذلك المتجسد أمامنا على الصعيد «الفكري» والسياسي، يقترن بالأقوال النابية والأفعال الدخيلة على الإسلام الذي حضَّ على المحبة والإحترام للذات البشرية وحرَّم الطعن واللعن ودان الهمز واللمز وأوعد مروجيه بالويل والثبور، وهي القيم المنافية لأبسط الأخلاق الإنسانية جمعاء، من جهة أولى، والإتصال البشري السوي من خلال مؤسسة الزواج الشرعية التي لها شروطها المعروفة، من جهة ثانية.

- هوامش الرصد الثالث -

[٨] - راجع كتاب الشهيد الدكتور علي شريعتي المعنون التشيع الصفوي والتشيع العلوي، ترجمة الأستاذ حيدر مجيد، تقديم الدكتور إبراهيم دسوقي شتا، سلسلة الآثار الكاملة، الجزء الرابع، إصدار دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، بيروت / لبنان، ص ١٢٠.

والتطرق إلى الخلفية التاريخية لنشوء أية ظاهرة سياسية أو غير سياسية تفرضها الضرورات الموضوعية، إذ كما يقول بعض القرّاء للتاريخ من موقع الإخلاص للأمة العربية، يوجب الإستشهاد بالرأي الموضوعي التالي الذي إجترحه الأستاذ محمد حسنين هيكل: إنَّ «الإهتمام بالسياسة فكراً أو عملاً يقتضي قراءة التاريخ أولاً، لأنَّ الذين لا يعرفون ما حدث قبل أنْ يولدوا، محكوم عليهم أنْ يظلوا أطفالاً طول عمرهم!». ولا شك أنَّ المعممين والملالي وأنصارهم أو أتباعهم: نهجاً فكرياً أو سلوكاً سياسياً، من الذين إستقبلوا الغزاة الأمريكيين المحتلين للعراق، وتعاونوا معهم أو سكتوا عن فسادهم في البلاد، وأداروا ظهورهم للأعمال الفظيعة التي صبها المحتلون على رؤوس أبناء العراق... لا شك أنهم في هذا النهج السياسي حول قضية العراق هم من هذا القبيل، وحتى إنْ كانت أعمارهم قد تجاوزت المائة عام.

أما العودة التفصيلية للتاريخ الصفوي: نشوئه ومظاهره، فقد وردت في العديد من المصادر المعروفة، ولكننا نختزل ذلك النشر وتلك المظاهر بما كتبه الدكتور محمد بسام يوسف في موقع «البصرة» وتحت عنوان:

المشروع الإيرانيّ الصفويّ الفارسيّ

المشبوه في بلاد العرب والمسلمين

الصفويون والصفوية يُطلَق هذا الاسم على الدولة التي أسّسها (الشاه إسماعيل الصفويّ) وعلى أتباعه، وهو من سلالة الشيخ (صفيّ الدين الأردبيلي) الذي كان يسكن مدينة (أردبيل) التابعة لإقليم أذربيجان في شماليّ غرب إيران.. والشيخ الأردبيلي هو أحد مريدي الشيخ (تاج الدين الزاهد الكيلاني) صاحب إحدى الطرق الصوفية، وكان ينتمي إلى المذهب الشافعيّ... وقد كان (صدر الدين خواجة علي) حفيد صفيّ الدين الأردبيلي أول مَن اعتنق «المذهب الشيعيّ» بعد وراثة الطريقة الصوفية الأردبيلية عن والده (صدر الدين موسى)، ثم قام (شيخ شاه إبراهيم بن صدر الدين خواجة علي) باعتناق «المذهب الشيعيّ» على الطريقة «الشيعة الإمامية» وتحويل طريقته إلى طريقةٍ «شيعيةٍ إمامية» متعصّبةٍ غالية..

وسار على دربه ابنه الأصغر (جنيد) الذي قُتِلَ في إحدى حروبه، فخلفه ابنه (حيدر بن جنيد) الذي لُقِّبَ بلقب (سلطان)، وأمر أتباعه بأن يضعوا على رؤوسهم (قلنسواتٍ) من الجوخ الأحمر،

تضمّ الواحدة منها اثنتي عشرة طيّة، رمزاً لـ«الأئمّة الإثني عشر عند الشيعة الإمامية»، وقد قُـتِـلَ (حيدر) أيضاً في إحدى حروب الثأر لوالده. وخلفه ابنه (إسماعيل)، الذي أعلن فيما بعد عن تأسيس دولته الصفوية (في عام ١٥٠١م)، ووطّد دعائمها، فامتدّت من إيران إلى ما حولها من بلدان، حتى وصلت بغداد.

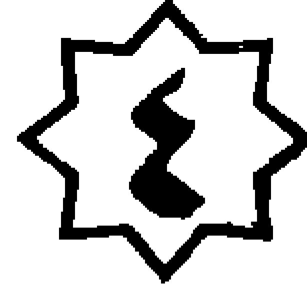
كان المسلمون في إيران بأغلبيتهم الساحقة (٩٠٪) من أهل السنة الشافعية، إلى أن قامت الدولة الصفوية على يد (إسماعيل الصفويّ) كما ذكرنا في عام ١٥٠١ م، الذي اتّخذ من مدينة (تبريز) عاصمةً له، وأعلن أنّ دولتَه (شيعية إمامية إثنا عشرية)، وقام بفرض عقيدته بالقوّة، على الرغم من أنّ علماء الشيعة حذّروه بأن لا يفعل ذلك، لأنّ الأغلبية الإيرانية الساحقة تنتمي إلى أهل السنة.. لكنه رفض وقال قولته المشهورة: «إنني لا أخاف من أحد، فإن تنطق الرعية بحرفٍ واحد، فسوف أمتشق الحسام، ولن أتركَ أحداً على قيد الحياة»!... وقام بصكّ عملة الدولة، منقوشاً عليها مع اسمه عبارة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي وَليّ الله)!... ثم أمر جنوده بالسجود له كلما قابلوه، وقد اشتهر بدمويّته وساديّته الشديدة، فقام بقتل علماء المسلمين وعامّتهم، فقتل أكثر من مليون مسلمٍ سنيّ، ونهب أموالهم، وانتهك أعراضهم، وسبى نساءهم، وأمر خطباء المساجد من أهل السنة بسبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة (أبي بكرٍ وعمر وعثمان) رضي الله عنهم، وبالمبالغة في تقديس الأئمة الإثني عشر...

ووصل الأمر به إلى أنْ ينبشَ قبور علماء المسلمين من أهل السنة ومشايخهم، ثم أنْ يحرقَ عظامهم!... وهكذا كانت دولة الشاه (إسماعيل الصفوي) تأسيساً لكل الدول «الإمامية الإثني عشرية»، ومثالاً يُحتَذى بها «شيعياً» فيما بعد، من حيث ممارساتها وبدعها الشاذة!... امتدّت الدولة الصفوية فيما بعد في كل أنحاء إيران وما جاورها، فقضى (الشاه إسماعيل) على الدولة التركمانية السنية في إيران، ثم سيطر على (فارس وكرمان والأحواز "عربستان")،وغيرها...

وكان في كل موقعةٍ يذبح عشرات الآلاف من أهل السنة... إلى أن هاجم بغداد واستولى عليها، ومارس أفظع الأعمال فيها ضد أهل السنة، ومما فعله، أنه قام [بتهديم مدينة بغداد، وقَتل الآلاف من أهل السنّة، واستخدم التعذيب الشديد بحقّهم قبل قتلهم، ثم توجّه إلى مقابرهم، فنبش قبور موتاهم، وأحرق عظامهم!.. كما توجّه إلى قبر (أبي حنيفة) و(عبد القادر الجيلاني) - رحمهما الله - ونكّل بهما ونبشهما!... وكذلك قام بقتل كل مَن ينتسب لذرية القائد المسلم (خالد بن الوليد) رضي الله عنه في بغداد، لمجرّد أنهم من نَسَبِه، وقَتَلَهم قتلةً شنيعة]!... (تحفة الأزهار وزلال الأنهار، لابن شدقم الشيعي).

[٩] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

[١٠] - المصدر السابق، ص ١٢٣. =



في رؤية المجتهد الإيراني/الفارسي الأكبر

الرصد الرابع

ويمكن الِاستدلال على ذلك الِاتجاه الفارسي الصفوي المُمارَس فعلاً، على سبيل المثال، من مطالعة مستفيضة مدققة في الفقرة التالية التي يستشهد بها نجل المرجع الأعلى في حينه الحياتي أبو القاسم الخوئي: أي المجتهد الأكبر لدى أتباع المذهب الأمامي قبل وفاته، وهو السيد عباس الخوئي الذي أسهمت كتاباته الكثيرة والتي جمع بعضها في كتابه المعنون «كشكول عباس الخوئي» في تسليط الأضواء على ممارسات السلطة الإيرانية المتناقضة مع مدرسة أئمة آل البيت، من أجل تسويغ الدجل الفارسي الصفوي.

لقد أورد السيد عباس الخوئي تفصيلات مقتطعة من كتابات الخميني التي أقل ما يقال عنها: أنها مخجلة مسفة وفق الدرجات الدنيا لحضيض الدرك الأخلاقي، ومما جاء في كراسته تلك ما يلي: «أدناه نص الفتوى رقم (١٢) من باب النكاح التي وردت في الجزء الثاني الصفحة (٢٤١) من كتابيْ وسيلة النجاة للسيد أبو الحسن الأصفهاني وتحرير الوسيلة للإمام الخميني. ونسختا الكتابين موجودتان عندي كما يقول السيد عباس.

وبهذا الصدد يقول الخميني في المسألة - ١٢ - في كتابه الأشهر، «تحرير الوسيلة»: «ولا يجوز وطء الزوجة قبل تسع سنين، دواماً كان النكاح أو منقطعاً، وأما سائر الإستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة، ولو وطأها قبل التسع ولم يفضها لم يترتب عليه شيء غير الإثم على الأقوى، وإنْ أفضاها بأنْ جعل مسلكي البول والحيض واحداً أو مسلكي الحيض والغائط واحداً حُرِّمَ عليه وطؤها أبداً، لكن على الأحوط في الصورة الثانية، وعلى أي حال لم تخرج عن زوجيته على الأقوى، فيجري عليها أحكامها من التوارث وحرمة الخامسة وحرمة أختها معها وغيرها... إلخ»، [١١].

ويعلـِّق السيد عباس الخوئي على ما تقدم من «خزعبلات» بينها وبين أي علم بايلوجي رصين وقيم أخلاقية إسلامية، بيدٌ دونها بيد، كما يقول الشاعر العربي العظيم أبو الطيب المتنبي، وكذلك، تتناقض مع الطبائع البشرية السوية على اِطلاقياتها، وفي كل الجغرافيات المكانية، ووفقاً لأي ذوق بشري سوِّي وأي منطق عقلي يتسم بأبسط معاني الإدراك الديني، وسريرة عاقلة وحريصة أيضاً، على آدميتها الإنسانية وموروثاتها الأخلاقية الكريمة...

يعلـِّق على كل ذلك بما يلي: «من المخجل أنْ نرى هذه المسألة ورقمها (١٢) في باب النكاح الصفحة (٢٤١) المجلد الثاني من كتاب تحرير الوسيلة للمرحوم الإمام الخميني المطبوعة عدة طبعات في كل من النجف وإيران ولبنان... هذه المسألة مذكورة أيضاً في كتاب وسيلة النجاة للمرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن أصفهاني الذي ذكرها في نفس الصحيفة ونفس الرقم (٢٤١) من المجلد الثاني، والمرجعان الخميني والأصفهاني نقلا المسألة بحذافيرها من كتاب العروة الوثقى للمرجع الكبير الراحل آية الله السـيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي المتوفى في عام ١٩١٩م، وذلك يعني أنَّ المرجعين الخميني والأصفهاني قد أخذا النص كما هو دون أي تغيير في الفتاوى، وعليه فإنَّ الشروح في الصفحة (٤) من كتاب تحرير الوسـيلة، الجزء الأول، المنسـوب للمرحوم الخميني، هو خلاف للواقع، إنْ لم نعتبره كذباً مكشوفاً»، [١٢].

وبعيداً عن سرقة الأفكار التي أقدم عليها «المرجع الأكبر» روح الله الخميني، والتي جرى تسجيلها سابقاً بالاعتماد على نصوص مستقاة من كتابه الأكبر: تحرير الوسيلة، ولطش التعبيرات الخاصة بتلك الأفكار «الجنسية» من «المجتهدين» الآخرين، وتكرار الإستخلاصات «الفقهية» مع إغفال مَنْ قام بالتصدي «المبادر» في مناقشتها واستخلاص «الإِستنتاجات» الخاصة بها، وذلك بالاعتماد على «نسيان» البعض أو تناسيهم، وخصوصاً أنَّ الخميني لم يشر إلى المصدر الأصلي الذي ورد قيها النص - كما تقتضي أخلاقيات البحث العلمي أو الأكاديمي النزيه، وليس الديني فقط، والذي يتسـِّم بالمصداقية - أو بذل أي

جهد فكري تجاه المسألة المثارة في البحث بما يجعل الِاستخلاص صادر عن رؤية المؤلف أو المجتهد، وما يدور في عالم المسائل النظرية الِاجتهادية والحوار المسؤول في ظل «مدارس الكلام» الإسلامية، في المستويات المكونة لما يُسمى بعالم الحوزات]العلمية[المدرسية.

... نقول: علينا تحميل مسؤولية ما نراه من تكميم مُحكَم لصغيرات السن من البنات والفتيات حتى اللائي لم يبلغنَّ الخمس سنوات، بالشادور الملوَّن والعباءات السود ومختلف أشكال الحجاب الأخر، وهن - في أية حال - لم يتجاوزن الخمس سنوات... تحميل المسؤولية الأخلاقية وما يترتب عليها من أفعال، لمضمون هذه الفتاوى التي قال فيها «مجتهدون» حول فتيات لا يتجاوزن الخمس سنوات أو حتى الرضع، وأصحابها المؤمنين بها أو القائلين بها، وكذلك تحميل الخطايا المرتكبة بحق هذه الزهور الندية على أيدي الوحوش الحيوانية / البشرية لكل مَنْ روج هذه الأفكار المريضة والأفعال السقيمة والأعمال اللا أخلاقية الرذيلة، من خلال نصوص تبريرية «مقدسة» كما يزعم هؤلاء المعممون «المجتهدون».

إذ أنهم يبيحون مثل هذه الممارسات القبيحة بشكل «شرعي!!» وضمن فتاوى واضحة، ومستندون في ترويج هذه الأباطيل إلى مزاعم تتعلق بالشريعة العربية الإسلامية الغرّاء، ومن دون وجه حق، بله على خلفية التزييف التام، ومجرد حذفها من الطبعات اللاحقة من كتاب «المجتهد» الخميني برهان على ذلك التزييف والتزوير، ودليل صادق على تفاهة النصوص ودونية الأحكام، بصدد تلك المسائل «الجنسية» المثارة في كتاباتهم، والشؤون الجنسية التي تهم بعض البشر على مختلف اِنتماءاتهم العقائدية: الدينية الإسلامية أو المذهبية التي تنتمي للمدرسة الإثنا عشرية.

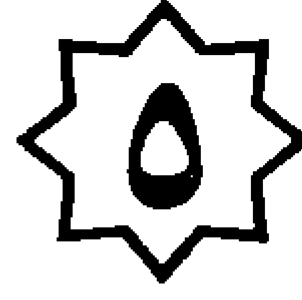
أفكار مذهبية عملية يجري تعميمها على أتباع هذه المدرسة، ويجري الترويج لها بنشاط غير مسبوق بِاسم الدين، وهي مقززة تقشعر لها الأبدان وترتجف لها الضمائر وتتطير لهولها العقول، وهذه الممارسة العملية ليست عبارة عن فتاوى «شرعية واِفتراضية» تم تسطيرها في بطون كتب «المجتهدين» للتفصيل ما بين هو «حلال» أو «حرام»، على صعيد

الممارسات الجنسية بين التكوين الذكوري والتكوين الأنثوي، وبالتالي المعرفة التامة للفواصل اللازمة لتقرير الحدود الدنيوية تجاه هذه المسألة الحياتية الحيوية الملازمة للسنن التكوينية البشرية، والعادات الاِجتماعية المنتشرة في العراق - مثلاً - كما هي مطروحة، بإعتبارها جزءاً من التكوين الإنساني، بل هي تعليمات ممهورة بالفتاوى والأختام الشخصية التي لا يستخدمها إلا حاملوها، لتكون مرشداً بيانياً في الأداء لبعض مقلديهم من الأتباع الذي تركوا العقل الإنساني جانباً، وعلى خلفية نص فقهي دَوَنَهُ «مرجع ديني عالم» بالشـريعة ومتبحر- أو هكذا يقال - في معرفة أسـرارها، كما يزعـم هو ويزعـم أتباعه، وذلك قبل أي اِعتبار، أي أنه نصٍ مكتوب في رسالته الكبرى التي أطلق مرشد الجمهورية الإيرانية السابق روح الله الخميني عليها اِسم «تحرير الوسيلة»، كما أسلفنا.

- هوامش الرصد الرابع -

[١١] - راجع كراسته المكونة من ٤١ صفحة التي تتضمن قضايا تخص الروحانية الشيعية والإسلام بشكل عام، المطبوعة في العاصمة السورية: دمشق في ١ - ٢ / ٣ / ١٩٩٦م، ص ٣٤.

[١٢] - المصدر السابق، الصفحة نفسها.



مفهوم المتعة ؛ ماذا يعني؟

الرصد الخامس

اليوم يسير مقلدو ذلك الإمام: «المجتهد الأكبر» وقدوتهم في الممارسة: روح الله الخميني، الذي هو المسؤول أدبياً ومعنوياً، عن قضايا سلبية كثيرة، و«سجايا» منقوصة كبرى أيضاً، تتعلق ليس بالفضائح الجنسية فقط، بل بدوام القتل والاِقتتال بين البشر من خلال بعض الأحداث، ومنع المسلمين من أداء فريضة الحج في بعض السنوات السابقة، وإعدام ألوف الشبّان بذريعة كونهم مفسدين في الأرض أو الأمر بدعوى المعروف أو النهي عن المنكر، كما يقول الفقيه الإيراني المجتهد «آية الله» حسين علي منتظري، الذي كان مسؤولاً في «الجمهورية الإسلامية» في مرحلة ما من خلال تبوئه موقع النائب العام للمرشد العام «الإمام الخميني»، من دون أية مســوغات شرعية، وأكده عشرات الكتّاب والمراقبين الآخرين، وما أفرزه من سلوك سياسي منافٍ لحقائق العقل ونصوص الشريعة العربية الإسلامية، فضلاً عمن ينتهج طريقه - أو يسير مَنْ هم على شاكلته - على ذات النهج السلوكي في هذا الجانب، من السياسيين الصفويين الذين يحكمون العراق ويتحكمون في شؤون العراقيين.

إذ لدينا الآن، ولأربع سنين خلون ونيف بالتمام والكمال، «حكومة» العمائم الصفوية الرثة ممن يسيطرون على السلطة في العراق في أعقاب الاِحتلال الأمريكي له، لذا يبدو الأمر «منطقياً» عندما يقلد رئيس وزراء حكومة الاِحتلال: نوري المالكي أنواط التقدير والشجاعة «لأبطال الغزوات الجنسية» من أتباع سلطته «الأمنيين» و«العسكريين»، ممن اعتدوا على شرف المواطنة العفيفة الشجاعة السيدة صابرين الجنابي!، أو غيرها، التي تحدثت عنهن مختلف أنواع التقارير الإخبارية عنها، تحت ذريعة إجازة «الدين الإسلامي» مفهوم العمل بـ«المتعة»، وهو كذبٌ بواح وزنا صريح بالنسبة لغالبية المدارس الإسلامية.

فضلاً عن كون «المتعة ذاتها» مدججة بالشروط الواجبة والملزمة لأيٍ مَن يتعاطاها حتى وفقاً للرؤية الإمامية المزعومة، أي عبر ما يدعى بـ«شريعة المتعة» التي يدعو لممارستها علماء المذهب من الفرس من على منابر الخطابة في مجالس التعازي الحسينية، صباح مساء على وجه الخصوص، وبعض أتباعهم من الجنسية العربية أو العراقية أيضاً، من قبيل الشروط التي تنطوي عليها مدة «شرط العدة» عند المرأة المتمتع بها، بإِعتبارها مجرد «جارية» بعد فسخ «عقد المتعة» معها، وضرورة الإِنتظار لمدة ٥٠ يوماً، فيما تبلغ عدة المرأة الحرة في الزواج الرسمي عند طلاقها مائة يوم: أي ثلاثة أشهر وعشرة أيام.

هذه هي أخلاقهم «الفارسـية» على الصعيد العملي والممارسـة اليومية، وتلك هي ممارسـات عقيدتهم المذهبية: الطائفية الصفوية، ومجريات عملهم السياسي المتمثل بتكريم المجرمين الذين إِرتكبوا جريمة إِنتهاك العرض والشرف عنوة، الذي إِختلطت فيها العمالة للأجنبي، مع السيد صابرين الجنابي - كمثال - والمكاسب «الأخلاقية» التي تلمسنا شظايا منها في تلك الواقعة المشينة وغيرها، هي دالة ملموسة أخرى على نهجهم السياسي الوضيع. وفي الحقيقة العملية المرئية عبر الشاشات المرئية، أنها مجرد أحد الأمثلة الملموسة المعلنة، إذ أنَّ مجرد مكافأة ما يسمى برئيس الحكومة: نوري المالكي الفورية «للعناصر الأمنية» التي باتت تضرب بالقبضتين علاوة على الانتهاك والاغتصاب... أي تضرب كل مَنْ لا يؤيد رؤية أسـيادها السياسيين، والمسؤولة عن تنفيذ «القانون والتعليمات» التي أصدرتها سلطة العملاء، كما هو مفترض، أي بعد سـاعات معدودات من شـيوع الخبر من خلال إقرار الضحية النبيلة صابرين الجنابي عبر الشـاشـات التلفزيونية المعلنة بما جرى لها...

في الحقيقة أنَّ ذلك السلوك هو الفضيحة السياسية والأخلاقية الكبرى وفق كل المقاييس المنطقية والموضوعية ناهيك عن المقاييس الدينية العربية الإسلامية.

إنَّ أقوال السيدة صابرين الجنابي هي إقرار لا يقبل التكذيب أو المناقشة، تمنحه الشـريعة الإسـلامية الحقـة أولوية التأييد على ما عداها من حجج للدلالة على الواقعة،

كنفي المجرمين الذين اِرتكبوا الفعل الفاحش مستغلين مناصبهم والصلاحيات الممنوحة لهم... كنفيهم التهمة عن أنفسهم ومسارعة المالكي لعدم تصدّيقها ومن دون أي تحقيق محايد، بخصوص جرائم أولئك الوحوش المنتسبين لسلطات رسمية، التي أقدمت على اِرتكاب الفعل المجرم الفاحش مع السيدة الفاضلة تلك، في أية حال أنَّ المسألة هي أخطر من واقعة، بل هي في سياق تكريس نهج وتشجيع كل المجرمين ممن تسول لهم أنفسهم إرتكاب تلك المعاصي / الجرائم الأخلاقية، من خلال «الطمأنينة» التي توفرها مراكزهم الوظيفية وتلقّي الرعاية من المسؤولين الأساسيين في النظام الفارسي الصفوي... بل في الحقيقة هي فضيحة بذاتها، لا تقل عن أمثلة القتل والتعذيب البدني.

إنه مثال آخر على أخلاقية عقلية المتعة، ومثال مضاف لما تقدم من عقلية الاستمتاع حتى بالرضيعة كما تقدم الاستشهاد حول هذا الموضوع، وبرهان على درك الِإنحطاط الأخلاقي الذي يتخبط في أوحاله عملاء الِإحتلال، وعلامة دالّة على ديوثيتهم التي كان ميدانها الأبرز بالعمل في القوادة السياسية عند المحتلين الأمريكيين والبريطانيين.

العرب المفعمون بقيم الشرف والأخلاق الرفيعة، والمسلمون الحقيقيون، الفعليون، ذوو التقوى والِإلتزام بالقيم الدينية الإسلامية الأخلاقية، بُراء من كل مما تقدم وفق معايير التقاليد العربية الإسلامية، ولما كان أهل الرؤية الإمامية الحقيقية: كمدرسة فقهية ضمن المدارس الإسلامية، كما هو مفترض، يقتدون بأخلاق وآداب أهل البيت النبوي المحمدي وخصوصاً أنَّ الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، الخليفة الراشدي الرابع لم يجوِّز ممارستها خلال كل فترة حكمه التي دامت قرابة الخمس سنوات، وكذلك، يتأسى أهل السنة على مختلف إلتزاماتهم المدرسية / المذهبية بسيرة ومباديء الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين: الصحابة وأهل البيت، فإنَّ «مفهوم المتعة» الذي تدعو إليه الفارسية الصفوية بنشاط دعوي وإجراءات عملية مكشوفة، سيكون الفيصل والمعيار في التمييز بين الممارسات العملية على هذا الصعيد، ومعرفة الأدلة الإسلامية القائمة على الحِسِّ الأخلاقي البشري والتجربة التاريخية التي أفرزتها القرون الإسلامية الفائتة.

تؤكد الرؤية الفارسية الصفوية أنَّ المتعة تنطوي على فضيلتي الأجر والثواب في الحياة الدنيا واليوم والآخر، كما يزعم «العلماء المجتهدون» المنضوون تحت رآيات «المدرسة الإمامية»، من ناحية، وتسهم بشكل رئيسي في إبعاد الوسواس الخناس الذي يزينه الشيطان لبعض المسلمين وخصوصاً الشباب منهم... تبعده عن تفكير الفرد، من ناحية أخرى، وأنه لا يمتهن المرأة ولا ينتقص من حقوقها الإنسانية - كما يزعمون - سواء بتحويلها إلى قطعة أثاث، قيد الطلب لقاء سد العوز، أو الإستغلال الوظيفي، من ناحية ثالثة:

إذ تجوِّز الشريعة الإسلامية «المزعومة» للرجل ممارسة الجنس مع الأخريات مهما بلغت أعدادهن، مثلما «تبيح» له تحديد مدة هذه الممارسة «بذريعة» الزواج المؤقت ما بين الـ ١٥ دقيقة أو التسعين عاماً وما بينهما من مُدد، مقرونة «بتقبل» الطرف الآخر: أي المرأة على تحديده تلك المدة.

إلا أنَّ أفراد المجتمع العربي، والعراق من ضمنه على وجه الخصوص، ممن يلتزمون الرؤية الإمامية الإثنا عشرية، لا ينظرون إليها إلا كونها رجس من عمل الشيطان الذي يغوي الفرد، ويُبرر للأغنياء تكرار أفعالهم مع الفتيات اللائي يضطررنَّ لبيع أجسادهم لمن يدفع أكثر وأدسم، وأولئك الأفراد «المسلمون» لا يجدون في «تعاليم المتعة» التي يضخها «المجتهدون» غير «تشريع ديني» يحاول فلسفة الزنا ويبيحها لمن يواصل إرتكابها في كل حين ولحظة، بإسم الدين والشريعة الإسلامية على حد مزاعمهم، ومن دون أية ضوابط نصّت عليها الشروط الشرعية للزواج الدائم.

ثم هل يقبل أولئك المجتهدون ممارسة الرجال المتعة مع نساء عوائلهم وبناتهم؟ مجرد سؤال لا نعرف الجواب عنه على وجه اليقين!.

لقد رُفضت هذه العادة على المستوى العروبي وبالمطلق، ومجرد غيابها التام في الواقع العشائري العربي الذي يملأ الساحة الجغرافية العراقية وعموم الريف العراقي، مثلاً، يؤكد رفض المجتمع العربي، والعراقي من ضمنه على وجه التحديد، لكل المقولات التي رددها «الآيات العظام» في المذهب الإمامي، وكررها عن غباء التقليد بقية «المجتهدين والآيات» من الدرجات الأخرى: الإمعات في الهرم الكهنوتي الذين يستحوذون على كل الخيرات

المتوفرة، أو يهيمنون - ومن خلال أولئك «الآيات العظام» - على الهيئات الحوزوية، واستخدمت بشكل متعسف في إطارهم الضيق بشكل معلن أو مخبوء، في المرحلة التي أعقبت الإحتلال الأمريكي للعراق، ويجعلون منها المهمة الترويجية الأساسية في مجالسهم التعزوية «الحسينية»، وتعليمات ملزمة لإجازة المتعة تناسب رغبات البعض، أو بمثابة نشيد الإنشاد في «التوراة الصفوية» التي تنتظم فتاواهم الفكرية / الفقهية على صعيد الممارسات الجنسية، من دون أنْ يبيحوا للعديد من أفراد أسرهم وبناتهم التمتع بذلك «الحق الشرعي» وتواصلهم مع الآخرين من الرجال.

فلا غرابة، إذن، أنْ يصرخ السيد عباس الخوئي في كراسته المذكورة سابقاً، من الموبقات العملية المتمثلة في «الإعتداء على أعراض الناس في إيران»، [ويقول أنَّ لديه أسماء الضحايا]، [١٣]، بله ما تجاوزها في الواقع المعاش والملموس، ففي رسالة موجهة إلى المرشد الأعلى في إيران علي خامنئي ومسلـَّمة بالبريد المسجل وبتاريخ ١٠/٥/١٩٩٦م عبر (DCS) يذكر نجل المرجع الأعلى الأسبق للشيعة في العالم واقعة شاخصة قوامها المعلومة التالية:... «هو ما حدث في كربلاء المقدسة]أي الفعل الشنيع الذي اِرتكبه أحد أفاضل المعممين[الذي هو اليوم قاضي المسلمين في الجمهورية الإسلامية، ومحسوب على الروحانيين الشيعة، فقد توسَّل يوماً بالدين والحسين رضى الله عنه لإغراء الطفل]وهو دون العاشـرة[وإيهامه بأنَّ العقد بين الذكرين (اللواط) فيه ثوابٌ من الله تعالى وشـفاعة من الحسـين رضى الله عنه»، [١٤].

وكذلك ما ذكره عن السلوك السياسي لأحد العاملين مع الإحتلال الأمريكي وممن عملوا مع منظمة سافاك الشاه المقبور في: أي الجهاز الأمني الإيراني، ألا وهو «محمد بحر العلوم - إيراني الأصل، ولاجيء عراقي في لندن ومن أرباب السوابق المشينة رغم انه كان قاضياً شرعياً في الكويت، وهو عميل مكشوف للغرب»، [١٥]، وأيضاً ما ورد على الشكل التالي: «وليس لي هنا إلا أنْ أنقل صورة رجل من سلالة الرسول الأعظم محمد، (صلى الله عليه وسلم)، شيعي مهجـَّر من العراق، فهو لم يعد قادراً على العمل لعجزه فاِضطرت

اِبنته وهي في ريعان الصبا أنْ تسلك طريقاً معوجاً بعد أنْ وجدت في الدعارة وسيلة وحيدة لإسكات صيحات الجوع التي يطلقها صغار العائلة وكبارها»، ...[١٦]

وعلى صعيد النهج القمعي والتصفوي لسياسة «الجمهورية الإسلامية» وأدواتها المتواجدة في دمشق، يؤكد نجل المرجع الأول أبو القاسم الخوئي التالي: «أما تهديدات الجمهورية الإسلامية لي واعتداءاتها عليَّ فالحديث طويل، ومنها الاِعتداء الذي تعرضتُ له في حي السيدة زينب (عليها السلام) بدمشق سنة ١٩٩٢م من قبل أفراد من (البسيج) ولعدة مرات، أدت إحداها إلى إصابتي بكسر في يدي، وكذلك تعرضي لهجمات مماثلة من عناصر حزب الله الإيراني الذي يتردد بعضهم على سوريا أيضاً، وقد هُدّدت بالقتل وجهاً لوجه في سفارتكم بلندن وفي منزل القنصل العام الإيراني في جنيف سنة ١٩٨٨م»، [١٧].

فإذا لم تكن الصفوية الفارسية على هذه الشاكلة من الممارسات القبيحة، فماذا تكون إذن؟!.

كيف نحمي الرضيعة؟!. وقبل أنْ نتخلص من الزنا المغلف بشريعة «المتعة» التي تروج لها الرؤية الفارسية الصفوية؟!.

قبل مناقشة فقه البعض الذي يحلّل ويحرّم بناءً على قناعات ذاتية، ومن دون أي اعتبار للواقع الموضوعي المعاصر، وهي ضرورة حتمية لمعرفة الأحكام الدينية الإسلامية، وفق أية معايير كانت لم تتوفر النصوص المقدسة بشأنها، التي ينبغي رؤيتها على ضوء مفهومي «الزمان» و«المكان»، [١٨]، ولكن في رأينا ينبغي على المتابع معرفة مختلف الجوانب بشأن تلك الممارسات القبيحة، وقبل هذا وذاك، من قبل المهمومين بالمفاهيم الحضارية العربية الإسلامية والوضع العراقي: ليس على الصعيد السياسي فقط، بل في كل المناحي الحياتية... من خلال مناقشة جذور المفهوم الذي أنتج هذا «الفهم الفقهي» [!؟] في سياق محاولة الإجابة الموضوعية على التساؤل الذي طرحه كاتب هذا النص الساعي لتحديد المفهوم الفارسي الصفوي، والمفزوع من الممارسات التي يقدم عليها البعض على الصعيد الجنسي!.

لذلك فإنه: ينبغي علينا معرفة الطبيعة التكوينية للأدوات البشرية التي تحمل مثل «هذه التعاليم» وتسعى لتطبيقها، أي ضرورة أنْ نعرِّف مَنْ همْ الصفويون؟!..

– هوامش الرصد الخامس –

[١٣] – راجع كراس السيد عباس الخوئي، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

[١٤] – المصدر السابق، ص ٢١.

[١٥] – المصدر السابق، ص ٢٧.

[١٦] – المصدر السابق، ص ٣٧..

[١٧] – المرجع السابق، ص ٢٦.

[١٨] – من بين خير الأمثلة على ذلك الإتجاه الإسلامي الذي تعامل مع النص بإدراك وتفقه وإجتهاد ما قام به الخليفة الراشدي الثاني الفاروق عمر بن الخطاب من تعطيل سهم المؤلفة قلوبهم، بعد إنتفاء أسبابه، وتعطيل حد السرقة في عام المجاعة، وقتل الجماعة بالفرد، إذ كان رأيه أنَّ كل نفس شاركت في القتل تقتل، والفاروق بذلك «فقيه إجتهد في فهم النص» ولم يعطله، وفق قول أحد العلماء. تجدر الإشارة إلى أنَّ كل الصحابة من الصدر الإسلامي الأول ورجال أهل البيت المتفقهون كانت مواقفهم متماسكة حول مركز الخلافة والإخلاص لقائدها: الخليفة المبايع وفق المقولة القرآنية: «وأمرهم شورى بينهم»، ولم يخالفوا رؤية الخليفة الراشد وتطبيقاتها في أية قضية حتى لو إختلف البعض حول بعض التفاصيل.

ولكن كيف رأي الفرس العنصريون الخليفة الراشدي الثاني الفاروق عمر بن الخطاب، [رضي الله عنه] إن التطرق لهذا الموضوع بغية الإجابة على ذلك التساؤل سيطول حتماً، لأن جام الغضب الفارسي والحقد الصفوي كله موجّه لهذه الشخصية العربية الإسلامية العظيمة، لذ سأكتفي بإيراد المعلومات الخاصة بمن قتله غيلة وحقد والموجود في قبره أبو لؤلؤة المجوسي/ نصبهه، الذي يُزار على الدوام، وتكون زيارته المخصوصة في ذلك اليوم الذي جرى فيه الإغتيال المشؤوم لهذا الخليفة الراشدي العادل، بغية معرفة موقفهم الفارسي الصفوي والسياسي والعنصري منه:

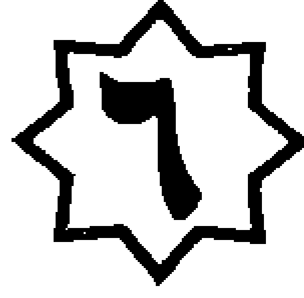
«يقع قبر أبي لؤلؤة في مدينة كاشان

بإيران، ويزوره المؤمنون الموالون [كذا!]

في هذه المناسبة [أي مناسبة الإغتيال المشؤوم للخليفة الراشدي الثاني] من كل عام وتتوافد فيه الجموع الفارسية لزيارة هذا المبنى المقام على هذا «الرمز الفارسي»، وتحتفل هذه الجموع عند «مرقده»، كون ذلك اليوم يسمى عندهم: «فرحة الزهرة» من وجهة النظر الفارسية الصفوية،

«تـُرفع فيها الأقلام» وهذه الشعيرة تعني، وفقاً لموروثهم الفكري الأيديولوجي الطائفي الصفوي، أنْ لا حساب عند الله على أي نقيصة أخلاقية وبذيئة يقوم بها بعض البشر الفرس من ألفاظ وأعمال ضد الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل.

ومن الجدير بالذكر أن أبا لؤلؤة يعرف في إيران باسم (بابا شجاع الدين أبو لؤلؤة)، وقد أوردنا تفاصيل وقائع تلك الزيارة في متن الدراسة، والمأخوذة من بعض المواقع الإلكترونية في العام ٢٠٠٨م.



الثأر من مَن؟

الرصد السادس

يورد العالم الشهيد علي شريعتي مفارقات تاريخية متعددة، كونها مستمدة من تجارب قديمة أو جديدة على مستوى الممارسة، وذلك على سبيل المقارنة والموازنة بين الأحداث والوقائع، وتلك المقارنة والموازنة تكثف القراءة الواعية لظاهرة اِجتماعية محددة عبر التدقيق والتفكير المتبصر وفق جدين من الممارسات تتمثل... بمظاهر ملموسة من تجليات «التشيع العلوي»، من جهة، والممارسات التي أفرزها «التشيع الصفوي»، من جهة أخرى، لكي يبرز الحالات الطقوسية البليدة التي طفت على سطح الممارسات الإمامية، كما يحاول الفرس الصفويون إسباغها زيفاً ودعاية على تلك «الرؤية الإمامية» والتي في حقيقتها هي رؤية فارسية صفوية، إذ أنَّ الشهيد شريعتي يستخلص من خلال المعاينة المدققة المتبصرة في بعض المناظر المؤذية من تاريخ وقائع الممارسات الحية عند البعض الطائفي - عن وعي أو جهل - بهدف التوصل إلى حقائق اِجتماعية ملموسة:

«أما الآن - أي بعد قيام الصفوية - فقد تحول الوجود الشيعي إلى قوة كبرى تحكم البلاد - المقصود إيران - وتقع تحت أمرتها أقوى الأجهزة الرسمية، والحاكم [...] بات الآن من أكبر المدافعين عن التشيع وأكبر المتظاهرين بالولاء لأهل البيت حتى أنه يفتخر باِعتبار نفسه (كلباً) للحضرة الرضوية... يا له من اِنتصار [...]، الحاكم [...] هو الآن يشيد مراقدهم بأبهى صورة! القبة من الذهب والضريح من الفضة والمئذنة من السيراميك، يا له من اِنتصار»، [١٩].

العالم الدكتور علي شريعتي الذي قضيَّ شهيداً على يد زمر الشاه، كما هو معلوم، ودُفِنَ في العاصمة السورية: دمشق بسبب رفض سلطات الشاه لحده في مسقط رأسه أو

حتى في إيران، كان يتحدث عن هذا الجانب من الممارسات الصفوية، ولكن الرؤية الفارسية الصفوية ذهبت شوطاً أبعد مدىً في هذه الممارسات التي لا تتعلق بالأئمة المعصومين الإثنا عشرية، من وجهة النظرة الإمامية الرسمية.

ففي الأمس كانوا في حاجة لـ«خلق» عنصر التناقض بين الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، والمصطفى الرسـول محمد بن عبد الله، [صلى الله عليه وسلم]، عبر موقف فقهي من مجموع الصحابة الذين أجلـّهم الرسول في العديد من أحاديثه وفي مختلف المواقف، من جهة، ولعنهم وإدانتهم لمجموع الصحابة في مختلف الأحوال وشتى الظروف، من جهة أخرى، وذلك من أجل تقديس الأول وجعله المثال والأسوة والمَعِين الثقافي الوحيد في تقويم الرؤية الدينية الإسلامية، وإستخدامه كوسيلة للعن بعض الصحابة وشتمهم، بذريعة مخاتلة، كون هذا المفهوم ينطوي على مدلولين: «لغوي وإصطلاحي، فهي في اللغة الوسـيلة التي يتوصـل بها إلى الشـيء، وفي الإصـطـلاحي وقعت موضعـاً لإختلافهم في مقام التحديد، فالشـاطـبي يحددها بـ«التوسـل بما هو مصلحة إلى مفسدة» أي، «ما يتوصل به إلى شيء ممنوع، مشتمل على مفسدة»، [٢٠].

وهو المفهوم المستخدم في هذه الدراسة، إغتصاب حقه في الخلافة، علناً وعلى الملأ، كما تقول الدعاية الفارسية الصفو ية، وهو الإمام الذي كان له الموقف الإيجابي من الصحابة كلهم، بقول الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، يوم رشحه المسلمون للخلافة الراشدية «أنه سيكون مشيراً أفضل منه أمير»، في تكثيفٍ لموقفه السياسي والديني السابق... يوم كان فيها مشيراً للخلفاء الراشدين الإثنين الأولين، فيما كان مستشاراً عند الخليفة الثالث في فترة حكمه الأولى، وذلك في العهد الراشدي المضيء، وهم الذين كانوا يديرون أوضاع الدولة السياسية الإسلامية الأولى، سواء في حروب الردة أو الفتوحات الإسلامية ومشاركته في الغنائم وتمتعه بعطـاء الخليفة الثاني عمر بن الخطـاب، [رضى الله عنه]، سواء من خلال زوجته أم محمد بن الحنفية، والأرض الواسعة ذات البئر الفياضة، أو موافقته على تزويج إبنته: أم كلثوم له... وذلك عندما بويع خليفة رابعٌ للمسلمين، أي بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة.

ولكن، ومن أجل البرهنة على ما تقدم، لنتساءل عن كيفية تعامل الفرس الصفويين مع الخليفة الراشدي الثاني: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه] على وجه الخصوص؟ وكيف تعاملوا مع بقية الخلفاء الثلاثة في العهد الراشدي، لنقرأ النص التالي المثبت على «ضريح القاتل» الملعون أبو لؤلؤة المجوسي: للخليفة الثاني، وكذلك نقارنه بما رثاه الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عندما تم لحده:

تقول الزيارة «المخصوصة» الخاصة بالقاتل، تنبع وجاهته من حيثية ملموسة تتمحول حول الدلائل الملموسة لواقع محسوس وما ينطوي عليه من تساؤل متعدد الوجوه، إن التطرق لهذا الموضوع بغية الإجابة على ذلك التساؤل سيطول حتماً، لأن جام الغضب الفارسي والحقد الصفوي كله موجه لهذه الشخصية العربية الإسلامية العظيمة، التي لعب دوراً مركزياً في صيرورة الأمة العربية الموحدة واقعاً شاخصاً، لذ سأكتفي بإيراد ما هو مثبت على قبره بغية معرفة موقفهم الملموس منه، ولذلك أقول إنَّ زيارته «المخصوصة» قد كتبت بخطٍ فارسي بارز، وعلِقت اللوحة المزججة في واجهة «ضريحه»، واحتوت على النص التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وغصب حقَّهم وهو الزنديق الأكبر الأحمق الأبتر، الكافر المردود، ثاني اثنين نمرود، الفاسق الفاجر المشرك المطرود، عدوُّ الله وعدوُّ الرسول الذي أنكر حقّ البتول غاصب أرض فدك، المدفون بقعر الدرك، رأس أهل الضلالة والشقاوة، خسِر الدنيا والآخرة، الملقب بكلب وادي التهامة، المؤبَّد في عذاب يوم القيامة، قاطع حقِّ الخلافة أبو بكر بن أبي قحافة لعنة الله عليه.

اللهم اِلعن الشقيّ الأعظم والملحد المشرك المجتذم، رئيس أهل الظلم، عدوَّ الله وعدوَّ الوليّ، الملعون بالنّص الجليّ، غاصب حقّ أبي تراب باعث إيجاد النّار والعذاب مخرِّبَ المسجد والمحراب فرعون امّةِ شافع يوم الحساب، المحروم من الحسنات والثواب مردود الأعمال والآداب الظالم عند أولي الألباب الكافر في جميع الكتاب المعذب بجميع العِقاب

المُخاطب بكلب السّقر الكذّاب الفاجر المرتد المرتاب المخلّد في غضب المِلِكِ الوهاب عمر بن الخطاب عليه اللعنة والعذاب.

اللهم العن الأشل الأعرج الأعوج الأحمق الخليفة بغير الحق الفاسق الفاجر المنافق الكافر، أكبر وُلِدِ الشيطان سارق كلام الله المِلِكِ المنَّان دجّال آخر الزمان شارب الزّقوم لابس القطران إمام أهل النيران ثالث قارون وهامان مبطل الآيات وأحكام القرآن الملّقب بكلب الأوثان الواصِل إلى عِقاب الرَّحمان الشيطان بن الشيطان عثمان بن عفّان عليه اللعنة والنيران.»، [٢١].

ولنجرِ مقارنه بين ما هو مثبت على «ضريح القاتل المجرم» من حقدٍ يتبدى سماً زعافاً وغلواً كافراً وكلمات عنصرية ملوثة، من ناحية، وبين رثاء الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، للخليفة الراشدي الثاني، عندما تم لحده إثر إغتيال المجوسي أبو لؤلؤة: والتي يعد مضمون ذلك الرثاء هو الرأي النهائي الصادرة عن تلك الشخصية التي تنتمي لأهل البيت وتعبر بشكل واضح عن روحية مجموع أهل البيت ومدرستها الحقيقية الكريمة، من ناحية ثانية، لقد أضفى الخليفة الراشدي الرابع، [كرم الله وجهه]، على شخصية الخليفة الراشدي الثاني الشهيد عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه]، من السمات والصفات الإنسانية الإسلامية المطلقة، ما يعد تقويماً مثالياً لهذه الشخصية، ولكي نفقه أيضاً، الفروق الدقيقة بين رؤية المدرسة الإمامية، من جهة، والنهج الفارسي الصفوي، من جهة أخرى.

يقول الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن الخليفة الراشدي الثاني ابن الخطاب رضى الله عنه: «لله بلاء عمر فقد قوَّم الأمد. وداوى العمد. خلف الفتنة. وأقام السنة. ذهب نقي الثوب. قليل العيب. أصاب خيرها، وسبق شرها. أدى إلى الله طاعته. واتقاها بحقه»، [٢٢].

وعن الخليفة الراشدي الأول: أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، يقول الإمام علي عنه إثر رحيله الأبدي: «رحمك الله يا أبا بكر كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأعظمهم غناءً وأحفظهم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنسبهم

برسول الله خـُلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً، [...] صدّقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وأسماك الله صديقاً، [...]، وكنت والله للإسلام حِصناً وعلى الكافرين عذاباً، لم تقلل حجتك ولم تضعف ولم تجبن نفسك، وكنت كالجبل الذي لا تهزك العواصف. كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض، كبيراً عند المؤمنين ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك ولا ضلنا بعدك.»، [٢٣].

وفيما يتعلق بالخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، يذكر الدكتور موسى الموسوي التالي: «صاهر الرسول مرتين ولولا أنه رجل يمتاز عن كثير من أقرانه لما زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم ابنتيه. وكان له جهاد كبير في إبان الدعوة الإسلامية وكفاه فخراً أنه كان من أغنياء قريش يملك ألف إبل من حـُمر النعم باعها وصرف ثمنها في سبيل دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلى المسلمين، وقدِّر ثمن تلك الإبل بمليون سكة ذهبية في ميزان ذلك العصر، وكان عصره عصر الفتوحات الإسلامية في أواخر حياته، إلا أنه قـُتل وهو شيخ بلغ الثمانين وهو مكب على قراءة القرآن». [٢٤].

أما الرسول العربي الأكرم، [صلى الله عليه وسلم]، الذي لم ولن ينطق عن الهوى أبداً، فقد شمل الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم بشمائله ذاتها، وقال عن الخليفة الأول رضي الله عنه: »ما لأحد علينا يدٌ إلا كافيناه، خلا أبا بكر فإنَّ له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لِاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإنَّ صاحبكم خليل الله»، وقبل رحيله أكد الرسول، [صلى الله عليه وسلم]، على التالي: «إنَّ مَنْ أمـَنَّ الناس عـَليَّ في ماله وصحبته أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لِاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة في الإسلام ومودة». وعن الخليفة الراشدي الثاني رضي الله عنه يقول الرسول العربي الكريم محمد بن عبد الله، [صلى الله عليه وسلم]، «والله ما

سلك عمر وادياً قط، فسلكه الشيطان»، ونعته الرسول «بالفاروق، بعد أنْ فرّقَ الله بإسلامه بين الحقّ والباطل، وبين الملاينة والمواجهة»، وهذا الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يشهد «ما زلنا أعزة منذ أنْ أسلم عمر، كان إسلامه فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمةً، ولقد رأيتنا وما نستطيع أنْ نصلي بالبيت حتى أسلم عمر»، وعن الخليفة الثالث رضي الله عنه أكد الرسول عليه الصلاة السلام «غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وأعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة»، و«اشد أمتي حياءً: عثمان بن عفان»، وبايع عنه «بإحدى يديه» خلال بيعة الرضوان كونه اِنتدب لأداء مهمة إسلامية، وفي إحدى غزوات الرسول «قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً، وستين فرساً، أتمَّ فيها الألف»، [٢٥].

فأين موقف الرسول الكريم، [صلى الله عليه وسلم]، المتجسدة في خصاله وسجاياه الرسالية النبوية وإمتداداتها الحضارية العربية الإسلامية، من الموقف الفارسي اللعان الطعان والمليء بالتزوير والإفك، القائم على المفهوم الفارسي الصفوي؟ ألم يجعلنا ذلك الموقف الإستخلاص بأنَّ ذلك المفهوم الممارس على الطالع والنازل قد قصد جعل التناقض قائما بين الرسول، [صلى الله عليه وسلم]، من جهة، والخليفة الراشدي الرابع رضي الله عنه؟!.

وكذلك، سنورد المثال الملموس والشاهد المرئي على تلك الممارسات الفارسية الصفوية من كتاب الحقد الطائفي الصفوي المتجسد في «مفاتيح الجنان» الذي يوزعه الإيرانيون وأتباعهم أو عملاؤهم بنشاط محموم في العراق المحتل أمريكياً في أعقاب الجريمة المرتكبة بحق الوطن العراقي والمجتمع العراقي في يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م، وكذلك، يعاونه في ذلك أنصارهم من أعضاء السلطة الفارسية الصفوية ومن قبل محازبيهم، وفي أية حال فإنَّ هذا الكتاب مليء بالتزوير والهرطقات المجانبة لأي تفكير عقلاني رصين عند أي فرد ينتمي للحضارة العربية الإسلامية وواعٍ فعلاً، ويعرف عن تبصر وتفكير عميق: لماذا يحمل رأسه، إذ يورد ذلك الكتاب: إنَّ مجرد الخطو لقبر الإمام علي رضي الله عنه في النجف ستصيب المرء بمئات الألوف من الحسنات...

يقول عبد الكريم بن طاووس منسوباً لصفوان الجمال «قصِّر خطاك، والق ذقنك الأرض، فإنه يكتب لك بكل خطوة مائة ألف حسنة ؛ ويمحي عنك مائة ألف سيئة ؛ وترفع لك مائة ألف درجة، وتقضى لك مائة ألف حاجة، ويكتب لك ثواب كل صدّيق وشهيد مات أو قتل»، و«مَنْ زار أمير المؤمنين رضى الله عنه بهذه الزيارة، وصلى بهذه الصلاة، رجع إلى أهله مغفوراً ذنبه، مشكوراً سعيه، ويكتب له ثواب كل مَن زاره من الملائكة»، إذ «يزوره في كل ليلة سبعون قبيلة، قلت كم القبيلة قال مائة ألف».

فـ«الموالاة» وفق هذه النظرة هي الركن الأساس في صيرورة المرء مسلماً مؤمناً أو غير مسلم وغير مؤمن، وهي الفيصل الأساس بنيل ثواب الدخول إلى الجنة أو تلقي العذاب بِاصطلاء النار «مَنْ دأب في حياته على صيام النهار، وقيام الليل، وحج أربعين حجة، وِاعتمر أربعين عُمرة، ثم وافته المنون، وهو بين الصفا والمروة، ولم يكن هو من الموالين لأمير المؤمنين رضى الله عنه ما كان له شيء من الأجر»، فيما أكد القائد الإيراني والمرجع الأساسي للملالي الطائفيين كلهم: روح الله الموسوي الخميني ذلك المعنى بقوله: «الإيمان لا يحصل إلا بواسطة الإمام علي وأوصيائه من المعصومين عليهم السلام، بل لا يقبل الإيمان بالله ورسله من دون الولاية»، [٢٦].

أو عن طريق عادة أو أسلوب أو «مبدأ» ما يسمى بـ«التقية»: التي هي كناية صريحة عن المداهنة والكذب والتي تخالف بشكل كلي وسافر لمسار الرسول الأكرم، [صلى الله عليه وسلم]، والخلفاء الراشدين وأئمة المدرسة الإثنا عشرية، كون الرسول لم يسلك طريقاً مواربا ًوملتوياً عند تعامله مع مسألة الصدع بوحدانية الإله، إذ أنه لم يقلص عدد الآلهة المزيفة: الأصنام من رقم المئات إلى عدد اِثنين أو ثلاثة، من أجل كسب بعض القبائل القوية، على سبيل المثال. وهذا الخليفة الراشدي الرابع، كرم الله وجهه، قد أعلن أنَّ «الحق لم يبقِ لي صاحب»، وكذلك المعنى الخالد التي تنطوي عليه الثورة الحسينية وموقف الإمام المعصوم: كما تؤمن بذلك المدرسة الإمامية، في يوم العاشر من محرم عام ٦١ هجرية، عندما ضحى بنفسه ومعه كل أهله في مواجهة حاكم جائر، ولعل ما يقول به فقها الشيعة بأنَّ كل

الأئمة المعصومين، من وجهة نظرهم، قد كانوا من الشهداء على يد الخلفاء الظالمين، يدلل على صدعهم بالحق حيثما تطلب الأمر الإسلامي ذلك.

فأين هي «التقية» المزعومة في نظر الرؤية الفارسية الصفوية؟ ألم يتمكنوا من إستخدام وسيلة الكذب والمداهنة بذريعة «التقية» من أجل إنقاذ أنفسهم من القتل أو الإغتيال بالسم؟!.

وعندما يجري تقسيم أتباع الدين الإسلامي من أهل بيت الرسول، وصحابة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، إلى مسلمين ومؤمنين، وما يستبطن ذلك التقسيم المجحف والشيطاني من معنى حول «الأعراب = هم المسلمون في نظرهم» و«المؤمنين» كما وردت صفاتها وسماتها في المفاهيم القرآنية، الذين هم الشيعة الإثنا عشريون فقط، وما يستتبع ذلك من مواقف سلبية صامتة ضد أصحاب رسول الله، وآراء مخاتلة عند تقويمهم المُعلن أمام العناصر المناوئة لنظرتهم تجاه الشـلّة المؤمنة التي أحاطت بالرسول منذ اليوم الأول لتبشيره برسالته الدينية الإسلامية، فإنَّ النفاق يبدو جلياً والذي يتبدى معه صريحاً ويغدو الدجل معه مكشوفاً.

إنَّ إنتهاج طريق الكذب الذاتي والنفاق المهادن من خلال ما يسمى بـ«التقية» وإتباع الطرق الملتوية في التعامل مع شخصيات الرعيل الأول من المسلمين الأتقياء الذين تزامن نشوئهم مع تبليغ الرسول، [صلى الله عليه وسلم]، رسالته المباركة، فيما إذا كانت الشوكة الطائفية الفارسية الصفوية ليست ظاهرة أو منتصرة على الآخرين من أبناء الرؤية العربية الإسلامية، والقوة القمعية التصفوية المدججة بمختلف أنواع الأسلحة مفقودة لديهم، أي كونهم بعيدين عن مخالب السلطة وفاشية الأجهزة الأمنية، ودريلاتها الثاقبة للأجساد والرؤوس، وبعيدة أيديهم عن وسائل الحرق المختلفة.

في أية حال، وحسب قول السيد موسى الجار الله، بأنَّ روح التقية «النفاق وثمرتها كفر التهود»، فيما يؤكد الدكتور علي الوردي أن صفتها والشروط التاريخية التي أنتجتها قد إنتفت تماماً نظراً لعدم وجود أي إضطهاد يؤدي للتصفية، كما يزعمون في بعض الأحايين، و«فقدت صفتها الثورية في هذا العصر»، [٢٧].

أي أنها تحولت إلى طريق سلبي وحيد الجانب في ضرره على الفرد والمجتمع والوطن والأمة، فيما إذا كانت المعايير الإسلامية في ممارستها العملية صحيحة.

إنّ مبدأ التقية المتبع عند البعض هو - وفي جوهره - مفهوم فكري/ سياسي لتسويغ العزلة عن الجسم الإسلامي السليم الذي يتفاعل بشكل صريح مع مشاكل عصره، وجعل التكوين المدرسي الإثنا عشري تكويناً مذهبياً وطائفياً مراءٍ لأي مسلم ممن يلتزمون المدارس الإسلامية الأخرى التي قالت بها الشافعية والحنبلية والحنفية والمالكية. يقول الموالون للرؤية الفارسية الصفوية أمام الآخرين شيء فكري وفقهي وسياسي، ويفعلون أشياء تناقض ذلك الشيء الفكري والفقهي والسياسي خلفهم، أي أنهم في حقيقة الأمر يحاولون جعل الفرد المنضوي تحت لواء هذا المذهب أو هذه المدرسة الفقهية، يسلك سلوكاً غامضاً ذا نوايا ملتوية ومخفية، بإنتظار الوقت الذي تطول فيه أظفار أتباع الرؤية الفارسية الصفوية لإنشابها في لحم «أخيه» المسلم، وتتمكن أنيابه المسعورة من عض أجساد إخوانه أما في الخلق أو في الدين، كما يقول الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

كان ذلك سلوكاً فارسياً صفوياً من أجل بذل المخاتلات المختلفة والتفريق بين «الصحابة» و«الأئمة» وكليهما عاشا حول الرسول وزكاهما القرآن الكريم في سورة الإنفال - على سبيل المثال - وذلك من أجل الإستعانة برمز مسلم وقويم من أجل إفلاش الإسلام بالإساءة إلى تسعة أعشار من رموزه الكبيرة.

أما اليوم فقد أصبح للرؤية الفارسية الصفوية رمزها السياسي والمذهبي الأوحد: وهو روح الله الخميني وهو الشاهد الملموس على تلك الحقيقة العيانية، ولعل مرقده الواسع في خارج طهران، بمآذنه الأربع المذهبة، وقبته الذهبية الكبيرة، والعناية الرسمية الفائقة، ومن خلال جعل الوفود الرسمية تقوم بزيارته، وتقديم فروض الإحتفاء به، هي الدلالة الملموسة على وحدانية «المقدس» في تمثيل إيران، وبعيداً عن أية مخاتلات وأكاذيب ودعايات زائفة حول إيمانهم بالمقدسات الإسلامية التي نصب معاييرها الإسلام والله والرسول، أو المدرسية الإمامية الصادقة حقاً وفعلاً.

مرقد الإمام الرضا رضى الله عنه في إيران وهو الثامن في سلسلة الأئمة الإثنا عشرية، مثلاً، له قبة واحدة ومئذنتان مذهبتان، أما قبر الخميني فله المآذن المذهبة الأربع، والخدمة تقوم بها أجهزة متفرغة على مدى أربع وعشرين ساعة، فهو أقدس لدى الفرس الحاكمين والمتحكمين بالبشر في إيران، حتى من الإمام الثامن، كما يبدو في الممارسات اليومية، بالرغم عن أحاديثهم عن حب الإمام الرضا رضى الله عنه.

[... والزيارة] - كما يقول الشهيد شريعتي - «أمست الآن مظهراً رسمياً تشجع عليه الدولة وتكرم فاعله كما لو كان ذهب إلى بيت الله الحرام وربّما أفضل، [٢٨]: وتمنحه لقب المشهدي أو الكربلائي أسوة بمن يعود من الحج... يا له من اِنتصار. و[... وعلماء المذهب باتوا] اليوم معززون مكرمون مرفهون يعيشون في ظروف جيدة للغاية ويجلسون جنباً إلى جنب السلطان على فراشه الوثير، وقد يستشيرهم في كثير من الأمور المتعلقة بمستقبل البلاد، بل أنَّ السلطان لا يرى لنفسه قدرة وسلطة إلا بمقدار ما يخوله رجل الدين بالنيابة عن صاحب الزمان، يا له من اِنتصار!. و«صاحب الزمان» هو الإمام الثاني عشر المسمى بالمهدي المنتظر عند أتباع المذهب الإمامي.

من هذا الموقع العُـلْـوي والحافل بالاِنتصارات بدأت هزيمة التشيع، [...]، وتوقف الشيعي عن الحركة ليتحول إلى وجود اِجتماعي غالب وحاكم جامد راكد، [... وتحول المذهب] إلى مجرد نظام ونسق اِجتماعي رسمي مرتبط مع سائر الأنساق الاِجتماعية - كالأسرة {وفي تقديري أنَّ المقصود هو البطانة والأقارب} واللغة وأنظمة الحكم والإدارة والمالية والاِقتصاد - اِرتباطاً مصيرياً بحيث لا يمكن التفكيك بينهما بأي نحوٍ من الأنحاء»، [٢٩].

وفي نطاق تلك الرؤية التحليلية المتفحصة لكل التراث الذي أفرزته الرؤية الإمامية: الصحيحة التي قال بها أئمة آل البيت، من ناحية، أو المنسوبة لهم عن وعي تزويري واضح يخدم المصلحة الصفوية، من ناحية أخرى، تغدو الدلالات الحسية على وجود ملموس لنهج فارسي صفوي، وأيضاً: هو مرتبط بالمفهوم المعبِر عن هذا النهج: أي المفهوم الفارسي

الصفوي، كتب الراحل الدكتور علي الوردي: عالم الاِجتماع العراقي المعروف، وبإستفاضة قد لا تخلو من مجاملة فكرية نعتقد بأرجحيتها الظـنية، ولكنه في عين الوقت، حرص من خلال رؤية علمية وتاريخية وعملية، على تثبيت إستنتاجات منطقية وحيوية وكبيرة، من قبيل أنَّ «الصفوية أدخلت في التشيع أموراً أضرت به وشوهت سمعته، أضف إلى ذلك أنه جعل التشيع مذهباً حكومياً وبذا أضعفت فيه نزعته الشعبية القديمة» وأنهم قد «خدّروا مذهب التشيع وروضـّوه. فأزالوا عنه النزعة الثورية التي كانت لاصقة به في العهود السابقة، وجعلوه مذهباً رسمياً لا يختلف عن غيره من المذاهب الدينية الأخرى»، [٣٠].

بالإضافة إلى حقيقة عيانية باتت موثقة مفادها أنَّ الصفويين قد «لجؤوا إلى الاِضطهاد والقتل والتعذيب»، [٣١]، من أجل صيرورتهم الفئة الحاكمة السائدة في إيران، أي جعلته في خدمة سلطة سياسية محددة، قناعاتها الفكرية/ السياسية منبثقة من ولائها المطلق للأمة الفارسية الموجودة بصورة سرمدية ضد الزمان ومعاكسة لمفهوم المكان. كما يتطرق الدكتور الوردي إلى بعض مظاهر الاِعتياد الأبله عند الجموع: التي تهب مع كل ريح وتنعق مع كل ناعق - الإمام علي - وهي كما يراها الدكتور الوردي عن حق، «إضـافات دخيلة على التشـيع [...] بلهَ صار مذهباً قومياً في إيران، وإصطبغ من جراء ذلك بصبغة الغرور القومي وأمسى عقيدة سلطانية خامدة، لا تختلف عن أية عقيدة أخرى من عقائد السلاطين»، [٣٢].

ويضيف أحد الباحثين في دراسة مرموقة: التالي: «المؤكد أنَّ السياسة الصفوية أدّت إلى تسريع هذه العملية، وذلك عبر جملة من الإجراءات والمظاهر التي إستمالت الناس ترغيباً أو ترهيباً أو إحتواء. ومن ذلك على سبيل المثال: مظاهر التقديس التي أحيطت بها المقامات والمزارات العائدة إلى الأئمة، والمظاهر الطقسية المؤثرة للشعائر الحسينية في عاشوراء كربلاء، المسيرة التي قام بها الشاه عباس الأول سيراً على الأقدام من أصفهان إلى مشهد (مزار الإمام الرضا) في العام ١٦٠١م.. هذا بالإضافة إلى الإجراءات القمعية والقسرية والمعنوية والمادية والجسدية التي كانت تـتُخذ حيال السنـّة لإجبارهم على إعتناق التشيع»، [٣٣].

وجذور المدرسة الإمامية كان هدفها الأساس والوحيد خدمة الدين الإسلامي وإصلاح ما علق بمسيرته الزمنية جراء ممارسات البعض المحسوب على الإسلام، عن طريق إتباع النهج القرآني واِتخاذ آياته وسوره المعايير الأساسية عند القيام بأي تقويم للأحداث الجديد أو المستجدة، والتأسي بالسيرة النبوية العظيمة التي حدّاها: «البشير والنذير» و«أنت عليهم لست بمسيطر»، كانت رؤيتهم قد تمثلت في ممارسات الأئمة الأوائل من أهل البيت النبوي، عليه وعليهم السلام، إنْ لم يكن كلهم، كانت دعوتهم تحضُّ على التكامل والتوحد على أرضية الفهم القرآني العميق والعمل الصالح، وحسب نهج البلاغة أنَّ الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه قد دعا في أعقاب معركة صفين إلى عدم أنْ يكون أنصاره سبابين، وأنْ يدعوا [أي أنصاره] لخصومه بالصلاح والهداية.

وهي رؤية علوية مستقيمة ترفض أنْ تتحول هذه المدرسة في قيمومتها الفكرية والمسلكية على بث الكراهية وزرع روح الِانتقام وإشاعة البغضاء، وبالتالي من شأنها الدعوة إلى الفرقة والحض على الغلو، والتمايز عن غيرهم من المسلمين، كالسجود على «التربة الحسينية» وإدخال الشهادة الثالثة في الأذان، وكذلك، حول وجوب النص على خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه بعد صعود الرسول الأعظم، [صلى الله عليه وسلم]، بما حول تلك «القناعات» التي تولدت عن طريق التقليد لبعض «الأئمة الكبار» إلى المفهوم «الديني» الوحيد للإيمان: مفهوم الولاية، وجعلها مقياساً لإيمان الفرد المسلم!!؟.

إنَّ مَنْ يتابع النظر المدقق في الدعايات الطائفية اليومية المقرونة بالأصوات الشجية الحاثّة على الإستبكاء والعاملة على تغييب التفكير المنطقي ومنع إعمال الذهن في البحث عن الحق، ويتبصر في ترديداتها اليومية حول مضامين «الولاية» وما تنطوي عليها من مفاهيم طائفية مبثوثة... إنَّ مَنْ يتابع كل ذلك: يدرك ولا شك بالأبعاد الخبيثة التي تجعل الفرد العربي المسلم ينصرف عن التفكير المستقبل لصالح العيش في «آلام» الماضي، وينبش في مآسي بعض مراحله التاريخية... إنَّ مَنْ ينظر إلى قنوات «الكوثر» و«الزهراء» و«الأنوار» التي يتواجد «مرشدوها المعممون» والمشرفون عليها، ومولوها، في إيران وقم، وتُبث

أغلب قنواتها الفضائية من الكويت الواقعة تحت حكم آل صباح وفي بعض بلدان الخليج العربي ألخرى، ليشهد فظائع شتى من الأقوال التقويمية بحق قادة النهضة العربية الإسـلامية العظـام، كالخلفاء الراشـدين الثلاثة وبعض خلفاء الدولة الأموية والعباسـية، لا تخفى أهدافها السياسية والطائفية على أي مراقب أريب ومفكر مبادر ومؤمن مخلص من المسلمين.

لقد حث «آيات الله العظام؟!» و«مراجع التقليد؟!» ممن كانوا يخدمون «السلطة الصفوية» القاتلة لكل مَنْ كان لا يقول بالولاية من المسلمين، على ضرورة إقامة الصلاة الجماعية في يوم الجمعة بسبب وجود الإمام العادل، المقصود بذلك الإمام العادل هو الشاه إسماعيل الصفوي، بعد توقف الشيعة الإمامية عن أداء تلك الصلاة الجماعية التي حضَ على ممارستها الأسبوعية القرآن الكريم، وفرضْ شروط إقامتها المقرون بفترة زمنية تواكب اللحظة التي تصادف ظهور الإمام محمد بن الحسن العسكري «المهدي المنتظر» مرة أخرى: أي الإمام الثاني عشر لأتباع ذلك المذهب. هذا على مستوى «العادات المقدسة» ذات الصبغة «الدينية الإسلامية» المزعومة، في رؤيتها المذهبية الصفوية، [٣٤].

لم يكتفِ الشاه إسماعيل بما تقدم، بل أمر - كذلك - بتنظيم الاِحتفالات المذهبية الطائفية بذكرى مقتل الشهيد الحسين بن على بن أبي طالب، رضى الله عنهما، من خلال اِستعراضات بشرية لطامة دمّامّة وفق أهداف إستراتيجية تتعلق بالرؤية السياسية الفارسية، بغية اِستدرار العواطف والدموع والتحريض على كل المسلمين باِستثناء «الطائفة المظلومة» التي هي الناجية الوحيدة، واِبتداع ظاهرة اللطم وإشاعة مواكب التطبير بالسيوف والقامات وقرقعات الطبول وخشخشات أصوات السـلاسـل (الزناجيل)، وتلك هي عادات مستعارة من موروث الممارسات المسيحية وتقاليد غير إسلامية، كما يقرر الدكتور علي شريعتي.

وفي الحقيقة أنها «مظاهر مستوردة من المسيحية بحيث بوسع كل إنسان مطلع على تلك المراسيم، أنَّ يشخـِّص أنَّ هذه ليست سوى نسخة من تلك»، [٣٥]، إضافة إلى كونها

تتسم بالمازوشية التامة، أي تعذيب الذات عن طريق التعنيف والتبكيت والضرب بالقامات على الرؤوس - مثلاً -، بدلاً من تربية نفوس المسلمين تربية إسلامية صحيحة تقوم على المحبة وعدم التدخل في الشؤون الإلهية: هذا يذهب إلى الجنة وذاك يذهب إلى النار، والتي جعلت - كذلك - ممارسة العنف ضد الآخر غير المتحزب للروح المذهبية الفارسية الصفوية، وسيلة التصفية العادية والإِعتيادية بحذف الروح البشرية من نعيم الحياة الدنيا وفق مشيئة الإله أو حتى بؤسها، من خلال رفع شعار «يا لثارات الحسين» والمناداة بصرخة: «هل من ناصر ينصرني»، وغيرهما من دعوات الكراهية والاِنتقام والقتل.

وكل ذلك يسهم في تقسيم المسلمين إلى جمعين متعاديين، موالين لمدرسة آل البيت وفق مزاعم عتاة الرؤية الفارسية الصفوية، من ناحية، وقبالتهم من المسلمين من أبناء الرؤى الفقهية والمدارس المذهبية الأخرى، من ناحية أخرى، أي أنه يعمل على تفتيت المجتمع الواحد إلى مجموعات يذكى فيها العنف العبثي في كل مناسبة تطل منها قرون الفتنة، وهو ما نراه مثالاً ملموساً في عراق اليوم، الأمر الذي ألحق الضرر الفادح بكل المسلمين ودفعت مثقفيهم المخلصين وبعض فقهائهم المتنورين، من غير المتعصبين للرؤية الفارسية الصفوية والموالين لإيران، لتوجيه النداءات الإنسانية والإسلامية الحارة لإيقاف مسلسل العنف العبثي والمجاني وغير المفهوم.

- هوامش الرصد السادس -

[١٩] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

[٢٠] - راجع كتاب مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، الصفحات ٤١٠، ٤١١، ٥٤٨ على التوالي.

[٢١] - راجع كتاب السيد محمد تقي الحكيم المعنون الأصول العامة للفقه المقارن: مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، مطبعة أمير في مدينة قم، الطبعة الثانية / ١٤١٨ قمرية/ ١٩٩٧م، ص ٣٩٣.

[٢٢] - راجع كتاب العلامة الدكتور موسى الموسوي المعنون الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع، مصدر سبق ذكره ن والمؤلف نال شهادة درجة الإجتهاد الحوزوية التي وقّع عليها الشيخ الفقيه الأكبر في حينه محمد حسن كاشف الغطاء، كما عرضها في الكتاب ذاك وهي مصورة بالزنغراف، والدكتوراه الأكاديمية، ص ٣٩.

[٢٣] - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[٢٤] - راجع الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي، الصدّيق أول الخلفاء الراشدين، نقلاً عن كتاب الأستاذ الدكتور موسى الموسوي المعنون الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

[٢٥] - المصدر السابق، ص ٤٨.

[٢٦] - لمراجعة مستفيضة حول موقف الرسول محمد، [صلى الله عليه وسلم]، من الخلفاء الثلاثة، يرجى مراجعة كتاب المرحوم الكاتب خالد محمد خالد المعنون خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم، الطبعة الأولى الملونة، ١٤٣٤ هـ - ٢٠٠٣م، الصادرة عن دار المقطم للنشر والتوزيع، الصفحات ١١ - ٢٢٤. وكذلك كتاب السيد خليل عبد الكريم المعنون شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، السفر الأول، محمد والصحابة، الصادر عن دار سينا للنشر / القاهرة، الإنتشار العربي / بيروت، الطبعة الثانية عام ١٩٩٨م، الفصل الثالث المعنون التلقيب، ص ١١٣ - ١٢٢. والإستشهادات التي وردت في متن الكتاب حول موقف الرسول العربي الكريم، [صلى الله عليه وسلم]، مقتطعة منها.

[٢٧] - راجع كتاب «مفاتيح الجنان»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠. كما نُشر ذلك القول التأكيدي الجازم «للمرجع التقليدي الأعلى الخميني»، على فضائية المستقلة «اللندنية» بعلى عتبار أنَّ «مفهوم الولاية وفق معتقدات الفكر الشيعي»، إحدى المحاور الأساسية للنقاشات بين «السنة والشيعة»، وذلك في شهر رمضان من عام ٢٠٠٨ ميلادية، ومما يجدر ذكره أنَّ البرنامج ذاك، وكذلك المحور، لم يحاول التمييز بين الرؤية الفارسية الصفوية، وهو ما يمارس اليوم وفق الدعاية الإيرانية، من ناحية

أولى، والمدرسة الإمامية، كما وردت معاييرها الحقيقية في أقوال الإئمة من أبناء الخليفة الراشدي الرابع، من ناحية ثانية.

[٢٨] - راجع كتاب الدكتور علي الوردي المعنون بـ«وعاظ السلاطين»، الصادر عن دار كوفان/ لندن، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٥م، ٢٥٤.

[٢٩] - راجع كتاب الشهيد علي شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤. وكذلك نقرأ على سبيل المثال، لا الحصر، في أحد كتب الأدعية أنَّه «مَنْ زار الرضا (صلوات الله وسلامه عليه) أو غيره من الأئمة (رضى الله عنه) فصلى عنده صلاة جعفر كتب له بكل ركعة أجر مَنْ حجَّ ألف حجّة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق في سبيل الله ألف رقبة، ووقف للجهاد مع نبي مرسل ألف مرة، وكان له بكل خطوة أجر مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله (تعالى) وكتب له مائة حسنة، ومحي عنه مائة سيئة»، ص ٥٦٩ من كتاب: مفاتيح الجنان، وذكر الكتاب ذلك الحديث نقلاً عن العلامة المجلسي، [مصدر سبق ذكره].

وعن الصحابي سلمان المحمدي المعروف بالفارسي كونه وُلِد في أفغانستان التي كان يحتلها الفرس في غابر الزمان، فقد أضفت الرؤية الفارسية الصفويه عليه من السمات الإلهية ما لا يتفق مع عقل أو منطق أو دين، فهو «كان يعلم الغيب والمنايا، وأنه أكل وهو في الدنيا من تحف الجنة، وأنَّ الجنة كانت تشتاق إليه وتعشقه»، [ص ٥٥٥ من كتاب مفاتيح الجنان]، وكذلك فإنَّ «زيارة الحسين [رضى الله عنه] وهي أفضل أعمال هذه الليلة [والمقصود ليلة النصف من شعبان من كل عام هجري، التي هي مناسبة يحتفل بها أغلبية أتباع هذه المدرسة كونها تصادف عيد ميلاد الإمام الثاني عشر: الإمام المهدي، كما تزعم الرؤية الفارسية الصفوية، وليس نقل القبلة الإسلامية من مدينة القدس إلى موقعها الحالي: الكعبة المكرمة] وتوجب غفران الذنوب، ومَنْ أراد أنْ يصافحه أرواح مائة وأربعة عشرين ألف نبي فليزره [رضى الله عنه] في هذه الليلة» و«في الحديث: مَنْ أحيا هذه الليلة لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب»، [ص: ٢١٠، من كتاب مفاتيح الجنان، وهو ذات المصدر الذي تطرقنا له سابقاً].

وحول جامع براثا الذي حوله «النائب في البرلمان الأمريكي / العراقي: جلال الدين الصغير» إلى موقع للتعذيب والإعتقال بل هو في حقيقته مسلخ ومدفن للعرب المسلمين من الأبناء العامة أي السنة، يردد الكتاب بفخر أنه يجتمع «فيه قوم منهم يسبّون الصحابة» وأنْ هناك يوجد «قبر نبي من الأنبياء ولعله يوشع» أي أحد الأنبياء عند الدين اليهودي، و«أنَّ فيه قد رُدت الشمس لأمير المؤمنين، [عليه السلام]، والغريب أنَّ المسجد بما له الفضل والشرف الرفيع وبما بدا فيه من

الآيات الإلهية والمعجزات الحيدرية، قد عفاه معظم الوافدين لزيارة الأعتاب المقدّسة في العراق»، [ص ٥٥٣ من ذلك الكتاب التي جرت الإشارة إليه].

راجع الكتاب الضخم في عدد صفحاته، والذي وُزع بكثافة في العراق بشكل مجاني، في أعقاب العدوان الأمريكي الأطلسي في العام ٢٠٠٣م الذي أدى لإحتلال العراق، ومتوفر على الدوام في المراقد والأضرحة المقامة للأئمة والأولياء في العراق من أتباع المدرسة الإمامية، والمعنون: مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هجرية - ٢٠٠٣ ميلادية، إصدار دار الحسين، بيروت/ لبنان، والكتاب يقع في ٨٦١ صفحة مليئة بالغث والسمين من أجل جعله بديلاً عن القرآن الكريم - كما أعتقد - والجهة التي حرصت على ترويجه هي وبالتأكيد، السلطة الفارسية الصفوية التي أقيمت في بغداد في أعقاب الإحتلال الأمريكي البريطاني، كما أقدِّر.

[٣٠] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤ - ٦٥.

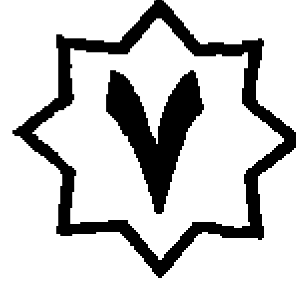
[٣١] - راجع كتاب وعاظ السلاطين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٨.

[٣٢] - المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٣٣] - المصدر السابق، ص ٢٤٩.

[٣٤] - وفي هذا الصدد يورد الكاتب وجيه كوثراني الأفكار ذاتها، وذلك في الموضوع الذي إستشهدنا به أعلاه: راجع كتاب الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية - القاجارية والدولة العثمانية، وجيه كوثراني، إصدار دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت / لبنان، الطبعة الثانية / منقّحة: أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م، ص ١٠٧..

[٣٥] - وعاظ السلاطين، ذات الصفحة.



ملحمة الفردوسي كيف تنظر (للأعداء المُفتَرَضين)؟

الرصد السابع

ومن المعلوم أنَّ التجزئة السياسية للعراق وتحطيم دولته المركزية التي تأسست في العصر الحديث، أي في عام ١٩٢١م إثر ثورته الشعبية المسلحة في الثلاثين من حزيران في عام ١٩٢٠م، وتفتيت وحدة المجتمع العراقي الموحد إلى «إثنيات» و«طوائف» متنازعة متصارعة متقاتلة، هو هدف سياسي إسرائيلي صهيوني ثابت، أكدته وقائع الممارسات العملية منذ منتصف ستينيات القرن الماضي عندما تعاون كيان الإغتصاب الصهيوني مع نظام الشاهنشاه الفارسي الإيراني ضد الدولة العراقية، من خلال ما يسمى بـ«الدعم المادي المشترك» للحركة الكردية المسلحة في شمال العراق منذ اِندلاعها في شهر أيلول من العام ١٩٦٠م، وخصوصاً بعد شهر حزيران من عام ١٩٦٣م، وفي ظن القيادة السياسية الكردية المتمثلة بحزب مصطفى البارزاني التي تعاون مع أعداء الوطن العراقي وناوأت الأمة العربية في تآمرها السياسي مع الشاه الفارسي والإغتصاب الصهيوني...

وفي ظنه أنَّ أسرار التعاون مع أعداء العراق وأعداء الأمة العربية ستبقى أسراراً، حتى في زمن اِتفاقه مع النظام العراقي في أعقاب اِتفاقية الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠م، وإنَّ الزمن كفيل بإلقاء هالة كثيفة من النسيان على ذاكرة العراقيين الوطنيين من العرب والأكراد المخلصين وأبناء القوميات الأخرى، وكذلك سيتجاهل العرب المخلصون: مسؤولون وغير مسؤولين، «كم» و«نوع» الجريمة السياسية التي أساءت للوطن العربي كله من خلال ذلك «التحالف / التآمر»... إلخ.

لقد تبلور ذلك التحالف ضد العراق والوطن العربي على شتى الصعد، وعلى الأخص بعد شهر حزيران في عام ١٩٦٣م، مع حركة الثورة المسلحة التي قادها مصطفى

البارزاني، وحتى هزيمتها السياسية المبينة في العام ١٩٧٥م جرّاء رفع الشاه يد الغطاء عنها بعد تحقيق مصالحه العنصرية الفارسية الإيرانية، وهي حركة مسلحة قادها مصطفى البرزاني، كما قلنا مراراً، التي دعمها الأعداء ثلاثتهم بالأموال والإعلام والسلاح والخبراء السياسيين والأمنيين والعسكريين، قدمها كيان الإغتصاب الصهيوني والنظام الشاهنشاهي الفارسي الإيراني بصورة مشتركة أساساً خصوصاً، وقائمة على تفاهمات سياسية متكاملة فيما يتعلق بالعراق، كما أكدته الوثائق السياسية والوقائع التاريخية العديدة، ومحتويات الكتاب الموثق بالصور الشخصية للعديد من قيادات «تلك الثورة» وهم يقفون جنباً إلى جنب مع قادة كيان الإغتصاب والمعنون بـ«الموساد في العراق ودول الجوار: إنهيار الآمال الإسرائيلية والكردية» الذي ألفه شلومو نكيديمون: الخبير المتخصص في مجال مسارات إتخاذ القرار الإسرائيلي خاصة السياسي منه: الذي شرح أبعاد ذلك التعاون العسكري ضد العراق: كدولة تفصيلياً، وأوضح بعض خطواتها العملية: الدبلوماسية والعسكرية، وكشف - كذلك - عن مراميها السياسية الكلية، من ناحية أولى، ناهيك عن وثيقة أدونين المعنونة «إسرائيل في الثمانينات»، [٣٦]، من ناحية ثانية.

لقد كان التنسيق السياسي بين الدول الثلاث المعادية للعراق، هو هدف سياسي إمبريالي أمريكي تميز بالتصاعد التكتيكي والتعاقب المرحلي، كما برهنت عليه الوقائع السياسية في الماضي الزمني وخصوصاً في ظل السياسات التي إتبعتها الإدارة الأمريكية منذ عقد التسعينات من القرن الماضي، علاوةً على ما أكده العديد من أساطين الفكر الإمبريالي المشبَّع بالرؤية التوراتية والسياسية الإسرائيلية، الذين تحرِّك قناعاتهم وتثير نوازعهم: الرؤية الأيديولوجية الدينية/ السياسية «الصليبية الصهيونية»، والممثَّلة بمجموعة «المحافظين الجدد» الذين يهيمنون بشكل كلي: كإدارة حاكمة منفردة ومتنفذة في كل الخطوات الأساسية المركزية، على قرارات السياسة الأمريكية في المرحلة الراهنة التي يقودها الرئيس جورج بوش ونائبه ديك تشيني: وزير العدوان العسكري على العراق في عام ١٩٩١م المسمى بحبال الصحراء وكودها السري: «المجد للعذراء»، والسيدة مريم العذراء منهم براء.

والبرهان على ذلك نجده في الِاحتلال العسكري للعراق في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م باِعتباره القرينة الأبرز على التوجه السياسي للمحافظين الجدد، وكذلك المثال الإجرامي الأوضح الذي تتبدى نتائجه الكارثية عبر الخطوات السياسية البارزة والممارسات العملية الملموسة، لتطبيق برنامجهم السياسي الذي جرى إعداده مسبقاً، والذي تجسدت خطوطه السياسية العملية، في النص الدستوري - مثلاً - الذي أنشبه المحافظون الجدد في اللحم الحي لأبناء المجتمع العراقي وغرزوه في أرواح أبنائه من كل الفئات الوطنية العراقية والتكوينات الِاجتماعية... أنشأه: كلٌ من بول بريمر ونوح فيلدمان لغايات إسرائيلية بحتة، وذلك من خلال «وثيقة قانونية ودستورية» تسعى لتكريس مستقبل العراق على أساس «الفدرلة السياسية التجزيئية» والتفتيت الِاجتماعي للمجتمع العراقي الموحد والمتكامل، كما دللت عليه العقود الماضية التي أعقبت تأسيس الدولة العراقية.

لقد أدت تلك الخطوتان الإستراتيجيتان وبالضرورة إلى تحطيم دولته الوطنية التي تأسست حديثاً: في العام ١٩٢١م، كما قلنا، والتي كانت، كذلك، الإمبراطوريات العراقية قائمة فوق تربته منذ آلاف السنين: الآشورية، البابلية، والإمبراطورية العربية الإسلامية العباسية التي كانت بغداد عاصمتها؛ ولم تكن نتائج الِاحتلال العسكري الأمريكي بمثل هذه الوقائع الكارثية الصارخة لولا الِامتداد الفارسي: العسكري المنظم عبر«قوات غدر» و«تنظيمات أحزاب الدعوة» و«مجلس عزيز حكيم» وغيرهم، في الواقع السياسي العراقي التي يطول شرح أسباب صيرورتها عنصراً هاماً، وربما طاغياً، في المرحلة الحالية التي يسود فيها الِاحتلال الأمريكي: الإمبريالي الصهيوني، إنَّ ما تقوم بتنفيذ فقراته البرنامجية السياسية هي: جمهورية إيران الفارسية الصفوية: «الدولة الإسلامية المزعومة»، عملياً وفعلياً.

لعل من بين أهم مرتكزات «التشيع» الطائفي الشعوبي وأعماقه الروح الفارسية الحاقدة المسعورة سابقاً، [وسيتبلور بشكله الصفوي تالياً]، وتقاليده العملية واليومية ومنذ نشوئه التاريخي في أواخر فترة العصر الأموي وسيكون طاغياً في العصر العباسي، إضافة إلى سماته التلبيثية والتبريرية الخاصة، شيوع ظواهر السب والشتم واللعن للخلفاء الثلاثة

الأولْ، وهم الخلفاء الراشدون، رضوان الله عليهم أجمعين، ممن زكى أفعالهم الرسول محمد بن عبد الله، [صلى الله عليه وسلم]، في معترك نشوء الدين الإسلامي ومنذ بدئه وصعوده، وممن حضروا بيعة الشجرة التي خصهم الله العالم بكل شيء من كريم آياته، ونزّه حاضرهم القائم آنذاك، وكذلك جنب مستقبلهم عن اِرتكاب أية معصية تتسم بإحدى سمات «الكبائر»، يرتكبها البشر على مستوى المعاصي في الحياة الدنيوية، [٣٧].

إن الله عز وجل هو العليم بما يحدث في الزمان السرمدي جميعه، والقدير على تصريف الأمور كلها... العليم بأبعاد الزمن الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، كما يدرك ذلك المسلمون المؤمنون حقاً بقدرة الله الواحد الأحد المطلقة في تصريف الأمور الدنيوية كلها، على خلفية اِستيعاب المفاهيم الإسلامية والمتيقنون من الرؤى السماوية لمسار التاريخ، على ما فيها من «الإمتحانات الواسعة» للأمم والشعوب بشكل عام، وليس للأفراد وحدهم وفقط، ولا يمكن بأية حال أنْ يجزل الله وعوده للخلفاء الراشدين، ولغالبية الصحابة كذلك، بجنة عرضها السماوات والأرض بشكلٍ اِعتباطي، ومن دون فقه المستقبل ووعي بصيرورة أحداثه القادمة، كما شأن الإنسان عندما يعطي بعض الوعود الزائفة للآخرين، عندما تكون نيته السرية المبيتة مخالفة لأقواله المعلنة، فقدرة الله المطلقة غير قدرة الإنسان المحكومة بعوامل الزمان والمكان والتربية الذاتية، والفروق بينهما: الله والإنسان هي حقائق عند المسلمين والمؤمنين حقاً وفعلاً.

ويجري في إطار عملية الشتم واللعن والسب المستمر ضد الصحابة، التركيز علي الخليفة الراشدي الثاني: عمر بن الخطاب [رضى الله عنه]، الذي منحه الرسول الكريم محمد بن عبد الله، [صلى الله عليه وسلم]، صفة الفاروق لتفريقه بين الحق والباطل، والمعروف بجرأته واِجتهاده وعدالته، لكون عهده شهد الاِنتصار على التكوين الديني المجوسي الفارسي، وليس من الغريب أنْ يكتف أحدهم سيرته العادلة النزيهة القويمة، عندما رآه نائماً وحيداً تحت الشجرة: لقد «عدلت فأمنت فنمت»، فضلاً عن أنه، أول مَنْ اِستخدم التاريخ الهجري لرسم المعالم الخاصة بالتاريخ العربي الإسلامي، لإعطاء الأمة

العربية الإسلامية سماتها الخاصة، وأجمع المسلمون المؤمنون الأوائل على خلافته الراشدة، وصلّوا جماعةً خلفه، ونفذوا تعليماته في خدمة الدولة العربية الإسلامية، كما هو معروف،[٣٨].

فكيف أصبح التناقض الأساسي بين «مفهوم الخلافة»، [٣٩]، من ناحية أولى، ومفهوم الإمامة، من ناحية ثانية، هو التناقض الأساسي الذي وسم التاريخي الإسلامي كله، والذي يجعله الفرس الصفيون معياراً لتقويم الفرد المسلم ضاربين بعرض الحائط المفهوم القرآني حول مَنْ يعمل مثقال ذرة من العمل: كون «العمل الصالح» هو الشرط الأساسي لتقويم الفرد؟، وهو المظهر الأساس في اِلتزام الفرد المسلم المؤمن التاريخ الإسلامي؟!. وما إستجَّره ذلك «التناقض الأساسي» من آراء «فقهية» قائمة على الكذب والدجل وتزييف الحقائق والتلاعب بالأحاديث وإستحضار تأويلات مخاتلة تطبع بعض النصوص والأقوال حول بعض الأحداث، لم يقل بها أحد من العلماء المسلمين الحقيقيين، وتلك التناقضات الأساسية، أدت من بين ما أدت، إلى الطعن بالخلفاء الثلاثة الأوائل، رضي الله عنهم، على كل المستويات، كم رأينا «الزيارة المخصوصة» المثبتة على قبر القاتل المجرم أبو لؤلؤة المجوسي؟.

يستمر السب واللعن لأسباب تتعلق، أساساً - كما نرى - بعلاقة ذلك بنشوء الأمة العربية وصيرورتها مظهراً رئيساً في التطورات العربية والإقليمية والعالمية، وذلك النشوء وتلك الصيرورة هما مناط الكره عند أغلب الفرس لكل ما هو عربي وجعل ذلك المناط مؤطراً بالحقد على العروبة والضغينة على العرب، كما هو مجسَّد في التراث الفارسي: ملحمة الفردوسي: الشاهنامة على سبيل المثال، وخلافها من تصورات وكتابات، هو الشاهد الرئيس على ذلك الِاتجاه وإنْ لم يكن الوحيد، والتي ما يزال الفرس الصفويون يتمسكون بها، أولاً.

وفتح بلاد فارس في عهده والقضاء على العنجهية الفارسية الساسانية الكسروية، من جهة أولى، لصالح الحركة العربية الإسلامية، من جهة ثانية، وتاريخ الزحف العربي

الإسلامي نحو العراق - والأحواز كذلك - الذي كان الفرس قد غزوه واستولوا عليه سابقاً بالتحالف مع اليهود، وكان ذلك الزحف العربي الإسلامي عام ٦٣٣ ميلادية، كما هو معلوم، إذ كان ذلك ذلك الفتح الجهادي قد تواصلَ حتى القضاء على البنيان الفارسي للدولة الكسروية وأزال سلطانها من الوجود وأسقط طبقة الكهنوت المجوسية وقيادتها السـياسـية وأزال تأثيرها من الوجود نهائياً خلال تلك المرحلة التاريخية التأسيسية للأمة، ثانياً.

وتخليص العرب العراقيين الذين كانوا يلعبون دوراً مركزياً في أوضاع المنطقة سياسياً،كون الدولة البابلية كانت تملك تصوراً سياسياً وفكرياً تراوح بين الفكر الموسيقي والفلسفي والديني والقانوني، وغيره من مظاهر ذلك التصور الإقليمي الذي كان عالمياً في تلك المرحلة الزمنية، من الهيمنة الفارسية الكسروية التي تواطأ حكامها مع اليهود في المرحلة السابقة، من أجل القضاء العسكري على اللحظة التاريخية المشرقة، التي كانت فيه الإمبراطورية البابلية سائدة فيها في المنطقة العربية وجوارها، ثالثاً.

وبالتالي أدى مجموع تلك المنجزات العربية الإسلامية إلى القضاء المبرم والتام على النظام الكسروي المجوسي الذي كان يسعي لفرض عبادة النار وتقديسها، بدلاً من عبادة الله الواحد، وإستخدام «بعض العرب» ضد بعضهم الآخر، من أجل تحصيل المغانم الوفيرة من المنطقة العربية، وذلك خلال العهد العربي السياسي الذي تبوأ فيه الفاروق: عمر ابن الخطاب الخلافة الراشدية، رابعاً.

وكل ذلك قد تم تحقيقه إبّان المراحل الأولى من صعود الإمبراطورية العربية الإسلامية التي كان عنوانها الأبرز مرحلة الجهاد والفتح التي دشـنها وأنجزها الخليفتان الراشـديان، الأول: أبو بكر الصديق، [رضى الله عنه]، والثاني: الفاروق عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه]، الذي إستكمل جهد الخليفة الأول ومضى فيه حتى شوطه الأخير من خلال موقعه الإداري والسياسي والديني بإعتباره القائد العام للدولة العربية الإسلامية، و بالإعتماد على الصفوة العربية المسلمة من المجاهدين الأوائل: ولعل العبقرية العسكرية

خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت أبرزها وأكثرها بهاءً. وسيواصل الخليفة الثالثة: عثمان بن عفان رضي الله عنه طريقهما في الجهاد والفتح في مشرق الجزيرة وغربها: شمال أفريقيا.

ويعلم الجميع أنّ ذلك الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس كان قد بَشَّر فيه الله المسلمين بنص صريح ورد في القرآن الكريم، ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، أ. ل. م، غُلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرح المؤمنون، بنصر الله ينصر مَنْ يشاء وهو العزيز الرحيم، وعدَ الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، [الآيات من ١ - ٦، من سورة الروم]، لقد أدى فيه أغلب القادة العرب المسلمين من أصحاب النبي العظيم، [صلى الله عليه وسلم]... أي الصحابة - الذين يلعنهم الفرس الصفويون - دوراً عسكرياً أساسياً مهيباً ومجيداً وخالداً فيه، بغية الترجمة العملية الأمينة والتنفيذ الجهادي الفعلي لذلك التبشير الإلهي العظيم.

وكذلك بتنا نرى سنوياً، وبمناسبات متعددة أخرى، مظاهر تمثيلية ساذجة، أي من دون حبك فعلي في النص الأدبي، وفي عملية الإخراج المسرحي، ومن غير أنْ تتمتع بأية مصداقية في رواية التاريخ الفعلي، وموشاة بالزخرفات الخرافية وأساطير الأولين، تحاول الإيحاء من خلال مراسيم وأعلام وسيوف وسواد لإظهار الظلم الذي وقع على الإمام الثائر الحسين بن أبي طالب، [رضي الله عنه]، وذلك بصورة كاريكاتورية عبر إظهار مشاهد تمثيلية، ما أنزل الله بأيٍ من وقائعها الدين الإسلامي والتاريخ أية مصداقية على صعيد التاريخ الواقعي والفعلي، من أجل التوصل إلى إقدام أولئك الفرس الصفويون إلى مرحلة: «لعن الأمة التي قتلتك»... إلخ، وهو الإمام الحسين بن أبي طالب الشهيد الحي عند ربه وفقاً لمعايير الآية القرآنية: ﴿ولا تحسبن الذين... ﴾إلخ.

والحسين الشهيد قد ثار على الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، والذي خرج من أجل الإصلاح في مستقبل الإدارة السياسية للأمة الوليدة، ومعالجة مسألة تبوء السلطة عبر رئاستها التي ينبغي أن تكون على أساس البيعة التي أرستها تقاليد الخلافة العربية الإسلامية، البيعتين الخاصة والعامة، كما مارسته السلطة الراشدية عبر خلفائها الأربعة،

وجعل السلطة بيد أهل الحل والعقد على أساس المبدأ القرآني: {وأمرهم شـورى بينهم}، وذلك من أجل اِختيار صاحب القدرة والكفاءة السياسية، والشخصية المؤمنة المعروفة بمصداقيتها واستقامة ممارساتها وذات العزم الشديد.

أي ضرورة الإختيار الجماعي عبر المهاجرين والأنصار للخليفة والإمام المسؤول عن إدارة شؤون المسلمين المختلفة، من دون الطريق والنهج الذي كرسه معاوية اِبن أبي سفيان مؤسس الإمبراطورية الأموية المعروفة، الذي جعل السيادة السلطوية على الدولة العربية الإسلامية ومقرر شؤونها يمر عبر منصب تبوء مركز الخلافة: على الشكل الوراثي الذي يأتي فيها الاِبن في أعقاب وفاة الأب، الذي قد لا يكون الوريث خلال حياته متمتعاً بصفات الأب الإدارية، وثقافته الأدبية، ووعيه الاِجتماعي، وقدراته السياسية.

وذلك من أجل تحويل هذه المناسـبة العظيمة: الاِنتفاضة الحسينية،[٤٠]، التي تحّض على الدعوة إلى الجهاد بـ«السـيف» أو «الكلمة» أو «النية الصادقة» وذلك اِستجابة للمقولة النبوية التي جاء فيها: مَنْ رأى منكم منكراً فليقومه بالقلب أو باللسـان أو بالسـيف، كما جاء في القول النبوي الشريف، إلى «تقاليد بطنوية» طابعها البحث عن أكلة القيمة ذات الأصول الأفغانية في النجف، أو ذات الأصول الفارسية في كربلاء، ومحتواها اِزدراد الرز: التمن المطـبوخ بالأطـنان، والمنثور في بعض الأحـيان في مواقع لا تراعي حرمة للنعمة ولا توقيراً لها، من الناحية الأولى.

وإقران تلك المراسـيم بدعاء يتكرر صباح مسـاء على لسـان قاصدي قبورهم بهدف التبرم فقط من المشاكل الحياتية التي تنتصب أمامهم، ومن دون بذل الجهود بغية تذليل أسباب تلك المشاكل والعمل على تغيير ظروفها، وجعل البكاء والتوسل عند المسلمين من أتباع المدرسة الإمامية، بديلاً عن العمل الهادف باِعتبارها الوسيلة الأساسية الدافعة للصبر على «المكاره»، وذلك عند زيارة أضرحة أئمة مدرسة آل البيت، المقامة لهم في مختلف المدن الإسلامية التي عاشوا فيها وخصـوصـاً في العراق وإيران، وسـوريا إلى حدٍ ما حيث فيها ضريح السـيدة زينب، من الناحية الأخرى.

والتي صارت لدى البعض القائم عليها أو مَنْ هـُم في خدمتها، كذلك، عادة يتكسبون منها الأموال النقدية أو العينية، التي تدّل على مهنة الكدية المعروفة في عالم البطالة من خلال شفط أموال النذور وصرفها على الكماليات غير الضرورية أو التمتع بها عبر الملذات، من خلال زعمهم أو حقيقة كونهم من الأرومة الهاشمية العلوية/ النبوية، في وقتٍ يعاني فيها أغلب المسلمين، على وجه الخصوص، في بعض المناطق العالمية من بلدان القارات الثلاث: المسغبة والجوع والحرمان.

وبعد أنْ كان ذلك المفهوم المتعلق بـ«النسب الواضح» يعبِّر عن الممارسـات «الهاشـمية» في التاريخ البعيد، كونه ينطوي على دلالة الكرم في أوقات الأزمات الإقتصادية والمعيشية، وإتسام أعماله بالريادة والمبادرة، فهاشم الذي هو من أبرز أجواد مكة وأشرافها، كان أول مَنْ سنَّ الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف، أي أول مَنْ له دور كبير في إنبثاق التجارة وتوسيع أفقها من خلال تأسيس «نظام الإيلاف القرشي» الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وأخذه من إمبراطور الروم صكوك إمكانية التنقل بين إمبراطورية الروم ومنطقة الجزيرة العربية... أخذه عهود الأمان لكل العرب، وأول مَن أطعم الثريد للحجاج في زمن المجاعة بمكة، ومن خلال أرومته التالية بإعتباره جداً أعلى للرسول الكريم، أي جاءت الدعوة الإسلامية الكبرى على يدي الرسول الكريمتين أي محمد بن عبد الله، [صلى الله عليه وسلم]، علاوة على أنَّ هاشم كان قبل ذلك الزمن أسمه عمرو، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي:

عمرو العلي الذي هشم الثريد لقومه   قـومٌ بمكـة مـسـنتون عـجـاف
سـنّت إليـه الرحلـتان كـلاهـما   سـفر الـشتـاء ورحلـة الأصيـاف

وإنما سمي بهاشم لكرمه غير المسبوق في الجزيرة العربية، إذ أنه جلب الخبز من بلاد الشام وأطعم أهل مكة والحجاج في زمن القحط الشديد، وهو ما يكثف بصورة جلية مفاهيم الشيم النبيلة والسجايا الكريمة في مختلف الظروف: تهشيم الخبز وذبح الإبل وتقديم الثريد للحجاج الوافدين على الكعبة، وكذلك، لمن كانوا يعيشون في مكة، قبل

صيرورة الدين الإسلامي المظهر الأساس في التطورات التاريخية للمنطقة - وكذلك في كل العالم في العصور الوسيطة وفقاً للتاريخ الأوروبي - أي في الزمن المتعارف عليه بالزمن الجاهلي الذي ساد في الجزيرة العربية قبل ظهور الدين الإسلامي، من الناحية الثالثة...

قوام تلك الأدعية بشكل أساسي، وهدفها الرئيس، نشر الكراهية التي تؤدي إلى العنف الجسدي السادي أو المازوشي، وزرع البغضاء والحقد بين أبناء الدين الإسلامي المقدس، من خلال ترديد الجمل التالية «اللهم اِلعن أمة قتلتك... اللهم اِلعن أمة خذلتك»... إلخ، والمقصود - طبعاً - ليس الفئة السلطوية الظالمة التي جرّها الخليفة الأموي الجديد: معاوية بن أبي سفيان لأخذ البيعة لِإبنه يزيد كخليفة بقوة السيف، وإنما الأمة العربية الإسلامية، من جهة أولى، وتلك خصيصة سائدة سيرفض إطلاقيتها حتى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب بالتأكيد، فيما إذا كان حيــاً، وبشكل حتمي.

البعض «الذي يتولى المدرسة الإمامية في التفسير لشؤون الدين الإسلامي بحكم التناسل أو الِإعتياد» وهم الأكثرية الأمية من أنصار الامامية ممن يتلقون تعاليمهم «المذهبية» من قرّاء المنابر: أشباه الأميين والخطباء السُــذَّج على مستوى التفكير بالحقائق الكلية للكون والمجتمع الذي حثَّ عليه الدين الإسلامي، كون غالبيتهم المطلقة {أي هؤلاء الخطباء} ممن لم تختمر المفاهيم الإسلامية الحقيقية في أذهانهم، وإنْ اِجتـرّوا بمهارة أساليب الخطابة «البلاغية» وأتقنوا فنون النواح وتمثيليات البكاء وإمتلاك خاصيات القدرة على الإستبكاء، بانتظار الأجور المخصصة لخطباء المنابر «التعزية الحسينية».

تلك الأدعية يرددونها من على المنابر بحماس الجهلة المتطفلين على الفقه والنصوص القرآنية، والمفرَّغة رؤوسهم من أي بُعد نقدي لفهم سيرورة الإسلام الموضوعية خلال فترة الخمسة عشر قرناً الماضية، والمقطوعي النظر المحقق والتفكير المدقق عن ملابسات الواقع التاريخي لصعود وهبوط المفاهيم السياسية المقرونة بالوعي العميق بدروس نشوء الدين الإسلامي وتجربته العملية والتاريخية في الحكم: إدارة شؤون الأمة الإسلامية على المستويات كلها، بالإضافة إلى عدم معرفتهم أي شيء ذي تفكيرٍ عقلي وتاريخي نابع عن روحية الدين

الإسلامي في منطفاته التكوينية على المستويات السياسية: أي في مراحل مواجهة أعداء الأمة التاريخيين، من جهة ثانية.

وتجري تلك الطقوس والمراسيم وعادات السب واللعن وإستفراغ الأدعية الحاقدة والمشوبة بالتزوير والزيف وتقيئها بمناسبة أو من دون أية مناسبة، في المراقد المشيدة بالفضة والذهب والكاشي الكربلائي، بإعتبارها تمثل الثائرين والمصلحين والمجاهدين بالحوار الخشن أو بالدعوة اللينة والموعظة الحسنة ضد الظالمين والمتسلطين على شؤون البشر، التي قام بها المسلمون في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثلما يجري ذلك اللعن والسّب تحت شعارات تكثّـف مفاهيم «الولاية لأهل البيت والبراءة من خصوم آل البيت»، الذي وضعوها معياراً للتفريق بين المسلمين المؤمنين - كما قُلنا سابقاً - من ناحية، وغيرهم من بقية المسلمين وهم الذين يبلغ تعدادهم أربعة أخماس المسلمين في كل العالم، من ناحية أخرى.

وبطبيعة الحال ليس الولاية لله أو البراءة من الشرك بالله، وإنما الولاية المزعومة للإمام علي بن أبي طالب، الخليفة الراشدي الرابع، كرم الله وجهه، وقدسيتها المطلقة، بإعتبارها معيار المعايير للتفريق بين الملتزم بالدين أو المعادي له، رغم تقبله عطاءات الخليفة الراشدي الثاني: عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه] أرضاً واسعة وفيها بئراً للمياه، التي هي الحاجة الرئيسية المطلوبة للإنتاج والعيش، آنذاك، والتزوج من غنائم معارك من حروب الردة والفتح الإسلامي لفارس التي كان يوزعها الخليفة الراشدي الثاني رضى الله عنه، أم محمد بن الحنفية.

والتي لن تكون قائمة في الواقع ما لم تكن مقرونة، كما يبدو ويتبدى في الممارسات الفارسية الصفوية، بإختراع أعداء مُفْتَرَضين في أذهانهم السخيفة، للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يتكونون من الصحابة الكرام ممن شاهدوا وعملوا مع الرسول الأعظم، [صلى الله عليه وسلم]، من جهة ثالثة، والبراءة من ما يُسمى بـ«النواصب» الذي توسعَ مفهومها من كون المقصود بهم في الزمن السابق هم «الأفراد الخوارج» الذين إغتالوا

الخليفة الراشدي، [كرم الله وجهه]، وهو يؤدي صلاة الفجر، كما جرى تحديدهم من وجهة نظر الفرقة الإمامية الإثنا عشرية... لقد توسع مفهوم «النواصب» إلى أكثر أهل المدارس الفقهية، والمذاهب الإسلامية والتفسيرات الدينية والتي لا تقبل بأطروحة الفرقة الإثنا عشرية الوحيدة الناجية، التي يحاولون تفسيرها أنها وحدهم الموالون لرؤيتهم المذهبية، من جهة رابعة.

الأمر الذي نرى تجسداته العملية على أيدي أتباع إيران الفارسية الصفوية داخل الوطن العراقي، وعلى أيدي المخابرات الإيرانية المتواجدين في مختلف المحافظات العراقية، ودوائر «الوزارات» العائدة للسلطة التي نصبّها الأمريكيون، وفي الأجهزة الإدارية والأمنية العراقية، ومن خلال ما يُسمى بفيلق القدس، كبرنامج سياسي عملي ويومي يجري تنفيذ بنوده ضد العراقيين الوطنيين كلهم، لاسيما ممن يعلنون موقفهم المبدئي من التغلغل الفارسي أو يحاولون مقاومته: نسفاً ونهباً وقتلاً وتعذيبا... إلخ.

أما اللجوء للقسَم بالبشر ممن يتبوؤون مواقع مميزة في المدرسة الإمامية الإثنا عشرية، على أنه أكثر أهمية وأكثر «شارة» من الله العزيز الواحد القهار، فهي فضيحة بذاتها، فالرسول الذي قال «مَنْ أقسم بغير الله ذل»، كما يروي البعض، كان تعبيراً منه عن جوهر رسالته التي تتمثل بالعبودية لله الواحد، ولكن «العلماء الأعلام والمجتهدون الجهابذة ممن يعلنون عبر رسائلهم العملية أنهم بلغوا مرحلة جواز تقليدهم»، يسكتون على تلك الممارسات: بجعل القسم بالشهيد العباس بن أبي طالب، مثلاً، رغم كونه إماماً غير معصوم حتى من وجهة نظر علماء وفقهاء هذه الطائفة الإثنا عشرية، مثلما - كما هو معروف - لم يكن العباس بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الإثنا عشر.

والقسَم ذاك هو القسَم الأكثر قدسية من القسم بالله أو بالقرآن، هو مجرد عينة للممارسات التي تخالف محتويات الرؤية الإسلامية، وشاهد كاتب هذه السطور العديد من حالات القسَم في صحن العباس بن علي أبي طالب في كربلاء، وتزويد الذي أدوا القسم «بوثيقة» تحمل اِسم «السيد» الذي قام بعملية إجراء القسَم، الذي يقبض «ثمن» عمله

ذاك، وإســم الذي أدى القسم «بالإمام العباس»، وأسماء الشهود الذين يحضرهم «السيد» لتوثيق ذلك «القسَم» من الذين شهدوا تلك العملية، والتاريخ الذي تمت فيه عملية إجراء القسَـم، ووضع ختم «السيد» في أسفل الورقة.

وبالمناسبة، فإنَّ هذا «التقليد» اِنتقل من «الأئمة» إلى الأفراد «السادة» ذوي النفوذ عند أفراد المجتمع، وفي الصحراء الواقعة بين محافظة واسط [ومركزها قضاء الكوت] ومحافظة القادسية «التي مركزها قضاء الديوانية»: التي عشـتُ فيها، طوال العقد السـبعيني كان أبناء تلك المناطق، مثلاً، يقدسّـون: «السيد» غازي المحنة، و«السيد» مالك الياسـري، ويقسمون بهما في كل الأحوال، وتجاه أية مشكلة تثيرها بعض التطورات الخلافية. وفي إحدى المرات نقل لي أحد الأصدقاء: حادثة كان فيها هو الشاهد العيان، كما قال وقوامها: أنّ السيد المعلم سلبوح بن السيد غازي المحنة كان يمازح أحد المعلمين في بغداد، لحظة مراجعتهم إجراء التعيينات، فضربه سلبوح بالنعال على جبهته، مما أدى إلى التورم الفوري لجبهته، فما كان من «السيد غازي الإبن» إلا أنَّ وضع في يديه لـُعاباً «أي تفلةً» من فمه على الورم، فلم يلبث الورم لحظة طرفة عين كي يتلاشى من الوجود، و«زال عن الضحية» تماماً.

رثيت حال هذا «الرجل الواعي: المعلم» للتلفظ بهذه الخزعبلات، رغم كونه حزبياً و«بعثياً» مؤدلجاً. كان تعليقي الفوري على تلك الرواية: «دخيلك يا ربي»، الله مصلي على محمد، «التفلة» تعمل على إحداث «بنجر» في جبهة المضروب بالنعال، وضحكنا، ولكنه حذرني بالقول أنه يخاف عليَ من «شارة السيد» وابتعد عني على الفور لكي لا يرتكب إثما، حسب وجهة نظره.

في أية حال أنَّ تغيير هذا الواقع الاِجتماعي المزري يتطلب وفق الدرجات الدنيا من عمليات التغيير، «من آيات الله» ومراجع «التقليد الكبار والأساسيين»، إصدار فتاوى دينية واضحة وصريحة حول مثل هذه الأمور المعروفة حول تلك الممارسات وتقوم تلك الفتاوى بتشرح مخاطر تلك الممارسات وتبين تناقضاتها الصارخة مع عقيدة التوحيد

الإسلامية، وكذلك ضرورة إصدار فتاوى أخرى، تجاه العديد من «الظواهر» التي علقت بـ«الفكر الشيعي» جراء الممارسات الفارسية الصفية والعمل على توجيه أتباعهم من مقلديهم نحو الطريق الإسلامي الصحيح.

فهل يقوم هؤلاء «الآيات العظام» و«المجتهدون الكبار» ممن يعدّون «التقليد» واجباً، وكل فرد مسلم لا يعرف «إمامه» سيموت ميتةً جاهلية... هل سيقومون بواجبهم الديني المفترض؟ الجواب على ذلك التساؤل لا نرجح حصول ذلك بسبب: اِرتباط بعضهم بإيران، من جهة أولى، وخضوعهم لعقلية القطيع «الذين يهبون مع كل ريح وينعقون مع كل ناعق» كما يقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، من جهة ثانية، والاِستفادة المالية الكثيرة والوفيرة بذريعة تحصيل أموال «الخُمْس» وسهم الإمام، من جهة ثالثة.

- هوامش الرصد السابع -

[٣٦] - راجع الصفحات من ٢٢٢ - وحتى ٢٢٥، من الكتاب الشهيد شريعتي.

[٣٦] - راجع كتاب شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨.

[٣٧] - راجع نص الوثيقة تلك، في كتاب الأستاذ عبد المالك خلف التميمي المعنون الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت، العدد ٧١، الصادر بتشرين الثاني عام ١٩٨٧م، ص ٣٣٢ - ٣٥٩، وفيها يرسم القادة الصهاينة مستقبل الوطن العربي، لاسيما المشرق منه، العمل الهادف «على إنهاء الدول العربية وتجزئتها دويلات طائفية لا حول لها ولا قوة تدور في فلك الإمبراطورية الإسرائيلية»، ويلاحظ الدكتور عبد المالك التميمي «العلاقة القوية (بين ما جاء في هذه الوثيقة) والتفكير المحافظ الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية هي علاقة بارزة جادة وبخاصة في الملاحظات التي يقدمها الكاتب في نهاية المقال».

[٣٨] - الكبائر مثار إختلاف إجتهادي بين الفقهاء، وهي صفات سلبية ونقيصة معيارية قياساً للمعايير الدينية الإسلامية، ويصل عددها إلى قرابة الثمانين، لدى رؤية بعض الباحثين المتشددين في ارؤية الإسلامية، كأقصى حد، أو عند بعض المتفقهين هي خمسة في حدها الأدنى، فيما يقول القسم الآخر أنها تحتل النصف الأول من سورة «النساء». أما البعض الآخر الذي تتسم آراءه بالمرونة، فيشدِّد على كونها سبعة: كلها وردت في التقييمات السابقة، ألا وهي: الشرك بالله، قتل النفس البشرية بغير حق، أكل الربا، أكل مال اليتيم، الفرار يوم الزحف، قذف المحصنات المؤمنات الغافلات، منع الصلاة والزكاة. ويحتل ذلك المفهوم المتعلق بـ«الفرار من الزحف» موقعاً مركزياً في الحالة الملموسة التي نتطرق إليها، إذ لم يرتكب الحكّام المتسلطون على العراق التابعون للرؤية الفارسية نقيصة الفرار من الزحف، فقط، بل قدّموا خدمة للقوات الأمريكية والبريطانية في إحتلال العراق، وهي صليبية صهيونية، وبقاء قواتها جاثمة على تربته، ومحاربة الأباة من مقاومي الإحتلال.

وعودٌ على بدء، ينبغي التأكيد على أنّ كل تلك الكبائر لم يرتكب أيٍ منها الخلفاء الراشدون الثلاثة الأوائل، فكيف يجوز لعنهم وسبّهم؟!، والرسول [وحتى الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه]، وغيرهما من الرعيل الإسلامي الأول، حرّم أو منع السب والشتم واللعن لأي سببٍ كان!.

ولكن ما يثير العجب هو «حذف» آية الله سيستلني هذه «الشعيرة» الواجبة، وذلك في رده على أحد السائلين حول الكبائر، الذي جاء فيه في الفقرة ٤٧ من أجوبته الكبائر: قيل أنها ما أوعد الله عليها العقاب، وقد عدّ من الكبائر الشرك بالله تعالى، واليأس من روحه، والأمن من مكروه، وقتل

النفس المحترمة، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، وشهادة الزور، وشرب الخمر، وترك الصلاة، أو غيرها مما فرضه الله تعالى متعمداً، وقطيعة الرحم، والسرقة، وأكل الميتة، والقمار، والرشوة على الحكم ولو بالحق، والإسراف، والتبذير، والغناء، والزنى، وسب المؤمن وإهانته وإذلاله، والكذب وغيرها، راجع كتاب الفقيه للمغتربين، وفق سماحة آية الله العظمى - السيد علي الحسيني السيستاني، دام ظله الوارف، تأليف عبد الهادي محمد تقي الحكيم، الطبعة الثانية ١٤١٩ هجرية - ١٩٩٩ ميلادية، مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله)، قم - خيابان معلم، ص ٤٧.

[٣٩] - لعب الفاروق عمر بن الخطاب دوراً رئيساً وملموساً في التكوين التأسيسي للأمة العربية، ويمكن القول عنه أنه كان بمثابة الشرط الذاتي المكمِّل للتطورات الموضوعية، فقد «أعطى الإسلام العرب عقيدة وكون لديهم شعوراً برسالة. فقد أحل وحدة العبادة محل التعدد والبعثرة، ورفض العصبية القبلية المفرقة وأحل رباط العقيد محلها، ونبذ الأعراف القبلية، وهيأ قيماً ومثلاً جديدة ووجهة مشتركة في الحياة وأساساً لتشريع شامل. وأبطل الغزو وفرض الجهاد في سبيل العقيدة وحفظ الأمة. وجاء بفكرة «الأمة» التي تستند إلى العقيدة، وكان من أسسها المساواة والتفاضل بالعمل وحرمة الفرد والتأكيد على الشورى في الأمور العامة. وجاء التنزيل بلسان عربي مبين، فثبت العربية وأكسبها منزلة خاصة، وجعلها أساس العروبة حين جعل النسبة إليها، {القرآن الكريم، سورة الزخرف: الآية ٣؛ سورة الشورى: الآية ٧؛ وسورة الرعد: الآية ٣٧. هذا مقابل الفكرة القبلية التي تؤكد النسب}، {ص ٣٧}، ولعبت مؤسسة الخلافة التي هي نتاج عربي بامتياز، الدور المركزي في شد اللحمة العربية، فهي ذات «صلة وثيقة بنشأة المجتمع العربي الإسلامي والتطورات التي مر بها، وقامت بالإسلام دولة موحدة للأمة (وهي في صلبها عربية)، {ص٤٦}، وجرى إنشاء الديوان علي يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في العام ٢٠ هجرية «ليكون سجلاً بأسماء المقاتلة وأنسابهم وأعطياتهم، وكان الديوان مفتوحاً للعرب جميعاً متى اِلتحقوا بالمقاتلة في المراكز التي خصصت لهم»، {ص ٤٧}، كما لعب الخليفة الثاني دوراً ملموساً في نشر اللغة العربية من خلال «القرّاء الأوائل في الأمصار من الصحابة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب إليها لتعليم الناس القرآن والسنّة، مثل إبن مسعود (الكوفة) وأبي الدرداء (الشام) وأبي موسى الأشعري (البصرة)، وتكونت حولهم حلقات من القرّاء، وكان القرّاء يمثلون روح الحركة الإسلامية ويدافعون عن المباديء الإسلامية وعن العدالة، وشاركوا في الحياة العامة وفي الأحداث في صدر الإسلام، وتشعر فعالياتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثقافة وبين الحياة العامة»، {ص ٨٥}، و«شغل العرب في هذه الفترة بوضع أسس ثقافية عربية إسلامية، وإنطلقوا من روح الدعوة الجديدة من أصولهم

الثقافية، فظهرت، [...]، الدراسات العالية في اللغة والأخبار والأنساب إضافة إلى الشعر»، {ص ٨٤}، ومجموع هذه التطورات قد أفرزت معياراً موحداً للأمة أساسه العروبة.

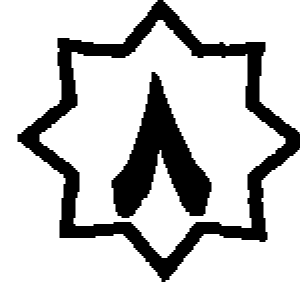
راجع كتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري في الكتاب المعنون التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت/ لبنان، كانون الأول/ ديسمبر، ١٩٨٦م، وأرقام الصفحات المستشهد بها وردت في سياق النصوص.

من هنا، كما هو في إعتقادنا، كان منبع الكره الفارسي للخليفة الراشدي الثاني، بالإضافة إلى فتح بلاد فارس في عهده الميمون، والقضاء على المُلك الساساني الكسروي الزرادشتي، إذ أنَّ الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، قد كتب في أحد رسائله إلى معاوية بن أبي سفيان التالي: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أنْ يختار ولا للغائب أنْ يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن إجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان لله رضىً»، الأمر الذي يعني الموافقة المطلقة للخليفة الراشدي الرابع على تلك البيعة للخلفاء الثلاثة الأوائل، كما لحظ ذلك السيد محمد الهاشمي مدير قناة المستقلة في أحد برامجه الحوارية حول التاريخ الإسلامي، راجع كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٢.

[٤٠] - الخلافة مفهوم عربي إسلامي يتوافق مع الرسالة، بله إحدى إفرازاته التاريخية، إذ كان المعنى الذي إنطوت عليها عملية إختيار الخليفة الأول: أبو بكر الصديق في بيعة السقيفة التوافق مع الروح المجتمعية والإتفاق مع «التقاليد القبلية» والدور الذي لعبه كونه «يتمتع بأكبر نفوذ والذي يُحترم لسنه أو لنفوذه أو لخدماته»، {ص٢٠}، وشكلت عملية إختيار مجموع المهاجرين والأنصار «إنتصار نظام الإنتخاب الحر في إختيار الخليفة على نظام الوراثة حتى بشكله العام، فصار نظام الإنتخاب إحدى القواعد المهمة في نظريات الخلافة»،]ص ٢٠[، خصوصاً وأن الخليفة الجديد قد إلتزم بتعاليم الرسول، والمعايير الموضوعية التي أرساها الدين الإسلامي، الذي وصفت الإنسان كونه تقياً، لقد «وليت عليكم ولست بخيركم فإنْ أحسنت فأعينوني. وإنْ أسأت فقوموني. الصدق أمانة والكذب خيانة. والضعيف فيكم قوي عندي حتى أربح عليه حقه إنْ شاء الله. والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إنْ شاء الله. لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله. فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل... إلخ»،]ص ٢١[، ولعب مكانة «المدينة» دوراً مركزياً في مفهوم الخلافة، «فيما يخص عدد الناخبين ومحلهم. وقد دعيت بيعة السقيفة، «البيعة

الخاصة» والبيعة في المسجد «البيعة العامة» فصار وجود البيعتين من تقاليد الخلافة فيما بعد»،]ص ٢١ من الكتاب الذي سيجري الإشارة إليه تالياً[.

راجع كتاب الدكتور عبد العزيز الدوري المعنون النظم الإسلامية: الخلافة، الوزارة، النظم المالية، النظم الإدارية، الطبعة الجديدة والمنقحة التي أصدرها بيت الحكمة - جامعة بغداد، ١٩٨٨م، والكتاب هذا طُبع للمرة الأولى عام ١٩٥٠م. والخلافة بذلك تختلف جذرياً وكلياً مع التقاليد الساسانية الكسروية التي حاربها الإسلام وقضي عليها، والتي تتوافق في الزمن الراهن مع «الرأي المطلق» لمفهوم مرجعية خامنئي رغم عدم أعلميتية الفقهية التي تضعها المدرسة الإمامية شرطاً ضرورياً لصيرورة المرجع الإسلامي الأعلى لكل الشيعة في العالم، مثلاً.



الغايات السياسية من المفهوم

الرصد الثامن

تطبيق البرنامج السياسي الإيراني: الفارسي الصفوي، هو الواقع الملموس في عراق اليوم الذي يجري فيه التخادم الأمريكي الإيراني على أرضه، في أبعاده التطبيقية، وذلك من خلال القتل والحرق والسلق وضحايا التعذيب بالدريل: المثقب الكهربائي والمهجرين في الداخل أو الخارج الذين تبلغ أعدادهم الملايين وفقاً لإحصاءات مختلف المصادر الدولية والعربية والعراقية الوطنية، فضلاً عن القتلى العراقيين من العلماء والأساتذة المعروفين والطيارين المغدور بهم والعسكريين المُغتالين ممن أدوا أدوارَ ملموسة في الطلعات العسكرية ضد الجيش الفارسي الذي حاول تدنيس تربة العراق خلال مراحل الحرب العراقية الإيرانية، [٤١]، دفاعاً عن حاضر العراق ومستقبله بوجه الصلف الإيراني الذي كان يرفض وقف إطلاق النار والاِستجابة للجهود الدولية لإنهاء الحرب، التي يحرص الفرس الإيرانيون على رمي الجثث المعصوبة العيون والمقيدة الأيدي في مناطق «جلولاء / نهاوند، والمدائن، وبغداد»...

وتُنفذ تلك الجرائم البشعة في بعض المناطق والمدن التي تشير إلى مراحل تاريخية مهمة... بلةَ مفصلية التي اِحتدم فيها الصراع بين العرب المسلمين، من ناحية، والفرس الساسانيين الكسرويين، من ناحية أخرى، خصوصاً في جلولاء التي فُتحت في أول ذي القعدة سنة ١٦ هجرية الموافقة ليوم ٢٤ نوفمبر ٦٣٧ ميلادية وقُتل فيها قائدهم العسكري خرزاذ، أخو رستم البطل العسكري الفارسي الشهير، كانت خطوة حاسمة على طريق فتح بلاد فارس كلها وتخليصها من ظاهرة عبادة النار، وكذلك تنفيذاً لظاهرة «الخطف ثم العلس» الكريهة التي بات مفهومها متداولاً في المجتمع العراق، من جهة خامسة وأخيرة.

لعن الأمة العربية الإسلامية والوعيد لكل العرب من غير المؤمنين بالرؤية الصفوية وشتم الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، [رضي الله عنه]، الذي فتحت بلاد فارس في عهده: الذي هو العهد القويم والمشرق والأبرز في كل التاريخ الإسلامي الأول، ومطفيء النار المجوسية في بلاد فارس ومحطِم الغطرسة الكسروية... لعْنهم وتقديم الوعيد لهم ولأحفادهم في كل مناسبة، هو ديدن تلك الممارسات التي يحرص على بثها أصحاب الرؤية الطائفية الفارسية والقسم الأغلب من الأتباع: الأدوات التي تردد شعارات صفوية كسروية ينتظم عقلها التكويني، التي هيمنت عليه روحية التواكل وعقلية التقليد بما يعطل التمتع العملي بأثمن ما وضـعه الله من أعضاء في الجسد الإنساني كله لحظة قيامه بخلق البشر: العقل الإنساني، ويهيمن على فكرها موفور الجهل والغاية القصوى للغباء، للدرجة التي أصبح فيها البعض «منا» أشبه بعضوٍ ناشط في طابور خامس ينفذ أجندة فارسية عنصرية، ويخدم غاياتها السياسية الإيرانية.

إنَّ الوقوف على تلك المظاهر وفضح الغايات السياسية الكامنة فيها ومنها، يقتضي التدقيق في مضامينها بشكل أدق وتفصيل أعم، وهو ما يقتضي الرجوع إلى كتاب «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» للشهيد الحسيني فعلاً: المرحوم علي شريعتي، الذي نوهنا عنه سابقاً، كونه تصدى وبالتحليل العلمي والصادق والمقرون بالشواهد التاريخية، وبالِانطلاق - كذلك - من حرص المؤمن المسلم الواعي الرافض لكل هذه الخزعبلات التضليلية التي كان شاه إيران السابق: المقبور محمد رضا بهلوي وأجهزة دعايته الواسعة تواظب على نشرها وترويجها.

لقد تطوع الشهيد السيد علي شريعتي مبادراً لمناقشة المفاهيم الحقيقية لمحبة آل البيت النبوي الكريم، مثله مثل بقية المسلمين من غير الفرس الإيرانيين العنصرين المتعصبين، وإستجابة لضمير إنساني وإسلامي حي توقف طويلاً أمام الكيفية التي اِستطاع فيها البعض العنصري من تحويل تلك الرحمة التي تجهد الرؤية الدينية الإسلامية لزرعها في نفوس كل المؤمنين بالإسلام، إلى موروث «فكري» و«تعليمات» يتسم بالحقد والكراهية

والبغضاء والقتل للنفس البشرية التي هي أشد حرمة عند الله والرسول محمد، [صلى الله عليه وسلم]، من هدم الكعبة المشرَّفة!، كما جاء في الأثر الشريف.

يلقي الشهيد شريعتي، وهو الإيراني الجنسية والفارسي القح من حيث الإنتماء البايلوجي، الضوء على تلك الكيفية التي اِستطاعت فيه الرؤية الفارسية الصفوية من التغلغل في النسيج الفكري والمجتمعي لبعض القائلين بالإمامية، وذلك من خلال تساؤلات حاقدة مدببة، وإجابات واضحة المعالم وشاخصة، ومناقشة مستفيضة للمفاصل التاريخية التي مرّت بها الشعوبية والصفوية الفارسيتان، وذلك عبر قراءة واعية ومدركة ومخلصة للقيم الإسلامية النبيلة وتهدف التوصل بشكل ملموس إلى غايات فكرية محددة.

ومعلوم أنَّ السؤال: كونه فعّالية تربوية هادفة، هو الذي ينطوي على فكرة واضحة وملموسة وتشكل الوعي النفاذ لمجموعة بشرية، طال بها التوقف أمام ظاهرة تاريخية ما، أو فردٍ نبيهٍ ويشعر بمعاناة ممضة، حول مسألة معينة لا تتصف بالديمومة والتكرار، لأن ذلك التكرار يجعلها قانوناً ينبغي تطبيقها على جميع الظواهر، ولكن هذه المسألة نابعة غالباً عن قضية ما، تمارس في مكان محدد، أو زمان معين، تكون قضية خلافية على الأغلب.

وعموم الأسئلة الجوهرية والجادة المكتنزة بالاِفتراضات المنطقية والعقلية، التي يطرحها المبدعون تشكل المفتاح الأساسي لكل فعالية فكرية مستقيمة ومبدئية تبحث عن جواب يتسق مع العقل والمنطق، وإذا أخذنا الثقافة العربية الإسلامية كونها معيار موضوعي لمفردات حضارية وتاريخية، فإنَّ ما جاء به الدين الإسلامي، هو المثال الملموس في تلك القراءة الجادة والعميقة النابعة من تراث فكري يرتبط بالدين الإسلامي، قوام تلك التساؤلات وركيزتها الأساسية، وبالقدر الذي يتعلق بموضوعنا المبحوث هنا، هو المنطلق التالي الذي يتناوله الشهيد شريعتي:

«كيف اِستطاعت الصفوية أنْ تنتج تشيعاً يشبه التشيع في كل شيء وليس فيه شيء منه»؟!.

للجواب على تساؤله العيني والملموس ذاك، ينطلق شريعتي في رصده الفكري وتحليله التاريخي من الفرز الواضح ما بين «التشيع العلوي»، وهو المذهب الخامس في الدين الإسـلامي، باِعتباره مدرسة إسلامية ضمن المدارس الفكرية الأخرى، من جهة، وبين «التشـيع الصـفوي الإيلخاني الكسـروي»، من جهة أخرى، بغية تركيز بحثه حول تجليات هذين المفهومين في الواقع الاِجتماعي التاريخي والسـياسـي في الماضي، وكذلك السعي الجاد من أجل تطبيقه أيضاً على اللحظة التاريخية الراهنة المُمارَسـة [أي في مرحلة سيادة النظام الراستاخيزي البهلوي الشاهنشاهي على إيران]، خصوصاً: على صعيد الرؤية الفارسية الإيرانية، التي سادت في العهد العنصري الشاهنشاهي التي تسلطت فيها الأسرة البهلوية على الحكم في إيران بمساندة عملية من الاِستعمار البريطاني، اِبتداءً، والأمريكي، تالياً.

وعبر تلك القراءة الموضوعية والاِستنتاجات العلمية الهامة التي أفرزتها يمكننا وعي المسار الطائفي الحالي الذي تمارسه سلطة الملالي في إيران جمهورية علي خامنئي/ هاشمي رفسنجاني/ أحمدي نجاد، كون البرامج السياسية وتطبيقاتها العملية هي المقياس في الحكم والتقويم الكلي، وليس الإدعاءات التي يقول بها الحكـّام الفرس الإيرانيون الحاليون، سواء مَنْ اِعتمر منهم البدلات الأوربية أو ممن اِرتدى أغلبهم العمائم البيض أو السود ولفها على رؤوسهم في كناية عن مظهر الملالي: «الشيوخ» أو «السادة».

يستند الشهيد شريعتي في تحديداته الفكرية على الموروث الديني الذي تركه علماء اِماميون، وذلك باِعتزاز كبير حول فهمهم العميق والمخلص لتلك المدرسة الفقهية وأساسياتها وتفرعاتها، كالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: العراقي العربي والمرجع الأعلى للطائفة الإمامية في مرحلة زمنية ما، والعالم الإمام محمد مهدي الخالصي أحد أبطال الاِستقلال الوطني العراقي وثورة العشرين البطولية التي حدثت في حزيران ١٩٢٠م، ومن دون أنْ يسلط الشهيد شريعتي الضوء على الرؤية التوسعية الفارسية الإيرانية المضادة للعرب كمفهوم وحضور سياسي والخليج العربي والعراق، كون الأبعاد السياسية الذي قام

بها الشهيد على الصعيد العربي كانت غائبة عن مجريات الجرد الفكري والنقاش السياسي، لأسباب لا حاجة للتوقف عندها في سياق الإعداد لهذا البحث.

فيما تناول كاتب إمامي مخلص لقناعاته الدينية وعالِـم مجتهد هو الدكتور موسى الموسوي، ذلك الجانب في كتابه الهام المعنون «الثورة البائسة»، الذي تناول ١٥ موضوعاً فقهياً وسياسياً رصد مكوناتها في أعقاب نجاح الخميني في الوصول إلى موقع المرشد الأول في إيران في أعقاب التغيير وما تمخض عن ذلك الوصول لـ«قصة شعب قـدِّر له البؤس والشقاء في ظل التيجان والعمائم على السواء. إنها قصة الإسلام ومحنته العظيمة سنقصها على الناس كافة لتكون ذكرى لمن كان له القلب الوفي أو ألقى السمع وهو شهيد»، [ص ٧]، ورأى الكاتب «لا ولم يحدث من قبل أنْ أرتكب أبشـع صور الإجرام في حق الإنسان بِاسم الأخلاق وبِاسم الدين كما اِرتكبه طغاة إيران»، [ص٦]، و«ثبت لإسرائيل أنَّ إيران في ظل التاج والعمامة سوق رائج له وصديق لا غنى عنه»، [ص ١٢٥]، ولكن هذا الكتاب صدر ووزع على المكتبات، من دون أنْ يوضح الكاتب مكان وزمان الطبع أو كان كتابه ذاك من أي طبعة، ولكنه كتب على صفحة الغلاف الأخير ملحوظة تقول: «يسـمح لجميع دور النشـر طبع هذا الكتاب أو ترجمته بدون مراجعة المؤلف»، [٤٢].

وعود على بدء: يبدو أنَّ معيار الرؤية الدينية والفقهية المقرونة بمصداقية الممارسة العملية وفي إطارها التاريخي الملموس، هي المقيَاس في تحديدات شريعتي الفكرية عند وضعه للكتاب: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ففي حين يتمتع الشيخ محمد مهدي الخالصي: الشيخ الإسلامي، مثلاً، بفضيلة الإبتعاد العملي عن الحكّـام العملاء المُنـصَبين من قبل الإدارة الإِستعمارية البريطانية المهيمنة على أوضاع العراق آنذاك، رغم تاريخ بعضهم في نطاق المواجهة مع المتسلطين الأتراك من الطورانيين، ودوره الجهادي الملموس في إطار المواجهة الشعبية العراقية العامة ضد المستعمرين البريطانيين المحتلين للعراق في بدايات القرن العشرين، والمناوئة التـامة للحكّـام الذين وثقت بهم الدبلوماسية والسياسية والعسكرية للغزاة المستعمرين البريطانيين في إدارة الشأن السياسي العراقي.

وهو الأمر الذي يذكرنا بواقع العملاء الحاليين: المعممين منهم أو غير المعممين، من شتى المذاهب والأديان والإثنيات الذين يقدمون خدماتهم السياسية للمحتلين الأمريكيين الذين ينفذون إستراتيجية المحافظين الجدد: الذين هم صليبيون متصهينين، من جهة أولى، ناهيك عن رؤيته الدينية الإسلامية الثاقبة وفق معالم تلك المدرسة المذهبية الإمامية وآرائها تجاه الظواهر المستجدة ووفقاً لِاجتهاداته الدينية، من جهة ثانية. وكلا الأمرين في الواقع الإجتماعي العراقي والسياسي القائم آنذاك، وكذلك الأمر من خلال مجمل الأعراف التي كانت قائمة حينذاك، هما اللذان كرسا زعامة العالـم مهدي الخالصي السياسية العراقية والدينية الإسلامية معاً، عند غالبية متبعي المنهج الإمامي.

وإذا أخذنا الترجمة العملية لذاك التوجه الفعلي في الزمن الماضي، وأجرينا المقارنة حوله في الوقت الراهن، كان المعنى الأساسي لذلك التوجه الذي وسم رؤية العالم المجتهد الشيخ مهدي الخالصي في مناقشة ما هو محدد ومحسوس على أرضية التحليل السياسي الملموس للموقف السياسي الملموس، هو ضرورة الِإلتزام بوضع المعايير السياسية والدينية الفقهية معاً، عند دراسة أية ظاهرة إِجتماعية وفكرية، أو محاكمتها تاريخياً لرؤية: أين قوتها؟ أو إدراك: أين مكامن الخلل فيها؟.

فهل جاء إغفال شريعتي عن الكثير من الأسماء «الِإجتهادية» مقصوداً نظراً لعلاقات سياسية معينة مع السادة أولوا الأمر الفعليين؟.

ربما.

من المعروف عن البعض «المجتهد» والمفكـِّر كان من النوع المهادن للقوات الأجنبية اللا مسلمة التي إِحتلت أرض العراق العربية الإسلامية، [٤٣]، بينما كان المجتهد الخالصي في مواجهته الإمبراطورية البريطانية التي إِحتلت العراق: القوة العالمية القاهرة في تلك الفترة... كان فارس الكلمة السياسية والدينية والممارسة المرتبطة بذينيك المعيارين: الرؤية والممارسة، تجاه تلك القوة البريطانية الغازية المحتلة، وهو ما عرضه لتشويه الجسم الصفوي المعمم، أساساً، بسبب التباغض والحسد ومسائل أخرى، من جهة، وجعل الأتباع الجهلة يصبّون جهدهم الغوغائي ضده عبر التظاهرات المناوئة له، من جهة أخرى،

من خلال رميه بمختلف النعوت المزيفة من أجل تسقيط رمزيته المذهبية، التي كان من بينها أنه «بهائي» النزعة والإيمان والتوجه، وهو ما دفعه للتصريح بأنَّ الخراسانيين قد «أهانوه أكثر من إهانة الإنكليز له»، [٤٤].

وذلك الموقف الصفوي تجاه ذلك الرمز العراقي المجتهد في الرؤية المذهبية: المرحوم الشيخ مهدي الخالصي، والمارِس لموقف سياسي ملموس على ضوء ذلك الإجتهاد في فترة إحتدام الصراع بين البريطانيين الغزاة المحتلين، من ناحية، والعراقيين الوطنيين والمقاومين، من ناحية أخرى، كان ينطلق من بُعدٍ فارسي إيراني جسدتُّه السلطة العنصرية الصفوية وترجمها عملياً، أتباعها العلماء الدينيون الفرس والهمج الرعاع من الجمهرة الفارسية، مع التغافل التام عن موقفه السياسي الصحيح تجاه المستعمرين البريطانيين للعراق، وهو الذي أبْعِدَ من العراق على خلفية رؤية سياسية واضحة تتعلق في كيفية إدارة الحكم في العراق، ومناوءته للحكّام الذين إرتضوا لأنفسهم أداء دور العميل أو المساوم مع المحتلين المستعمرين البريطانيين.

لقد كانت النهاية لحياة أبطال الإبعاد لكوكبة من العلماء ذاك وخصوصاً المرحوم الشيخ الخالصي، أو بالأحرى، بطله: وزير الداخلية العراقي: المرحوم عبد المحسن السعدون، الذي أصدر القرار الإداري المباشر بالإبعاد لتلك الشخصية الصادقة في تدينها وممارساتها السياسية: وفق قناعاته الدينية/ المذهبية، الإنتحار تاركاً وصيته القائلة «الأمة تنتظر خدمة، الإنكليز لا يوافقون. ليس لي ظهير. العراقيون طلاب الإستقلال ضعفاء، عاجزون وبعيدون كثيراً عن الإستقلال، وهم عاجزون عن تقدير نصائح أرباب الناموس من أمثالي. يظنون أني خائن للوطن، وعبد للإنكليز. ما أعظم هذه المصيبة: أنا الفدائي الأشد إخلاصاً لوطني، وقد كابدت أنواع الإحتقارات وتحملت المذلات، محضاً في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي وأجدادي مرفهين»، [٤٥].

أي أنَّ نوايا الوزير المرحوم عبد المحسن السعدون لم تكن منسجمة مع الواقع السياسي التطبيقي في تلك المرحلة والمفروضة من قبل المستعمرين المحتلين البريطانيين،

الأمر الذي جعله يشعر بعبء الواقع الثقيل من تلك الإتهامات الباطلة، والمعاناة الناجمة عن ذلك العبء التي وقعت وطأتها على ضميره السياسي والوطني، وهو الذي تقدم الصفوف على أرضية مطالب الإستقلال والإصلاح والتقدم في المراحل السابقة وخصوصاً عندما كان عضواً في مجلس المبعوثان العثماني. ولكنه لم يكن أمامه غير السلاح الناري حلاً لتلك الأزمة الضميرية، فأطلق الرصاصة القاتلة في فمه غفر الله له.

وفي ذلك الحدث الجلل الذي إفتدى السعدون عراق المجد بنفسه، وما ترتب على ذلك التصرف، [وكذلك غيره بالتأكيد]، مجمل دروس التطورات السياسية التي مر بها العراق العظيم وعموم منطقة الوطن العربي، مجرد عبرة تاريخية لكل مَنْ يتعاون مع الغزاة المحتلين لبلدهم، فكيف ستكون نهاية العملاء للغزاة الأمريكيين المحتلين للدولة العراقية الذي حدث في ٩ نيسان عام ٢٠٠٣م، في مرحلة تبلور فيها الكادر الوطني العراقي على كل الصعد، لإدارة الدولة العراقية بعد مرور قرابة ثمانين عاماً ونيف على تأسيسها؟!.

كان الموقف السياسي لأولئك الهمج الرعاع هو مجرد شظية عدوانية من القنبلة الصفوية الحاقدة على الشخصيات الوطنية العراقية المناوئة للمستعمرين البريطانيين خاصة، والمسلمين المخلصين لعالمهم الإسلامي بشكلٍ عام، التي أضافت الحكومة الإيرانية مواقفها السياسية الأخرى ضده رغم أداء المرحوم الخالصي لمختلف أنواع الخدمات التي كان من خلالها يعضِّد الدولة الإيرانية ويدعم نفوذ سياستها التوسعية والعنصرية المجرمة، وتسوغ لنزوع سلطة الشاه العنصرية في ميدان توسيع قواته المسلحة وإصدار فتواه حول ضرورة مساندتها بأموال الخُمس...

ولكن الشهيد الخالصي رغم كل مواقفه آنفة الذكر، كافئه الإيرانيون بالأثمان المعنوية المجزية: والتي كثفها الشاه بقوله/ توصيفه للشيخ الخالصي أنه «سخيف»، [٤٦].

ومن أجل أنْ يؤصِّل فكرته، يستطرد الشهيد شريعتي في إستخلاصاته التي تتمحور حول حقيقة أنَّ ما عجز عنه الأسلاف الشعوبيين لحكام إيران في الزمن العباسي في الماضي البعيد، قد تمكن الشاه وبطانته المعممة من الذين يرعون المفاهيم الصفوية والممارسات

الفارســية، من إرســائه بشكل مكين - وما يزال يلقي بتأثيراته الملموسة، كما نعتقد - وأدخلت، بالتالي، في كل مفاهيم المذهب أو المدرسة الإمامية، الذي كان يشكل الموروث الفكري لبعض الأئمة الإثنا عشر... أدخلت في نسيجه بحـرَفـيِّـيَة «صنّاع السجاد» الأساطير الفارسية القديمة، متسائلاً في مجرى تحليله ومناقشته حول بعضها بالتالي: «ما الذي يصنعه السحر الأسـود؟!»، [٤٧]، مثلاً، من أجل توضيح ما ينبغي توضيحه من مقاصده في تلك التساؤلات؟.

- هوامش الرصد الثامن -

[٤١] - حول الإنتفاضة: [ولأول مرة نرى عجباً وفق المعايير الدينية الإسلامية، يمارس مَنْ يزعمون أنهم أتباع آل البيت، البكاء واللطم على شهيد راحل إلى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين، وفوق ذلك، الندب على الشهيد الذي هو حي عند ربه يُرزق، وفقاً لأحد الآيات القرآن الكريمة. ولكن ما ينبغي متابعته هو تشكُّل السلطة في الوضع الإسلامي العربي، التي تمثلت بالخلافة، وموقف جميع الأفرقاء المسلمين منها، كان الإجماع بشأنها كاملاً، حيث اِتفقت غالبية المسلمين - إنْ لم يكن كلهم - على الإلتزام بحيثياتها، وعَدَّ بعضُهم الخروج عنها من قبيل الخروج على الدين، كون طاعة أولي الأمر طاعة واجبة والحساب على الأعمال الصالحة أو الطالحة متروك لله وحده، وكل المدارس ترى في «الأيديولوجية الإسلامية» المنهل الذي تغترف منه الشواهد التبريرية لمسارها وممارساتها.

ولكن الواقع الملموس وعلى المستوى العام، اِستمر في تعميق مجراه على أرضية فكرة الخلافة الأموية، أو المفهوم الحضاري العربي الإسلامي الخاص: أي الخلافة التي كانت عنوانٌ لمسار تاريخي طويل اِستغرق مئات السنين، وأمام اِحتدام مفردات الصراع ما بين الأجنبي غير المسلم والعربي المسلم، مثلما نراه ماثلاً في عراق اليوم وهو مناط الكتابة، فإنَّ الإمام الحسين الذي أعلن ثورته، اِقترح على محاصريه بالذهاب إلى «الثغور» لمحاربة الروم البيزنطيين؟. فهل يكون الجهاد الإسلامي الذي هو عماد الدولة الإسلامية، كفريضة إسلامية ضد مَن هُم من غير المسلمين، له الأولوية على جهاد الحاكم المغتصب أو الظالم؟، أولاً، ولماذا لم يستنجد الإمام الحسين بالقوة الرومية الأعظم لنصرته على أعدائه من أمويين أو غيرهم: أعدائه من مغتصبي الخلافة على وجه التحديد؟!، وهي القوة الرئيسة في ذلك العصر، كما هي القوة الأمريكية في هذه المرحلة الراهنة وهي قوة غير عربية وغير مسلمة - التي رحل إلى العاصمة الأمريكية: واشنطن ممثلو كل الأحزاب الطائفية وقياداتها المتنفذة أو المخولة وعلى رأسها حزب عبد العزيز حكيمي - نتساءل لماذا لم يرحل الثائر ضد الحاكم اليزيدي الظالم [الفاسق والكافر من وجهة نظر البعض]؟ إلى القوة الرومية البيزنطية الأعظم، ثانياً، أو الرحيل إلى عاصمتها في أحسن الأحوال بغية ضمان الأمن الشخصي على الأقل؟ لا مناصرته من خلال تبوء المراكز السلطوية التي يتحكم بها المحافظون الجدد، أساساً، الأعداء المحتلون وهم صهاينة صليبيون بإمتياز، ثالثاً، ولماذا يتلقى الساسة العملاء على تنوع اِلتزاماتهم المذهبية والسياسية والإثنية أوامرهم السياسية من أهل البيت الأبيض الأمريكي؟ ويمعنون في تمزيق الوحدة الوطنية لصالح الأمريكيين أساساً - وعوا ذلك أم كانوا

غير واعين - عبر الِاستمرار بقتل المواطنين العراقيين المقاومين والرافضين للسلطة ومن أبناء غير الرؤية الصفوية الفارسية بِاستخدام الوسائل التعذيب المختلفة من قبيل الدريل والرصاص والحرق والخنق؟!، رابعاً.

لذا يمكن القول، وبالتأسيس على ما تقدم من أسئلة وما تنطوي عليه إجاباتها: إنَّ التوسل بالقوة العالمية الصليبية الصهيونية هي من قبيل إنكار قدرة الخالق المطلقة، والإشراك بالخالق عبر «النية والعمل المضمرين» وخصوصاً في مسؤولياته الحسابية في اليوم الآخر، ناهيك عن مخالفتها الجوهرية لمسار الرؤية الإسلامية على صعيد كل التطورات التاريخية. تلخيص مكثف، من دراسة مطولة لي كتبتها حول الِانتفاضة الحسينية ومعنونة: كيف ينبغي فهم الظاهرة الحسينية، منشورة في العديد من المواقع الإلكترونية.

[٤٢] - راجع كتاب الدكتور موسى الموسوي المعنون الثورة البائسة الذي تناول الموضوعات التالية: بداية النهاية؛ سقوط الإمبراطورية؛ الماكرون؛ تصدير الثورة؛ ولاية الفقيه؛ الطابور الخامس في الإسلام؛ حرب الأحقاد؛ رفض الصلح؛ مهزلة الرهائن؛ النظام الإيراني وإسرائيل؛ الإرهاب بإسم الله؛ المحاكم الثورية؛ الخميني في الميزان؛ الرعب المدمر؛ المطاف الأخير. كما وضع في نهاية كتابه صورة زنغراف عن الشهادة العليا في الفقه الإسلامي (الإجتهاد) التي وقعها المرجع الأعلى للطائفة الإثنا عشرية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والمؤرخة في عام ١٣٧١ هجرية، أي قبل عشرات الأعوام.

[٤٣] - راجع الهامش المرقم ٨٩ المذكور في إحدى الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب.

[٤٤] - راجع كتاب الدكتور علي الوردي، المعنون لمحات اِجتماعية من تاريخ العراق، الجزء السادس من عام ١٩٢٠م - ١٩٢٤م، إصدار سنة ١٩٧٦م، الطبعة الأولى، النسخة المصورة في إيران، لنجد في الصفحات ٢٦١ - ٢٦٤ نص رسالة أبو الحسن الأصفهاني كنموذج لمفاهيم وأفكار « أولئك المجتهدين» موجهة للملك فيصل الأول، ملك العراق، من قبل كل من أبو الحسن الأصفهاني والمرزا حسين النائيني، والسيد عبد الحسين الطباطبائي والسيد حسن الطباطبائي، التي تضمنت «التعهد المطلوب منهم» بالتخلي عن مسؤولياتهم الأدبية في محاربة الِاستعمار البريطاني ومناوئة عملائه باللسان كما حث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على ذلك في العديد من مواقفه وأقواله، وفيها يؤكد الأصفهاني: «كنا أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة في الأمور السياسية والِاعتزال عن كلما يطلبه العراقيون ولسنا بمسؤولين عن ذلك، وإنما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم»... إلخ. أما شيوع مفهوم علماء الحفيز في المجتمع العراقي، وهو المفهوم الذي يتضمن معاني التعاون مع دائرة السرفيس البريطانية في بغداد، فقد كانت مثار

السخرية الشعبية عند عموم العراقيين، كونهم «عملاء للحكومة أو جواسيس لها» كما ورد في كتاب الدكتور الوردي، وذلك طوال العقود التي تلت ثورة العشرين العراقية الباسلة، وبصدد ذلك المفهوم يرجى مراجعة كتاب الوردي المشار إليه أعلاه، الجزء الخامس، القسم الأول، إصدار دار كوفان للنشر، لندن، ١٩٩٢م، ص ٣٧، ٣٨، وعلى التوالي.

[٤٥] - راجع المصدر السابق، ص ٢٥١. والبهائية التي ورد الإشارة إليها في النص هي حركة باطنية أرادت محاربة الدين العربي الإسلامي، وحركات التحرر، لذا اِحتضنتها «أجهزة الدعاية الإستعمارية الغربية، ودوائر التبشير العالمي» وكالت لها من الدعايات التي صورتها «حركة تقدمية تحررية جاءت لإنقاذ المسلمين من الإسلام المتعصب في نظرهم»، [ص ١٠٣]، بسبب نسخها الجهاد ضد الأجنبي وعملها في إطار مهادنة المستعمرين الغزاة المحتلين، ويرى الكاتب الذي أنشأ كتاباً عن «حقيقة البابية والبهائية» أنّ مؤسسيها لم يكونوا سوى «علوجاً من علوج المجوسية التي كانت تقف وراء الفرق الهدامة التي تآمرت على الأمة من خراسان»، [ص ٥٩]، وذلك كان كافٍ «لدفع كثير من الإيرانيين إلى الإيمان بأي شخص يدعي النبوة شريطة أنْ يكون فارسياً»، [نفس الصفحة السابقة].

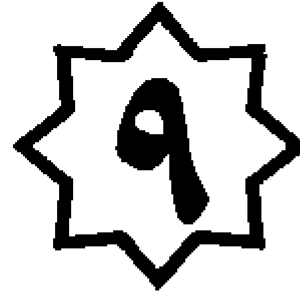
راجع ذلك الكتاب الذي ألفه الدكتور محسن عبد الحميد: كلية الشريعة - جامعة بغداد، والصادر عن «منشورات المكتب الإسلامي»، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هجرية - ١٩٦٩ ميلادية، دون ذكر لمكان الصدور، وإنْ كنا نعتقد أنّ ذلك المكان هو العراق.

والمؤلف هو أمين عام الحزب الإسلامي الذي شغل موقع عضو مجلس الرئاسة في الصيغة التي أوجدها المحتلون الأمريكيون للوطن العراقي وحطموا دولته واستباحوا شعبه اِستجابة لرؤية صهيوني إمبريالية بالأساس الذي نفذ مخططها السياسي بول بريمر، قبل صيرورته عضواً قياديا في الحزب، الأمر الذي يوضح مدى ضحالة المؤلف في مواقفه السياسية التي أدان ذات المواقف المرتبطة بالممارسات البهائية. في أية حال لنا وقفة مطولة مع هذا الكتاب من أجل فضح هذا المؤلف وحزبه سياسياً بناء على معايير قالوا بها سابقاً، وذلك في القريب العاجل.

[٤٦] - راجع كتاب السيد ناجي شوكت: رئيس الوزراء سابقاً، المعنون سيرة وذكريات ثمانين عاماً ١٨٩٤م - ١٩٧٤م، الطبعة الثانية والموسعة، مطبعة دار الكتب بيروت/ لبنان، ١٣٩٥ هجرية - ١٩٧٥ ميلادية، ص ١٣٧. مجرد اِتهام زائف وعالي اللعلعة وغير موضوعي، أدى إلى شعوره بعظم مصيبة الاِتهام، ودفعته غيرته الوطنية لتقديم حياته أضحية عن ذلك «العار» الذي لم يرتكبه، فماذا نقول الآن عن العملاء الذين اِستجلبوا العسكريين الأمريكيين: وهم ذوو نزعة صليبية متصهينة، لتدمير العراق كلياً؟ وماذا نسمي طلبهم المتكرر ببقاء القوات المحتلة تدنس تربة الوطن

العراقي المقدسة وتذيق مجتمعه المرارات كلها، بدءاً من الإعتقال إلى القتل وما بينهما من إجراءات غاشمة؟ أتكفي توصيفات العمالة والتجسس الذين يديرون عبرها ترس عجلة الإحتلال الأمريكي للعراق، الذي هم إثنيون وطائفيون؟.

[٤٧] - راجع كتابه الشيخ الأكبر أبي جعفر الصدوق، المعنون عيون أخبار الرضا، الجزء الثاني، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى - ١٣٧٨هـ، مطبعة أمير - قم - ص ٥٣ - ٥٤. والصدوق هو الملقب «بالشهيد الأول» و«الشيخ الفقيه إمام عصره» و«بالشيخ الثقة وجه الطائفة، رئيس المحدثين الثقة»، كما قال عنه أحد العلماء: «أمره في العلم والعدالة والفهم والنبالة والفقه والجلالة والثقة وحسن الحالة وكثرة التصنيف وجودة التأليف، وغير ذلك من صفات البارعين، وسمات الجامعين، أوضح من أنْ يحتاج إلى بيان، أو يفتقر إلى تقرير القلم في مثل هذا المكان»، [من المقدمة التي إستغرقت الصفحات ٥ - ١٠. كونه حظي بتكريم أحد الأئمة «المعصومين» عبر وصفه الإمام الحادي عشر «بالولد العالم»، وشكلت مؤلفاته التي أبرزها «مَنْ لا يحضره الفقيه» المعين الفكري المذهبي للطوسي للمفيد والكركي والمجلس الأول والمجلسي الثاني والحر العاملي وهاشم البحراني والخميني والخامنئي والسيستاني، وغيرهم الكثير، من فقهاء الرؤية الفارسية الصفوية.



معركة القادسية التاريخية
إلى ماذا تشير؟

الرصد التاسع

لقد جهد الفرس الصفويون في «مسخ» الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وتحويله إلى «إله كوني آخر»، [ك]،: الخليفة الراشدي الرابع كرم الله وجهه، وإبعاده كذلك، عن المعايير التاريخية الواقعية، بمعنى غير المنظور إليه وفق نظارات أيديولوجية ذات رؤية سياسية ومذهبية مسبقة، من حيث المضمون القيمي والأخلاقي والفعل الجهادي والقتالي، وهو الذي يشكل في نظر المسلمين، وبشكلٍ عام، أرقي المعاني التي تنطوي عليه صفات الفتوة والتضحية والإيثار والصدق مع الذات والمصداقية مع الآخر، للدرجة التي تجعله في ذاكرة أغلبية العرب وأقسام هامة من المسلمين، قوة المثال المحسوس والمجسِّد الرئيس للقيم الفروسية العربية الإسلامية...

وكانت الخطوة الأولى في تصويره معصوماً يستطيع «إقامة المعجزات» في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، حياً وميتاً، فالرؤية الفارسية الصفوية وكتبها تعاملت معه، وفق الأساطير الفارسية وليس على أرضية المعايير الإسلامية التي كان نصلها الآيات المحكمات في القرآن الكريم، وشفرة الأقوال النبوية الواضحة والدقيقة، [ص]، التي ينبغي تمريرها على شاشة النصوص القرآنية لمعرفة «غثها» من سمينها، فالإله الفرد الصمد الجدير بالقول القرآني: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يكشف كل الأقوال الزائفة للزمر العنصرية والطائفية، من قبيل ما جاء بهرطقات «الشيخ الأكبر والمحدث الأكبر جعفر الصدوقي: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ هجري»، كما تقول عنه منشورات دار الشريف الرضي، حول السيدة فاطمة بنت محمد، زوجة الإمام علي، التالي «إني سميتُ اِبنتي، لأنَّ الله

فطمها وفطم مَنْ أحبها من النار»، [ص ٥١]، و«إنّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»، [نفس الصفحة]، وعن زوج البتول يقول الرسول صلى الله عليه والسلام، وفق مزاعم الصدوقي «يا علي إنَّ الله تعالى قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك ومحبي محبي شيعتك فإبشر فإنك الأنزع البطين منزوع من الشرك بطين من العلم»، [ص ٥٢]، وفي قول آخر منسوب للنبي، [صلى الله عليه وسلم]، «عن جبرائيل، عن ميكائيل عن إسرافيل عن الله تعالى جل جلاله: أنه قال: أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق بقدرتي، فإخترت منهم مَـنْ شئتُ من أنبيائي وإخترت من جميعهم محمداً حبيباً وخليلاً وصفياً، فبعثته رسولاً إلى خـلقي، وإصطفيتُ له علياً فجعلت له أخاً ووصياً ووزيراً ومؤدياً عنه من بعدي إلى خلقي وخليفتي إلى عبادي يبين لهم كتابي ويسير فيهم بحكمي وجعلته العـلـَم الهادي من الضلالة وبابي الذي أوتي منه وبيتي الذي مَن دخل كان آمناً من ناري، وحصني الذي مَنْ لجأ إليه حصنته من مكروه الدنيا والآخرة، ووجهي الذي مَـنْ توجه إليه لم أصرف وجهي عنه وحجتي في السموات والأرض على جميع مَـنْ فيهن من خلقي لا أقبل عمل منهم إلا بالإقرار بولايته مع نبوءة رسولي، وهو يدي المبسوطة على عبادي، وه النعمة التي أنعمت بها على مَـنْ أحببته من عبادي وتوليته عرفته ولايته ومعرفته، ومَنْ أبغضته من عبادي أبغضته لعدوله عن معرفته وولايته، فبعزتي حلفت وبجلالي أقسمت أنه لا يتولى علياً عبد من عبادي إلا زحزحته عن النار وأدخلته الجنة ولا يبغضه عبد من عبادي ويعدل عن ولايته إلا أبغضته وأدخلته النار وبئس المصير «اللهم ثبتني على ولايته وولاية الأئمة من ولده صلوات الله عليهم أجمعين»، [٤٨].

وكذلك قال الرسول، صلى الله عليه والسلام، وفقاً لما رواه الصدوق، «... حتى إنتهيت إلى ما شاء الله عز وجل من علو مكانه فنوديت: فقلت: لبيك ربي وسعديت تباركت وتعاليت، فنوديت: يا محمد أنت عبد وأنا ربك، فإياي فأعبد وعليَّ فتوكل، فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي لك ولمن تبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خـلقت ناري ولأوصـيائك أوجبت كرامتي، ولسـيعتهم أوجبت ثوابي، فقـلت :

يا رب ومَـنْ أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد أوصيائك المكتوبون على ساق عرشي فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اِثنا عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اِسم وصي من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم مهدي أمتي، فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوصيائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلين بهم كلمتي، ولاطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذللن له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيام»،[٤٩].

أما خطوتهم التالية فقد تم توظيف هذه المبالغات المذهبية في سياق الرؤية السياسية «الطموحة» للمفاهيم الفارسية الصفوية، بغية سلب العقول النقدية عن المسلمين وجعلهم يسلمون زمام قيادهم لمثل هذه «الهرطقات» التي تتناقض جذرياً مع المفاهيم الحقيقية للإسلام والقرآن الكريم المحفوظ نصه من قبل الجليل العزيز الحكيم بنص آياته الكريمة، والسنة النبوية الشريفة، كما وثقها التاريخ ونقلها لنا بأمانة، فقد اِنطوت على المحاولات المتكررة التي بذلها الفرس الصفويون إلى «مسخه» إلى مجرد رقمٍ في سجلهم الفارسي الصفوي، وبالتالي تحويل خِلاله الحميدة والصفات النبيلة التي رافقت مسار حياة الخليفة الراشدي الرابع، [كرم الله وجهه]، إلى رموزهم «الملكية» الكسروية الإيلخانية، أي جعله مقرونة بأسماء حكامهم السابقين أو قادتهم العسكريين في الماضي البعيد، لإضفاء «السـجايا الكثيرة والخيرة» النابعة من خلال صفات الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، على وجه الخصوص، وبالتالي لصق هذه الخِلال بصفات حكامهم الفرس ومستوحاة من مزايا أولئك القادة العسكريين الفرس الذين كانوا يقدسوهم في معارفهم وأشعارهم، لاسيما من أولئك الذين قادوا المعارك العسكرية المجرمة ضد حمـلات الفتح

العربي الإسلامي الذي جاء لإنقاذهم من عبودية ذلك المجتمع المقدس للملوك والعابد للنار المجوسية... إنقاذهم من ذلك الوضع الآسن وتحويلهم نحو عبودية الإله الواحد الفرد الصمد الذي لا يولد ولا يلد، لقد صنّعوا من الحضور التاريخي للإمام علي بن أبي طالب، كصفات مميزة وخِلال موثقة، صورة ملموسة على قد مقاس قادتهم العسكريين على وجه التحديد، وإنْ كانوا مهزومين في معركة القادسية الشهيرة.

وأسبغوا هذه النعوت النورانية والصفات السامية التي كان يتمتع بها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - مثلاً - على القائد العسكري الفارسي رستم دستان، [٥٠]، المهزوم أمام جحافل المسلمين العرب وقادتهم الأبطال الشمم، كما صورته ملحمة ما يسمى بالشاهنامة التي كان يلقيها في حضرة الملوك الفرس: الشاعر الفردوسي، كما تعرضه القيادات الفارسية الراهنة من خلال ترتيب زيارات وفود عسكرية أجنبية للمتحف الذي يضم بعض آثاره الحقيقية أو المزورة والمقام في العاصمة الإيرانية: طهران بإعتباره: مؤسس العسكرية الإيرانية ورمزها، كما تروج دعايتهم! «ليس في ميدان الحرب بل في الخانقاه» بشكل أساسي.

ومن المعلوم، أنَّ «الخانقاه» مكان «ديني مزعوم» - ونقول عنه مزعوم على خلفية الرؤية الفكرية المؤسسة على أرضية التقويم الإسلامي لأماكن العبادة - كان مقراً لِاجتماع الدراويش وتزين حيطانه بصور أشخاص لم تألف وجوده الحضارة العربية الإسلامية، ويشبه هذا الخانقاه في الفترة الحالية، مباني ما يسمى بالحسينيات المشيدة بالأموال الإيرانية، والموشاة بصور الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، ورسوم أبنائه وأعدائهم المعَذبين بشتى الطرق، إضافة إلى صور «المراجع العظام» التي أبرزها صورتا الخميني والخامنئي...

إنَّ تلك الحيطان موشاة بالصور تلك على يد الزمر الفارسية الصفوية وأتباعها، في الوقت الراهن، وهي - في كل الأحوال - أبنية «دينية» - كما هو مفترَض - ولكنها في الحقيقة العملية التي تلخصّها منظومة الدعاية والإعلان: مخصصة للترويج الطائفي ونشر

البدع الدخيلة على مفاهيم الدين الإسلامي الحق، وبديلاً عن المساجد والجوامع التي هي مؤسسات وأبنية للعبادة والدراسة وتعليم التجويد القرآني، والتي حثَّ الدين الإسلامي كافة المؤمنين على تشييدها ورعايتها وخدمتها، بصريح النصوص القرآنية. يقول الله العزيز الكريم في كتابه العظيم «إنما يعمر مساجد الله مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أنْ يكونوا من المهتدين»، سورة التوبة، الآية رقم ١٨. وللإطلاع على دور المساجد، وأهميتها المركزية، في إشادة المفاهيم الحضارية العربية الإسلامية، يرجى مراجعة الهامش المرقم بـ[٤٠]...

أما أبنية الخانقاه: أي الأمكنة التي يتجمع فيها المريدون من السذج أو أصحاب النوايا الفارسية الصفوية من الذين يدعـّون إلتزامهم مفاهيم التصوف المذهبي، هي أبنية متخصصة في خدمة الدراويش في المراحل التاريخية السابقة، فيما يعلق شريعتي على تلك «الأبنية الدينية المقدسة» أنها كانت نتاج «للصفوية التي شجعت هذه الأماكن على حساب المساجد»، [٥١]، بالإضافة إلى محاولة خلق بطولات وهمية مستمدة من التاريخ القومي الفارسي، المزور غالباً، ونشرها فيها للتعميم على الآخرين.

وكذلك جعل الأعياد القومية الفارسية: كعيد نيروز مثلاً - الذي هو اليوم الأول للسنة الفارسية الجديدة وفقاً للتقويم الذي يتخذ التاريخي الفارسي يوماً إبتدائياً للإحتفال به، جزءاً من التراث الديني الإسلامي، وتزوير المعاني التي يتضمنها هذا العيد من حيث العقاب والثواب، من خلال الإدعاء بأنَّ بعض الأئمة الإثنا عشر كالإمام جعفر الصادق وأبية الإمام محمد الباقر قد أكدوا الآثار الإيجابية إلى أنَّ هذا العيد هو أفضل من عيدي فطر المبارك والأضحى المقدس اللذين نصَّ عليهما الدين الإسلامي في القرآن والنصوص النبوية العديدة.

إذ أنَّ مجرد صلاة ركعتين - على سبيل المثال - تخص عيد النيروز تعادل سبعين حجة {؟!} - وفقاً لمزاعمهم الرهيبة - إلى بيت الله الحرام، [٥٢]، في حين أنَّ الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان قد أكد أنَّ كل يوم هو في حقيقته «نيروز» أي اليوم الجديد باللغة

العربية، فيما أكد الإمام جعفر الصادق، كما يروي أحد العلماء المتفقهين المرموقين، بأنّه قال: «لقد فتشت أوراق جدي فلم أجد أي شيء عن هذا العيد، وكرر قول الإمام علي بأنّ كل يوم هو يوم جديد».

لقد جعلت الرؤية الفارسية الإيرانية، كما يسوقها الفقهاء الصفويون الدائرون في فلك تلك الرؤية العنصرية والطائفية، من «الفرسان» المعممين لمدينة «قُم» وما شابهها في المدن الجغرافية البعيدة أو القريبة منها... جعلوا منها الطريقة الأيديولوجية الملزِمة لأتباعهم، مع خلطها بالمفاهيم الإسلامية الحقيقية أو الزائفة عبر اِستغلال أساليب الطريقة الإمامية في التفسير أو المارسة وفق النهج العلوي الصحيح والقويم... أي أنهم جعلوها وسيلة لتمشية مصالح نظامهم «الإسلامي» الراهن، مستخدمين أحلام «زعماء إيران وحكامهم»، لنشر التضليل «الفكري» لأقانيمهم «المقدسة» المزعومة وخرافات فتاواهم الساذجة، وتجنيد الإمعات لتنفيذ مشاريعهم السياسية تحت مقولات «الشرق الإسلامي الكبير»، التي هي الفضاء الدعائي للرؤية الفارسية الصفوية في بعض مناطق الوطن العربي، فمن يعمل على صناعة الشرق الإسلامي الكبير فعلاً وحقاً، لا يلجأ للتفتيت المذهبي بين أبناء المجتمع الواحد، ولا يحارب الشعوب المسلمة، ولا يعادي الظواهر الإسلامية لصالح التعصب المذهبي، ولا يناهض الأوطان المسلمة بالتحالف مع أعداء المسلمين، من قبيل تعاونهم الموضوعي - وربما المقصود - مع «المحافظين الجدد: الذين هم مسيحيون صليبيون صهاينة» ضد العراق وأفغانستان.

أو، وفقاً لتعبير صاحب صياغة مقدمة الطبعة العربية لكتاب الشهيد علي شريعتي: المترجَم عن اللغة الفارسية عبر قوله/ تسجيله حقيقة الموقف السياسي الكلي، إنَّ الجسم القيادي الإيراني يرى التالي: «من الضروري أنْ يكون الإسلام لإيران» أي أنْ يكون فارسياً صفوياً، كما تشير إليه المارسة الحالية للدولة الإيرانية، جاء ذلك القول على الشكل الآتي: «منذ الأيام الأولى للثورة الإسلامية في إيران كان هناك جدلية ساخنة بين مَنْ يقول (إيران للإسلام) وبين مَنْ يقول (الإسلام لإيران) وأخيراً حسمت الجدلية لصالح الفريق الثاني

وبفوز ساحق، ولا شك أنَّ لتركيبة الشخصية الإيرانية دوراً مهماً في تحقيق هذا الفوز»،[٥٣]، والشخصية الإيرانية التي يشير إليها الكاتب هي الحقيقة والواقع جماع حالة تثقيفية مديدة على أرضية المصلحة الفارسية الصفوية، وليست ناجمة عن مصادفات وخرافات عرضية.

وكذلك جعلت من بعض الأئمة الأطهار أو كلهم، بالرغم من عدم التحقق التاريخي عن الوجود الحياتي الفعلي للإمام الثاني عشر، كما تم عرض الحيثيات التاريخية النافية لذلك الوجود من خلال الشاشات المرئية: محطةُ «الحوار» الفضائية التي تصدر في بريطانيا، ولعل مَنْ صاغ الإستنتاجات حول هذه المسألة كان من بين أبرزهم ما أطلق على نفسه اِسم أحمد الموسوي،[٥٤]، الذي كان هو أحد أبرز قيادات منظمة ما يسمى بمنظمة العمل الإسلامي، وأحد اللاعبين الدعائيين في المشروع الفارسي الصفوي الإيراني إبان صعود حركتها التغييرية ضد سلطة الشاه ونجاحها، ودعوتها «لتصدير الثورة إلى الخارج»...

في الحقيقة القائمة على التجربة السياسية الحسّية قد جعلت منهم الرؤية الفارسية خرطوشاً في السلاح الطائفي الصفوي الإيراني، كما يقول اللبنانيون، وأداة طيعة في خدمة المشروع السياسي لملالي طهران من الذين يهدفون فيه أغلب التعاليم المذهبية الصفوية في مساق خدمة الرؤية الساسانية الفارسية الإيرانية القائمة على الوهم التاريخي الذي لفقّوه، أو الأسطوري على وجه التحديد،[٥٥].

بل ذهبت الرؤية الفارسية الصفوية في نهجها الآثم، خطوات أبعد مدى في الإساءة لمضمون الرؤية الإمامية الاِثنا عشرية الفعلية، وجعلت الممارسات المفتوحة المتكاملة لهذه المدرسة الصادقة مع ذاتها ومع الآخر، ومنذ اِلتحاق الرسول العربي الكريم، [صلى الله عليه وسلم]، بالرفيق الأعلى كما تجلت في الممارسات العملية للإمام علي بن أبي طالب وغالبية أبنائه... جعلت المجالس الإسلامية التي كانت تُعقد للحوار والمناقشة التي تميزت بالصراحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، علناً في تلك الفترة التي كان فيها الرسول الأعظم، [صلى الله عليه وسلم]، على قيد الحياة...

جعلتها مجرد مجالس تآمر خبيث لا هَـمَّ فيها للصحابة رضوان الله عليهم إلا التواطؤ على مستقبل آل البيت العلوي الهاشمي، وبالتالي اِغتصاب حقهم في الخلافة السياسية، [٥٦]، في حين يدرك الجميع المخلص من المتدينين أنَّ أئمة آل البيت - مثلاً - كانوا متعاونين حتى بالتفاصيل الصغيرة مع الخلفاء الراشدين: خلفهم صلوا وتحت رايتهم جاهدوا وفي حضرتهم اِختلفوا في إطار المقولة المعروفة «إنَّ اِختلاف أمتي رحمة»، كما قال الرسول المصطفى، [صلى الله عليه وسلم]، واِجتهدوا في الأمور الدنيوية، مثلما تمتعوا بأعطـياتهم وشـاركوا في نيل الغنائم التي وردت جراء فتح جيوشهم الإسلامية، وصاهروا بعضهم: كما هو الحال مع الخليفة الراشدي الثاني: عندما تزوج الخليفة الراشدي الثاني الفاروق عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه]، كريمة الإمام علي بنَ أبي طالب، [كرم الله وجهه]،: أم كلثوم رضى الله عنها.

- هوامش الرصد التاسع -

[٤٨] - راجع المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٣٨.

[٤٩] - راجع كتاب الدكتور علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٠ - ٢٦١، ومما جاء في تلك الفقرة التالي: «فقد أشارت إحدى الوثائق البريطانية السرية أنَّ رضا خان كان ينصح المجتهدين بالعودة دون أنْ يهتموا بالخالصي وكان يقول لهم أنَّ الخالصي رجل سخيف خالي من التعقل وأنه آلة بيد اِبنه الشيخ محمد».

[٥٠] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧ - ١٦١. ويعلق الدكتور شريعتي على السحر الأسود: الكيميائي الخاص بالتخدير الاِجتماعي بالتالي: «اِستطاعت بتروكيمياء الإستحمار الصفوي أنْ تنتج معجوناً غريب الأطوار مركباً من العناصر الثلاثة - التصوف الإسلامي والقومية الإيرانية - وفي تقديري أن القومية الفارسية هي التسمية الأصح - والسلطنة الصفوية واِجتمعت بها الأضداد والنقائض، ورغم اِستحالة ذلك عقلياً، فلقد تحقق عملياً وجرى الاِختبار بنجاح في مجتمعنا الديني على مدى ثلاثة قرون حتى اِعتاد الناس عليه!»، ص ١٦٨، من المصدر السابق.

[٥١] - تقول عنه الروايات المتوارثة والتي يحرص الفرس الصفويون على ترددها دائماً... تقول التالي: هو «بطل أسطوري فارسي، من أشهر أبطال «الشاهنامة» للفردوسي. اِبن زال وأبو سهراب. فارس مغامر. تغنّى الفردوسي ببطولته ومغامراته، وزيّن الفنانون الفرس مخطوطاتهم بمشاهد أخباره»، كما ورد في المنجد في اللغة والأعلام، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٣. و«الشاهنامة هي ملحمة الفردوسي المؤلفة من ٦٠،٠٠٠ بيت في أخبار ملوك الفرس وأساطيرهم، أشهر أبطالها رستم، عمل على ترويجها السلطان محمود الغزنوي»، المصدر السابق، ص ٣٢٩، اليوم يحرص الصفيون الفرس المهيمنون على السلطة في إيران على ترويج الخرافات ومختلف الأساطير عنه، ويجهدون على إطلاع كافة الوفود العسكرية على متحفه في إيران، بغية الحديث المتنافخ عن العسكرية الفارسية، وهي العسكرية التي لقنها جيشنا العراقي دروساً في معاني البطولة والرجولة، ومرغ رؤوس قادتها العسكريين في وحول الهزائم العسكرية، وجرّع رمزهم الأكبر السم الزعاف قبل أنْ يجبره على الموافقة على وقف إطلاق النار في الحرب بين العراق وإيران في ٨ / ٨ / ١٩٨٨م، التي شهدها العُقد الثمانيني من القرن المنصرم.

في أية حال، أنَّ معارك الفتح في الشرق كانت تسير جنباً إلى جنب، أو على التوالي معها، لمعارك الفتح في الغرب. وإذا اِختزلنا السنوات والأعوام التي اِستغرقها الفتح المشار إليه، وتم النظر

المتفحص للتطورات التي أعقبت الفتح، وفق نظرة كلية تلتقط الجوهري والمركزي في الرؤية العالمية، فإنَّ ما يمكن تكثيفه هو التالي، واعتماداً على الخلاصة الفكرية والسياسية التي سجلها المؤرخ الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه عن سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، بعد عرضٍ مفصل للوقائع التاريخية التي شهدت معالم الصراع وفصول الحرب بين العرب المسلمين، من ناحية، والفرس المجوس الكسرويين، من ناحية أخرى:

«١ - سيادة السلام من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي وانتهاء الحرب العالمية الدائمة التي شملت المنطقة قروناً بين الفرس والروم، فاطمأن الناس من كافة الأجناس والأديان إلى دمائهم.
٢- إلغاء كافة أنواع الضرائب والاكتفاء بالجزية والخراج وتحديد قيمتها تحديداً ثابتا، فاطمأن الناس اقتصادياً وعمّهم رخاء لم ينعموا به من قبل. ٣ - إلغاء امتيازات الطبقات وإعلان حقوق الإنسان وتحقيق المساواة بين الناس لأول مرة في التاريخ، فتمتعت هذه الشعوب بحريتها الاجتماعية. ٤ - كفالة الحرية الدينية لكافة الناس في الديار المفتوحة، فاطمأن الناس على أديانهم وعقائدهم، لا يجبرهم أحد على عقيدة معينة، لأنَّ عقيدة الفاتحين كانت (لا لإكراه في الدين).
٥ - ظهور الإسلام كدولة لها مكانتها وقوتها وسطوتها في العالم، ولها تشريعها وقوانينها، ولها قِيَمُها ومُثُلها، ولها حضارتها وعلومها ومعارفها التي سادت في العالم، فأدّت دورها الذي لا يُنْكَر في تاريخ الحضارة وازدهار العلم والمعرفة»، راجع كتابه المعنون سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، إصدار دار النفائس، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هجرية - ١٩٨٧ ميلادية، ص ٣٠٨.

ومما يجدر ذكره، أنَّ التاريخ الحي والواقعي التي شهدته المنطقة التي تحاربت بها الأطراف المتقاتلة، لم يكن كله على تلك الصورة الوردية والمثالية تلك التي ذكرها الكاتب، فقوانين الحروب وردود الفعل والأفعال خرجت عن نطاق التعاليم المثالية للدين الإسلامي الحنيف، وكان للحكام الذين أداروا بعض تلك الحروب والأوضاع السياسية وطابع العصر في مجمل صراعاته، الأدوار الملموسة في إفراز بعض النتائج السلبية التي ترافقت وتلك السنوات الطويلة من ذلك الزمان التي كان فيها الصراع المسلح هو المظهر الأبرز.

[٥٢] - يرجى مراجعة كتاب حضارة العراق، الجزء التاسع، تأليف نخبة من الأساتذة العراقيين، مبحث الدكتور عيسى سلمان الحمد، المعنون العمّارات الدينية: المساجد والمساجد الجامعة، ص ٤٥ - ١٣٢، إصدار دار الحرية للطباعة - بغداد، الطبعة الأولى - ١٩٨٥م. إذ يلقي الدكتور الحمد الضوء على دور المساجد في قيام الحضارة العربية الإسلامية، وذلك على الصفحات الثلاث الأولْ،

فـقد كانت تلك المساجد «المركز الرئيس لنشوء المدن الإسلامية، وتعلن فيه سياسة الدولة وتوجيه المؤمنين وتبصيرهم بواقع الأمر، ومنها تصدر أخطر وأهم القرارات السياسية، وتنصيب الخليفة أو ولي العهد وإعلان قرار الحرب أو قبول الصلح، ومنه تنطلق الجيوش لحماية إستقرار البلد، وفيها كانت تتم التوعية والتثقيف، وتنمو فيه حلقات التدريس للدين الإسلامي والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية»، ويؤكد الباحث الحمد: «خلاصة القول أنَّ وظائف المسجد والمسجد الجامع كانت دينية وتعليمية وسياسية وإجتماعية واقتصادية بذل المسلمون الكثير في تعميرها وصيانتها وتحليتها بما يتناسب ومكانتها في حياة الأمة».

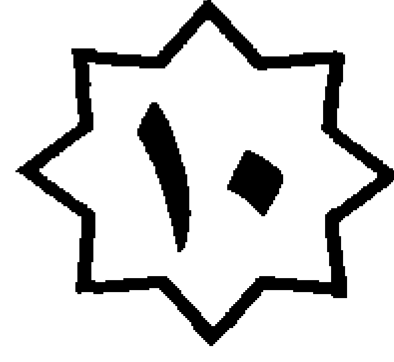
[٥٣] - راجع كتاب الدكتور الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

[٥٤] - وحول ذلك العيد القومي الفارسي يورد كتاب مفاتيح الجنان التالي: «وأما عيد النيروز فهي ما علمها الصادق [ع] إلى معلى بن خنيس، قال: إذا كان يوم النيروز، فاغتسل والبس أنظف ثيابك، وتطيب بأطيب طيبك، وتكون ذلك اليوم صائماً»، ص ٣٥٥، وما يترتب على ذلك من تعطيل لفروض الدينية وتقديس الأوهام، وقد ورد ذلك في الفصل الحادي عشر الذي تضمن الموضوع التالي: «في أعمال عامة الشهور وأعمال عيد النيروز وأعمال الأشهر الرومية».

[٥٥] - راجع ذلك في مقدمة كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

[٥٦] - نقول الذي يسمي نفسه بأحمد الموسوي أو أحمد الكاتب، ويقدِّم نفسه على أنه هو ذاك، في وقتٍ أنَّ إسمه الحقيقي هو عبد الزهرة اللاري، الأمر الذي يعني أنه ما زال يخفي هويته الحقيقية، رغم أنَّ أسباب - إذا ما كانت صحيحة فعلاً - تخفيه قد أزيلت من التأثير على حياة الأفراد، مما يثير الكثير من علامات الشك على الأسباب الحقيقية عن ذلك «النفاق» السياسي.

إذ هو من ولادة كربلاء، لعائلة إيرانية، وهو فارسي الهوى، وكان من أنصار الأخوين محمد الشيرازي الذي توفي في طهران، وحسن الشيرازي الذي قُتل في بيروت، ولم ينكر اللاري دوره الإعلامي التخريبي الذي كان من بين العوامل التي أدت إلى الحرب العراقية الإيرانية - العراقية، من خلال تبوئه مركزاً «إعلامياً» ودعائياً في الإذاعة الرسمية الإيرانية في مرحلة صعود الثورة الإيرانية التي كان رمزها المجتهد الأكبر روح الله الخميني، وفاخر الجميع حول دوره في إدارة البرامج الدعائية الفارسية ضد العراق، وذلك من خلال حوار مطول أجراه السيد عزمي التميمي عُرض في فضائية «الحوار» التي تحاول تقديم صورة مثالية عن الأحزاب المتأسلمة أو الرؤية الدينية السياسية الإسلامية.



المبالغات على ضوء المفهوم؟

الرصد العاشر

وعلى ضوء ذلك، تم سعي الفرس الخبيث إلى تهجين «الفكر الإمامي: كمدرسة» بالتصورات الخرافية والأساطير المكرورة للموروث الفارسي، التي لا تليق بالإدراك العلمي ولا تنسجم مع المفهوم العقلي السليم، ولا تتوافق - كذلك - مع الذائقة التاريخية والمدركات العقلية التي كانت الرسالة العربية الإسلامي تحث على ضرورة التمسك بهما عند النظر للتطورات في أي مجال كان، من قبيل ترويجهم الخرافة التالية: أنَّ الله خلق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين {خمسة أهل الكساء} قبل أنْ يخلق الكون ذاته، متجاوزين الإحترام لكل الأنبياء المرسلين من قِبَل القدرة الإلهية، وهم المفضلون: أي الأنبياء عنده أكثر من كل البشـر، بما فيهم أولئك الأئمة الإثنا عشرية، على أقل تقدير.

الفرق بين الفلسفة المثالة الخالية من أي بعدٍ للممارسة العملية، من جهة، والفلسفة القائمة على التجربة العملية واستخلاص دروسها القابلة للموازنة والقياس، من جهة أخرى، تكمن أساسياتها في القابليات التطبيقية لما ينبغي أنْ يكون عليه الوضع في المستقبل، وبالتالي يمكن فرز الصحيح من الخطأ في المجال النظري والعملي، وهو ما يمكن البرهنة على نتائجه الفلسفية في الواقع. أما النقاش المجرد عن أي تجربة فعلية، وخارج نطاق البعدين «الزماني» و«المكاني» كمفهومين علميين، سيجعل أي نقاش حول محتواه ممتداً من دون نهاية حاسمة، لأن الأمر المتناقش حوله سيكون: قلنا، وقلتم، دون أية إمكانية لأنْ يثبت أي خائض في هذا النقاش أية فكرة صحيحة في الحياة، وهو الذي جعل الله يقرن الإيمان وفقاً للقرآن، المقولة الإسلامية، بالعمل والممارسة اليومية، ويعطي كذلك للنية والصدق بعدهما في الإستقامة دورها العملي في التقويم.

وفي حين - لذلك وكذلك - يدرك الجميع أنَّ الله وضع معايير العمل الصالح في الحياة الدنيا هي الفيصل والمعيار الأساسي عند المحاسبة، وذلك في يوم الإمتحان الكبير في اليوم الآخر، أي يوم القيامة، كما نص على ذلك القرآن الكريم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾، [الآية رقم ١١٠، من سورة الكهف]، وهناك عشرات الآيات التي يتكرر معها ذات المعنى. العمل الصالح في الحياة الدنيا هو المعيار الموضوعي الذي يقيِّم مسار الإنسان في نهاية الأمر، لا التوسل بالخرافات أو الأقوال البعيدة عن أي معيار عقلي..

ووفقاً للأمثلة التي ترد في كتاب الشهيد شريعتي، حول ذهاب الرؤى الفارسية بعيداً في خلط الأوهام المستمدة من التراث الفارسي حول المبالغات، ببعض التأويلات غير المنصفة لما جاء ببعض الآيات القرآنية الكريمة، يستشهد العالم شريعتي بالقول الذي زعم فيه أحد العلماء الصفويين حول: الخلق وبدايات الوجود وفق النظرة الدينية الإسلامية والتبجيل المزعوم للرسول والخليفة الراشدي الرابع وأبنائه، للبرهنة على أحد إستخلاصاته العلمية تجاه الرؤية الصفوية المخالفة لما جاء به القرآن الكريم.

يقول ذلك العالِم الصفوي: إنَّ الرسول الأعظم، [ﷺ]، والإمام علي بن أبي طـالـب، [كرم الله وجهه]، والصدّيقة فاطمة الزهراء بنت الرسول، هم أساس الخلق والبدء الحياتي للإنسانية، فقد فضل الله الثلاثة عند خلقه لهم، على البشر كافة بما فيهم الأنبياء والرسل، أو كما تقول الرواية الصفوية الفارسية: «كان الله واحداً في وحدانيته ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، ومكث ألف دهر ثم خلق الأشياء كلها»، [٥٧]، فيما ينسب «المقدس» الأردبيلي: وفق ما أسماه الشهيد شريعتي أحد العلماء الكبار في إيران، إلى الإمام علي بن أبي طالب قوله:» أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي

أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي {...} أنا أحيي وأميت بإذن ربي، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي، وأنا عالم بضـمائر قلوبكم والأئمة من بعدي من أولادي (ع) يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنا كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلّنا محمد»، [٥٨]، فهل كان الإمام السادس عند أتباع الرؤية الإثنا عشرية والمسمى أبو عبد الله جعفر الصادق رضى الله عنه يهرف بما لا يعرف عندما قال، وهو يخاطب أصحابه: كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا!، كونه كان يدرك موقع تلك المبالغات في منظومة المفاهيم الدينية على ضوء حقيقة المعايير الإسلامية؟!.

ولتلقيح تلك البلاهة اللاعقلانية الزائفة على العقول الموالية لآل البيت وفقاً للمزاعم من أصحاب الرؤية الصفوية أو الأشخاص السذّج، تمكنت إيران من جعل الرؤية الإمامية مجرد طقوس مقرونة باللطم والزناجيل وقعقة السيوف وصْفـْق الطوس ولبس السواد، أي تغيير النهج الإمامي القويم في الحق القائم على الأمر بالمعـروف والنهـي عن المنكـر عير الحوار والمنطق والإرشـاد، حتى لو أدى ذلك النهج للتضـحية بالنفس أو النفيس... بـ«تبديل ماهية التشيع الأحمر» في كناية عن روح التضحية في سبيل الحق الذي يميز فرسانه، وهو الذي «فجّر في النفوس روح الثورة والرغبة بالتحرر وإقامة العدل ومقاومة الجور والفقر والجهل ببسالة وعزم لا يلين»، [٥٩]، إلى تقاليد اِمامية موشاة بالسواد الدائم والألوان القاتمة في كناية عن مذهب تقليدي خاص «بالعزاء والحداد»... أي من خلال جعله «تشيعاً أسود» بكـّاءً هجـّاءً سبّاباً، بدلا من رؤية اِستشهادية رائدها الحق والإنصاف، ومعيارها تغيير المنكر بالقلب أو باللسان أو بالأيدي، كما ذهب إلى ذلك الرسول العربي الكريم، [ﷺ].

واللون الأسود، في أية حال، هو لون الظلام والذبول والموت الذي فضلت اِرتداءه الصفوية الطائفية بذريعة عقد مجالس العزاء حول المصيبة الحسينية، كما يرى الشهيد شريعتي، بدلاً من جعل اللون الأبيض الذي كان رسول الله محمد، [ﷺ]، يفضله عند اِرتداء ملابسه، على الألوان الأخرى، كما تقول الروايات عنه، النموذج الذي يحافظ على

لبسه المسلمون أينما كانوا، علاوة على ضرورة جعل أمثولة الثورة الحسينية بقعة الضوء التي تحّث المظلومين على الإِنتفاض والثورة ضد الغزاة الذين يدنسون الأرض العربية الإسلامية من خلال مفهوم «جهاد الدفع» أو مناوئة الظالمين، [٦٠].

لقد ذهب الحسين إلى العراق، وأعلن عدم إِنصياعه للحاكم المسلم الجائر غير الحائز على شروط الخلافة وفق المعايير الإسلامية الحقّة، ولكن جيش يزيد أراد إرغامه على المبايعة، وكان للسيف - في النهاية - الحكم، وأستشهد الحسين بن علي بن أبي طالب، بالدفاع عن حق الأمة في إِختيار حكامها. وفي هذا الموقف البطولي الباسل أصبح الحسين رمزاً لنهج ثوري صريح وقدوة ماثلة على الدوام، ورمزاً حاضراً في كل التاريخ الإنساني بالنسبة لمن يعرفون وقائعة العربية الإسلامية، وكذلك تستحث هذه الأمثولة جميع الباحثين عن العدل والقيم الدينية الإسلامية الحقيقية، ولكنه كذلك، أصبح المثال الأبرز عند مَنْ يعتقدون بمعصوميته الجامعة، إنَّ هذا الإيمان يفرض على كل المؤمنين به إِنتهاج طريق الإمام الحسين من خلال الثورة على الظالمين، ناهيك عن المحتلين ومناوئي الدين الإسلامي وقيمه الإنسانية.

إنَّ تحويل أمثولة الحسين التاريخية وموقفه التاريخي المبادر، إلى مجرد طقوس وعادات لا تمت بصلة للدين الإسلامي وأفكاره الحقيقية ومضامينه الإنسانية... إنَّ تحويل كل تلك الأمثولة: لا تعد تجاوزاً على الدروس الحقيقية الفعلية للثورة الحسينة فقط، وإنما هي إساءة لمفهومها العملي أيضاً، وإذا شئنا تطبيق المثال التاريخي الذي أرسى دلائله الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه على الواقع الراهن فماذا يمكننا الإِستخلاص على ضوء اللحظة التاريخية الراهنة؟.

العراق في الحاضر الراهن يتعرض للإِحتلال العسكري الأمريكي الملموس مادياً، والفكر الذي يوجه هذا الإِحتلال هو الأطروحات السياسية والفكرية للمحافظين الجدد، ومن المعلوم أنها أطروحات فكرية صليبية صهيونية معتدية، وموقفها مناويء للدين الإسلامي على طول الخط، فهي تعتبر الدين الإسلامي ديناً شيطانياً، والرسول العربي

الكريم هو الإرهابي العالمي الأول، ولهم اعتراضات جوهرية على القرآن الخالد، الذي ربع آياته مخصصة لمناقشة دعاوى اليهود الباطلة ضد الدين الإسلامي الجديد.

ومع ذلك لم ينتهج الموالون المزعومون للحسين بن علي بن أبي طالب، طريقه الواضح والصريح والمبدئي الحازم، بمواجهة الظلم، رغم أنه كان يثور على حاكم مسلم جائر: ربما كان إيمانهم بالقول وليس عبر العمل والمثال... باللسان وليس المقرون بعمل اليد، فهل مقياس القول النظري أهم من معيار العمل الممارس؟. فتوُقف فريضة الجهاد ضد الغزاة لديار الإسلام وتعطيلها عملياً، بذريعة المثل الشائع المذموم المستسلم: الذي يأخذ أمي أسميه عمي، كما هو حال موقف ما يسمى بأعضاء المجلس الحاكم/ المحكوم - مثلاً -!.

إنتهاج الطريق الحسيني الصريح والواضح، لا إتباع طريق الرؤية الفارسية الصفوية من قبيل السير خلف أطروحاتهم السياسية بذرائع سخيفة ومقولات زائفة قائمة على تزوير ما هو صريح في القرآن والسيرة النبوية والمنطق والعقل، ومقولات مخاتلة وتفسيرية متعسفة تستبطن المخفي من الخطط السياسية، وتعلن غير ما تظهر بالإستناد على مزاعم «التقية»، كما هو حال ما يقوله ويعمله العملاء المتسلطون على السلطة السياسية في العراق الراهن الذين جلبتهم القوات الأمريكية الغازية من بلدان المنافي، والتي تحميهم أيضاً.

وفي أية حال، فإنَّ التقية هي مفهوم يلعب دوراً مركزياً في تنفيذ السياسات المزدوجة تجاه الآخرين، فمن خلال هذا «الموشور» يرى أصحاب نظرة «التقية» العلاقة بين المؤمن والمسلم، ومن بين تلك العلاقة يرون الفرد فيما إذا كان مؤمناً، ومضمونه معيار الولاية، من ناحية، أو كافراً مضاداً للإسلام: أي عدم إيمانه بمعيار الولاية، هذه هي النظرة الأساسية لمفهوم التقية، أما الممارسات الأخرى التي يجري ممارساتها تحت هذا البند فهي إضافات لهذا المفهوم، المسألة المركزية هنا ما يتعلق بقضية «الإضمار»، واللا اعتقاد، وسوء الظن بالآخر، من أجل الغدر به وتصفيته حين تحين الفرصة، إنْ لم يكن متطابقاً معه في طبائع التفكير والتقرير.

و«التقية» الممارسة على ضوء المفهوم الفارسي الصفوي، وهنا نتناول البعد التطبيقي في السياسة وليس مناقشة الأصول الدينية المجردة، هي مفهوم مخالف وعلى طول الخط، وبشكل مطلق، للمسار الحياتي لأئمة المدرسة الإثنا عشرية: الذين كانوا يدعون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل الأحوال ومختلف الظروف، وذلك من خلال توجيه الأسئلة إليهم أو العمل الثقافي في مدارسهم ومحاضراتهم، وإذا كان الرسول العربي الكريم، [ﷺ]، لم يتبع خلال أساسيات دعوته الإسلامية مباديء «التقية»، إذ أنَّه نموذجهم الملهم عندهم، وبالتالي تجعل اتخاذهم له المثل الأعلى في كل حياتهم: السرية والعلنية، هي القدوة والبوصلة المتبعة، فالرسول الكريم، [ﷺ]، لم يسلك طريقاً موارباً عندما صدع بوحدانية الله، إذ أنه، [ﷺ]، لم يقلّص عدد الآلهة الزائفة: الأصنام من المئات إلى القول/الدعوة إلى الإثنين أو الثلاثة، من أجل كسب بعض القبائل الكثيرة العدد وذات المنعة القوية وصاحبة الشوكة القتالية.

والأئمة الإثنا عشر كانوا من هذه المدرسة المبدئية النبيلة، فالإمام علي بن أبي طالب يقول: «ما شككت بالحق مذ رأيته» لذلك فهو يؤكد أنَّ «الحق لم يبق لي صاحب»، إذ يجزم «ما كذبت ولا كُذِّبْتُ ولا ضَلَلْتُ ولا ضَلَّ بي» فهو يؤمن «مَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته»، و«مَنْ عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومَنْ أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس»، فضلاً عن أنه كان أبياً على: «كراهة الإدهان في دينه» وذلك عندما تقدم إليه المغيرة بن شعبة بضرورة تثبيت عمال عثمان في مناصبهم ريثما تستقيم له الأمور، [١٦١]، فأين مبدأ «مفهوم التقية» من مسار ذلك الإمام العظيم: الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]؟!.

وابنه الحسن رضي الله عنه صالح معاوية بن أبي سفيان على رؤوس الأشهاد، ولم يداهن أو يساوم أو يكذب أمام أنصاره أو خصومه، رغم معارضة أنصاره لهذا الصلح، للدرجة التي دفعت بعضهم للقول أمامه: «السلام عليك يا مذل المؤمنين»، و«يا مذل العرب»، و«يا مسود وجوه العرب»، وأنصاره الذين يبلغ عددهم الثمانين ألف مسلح –

وفق قول بعض المصادر - رأوا في ذلك الصلح «نوعاً من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام علي من جهد، ولم يكن يلائم ما في أيديهم من قوة»، [٦٢].

وكان للحسين الشهيد رضى الله عنه الموقف الحازم الواضح بمواجهة الحاكم الظالم غير المستحق، شرعاً، لمركز منصب الخلافة، وكان يكفيه الكلام والإعلان عن موافقته للبيعة، بذريعة التقية لحفظ نفسه ونفوس عائلته من القتل وينال «رشوة» قريش المالية، ولكنه أبى إستخدام ذلك المفهوم المنافق. فضلاً عن أنَّ كتاب أدعية الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين بن علي أبي طالب: الإمام الرابع والمعصوم من وجهة نظر أتباع هذه المدرسة، ومواقف إبنه الإمام الباقر: الإمام الخامس المعصوم بالنسبة لأتباع المدرسة الإمامية، مليئة بالأمثلة الحسّية الملموسة على رفض هذا المفهوم الذي محتواه الأساسي الكذب المضمر والتدليس البين.

وحتى الإمام السادس: جعفر الصادق رضى الله عنه، المؤسس الفعلي والأكبر للمدرسة الإمامية، والذي حوله «الفرس الصفويون» إلى رجل متذبذب، إنتهازي، مهادن إذا إستخدمنا المفاهيم السياسية المتداولة في هذا العصر، من خلال «أوامره بالتقية»، بإعتباره «مؤسساً» أساسياً لهذا النهج على المستوى المذهبي الإثنا عشري، والذي كان ضرورياً عند نشأة الإسلام الأولى على أرضية الرؤية القرآنية المقدسة لتجنيب المسلمين الأوائل وعموم الدعوة الإسلامية بعض الشر القرشي، لكن الإمام السادس: جعفر الصادق، وبإعتراف الجميع كان المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة، وما يستلزمه بنيان ذلك الكيان الفكري من شرح وتوضيح ومناقشة، وتفسير لبعض المسائل من خلال أمثلة حسّية ملموسة حدثت في الماضي والحاضر من أجل إرساء ذلك البناء، الأمر الذي يعني أنه كان صريحاً واضحاً في كل «الأمكنة» وفي كل الأحيان.

ألم ينشىء مدرسة فقهية كان يلتف حولها ومحاضراته حوالي ٤٠٠٠ دارس ومتابع ومتفقه ومتعلم؟ ألم يكن يدرك أنَّ من بين المستمعين والحاضرين بعض عيون السلطة؟ فكيف كان يمارس «مبدأ التقية» كما تزعم الرؤية الفارسية الصفوية؟ وهو الذي كان يعيش

في سياق ظرف موضوعي بعيد عن مخالب السلطة المركزية جـراء مرحلة نهاية السلطة الأموية وبدايات نشوء السلطة العباسية، وما نتج عنهما من ضعف بين، فما هي حاجته إلى «التقية» كمبدأ وعـرْف في مساق الضرورة إلى الإجابة التوضيحية عن أي سؤال مهما كانت طبيعة محتواه وفي أي شأن؟ علاوة على التساؤل عن مكان حضور هذا العدد الكبير ممن يحضر دروسه... علاوة على أنّ زوايا التدريس ومناهج الدراسة وإلقاء المحاضرات كانت معروفةً وعلانيةً ويحضرها الجميع: محبين وموالين ومناصرين لرؤيته المذهبية/ الدينية، أو كارهين وعسساً يخدمون السلطة «المغتصبة» للحكم؟.

إنَّ ذلك المفهوم في جوهره، ومن ناحية الرؤية الفارسية الصفوية، تنطوي على جميع مباديء محاولات «التفتيت» للصف المسلم وشق الوحدة المجتمعية عند العرب، كما تتمنى إيران اليوم، ناهيك عن التسويغ المطلوب لمحاولات فرض العزلة على أتباع المدرسـة الإثنا عشـرية عن الجسـم الكلي والمكون لأتباع الدين الإسلامي، أولاً، ومن ثم جعل أتباع هذه الرؤية المذهبية معادية للآخر ممن ينتمون إلى بقية المذاهب الإسلامية، ثانياً، وذلك بغية سريان سوء الظن بهم حتى تحين لحظة القوة عند مناصري الرؤية العنصرية الطائفية لكي يلجؤوا ممارسوها إلى أظافر خمّاشه بغية تشويه «النواصب»: أي السنة، وتنمو أنيابه لكي تنهش «الشقيق المسلم»، يقول ويفعل أمامهم أشياء تخالف «قناعاته الإيمانية» التي بنيت – أكوامها المتداعية – على الحقد والكراهية وتخبئة روح الِانتقام ضد «أشقاء» الدين الواحد، وخلفهم يسلك سلوكاً مغايراً وربما مناقضاً حتى لحظة وصول حالة التمكن والسيطرة، قبل قيامه بالقتل والغدر والتحالف مع الأعداء المضادين لقيم الحضارة العربية الإسلامية من أجل إيقاع الهزيمة العسكرية بالـ«أشقاء» من أبناء الدين الإسلامي: كما جرى لأبناء العراق وأفغانستان!.

وكذلك، من جهة أخرى، بذل الجهود لتكريس الرؤية الفارسية الصفوية اِنسجاماً مع التقاليد القديمة القائمة على الغدر وإظهار التصرف بوجهين إحداهما التفكيري الباطن والآخر القائم على الِانتقام، بدلاً من رؤية التاريخ العربي الإسلامي في مرحلته المحمدية،

من حيث الصراحة المطلقة على أرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيجابيات التجربة التي مثلتها الحوارات الصريحة الصادقة ومن دون خوف، التي تجسدت المتعددة والمتواترة لِاجتماع «سقيفة بن ساعدة»، التي اِنتهت بخلافة أبي بكر الصدّيق رفيق الرسول وأكبر الصحابة سناً وثاني اِثنين في الغار الذي ورد ذكرها في القرآن الكريم، على ضوء مبادرة أحد «الأنصار» في تأييد اِختيار الخليفة الجديد، وكذلك مبادرة «المهاجر» عمر بن الخطاب رضى الله عنه التاريخية بمبايعة أبي بكر كخليفة للمسلمين.

لقد جعلوا من مجريات النقاش الذي حدث في «السقيفة» «مؤامرة أموية أو قرشية» من وجهة نظرهم، كما رأينا سابقاً، لإبعاد الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عن مركز الخلافة السياسية الراشدية. مثلما اِتخذوا من مفهوم «الولاية سنداً قوياً ومقدساً» لتقويم مصير أي فرد في الحياة الآخرة، أي جعلوه مفهوماً معيارياً يفرقون بموجبه بين الإنسان المسلم المؤمن وغيره من المسلمين بعد تجريده من الإيمان، ويرسم بالتالي صورة لمصير الصحابة والخلفاء الراشديين الأُوَلْ: صورة مرعبة ومغتصبة لمفهوم الخلافة العربي الإسلامي التشاوري عقوبتها الخلود في نار جهنم، بديلاً عن «المواجهة المباشرة» بالقول والكلام والنصح، وهي وسائل مستمدة من مفاهيم آريامهر المتوارثة في الأسرة الفارسية المفضلة من قبل إفرازات مفهومي «النور والنار» الزرادشتي، وخصوصاً أنَّ تلك المفاهيم مرتبطة بالتقاليد الساسانية القديمة التي كانت سائدة قبل الإسلام:

«كان للدولة الساسانية صفتان رئيسيتان الأولى وجود دين رسمي لها تعززه مرتبط بالسياسة ومتعاون معها. والثاني التمركز القوي في الإدارة. وكانت السلطة التنفيذية العليا بيد الملك وكان حكمه مطلقاً لا يجوز رده أو نقده بحال من الأحوال، وقد أضفت عليه الديانة الزرادشتية صفة قدسية. فكان مبدأ تقديس الملوك راسخاً في فارس. ويظهر سلطان الملك ونظرة الرعية إليه من قول رئيس الموابذة: «إذا أراد الله بأمته خيراً اِختار لها أحسن عباده»، [٦٣]، فالرعية تطيع والحساب على الله.

وكان الملك يحيط نفسه بمظاهر الأبهة والجبروت، ويعيش بمعزل عن الرعية، ولم يكن يصلح للعرش إلا أفراد العائلة المالكة. لأنَّ الله فضلها على العالمين. فعندما أراد

الفرس اِختيار ملك بعد يزدجرد الأول، وتنحية اِبنه بهرام جور، اِحتج هذا قائلاً «إنَّ هذا فساد في صلب المملكة أنْ تولوا رجلاً ليس من أهلها». وكانت السلطة القضائية العليا بيد الملك وكان هو المرجع الأعلى للمتظلمين وقد اِعتاد الساسانيون الأُوْل أنْ يأذنوا للناس إذناً عاماً مرتين في السنة. في النوروز وفي المهرجان إسماع شكاواهم. وكان يجلس مع الملك في هذه المناسبات رئيس الدين الأعلى.

من جهة ثانية، كان للملك حق الحكم بالحياة والموت على الرعية. إذ كانوا بمثابة عبيد له فكان بجنب عرشه الجلاد لينفذ أوامره في الحال. وكان يعاونه الوزير وهو المشاور الأول له في كل شؤون الدولة. ولكنه تحت إشراف الملك وكانوا يرون أنَّ من حزم الملك، ألا يكون وزيره متنفذاً وأنْ يكون من صنائعه»، [٦٤] ، والخلاصة: لو أننا أمعنا النظر فيما تقدم وأجِلْنا التفكير العميق بتلك التقاليد، ألا نرى «سلطة الخامنئي» الراهنة والمستندة إلى نيابته عن الإمام المعصوم الثاني عشر، كما تزعم الرؤية الفارسية الصفوية، هي متوارثة عن ما تقدم من رصدٍ عند التراث الفارسي فيما يتعلق بما تقدم؟!.

وكذلك جعل ذلك المركز الإداري للدولة العربية الإسلامية صنواً باغياً و«سيفاً قاطعاً» بيد الخليفة على أنصار آل البيت، وذلك طوال فترة العهد الأموي وأغلبية العهد العباسي، رغم التجارب التاريخية المعاشة من حيث تكامل مدارس الفقه المختلفة وبقاء أئمة المدرسة الإمامية أحياء، مثلما جعلوا من يوم العاشر من شهر محرم الحرام: أي يوم عاشوراء الذي تصادف معه يوم الثورة الحسينية الإستشهادية من العام ٦١ الهجري، في سبيل المباديء، والأمثولة التاريخية التي تركتها ثورته من أجل {أمرهم شورى بينهم}، بدلاً من مفاهيم التوريث والتفرد والاِستئثار والاِستبداد عبر تطبيق مفهوم الملك العضوض للخلافة القائمة بديلاً عن مبدأ {وشاورهم في الأمر} و{أمرهم شورى بينهم} القرآني، وذلك من أجل تخدير الأتباع وتغييب العقول النقدية عنهم وإماتة خاصية التبصر لديهم.

لقد أرادت تلك الممارسة التضحوية بالنفس والعيال والمال، أن تحـثّ مجموع المسلمين على تقويم أي اِعوجاج يحاوله الحكّام فرضه على المسلمين من دون أنْ يكون

للسيف الدور الأساس في الإصلاح، والحسين بن علي بن أبي طالب ذاته خيَّر قادة الجيش اليزيدي ببدائل متعددة، ولكنهم طالبوه بـ«المبايعة» غير المشروطة فرفض، وأكد أنّه خرج على الخليفة الأموي المعين بالتوريث طلباً «للإصلاح في أمة جدي، ومثلي لا يبايع يزيد، وهيهات منا الذلة»، [٦٥].

ولكن السلطة الفارسية الصفوية الإيرانية أرادت من خلال سلوكها الدائب ونشاطها العملي على جعل تلك الذكرى التاريخية، داخل العراق خصوصاً، مثار خلاف متنازع أو متقاتل بين الأفراد المسلمين أو بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، وكذلك إفشاء عموم المقولات الزائفة عن رؤية أئمة آل البيت المخلصة للرؤية العربية الإسلامية المحمدية، وجعلها أفيوناً مخدراً لبعض الأتباع من أبناء الرؤية الإثنا عشرية، ومادة دعائية مستمرة للأتباع الصفويين الطائفيين، من خلال مجالس العزاء الحسيني وآلاف الكتب المطبوعة في طهران أو المنشورة عبر المواقع الطباعية المنتشرة في بيروت ودمشق، وتوزيعها مجاناً، أو بأسعار رمزية زهيدة، واستثمار مختلف وسائل الدعاية الأخرى، بهدف مناهضة رؤية مفاهيم «العمل الصالح» القرآني، والثورة الحسينية ومفاهيمها الحقيقية، وإرساء دروسها الفعلية، بشكل مغاير عند المسلمين، كمعيار موضوعي ومقياس على ضوء النصوص القرآنية والسُنّة النبوية، ووفق اِجتهاد «آيات الله العظام» حول الولاية.

من كل ذلك نرى إنَّ إرساء مفاهيم الثورة الحسينية على مقولات مدرسية جامدة ومزورة تتناقض، وبشكل صارخ، مع الروحية الحقيقة للتجارب التاريخية التي أفرزها الدين الإسلامي، وفي سبيل ترسيخ هذا التضليل والتزييف، يجري ترديد تلك المقولات صباح مساء بغية تأليب أبناء المسلمين ممن يؤمنون بالرؤية الإمامية على بقية الأفراد المسلمين، من الذين ينتمون إلى المدارس الفقهية الإسلامية الأخرى، ويلتزمون بتعليماتها الحقيقية والذين يشكل مجمعهم العددي تسعة أعشار المسلمين من حيث العدد الكلي في العالم كله، وجعلت من أولئك الأتباع المنساقين للتعليمات الفارسية الصفوية أو من بعضهم - وللأسف الشديد - مصاصي دماء لا يتورعون عن اِرتكاب أية جريمة مهما كانت غارقة في حقارتها.

- هوامش لرصد العاشر -

[٥٧] - لقد سلـّط المؤرخ الإيراني والباحث الإيراني الطهراني ناصر بور بوربيرار الأضواء على فرية العمق الحضاري والتراثي للمفهوم «القومي الفارسي»، من خلال البحوث المقرونة بالشواهد التاريخية والآثار الباقية، التي برهنت على أنَّ مجموع المنجز الفارسي، وهو الأغلب، في حقيقته التاريخية وبعدها التاريخي، هو مجرد عملية سطو متقنة أو غير متقنة على التراث العربي الإسلامي من أجل تلفيق تاريخ يحتوي «حضارة» و«فكر» وبُعد «تاريخي» من خلال خلائط أسطورية وخرافية، وذلك بالاِعتماد على موروث تأسس على «ملحمة» الشاهنامة «التي تم إنشادها في القرن الرابع الهجري»، كما يقول المؤرخ المذكور أعلاه. والذي يؤكد كذلك، وبالاِستناد إلى الأدلة «المادية والموضوعية والتاريخية التي يمكن الرجوع إليها» بأنَّه لا يوجد أي معلـَم من معالم التطور الحضاري في إيران، والذي يرتكز على النقوش والوثائق والآثار الباقية تسبق النهضة التي أعقبت قيام الدين العربي الإسلامي.

وعليه - كما يضيف ذلك المؤرخ - فـ«التاريخ الإيراني يستند إلى بحوث قام بها اليهود وأنهم بذلوا جهداً لإعلاء شأن الإخمينيين كمحررين لهم وكمدمرين لحضارة ما بين النهرين، فاليهود يسعون أنْ يقدموا الإخمينيين كمبدعين للثقافة والحضارة أو شيء يرغبونه وذلك بسبب الخدمة التي قدمها لهم الإخمينيون، فخذ على سبيل المثال علماء وآثار والمؤرخون اليهود كـ«غيريشمن» و«داريشتيد» و«أشكولر» كما أنَّ ٩٠ في المائة من مؤرخي التاريخ الإيراني هم من اليهود، أي أنَّ اليهود قاموا بتهويل تاريخ الإخمينيين، فهؤلاء حاولوا خلال المائة سنة ماضية أنْ يصوروا قورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التوراة حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك.

وقد ذكرت في الجزء الثاني من كتابي - فجر الإسلام - «أنَّ أحداً في إيران حتى قبل ١٠٠ عام لم يعرف قورش أي أنَّ أبرز المثقفين في هذه البلاد لم يعرفوه قبل هذه الفترة». [وللإطلاع المفصل على تلك الحقائق التاريخية بشكل مكثف وملخص يمكن مراجعة مجلة «الزمان الجديد» التي تصدر في لندن: العاصمة البريطانية، الموضوع الذي نجم عن مقابلة السيد يوسف عزيزي للباحث الإيراني ناصر بوربيرار والمنشور على الصفحات المحصورة بين ٢٢ - ٢٧، العدد ٢٤، ديسمبر ٢٠٠١م، والصادرة عن شركة الزمان للصحافة والنشر المسجلة في المملكة المتحدة].

وحبذا لو قام أحد المتابعين المخلصين للأمة العربية ومفاهيمها القومية العادلة والمؤمنين بالحضارة العربية الإسلامية، وممن يمتلكون أسرار اللغتين العربية والفارسية بالترجمة العربية

للإنتاج الفكري لهذا الكاتب المبدع والمقدام، أو حتى بعضها المهم، وترويج أطروحاته الهامة على كل الصعُد، بغية تقديم خدمة لمن لا يزالون يروجون للدعاية الفارسية من دون وجه حق تاريخي ومعرفي، من أجل جلبهم إلى جادة الحق وبالتالي النظر للأمور بغير منظار التوجه الأيديولوجي الفارسي الصفوي.

[٥٨] - لا يستطيع الصفويون الفرس تصور الشفافية الحوارية في صدر الإسلام، عند العرب المسلمين كلهم، قبيل تشكـّل السلطة الأموية، كونهم شطبوا مسبقاً على أي فضيلة للعرب، بما فيها «حلف الفضول» و«ندوة قريش»، ونظام «الإيلاف الإقتصادي»، فلجؤوا إلى بث عاداتهم الساسانية وتقاليدهم الكسروية التي تنطوي على الخوف من الآخر، والتبحر في عالم الدسائس، والتآمر والتدليس والتحدث بوجهين متناقضين، وانتشار عادة الغدر والقتل بمختلف الأساليب وخصوصاً الخنق، وحصر الملك عند عائلة واحدة أو «فقيه نائب للإمام المعصوم»، من قبيل ما نفثوه من سموم وأفكار وروايات حول مجريات إنتخاب أبو بكر كخليفة راشدي أول، في مؤتمر السقيفة: مؤتمر البيعة الأولى، لذلك فهم يرددون دائما ما يعد نموذجه التالي، عن أفكارهم تجاه التطورات التي شهدها المجتمع العربي الإسلامي:

«لقد اِنضم الحزب الأموي إلى حزب المنافقين، {هكذا بالمطلق} وأخذا يكيدان معاً لبني هاشم، ويخططان لكسب معركة الخلافة وضمّها إلى صفهم، وإذا أردنا نبحث في سبب ظاهرة من الظواهر ونقف على عللها، علينا أنْ نأخذ بنظر الإعتبار الطرف المستفيد منها، ومَنْ تعود عوائدها بالنفع عليه. لذلك علينا حينما ندرس اِجتماع السقيفة أنْ نأخذ بنظر الإعتبار الفاعلين النشيطين في عهد «الدولة الجديدة» التي اِنبثقت إِثر السقيفة، {وليس الدولة العربية الإسلامية، وإنما هي دولة جديدة ناجمة عن السقيفة، كما يقول النص - ملاحظة ينبغي ذكرها في سبق إيراد ذلك النص}، ونحلل المواقع التي آلوا إليها. وحينئذٍ نجد أنَّ يزيد بن أبي سفيان وخالد [المقصود بن الوليد، كما يبدو] وأبا عبيدة [بن الجراح] وسعد بن أبي وقاص ومعاوية [بن أبي سفيان] وضرار بن الأزور وأمثال هؤلاء ممّن اِنصرفوا في جيوش فتح العراق والشام، [وتغييب فتح فارس مقصود لذاته بغية عدم التطرق لمعركة القادسية وهزيمة المُلك الإمبراطوري الساساني!] كانو من المستفيدين. وكذلك اِنتفع من وقائع السقيفة كلٌّ من: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ رضى الله عنهم. وكان أغلب هؤلاء من المهاجرين، ومن قريش تحديداً. {والضربة هنا عامة للقرشيين والمهاجرين الذين طالما ردد الرسول الكريم بالتنويه عن أغلبهم ومدح بعضهم القرآن الكريم وفيهم مَنْ فيهم من أصحابه من رجال بيعة الشجرة الذين نزهّهم القرآن الكريم وهو كتاب تسري أحكامه على الزمان

بكل أبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، ومسلمي الصدر الأول من المؤمنين حقاً!، وعليه لا بدَّ أنْ يكون هؤلاء في رأس المخططين لِإجتماع السقيفة، خصوصاً مع ما يبدو من أنَّ الأمر كان يصدر عن كيد سابق حُبِكَ من قبل، حتى إذا ما آن الأوان، وانعقد اِجتماع السقيفة، ظهر نشاط الجماعة، وهو يخضع لمخطط منظَّم تسير وفقه الأمور».

«راجع كتاب السيد محمد حسين الطباطبائي، الصادر بإسم الشيعة نص الحوار مع المستشرق كوربان، ترجمة جواد علي كسّار، إصدار مؤسسة أم القرى لتحقيق والنشر، الطبعة الثانية، ذي الحجة ١٤١٨ هجرية، بيروت / لبنان، ص ٣٢٢، والنص مقتطع من القسم الرابع المعنون بـ«الهوامش التوضيحية» التي كتبها كلٌ من الشيخ علي أحمد ميانجي والسيد هادي خسرو شاهي، اللذين أوردا تلك الآراء والإِستشهادات، ص ٢٥٧».

إذن، فإنَّ أغلب منشئي الخلافة العربية الإسلامية والذين رعوا صيرورتها مظهراً عاماً في التطورات العالمية العامة، هم منافقون، كائدون، متآمرون، أصحاب نوايا سيئة، ومخاتلة، وغير ذلك من أوصاف مغالية قيلت بحق صحابة رسول الله، [ﷺ]!!، ناهيك عن أقوال الإمام علي بن أبي طالب التي أنصفتهم، وسلوك الإمام حسن الذي تنازل للخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وهما الإمامان المعصومان، من وجهة نظر أتباع مدرسة الرؤية الإمامية.

أما نصوص القرآن وسنة الرسول وأقوال الأئمة الأطهار التي تحض على الجهاد وتغيير المنكر والظلم والإِحتلال، فلا شأن للكاتبين بها ولا أهمية لمحتوياته الواضحة، طالما لا تخدم الرؤية الصفوية الفارسية. عرض مكثف ومقتطع من دراسة طويلة لي معنونة: إِنتفاضة الحسين كيف ينبغي فهمها، نُشرت في العديد من المواقع الإلكترونية وعلى سبع حلقات.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الرسول محمد بن عبد الله، ص، قد نوه بأفعال هؤلاء الصحابة وأطلق عليهم من الصفات التفخيمية ما يستحق الإِفتخار والتقدير، ومن أجل الإطلاع على مواقف الرسول الأعظم، [ﷺ]، من أولئك الصحابة الذي «تآمروا على تنصيب الإمام علي بن أبي طالب كخليفة راشدي أول» وفقاً لرأي هذين الكاتبين الصفويين وكذلك للعالم الصفوي الفارسي صاحب تفسير الميزان، ومن أجل الإطلاع على بعض هذه الصفات التفخيمية يرجى مراجعة الكتاب الهام للسيد خليل عبد الكريم والمعنون محمد والصحابة: شدو الربابة بأحوال المجتمع والصحابة، السفر الأول، إصدار سينا للنشر - القاهرة، الإِنتشار العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، وخصوصاً الصفحات المعنونة بـ«التلقيب»، والواردة على الصفحات ١١٣ - ١٦٤، الفصل الثالث.

ومن الطريف ذكره في هذا الجو التزويري والمأساوي، ما أورده الشهيد شريعتي [في كتابه المذكور وعلى الصفحةٌ [٢٩٥] الحادثة التالية، التي نتركها لحصافة كل متابع من دون أي تعليق، إحتراماً لذائقة القاريء وسلامة إدراكه: «ليس من باب الصدفة إذن، أنْ ينبري أحد دعاة الجهاد من أجل تحرير «فدك» في مدينتنا (سبزوار) فيرفع دعوى قضائية - مستخدماً الإستمارة التي توزعها المحاكم الرسمية لأصحاب الشكاوى - وذلك ضد أبي بكر مطالباً بإسترجاع جميع بساتين «فدك» مع مبالغ أجارتها لمدة ألف وثلاثمائة وثمانين عاماً. والمدعي هو السيد حسن الواعظي السبزواري أحد الورثة القانونيين للمتوفى! وقد قام بتسليم الدعوى إلى محكمة سبزوار، وبالكليشة أدناه:

المدعـّي: المدّعى عليه: موضوع الدعوى:

السيد حسن الواعظي أبو بكر بن أبي قحافة مزرعة فدك

[٥٩] - راجع كتاب شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦، وحول الموضوع يمكن مراجعة الصفحات من ١٧٥ - ١٨٨. بل وصل الأمر بالبعض الذي يطلق عليه شريعتي «بالعالم الجليل السيد الكاظميني اليزدي وفي كتابه المعنون جواهر الولاية في الخلافة والولاية» أنْ يقول بخرافات «فكرية» ودجل تحريفي ليست معقولة أبداً ومقولاتها التي حاربها الدين الإسلامي ذاته، من قبيل ما ينسبه اليزدي للإمام جعفر الصادق قوله: «أنَّ مالك ورضوان [خادمي النار والجنة] يأتمران بأمر علي [ع]، وهذه المنازل من مكنون العلم فإحفظها»، ص ١٧٧.

[٦٠] - كما يقول الدكتور طه حسين في كتابة حول الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ٢١

[٦١] المصدر السابق، ج ٢، ذات الصفحة.

[٦٢] - راجع كتاب الدكتور طه حسين، الجزء الثاني من كتابه المعنون بالفتنة الكبرى، ص ١٨٥.

[٦٣] - المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٦٤] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، في قسم التمهيد، ص ٣٨.

[٦٥] - لقد عالجتُ جوانب من هذه المسألة الحيوية في فترة زمنية سابقة، ومما جاء فيها:

«الحسين قدوة للعمل وليس للطقوس

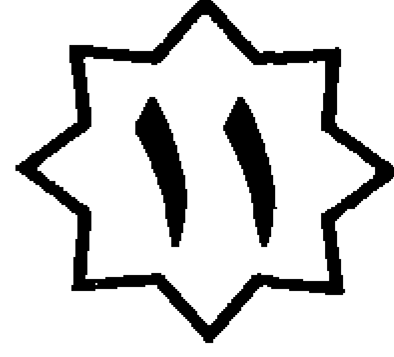
تمر في هذه الأيام الذكرى السنوية لثورة الحسين في كربلاء ضد بدعة معاوية بن أبي سفيان بتحويل الخلافة الإسلامية من «أمرهم شورى بينهم» إلى الملك الوراثي العضوض، وتنصيب إبنه يزيد أميراً على المسلمين، وكان البعض مؤيداً له بالسيف، ووفقاً للرواية التاريخية، أنَّ إجتماعاً حضره معاوية بنفسه فقام يزيد بن المقفع خطيباً بالجمع وقال: «هذا أمير المؤمنين - مشيراً إلى

معاوية - ثم قال: وإذا هلك، فهذا أمير المؤمنين - مشيراً إلى يزيد - ثم قال: ومَنْ يتخلف عن البيعة فهذا - مشيراً إلى سيفه - فقال له معاوية: أحسنت ؛ أنت سيد الخطباء».

وكان على الجميع طاعة الطغيان، ومن ثم المبايعة له بصحة التولية على كرسي الحكم. كانت سمات الأمير الجديد لا تلاءم مواصفات السلطة وشروطها كما حددتها التقاليد العربية الموروثة، والمعايير الدينية الإسلامية والممارسات العملية الريادية لمسيرة إختيار الخلفاء الراشدين، فوافق البعض تحت صيحات الوعيد، فيما أيد بعض تحت معسول الوعود، أي كان الترهيب والترغيب حاضرين، ولكن البعض العقائدي رفض ذينيك الأسلوبين، وتمسك بالمُثُل الفكرية التي أرساها الإسلام، ورأى في المسار التاريخي الموضوعي للرسالة العربية الإسلامية، كما تجسّدت في سيرة الرسول، [ﷺ]، والخلفاء الراشدين، غير ما رآه الآخرون، وأعلن الثورة عليه، وكان الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبرزهم: إنْ لم يكن أفضلهم على الإطلاق، فهو المجاهد في «شمال أفريقيا» وفي «طبرستان» وضد «الروم» أيضاً، فضلاً عن صفاته الإيمانية العادلة وعمله المستقيم ونسبه القريش الهاشمي، وكونه - فضلاً عن كل ذلك - إبن بنت مؤسس الدولة العربية الإسلامية ورائدها على شتى الصعد: لاسيما الصادق الأمين على رسالتها الدينية، كما إختاره العلي القدير.

{راجع نص مقالة باقر الصراف المنشورة في جريدة «نداء المقاومة» التي كان يصدرها التحالف الوطني العراقي، قبيل أنْ يؤسس موقعه على الإنترنيت والمعنون:www.iraqipa.net ، وذلك في العدد ١٧ من تلك الجريدة التي نشرت مقالتي تلك، والصادر بتاريخ ١ / ٣ / ٢٠٠٤م.

وعليه فإنَّ إرادة أفراد المقاومة الوطنية العراقية وتجسدات فعلهم الوطني الشجاع في مواجهة العملاء الطغاة والغزاة المحتلين في الواقع العراقي الملموس: سواء أكانوا شهدا أو أحياء، هم أولئك الأبطال... وهم ممثلو النهج الحسيني في مواجهة الغزاة، هم الذين صنعوا ذواتهم المتصدية من ذلك العزم الحسيني، وقدُّوا إرادتهم من ذلك التصميم الذي جسده كل الذين واجهوا الظلم على مدى التاريخ البشري، النموذج الحسيني المعاصر.



بين رؤية المفهوم
وممارسات الأئمة الإثنا عشر

الرصد الحادي عشر

أدرك الشهيد الأستاذ الدكتور علي شريعتي الهدف الكامن وراء ذلك المجهود الفارسي من حيث تحويل الرؤية الإمامية الإثنا عشرية إلى مذهب قومي فارسي محض يخدم التوجه الشعوبي المحارب للنهوض العربي الإسلامي على كل المستويات، مثلما رسم معالمه الأساسية الدين الإسلامي على مستوى الحكم/ الخلافة،[٦٦]، بديلاً عن الرؤية الكسروية الإمبراطورية القائمة على الغرور العنصري وتناسل الملوك من أرومة خاصة، من الذين يجري تعظيم ذواتهم حتى درجة الألوهية، عبر الخط «الفكري الأيديولوجي الفارسي» الدعائي التحريضي، كما اِختط نهجها «العملي والدعوي/ التحريضي» الراوي الفردوسي في الشاهنامة المرسَّم شاعراً في الدعاية الفارسية الصفوية.

وكذلك من خلال رصد الرؤية الصفوية: كما اِبتدعها الشيخ على كركي، الذي ينتسب إلى قرية «كرك نوح» من قرى بعلبك/ لبنان، وهو الذي، كذلك، تم اِستيراده خصيصاً لتنقيذ مهمة بث الخرافات الخاصة بالمذهب الإثنا عشري وتزويجها - إنْ صح التعبير - بالرؤية الصفوية من أجل خدمة نظامها، للدرجة التي أصبح الشيخ الكركي معها الساعد الأيمن للشاه الفارسي الصفوي طهماسب، ومنحه سلطات مذهبية واسعة باِعتباره «نائب للإمام الغائب المهدي: صاحب الزمان»، وعلى الجميع العائش في فارس الاِمتثال له، إذ أنَّ «معزوله لا يستخدم ومنصوبه لا يعزل» وفق «فرمان الشاه طماسب»، [ص ٦٠]، فيما كان الكركي «لا يركب إلاّ ويمشي رجل في ركابه يجاهر بشعار التشيع»، ص [٦٥]. فقد كان دأبه «إعلاء المذهب الجعفري وترويج دين الحق الإثنا عشري، حسب

قول أحد المؤرخين الإيرانيين، [ص ٦٠ - ٦١]، وكان من بين رسائله «المقدسة!!» الدعوة إلى لعن الصحابة رضوان الله عليهم تحت عنوان «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت»، والتي أصبحت منذ ذلك الحين نهجاً فارسياً صفوياً معلناً، [٦٧].

لقد رسخ مفاهيمها الخرافية العنصر الأبرز الذي تلاه في تبوء المنصب «المذهبي» المتعصب لدى السلطة الفارسية، نعني به: محمد باقر المجلسي من «العلماء المجتهدين» الفرس، في مراحل الدولة الصفوية الأخيرة، وهو الذي اِحتل منصب «شيخ الإسلام» و«الملا باشي: رئيس العلماء» في زمن الشاهين سليمان وحسين: أخر السلاطين الصفويين، إذ كان «شديد التعصب لعقيدته ولا يتسامح مع أية عقيدة مخالفة مهما كانت، وقد أغرى الدولة باِضطهاد جميع المخالفين الذين كانوا موجودين داخل الحدود» الفارسية، [ص ٧٦].

وكان من مؤلفات هذا المجلسي موسوعة «بحار الأنوار» المؤلفة من ٢٥ مجلداً ضخماً في أجزاء تتجاوز ١١٠ جزءاً، تضم بين دفتيها «معظم أحاديث الشيعة وأخبارهم وعلومهم {... وفيه كذلك} كل القصص والأساطير فوضعها في متناول كل مَن يريد الاِغتراف منها، وجاء بعد ذلك قرّاء التعزية وخطباء المنابر فصاروا يأخذون منها ما يروق لهم، وبذا ملئوا أذهان العامة بالغلو والخرافة وجعلوهم يحلقـون في عالم من الأوهام لا صلة له بعالم الواقع الذي يعيشون فيه»، [ص ٧٧]، و«كان هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي طـُبعت فيها على نطاق واسع، وقد وردت إلى العراق منه نسخ كثيرة مما أدى إلى اِنتشار معلوماته «الغثة» في أوساط الشعب العراقي على منوال ما حدث في إيران»، [ص ٧٨]. أي تحولت معلوماته الأسطورية أو الخرافية إلى «نظرية فكرَية» أيديولوجية عند الزمر الفارسية الصفوية في مختلف مواقعها الجغرافية، [٦٨].

وموسوعة «بحار الأنوار» جمعت بين دفتيها النصوص الغثة والسمينة ومن ثم تحويلها إلى أقانيم «مقدّسـة» يجب عدم المسـاس بها أم مخالفتها أو نقض بعضها، وكان نصلها الرئيس شتم الخلفاء الثلاثة الأوائل وسب صحابة الرسول محمد، [ﷺ]، الكرام صانعي التجربة العربية الإسلامية الفعليين، من ناحية، وتأليه بعض أئمة آل البيت، كما

تطرقنا إلى ذلك سابقاً، من خلال عملية التزاوج الملفقة بين أحد شباب آل محمد: الحسين بن علي بن أبي طالب، وإحدى بنات الملوك الفرس، من ناحية أخرى. «إنَّ غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم مَنْ نيطت عليه التمائم»، وهي المقدمة الضرورية «لعقد قران بين الإسلام والقومية الفارسية»، [٦٩]، ومن خلال صلبهما وُلِد الأئمة التسعة الذي يشكلون «السلسة العقائدية» للأئمة الإثنا عشر.

لقد اِنتقل ذلك التأليه لبعض الرموز الفارسية من خلال «تزويج» رؤى الأحلام الليلية الزائفة المنتحلة، أو أحلام اليقظة المتوهمة، من جهة، والمزيفة للوعي البشري السوي والقويم والمتصادم حتى مع الرؤية القرآنية المقدسة، من جهة أخرى، واِعتبار تلك الأحلام الزائفة والمنتحلة على أنها حقائق ثابتة، لذلك جعل الشهيد شريعتي، «مفهوم إلغاء التشيع بواسطة التشيع»، المضمون الأكبر للمحاضرة التي ألقاها في العاصمة الإيرانية طهران في العهد الشاهنشاهي المقبور، والتي كشف من خلالها وبحسٍ تاريخي سليم، التزوير الذي يبذله أصحاب الرؤية الشاهنشاهية: العنصرية الفارسية، والتي يساعدهم على ترويجها خطباء المنابر الحسينية وقراء مجالس العزاء المستمرة طوال السنة، والتي تتصاعد كثافتها، خصوصاً، في شهر المحرم وأيام وفيات الأئمة الإثنا عشر، والتي يخلط فيها هؤلاء «الخطباء» الجهلة: أغلبية «قرّاء المنابر والمتغنون في مجالسهم التغزوية» بلغة حزينة شجية باكية مستبكية وأشعار سقيمة أو مريضة - أو حتى متمارضة - بداء اِسترجاع آلام الزمن الفائت وأوجاع الفترات السالفة ومآسي الماضي، يخلطون فيها الخرافات بالأساطير وبأمشاج بالية من الخزعبلات، جراء تكرار توصيف تلك الحوادث ومزجهما بأنصاف الحقائق التي يجري تفسيرها بشكل مخاتل أو مراوغ، وتقديمها للمستمعين على أنها ألف باء التشيع.

يقول الشهيد الدكتور شريعتي «كان هذا التناقض يتجلى في اِتجاهين يدعو الأول منهما الحركة الصفوية والعمل من أجل بناء إسلام خالٍ من الإسلام، فيما يدعو الثاني منهما الحركة الصفوية إلى العمل على إلغاء التشيع ولكن باِسم التشيع»، [٧٠]، إذن الهدف الحقيقي

والواضح والذي يبتغيه الدكتور شـريعتي من إِسـتخلاصه ذاك، هو خدمة الرؤية الإسلامية الإمامية الحقيقية غير الزائفة، الرؤية الصريحة... الواضحة عبر طروحات فكرية كما هو متوفر في المسكوكات البلاغية: أي في كتاب «نهج البلاغة»، الذي سطـّره الإمام علي بن أبي طالب: الخليفة الراشدي الرابع، [كرم الله وجهه]، وكتـّاب أئمة هذه المدرسة.

والعمل الريادي لِإبنه الحسين في ثورته الإستشهادية من أجل المباديء الإسلامية العظيمة، وكذلك في سيرة عمل علي اِبن الحسين وأدعية كتاب «الصحيفة السجادية»، وخصوصاً ما يقوله محمد باقر الصدر عن نجاحه في سك العملة بغية عدم نجاح القوة الأعظم في ذلك الزمان: «السلطة البيزنطية» في النجاح بإذلال المسلمين، مع إبداء الملاحظة الموضوعية التالية: إننا لا نستشهد بِإستخلاص الصدر لإثبات تاريخية الفاعل، وإنما للمعاني السامية التي ينطوي عليه هذا العمل ذاته، أولاً، ودعاء الثغور الذي وقف من خلاله مع الدولة الأموية وضد الدولة البيزنطية، ثانياً، وممارسات الإمام الخامس محمد الباقر الذي نفذ المهام التي اِقترحها والده من أجل دحر الضغوط المالية للأجانب الكافرين على السلطة العربية الأموية «بهدف إذلال المسلمين»،[٧١]، ثالثاً.

وهكذا فعل العنصر الفارسي المتعصب طوال فترات تاريخهم المرسوم في عقلهم الشعوبي الفارسي: الواعي أو اللا واعي، من أجل تحقيق هدف سياسي وفكري محدد: المتمثل بإعلاء الشأن الصفوي وتضخيم النزوع الفارسي، وتمكنوا من أجل إنجاز هذه المهمة غير النبيلة وفق المقاييس الدينية الإسلامية، متخذين ستار «التشيع» الزائف في الجوهر والوسائل، لفرض التشيع الأسود مستثمرين أسلوب «التقية المذهبية» أكبر اِستثمار ممكن وأوسع اِستغلال لهذه الصـفة التي فرضتها بعض الظروف التاريخية لحظـة نشـوء الدين الإسـلامي، من جهة، والمتاجـرة المزيفة من خلال إظهار همروجه الولاء والمحبة «المزعـومتين» لآل البيت النبوي الأطهار، لتنفيذ أهداف سياسية تخدم توجهات النظام السياسية، من جهة أخرى...

كل ذلك الجهد التعبوي المبذول من قبل «علماء» وأنصار الرؤية الصفوية الحقيقيين أو المزعومين، يخدم هدفاً سياسياً عنصرياً واضح المعالم، ألا وهو فرض مخاتلات متضاربة

متناقضة وصولاً للهدف الذي يبتغونه عبر مفهوم: الولاء، الذي يعد الوسيلة الرئيسية والأساسية لجعل بعض الأئمة المسلمين أدوات معاول صفوية لتدمير البنية المعرفية العربية الإسلامية التي كان يتمسك فيها الأئمة المسلمون الأوائل على اختلاف مناشئهم وتنوع توجهاتهم، عبر حشوها بالخرافات والترهات والأكاذيب، أولاً، وجعلهم أي الأئمة: أدوات دعائية صغيرة في خدمة البلاط الصفوي وأحلامه السياسية والطائفية، ثانياً.

لذلك نرى أنَّ الشهيد شريعتي ينتقل في عرض آرائه من خاصية التعميم إلى حالات التخصيص في أبحاثه القيمة عندما يتناول تلك المسألة المهمة الدعوية المبذولة بالقول: أنَّ «هذه المعادلة ثنائية الأبعاد - معادلة متضادة ذات معلومتين! الأمام في السماء شريك الله! وهو في الأرض أجير للخليفة، الإمام في الحضرة الإلهية: ظل للإله ورب النوع (وربما أسمى) وهو في حضرة السلطان: أحد أفراد الحاشية ومستشار ديني للشاه مساوم متزلف متملق (وربما أخس»)،[٧٢].

ذلك هو جوهر الفهم الفارسي للسلطان الصفوي الطائفي، موظف في ذلك النسق الأيديولوجي الذي يخدم الرؤية الفارسية بعيداً عن أية تطورات فكرية موضوعية ترتبط بأي زمان معين أو مكان محدد، وفيها: تنوب أقوال الأئمة - ربما بعضها كانت تصريحات صحيحة ولكن منزوعة من سياقها الموضوعي - عن أية أبعاد عملية وموضوعية، وذلك بهدف فلسفة وقائع تتعلق بأي موقف سياسي محدد عالمي أو طموح إقليمي فارسي، تنطوي عليه مجريات السياسة الإيرانية خصوصاً الراهنة منه،[٧٣].

في الحقيقة كنت أجهل الأسباب الموضوعية التي تجبر الصفوة المتعلمة والمثقفة من أبناء الشعب العربي الأحوازي الذين يتميزون بالوعي السياسي بقضايا وطنهم وشعبهم، على ترك بلدهم المحتل وتشتتهم في أنحاء العالم، عاملين أو لاجئين، وبالتالي إجبارهم الطوعي على هجرة المدرسة الإمامية، لأنهم رأوا فيها مذهباً لا عقلياً ينزع نحو تفسير الأمور بصورة غيبية فجّة، تتعلق ليس بالقدرة الإلهية الواحدة والمتفردة والمطلقة، وإنما يتعلق الأمر ببشر مسلمون عابدون لله الواحد، أي بتغييب مَلَكَة العقل التي منحها

الإله للإنسان... تغييبها عن البشر تماماً وإبعاده عن التفكير السوي، باعتبار أنَّ العقل المفكر هو الخاصية الأساسية التي تميز أي إنسان معين ومحدد تنطوي صحته وقواه العقلية على التكامل، عن أي صنف من المخلوقات الحية الآخرى، التي قد تعيش في هذا الكون، أو تميزه عن أي نوع من أصناف الحيوانات المتطورة أو غير المتطورة.

لقد تبين لي على ضوء المتابعة المباشرة الناجمة عن التمّاس معهم، وعمق الوعي الفكري بعد إعمال التفكير في هذه الظاهرة بغية إجلاء الغوامض عنها، أنهم قد هجروا وطنهم لجعل هذا الإختيار سبيلاً ممكناً لهجرة التشيع الصفوي، وفضلوا العودة لدين الفطرة البشرية: الدين العربي المسلم، باعتباره سلسلة مفاهيم حضارية تكونت تاريخياً: أي الدين الإسلامي الحنيف، وفرض قيم التعارف والتعاون بين الشعوب والقبائل على وعيهم الممارس في يوميات هذا الجسم الأحوازي الباسل، لا الرضا بالغزو والإحتلال والتدخل في حياة الناس حتى في إختيار أسماء أبنائهم، كما هو ديدن السلطة الفارسية الصفوية وممارساتها تجاه المواطنين العرب.

ويعود هذا التحول في ذهنية الإنسان الأحوازي الواعي إلى ضرورات التمسك بالمفاهيم العربية الإسلامية وإلى كونهم يتحملون العبء الأكبر والأهم من الكراهية الفارسية والحقد الكسروي والغل العنصري، وفي الحقيقة، يكمن ذلك السعّار الفارسي لدى كل المستويات الإجتماعية الفارسية، إلا ما ندر، من خلال الإحتقار الصفوي الطائفي لكل شيء عنوانه، ناهيك عن مضمونه، عربي يرتبط بتاريخ أمة العروبة،[٧٤].

- هوامش الرصد الحادي عشر -

[٦٦] - راجع كتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية...، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ - ١٨، ومما هو جدير بالذكر أنَّ الكتاب قد طبع للمرة الأولى في عام ١٩٥٠م.

[٦٧] - الشيخ علي الكركي ينتسب إلى قرية «كرك نوح» من قرى بعلبك / لبنان، أصبح الساعد الأيمن للشاه الفارسي الصفوي طهماسب، ومنحه سلطات مذهبية بِإعتباره «نائب للإمام الغائب صاحب الزمان»، وعلى الجميع العائش في فارس الِإمتثال له، إذ أنَّ «معزوله لا يستخدم ومنصوبه لا يعزل» وفق «فرمان الشاه طهماسب»، [ص ٦٠]، فيما كان الكركي «لا يركب إلاّ ويمشي رجل في ركابه يجاهر بشعار التشيع»، ص [٦١]. فقد كان دأبه «إعلاء المذهب الجعفري وترويج دين الحق الإثنا عشري، حسب قول أحد المؤرخين الإيرانيين، [ص ٦٠ - ٦١]، وكان من بين رسائله «المقدسة!!» الدعوة إلى لعن الصحابة رضوان الله عليهم تحت عنوان «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت»، وتجويز السجود على التربة الكربلائية كونها المدينة التي تضم رفات الحسين، وشهدت الحركة الصفوية خطوة أكثر تأثيراً من خلال الشاه عباس الذي أمر «بتعمير مرقد الإمام الرضا في طوس وطلاء قبته بالذهب»، من أجل تحقيق هدفه، وفقاً لِإستخلاص أحد المؤرخين المصريين، بـ«صرف قومه عن زيارة مكة لكراهيتهم للعرب ولكي يوفر على قومه ما كانوا ينفقون من أموال طائلة في بلاد يكرهونها»، [ص ٦٨]، ودنس في عام ١٦٢٣م مدينة بغداد و«هدم مرقدي أبي حنيفة والشيخ عبد القادر»، [ص ٧٠]، ومنذ ذلك الزمن يرى البعض الصفوي الفارسي في ملوك إيران أو «المرجع الإيراني الأكبر» بِإعتباره «قديساً دأبه العمران والعدل وطلب الحق»، [٧١]، وذلك في تماهٍ تام مع الرؤية الفارسية الصفوية التي اِبتدعها الشيخ علي الكركي + طهماسب وعباس: شاها إيران.

راجع كتاب الدكتور علي الوردي المعنون لمحات اِجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول الذي يتحدث فيه حول الظروف التاريخية الِإجتماعية التي سادت في العراق أو التي شهدها العراق خلال الفترة الزمنية «بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر»، الطبعة المصورة الصادرة عن «إنتشارت المكتبة الحيدرية». مطبعة أمير في مدينة قُم الإيرانية، تاريخ الطبع ١٣٧٥ هجري شمسي، ١٤١٧ هجري قمري، الطبعة الأولى، والصفحات المستشهد بها أرقامها مذكورة في جوار تلك النصوص.

[٦٨] - محمد باقر المجلسي من «العلماء المجتهدين» الفرس، في مراحل الدولة الصفوية الأخيرة، كان يحتل منصب «شيخ الإسلام» و«الملا باشي: رئيس العلماء» في زمن الشاهين سليمان وحسين: أخر

السلاطين الصفويين، كان «شديد التعصب لعقيدته ولا يتسامح مع أية عقيدة مخالفة مهما كانت. وقد أغرى الدولة بإضطهاد جميع المخالفين الذين كانوا موجودين داخل الحدود» الفارسية، [ص ٧٦]. له موسوعة «بحار الأنوار» المؤلفة من ٢٥ مجلداً ضخماً في أجزاء تتجاوز ١١٠ جزءاً، تضم بين دفتيها «معظم أحاديث الشيعة وأخبارهم وعلومهم {... وفيه كذلك} كل القصص والأساطير فوضعها في متناول كل مَن يريد الإغتراف منها، وجاء بعد ذلك قرّاء التعزية وخطباء المنابر فصاروا يأخذون منها ما يروق لهم، وبذا ملئوا أذهان العامة بالغلو والخرافة وجعلوهم يحلقـّون في عالم من الأوهام لا صلة له بعالم الواقع الذي يعيشون فيه»، [ص ٧٧]، و«كان هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي طـُبعت فيها على نطاق واسع، وقد وردت إلى العراق منه نسخ كثيرة مما أدى إلى إنتشار معلوماته «الغثة» في أوساط الشعب العراقي على منوال ما حدث في إيران»، [ص ٧٨]. أي تحولت معلوماته الخرافية إلى «نظرية فكرية» أيديولوجية عند الزمر الصفوية الفارسية في مختلف مواقعها الجغرافية.

راجع كتاب الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، الصفحات المذكورة إلى جانب النصوص المذكورة أعلاه.

وحول دعايته الصفوية الفارسية عن أحد الحكـّام الظالمين المدعو الشاه حسين الذي عينه رئيساً لـ«مجلس العلماء» يقول «العلامة» المجلسي التالي: «... ونظراً لأنّ إتمام هذه الرسالة {أي الأدعية الدينية المحشوة بالخرافات والتي أطلق عليها إسم زاد المعاد} وإنجازها على عجالة تم في زمان دولة العدالة وأوان سلطنة السعادة صاحب الحضرة العليا سيّد سلاطين الزمان ورئيس خواقين العصر، شيرزاد أوراق الملة والدين وصفوة أحفاد سيد المرسلين، الماء والخضراء للبستان المصطفوي وعين سراج البيت المرتضوي، السلطان الذي خدمه كثير جم والخاقان الذي الملائكة له حشم، سليل الشجاعة ومن سيفه البتار نهر جارف لرؤوس الكفار نحو دار البوار، وحسامه الحارق، كالنار يهوي على بيدر المعاندين والمخالفين مصداقاً لقوله تعالى (يرسل عليها شواظ من نار)، مَنْ ترتفع أيدي الداعين له بمزيد الرفعة في بلاطه العالي البنيان، وتلهج ألسنة أرباب المتصوفة بزمزمة الدعاء له بخلود دولته، تعينها على ذلك طيور العندليب الشامخة على أغصان سدرة المنتهى، والكل داعٍ له بأن يزلزل الله كل سيف يشهر ضده في يد صاحبه، ويجعل كل راية نفاق مرفوعة بوجهه كفناً لرافعها وحاملها، يا مَنْ جبين غضبه يفكّ العقد التي لا تحل، وراحة يده الكريمة سحاب مطر على مزارع الآيسين، مؤسس قواعد الملة والدين، مرّوج شريعة الآباء الطاهرين، ومَنْ حياض بلاطه تفيض من كثرة تقبيل شفاه سلاطين الزمان وخواقين العصر، ومن

صرحه المرد مطرز بنداء (قد مسّنا الضر أيها العزيز) أعني السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم، ملجأ الأكاسرة، وملاذ القياصرة محيي مراسم الشريعة الغرّاء، ومشيّد قواعد الملّة البيضاء، السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان، الشاه سلطان حسين الموسوي الحسيني الصفوي بهادر خان، لا زالت رايات دولته مرفوعة، وهامات أعدائه مقموعة».

[٦٩] - راجع كتاب شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤ - ٢٠٥. فهل هذا الكلام دعاء عالم دين يعتبره البعض من بين المراجع العظام للمذهب الإمامي، أم هو مجرد معمم مرتزق في خدمة السلطنة الصفوية العنصرية وعبدٌ للدنيا ما درت رواتبها، كما هو مضمون القول الحسيني؟!.

[٧٠] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣ - ١٢٤.

[٧١] - راجع المصدر السابق، ص ١٦١.

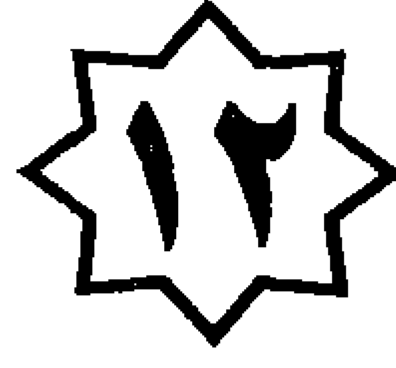
[٧٢] - راجع مقدّمة باقر الصدر لكتاب الصحيفة السجادية الكاملة، إصدار دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان / بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هجرية، ١٩٩٩ ميلادية، ٥ - ١٢، وخصوصاً الصفحة ٨. كما يمكن مراجعة «دعاء لأهل الثغور» للإمام علي بن الحسين، وهو الإمام الرابع والمعصوم عند مريدي ذلك الطريق التفسيري لأحد المدارس الإسلامية، الذي ينتصر فيه للدولة الأموية ضد الدولة البيزنطية، وذلك على الصفحة ١٣١ - ١٣٨.

[٧٣] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢.

[٧٤] - وكانت المواطنة الأحوازية راية الطرفي قد قامت بترجمة مقال رئيس الحرس الثوري الفارسي الصفوي الأسبق محسن رضائي المنشور في موقع «بازتاب» التابع له، والذي تضمن توجيه التهديد لبعض الوسائل الإعلامية العربية، والمقال منشور في٢٣ يوليو ٢٠٠٧م، ومما جاء فيه«في هذه المواضيع، ضمن التخريب وتوجيه الإهانات لمقدسات النظام [!!!] الإسلامي وتوجيه الاهانات لإسلامية [!!!] النظام الإيراني»، والإساءة «للسلطة الوطنية لدولتنا على الأراضي والمنافع الوطنية» مستغلين المقالة التي وردت في جريدة {كيهان} للقول أنَّ «إيران تسعى للسيطرة على المنطقة»، وقد أقدمت بعض الأصوات الإعلامية في«دول الخليج الفارسي[!!!]» على وصف، وبوقاحة، «مرشد الثورة الإسلامية بالدكتاتور المعصوم»، واستنكر رضائي القول أنَّ «هدف الفرس و إحياء الإمبراطورية المنصرمة لكسرى» كون الفرس «قوم كانوا دائما ذوي أطماع سياسية وطائفية»، متناسين - كما يزعم - أنَّ الإيرانيين كانوا القوم الوحيدين الذين يؤمنون بالله منذ القدم والأعراب كانوا في الجاهلية وأرسل لهم الله رسل مختلفة لهدايتهم ودولة إيران على

عكس باقي الدول العربية ودول المنطقة تدار برأي الناس وتحت القوانين الإسلامية وبشكل مستقل دون تدخل الغرباء»، تلك هي تكثيف شديد لخزعبلات رضائي.

وهي مكتوبة عن بعض الملاحظات النقدية التي وجهها بعض الإعلام العربي، وتستمد تلك الملاحظات وجاهتها من مسيرة سياسية للنظام الصفوي الفارسي، ومجسدة بوقائع ملموسة تجاه بعض الأقطار العربية. ومع ذلك فإنَّ رضائي يؤكد، أنهم «إسلاميون» على حد مزاعمهم، وليسوا مذهبيين طائفيين كما تدل على ذلك حقيقة نشاطاتهم الإعلامية والدعائية في الداخل والخارج. وهم «وطنيون» على الرغم من مواقف المكونات القومية للدولة الإيرانية، التي لها ملاحظات أساسية على الهيمنة الفارسية. وقامت قائمتهم لمس «الذات المجتهدة للمرجع الأعلى: الخامنئي» بالرغم من عدم أعلميتها، كما ترسم معاييرها الرؤية الإمامية، المسماة بالمرجع الأعلى، وتعْجُبْ من وصفه بـ«الدكتاتورية» في الوقت الذي له مطلق الصلاحيات في كل الوضع السياسي الإيراني، وانطلاقاً من رؤية ميتافيزيقية لا يمكن محاسبتها، بأي شكل كان، أبداً. والخليج العربي، كما تدل الطبيعة القومية لأغلب القاطنين على شواطيء الخليج، يغدو عنده أو عندهم «الخليج الفارسي»، لماذا؟، ليس هناك من إجابة فعلية تتسم بالإدراك المعرفي والحس العلمي غير التسميات الأوربية المخاتلة والمضادة للأمة العربية التي استُخدِمَت في الماضي. وهم «القوم الوحيدين المؤمنين بالله» بينما كان الأعراب، وهو تعبير قرآني أطْلِق على بعض البدو من سكان الصحراء المخشوشنين الأجلاف الذين كانوا أشد كفراً في سلوكهم من كفار قريش، بينما القرآن الكريم والرسول الكريم خص العرب بجميل آياته وأنصع المواقف وأبلغ التعبيرات الإعتبارية، وحارب القرآن إمبراطورية الفرس وخاض الإسلام معركته الكبرى ضد المجوسية ومن أجل فرض الإعتراف بوحدانية الله على «الكفار» الذي وصف فيه الرسول، [ﷺ]، قائد الجمع المؤمن خالد بن الوليد في أعقاب موقعة مؤتة بسيف الله المسلول. ويكاد أنْ يقول المريب: خذوني، عندما يتطرق رضائي لمسألة الأطماع السياسية والطائفية والعودة لبناء مجد كسرى، في حين أنَّ كل إجراءاتهم السياسية والصفوية الفارسية تشير بالملموس إلى ذلك التوجه الكسروي. وسيطول بنا المقام لو حاولنا تتبع خزعبلات رضائي ومَنْ يمثلهم رضائي، ولكن منطقه السياسي قد كشف المخبوء من رؤيتهم العنصرية الطائفية: الصفوية الفارسية.



مبالغات خرافية وبرامج صفوية
حول ما فعله الأئمة وظواهر عبودية الأسماء

الرصد الثاني عشر

تلك هي أبسط تجليات المعالم الأساسية للرؤية الفارسية الفعلية والتي تكثف، ووفقاً لدعايتهم المستمرة والخبيثة، دلالات «الدونية» لمجموع العرب كشعوب، تعيش في أقطار متعددة جرّاء السياسة الغربية البريطانية الفرنسية التي تنازعت السيطرة على الأمة الأمة العربية في أعقاب اِتفاقية سايكس بيكو في عام ١٩١٥م، وكفاحهم أبناء الأمة المديد من أجل توطيد بناء مستقبل الوطن العربي المجاهد في سبيل رفعته ورفعة القيم التي آمن بها أبناء المجتمع العربي، والروح العدوانية التي تشكلت تاريخياً في الذهنية الفارسية، وأفرزت تراثاً فكرياً مكتوباً ومطبوعاً ومقروءاً من قبل البعض المتمسك بالرؤية الفارسية الصفوية، وما يزال هذا التراث يتكرر بالنوايا والأقوال ومقروناً بالأفعال المجرمة والدنيئة ضد كلَ مَنْ لا يؤمن بالرؤية القيادية الفارسية الإيرانية: خنقاً وقتلاً ورمياً في المياه أو الفيافي أو الشوارع أو الزوايا المهملة.

إنَّ معيارنا الأساس في التقويم لمفاهيم الرؤية السياسية الفارسية الصفوية هي الممارسة العملية فوق الساحة العراقية، لا الأقوال المطبوعة والدعايات المنشورة، ومقياسنا النتائج لا النوايا، ودليلنا ما نجم عن البرامج السياسية والطائفية الممارسة في العراق بصورة خاصة، والوطن العربي بشكل عام، فأينما نتلفت في ذينيك البعدين الجغرافيين نلمس آثارهما تاماموسة: فتن وتقاتل ونخر في البناء الِاجتماعي، وأعمال منظمة «غدر» وغيرها من المنظمات الصفوية ذات الفكر الفارسي في العراق، وأحداث صعدة في اليمن الموحد، والنشاط التخريبي في مصر على طريق تفتيت وحدة المجتمع الإسلامي، والتفريق بين

سكان أبناء الخليج العربي على أساس «الإيمان بالولاية» وإقامة المصائب الحسينية التي يجري عبرها ضخ المفترات بخصوص التاريخ الحضاري العربي الإسلامي، زمجريات بث الشقاق والنزاع في بلدان السودان والمغرب وفلسطين، كلها ظواهر تلفت النظر حول الدور الإيراني الخبيث في عمليات نشرها وترويجها ومحاولات ترسيخها.

إذ أنها رؤية إعلامية/ دعائية يمكننا القول عنها: أنها مسّت في مخاتلاتها حتى أئمة آل البيت ذاتهم من خلال إضفاء صفات العزة الإلهية والقداسة والجلالة على أولئك الأئمة، بهدف تأليههم، من ناحية، وبغية تقزيمهم حسب الحاجة الصفوية، من الناحية الأخرى: «إنَّ الإمام علي هو الذي حمل نوح في السفينة وأخرج يونس من بطن الحوت وهو الذي عبَّر موسى البحر وأنقذ إبراهيم من النار، كما جاء في موسوعة المجلسي - بحار الأنوار»، [٧٥]، ومن المعلوم أنَّ النبي إبراهيم الخليل، هو أبعد في مرحلته الزمنية، ومن الناحية التاريخية، من النبي موسى، عليهما السلام، فهل جاء هذا التقديم والتأخير في نص المجلسي هو بمثابة الدغدغة لعواطف الرؤية اليهودية ومبتغياتها، أم كان ذلك التقديم والتأخير قد حدث بمجرد المصادفة غير المقصودة؟!.

اليوم يشترك القادة الفرس الإيرانيون وبشكل رسمي في عملية تهريب اليهود الإيرانيين إلى كيان الاغتصاب الصهيوني، لتفضح هذه العملية مخاتلة أخرى من مخاتلات الفرس حول ما يسمى بدعمهم للقضية الفلسطينية عبر المنظمات المتأسلمة، ومزاعم عملهم على التدمير الكلي لكيان الاغتصاب الصهيوني، الأمر الذي يوجب على منظمتي «حماس» و«الجهاد»، وغيرهما من المنظمات المتأسلمة، إعلان موقفها السياسي الواضح من هذه الجريمة: تسفير اليهود إلى كيان الاغتصاب الصهيوني التي تنطوي على دلالات كثيرة وهامة!!..

وعودٌ على بدء، إنَّ إشارة واحدة من الإمام علي بن أبي طالب تجمد الماء، [٧٦]. ومحمد بن عبد الله، [ﷺ]، وعلي بن أبي طالب هما أبوا البشر الروحيان، بله عند البعض «المجتهد» المجسِّدان للبشر، [٧٧]، إذ هما من منبع واحد ونور مشترك، ونسبوا للإمام علي قوله: «كنت

أنا ومحمداً نوراً واحداً من نور الله عز وجل، فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أنْ يُشق، فقال للنصف: كنْ محمداً وقال للنصف: كنْ علياً... وصار محمد الناطق، وصرت أنا الصامت... ثم ضرب (ع) بيده على أخرى وقال: صار محمد صاحب الجمع وأنا صاحب النشر، وصار محمد صاحب الجنة وأنا صاحب النار، أقول لها: خذي هذا وذري هذا... وأنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله عز وجل علم ما فيه... وصار محمد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيين»، [٧٨]. فيما قال صاحب كتاب «جواهر الولاية»: أن النبي، [ﷺ]، قال في أعقاب عروجه إلى السماء «أنه لم ير باباً أو حجاباً ولا شجراً ولا ورقاً ولا غرفاً إلا وكتب عليها اِسم عليّ»، [٧٩].

أما مسألة تقزيم سمعة الأئمة وتلطيخ تاريخهم بالنواقص، فقد صرف الشهيد شريعتي الصفحات المرقمة من ١٩١ - ٢٠٣ من كتابه المشار إليه، لإيراد أقوال «العلماء» و«المراجع العظام» ممن يدعّون الإلتزام بالرؤية الإثنا عشرية، حول محتويات الموضوع الخاص بالنواقص تلك، وهي أقوال وإدعاءات تضم ترهات وسخافات لا تخفى على أي متابع ذي حاسة نقدية ومعرفية، كريم ومخلص ينظر إلى التاريخ العربي الإسلامي نظرة واقعية، رأيت من اللائق عدم إيرادها، كي لا أثقل على القارئ الحصيف معاناته فوق معاناة المبالغة غير المعقولة، من ناحية، وتعاف النفس تداول تلك الروايات الساذجة السخيفة وترويجها، من ناحية أخرى.

وهناك مثال آخر لفت نظر مؤسسة الأزهر المصرية - على سبيل المثال - عندما جرى الترويج لعبودية الأفراد «المؤمنين كالأئمة الإثني عشر، مثلاً» أو قد تكون عبودية لبشر «إستثنائيين ومبجلين» عند أصحاب الرؤية الإمامية، وذلك عن عفوية فكرية وذهنية ساذجة شابت «عموم أدمغة أنصار المذهب» وبعض «عقول المجتهدين فيهم» أو بحكم «سنّة التقليد» التي جرى تحويلها إلى معيار تقاس فيه رؤية المرء المسلم الذي قد يموت «ميتة جاهلية» إذا «لم يكن له إمام يقلّده في كل شيء»، لقد راحت مؤسسة الأزهر وجامعتها، تسجل بعض الطلاب العراقيين ممن ينحدرون من المدرسة الإمامية يحملون

أسماء تـُعبـِّد الأفراد للبشر مستنينهم من التسمية الخاصة بعبودية الإله الواحد الوحيد الفرد الصمد.

كان المسؤولون في جامعة الأزهر يقومون بتسجيل أولئك الطلاب في الكليات المطلوبة من قبلهم بعد إضافة «رب» قبيل اِسم أولئك البشر من العراقيين أولئك: كعبد رب الرسول مثلاً. لقد بتنا نرى أسماء مثل عبد علي، عبد العباس، عبد الحسين، عبد الحسن، عبد الرضا، عبد السادة منتشرة في صفوف المسلمين من أتباع الرؤية الإمامية، ومألوفة جداً في الشارع العراقي الملتزم بالرؤية الإثنا عشرية، بالرغم من إدراك الجميع المسلم أنَّ العبودية لله: الخالق للبشر وحده، كما شدد على ذلك الدين الإسلامي في مختلف سوره القرآنية، فخير الأسماء ما عُبـِّدَ لله وما حـُمـِّد له، كما جاء في الأثر الشريف.

ومن الجدير بالذكر: القول التالي الذي ينبغي إيراده بمناسبة التطرق لأسماء تدل على العبودية للبشر، وهو محرّم شرعـاً وذوقاً، ومحتواه القول التالي: الذي أجادت به قريحة أحد المؤرخين المتفحصين للتاريخ العربي الجاهلي: قبل الإسلامي وعلى وجه التحديد وعشية بروز الرسالة المحمدية: العربية الإسلامية، ومرحلة العمل الحضاري العربي الإسلامي: عند تناول بواكير نزول ونشوء وتقدّم ذلك الدين السماوي على وجه الخصوص، عندما أجمل اِستخلاصه العلمي على ضوء الدراسة والتمحيص أو إقراره الحقيقة التاريخية التالية بعد تدبر في سيرورة التاريخ العربي الإسلامي: «من المعلوم أنه في المرحلة الإسلامية تغير هذا التقليد، وأصبحت «عبد»، في أسماء الأفراد، تسبق أحد أسماء الله، كعبد الرحمن أو عبد الرحيم، علماً أنَّ هذا التغيير هو في الحقيقة أقدم من الإسلام بقليل»، [٨٠].

وكان ذلك في أعقاب كان ما هو مألوف من أسماء كعبد شمس أو عبد ود أو عبد مناف... إلخ، أي أنَّ هذه الظاهرة التي نشهدها: العبودية للأفراد البشر من دون الله، والمنتشرة في هذه المرحلة من بروز الرؤية الفارسية الصفوية، وهيمنتها كمقولات دعائية وبعيدة عن مفاهيم الدين الإسـلامي الحقيقية والصحيحة، تمتد إلى مرحلة تاريخية حتى أسبق من العهد الجاهلي وأفكاره اللا إسلامية وتقاليده المرتبط بعبادة الأصنام، وفي الحقيقة

أنَّ هذا التقليد مرتبط - بهذا الشكل أو ذاك - بالتقاليد الفارسية القديمة: الكسروية التي كان فيها ملوك تلك الفترة: آلهة قدراتهم أعلى من قدرات البشر، كما كانوا يتصورون.

بلهَ، تجاوز البعض في «العبودية» حتى هذه الأسماء المبجلة في التاريخ والتي برهنت من خلال «أعمالها الصالحة» على مواقفها الإيمانية، وتركت المثال الفعلي الحسي الملموس على عبوديتها لله وحده، فكانت هناك أسماء أخرى منتشرة عند أنصار آل البيت في العراق وإيران وبعض المناطق الأخرى، وخصوصاً المستخدمة من قبل السذج والمغفلين، من قبيل عبد الحر، وعبد الزهرة، عبد المهدي، عبد الحمزة... إلخ، ومن دون أنْ يحاول «الفقهاء الإماميون المجتهدون ممن يقلدهم ألوف البشر»، تصحيح هذا «الخلل» التاريخي من خلال التركيز على ضرورة التمسك بعبودية الله الواحد في كل الظروف ومختلف الأحوال، وتوضيح مخاطر تلك الممارسة «الجاهلية» على الوعي الإسلامي الصحيح، وعلى صعيد «المفهوم» و«المبنى» و«المعنى» الخاص بالقدرة اللا محدودة للواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا يلد ولا يولد والمُعِين الوحيد لكل البشر، التي هي خصال وسمات وصفات خاصة بالله العلي العظيم، كما وردت في سورة الفاتحة القرآنية، مثلاً، [٨١].

كما غدت «تقاليد النذور» التي ينبغي أنْ تُهَلَّ لله وحده، وتوزع عوائدها وفوائدها على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل أو بناء المؤسسات الدينية، كما هو شأن التعليمات المرتبطة بالأوامر الإلهية... غدت ممارسة ناجمة عن التقليد لأقوال أدلى بها «علماء مجتهدون»، بحيث صارت تقدَّم لـ«البشر المقدسين»، إذ أصبح المثل المعروف في التداول بين العامة المؤمنين بالرؤية الإثنا عشرية: «نذر عبد السادة له ولأولاده»، هو المقياس الواقعي في الحياة اليومية عند عموم أبناء الرؤية الإمامية وأتباعها، فهذا النذر للإمام العباس، والآخر للإمام الحسين، والثالث للإمام علي، والرابع للإمام عون بن عبد الله... إلخ، ويجرجر المعممون الذين يزعمون اِنتسابهم «لآل البيت» أي لآل هاشم من نسل فاطمة الزهراء رضي الله عنها، أو هم فعلاً من آل هاشم...

يجرجرون الذبائح في المراقد العامة لأئمة آل البيت في العراق، كما رأينا تلاك الممارسات ولمسنا أمثلة حسّية منها، باِعتبار أنَّ ذلك جزءٌ من سهم الإمام أو من ما يسمى

بالخُمْسْ: المفهوم الديني المرتبط بالجهاد والفتح فقط، وتوزع خمس غنائمه على أبناء البيت من النسل النبوي من آل هاشم وآخرين على ضوء الآية القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، [سورة الأنفال، الآية رقم ٤١]، ولكن هؤلاء المعممين من السادة وبالإستناد إلى فتاوى «المجتهدين» قد غدوا هم فقط: المكلفون بأخذه من «الناذرين»، وبلغة أخرى: واضحة وصريحة هي السلبطة المخاتلة على تلك النذور.

وبذريعة «الخُمس» الذي تجاوزوا فيها حتى على النص القرآني الصريح عبر تحويله من أرباح «المغانم» الناجمة عن الحرب ضد المشركين والكفار والمرتدين، أي عندما يلتقي الجمعان، إلى الأرباح المتحصلة عن «مكاسب العمل» الصناعي أو التجاري والجهد الشخصي، باختصار العمل العضلي أو الفكري، وجعله شرطاً أساسياً لإيمان «الفرد الذي يلتزم: مباديء التشيع» بعد نشوء مفهوم ضرورة الإيمان بـ«الإمام الغائب»، وذلك لوضعه في خدمة البطّالة من «المعممين» والعاطلين عن العمل من الأرومة الهاشمية، بدعاوى مختلفة، لا تتوفر فيها أدلة محسوية وملموسة على صحة مباديء الخمس المتحصلة عن مكاسب العمل.

ألا يمكن مناقشة هذا المبدأ على أسس عقلية ومنطقية على ضوء النص الصريح والممارسات الفعلية خلال التاريخ كله لكل المدارس الإسلامية الأخرى؟.

لقد غدت الأموال المتجمعة في المراقد الخاصة بأولئك الأئمة الكبار لذلك المذهب، على ضوء ذلك المفهوم، السبب الأساس في التهارش والإقتتال بين أصحاب المصالح الدنيوية من قبل أولئك «السادة والمعممين» أو «السدنة القائمين على الروضات التي تضم رفات بعض الأئمة»، على حساب القيم الدينية الإسلامية التي يدعّون «التمسك بأهدابها»،

في الوقت الذي يعلم جميع المتابعين المخلصين من ذوي الضمائر الإسلامية النزيهة، أنَّ تلك العادات السقيمة ما هي إلا «كـدية» تتسـتر بالتقاليد المتوارثة ومن أجل الاغتناء المالي، من ناحية أولى، وليس سـداً للحاجة التي يفرزها شـظف العيش، من ناحية ثانية، وأنَّ الهاشميين قد اِكتسبوا هذا اللقب جراء كرمهم ومواقفهم في أيام الشدة والقحط من خلال «تهشـيمهم» الخبز وتقديمهم الثريد للحجاج القادمين إلى مكة، [٨٢]، من ناحية ثالثة، كما تقول الرواية التاريخية، ناهيك عن قولنا السابق، إن ذلك المفهوم: «الخُـمس» مرتبط بشكل تاريخي من الممارسة: الِاستيلاء على أموال المناطق المفتوحة بقوة الغلبة وسيف الفتح..

ومما يجدر ذكره أنَّ بين تلك الكدية عند الأتباع/ السادة، المتلفعين بأزياء الرؤية الإمامية من مرتدي العمائم الحمراء [الطرابيش التركية] والشال الأخضر - رمز أهل البيت - الملفوف عليها بعناية، من ناحية، وسمات الكرم التاريخي عند آل هاشم، من ناحية أخرى، بيدّ دونها بيدُ، كما يقول الشاعر العربي العظيم أبو الطيب المتنبي.

وتوفرت الأجواء - فوق ذلك - لكي يتجرأ بعض السذج والأغبياء من المدعين «تدينهم» على الذهاب إلى الريف العراقي، بعد لف العمائم السود أو البيض على رؤوسهم، أو شد الأحزمة الخضراء على وسط أجسادهم، من أجل الِاستحواذ على منتجات الفلاحين الفقراء من الحبوب أو الخراف أو الدواجن وبيضها، أو التوسل للحصول على بعض مدخراتهم المالية القليلة، مستغلين تقاليد الكرم عند البسطاء من أبناء الريف العراقي، واللعب على مشاعرهم الحالمة بالتعويض عن بؤسهم في الدنيا الحاضرة، الزائلة، من خلال التعويض الإلهي عن حسناتهم المالية بقصور النعيم والتمتع بحور العين والِارتواء من أنهار الخمور في الجنة السرمدية القادمة والموعودة في اليوم الآخر...

أي في الحياة الخالدة، فضلاً عن لهط الأكلات الدسمة المعَّدة لهم، وازدراد لحوم الدواجن المتوفرة عندهم، التي يحرمون أنفسهم وأبناءهم منها، ما خلا توفيرها في أيام الأعياد الإسلامية المعروفة، كعيد الفطر المبارك الذي يعقب شهر رمضان، أو عيد الأضحى الذي يقترن بشعيرة الحج.

- هوامش الرصد الثاني عشر -

[٧٥] - كنت أظن أنَّ ذلك السلوك الطائفي العنصري المتعجرف ينطبق على العرب الذين يقطنون في إيران فقط، حتى شاهدت إحدى المقابلات التلفزيونية، التي تبثها القناة التلفزيونية الثانية الهولندية، مع عدة شباب إيرانيين ممن يعيشون في هولندا، تحدث فيها شابان إيرانيان حول شجون معاناتهم الشخصية في «جمهورية إيران الإسلامية» التي اِضطرتهم لترك وطنهم، من جهة، وجرّاء لجوئهم إلى إحدى الدول الأوربية على خلفية ما كانوا يعانونه في ظل السلطة الثيوقراطية، باِعتبارهم يمثلون شرائح في المجتمع الإيرانية.

على أنَّ لي ملاحظتين على ذلك الحديث، الأولى باِتخاذي ذلك الحديث مجرد نموذج وليس معيار الاِتفاق أو الاِختلاف معه، والثانية يتعلق بعدد الفارين من إيران الذين يتجاوز رقمهم السبعة ملايين مواطن إيراني، الأمر الذي يكشف الأبعاد الحقيقية لمزاعم المضامين الديمقراطية للنظام الفارسي الصفوي في طهران.

قدّم أحد المتحدثين نفسه على أنه هجر الدين الإسلامي وتحول إلى الدين المسيحي بسبب الواقع «الديني» في إيران، وكم ونوع الخرافات التي تنتظم الرؤية «الدينية الإسلامية»، كما رأى ذلك في الوقت الذي يعلم جميع المتابعين لسياسة النظام الفارسي الصفوي أنه نظام طائفي مذهبي وليس نظاماً إسلامياً ملتزماً. أما الآخر فقد تحدث عن حريته المطلقة في اِلتزام قيم الشاذين كخيار حياتي جديد في ظل النظام الفارسي الصفوي، الذي يضطهد الأناس «المثليين»، ويبدو أنه اِتخذ ذلك الطريق المشين وفق الأعراف الإسلامية، وسيلة لقبوله لاجئاً سياسياً في هولندا هرباً من النظام المذهبي القامع لأغلب الإيرانيين!.

[٧٦] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨. ويلاحظ الشهيد شريعتي أنَّ «آداب الصفوية ورسومها هي نسخة طبق الأصل من الآداب والرسوم والتشريفات التي تجري في أروقة البلاطات، وليس ثمة فارق كبير بين قصر (عالي قابو) وبين (مسجد شاه)، ومثل هذا الكلام ينسحب على الألقاب الضخمة الفارغة التي يتم تبادلها في الحوزات العلمية الشيعية حيث لم يكن لها جذور تاريخية عريقة، وإنما هي مظاهر طارئة ظهرت في الحوزة تقليداً للبلاط الصفوي أو القاجاري الإيراني»، المصدر السابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

[٧٧] - أورد كتاب شريعتي الرواية التالية إنَّ: «أمير المؤمنين (كرم الله وجهه) كان مع رجل يهودي في سفر فوصلا إلى نهر فخلع اليهودي ثيابه ورماها إلى الماء وجلس عليها حتى عبر النهر، ثم خاطب أمير المؤمنين قائلاً لو كنت تعلم ما أعلمه أنا لفعلت مثل ما أفعل!. فأشار أمير المؤمنين بيده إلى

النهر فإنجمد ماؤه وعَبَرَ (كرم الله وجهه)، فلما رأى اليهودي ذلك وقع على رجليه وقال: أيها الفتى! ما الذي قلته فإنجمد الماء؟ فسأله (كرم الله وجهه): وما الذي قلته أنت فعبرت النهر؟ قال اليهودي الخيبري: دعوت الله بإسمه الأعظم!، قال (كرم الله وجهه): وما ذاك؟ قال اليهودي: وصي محمد. قال علي (كرم الله وجهه): أنا وصي محمد (ﷺ). قال اليهودي: آمنت وأسلمت». [المصدر السابق، ص ١٨١ - ١٨٢].

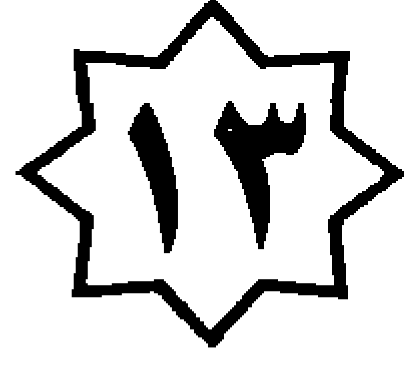
[٧٨] - يفسر المجلسي العبارة الخاصة بالوالدين التي وردت في القرآن الكريم، بسورة النساء، «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً» بالرأي التالي: «المقصود من الوالدين في الآية الكريمة هما محمد (ﷺ) وعلي (كرم الله وجهه)، يقول العلامة المجلسي في هذا الصدد: إنَّ المراد أنَّ محمداً وعلياً هما الأبوان الروحيان للبشر. غير أنَّ العلامة السيد محمد علي الكاظميني البروجردي صاحب كتاب (منشورات النور من درسنا في دار الشفاء مسجد ميدان خراسان) يذهب أبعد من ذلك ويقول: «بل يمكن القول أنَّ محمداً وآل محمد هم آباء روحانيون وجسمانيون للبشر... وهم الوالد الحقيقي للبشر»، المصدر السابق، ١٨٥ - ١٨٦.

[٧٩] - المصدر السابق، ص ١٨٧ - ١٨٨. والحديث منسوب لسلمان الفارسي وجندب وقد ورد في كتاب «بصائر الأنوار».

[٨٠] - المصدر السابق، ص ١٨٧.

[٨١] - راجع الدراسة التاريخية الهامّة للدكتور محمد سعيد والمعنونة النسب والقرابة في «المجتمع» العربي قبل الإسلام: دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف، إصدار دار الساقي، بيروت / لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص ٤٩٢. [إستشهاد لاحق عن الدراسة هذه والتي كُتبت في مرحلة سابقة لتوفر هذا الكتاب].

[٨٢] - النسبة، أساساً، إلى أحد السادة في قريش خلال مرحلة الزمن الجاهلي: السابق للدين العربي الإسلامي، وهاشم بن عبد المناف على وجه التحديد، وهو جد الرسول محمد بن عبد الله، [ﷺ]، وكان ذا نصيب من الثروة ويشتغل في التجارة، وتوفي في مدينة غزة الفلسطينية، لذا سميت المدينة بغزة هاشم، في دلالة على أهمية هذه الشخصية المرموقة التي حوَّلها أصحاب الكدية إلى وسيلة للربح من دون عمل، والتكسب عن طريق المخاتلة التي قد تُناقض التعاليم الجوهرية للدين العربي الإسلامي.



لماذا تخصيص عمر بن الخطاب رضى الله عنه بموفور حقدهم وأوسع شتائمهم؟!

الرصد الثالث عشر

ولمقام الأنبياء الذين اِصطفاهم الواحد العزيز القدير رسلاً مؤتمنين على نشر تعليماته المقدّسة للبشر كافة، على أساس نوعية قومياتهم ونوعية تفاهمهم اللغوي، رغم ما آلت رسائلهم الدينية تالياً من تحريف أو تشويه تصل، في بعض الأحيان، إلى حد التناقض، كما هو الحال في الرؤية الدينية «التوراتية ومدارسها الكثيرة» من ناحية، وتقزيم الرؤية الإلهية إلى خيارات خاصة بالنسبة «لشعب الله المختار» على حساب الرؤية الإنسانية العالمية العامة التي خص بها كل البشر، من ناحية أخرى... نأتي بهذين البعدين المجسدين للتناقض الموضوعي على سبيل المثال، للوصول إلى حقيقة أنَّ الرؤية الطائفية المتقوقعة على الذات تؤدي حتماً إلى مثل هذا الاِجاه الفكري الخاطيء.

وهي الرؤية الطائفية/ الصفوية تؤدي إلى جعل أولئك الأنبياء نصيبهم في محور التقزيم الفارسي، وشأنهم في التهوين من قدراتهم ومآلهم في الأجر والثواب جراء طاعتهم الربوبية في نشر تلك التعليمات المنزلة إليهم والاِلتزام بمضامينها الدينية، إذ كثيراً ما يلجأ الأنبياء والرسل عليهم السلام لأئمة آل البيت، وفقاً لمزاعمهم التي تتمحور على ضرورة وجود الواسطة غير الإلهية، لنيل ثوابهم عند مَنْ خلقهم: إذ «طالما لجأ الأنبياء إلى التوسل إلى الله بأهل البيت لتقضى حوائج الدنيا والآخرة، كما ورد بشأن توبة آدم ونجاة نوح.. إلخ»، [٨٣].

وتأسيساً على هذه العظمة التي يمثلها الأئمة والمنزلة الرفيعة التي يحتلوها عند الله، وفقاً للمزاعم الفارسية الصفوية، بسبب كونهم - من وجهة نظرهم - أجَّل درجة وأكرم

صفات حتى من الأنبياء الذين اِصطفاهم الله، بأنْ جعلوا الأئمة في تخيلاتهم التي عدّوها حقائق مطلقة رغم كونها غير ملموسة، ندماء ومستشارين في حضرة السلطان الساساني، كما يقول الشهيد شريعتي، وذلك «لتحقيق الأغراض» الخاصة بالملوك الفرس، «كان على التشيع الصفوي أنْ يلجأ إلى أسلوب معقّد وشائك يجمع فيه بين تعظيم وتقزيم أئمة الشيعة...»، [٨٤]، ولم يكتفوا بجمع تلك الخصلتين وإلصاقهما بالأئمة، بل «كان عليهم، في ذات الوقت، أنْ يقزموا أهل البيت لكي يفقدوهم الطابع والصفة الرمزية التي من شأنها أنْ تلهمهم السير على خطاهم والتأسي بسيرتهم في رفض الذل والعبودية والمطالبة بإقامة العدل وتحكيم الحق ونبذ الظلم والحيف والتميز الطبقي والعرقي والتأكيد على ممارسة الفرد لدوره الإيجابي البنّاء على الصعيد الاِجتماعي»، [٨٥]، وذلك من أجل التعتيم على «فكرتهم المسبقة» والتدليس فيما يتعلق بنزوعهم الإستعلائي، بغية التغطية على أفعالهم وممارساتهم التي ترتبط برؤية عنصرية ليس إلا!.

وتبلغ ذروة مخاتلاتهم واِستهتارهم في المجال الفكري العربي الإسلامي، عندما يحولون أقدس يوم، وأنصعه، وأكثره سروراً في حياة المسلمين: يوم الهجرة النبوية، كونه اليوم الذي نجا فيه الرسول الأعظم، [ﷺ]، من التآمر المشترك لقتله عندما قرر رجالات قريش الكافرين بإنتخاب فارس من كل قبيلة لخلق مجموعة في الاِغتيال من أجل تفريق دمه على القبائل، وبالتالي جعل عملية القصاص من أجله غاية في الصعوبة، ومرافقة أبو بكر الصديق، [رضى الله عنه]، في هجرته المباركة إلى مدينة يثرب بعد أنْ عمل على توفير الظروف لهجرة كل المسلمين لها والتي ستصبح «المدينة المنورة» في المراحل اللاحقة، وما تزال: كان أبو بكر رضى الله عنه الذي إختاره الرسول، [ﷺ]، في مرافقته تلك الرحلة الهجروية العظيمة، ثاني اِثنين في ذلك الجبل الذي وفر الله لهما الأمان من ملاحقة الفرسان المشركين.

إنّ الله معنا كما طمأنَّ الرسول العظيم صاحبه الذي كان يمده بالطاقة المعنوية وهو في حالة الفـرَق على حياة الرسول، كما أشار على ذلك القرآن الكريم في محكم آياته الكريمة،

خرجا من مكة: بلديها المفضلان عندهما، بهدف تسللها إلى يثرب بتوقيتٍ وطريقٍ بعيدانً عن مراقبة متآمري قريش وأنظارهم وهما في طريقهما إلى مدينة يثرب، للإلتحاق بأنصاره المسلمين من المهاجرين ومن الأوس والخزرج، وشروعه في تأسيس الدولة العربية الإسلامية، أعني به ذلك اليوم الأول من السنة الهجرية المباركة التي أقرها المسلمون بناء على موروث عربي يمتد إلى فترات غائرة في التاريخ العربي القديم، كون «السنة الدورية التي اِعتمدها العرب في تقويمهم هي القمرية»، [٨٦]، من ناحية، وبناء على القرار الذي اِتخذه الخليفة الراشدي الثاني العادل عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه]، بجعل يوم الهجرة هو اليوم الأول من السنة العربية الإسلامية، [٨٧]، كيوم مميز وعيد مبارك يحتفل فيه المسلمون كافة...

يحول الفرس الصفويون ذلك اليوم الزاهر والنصر الإلهي العظيم بما رافقها من معجزات: رقود الحمامة على بيضها، وإنتظام خيوط شبكة العنكبوت، إلى اليوم الإفتتاحي للأيام العشرة من شهر محرم الحرام، وجعله يوم مجلل بالسواد بسبب إضفاء سمات الحزن الشامل عليه جرّاء «الفجيعة الحسينية» التي ستحدث في العام ٦١ هجري، من ناحية، ورغم أنَّ تلك الفجيعة سيكون تاريخها وقوعها، بعد عشرة أيام من ذلك التاريخ المجيد وتلك المناسبة العظيمة، من ناحية أخرى... إنَّ الفرس الصفويين يجهدون من أجل تصويره يوماً كئيباً في مضمونه وحزيناً في مراميه ومؤلماً في دواعيه، بدلاً من جعله حافزاً للبحث عن الحق الإنساني الصريح ومقاومة الطغيان الفظيع بشقيه الإحتلال والإستبداد.

وكذلك يسود إستقباله: من قبل أبناء هذه المدرسة: الفارسية الصفوية ومناصريها الجهلة، من خلال الصياح بالندبة والنواح المليء بالعبرات والنعي الشجي والبكاء العالي الصوت، والصراخ المتظلم واللطم على الصدور وضرب الظهور بالسلاسل وشج الرؤوس بالسيوف والقامات، في تفريغ لطاقات شحنة الغضب المكتنزة في صدور أبناء وأتباع المدرسة الإمامية، التي ينبغي أنْ تتوجه ضد المحتلين والظالمين. فما هو السبب الكامن وراء ذلك السلوك الفارسي الصفوي، يا تُرى؟!.

في الحقيقة أنهم يخبؤون اِحتفالات الفرح الخاصة بهم ليوم آخر من أيام السنة الشمسية الفارسية، بعد مزجها بالتراث الفارسي المرصوف في كتبهم، بدلاً من ذلك اليوم العظيم الذي هاجر فيه الرسول الكريم، [ﷺ]، بمعية مَنْ سيصبح الخليفة الراشدي الأول: أبو بكر الصديق، [رضى الله عنه]، من مكة المكرمة إلى مدينة يثرب، الذي ذكرهما الله في معجز كتابه }إذ هما ثاني اِثنين في الغار{، تاركاً الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، في فراشه مضحٍ بنفسه من أجل إنقاذ صاحب الرسالة واِفتداء الرسول العربي العظيم، [ﷺ]...

مخبئين فرحهم ذاك إلى الإحتفال باليوم الأول من تدشين سنتهم الفارسية الجديدة في الحادي والعشرين من آذار من كل عام شمسي، وهو اليوم الذي تبتديء فيه السنة الفارسية الشمسية التي بات عمرها الراهن ١٤٨٦ سنة، [والتاريخ المذكور هو مقرون بسنة تأليف هذا الكتاب]، مفضلين هذ التاريخ الفارسي، على التاريخ الهجري الإسلامي، إنطلاقاً من رؤية عنصرية تتعمد تضخيم الرؤية الفارسية على ما عداها من أحداث ومناسبات، بالرغم من أنهم يسمّون اِسم جمهوريتهم بالإسلامية، ويدعون الاِلتزام بكل التراث الإسلامي من وجهة نظر إمامية، فيما يكمن وراء كل ذلك التجاهل التام والمتعمد للسنة العربية الإسلامية القمرية التي بلغت راهناً ١٤٣٢، وهو المعبر عن التاريخ الهجري لذلك الحدث العظيم المتمثل في رحلة الرسول، [ﷺ]، من مكة إلى يثرب التي شكلت منعطفاً كبيراً في نجاح الدعوة الإسلامية الكريمة.

في ذلك اليوم من مما يسمى بـ«عيد نيروز» يحتفل الفرس الرسميون بشكل علني وعلى كل المستويات الرسمية وغير الرسمية، بحيث تعطل فيه المؤسسات الإدارية وتتوقف أغلبية المصالح الإيرانية، وتقام فيها الأفراح وتـُطيب فيها أنواع الأكلات الشهية وتـُقدم فيها الموالح والفواكه والحلوى، والعمل على إبراز مظاهر «الدين الزرادشتي» من قبيل الرقص المشترك بين الفتيات والشباب والطواف حول النار في ذات الفترة الزمنية، كما شاهدها المجموع المتابع لقناة «الجزيرة» القطرية وفي البرامج التلفزيونية المنقولة عن الشاشة

المرئية الإيرانية أو التي نقل أحداثها مراسلها في إيران، أو التي سمح بممارسة طقوسها «القادة الإيرانيون المسلمون» وفي مقدمتهم «الولي الفقيه» علي خامنئي، كما يبدو.

وهي مظاهر حرص الدين الإسلامي على إلغائها نهائياً، لتعارضها الجذري مع روحية الديانة العربية الإسلامية، ولكن لسلطة الملالي الحاكمة في طهران الرأي «الفقهي» الآخر، لأنها تتوافق مع الطموحات العنصرية للفرس وتتلاقى مع «الموروث الفارسي الساساني»، ومن المعلوم أنَّ مدة العطلة الرسمية التي تترافق مع قدوم «عيد» النيروز وهو اليوم الأول في: السنة الإيرانية الجديدة تكون في إيران: «الجمهورية الإسلامية» بشكل عام، ماعدا دوائر الأمن وأجهزة القمع على إختلاف مراتبها وتنوع أجهزتها...

إنَّ مدة هذه العطلة تبلغ أسبوعين ونيف، من أجل «العيد القومي الإيراني: نيروز»، فيما تكون العطلة اليومية الموافقة لمناسبة عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك، لا يتجاوز عددها اليوم الواحد! في كل عيد واحد من هذين العيدين، وخلالها ترسم السلطات الأمنية الفارسية الصفوية الخطط القمعية الشاملة ضد أبناء الوطن العربي في الأحواز بغية منعهم من الإعراب عن مشاعر الفرح الذي شجعها الدين الإسلامي، إنَّ الفرس الحكام وجلاوزتهم من الأجهزة الأمنية يسعون جاهدين من أجل تحويلها إلى «مناسبات إستثنائية» من الملاحقة والتفتيش والمداهمة بحيث يقلق فيه المواطنون العرب، [وغيرهم من القوميات الأخرى من غير القومية الفارسية: التي تلتزم بالشعائر الإسلامية]، عبر الإعتقالات والمطاردات وأعمال القمع الشاملة التي تتعاكس مع أيام العيد، [أي عيد]، ومناسبات الفرح المفترضة.

فضلاً عن أنَّ الحقيقة التاريخية التي تتحدث بالوقائع والمعلومات حول أنَّ هذا «الفتح الإسلامي» كله، والذي تسبب في تدمير الإمبراطورية الفارسية الكسرية الزرادشتية، كانت على يد هذا الخليفة العادل: عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه]، الذي شمله الرسول الكريم، [ﷺ]، بموفور توصيفه الإيجابي كونه الشخص المؤمن، وتمنى أنْ يكون وقوفه مع الدين الإسلامي نصراً من الله تعالى، من خلال دعائه الكريم: «اللهم أنصر

الإسلام بأحد العمرين»، واختاره الله، كذلك، لأحد العشرة المبشرين بالجنة، وصاحب القول: إنَّ الله أعزنا بالإسلام لا بالمظاهر، يوم فتحه للقدس وتخليصها من أيدي الروم، عندما أقدم بعض العرب الفاتحين على تقديم إقتراح بضرورة ظهور الخليفة عمر بن الخطاب، [رضي الله عنه]، بالملابس اللائقة والجديدة التي تبهر رجال الدين المسيحي، وهي كلها مفاهيم تتناقض وعلى طول الخط مع «التقاليد الكسروية الفارسية» التي كانت تهتم بالإنساب الملكية المختارة والمظاهر المترفة والملابس الملونة والمزركشة... إلخ.

إنه مزيج خطير من الممارسات العنصرية المقرونة بترديد الأساطير والحكايات الخرافية عن التراث الفارسي، ولكنه مركب كيميائي مقرون بالإرث الساساني التاريخي: المزعوم أو الحقيقي... الذي قالت به اليهود أو زعمه المستشرقون والذي تلقفته عقول الفرس الصفويين، وفي الحقيقة أنه جَماع التقاليد القائمة على البدع والدجل والغلو والدس والتدليس والتضليل والتكفير والتفسيق، من أجل العمل على إقامة الحواجز النفسية بين الشعوب المسلمة التي تخضع لسلطة الدولة الإيرانية، من ناحية، وبين بقية الشعوب الإسلامية من غير الفرس، من ناحية ثانية، إذ تمكنت هذه الرؤية الفارسية الصفوية من عزل أغلب أتباع الرؤية الإثنا عشرية عن بقية أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى، ومن خلال «سوء الظن بالآخر والإفتراء والطعن واللعن والتحريف والتزلف والتفسيق والتكفير»، [٨٨]، تمهيداً لتكريس رؤيتها القومية العنصرية السياسية على الأتباع والمقلدين لمراجعهم المعممين، [٨٩]، وجعلهم أدوات سياسية طيعة ينفذون مشاريعهم السياسية الفارسية الإستراتيجية.

هكذا يستخلص الشهيد علي شريعتي إستنتاجاته الفكرية بناءً على قراءة معمقة للتاريخ الساساني الفارسي، وكيفية صياغة الفرس أفكارهم وتنسيقها على أرضية المصلحة العنصرية الفارسية، من ناحية، والوعي العميق والصحيح بمفاهيم الدين الإسلامي وغاياته النبيلة، من ناحية أخرى، وهي شهادة منطلقة من رجل إيراني فارسي من حيث الأرومة البايلوجية، ولكنه يتمتع بمصداقية دينية مبدئية مع النفس ومصداقية مع الآخر في

آن واحد، رؤية دينية مبنية على معيار العمل الصالح كما هو مثبت في القرآن الكريم والحقيقة الفعلية التي جاد بها الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، لذلك كان يعتقد أنّ الله يراه في كل حين،وذلك محتوى إيمانه المطلق، ولذلك - أيضاً - هو يعمل على ضوء إيمانه الفردي بأنه يرى الله حاضراً في كل ممارساته، وفي كل لحظة من لحظات سلوكه اليومي.

وفوق ذلك، يستمر الدكتور شريعتي في فضح «أساليب التشيع الشنيع» وغاياته الشيطانية ليدحضها في نصوص مؤصلة في الكتب الإمامية والمصادر: الصادقة والمتوارثة، الحقيقية وليست المزورة، المتسقة مع المسار الحياتي لرجال ونساء آل البيت وصحابة الرسول، [ﷺ]، وليست الدخيلة المُتخيلة من قبل فقهاء الدجل الفارسي الصفوي، نصوص إمامية من وحي الإسلام ونبعه الصافي المتمثل في الرؤى التي تدفقت من أفواه المسلمين المخلصين البعيدين عن كل أنانية عنصرية وتعصب عنصري، وتجيء أقوال الأئمة الحقيقية، وسلوكهم العملي، في المقدمة من أولئك الفقهاء المسلمين المخلصين، لا الفقهاء من وعاظ السلاطين... الفقهاء الذين قالوا كلمة الحق في حضرة سلطان جائر، وضحُّوا بدمائهم الزكية في ساحات الجهاد من أجل رفعة راية الإسلام في دنيا الخلود وبين البشر ورسم معَالم جديدة للتاريخ الحضاري العربي الإسلامي.

وفي دحض تام لمنطق «التقية» المخاتل، القائم على الكذب والتدليس والمراءاة، وهو ما سنتناوله في ما يلي من أفكار في الرؤية القادمة.

- هوامش الرصد الثالث عشر -

[٨٣] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤.

[٨٤] - المصدر السابق، ص ١٦٤.

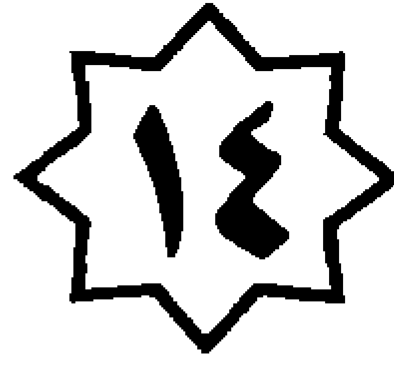
[٨٥] - المصدر السابق، ص ١٦٥.

[٨٦] - راجع كتاب الدكتور توفيق برو المعنون تاريخ العرب القديم، الصادر عن دار الفكر بدمشق / الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هجرية الموافقة سنة ١٩٨٤ ميلادية، ص ١٦.

[٨٧] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢، وفي هذا السياق يورد العالم الشهيد شريعتي ما قالته «الشخصية العلمائية الصفوية» مرتضى العسكري الذي سيكون «حجة متفقهة» عند الأتباع للرؤية الصفوية الفارسية من «العراقيين» ويحرصون على الإستفادة من مشورتهم له والقائل بضرورة التعاون مع الأمريكيين والتنظير للرؤية الطائفية... ما قالته عن الخليفة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب، ورميه بمختلف النعوت بالإستناد إلى مصادر مزيفة لا تخفى على أي قاريء فطن ولبيب ومخلص، لاسيما وأنّ شريعتي يؤكد ما مضمونه أنَّ الخليفة عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه]، اِكتسب المنزلة الرفيعة والمكانة الكبيرة من الإسلام لا من الأوضاع الاِجتماعية والطبقية الجاهلية، الأمر الذي يؤكد أنّ الطعن الذي يوجهه العسكري للخليفة هو طعن للإسلام ودوره في بناء الفرد العربي المسلم.

[٨٨] - شاهد عموم العراقيين ممن يتابعون الشاشات المرئية العراقية أحد المسؤولين الحكوميين الرسميين {عضو مجلس محافظة بغداد والملقب بالكاظمي}، وهو يصرخ اِحتجاجاً على تسمية أكبر شوارع بغداد بإسم هارون الرشيد بذريعة قتله للإمام موسى الكاظم، وعدم قدرته على تفسير الأمر لملايين، [!]، الزوار لمدينة الكاظمية، في الوقت الذي أغفل المعاني التي تنطوي عليها كارثة الجسر التي ذهب ضحيتها أكثر من ألف زائر لذلك الإمام والتي تسبب بها أحمد الجلبي، كما تقول الوثائق الملموسة، ومثلما اِعترف إلى صحيفة مصرية رسمية أحد أدوات التنفيذ، وكذلك اِستنكاره لوجود تمثال للخليفة العباسي الثاني: أبو جعفر المنصور مؤسس العاصمة بغداد.

[٨٩] - هذه الفكرة التي تشرح ما هو جارٍ في الواقع العراقي الملموس، خلال هذه الفترة الزمنية، مستقاة من كتاب الشهيد شريعتي، ص ١٧٢.



معيار العمل الصالح
والهرطقات المغايرة أو النقيضة

الرصد الرابع عشر

نستخلص من كل ذلك، وبناء على رصد تاريخي ملموس أو محسوس، كما هو، وليس تسطير ما هو متخيل أو كتابة ما هو مُفترض، كما هو شأن الدعاية الفارسية الصفوية وفتاويها العديدة... نستخلص الوقائع والدروس الحقيقية والواقعية والمرئية الملموسة تماماً، وليس المزوَّرة المسطورة في الكتب و«اليقين» المتوهَم في الأذهان، أنَّ الفارسية الصفوية قد رسمت خارطة أخرى بديلة للإسلام والتشيع بحدود فارسية صفوية كسروية وروح زرداشتية مانوية مجوسية، علاوة على جعْلها أئمة آل البيت الهاشميين من نسل علي بن أبي طالب أدوات صغيرة وتبريرية في خدمة مشروع عرقي ثقافي قومي شعوبي ساساني مبني ليس على «غرار تزاوج الديانة المسيحية والقانون الروماني القديم، بل أكثر من ذلك، قسَّمَ مذهب التشيع وطمس قيمه الروحية القائمة على العدل والإمامة الهادفة لحماية الناس»، [٩٠]، ومن هنا بالضبط والدقة يمكن التعرف عن الأسباب الحقيقية لمعنى «تركيز أجهزة الدعاية الصفوية على نقاط الإثارة والاِختلاف بين السنة والشيعة، وإهمال نقاط الاِشتراك، أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف أو يفرِّغها عن قدرتها على أنْ تكون أرضية صلبة لموقف مشترك بين الفريقين»، [٩١]، موقف سياسي مشترك في زمن العولمة والتفرد الأمريكي الطاغي على بقية أبناء العالم كله، وخصوصاً ضد أبناء العالم من شعوب القارات الجنوبية.

والتفريق بين البشر المسلمين وتفتيت مجتماعاتهم، على أرضية أيديولوجية فارسية طائفية، هي العادة المتبعة عند الملالي في الوقت الحالي، كونها هي أساس الرؤية الإيرانية

الرسمية الراهنة، وهي خصيصة عنصرية فارسية على مدى التاريخ العربي الإسلامي، في أعقاب صيرورتهم كتلة بشرية مؤثرة بالعالم كله في أعقاب الخلافة الراشدية، دون مراعاة المفاهيم الإسلامية للعمل التكاملي من أجل الخدمة الإنسانية لشتى الِانتماءات الدينية: فالإنسان أما أخوك في الدين أو الخـَلق، كما يقول الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، والعمل الإنساني الصالح المجسَّد في سلوك قويم يستهدف تحقيق غايات نبيلة، على طريق بناء المجتمع الإسلامي وفق المثل العليا المتمثلة في محتويات أفكار كتاب الله وسُنّة رسوله.

وسيرة أهل بيته وسلوك صحابته الكرام هو الدليل المادي على ذلك الِاتجاه السليم، وذلك بجعل الإنسان المسلم سوي ومتعاون ومتضامن مع أخيه في الرؤية الإسلامية والإنسانية، من كل النواحي، لا كما يسعى إليه الفرس الصفويون عندما يمارسون نهجاً يتحول فيه الإنسان إلى عنصر غير عاقل وغير مدرك وغير صادق أمام نفسه، وأمام الخالق عز وجل، وهو لا يشعر بأنه يأتي بكل تلك الأفعال المخالفة للتعليمات الإسلامية الحقة، بغية تحويل قناعاته الدينية الحقيقية إلى عضوٍ ناشط في القطيع المذهبي من خلال جره من خطم أنفه إلى ممارسة تعاليم بينها وبين الرؤى الإنسانية والإسلامية مسافات واسعة وتناقضات شاسعة من خلال تحويله «إلى تشيع ومذهب قائم على الخرافة والضلالة والظلام والبدع والشرك»، [٩٢]، من ناحية أولى.

لقد عمدت الصفوية]أي المذهبية الفارسية[إلى إضفاء طابع ديني]أي مقدس قائم[على عناصر حركتها وجرها إلى داخل البيت النبوي، إمعاناً في التضليل، ليتمخض عن ذلك المسعى]المحسوب العواقب إلى[حركة شعوبية «شيعية» جديدة في التاريخ المعاصر، خصوصاً بعد الِاحتلال الأمريكي المجرم للعراق وتحطيم دولته وإفلاش مؤسساته الخدمية، من أجل أهداف فارسية عنصرية خاصة بإيران، حتى لو أدى ذلك إلى تدمير أبناء العراق كلهم، ممن ينتمي أغلبهم إلى مفاهيم الحضارة العربية الإسـلامية، وكذلك بذل كل جهودهم الموتورة في سـياق عملهم الدائب، إلى «تحويل تشيع الوحدة، إلى تشيع الفرقة»،

ولعل توزيع كتاب ما يسمى بـ«مفاتح الجنان» لمؤلفه الفارسي الصفوي الشيخ عباس القمي، بمئات الألوف من النسخ وبشكل مجاني، على أبناء الشعب العراقي من أجل تسميم أفكارهم وحرف أنظارهم وشدهم إلى نواحي التعصب والعزلة والعداء للآخر،[١٩٣] ... توزيعه مجاناً يعـدّ علامة دالة على الجهد الفارسي المبذول من أجل إحلال محتويات هذا الكتاب المليء بالخرافات الفارسية والشعوذات الصفوية المدجلة، محل الكتاب المنزَّل من الإله: أي القرآن الكريم، من ناحية ثانية.

وفي الحقيقة أنَّ الدين الإسلامي يتميز عن باقي الأديان السماوية بصفاء نظرته النورانية واتساق رؤيته الإلهية الحافظة لكينونة وجوده على مدى التاريخ واختلاف سنوات الزمان، وبغض النظر عن المكان المعين، كما أكدت تلك الحقيقة تعاليم الكتاب العظيم: القرآن الكريم، والذي تكفل الله بحفظه سرمدياً، «إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون»، [سورة الحِجْر، الآية رقم ٩]، وعموده الأسـاس والكلي هو التوحيد لقدرة الباريء، عزه وجل.

قد يختلف العلماء المتدينون فعلاً والفقهاء المسلمون المتبحرون في النصوص، فيما بينهم على بعض الفروع والتفاصيل، ولكن الأساسيات والجوهريات التي تنتظم رسالته الكونية واحدة، وذلك من خلال أصول فكرية وسماوية تتسم بالوحدة والتكامل، مثلما تمتِّـن وحدتهم وتشجع تكاملهم وتحثهم على عمل الخير - إضافة إلى أنَّ تلك الأصول - تتماهي كلياً مع أهم الفروع الدينية الإسلامية الفقهية والتربوية، لذا يمكن القول، وبطمأنينة القلوب المؤمنة بالرسالة العالمية للدين الإسلامي، أنَّ التوحيد هو السمة الأساسية للمجتمع الإسلامي الكبير والتي تجمعهم الحقيقة التي تعارف عليها كافة المسلمين: إنَّ الله تعالى واحد في ذاته لا تقسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

والمجتمع العربي الموحد كأمنية وطموح لبنة أساسية في ذلك التنوع الإسلامي العالمي، إذا كان تسمية ذلك التنوع هي الكناية عن تسمية شعوب العالم الإسلامي، له من

السمات الوطنية والقومية المشتركة المميزة والواقعية، كما هو شأن الأمم القومية الأخرى، لا كما يورد الطبرسي في كتاب أعلام الورى عن دور الإمام علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما - على سبيل المثال لا الحصر - إذ يقول فيه: بعدما أورد جملة من معجزات الإمام الرضا الثامن في سلسلة الأئمة الإثنا عشرية، عليه السلام، «وأمّا ما ظهر للنـّاس بعد وفاته من بركة مشهده المقدس، والعلامات والعجائب، التي شاهدها الخلق فيه، وأذعن العام والخاص له، وأقـرَّ المخالف والمؤالف به، إلى يومنا هذا، فكثير، خارج عن الإحصاء والعد، ولقد أبريء فيه الأكمة والأبرص، وأستيجبت الدعوات، وقـُضيت ببركته الحاجات، وكشـفت الملمات، وشـاهدنا كثيراً من ذلك، وتيقناه وعلمناه، لا يتخالج الشـَّكُ والريب في معناه»، [٩٤]، وما تقدم من صفات جرى إقرانها بالإمام الثامن، هي الجحود بقدرة الباري الواحد والإنكار لقدرة الخالق والنسف الكلي لما أورده القرآن الكريم والتعتيم التام على ما مارسه الرسول الكريم، [ﷺ]، على أقل تقدير إذا ما أردنا التعليق غير المستفيض عليه.

أما «التشيع الصفوي» له في الشرك الباع الطويل، كما تقدم، مثلاً، وإنْ كان من باب محبة الإمام علي، فبعض الفرق المذهبية، والتشيع الصفوي - في مقدمة أولئك الذين يرطنون بمحبة الأئمة - «يضع علياً في مصاف الله سبحانه، ويزعم أنَّ له تدخلاً في خلق السماوات والأرضين، وأنَّ محبته كفيلة في ضمان الجنة لصاحبها»، [٩٥]، كما يقول الشهيد علي شريعتي، ووفقاً لما يروى عن حديث قدسي قال به الله [!؟] «محبُّ علي في الجنّة ولو عصاني ومبغض علي في النار ولو أطاعني»، [٩٦]، وبإعتبار أنَّ ذلك الإدعاء جزءاً من مفهوم «الولاية» الذي لابد للفرد الإمامي الإلتزام بمضمونه «الفكري» على حساب المفهوم التاريخي الواقعي الذي ثبتته القيم الدينية الإسلامية والإلتزام بشكل الحكم الذي أرسته الحضارة العربية الإسلامية الذي كان عنوانه «الخلافة الراشدة» وتنوع شكل السلطة فيها القائم على مباديء الشورى القرآنية: فيما «الإيمان بالولاية»، كما هو معلوم، ووفق الرؤية الصفوية: «هي الإعتقاد بإثني عشر إماماً معصوماً مقدّساً من عالم (ما فوق

الإنسان)، وهم الوسيلة الوحيدة للتقرب إلى الله والتوسل به والإستشفاع إليه، وهم اِثنا عشر ملاكاً غيبياً يلعبون دور الآلهة الصغار ويدورون حول إله السماء الأكبر»، [٩٧].

وهي مقولة تتناقض مع رؤية الإمام علي بن أبي طالب، الخليفة الراشدي الرابع، [كرم الله وجهه]، ذاته الذي وضع معيار العمل الصالح هو الأساس فيما إذا كان الإنسان مسلماً أم لا: «لأنسبنَّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي. الإسلام هو التسليم. والتسليم هو اليقين. واليقين هو التصـدِّق. والتصديق هو الإقرار. والإقرار هو الأداء. والأداء هو العمل الصالح»، [٩٨]، في حين أنَّ التعاليم الصفوية الفارسية جعلت كل ما تقدم أساسه «الولاية» التي هي - وفقاً للمنطق الصفوي - «فهي بمعنى ولاية (مولائية) نجم عنها بالتالي عناصر دخيلة مثل الإسماعيلية والعلى اللهية والباطنية والحلولية والصوفية والهندية»، [٩٩].

لذا، فإنَّ الصفوية الدعائية لا تتطرق للحديث، أبداً وبالمطلق، عن «شكل حكومة» علي بن أبي طالب الخليفة الراشد، [كرم الله وجهه]، وممارساتها العملية في الواقع، ولا عن «طريقة كلامه، وطريقة سلوكه، متى يتصدى ومتى ينزوي ويعتزل العمل، كيف يعمل وكيف يفكر، ما هي علاقته بالناس، وموقفه حيال الظـلم ومواقفه من التملق والزور والتزوير والفقر والسرقة واغتصاب الحقوق وإثارة الفتنة»، [١٠٠].

لأنَّ من شأن ذلك أنْ يجعل المقياس المطبَّـق على أرض الواقع والمعيار الإمامي الراشد، والخليفة الراشدي الرابع [كرم الله وجهه]، الذي أرساه أمام المجموع المسلم هو المقياس في الرؤية والتقويم لأي عمل في الدنيا، وبالتالي من شأنه أنْ يفضح السياسة الفارسية الصفوية التي تمارسها جمهورية إيران الراهنة بقيادة ما يسمى بالعلماء الفقهاء نواب الإمام الغائب: المهدي المنتظر، ويكشف عن أنَّ كل الجرائم المرتكبة بحق التكوينات الاِجتماعية من غير التكوين الفارسي ليس لها علاقة بأي مستوى من مستوى الأفكار الدينية الإسلامية تجاه القوميات التي تعيش في إيران الحالية، ناهيك عن سلوكهم المشين تجاه الشعب العراقي كله.

التشيع الصفويُ الثقافي المليء بالرؤى السوداوية لكل شيء لا يتسق مع الرؤية الفارسية، التي يروجها المعممون المنزوون في غرف مدارسهم الحوزية فقط، بل أصبح رؤية سياسية وطائفية وعنصرية مهيمنة على غالبية أبناء المنطقة العربية العراقية ممن «يؤمنون» بالمدرسة الإمامية، بعد اِحتلال الصليبيين الصهاينة للعراق في التاسع من نيسان من عام ٢٠٠٣م، كون الدولة الإيرانية وتوجهاتها السياسية وبرنامجها العملي الفعلي أصبحت قوة طاغية على المستوى الإقليمي العربي كله، والخليج العربي خصوصاً عبر الوسائل السياسية والمالية الدعائية، من جهة أولى، والأدوات الطائفية الملتفة حول أحزاب عراقية الإسم، فارسية الهوى، صفوية الإلتزام، من جهة ثانية، قاتلة للكفاءات الوطنية العراقية عبر الإغتيال المجرم الآثم، وطاردة للبشر العراقيين المخلصين لوطنهم، وخصوصاً من العرب من الذين توزعوا على منافي الأرض العربية وتشتتوا في كل أرجاء العالم، من جهة ثالثة، ومصدِّرة الآفات الإجتماعية الضارة للشباب العراقيين، من قبيل تصدير الأمراض المعدية للعراق، ونشر المخدرات وتعميمها داخل المجتمع العراقي، وتخريب المنجز العمراني أو تهريبه إلى إيران وسرقة خيرات العراق، من جهة رابعة.

- هوامش الرصد الرابع عشر -

[٩٠] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٦ - ٢٤٤.

[٩١] - المصدر السابق، ص ١٤١.

[٩٢] - المصدر السابق، ص ٢٣٨.

[٩٣] - «مفاتيح الجنان»، كما قلنا عنه في إحدى الحلقات السابقة، كتاب مؤلف من ٨٨٠ صفحة من القطع الصغير، يحرص البعض من غير المعروفين على توزيعه مجاناً في العراق وفي بعض المحافظات والأقضية التي تقطنها أغلبية إمامية، وبكثافة ملفتة للنظر، وذلك في أعقاب الِاحتلال الأمريكي المجرم للعراق العظيم في التاسع من شهر نيسان عام ٢٠٠٣م، صادر عن دار الحسين، رضى الله عنه، بيروت/ لبنان، تأليف ما وصفه الكتاب بالفقيه المحدث الشيخ عباس القمي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هجرية - ٢٠٠٣م. وهو كتاب مليء بالأدعية التثقيفية التي وضعت نصب عينيها السب واللعن لكل القامات العربية الإسلامية الخالدة، بذرائع كثيرة ومختلفة.

[٩٤] - راجع المصدر السابق، ص ٥٧١.

[٩٥] -تجدر الإشارة إلى الوضع الحالي للمجموعة المسماة بـ«العلوية» الحاكمة في سورية، لا يمارس أغلبها أي طقس ديني إسلامي اِعتماداً على أن «الإله علي» هو الذي سينجيها يوم القيامة ويدخلها الجنة، وإحدى براهينهم مستقاة من الحادثة التاريخية القائلة بأنَّ الإمام علي رضى الله عنه هو الذي صلى على الرسول عند وفاته، لذا: فالذي صلى عليه هو الإله، أما ما جاء في كتاب الله وأقوال الرسول، وما ورد في نهج البلاغة، فلا شأن لهم بها، كما يبدو، وتلك حقيقة سيعرفها أي فرد تعايش مع القسم العلوي الذي هو جزء من الشعب العربي السوري، واِختبر مدى فهمه للإسلام.

[٩٦] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، ص ٢٢٣.

[٩٧] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٩.

[٩٨] - راجع كتاب نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه، اِختيارات العلاّمة محمد عبدة، الجزء الرابع، ص ٦٨٥ - ٦٨٦.

[٩٩] - راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥.

[١٠٠] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩.

١٥

ثقافة السب واللعن ماذا تعني؟

الرصد الخامس عشر

إن إيران: «الجمهورية الإسلامية» تحرص على بث خط سياسي معين داخل العراق يتسم بصورة ملموسة - مثلما يحرص عملاؤها على نشره وتعميمه من خلال تلقي الأموال والخطط السياسية - على توريد أمراضهم الفكرية العنصرية الفارسية والطائفية الصفوية المقيتة للعراق، من خلال رفع «الرايات السود» التي تزعم تمثيلها الثورة الحسينية في العاشر من محرم من عام ٦١ هجرية وبعض الأطروحات الفكرية المعلنة حول المقاومة للرؤية الأمريكية، في الوقت الذي تعمل على تنفيذ بنود سياسة «التخادم المشترك»، وفق منظور الإيرانيين العنصريين ومن دون مضمونها الحقيقي: الفكري والديني الذي يتقدمها ضرورة مناهضة التفتيت، ورفض الظلم ومقاومة الغزو، والجهاد باليد واللسان والقلب، كما دعا الرسول الأعظم محمد بن عبد الله، [ﷺ]، في حديثه المعروف: «مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده أو بلسانة أو بقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

لا طلب العملاء الفرس: كعبد العزيز حكيمي ونوري المالكي، وغيرهما، المتسلطين على الحكم العراقي... طلبهم من القوات الأمريكية البقاء فوق أرض المسلمين، وهي التي تحتلها عسكرياً وتسوم أبناء المجتمع العراقي كلهم، وخصوصاً: العرب منهم والمناوئين للاِحتلال الصليبي الصهيوني الأمريكي، والمجاهدين المسلمين ضد عساكره الباغية المنفلتة في ظلمها البشع كذلك... تسومهم سوء العذاب والمطاردة والسجن والتهجير والقتل...

يرفعها عملاء إيران النظام الفارسي الصفوي المتوضعين في العراق: بأيادٍ ساسانية العرق، مجوسية الفكر السياسي والأسلوب الفاشي من خلال النهج العملي، ناهيك عن

المذهب الطائفي: الصفوي الذي يحاولون إلغاء الوجود السياسي للآخرين من أبناء المدارس الإسلامية المختلفة مع طائفيتهم والأديان السماوية الأخرى، للتبشر بثقافة الضم والتقبيل والتفخيذ، والممارسة العملية بالتعذيب والسلق والثقب بالدريل الكهربائي، والتصفية الجسدية للمسلمين لأنهم يحملون أسماء أبا بكر وعمر وعثمان، وبذريعة الإنتقام من: النواصب {وكل عربي مخلص لحضارته العربية الإسلامية، هو ناصبي في نظر الفرس}... وهي ممارسات موثقة ومعلومة كانت تتجسد بتصرفات الجنود الفرس إبّان مرحلة الحرب العراقية - الإيرانية التي إستمرت ثمان سنوات لرفض ساسة «جمهورية إيران الإسلامية» وقف الحرب قبل تحقيق أهدافها السياسية المعلنة وقتل بعض الأسرى جماعياً، وكذلك، يعرفها جميع الأسرى العراقيين لدى «الجارة» إيران: إبّان المرحلة السوداء لتلك الحرب التي ذهب ضحيتها ملايين البشر من الطرفين: الشعب العراقي والشعوب الإيرانية، [١٠١].

فضلاً عن ثقافة فارسية عنصرية مترسبة في عقولهم المريضة ونفوسهم المغرضة، منذ سقوط المُلك الكسروي الساساني على يد القائد السياسي للجمع المؤمن: أي الخليفة الراشدي الثاني الفاروق: عمر بن الخطاب، [رضى الله عنه]، وجيش الفتح العربي الإسلامي... وإعتراف قادتهم تحت وطأة الشعور بالهزيمة والإندحار... أعني إعتراف الرمز الفارسي يزدجرد: القائد العسكري للجموع المحاربة بحقيقة كينونة وهوية العراق العربي والأحواز العربية، إذ تقول الوثائق التاريخية: «لم يزل يزدجرد يثير العجم وقد اتخذ مركزاً له في مرو بأقصى حدود مملكته»... فقال لهم: «رضيتم يا أهل فارس إنْ غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأهواز، ثم لم يرضوا بذلك حتى توردكم في بلادكم وعقر دوركم»، [١٠٢]. وهو إعتراف صريح بالطبيعة القومية العربية للعراق والأحواز: من حيث إختلاف مضمون حركة ذينيك الشعبين في العراق والأحواز عن التكوين الفارسي.

ثقافة قوامها تزوير التاريخ الواقعي التي رسم معالم تكوينه الحضاري الأساسي الدين العربي الإسلامي، من ناحية، وترديد الأدعية الحاقدة على الإسلام والمسلمين والعرب،

بديلاً عن العمل التكاملي القويم الصحيح النافع للبشر الذي خلقهم الله في أحسن تقويم، من ناحية ثانية...

ثقافة قوامها السب واللعن واللطم والنواح والتطبير: أي شج الرؤوس بالسيوف والقامات، والضرب على الظهور بالزناجيل المزودة بالسكاكين الحادة والمدببة والمعقوفة، أو غير المزودة بالسكاكين، في سياق تنفيذ تقاليد مازوشية مريعة ومروعة، والطواف بالصحن الحسيني في يوم العاشر من محرم الحرام من كل عام يعيدون فيها تكرار ما يقوله المسلمون في يوم عرفات لأداء مناسك الحج: لبيك يا حسين... لبيك يا حسين... بديلاً عن نداء كل المسلمين الذي أوجبته الشريعة الإسلامية السمحاء: لبيك اللهم لبيك، [١٠٣].

ناهيك - أو إضافة إلى كل ذلك - عن وضع السلطة الفارسية الصفوية قضايا العرب والمسلمين في خانة دبلوماسيتها من أجل المساومة مع الشيطان الأكبر: الولايات المتحدة الأمريكية، كما يتجلى بين فترة وأخرى عبر المفاوضات الأمريكية - الإيرانية المباشرة حول العراق، والمساومة غير المباشر مع كيان الإغتصاب الصهيوني العنصري، [١٠٤]، ومما يثير السخرية أنَّ هذا الطواف والترديد لتلك الشعارات/ النداءات إنتقلت لمناطق في العالم، لاسيما في الدول الأوروبية، كما هي معالم التطبير السنوية في العاصمة السياسية الهولندية: دنهاخ - على سبيل المثال - كما أظهرته أشرطة الفيديو، وما أثارته في لندن: العاصمة البريطانية من رود أفعال رسمية حول الهمجية والعنف بحق الأطفال.

في ختام مناقشة أصول ودوافع إستخدام هذا المصطلح/ المفهوم: الفارسية الصفوية، علينا التطرق إلى الملاحظة التالية التي سمعناها من قبل البعض «المتفقه» مباشرة، وذلك في بعض المناسبات: حيث يحاول البعض التأفف من إستخدام هذا المفهوم: أي الصفوي، عبر القول أنَّ السائرين في «الفكر الوهابي السعودي» ومروجي مذهبهم هُم مَنْ أشاعوه، ويجري التأكيد في سياق ذلك الإدعاء، أنَّ ذلك الشعار وتطبيقه يستهدف الشيعة كلهم من عربهم وغير عربهم.

إنَّ هذا الإدعاء يحاول رؤية هذه الطائفة: «الشيعية: كما يقول» التي تتوزع في كل الجغرافيات العالمية، على أنها «كل إجتماعي» لا يخضع لقوانين التطور والتحول والإختلاف

في المستويات الحياتية والإلتزام الفكري والولاء السياسي، ويصرون على ترديد المزيد من المعزوفات التي رأينا ضلالها وتضليلاتها عبر ضرب الأمثلة التي أوردها كتاب الشهيد شريعتي، بهدف القول عن المخاطر الحتمية التي ستنجم عن إستخدام هذا المصطلح: الصفوي، ومن ثم ستصيب أبناء الطائفة على إختلاف مناطقهم وتنوع قومياتهم بمختلف ضروب العسف والقمع والقتل، هذا بإختصار محتوى إدعائه.

علينا القول في سياق التعليق النقدي عليه: إنَّ هذا البعض: المناصر للرؤية الفارسية الصفوية، يحاول إستخدام منطق صوري وجامد معزول عن الحياة، ولا يتطرق عن مسببات ونتائج العمل بهذا المصطلح/ المفهوم.

يضيف هذا البعض المتفقه: قد يتسبب إستخدام هذا المفهوم: الرؤية الفارسية الصفوية في قتل الأبرياء وإغتيال «علماء الدين» من الشيعة، ثم يستشهد مبثال تاريخي أي زمني: من خلال طرح تساؤل ينبع محتواه من الفترة العثمانية وذلك للبرهنة على وجهة نظره، وهي الفترة التي تحكمت الإمبراطورية العثمانية بشؤون العراق الكلية، وهي فترة زمنية تجاوزت الأربعمائة عاماً، عن السبب الذي لم تبرز فيه مثل هذه المفاهيم السياسية المشابهة لمفهوم «الفارسية الصفوية» عند التطرق إلى رصد معالم النظرة العربية الإسلامية تجاه «الأتراك السنة» الذين تحكموا بالنظرة الكلية للمجتمع العربي؟.

نحن نعلم أنَّ «مفهوم الطورانية» هي النعت التوصيفي للسياسة التركية التي نفذتها السلطة المركزية «للإمبراطورية العثمانية» في سنواتها الأخيرة، وهذا المفهوم هو الذي لخص مضمون الموقف العربي بشكل عام وإجمالي، من خلال الرؤية التي طرحها المفكرون والسياسيون والعربيون عن النزوع العنصري والرؤية السياسية التي جاءت به «جمعية الإتحاد والترقي»، الطورانية كانت نزوعاً قومياً عنصرياً، مثلما هو الحال مع المفهوم الفارسي الصفوي من حيث أضراره على الإنسان العربي والفكر الإسلامي المنفتح وغير المتعصب، إنْ لم نقل أنها، وفي حقيقتها الفعلية، لم تتحول إلى أيديولوجية شمولية مبنية على إستغلال المفاهيم الإسلامية أو المذهبية، كما هو حال مفهوم: الفارسية الصفوية، لكي يحولها البعض

المتعصب والعنصري إلى أطروحات أيديولوجية ومعيارية: الطورانية: لمحاكمة رؤية الآخرين، على ضوء «سرمدية الشكل الإمبراطوري العثماني»، تلك هي الملاحظة العامة والأولى.

وفي الحقيقة أنَّ ما فات هذا «الشخص المتفقه» وهو يعبِّر عن حالة وجدانية لدى العديد من هذه القطاعات الطائفية المنغلقة على ذاتها، ولا تريد الِاستماع إلى وجهات النظر الأخرى، حتى لو كانت مدعَّمة بالآيات القرآنية والمسار التاريخي العربي الإسلامي، والسنّة النبوية كما هي... نقول أنه في الحقيقة: إنَّ هذا المصطلح/ المفهوم: الفارسية الصفوية هو تكثيف شديد للسياسة الإيرانية الحالية على المستويات كلها، السياسة السابقة والراهنة، تجاه العراق، السابقة التي رفضت الِاعتراف بالدولة العراقية لمدة تقارب العشر سنوات مفضلة التفاوض بشأنه مع الِاستعمار البريطاني، كونه دولة مستعمرة للعراق، وفي الفترة الراهنة التي ساندت القوى التي جلبها الغزاة العسكريون الأمريكان للتسلط على العراق.

ويضيف هذا المتفقه إلى تلك الإدعاءات التي قال بها: فيما لم تشغل المرحلة السياسية الإيرانية للتدخل في العراق سوى عدة أعوام، مقارنة بسياسة عثمانية ٤٠٠ سنة ونيف، وهي تمارس بعض شؤونها المذهبية والسياسية في داخل العراق، هذا - كما يؤكد ربما يكون مضطراً - إذا وقعت إيران وأنصارها ببعض الأخطاء البسيطة وليس اِنتصافاً لمظلومية شيعية، وإنما إحقاقاً لحق تاريخي مستلب لحق بالشيعة المغبون دورهم في «السياسة والفكر»، وهو إدعاء «مزعوم بالتأكيد» مثلما يؤكد.

وغير ذلك من أقوال وإدعاءات تحاول تبرير السياسة الفارسية العنصرية والتوجه الطائفي الذي يتحكم بالجسم السياسي «المتشيع» والمتحكم بالأوضاع السياسية العراقية في الوقت الراهن كتنظيمات عبد العزيز حكيمي وهادي العامري وحزب الدعوة بشظاياه المتعددة، وقوات ما يسمى بجيش المهدي الذي يعد رمزه الأساسي «مقتدي الصدر» وغيرهم من التنظيمات السياسية الطائفية، التي أفرزت تدميراً شاملاً للعراق، [١٠٥]. لا شك في ذلك.

إنَّ هذا البعض الذي يثير تلك المسائل التاريخية، تنبع أفكاره من وعي مذهبي متكور على ذاته، يرى في «الطائفة» هي الوطن والأمة وعموم الرؤية العربية الإسلامية التي قال الرسول الأعظم والقرآن العظيم عن أبنائها الذين قد يختلفون في شؤون دينهم: أنهم خير أمة أخرجت للناس، ولكن الرسول، [ﷺ]، اِنطلق من روحية، «إنَّ اِختلاف أمتي رحمة»، في حين أنَّ هذا البعض يتحدث بذلك المنطق - إذا صح اِعتباره منطقاً - من دون أنْ يطل على حقائق ساحة الدين الإسلامي، أو يطل عليها بشكل عابر، ولا يضعه في سياق التحليل السياسي والتاريخي الذي ينطلق من وعي كلي بالمقاصد العليا للدين الإسلامي.

إذ أنَّ الوحدة «المذهبية» - كما يقول ويدعي - أكثر ترسخاً واِنسجاماً في الواقع الإجتماعي، حتى من الوحدة الوطنية الإجتماعية التي تكونها أنواع المدارس الفقهية للدين الواحد والأديان السماوية والطبقات المتراكبة في المجتمع، وأكثر اِتساقاً من المكونات الإجتماعية للأمة العربية ومكوناتها القومية العربية، وأكثر ترتيبا واِنتظاماً من المفاهيم الدينية الإسلامية، وفقاً لقناعاته التي يتحدث بها، باِعتبارها الطائفة الوحيدة الناجية، متناسياً أن الوحدة الوطنية القطرية المتماسكة هي الأساس في بناء الوحدة القومية العربية التي هي الأخرى محطة أساسية في سياق وحدة العالم الإسلامي: إذا كان ذلك ممكناً، بسبب تناقضات شؤون البلدان الخاصة من حيث التكوين القومي المكونة لذلك العالم، رأيه ذاك، شبيه بهرطقات البعض... أي على طريقة «أفكار» فروع حزب التحرير المختلفة والمنتشرة في بعض مناطق العالم الذي تنادي بالخلافة المركزية الواحدة، من دون أخذ التجربة العثمانية الفعلية - مثلاً - بنظر الاِعتبار.

ثم أنَّ الوحدة المذهبية: الطائفية، لا يجمع بين أهدافها التكوينية والسياسية أية أبعادٍ أمنية أو مستقبلية أو اِقتصادية أو مستقبل يتعلق بالوحدة الاِجتماعية المشتركة، أو نوعية تقوم على التناسق والتكامل مبنية على أساس التكوين الوطني أو القومي، وإنما يتحدثون على ضوء تلك «القناعات» الفكرية/ الطائفية. إنَّ تلك الأقوال والإدعاءات ترتكز أساساً على عدم تحقيق منجزات عملية ملموسة في الأداء السياسي للأنظمة العربية الحاكمة في

المرحلة التاريخية الراهنة، متخذين من هذا الفشل أو تلك الكبوة دليلاً على طرحهم «الطائفي» أو متكئين على عدم نجاح المشاريع السياسة القومية في الوطن العربي خلال أغلبية سنوات القرن الماضي، بسبب عدم تحقيق الإستقلال السياسي الفعال، والقضاء على مخلفات الإستعمار البريطاني الفرنسي الذي إعتمد في تكوين السلطات القطرية على رؤساء القبائل والعشائر والإمعات، وتحقيق الوحدة العربية وتحرير الأراضي العربية المحتلة، بعد شطب القضية الوطنية والقومية الأحوازية من مسلسل حديثهم، من جهة، وعدم مقارنتهم بين الفترة الزمنية التي سبقت مرحلة الحرب العالمية الأولى، والفترة الزمنية الحالية: مرحلة النظام المتعولم المتفرد في السيطرة على الكون، من جهة أخرى.

في الواقع أنهم يجهدون «فكرياً» من أجل بناء تصور سياسي أيديولوجي آخر، دون أنْ يضع رؤيته في إطار معرفي وتاريخي معين ومحدد يتعلق بمفاهيم «الزمان» التاريخي و«المكان» الجغرافي الملموسين.

- هوامش الرصد الخامس عشر -

[١٠١] - من المؤسف أنْ تبقى «الدعايات الأيديولوجية» التي يتداولها البعض حول «المساندة الأمريكية» للعراق ونظام الشهيد صدام حسين، وهو كما نرى من الرصد التالي الذي يكتبه الأستاذ الدكتور إبراهيم علوش، وبالإستناد إلى مصادر موضوعية لا يرقى إليها الشك، إنَّ بعض القوى السياسية الموالية للنظام الفارسي الصفوي، وغيرها ممن لا تريد «تصديع» رأسها بالعودة للمراجع التاريخية والموضوعية بغية تحديد موقف غير قائم على أبعاد غير سياسية وأيديولوجية. إن الحرب العراقية الإيرانية وضعت أوزارها، والبحث التاريخي لهذه الحرب ينبغي أنْ تكون مقرونة بالتاريخ الماضي الملموس، التي كانت هي إيران تحقق أهدافها السياسية الملموسة، من خلال مبادرات عملية كمساندة إيران الشاه للحركة البرزانية، من أجل تحقيق هدف سياسي، وكان نصف شط العرب وأراضٍ عراقية هي الثمن التي حصلت عليه وحققته سياسياً، ويعد ذلك هو أحد الأسباب الأساسية للحرب، ناهيك عن الخطوات الإيرانية منذ بدايات القرن العشرين، وما تزال. فيما يلي الرصد الموضوعي الذي جاء به الأستاذ علوش:

«حول الدعاية السياسية التي »

تزعم دعم الولايات المتحدة للعراق خلال الحرب العراقية - الإيرانية

د. إبراهيم علوش

ما زال البعض يكرر المزاعم القائلة أن العراق حصل على أسلحته في الحرب العراقية - الإيرانية من الولايات المتحدة. وتجدون أدناه إحصائيات دقيقة لمصادر الأسلحة العراقية والإيرانية خلال الحرب في الثمانينات، ولمصادر الأسلحة العراقية بين عامي ١٩٧٣م و٢٠٠٢م اعتماداً على أرقام موثقة غربية نشرها معهد ستوكهولم لأبحاث السلام، ومصادر أخرى، وهذه الأرقام تظهر بشكل جلي أن إيران استوردت عدة مليارات الدولارات من الأسلحة من الكيان الصهيوني خلال الحرب العراقية - الإيرانية، وأن العراق حصل على الأسلحة أساساً من الاتحاد السوفييتي السابق وفرنسا والصين، والرجاء ممن يستمرون بإلقاء الاتهامات جزافاً حول مصادر الأسلحة العراقية أن يتفحص بدقة الجداول المنشورة لمصادر الأسلحة العراقية والإيرانية خلال الثمانينات...

ويمكن إيجاد تلك الجداول المفصلة على الرابط التالي:

http://en.wikipedia.org/wiki/Iran-Iraq_War

ونستطيع أن نرى من إحصائيات معهد ستوكهولم لأبحاث السلام أن استيراد العراق للأسلحة ما بين عامي ١٩٧٣م و٢٠٠٢م توزع إحصائياً كما يلي: ٥٧٪ من روسيا والاتحاد السوفييتي السابق، ١٣٪ من فرنسا، ١٢٪ من الصين، ١٪ من أمريكا، وأقل من ١٪ من بريطانيا.

أما بين عامي ١٩٧٠م و١٩٩٠م، ومنها فترة الحرب العراقية-الإيرانية، فإن مصادر الأسلحة العراقية توزعت إحصائياً كما يلي: ٦١٪ من الاتحاد السوفيتي السابق، و١٨ ٪ من فرنسا، و٥٪ من الصين، و٤٪ من البرازيل، و٤٪ من مصر، و٦ ٪ من بقية دول العالم مجتمعة. وقد بلغت مجمل واردات العراق من الأسلحة الأمريكية خلال الحرب العراقية الإيرانية مائتي مليون دولار هي عبارة عن صفقة طائرات مروحية تمثل ٠١٦ بالمائة من مجمل واردات الأسلحة العراقية خلال تلك الفترة، أي أقل من واحد بالمائة، وفي بعض المصادر تجدها نصف واحد في المائة، وهي لا تمثل شيئاً يمكن أن يقلب ميزان الحرب أو أن يعبر عن توجه أمريكي بدعم العراق ضد إيران، بنفس الطريقة التي كانت تسلح فيها الولايات المتحدة إيران في ظل الشاه مثلاً، أو التي ما زالت تسلح فيها الكيان الصهيوني، إن كان المقصود هو القول بالفم الملآن، كما يفعل البعض بدون تدقيق، أن الولايات المتحدة تحالفت مع الشهيد صدام حسين ضد إيران.

فليس دقيقاً التعميم أن أمريكا سلحت العراق في الثمانينات، وليس في سجل العراق شيء مثل فضيحة "إيران غيت" أو صفقات الأسلحة "الإسرائيلية" من السوق السوداء أو غيرها، مع العلم أن مسؤولين أمريكيين شهدوا أمام الكونغرس عام ١٩٨٢م أن "إسرائيل" نقلت أسلحة أمريكية لإيران وجيش لبنان الجنوبي دون أن يتبع ذلك تحقيق بالرغم من مخالفته لنص القانون الأمريكي.

وتقول نفس المراجع أن العتاد الإيراني خلال السنوات الأولى للحرب كان أمريكياً بالكامل تقريباً، أساساً من بقايا القوات المسلحة الإمبراطورية للشاه المخلوع، حتى بدأت إيران تستورد الأسلحة من بعض نفس الدول الاشتراكية التي كانت تبيعها سابقاً للعراق. وتضيف هذه المراجع أن إيران كانت تحصل على الأسلحة وقطع الغيار الأمريكية من مسؤولين في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان، في البداية من خلال "إسرائيل"، ثم بشكل مباشر. وقد جاء ذلك على خلفية فضيحة "إيران - كونترا" التي تم من خلالها تحويل عائدات بيع الأسلحة الأمريكية لإيران لمتمردي الكونترا في نيكاراغوا الذين كان يتعاونون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA ضد الحكومة الساندينية هناك.

ويقول تقرير لجان الكونغرس الأمريكي التي كانت تحقق في فضيحة "إيران - كونترا" الصادر في شهر نوفمبر/ تشرين ثاني ١٩٨٧م "أن بيع الأسلحة الأمريكية لإيران عبر إسرائيل بدأ في صيف عام ١٩٨٥م بعد الحصول على موافقة الرئيس ريغان". وأن تلك الصفقة ضمت فيما ضمته أكثر من ألفي صاروخ مضاد للدبابات، ومئات الأجزاء وقطع الغيار لصواريخ أرض - جو. وبالإضافة إلى ذلك، هناك صفقة أسلحة "إسرائيلية" لإيران لم تمر عبر القنوات الأمريكية، بما يقارب الملياري دولار، كانت تضم ١٨ طائرة أف-٤، و٤٦ طائرة سكاي هوك، و٤٠٠٠

صاروخ، يفترض أن وزارة العدل الأمريكية اعترضت عليها وأفشلتها! وما عدا ذلك، تقول نفس المراجع نقلاً عن صحيفة اللندن أوبزفرر أن مبيعات الأسلحة "الإسرائيلية" لإيران خلال الحرب بلغت حوالي نصف مليار دولار سنوياً.

وفي الفصل الحادي عشر من كتاب يحمل عنوان "التحالف الغادر: الصفقات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، صدر عن جامعة يال الأمريكية عام ٢٠٠٧، نجد الكثير من التفاصيل المثيرة عن اللقاءات السرية التي تمت بين المسؤولين الإيرانيين والأمريكيين و"الإسرائيليين" لترتيب الصفقات المذكورة أعلاه.

عن موقع البصرة

الأربعاء ٢٦ ربيع الأول

١٤٢٩ / ٢ نيسان ٢٠٠٨

[١٠٢] - راجع كتاب إستراتيجية الفتوحات الإسلامية: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، تأليف أحمد عادل كمال، إصدار دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هجرية - ١٩٨٧ ميلادية، ص ١٦٣...

[١٠٣] - يركز العالم الشهيد شريعتي في بكتابه القيم عن خلفيات هذه الممارسات الدخيلة على الإسلام، فيستخلص - وبناء على معلومات - أنَّ: وزير الشعائر الحسينية قد زار أوروبا الشرقية واستورد تلك «التقاليد» التي كانت تقام لإحياء الشهداء المسيحيين، وقام الملالي بدورهم في مزاوجة تلك التقاليد بالموروث الإيراني، وأدى ذلك «إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني ولا في الشعائر الدينية الإسلامية»، ص [٢٠٨]، الأمر الذي يعني «أنَّ كل هذه المراسم والطقوس الإجتماعية والعرفية هي صيغ مقتبسة مما هو عند النصارى في أوربا، وقد بلغت هذه الظاهرة حداً من السذاجة أنَّ الإقتباس يتم بصورة حرفية دون أي تغيير»، [ص ٢١١]، راجع الصفحات المعنونة: نصرانية الغرب والتشيع الصفوي ؛ الإفرنجي في كربلاء! على الصفحات ٢٠٦ - ٢١٢ من كتاب الشهيد شريعتي.

كما، يمثل الإحتلال الإيراني غير المباشر، ولكنه الملموس على صعيد الوقائع، المأساة الكبرى في عراق اليوم، وليس أدل من ذلك الإحتلال، ودور إيران في الوضع العراقي، من مباحثات الطرفين الأمريكي والإيراني التي بتنا نرى توالي إنعقادهما في العلن، بعد أنْ كانت سرية، أو تلاقيهما على أرضية مصالحهما الإستراتيجية ضد الدولة العراقية والمجتمع العراقي، وتعاونهما منذ الإحتلال وللآن، من ناحية أولى. وكذلك، نرى ما هو حاصل في الجنوب العراقي من تمدد إيراني: مخابراتي وسياسي يخدم الدولة الإيرانية أساساً، من ناحية ثانية. ونرى أيضاً، الإحتراب اليومي

والعبثي بين مكونات المجتمع العراقي على أسس مذهبية وطائفية وميليشياتية، وما ترتب عليها من تهجير وفرز ما بين المناطق في المدينة الواحدة، من ناحية ثالثة.

علاوة على البطالة العامة المنتشرة في المجتمع بعد تدمير النهضة الصناعية وبيع منجزها أو تهريبها إلى إيران، لاشك أنَّ مسألة الفوضى التي تعمد الِاحتلال على إطلاقها قد جعلت أغلبية الطاقة العاملة العراقية تقع في مستنقع البطالة، أفرزت العديد من الظواهر المرضية، وبعضها سلاح ذو حدين، من قبيل اِضطرار الناس إلى الذهاب إلى القوات المرتزقة التي تسعى لتوفير الحماية للقوات المحتلة من مختلف الطوائف، من جهة أولى، أو الِانخراط في التنظيمات المليشياوية المسلحة التي تتلقى الأموال الطائلة من الدولة الإيرانية على وجه التحديد، من جهة أخرى. ومَنْ يدفع يسير، كما هو معلوم. أما الضحية الأساسية لهذا الواقع المريع، والمروع، هو المجتمع العراقي وأغلبية مكوناته الِاجتماعية، ناهيك عن كونهما يوفران «الأمن الشخصي على أرضية فكر طائفي أو ولاء جهوي» للمنخرطين فيهما، كما يعتقدون، من خلال قتل المواطنين الأبرياء أي تنفيذ ما تريده المخابرات الإيرانية «الساواما» وتقديم المعلومات والأسماء بخصوص المغتالين، من جهة ثالثة... إلخ... إلخ.

وقد غدت حياة المرأة تحت سطوة السلطات الظلامية الحاكمة في عراق اليوم وأفراد الميليشيات المسلحة... غدت مريرة جداً ومؤسفة غاية الأسف، فقد جرى حرمان أغلبهن من العمل أو الدراسة بعد أنْ غاب مفهوم الأمن عنهن، في مجتمع يقدس - عن حق أو باطل - كرامة المرأة الأخلاقية وشرفها، وسيادة مفاهيم العار والفضيحة في المجتمع، والتغييب القسري للعناصر المسؤولة عن حياتهن الضامنة للرزق وسد لقمة العيش، سواء عبر الِاعتقال أو التشريد أو القتل، أو الفصل العشوائي من الوظائف بذريعة صدور قانون اِجتثاث البعث. وحتما ستوصل هذه الأوضاع ونتائجها العملية إلى اِرتكاب الجرائم الأخلاقية المقرونة بالقتل للتستر على تلك الفضائح، ومحاولات إخفاء الدوافع الحقيقية للقتل. الأمثلة الحسية الملموسة على نهج قوات الِاحتلال الجبانة والمجرمة وأفعال عملائها الفرس الصفويين، التي أبرزها عمليات الخطف وأخذ أموال الفدية قبل قتل الضحايا المختطفين، أو قتل بعضهن على أيدي أفراد أسرهن بداعي التخلص من إحتمال «وقوع الفضائح» التي لم تكن أية اِمرأة مسؤولة عنها.

ولعل الدراسة الجامعية التي كانت منارة للعلم في العهود السابقة قد غدت في الواقع الراهن نموذجاً كافياً للبرهنة على ما نقول: إذ كانت مراحل الدراسة المختلفة: الِابتدائية والثانوية والكليات والدراسات العليا، قد تنامت منذ السنوات الأولى للقرن العشرين: سنوات تأسيس الدولة العراقية «المستقلة» في العام ١٩٢١م، وبلغت أشواطاً متقدمة وكبيرة في أواخر السبعينات، حيث بلغت المصروفات المالية عنها ما يمثل مقداره ربع موازنة العراق الخدمية قبل الحرب

العراقية الإيرانية، وذلك لنشر التوجه العلمي في مرافق الدولة العراقية وذلك لإحتلال الموقع الملائم في العالم المعاصر، وكذلك، من أجل الولوج في أية عملية تطورية مطلوبة في مرافق الدولة العراقية، وإيجاد معايير التي تشترطها عملية نشر المعرفة: التي هي قوة في نهاية المطاف، وفق معايير تعريف المعرفة، ولكن تلك المؤسسات التعليمية والمعرفية تحولت بقدرة الإحتلال الأمريكي ومن خلال التدخلات الإيرانية في الداخل المجتمعي العراقي، ونشر عوامل التخلف في كل المرافق الحيوية داخل النهضة العراقية... تحولت إلى واقع مأساوي راهن. إنَّ نشر صور قادة الأحزاب الطائفية التابعة لإيران في الجامعات العراقية، وبث الخرافات التي تخالف أي منطق علمي لسيرورة التاريخ، وإقامة مجالس اللطم والنواح وعقد مجالس العزاء التي يتحدث فيها الأميون أو أشباههم، عن التاريخ العربي الإسلامي من خلال مشوار التزييف والتزوير، والتعاطي مع الشأن الدراسي في كافة مراحله على أرضية تجزيئية تفتيتية وطائفية إثنية، كلها براهين على الدور الصفوي الفارسي.

إن السياسة المبرمجة لإغتيال العلماء وقتل الأطباء وإستئصال الأساتذة الجامعيين من ذوي الإختصاصات العلمية فاقت كل تصور وجعلت تلك الأحداث تطبع المظهر اليومي للواقع الإجتماعي العراقي، ففي كل يوم تتناقل وكالات الأنباء عمليات الإغتيال السياسي والمادي لأساتذة الجامعات النابغين وفق سياسة مدروسة، ويفرض على الآخرين سياسة ترك العراق إلى الخارج، مثلما يجري يومياً الإغتيال المبرمج لإغتيال الطيارين العراقيين الذين شاركوا بفعالية في رد العدوان الإيراني على الدولة العراقية في عقد الثمانينات، وكتابة لوحات مثبتة على واجهات بيوتهم: عليها وبخط واضح: هذا جزاء كل مَنْ يقصف جزيرة خرج. ولو تعرضنا إلى مسلسل الإغتيالات اليومية التي تطال أعضاء الجيش الشعبي والبعثين لطال بنا التوقف أمام أرقامها المروعة.

ولعل مثال: الهجرة العراقية على الصعيد الخارجي، وإتباع سياسة التفتيت المذهبي والإثني التي أدت إلى الهجرة في الداخل وتشذير مجتمع المدن على أساس طائفي، وما يستتبع ذلك من تبادل لعمليات الإختطاف والقتل العشوائي وحرق مراكز العبادة لدى كل طرف من أطراف الصراع العبثي، تمهيداً لصناعة الفتنة العمودية التي ينبغي أنْ تسود كافة بقاع الوطن في نهاية المطاف، هي مجرد مظهر واحد، وإنْ كان خطيراً على حاضر ومستقبل العراقيين، فإعاقة التطور والتقدم، وإيقاف عجلة النمو والقتل على الهوية وتشريد الكفاءات إلى خارج العراق، يصبح الممر الوحيد لمستقبل العراقيين، وتلك دروس تاريخية مستمدة من كل التجارب المعاشة في جميع البلدان التي واجهت مثل هذه الظواهر المؤسفة.

إنَّ القتل المتعمد والتفجير المتواتر في المناطق المكتظة بالسكان البسطاء والأبرياء من أجل بث الرعب وإشاعة الخوف وتوتير الأجواء وصولاً إلى ترويج منطق الحرب الأهلية العمودية التي

لا يعرف طرفا حلقتها أبداً، وفعالية دور الشركات الأمنية الخاصة، وكذلك دور الأحزاب التابعة إلى إيران، ومنظماتها المدعومة مالياً في تأجيج الفتن العبثية ودورها في نشر المخدرات في العراق، وسرقة المنجز العلمي وتخريب المصانع ومراكز الأبحاث واغتيال العلماء والمبدعين والطيارين وفق أساليب خبيثة وهي ماركات فارسية مسجلة بإسمها، وتعرفها جيداً الشعوب التي تعيش في إيران وفي مقدمتها الشعب العربي الأحوازي الذي جرى إحتلال أراضيه منذ العام ١٩٢٥م وجرى تصفية أغلب كوادره.

ومعلوم أنَّ تلك الأحزاب الصفوية الفارسية هي التي تملك أذرع مسلحة تطارد بها جميع الوطنيين العراقيين في سبيل تغييبهم عن الحضور الحياتي والإنساني والسياسي، ويكفي أنها تتلقى ملايين الدولارات يومياً لتنفيذ المشاريع الإيرانية بشكل يومي، إنّ أحزب مقتدى الصدر وعبد العزيز الحكيم وأحزاب الدعوة وتشظياتها، ونشاطها الموتور تبرهن على الدور الإيراني السياسي في العراق، وما المفاوضات الأمريكية - الإيرانية - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، حول ما يسمى بالإستقرار الأمني في العراق، هو أحد البراهين الدالة على الدور الإيراني في العراق... إلخ.

لذا، فإنّ تحرير الوطن على قاعدة بقاء الدولة العراقية موحدة يقتضي، كذلك، قطع شأفة التدخل الإيراني والقضاء على إمتداداته في الداخل العراقي، وهي المهام الأساسية لجميع الوطنيين العراقيين، رغم إختلال ميزان القوة بين طرفي الصراع بين العراقيين الوطنيين، من جهة، والمحتلين وعملائهم وأذنابهم، والتي تشكل المقاومة العراقية طليعتهم المجربة في ساحات ميدان الجهاد، من جهة، والإحتلال الأمريكي والقوات الغازية =

= والعملاء لأمريكا وإيران، من جهة أخرى، ودون إنجاز تلك المهمات سيبقى العنف العبثي في عراق اليوم هو سيد الموقف، لذلك رفع التحالف الوطني العراقي شعاره الإستراتيجي الرئيسي والأول: العراق باقٍ والإحتلال إلى زوال.

إلى ذلك... افتتحت إيران الثلاثاء الموافق ٦/ ١١/ ٢٠٠٧م قنصليتين لها تمثل الحكومة الفارسية الصفوية لدى سلطة الأمر الواقع في إقليم كردستان في شمال العراق، في مدينتي أربيل والسليمانية، وقال حسن كاظمي قمي السفير الإيراني في بغداد خلال المراسم التي جرت في أربيل وحضرها ما يسمى برئيس سلطة الاقليم نيجرفان بارزاني وممثلين عن الأحزاب الكردية التي تتحكم في الحالة الإنفصالية، الأمر الذي ستنشط الأعمال الإستخبارية الإيرانية، وشدد قمي على أهمية العلاقات الإيرانية - العراقية قائلا اليوم لدينا علاقات تجارية وسياسية جيدة مع العراق وحجم التبادل التجاري السنوي يبلغ ملياري دولار وهناك مليون مواطن عراقي يزورون إيران سنويا وهناك نصف مليون إيراني يزورون العراق سنويا لزيارة العتبات المقدسة أو للتجارة، الأمر الذي يوضح الإستراتيجية السياسية الإيرانية، فيما وصف ما يسمى برئيس وزراء إقليم كردستان

العراق الافتتاح بأنه خطوة مهمة، قائلاً: اليوم نحن سعداء لأن جمهورية إيران الإسلامية قامت بشكل رسمي بافتتاح قنصليتها في أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق، وهو ما يعنى تأييدها العملي لتجزئة العراق وتفتيت مجتمعه إلى طوائف وإثنيات. [نقلاً عن وكالات الأنباء والصحف الصادرة يوم ٧/ ١١/ ٢٠٠٧م].

[١٠٤] - وكان كتاب أمريكي قد أكد على أنَّ:

طهران عرضت صفقة على واشنطن بعد الِاحتلال الأمريكي للعراق

تضمنت: احترام المصالح الإيرانية في العراق

الملف - واشنطن، نقلاً عن موقع التحالف الوطني العراقي، الِاثنين ٥ / ١١ / ٢٠٠٧ م

«كشف كتاب أمريكي جديد صدر خلال شهر أكتوبر / تشرين الأول أنَّ إيران عرضت صفقة على أمريكا» بعد اِحتلالها للعراق، وقد «تضمنت مقترحات منها احترام المصالح الإيرانية في العراق» والمتاجرة بالموقف الوطني اللبناني، منها «نزع سلاح حزب الله»، وكذلك «دعم المبادرة العربية» لما يسمى بالسلام، و«التعاون في الحرب على» ما يسميه المتعولمون الأمريكيون «بالإرهاب».

«ويروي الكتاب الذي كتبه أستاذ العلاقات الدولية في جامعة «جونز هوبكينز تريتا بارسي» قصة الاتصالات الأمريكية الإيرانية الإسرائيلية» بعد ما أسماه بـ«الإطاحة بصدام حسين» وهي كناية دعائية أمريكية بديلة للاِحتلال العسكري الأمريكي للعراق من أجل تضليل العالم كله، «مستندا على ١٣٠ مقابلة أجراها مع مسؤولين حاليين وسابقين في الإدارة الأمريكية» مثلما «يتحدث الكتاب عن تفاصيل مؤتمر أثينا العام ٢٠٠٣م والذي بدأ أكاديميا وتحول مائدة للتفاوض بين تل أبيب وطهران، إلى جانب الكشف عن خفايا اجتماعات عقدها مسؤولون أمريكيون وإيرانيون»، و«تضمن هذا الكتاب الذي يحمل عنوان (التحالف الخبيث: أسرار التعاملات بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة: وثائق العرض الرسمي من إيران» مشيراً إلى أنه في أواخر ابريل/ نيسان ٢٠٠٣م وقبل أيام معدودة من خطاب "انجاز المهمة" لبوش في أوائل مايو/ أيار قدَّم الإيرانيون مسودة «صفقة كبرى» لواشنطن أعدَّها سفير طهران لدى فرنسا آنذاك صادق خرازي، ووافق عليها» ما يسمى بآية الله «علي خامنئي مستخدما السفير السويسري في طهران آنذاك تيم غولدمان باعتباره وسيطا ومستشارا في الوقت نفسه»، هذا وقد «تضمن العرض الإيراني وقف الدعم لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) و(الجهاد الإسلامي) والمساعدة في تحويل حزب الله إلى حزب سياسي يقتصر وجوده فقط داخل لبنان، والتعاون في مكافحة القاعدة وفتح المنشآت النووية الإيرانية أمام المفتشين الدوليين لتأكيد طابعها السلمي»، وهي النقاط التي توضح الموقف السياسي الإيراني من حيث تحويل هذه المنظمات إلى مجرد رقم في

سوق المنافسات والمساومات مع عدو أمتنا العربية، و«على الجانب الأخر طالبت طهران أيضا بإنهاء العقوبات الاقتصادية بالكامل واحترام المصالح الإيرانية في العراق والروابط الدينية في النجف وكربلاء والسماح لها بتكنولوجيا سلمية وملاحقة منظمة مجاهدي خلق المعارضة» وهي الهموم الفارسية الصفوية الراهنة.

و«يؤكد الكاتب بارسي أنَّ النائب الجمهوري السابق بوب ناي الذي يتقن الفارسية وعمل في إيران قبل» ما أسماها بـ«الثورة الإسلامية»، كان قد نقل الوثيقة / العرض إلى البيت الأبيض بواسطة اقرب مستشاري بوش السابقين، كا رل روف»، كما «يكشف الكتاب عن أنَّ كلاً من مستشارة الأمن القومي في ذلك الوقت كوندليزا رايس وزير الخارجية كولن باول ونائب وزير الخارجية ريتشارد آرميتج عملوا بقوة من اجل إقناع الرئيس الأمريكي جورج بوش بالرد على المبادرة، إلا انه استمع إلى نائبه ديك تشيني ووزير الدفاع آنذاك رامسفيلد اللذين تحفظا عليها بشدة بذريعة(عدم التحدث مع الشر»)، مثلما يشير الكتاب إلى أنَّ اتصالات إيرانية إسرائيلية جرت في مؤتمر أكاديمي استضافته أثينا قبل أسابيع من تسليم غولدمان نص الوثيقة إلى ناي، وان الطرف الإيراني أعاد خلالها التأكيد على العرض»، وكذلك «ينقل بارسي عن مسؤولين إسرائيليين إن الرسالة هي نفسها التي نقلها ممثلون رسميون وغير رسميين من طهران في اجتماعات أخرى، موضحاً أنَّ هذا العرض لم يلق الاستجابة من الإدارة الأمريكية لاقتناعها بإمكانية حشر إيران واستثمار الانتصار العسكري في العراق».

[١٠٥] – الاِغتيالات: تباينت الآراء فيمن يقف وراءها، الأميركيون؟ أم العدو الصهيوني؟ أم الميليشيات والجماعات المسلحة؟ أم دول الجوار؟ كما افترقت الآراء في تحديد أسبابها: طمعاً بالمال؟ أم لضرب المكاسب والكفاءات العلمية العراقية؟ مَن الذي يقوم باغتيالهم؟ مَنْ هو القائم على تصفية المشاركين في برامج التسلح؟ وعلى تصفية من لا علاقة تربطه بها إلا طبيعة المادة التي يدرسها لطلبته بالمعاهد والجامعات؟ قد يتعذر الجواب في حالة الفلتان الأمني. لكنه لا يتعذر كثيراً لو قارب المرء ذلك من زاوية «من له المصلحة» في تصفيتهم، هكذا يتساءل الأستاذ السيد حسن غريب، لذا سيكون بعض ما جاء في كتابه هو مصدرنا الأساس لتسليط الضوء على أحد الأطراف التي قامت بتصفية العلماء والقادة العسكريين العراقيين، للإطلاع على فداحة الجريمة التي ارتكبت بحق العراق، وهي جريمة أميركية إسرائيلية إيرانية منظمة، لنأخذ جزءاً من الكتاب الذي أنشأه الأستاذ حسن خليل غريب، والذي رصد فيه المعلومات الهائلة التي لحقت بلبنية العلمية العراقي، وفيها تتجلى الرؤية السياسية للأعداء كلهم، بكثافة معلوماتية، وبالتأكيد فإنَّ من بينهم السلطة الفارسية الصفوية في إيران. واسم الكتاب هو: تدمير تراث العراق وتصفية علمائه ، الطبعة الأولى – كانون الثاني ٢٠٠٨م ، توزيع دار الطليعة ، تلفاكس:

٠٠٩٦١١٣١٤٦٥٩، والمعلومات مستقاة من شبكة البصرة الغرّاء، المشورة في يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٩ / ٢ نيسان ٢٠٠٨.

«لقد أكَّد تقرير نشرته اليونسكو، في العام ٢٠٠٦م، عن تدمير المؤسسات الأكاديمية، أنه تم إثبات نهب حوالي ٨٤٪ من المؤسسات العلمية والبحثية العراقية. الأكاديمية العراقية للعلوم تعرضت إلى نهب ٨٠٪ من الكتب الموجودة فيها إضافة إلى كل المخطوطات وبدون أية حماية من القوات الأميركية الغازية، وهذا ينطبق على معظم الجامعات الأخرى، [أ]. وتشير الأرقام المعلنة، حتى أواسط العام ٢٠٠٦م، إلى أن حوالي ١٧ ألف من العلماء والأساتذة أجبروا على الرحيل منذ بدء الاحتلال [ب]، ويتساءل الأستاذ غريب عن مَنْ المستفيد من نزيف العقول العراقية؟ ولماذا تستهدف مع أن ميزتها الوحيدة هي التفوق العلمي والنبوغ المعرفي والانتماء الوطني؟ وما هي التداعيات المستقبلية لأعمال التصفية الجسدية التي تطال العلماء، [ج]،

قبل التفصيل فيمن له مصلحة بالتصفية، أو من هي الجهة التي قامت بها، يقول أحد الكتاب الأميركيين: إنه مهما كانت تلك الجهة التي تقوم بعمليات الاغتيال للأساتذة والعلماء العراقيين فهي جهة تمتلك كفاءة استخبارية متقدمة جداً مما يجعلها تمتلك الدقة في البحث عن أهدافٍ محدودة وسط عدد هائل من السكان [د].

أنّ عمليات التخريب والتدمير والسرقة التي تمت بعد الحرب شملت عشرات المعامل ومراكز الأبحاث والدراسات العلمية في الجامعات العراقية، خاصة جامعة الموصل، بما فيها من أدوات وأجهزة وأبحاث ودراسات. وقد أشارت دراسة أصدرها مركز الخليج للدراسات حول وجود مخطط صهيوني - أمريكي للقضاء على خبرة العراق في مجال التصنيع العسكري، ومنع العراق من إعادة بناء قدراته العسكرية، ومنع وصول علمائه إلى أي بلد عربي وإسلامي، وملاحقتهم واستقطابهم للعمل في مراكز ومعاهد أمريكية و«إسرائيلية»، ووضع خطة وقائية لمنع الطلاب العرب الدارسين في الغرب من التحصيل العلمي في مجال الأبحاث القريبة من حقل التصنيع العسكري، [هـ]

- الكفاءة العلمية كانت التهمة الأساسية لأهداف التصفية

إن نمط وأسلوب الاغتيالات يشير إلى أنها حملة منظمة وذات دوافع خفية.. وتشبه فرق الاغتيالات فى السلفادور. يلاحظ د. إسماعيل جليلى أن عمليات الاغتيال والاختطاف والتهديد بالقتل لإجبار العلماء على مغادرة العراق لا تسير وفق نمط ديني أو مذهبي.. والسمة الغالبة فيها هي أن غالبية الضحايا هم من العرب [و].

لقد تمت ملاحقة علماء العراق على أساس ثلاث صفات:

- أولا: عراقيون من مختلف الأديان مسيحيون ومسلمون من مختلف الطوائف من مختلف القوميات ومن مختلف الجامعات.

- ثانياً: ومنهم عمداء كليات ورؤساء أقسام وخبراء سابقين.
- ثالثاً: ذوو كفاءة عالية في شتى مجالات المعرفة وفي العلوم التطبيقية، والإنسانية، والقانون الخاص والعام، والشريعة، [ز].

- أما عن الجهات التي تنفذ الاعتداءات، فيرصدها تقرير أصدرته رابطة الجامعيين العراقيين، قبل أواخر العام ٢٠٠٤، ويشير إلى تدخل جهات أجنبية في انتهاك حرمة الجامعات والمؤسسات التعليمية، وفي مقدمتها قوات الاحتلال الأمريكي، بمساعدة وتواطؤ مما يسمى الحرس الوطني، وقوى وتنظيمات طائفية، وعصابات إجرام منظمة. ووسائلها القتل والاعتقال والخطف والإقصاء القسري من المناصب الإدارية. وإذا دُمرت التجهيزات العلمية في الجامعات، بالإضافة إلى تصفية العلماء، فلن تستطيع الدولة العراقية توفير عدد آخر منهم إلا في ظل مناخ علمي متمثل في وجود المكتبات والمراجع والأجهزة والأدوات، وقاعات البحث العلمي، والمعامل، [ح].

بدأت عمليات الاعتداء على أساتذة الجامعات العراقيين منذ الأيام الأولى للاحتلال، عندما أعلنت القوات الأمريكية قوائم بأسماء ١٥٥٠٠ عالماً وباحثاً وأستاذاً جامعياً وسرحتهم من الخدمة بدعوى علاقتهم بحزب البعث. هذا ناهيك عن العدد الكبير من القيادات المدنية العراقية. السبب الذي جعل الشعور الذي يكتنف المثقفين العراقيين أنهم يشهدون عملية منظمة وعنيفة لتدمير الحياة الثقافية والعلمية في العراق)، [ط].

إذاً، بدأت الكارثة القومية والإنسانية بعد احتلال بغداد مباشرة، فقد وضعت قوات الاحتلال عشرات العلماء العراقيين تحت الإقامة الجبرية داخل بيوتهم، كما منعت عددًا آخر من التوجه إلى الجامعات ومراكز العمل، وفاوضت آخرين من أجل نقلهم إلى مراكز أبحاث أمريكية أو بريطانية. واستعانت بفرق كانت تحمل لوائح بالأسماء والعناوين، في غيابٍ كاملٍ لأية سلطة، وانشغال العالم كله بالفوضى التي يعيشها العراق، [ي].

بعد احتلال العراق في التاسع من أبريل عام ٢٠٠٣م أكدت مصادر علمية عراقية أن الحرب وعمليات النهب والسلب التي أعقبتها دمرت أكثر من ٧٠٪ من المعامل والأجهزة داخل الجامعات العراقية ومراكز البحث العلمي، التي خسرت جهود أكثر من ١٣٠٠ شخص من حملة الماجستير والدكتوراه أي نحو ٨٪ من إجمالي عدد الأكاديميين البالغ ١٥٥٠٠ شخص. وحذرت مصادر عديدة من مخططات تهدف إلى اغتيال النخبة العراقية من أصحاب الياقات البيضاء؛ على حد تعبير الناطق باسم قوات الاحتلال في العراق الجنرال مارك كيميت؛ الذي كشف عن حملة واسعة من الاغتيالات جرت في العراق واستهدفت الطبقة المتعلمة والمثقفة، مشيراً إلى أن عددهم بلغ منذ مايو/ أيار ٢٠٠٣ ما يقرب من ١٠٠٠ مواطن عراقي. واستمر هذا العدد بالتصاعد ليصل إلى أرقام شملت عشرات الألوف من العقول العراقية حسب التقارير التي نشرتها مصادر

مستقلة مثل تقرير (ملف الخسائر البشرية المدنية ٢٠٠٣-٢٠٠٥) الذي أصدرته (منظمة تعداد الجثث في العراق) على موقعها على شبكة الانترنيت (www.iraqbodycount.org) حيث يمكن الاستدلال منه على أن هناك جهات متعددة تهدف إلى إفراغ العراق من عقوله المفكرة ومن تلك الجهات «إسرائيل»، [ك].

وفي وقت مبكر من احتلال العراق، تحديداً في ١١/ ٤/ ٢٠٠٣م، كشف علماء عراقيون، في نداء استغاثة، أن قوات الغزو الأمريكية والبريطانية تدهم منازلهم وتحقق معهم وتعتقل بعضهم وتطالبهم بتسليم ما لديهم من أبحاث وأوراق. في حين بدأت مفاوضات مع البعض الآخر لنقلهم إلى مراكز بحثية غربية،[ل].

٣ - عملاء الاحتلال والميليشيات التكفيرية منفِّذون مطواعون

أما ثالث المستفيدين من تصفية علماء العراق فهم عملاء مجلس الحكم الذين استرخصوا تاريخ العراق وحضارته فـ«أفتوا» بضرورة غزوه واستباحة رمزيته. وقد حَمَّل وزير شيوعي سابق الجماعات الدينية والسياسية المحلية مسؤولية قتل علماء العراق، من دون أي ذكر لدور الاحتلال، للأسف، حتى ولو بكلمة واحدة، [م].

فما السر في صمت ذلك المجلس واستنكافه عن إدانة عمليات اغتيال علماء العراق أو اعتقالهم أو وضعهم تحت إقامة إجبارية دائمة؟ إن ما جرى إنما هو الترجمة الحرفية لمؤامرة كبرى يشترك في تحقيقها الذين ينفذون كما الذين لاذوا ويلوذون بالصمت، [ن].

ليس من المستغرب أن تكون الحكومة جزءاً من المشكلة، فكيف لها أن تعمل من أجل حلها؟ إن القتلة محميون من ميليشيات تتبع أحزاب مشاركة في الحكومة، وهناك عصابات قتل مرتبطة ومحمية من قوات الاحتلال كونها المرتكب الرئيسي لهذه الجرائم، [س] -

وكشفت المعلومات عن أن بعض الميليشيات المسلحة تملك قوائم بأسماء معينة للأهداف المختارة بهدف تصفيتها، وبخاصة أنه لا توجد عوائق أمنية تواجهها في أداء مهامها. كما تشير المعلومات إلى أنه ليس من عادة عناصر تلك الميليشيات إرسال خطابات تهديد للضحايا، فهم يقومون بتصفيتها دون سابق إنذار. وتؤكد هذه المنظمات أنه عادةً ما تجرى التصفية في الشارع أو في منزل الضحية، أو أثناء صلاة الجمعة، [ع].

إن التدهور الإداري ضرب أركان الوسط الطبي، وسهَّل فتح عيادات وهمية لأطباء مزورين، واختلاسات في المال العام وسرقات ونهب للدواء والمستلزمات الطبية. وكل هذا يأتي وفق سياسة تنتهجها عصابات ومليشيات مسلحة مسيطرة في جميع أركان المؤسسات الطبية، تقتل وتهدد من يقف في وجههم، [ف]، ومن أبرز الأمثلة التي تؤكد مشاركة الحكومة العميلة في تصفية العلماء، ومن قبلها مجلس الحكم العميل، الذي ترأسه أحمد الجلبي، هو أن هذا الأخير، قد شكَّل جهازاً

أمنياً للقيام بأعمال التصفية والسرقة، ومن المؤكد أنه كان عميلاً يشكل إحدى صلات الوصل بين الاحتلال الأميركي والنظام الإيراني، قبل الاحتلال وبعده. وإن المذكور كان أحد المسؤولين الرئيسيين في استصدار قانون «اجتثاث البعث» الذي كان من أهم أهدافه تفريغ أجهزة الدولة من بنيتها البشرية الأساسية، [ص].

عمليات الاغتيالات تتم بأسلوب متشابه فيما بينها وطريقة الأداء لها غالباً ما تكون بنفس تفاصيل طريقة الاغتيالات السابقة مما يعني أن وحدات متدربة جيداً ولديها دعم لوجستي ومعلوماتي متقدم جداً في داخل العراق لعملية قنص وإعدام الضحية في الحال مع شعورهم بالأمان بعد عملية تنفيذ التصفية الجسدية إلى أي عالم عراقي ومن مختلف الاختصاصات لأن جرائمهم لا يتم المحاسبة عليها من قبل حكومة المنطقة الخضراء ودائماً تسجل من قبل دوائر الأمن للحكومة الصورية ضد مجهول وحتى التحقيق إذا وجد يكون بصورة أبعد إلى المهزلة منها إلى كشف الحقيقة، [ظ].

أما الحكومة العميلة، فتبرئ نفسها من المسؤولية، وتلقي وزرها على الموساد الصهيوني، وقوات الاحتلال، من دون أن تتساءل عن سبب بقائها على كراسي الحكم، ما دامت لا تستطيع اتخاذ القرار ولا تنفيذه، وأن توفر الحماية لعلماء العراق ومؤسساته التعليمية، هذا ناهيك عن توفير الأمن السياسي والغذائي وحماية أرواح الشعب العراقي.

ومهما قيل ويقال عمن يقف وراء تلك الأعمال الإجرامية، فإن مجلس الحكم الانتقالي الذي كان (يدير) الدولة العراقية وإداراتها المسؤولة، وخاصة الأجهزة الأمنية، يقف عاجزاً تماماً عن مواجهة أعمال العصابات المنظمة أو التخفيف من أعمالها الإجرامية، والغريب في الأمر أن الجمعيات والأحزاب والمنظمات والهيئات غير المنضوية تحت لواء مجلس الحكم الانتقالي، هي التي تسارع إلى عقد مثل تلك المؤتمرات الصحفية، بغية التعريف بهذه الممارسات الخطيرة، بينما مجلس الحكم الانتقالي لا يتطرق إلى تلك الحوادث، ويعدها حوادث عرضية. وقد ولد هذا الأمر شكاً عند عدد كبير من العراقيين في أن تلك الجهات، التي قامت بتلك العمليات وتقوم بها، ربما تكون متعاونة مع عدد من أعضاء المجلس الانتقالي، لغرض إفراغ البلد من طاقاته وقدراته، [ض].

٤ - النظام الإيراني يثأر من أبطال القادسية الثانية

سعت أطراف عديدة، منها إيران والكيان الصهيوني، إلى تقويض القوة الجوية العراقية، وتدمير منشآتها، والانتقام من ضباطها، وذلك لعدة أسباب منها:

١. الحقد الذي تكنه إيران للقوة الجوية العراقية لدورهم في قادسية صدام، وكان لهم دور حاسم ومهم في تحقيق النصر النهائي على إيران في ٨/ ٨/ ١٩٨٨م.
٢. شاركوا في جميع معارك العرب ضد الكيان الصهيوني. لقد نفذ هؤلاء الأبطال طلعات جوية استشهادية ضد العدو الصهيوني في معارك عامي ١٩٦٧و١٩٧٣م.

إن إيران وإسرائيل استعجلتا تنفيذ مخططاتها الهادفة إلى تصفية الرموز الوطنية العراقية وبشكل خاص طياري القوة الجوية. وأصدروا توجيهاتهم إلى الحكومة العميلة لاغتيال من تبقى على قيد الحياة من الطيارين العراقيين بتهم غير حقيقية وكاذبة بغية تصفيتهم وهم قيد الاعتقال، [غ].

ووفقا للإحصائيات العسكرية فإن ١٨٢ طياراً و٤١٦ ضابطاً عسكرياً اغتيلوا، وإن اكثر من ٨٣٦ طياراً وضابطاً فروا الى الدول المجاورة، وأشارت الى مسؤولية قوات بدر التي تشكل العمود الفقري للشرطة العراقية والقوات الخاصة، وجَّه الضباط وعائلاتهم أصابع الاتهام الى إيران، بتحريض تلك المليشيات، [ق]، وإن مليشيات فيلق بدر، أنشأته إيران، ودربته وسلحته ومولته، وتستخدمه في عملية الثأر من الضباط العراقيين نظراً لدورهم في الحرب، [ر].

وقد بيَّنت إفادات أن العنف الطائفي والمليشيات المدعومة من دول الجوار هي التي تقف وراء اغتيال وتصفية وتهجير الأطباء، في جزء منها، لغايات تهدف لإفراغ البلد من الطاقات العلمية الطبية. وبينت الدراسة كيفية اغتيال نقيب الأطباء العراقيين وعميد كلية الطب احمد الراوي لغرض استبداله بأحد الأطباء التابعين لأحد الأحزاب النافذة في العراق، [ش]..

- الاغتيال:

حذرت منظمة حقوق الإنسان في جنيف منذ شباط/ فبراير العام ٢٠٠٤، من أن حالات الاغتيال، تجري بمهنية عالية. وأشارت إلى أن ضحاياها في أغلب الأحيان من أساتذة الجامعة أو العلماء العراقيين من الذين لا يعرف عنهم أي نشاط سياسي، وتجرى تصفيتهم في أماكن عامة عبر قناصة محترفين، يقومون بإطلاق الرصاص في الأماكن المؤثرة في الجسد كالرأس والقلب، حتى يتأكدوا من أن ذلك الهدف سيلقى حتفه على الفور، [ش].

المراجع والهوامش الخاصة بهذا الهامش

[أ] - ٩/ ٥/ ٢٠٠٧: موقع مرصد الأردن: أربع سنوات على انطفاء المنارة الحضارية في العراق.

[ب] - سلمان بو نعمان: «اغتيال العقول العراقية الأهداف و الخلفيات»: عن الرابطة العراقية: ٢١/٦/٢٠٠٦م.

[ج] - نور علي: «العلماء العراقيون ما بين الاغتيال والخطف والتهجير»: موقع قناة بغداد: ١٩/ ٢/ ٢٠٠٧م.

[د] - ديفد هوسكنز: « من يغتال المثقفين العراقيين؟»: (صحيفة ووركرز وورلد) ٨/ ١٢/ ٢٠٠٥م: (ترجمة د. فاضل بدران).

[هـ] - ممدوح عثمان: « علماء العراق على مقاصل المشروع الأمريكي الصهيوني»: مفكرة الإسلام: ٥-٤-٢٠٠٧م.

[و] - موقع قرية القنية: (عماد): «الموساد وراء اغتيال وخطف ٥٣٠ بروفيسوراً وعالماً عراقياً».

[ز] - نور علي: «العلماء العراقيون ما بين الاغتيال والخطف والتهجير»: موقع قناة بغداد: ؟؟.

[ح] - خالد محمد غازي (رئيس تحرير وكالة الصحافة العربية): «آلاف من علماء العراق أجبروا على الرحيل منذ بدء الاحتلال»: الحوار المتمدن: العدد ١٠٦٠/ تاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٤م. (استناداً إلى تقرير أصدرته رابطة الجامعيين العراقيين عن أشكال الاعتداءات عليهم في العراق).

[ط] - ديفد هوسكنز: «من يغتال المثقفين العراقيين؟»: (صحيفة ووركرز وورلد) ٨/ ١٢/ ٢٠٠٥: (نقلاً عن مقالٍ نشرتهُ (مجلة التعليم العالي اللندنية)، (ترجمة د. فاضل بدران).

[ي] - ممدوح عثمان: «علماء العراق على مقاصل المشروع الأمريكي الصهيوني»: مفكرة الإسلام: ٥-٤-٢٠٠٧م.

[ك] - د.عماد علو. كاتب من العراق: «الاحتلال الأمريكي وهجرة العقول والكفاءات»:

[ل] - جريدة الكفاح العربي/ حزيران ٢٠٠٤م: (بتاريخ ١١/ ٤/ ٢٠٠٣م) أرسل عدد من علماء وأساتذة الجامعات العراقية نداء استغاثة عبر البريد الالكتروني. الرسالة تتحدث عن عمليات دهم وتحقيق واعتقال تنفذها قوات الاحتلال وعن محققين أوفدوا لجمع كل ما يملكه العلماء من وثائق وأبحاث علمية خصوصا في الفيزياء والكيمياء والرياضيات.

وفي الرسالة التي أملاها احد العلماء على زميل له يعمل في هولندا، طالبا توزيعها على وسائل الإعلام أنَّ جنود الاحتلال يشجعون أعمال السلب والنهب ويزرعون عملاءهم في المؤسسات العلمية العراقية، ومنها جامعة الموصل والمعاهد التعليمية، ويتعمدون إشاعة الفوضى من اجل تدمير مراكز الأبحاث ومصادرة كل الوثائق والأوراق المتصلة بالمشاريع العلمية. وتكشف الرسالة التي حملت توقيع مئات العلماء أنَّ قوات الاحتلال وضعت العشرات تحت الإقامة الجبرية، كما منعت عدداً آخر من التوجه إلى الجامعات ومراكز العمل، وفاوضت آخرين من اجل نقلهم إلى مراكز أبحاث أمريكية أو بريطانية. وتؤكد الرسالة أنَّ فرق الدهم كانت تحمل لوائح بالأسماء والعناوين، مما سهل عمليات التهديد والتحقيق في غياب كامل لأي سلطة وانشغال العالم كله بالفوضى التي يعيشها العراق).

[م] - محمد عارف مستشار في العلوم والتكنولوجيا: «لماذا التغطية على مذبحة علماء العراق؟»: مؤسسة الإمارات للإعلام: ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م.

[ن] - يحيى اليحياوي: «عن اغتيال علماء العراق»: جريدة العلم ١٦ مارس ٢٠٠٤م.

[س] - الجزيرة الفضائية: «حملة تصفية علماء العراق»: مقدم الحلقة: فيصل القاسم، ضيوف الحلقة: قيس العزاوي/ رئيس اللجنة الدولية لحماية علماء العراق، وعصام الراوي/ رئيس

رابطة المدرسين العراقيين، وجون بول شارنييه/ محاضر في مركز فلسفة الإستراتيجية، تاريخ الحلقة: ١٧/ ٣/ ٢٠٠٦م (يقول الدكتور الراوي: كيف نطلب من المجرم أن يحل مشكلتنا؟ وكيف نعتقد أن حارسين لكل أستاذ هو الحل؟ الآن نرفض أن نمشي برفقة أحد حتى لا يقتلون معنا. خلال أسبوع واحد كان هناك كارثة في الجامعة المستنصرية. اضطر الدكتور عدنان كريم رجب وهو رئيس قسم إلى الهروب، اختطف الدكتور علي حسن مهاوش عميد كلية الهندسة ثم وُجد مقتولا، وخلال التشييع قُتل أحد الأساتذة في قسم الهندسة الكهربائية، واختطف ثلاثة آخرون، بالله عليك هل وجدت السيد رئيس الجامعة المستنصرية ولو قدم شكوى بسيطة؟ هل يمكن وزير التعليم العالي أن يهتم بالأمر؟ في أسبوع واحد أكثر من ثمانية تعرضوا للقتل والاختطاف واضطر أربعة للهجرة. كيف تتوقع الإحساس من حكومة مات إحساسها؟). بغداد - القدس العربي ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٦م: ضياء السامرائي. (من جهتها تتهم سارة الزهاوي وهي طبيبة في مجال أشعة السونار ببغداد فتقول لقد تعبنا من فرض الوصايات والمحسوبيات التي تفرضها الجماعات المسلحة بغطاء حكومي وديني).

[ع] - محيط - فتحي مجدي/ ٢٠٠٤-٠٦-٢٠م: حملة اغتيال علماء العراق وتصفيتهم.

[ف] - بغداد - القدس العربي ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٦م: ضياء السامرائي. (وأنموذج ذلك، ما حدث للطبيبة سعاد السامرائي مسؤولة مذاخر الأدوية في محافظة البصرة بعد اكتشافها حالات اختلاس ضخمة دفعت حياتها ثمنا لها على الرغم من تهديدها مسبقاً).

[ص] - الركن الأخضر: ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٥م: الدكتور أيمن الهاشمي (أكاديمي عراقي/ جامعة بغداد): «قراءة في صفحة سجل سوابق أحمد الجلبي»: (تضمنت القوائم المضبوطة، في مكتب أحمد الجلبي، أسماء مئات من المواطنين العراقيين من مدنيين وعسكريين وبينهم رجال فكر وصحافة وكتاب وأدباء ورجال أعمال وأطباء، ممن تمت تصفيتهم وممن لم تتم تصفيتهم بعد، مما يثبت صلة حزب الجلبي بالتنسيق مع ميليشيات فيلق بدر التابعة للمجلس الأعلى لما تسمى بالثورة الإسلامية في العراق، بينهم عدد كبير ممن طالتهم رصاصات التصفية ومنهم من لا زال على قائمة الانتظار.

فور دخول الجلبي مع قوات الغزو، واستيلائه على عدد من القصور ودور الدولة والمباني الحكومية، وعلى مبنى المخابرات العراقية في الحارثية بكل ما فيه من وثائق وسجلات، قام باستغلال حاجة عدد كبير من الشباب العراقي تحت الفاقة والعوز، وقام بتجنيدهم لقاء إعطائهم مبالغ شهرية تتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ دولار، وتكليفهم بأعمال تتراوح بين التصفيات، وسرقة سيارات الدولة. كما أنه بالتنسيق قام على مدى سنوات

التسعينيات باستغلال حاجة الشباب العراقي المهاجر، وجند منهم بحدود ٥٠٠٠ شاب، وجمّعهم في معسكر للتدريب في هنغاريا بإشراف المخابرات المركزية.

كان الجلبي جاسوساً لإيران، ومن خلالها كان يقدم المعلومات المفبركة ضد العراق، وأمضى وقتاً فيها قبل الحرب على العراق وبعدها، و لم ينف ذلك ولا نفاه الإيرانيون. فقبل الحرب سافر في شهر آذار (مارس) ٢٠٠١م إلى طهران والتقى كبار المسؤولين وأقام فيها مكتباً للمؤتمر الوطني العراقي. وفي ١٩ آذار ٢٠٠١م سئل الناطق باسم الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر عن زيارة الجلبي لإيران وعما إذا كانت تزعج واشنطن، فلم يجب!. لقد كانت علاقات الجلبي بإيران من صالح الولايات المتحدة وهي تستعد للحرب، فهو استطاع أنْ يرتب نصب جهاز إرسال، على الأراضي الإيرانية، لبثٍّ موجّة إلى العراق. وفي آب (أغسطس) ٢٠٠٢م التقى بمسؤولين كبار في طهران وتوجه بعدها إلى واشنطن. وكان قد اتصل بمسؤولين في واشنطن من طهران، خلال اجتماعاته مع المسؤولين الإيرانيين ومع محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية. وفي كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢م، ومع اشتداد الاستعدادات للحرب، سافر الجلبي إلى طهران ويومها نقلت الوكالة الإيرانية للأنباء «إنَّ أمين عام المؤتمر الوطني العراقي احمد الجلبي يتوسط ما بين إيران وأمريكا»، ونقلت عن الجلبي تصريحه: «إنَّ تحالفنا مع إيران ليس مؤقتاً». وكذلك في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣م، قصد طهران للقاء الحكيم قبل انعقاد مؤتمر المعارضة العراقية في لندن. وفي مقابلة مع وكالة أنباء الطلاب قال: «إنَّ تعاوننا مع إيران جيد جدا، لا احد يمكن أنْ ينفي أن إيران كانت الأكثر تعاوناً معنا من بقية الدول المجاورة.

المعلوم أن الجلبي كان هو وراء إصدار قانون اجتثاث البعثيين، والذي صدر في وقت رئاسته لمجلس الحكم، كما أنه كان المحرض الأول على إصدار قرار حل الجيش العراقي، وقد اعتقد (أنَّ تغييب شريحة ذات خبرة في الإدارة والعمل العسكري سيسهم في تسريع استيلائها على السلطة وتمكنها من إدارة دفة الحكم في ظل الاحتلال حتى لو تم جلب الخبرات والكفاءات من الخارج).

[ظ] - موقع شباب مصر/ صباح البغدادي - العراق: « تصفية العلماء... مفاتيح إعادة بناء العراق وتنميته... لمصلحة من؟». (تناقلت وسائل الأعلام المسموعة والمرئية ليوم ٥ نيسان ٢٠٠٦م خبر اغتيال مسلحين الأستاذ الجامعي صلاح عزيز هاشم (٣٩ سنة) وقال الشهود حاولنا مراراً الاتصال بقسم الطوارئ في شرطة البصرة لكن الاستجابة جاءت متأخرة جداً. ويؤكدون بأن قوات الشرطة أوقفت عدة مرات عصابات معروفة الوجوه متلبسة

بجرائمها ويجري الإفراج عنهم إثر مكالمات من جهات نافذة في محافظة البصرة وهم ينتمون في أغلبهم لأحزاب معروفة للمواطن البصري).

[ض] - «اختطاف علماء العراق»: شبكة البصرة: ١٤/٦/ ٢٠٠٤م: (يقول الدكتور محمود العباسي من وزارة الصحة العراقية: إن هذه الظاهرة تحتاج إلى دراسة واستقصاء؛ لأنها ليست عملاً عبثياً، وإنما هي من تخطيط جهات أجنبية، وأن أصابع الاتهام تتجه نحو الموساد الإسرائيلي، وبأنه الجهة الوحيدة التي تمارس مثل هذه الجرائم؛ وأثبتت الوقائع أن الكثير من الأعمال الإجرامية مارسها رجال الموساد الذين ينتشرون في جميع أنحاء العراق ولاسيما في بغداد والمنطقة الشمالية.. إن مجلس الحكم مطالب بتوفير حماية حياة العلماء وعدم تركهم عرضة للاغتيال أو الاختطاف أو الهجرة.

واستنكرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ظاهرة الاختطاف والإرهاب التي يتعرض لها الأطباء العراقيون، وأدان زياد عبد الرزاق أسود (وزير التعليم العالي) هذه الظاهرة ووصفها بالخبيثة، التي تقف وراءها أياد مخربة ومشبوهة، تريد أن تدمر البلد وثروته العلمية. وأضاف: إن وزارة التعليم العالي تطالب وزارة الداخلية ومجلس الحكم توفير الحماية المطلوبة لهؤلاء الأطباء والتدريسيين العلماء من خيري هذا البلد الطيب لغرض إفشال مخطط أعداء العراق).

محيط - فتحي مجدي/ ٢٠٠٤-٠٦-٢٠م: اتهم أسامة عبد المجيد رئيس دائرة البحوث في وزارة التعليم العالي العراقية في تصريح لصحيفة "السبيل" "الأردنية"، الموساد " باغتيال العديد من العلماء العراقيين، بمساعدة قوات الاحتلال. وأوضح أن وزارة الداخلية العراقية تكتمت على نتائج تحقيقاتها التي طالت العديد من الأشخاص المشبوهين في تنفيذ عمليات، في حين أطلقت قوات الاحتلال سراح بعضهم. كما اتهم وكيل وزارة الصحة العراقية عامر الخزاعي «أيادي خفية وخبيثة بالوقوف وراء هذه الظاهرة، بهدف تعطيل عملية النهوض بالعراق من جديد».

كذلك اتهمت رئيسة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد هدى النعيمي «الموساد» بالوقوف خلف سلسلة الاغتيالات التي تستهدف علماء ومدرسين في جامعات العراق المختلفة، وأضافت: إن ثمة عروضاً إسرائيلية ربما قدمتها تل أبيب إلى هذه الطائفة التي تمثل النخبة العراقية بعد احتلال البلاد، وبمساعدة أطراف خارجية، للعمل في جامعاتها أو التعرض للاغتيال.

جريدة الزمان (العراقية): «الأمريكان يعتقلون ٣١٩ أكاديميًا ويطلقون عليهم ألقاب الكلاب»: ٣/ ٤/ ٢٠٠٦م: (أكد الدكتور صباح حسن الحسيني الوكيل الاداري في

وزارة الصحة ان (الوزارة دعت في وقت سابق إلى تشكيل لجنة عليا لمكافحة العنف والارهاب الذي يستهدف العقول والكفاءات العراقية، ووجهنا الدعوة إلى جميع المسؤولين والي رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية شخصيا بالاضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الحكومية الا اننا لم نتلق اية استجابة من قبل بعض المسؤولين في وزارة التعليم العالي ولذلك لم نتقدم اية خطوة ايجابية حول الموضوع).

شبكة البصرة: ١٤/ ٦/ ٢٠٠٤م: «اختطاف علماء العراق»: أعلن الدكتور عامر الخزعلي (وكيل وزارة الصحة للشؤون الفنية) أن (إياد خفية) تكمن وراء عمليات خطف أو اغتيال الأطباء، وقال: إن ما لحق بشخصيات علمية من إساءة وامتهان للكرامة، فضلاً عن ابتزازها، دفع أقرانها إلى اعتزال العمل واعتماد خيار الهجرة هرباً من سطوة العصابات الإجرامية المنظمة، كما أن هناك عصابات إجرامية تفرض إتاوات على الأطباء مقابل عدم التعرض لهم، على أن يتم دفعها للعصابات شهرياً.

٢٨/ ٥/ ٢٠٠٧م/ سويس لأنفو: «من يحمي العلماء العراقيين من الاغتيال؟»: (حوار مع د. قيس العزاوي، رئيس لجنة حماية الصحفيين العراقيين، ورئيس اللجنة الدولية لحماية الأساتذة الجامعيين): اعترف وزير التعليم سامي المظفر بخطورة هذه الظاهرة، وقال "إن وزارته وحكومة الجعفري لا تستطيعان توفير الحماية اللازمة للأساتذة، وفضل أن يصار إلى تعيين علماء العراق كملحقين ثقافيين بالسفارات العراقية في الخارج. لكن حتى هذه "الالتفاتة"، لم تحل وضعية آلاف الأساتذة المعرضين للتصفية والاختطاف.

[غ] - شبكة البصرة/ ٣/ ٦/ ٢٠٠٣م/ : خليل السلماني: «اعتقال واغتيال صقور الجو اتفاق إيراني صهيوني تنفذه الحكومة العميلة».

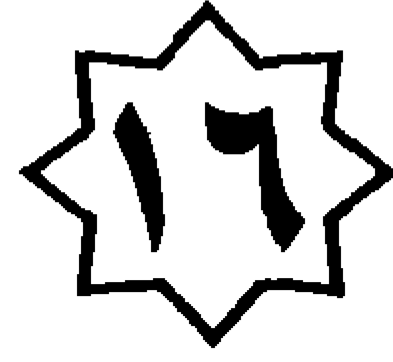
[ق] - صباح ديبس: « تدمير واغتيال قدرات العراق وعقوله، هدف من جملة أهداف شريرة للاحتلال وحلفائه»: شبكة البصرة: ١٤ نيسان ٢٠٠٦م. (نقلاً عن (الصنداي تايمز)، بتاريخ ٩/ ٤/ ٢٠٠٦م).

[ر] - موقع شباب مصر/ صباح البغدادي - العراق: « تصفية العلماء... مفاتيح إعادة بناء العراق وتنميته... لمصلحة من؟». (وأشارت الإحصاءات العسكرية الرسمية أن ١٨٢ طياراً سابقاً و٤١٦ ضابطاً عسكرياً برتبة كبيرة قد قتلوا في إطار هذه العملية حتى شهر شباط ٢٠٠٦م وأن ما لا يقل عن ٨٣٦ طياراً وضابطاً عسكرياً بارزاً قد فروا إلى الدول العربية المجاورة، طلباً للحماية من عمليات الاغتيال. وأشارت الصحيفة إلى أن الطبيعة التنظيمية لعمليات الاغتيالات توجه الاتهام إلى مسؤولين في داخل الحكومة العراقية من الموالين لإيران تقف وراء هذه الاغتيالات. وتروي الصحيفة قصة اغتيال لواءين بالقوة

الجوية العراقية السابقة هما: اللواء قاسم شالوب واللواء سعاد بها الدين اللذين تم اختطافهما وعثر على جثتيهما قرب مدينة الصدر، وقد قطعت أيديهما وأطلق الرصاص على رأسيهما، كما وُجد على جسديهما آثار جروح ببلطة في رأسيهما، وعلى ثقب في رقبة أحدهما تم بمثقاب كهربائي. ونقلت الصحيفة عن شقيق أحد الطيارين اللذين اغتيلا قوله: إن أي شخص شارك في الحرب ضد إيران هو الآن هدف محتمل ولا يعرف متى يتم تنفيذ حكم الإعدام به، وليس بوسعنا الهروب أو الدفاع عن أنفسنا، إننا نسير ونحن موتى). – نقلاً عن تقرير لصحيفة (صنداي تايمز) أن الطيارين العراقيين الذين خاضوا الحرب ضد إيران يتعرضون لعملية ملاحقة منظمة ومبرمجة للقتل والتصفية من جانب المخابرات الإيرانية وعملائها.

[ش] - بغداد - القدس العربي ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٦م: ضياء السامرائي.

[٢٥] - محيط - فتحي مجدي/ ٢٠٠٤-٠٦-٢٠م: رصاصة واحدة تكفي: حملة اغتيال علماء العراق وتصفيتهم.. خطة صهيونية - أمريكية.



مناقشة مفهوم الفارسية الصفوية
على ضوء المفهوم التاريخي للأمة العربية
ومعايير الحضارة العربية الإسلامية

الرصد السادس عشر

ويتغافل هذا «المتفقه»، كذلك، عن الأبعاد السياسة الإستعمارية والإمبريالية العالمية سابقاً - التي تقودها راهناً الولايات المتحدة الأمريكية في ظل العولمة التي حسمت فعاليتها الإستراتيجية مع إفلاش المعسكر الإشتراكي والقضاء على الإتحاد السوفييتي، ومن ثم كانت الحرب والعدوان على العراق القشة التي كسرت ظهر التوازن العالمي ووجود معسكرين... لقد بلغت السيطرة السياسية الأمريكية المتعولمة في كل المجالات، علاوة على تأثير الشركات الإحتكارية العملاقة على الوضع السياسي في الوطن العربي، والمصالح التوسعية للحركة الصهيونية العالمية ولكيان الإغتصاب الصهيوني، وهي فوق كل ذلك، عوامل أساسية في كل الممارسات السياسية التي شهدها الوطن العربي، منذ حروب الفرنجة الأوربيين بدعوى الحروب الصليبية، وللفترة الراهنة: التي شهدت فيها أوروبا الغربية النمو الرأسمالي: الصناعي والتوسع الإستعماري والنشوء الإمبريالي والتمركز المالي والإحتكار في نمط الشركات الصناعية والتجارية والإستخراجية والإستثمارية (أي الإستغلالية) العالمية، وصولاً إلى فرض نظام العولمة الأمريكية وتوحيد العالم عن طريق السوق، الذي تقوده الولايات المتحدة التي يسود في إدارتها الراهنة: المحافظون الجدد في المرحلة الحالية من تاريخ التطور السياسي في العالم، الذين غالبيتهم من اليهود الصهاينة... نقول:

كما تبين ذلك الوثائق الفكرية والسياسية التي ترصد ذلك التطور السياسي الأوروبي، والأمريكي كذلك، [١٠٦]، وهي في كل الأحوال، تشكل التطورات السياسية

على مدى عدة قرون، المعالم الأساسية لنتائج التطور السياسي الغربي، من جهة، والتقهقر السياسي العربي، من جهة أخرى، وهما متلازمان في السبب والنتيجة.

إنَّ الأربع مائة عاماً من الهيمنة العثمانية، كما يقول هذا البعض اِستناداً إلى وثائق تاريخية، لم تكن فيها الشعوب العثمانية المختلفة الخاضعة لحكم واحد تحت ظلال الراية المكونة للإمبراطورية العثمانية، تحت سيادة نمط إنتاجي وعرقي وقومي مركزي واحد مفروض من قبل السلطات العثمانية، ولكنها - كذلك - كانت المجتمعات العربية تعيش خلالها حالة مأساوية من التخلف على شتى الصعد، مع اِختلاف درجات هذا التخلف وفق مقياس هذه المآسي في سلـَّم التطور الحضاري، وهي في الحقيقة شبيهة بمراحل تطور المجتمعات الأخرى: المختلفة من الناحية القومية، المكونة لتلك الإمبراطورية الشاسعة والممتدة في عمق أوروبا وبعض مناطق آسيا وتسيطر على بعض بلدان الشمال الأفريقي.

لقد كانت جميع هذه التكوينات القومية موسومة بالتخلف الحضاري والاِقتصادي والاِجتماعي، وتشهد حالات من التراجع من النمو الاِقتصادي والصيرورة السياسية في الدور العالمي، وفق مقاييس التطورات السياسية والمعرفية والاِقتصادية العالمية: والأوربية منها على وجه الخصوص، التي أصبحت هي المعيار التاريخي لمفهوم التقدم والتطور.

• ولكن المنعطف الطوراني الكبير الذي أثر سلباً - فوق المؤثرات السلبية الأخرى - على الوطن العربي هو صعود «جماعة الاِتحاد والترقي» في أواخر مرحلة حكم الإمبراطورية العثمانية، والتي سارت هذه القيادة التي حاولت تقليد التطورات السياسية الأوربية بالإمبراطورية العثمانية إلى حتفها، وتفكيك الترابط الإممي الإسلامي بين المجتمعات ذات التكوين القومي المختلف، والمتفاوت في التطور الاِقتصادي والاِجتماعي، والمكونة للإمبراطورية العثمانية - كما قلنا ذلك مراراً - من خلال تركيز جماعة الاِتحاد والترقي اِجراءاتهم السياسية -بحق شعوب المنطقة وعلى الصعيد القومي العربي، على «التتريك اللغوي» و«التتريك الوظيفي» في التعامل الإداري مع أوضاع المنطقة العربية، علاوة على الهزائم العسكرية في معارك الحرب العالمية الأولى أمام البلدان الأوربية: بريطانيا وفرنسا،

وقبيلها هزيمتها مع روسيا أيضاً، وكذلك لعبت عمليات إعدامات جمال باشا السفاح - جرّاء المؤامرة الفرنسية المعروفة - للنخبة السياسية العربية دورها الملموس في تأليب النخبة العربية على الحكام العثمانيين الطورانيين الذين كانت تقودهم جمعية الِاتحاد الترقي... عمليات الإعدام في بيروت ودمشق،[١٠٧].

ومما فاقم الغضب العربي والنقمة الشاملة على «العثمانيين» كذلك: الِاستباحة العسكرية الشنيعة لبعض المناطق الجغرافية في العراق، ولعل أبرزها ما تعارفت عليه الأدبيات الِاجتماعية والتاريخية العراقية، بـ«دكة عاكف» في مدينة الحلة الفيحاء، التي ذهب ضحيتها ألوف المواطنين وأستبيحت فيها الأموال والأعراض... إنَّ هذه التطورات الموضوعية + السياسة الذئبية البريطانية المتنامية منذ القرن الثامن والتاسع عشر، وخصوصاً في أعقاب «مؤتمر بانرمان» الأوربي. قد أتت أكلها تماماً.

وما نتج عن تلك التطورات الفادحة في ظلمها وجورها، من برنامج سياسي تجاه المنطقة العربية، وكيفية إدارة الوضع السياسي فيه، بعد الِاستيلاء السياسي لجماعة الِاتحاد والترقي عليه، هي التي كانت كامنة وراء نزوع الوطنين العرب - والعراقيين منهم على وجه الخصوص - نحو الِاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، وهي الدافع - كذلك - وراء تحركهم السياسي الذي اِتخذ مسار تاريخي طويل نسبياً ومتعرج غالباً، تراوح بين رؤية السياسية اللامركزية التي تمنح العرب بعض حقوقهم السياسية والإدارية، ومن ثم المطالبة بالحكم الذاتي للعرب الذي ووجه بالمزيد من القمع السياسي وسياسة الإعدامات، الأمر الذي أدى إلى ترسخ نزعة الِاستقلال القومي العربي عند بعض شعوب أقطار الوطن العربي.

لقد اِنتهت الحركة القومية التقليدية وممثلوها من الِاقطاعيين وبعض البرجوازيين الكومبرادوريين، بعد تحقيقها الِاستقلال السياسي الشكلي وتشكيلها «الدول القطرية» بالِاعتماد على «الحليف» أو «السيد البريطاني/ الفرنسي»، إلى التمزق القطري والتجزؤ السياسي جراء المخطط السياسي الأوروبي التي رسمت ملامحه الأساسية العملية: خطة

«سايكس بيكو» التي حددت أفقها كل من بريطانية وفرنسا، و«خطة وعد بلفور» التي عملت على توفير المقدمات لنشوء كيان الإغتصاب الصهيوني، بعد أنْ تم دراسة هذا المخطط عينياً في «مؤتمر بانرمان» المنعقد با بين ١٩٠٤م – ١٩٠٧م، الذي أرسى خطوطه العامة مفكرون من شتى الإختصاصات الفكرية والإقصادية والإجتماعية والتاريخية والفلسفية.

لقد كان المثقفون العرب السياسيون رأس الرمح في تلك الكتيبة الجهادية التي سلطّت الأضواء على الواقع الطوراني، ومجرد مراجعة للكتب الثقافية على المستوى السياسي، الذي إستمرت بالصدور المتتابع طوال القرن الماضي، أي القرن العشرين، نجد ألوف العناوين حول تلك المهارسات الطورانية وإنعكاساتها السلبية على المجتمع العربي، بدءاً من الفيلسوف المتنور والمنوِّر: المرحوم ساطع الحصري، الذي أصدر العديد من الكتب حول تلك المرحلة، وحتى المرحلة القريبة لجهود المؤلف المرحوم علي الوردي في كتابه المتعدد الأجزاء «لمحات إجتهاعية من تاريخ العراق الحديث»، وما بينهما من أسماء الكتّاب ومعدِّي الأطروحات الثقافية والسياسية، وهم بالعشرات أو بالمئات على وجه التحديد: سواء أكانوا عرب أم أجانب.

كان ذلك النشاط الثقافي يتميز بالتحليل السياسي الملموس للموقف السياسي الملموس، وكانت المرحلة العثمانية، وعلاقتها بالمكان العربي، والمرحلة التاريخية، وشكل الطموح السياسي الذي جسده خليطاً من القوى السياسية العربية في بعدها الإيماني، هي المهمة السياسية الملموسة في مضامين تلك الكتب والدراسات.

أما اليوم من أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، فإنَّ ما هو مطروح في الشأن السياسي وفق مفاهيم «الزمان» و«المكان»، هو مدى التأثير الإيراني: على ضوء مفهوم الفارسية الصفوية، على الوضع السياسي في العراق بشكل خاص والوضع العربي بصورة عامة.

ومن المعلوم أننا لا نتناول السياسة الإيرانية على الصعيد العالمي وعلاقاتها التناقضية مع أمريكا، التي تخضع لوجهات نظر سياسية متباينة، إذ هي تتطلع لتحقيق مصالحها

السياسية و«الوطنية» كدولة، في أحسن الأحوال، وفي سياق هذا الخط السياسي تحاول توظيف الوضع السياسي العراقي في إطار سياسة «التخادم المشترك» مع الولايات الأمريكية المتحدة، للحصول على بعض المكاسب الفارسية في نطاق ذلك الخط.

إنَّ الإمر لا ينطوي على أي تصادم سياسي إيراني ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، ولو كان الأمر كذلك، لأقدمت سلطة الملالي على اِتخاذ سياسة من شأنها توطيد العلاقة مع الأنظمة السياسية التي تناويء سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، لا مساعدتها على إحتلال العراق، والتحكم السياسي بثرواته وأوضاعه الإستراتيجية كلها. إنَّ زيارة الرئيس الإيراني للمنطقة الخضراء التي يتحكم في سياستها الأمريكيون من الألف إلى الياء - على سبيل المثال - هي آخر دليل على سياسة التخادم المشترك بينهما، ولعله لن يكون الأخير.

إنَّ ما يواجهه المجتمع العراقي في اللحظة التاريخية الراهنة من مآسٍ، نجمت أساساً عن التفتيت الإجتماعي والتشيؤء المذهبي والإغتيالات المتواصلة، على سبيل المثال، قد جعلت من تركيز البحث الثقافي والفكري والسياسي على العنصر الجديد الذي يلعب الدور المحوري في تناسل معاول الهدم الفارسي الصفوي في العراق... قد جعلت من كل ذلك هي المهمة السياسية الآنية والراهنة، والجديرة بالرصد والإستقراء والتنفيذ، بغية تسليط الأضواء على ذلك المفهوم العنصري الطائفي: الفارسي الصفوي، في سبيل حماية المستقبل الإستراتيجي العراقي ومن خلاله حماية كل المستقبل العربي، كي لا يكون العراق وغيره: أحواز عربية أخرى، يمنع فيه الحاكمون الملالي المستحوذون على الحكم في طهران إطلاق حتى بعض الأسماء البارزة التي أسست للتاريخ العربي الإسلامي وأرست حقائقه... يمنعون إطلاق الأسماء العربية الخالدة على مواليد الأحوازيين الجدد، كما هو حادث في إيران «الجمهورية الإسلامية» ويحدث يومياً وفق سياسة مبرمجة ممتدة منذ زمن الشاة السابق وما تزال: من قبيل أسماء عمر وأبو بكر وعثمان ورائد وخالد وياسر وعائشة وشيماء.

في أية حال أرى، من الضروري العودة للبديهيات المعروفة والحقائق السياسية في التاريخ الفكري السياسي والتطور الإجتماعي في هذه المنطقة العربية، ولعل المفاهيم اللغوية

العربية هي من بين أكبر المنجزات الإبداعية للعرب الذين حفزت أفكارهم، وإنّ جوهر تلك البديهيات وأس تلك المظاهر التاريخية هو ما يتعلق بالرسالة السماوية، إذ أنَّ الأمة العربية وكيانها القومي وتراثها المنغرس في التاريخ «موجودة بقوة التاريخ وحقائقه التي أنتجت وحدة اللسان والثقافة والمخزون القيمي، رغم أنف المعارضين المنكرين، وإذا تمزقت - لأسباب سياسية حديثة وقديمة - إلى واحدٍ وعشرين دولة، فهي موحَّدة في مرجعيتها الثقافية واللغوية والتاريخية»، [١٠٨].

والأستاذ عبد الإله بلقزيز المفكر القومي العربي المغربي الذي لا يلعب دور النسق التفكيري الطائفي في أي بُعْـدٍ تكويني في صيرورة وعيه السياسي المتقِد، في ترتيب أفكاره العلمية وتبويب إستنتاجاته المنطقية ومسار رؤيته التكوينية الفكرية، هو الذي دفعه لتسلط الأضواء على مفهوم الأمة العربية. إذ هي مرتبطة في سيرورتها الحاضرة والتاريخية بآفاق المستقبل في ظل صراعات على المنطقة، كما يرى، ويدفع - كذلك - بحكم الضرورة «الأمم الصغيرة إلى إعادة هيكلة بناها الإقتصادية للتكيف مع شـروط إندماج إقليمي بين دولها، والإنتظام في تكتلات إقتصادية تقيها من الإبتلاع والإستتباع [... و] أنَّ القوى الإسلامية المتصدرة اليوم للمشهد السياسي العربي التي هي - في الحصيلة - ثروة في رصيد العروبة وليست حرباً عليها كما يزعم الزاعمون»، [١٠٩].

لأنهم وبكل بساطة علمية يواجهون ذات العدو على مدى التاريخ الإستعماري الإمبريالي المتعولم طوال القرون الحديثة والمعاصرة، بما يعني إستمرارية ذلك العدوان بهدف إلغائها: أي الدولة العراقية وعموم الأمة العربية، ليس من التاريخ السياسي فقط، بل حتى من الجغرافية على أرضية نظام شرق أوسطي يقوده كيان الإغتصاب الصهيوني، أو إرساء محتوى سياسي وبديل مغاير للمفهوم القومي العربي يعمل على نسف ذلك المحتوى سياسياً على أقل تقدير، وهو عدوان مستمر كان يستهدف هذه الأمة.

والأمة العربية التي هي معطى تاريخي مشترك، تكونت بفعل الرسالة الإسلامية التي شكلت منعطفاً توحيدياً كبيراً للأمة بديلاً عن الدويلات والقبائل الكائنة في المجتمع العربي، والتي شـكلت الحاضنة التاريخية للنهوض الإسـلامي الكبير في العالم، ولعب القادة

العرب: أي العامل الذاتي دورَ الأداة المنفذة لحمل الرسالة العربية الإسلامية إلى العالم، في مراحلها التأسيسية على الأقل، إذ أنَّ «العرب الفاتحين هم الذين حملوا الإسلام ونشروه في البلدان وقاتلوا من أجله واستشهدوا في سبيله، فكانوا بذلك «مادة» له، بمعنى «المادة الخام» التي صنعت التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، [...]، فالنبي عربي، ولغة القرآن عربية، والخطاب فيه قد وُجِّه أول ما وُجِّه إلى العرب...

كما أنَّ الإسلام سيبقى عربياً لأنَّ أحكامه إنما تستخلص أولاً من القرآن، كما هو في أصله العربي، وليس من خلال أية ترجمة له، لأنَّ أية ترجمة للقرآن وإلى أية لغة، كيفما كانت، لا تستطيع الوفاء بمضامين عباراته، نظراً لأسلوبه البياني الرفيع الذي يجسِّم أعلى مظاهر الخصوصية في اللغة العربية...

ولما كان الأمر كذلك فإنَّ الاِجتهاد - والاِجتهاد في الإسلام مصدر أساسي من مصادر التشريع - لا يمكن أن يكون إلا بالعربية، فإتقان اللغة العربية والمعرفة الواسعة بطرقها في التعبير شرط ضروري في الاِجتهاد، وقد عبَّر الفقهاء الأصوليون عن هذا المعنى حينما قالوا عن القرآن إنَّ {العربية جزء ماهيته}، وما دامت اللغة العربية {جزء ماهية} القرآن فهي إذاً مقوم أساسي من مقومات الإسلام نفسه»، [١١٠].

وبهذا المعنى، فإنَّ الأفق الاِجتماعي العربي تلازم والبعد العقيدي للرسالة الإسلامية النبوية، وهما متكاملان في الواقع أو حتى كاِحتمال، إذ «كان هناك دور اِجتماعي تاريخي لا سابق له في الأهمية في كل تاريخ البشرية: فالرسالة بقدر ما كانت دعوة للتوحيد، والعبودية لإله واحد، كانت - أيضاً - صناعة كاملة لأمة جديدة، على مسرح التاريخ، وتدميرُ الوثنية ونُصُب الشفعاء لم تكن تكريساً لوحدانية الله في وعي العرب فحسب، كانت - إلى جانب ذلك - تدميراً لأسباب الشتات والفرقة بين الجماعات القبلية العربية، هكذا أتى توحيد الله تعالى يمثل في نتائجه الاِجتماعية توحيداً للجماعات العربية في أمة، وهكذا أيضاً تداخلت في التكوين الشخصيةُ الاِجتماعية للأمة مع شخصيتها الروحية، بل قل كانت الأولى من صلب هذه. ولعل ذلك - أيضاً - كان من بين أكثر الأسباب وجاهة في إحداث ذلك النوع النادر من التلازم بين الدين والدنيا، في التجربة الإسلامية، وهو

تلازم عبَّر عن نفسه في ميدان السياسة حيث عنت حراسة الدين وتدبير الدنيا، بعد أنْ غذتها التجربة النبوية في «دولة المدينة» بسابقة مرجعية جرى البناء عليها»[١١١].

والجاهلية عند العرب، تعني، على العموم، هو عدم وعي الدين التوحيدي في عمومياته والجهل بمقوماته في إنشاء وتكوين الأمة، وخصوصا: «جهل الدين الإسلامي الحنيف» وأحكام الشريعة، والاِحتكام بدلاً من ذلك في إدارة شؤونهم الحياتية إلى المعارف القبلية وتقاليد نظامها الاِجتماعي، ولكن في تلك الفترة كان التطور اللغوي كبيراً رغم تعدد اللهجات القبلية التي كان أبرزها اللهجة القرشية...

تلك القبيلة التي لها باع طويل في إرساء نظام الإيلاف وإقامة نظام التجارة وتنظيمه مع الدول المجاورة والبعيدة نسبياً، وتوطيد عموم المعالم الأدبية الأخرى، كما نشأت «دول عديدة» في منطقة الجزيرة العربية خصوصاً في الجنوب منها: اليمن السعيد، وقامت فيها سدود مائية كبرى تخدم عمليات الزراعة والري، مثلما تتحدث المصادر عن قيام تجارة بين تلك «الدول» وبين المناطق الأخرى، من قبيل «دول» معين؛ قتبان؛ حضروموت؛ سبأ؛ حِمْيَر؛ إرم، إلخ، والتطور المعماري الذي تبرهن منشآت «سد مأرب» والتطور الزراعي وعمليات الري، والعلاقات التجارية مع المصريين ومناطق الشام والهند، أبرزها وأشهرها، وكل ذلك يعد من معالم التطور الذي يتعاكس مع مفاهيم «الجهل» و«الجاهلية» الذي يحاول البعض تكريسه عن العرب.

ولكن الاِنعطاف الكبير الذي شهده العرب كان مع الاِنبثاق الأبرز: الرسالة العربية التاريخية والعالمية للدين الإسلامي، وهو ما تسعى الفارسية الصفوية إلى مصادرته وتحطيمه منذ مرحلت «الرادود الفردوسي» الشعوبية في التاريخ العالمي الوسيط، الذي كانت الأمة العربية والإسلامية خلاله تعيش مرحلة تطورها الأرقى والأكثر تأثيراً في العالم آنذاك، وحتى المرحلة «الصفوية» في العصر الحديث، والذي تجددت خلالها محاولات مصادرة هذا الدين بمفاهيمه الإنسانية لصالح رؤى صفوية وطائفية تسعى لتقزيم الأمة العربية وتفتيت مجتمعها في كل الأقطار العربية، والتحطيم السياسي للدول المكونة لهذه الأمة التي يقوم بها حكام إيران الحاليون بدعاوى وذرائع مختلفة.

في حين أنَّ العرب كانوا يستمدون «شخصيتهم القومية كأمة من الإسلام: الذي صنع لها الرابطة الموحدة، ومكَّنَها من الكينونة التاريخية، فإنّ علاقة العروبة بالإسلام تعززت أكثر بلغة الوحي العربية، نعم، لقد أضفى العرب على الإسلام طابعاً عربياً حمّلتهم الدعوة، ونهوضهم بعبء نشر الرسالة في آفاق الأرض، من خلال مسلسل الفتوحات أو الدول التي أقاموها بإسم الإسلام ؛ غير أنَّ عروبة القرآن ظلت - في النهاية - هي الأساس في كل تلك العلاقة بين العروبة والإسلام، ولقد زادها رسوخاً أنَّ الرسول الكريم كان عربي النسب، فضلاً عن جغرافية الرسالة كانت هي البلاد العربية، والمُخَاطَب كانت العرب، ومع أنَّ رسالة الإسلام رسالة كونية إلى العالم كافة، وليست ديانة مغلقة أو قبليَّة شأن اليهودية، مثلاً.

إلا أنَّ شروط وملابسات الدعوة تقطع بأنَّ العرب كانوا المخصوصين قبل غيرهم بها، وهو ما يقوم دليل عليه في الوحي: الأمر القرآني للنبي: «أنذر عشيرتك الأقربين». والخطاب - هنا - ليس يقصد بني هاشم أو قريش حصراً، بل سائر العرب الذين نزل الوحي بلسانهم (إنا أنزلناه قرآناً عربياً). فقد كان على الإسلام أنْ يكون ديناً للعرب حتى يمكنه أنْ يستحيل ديناً لسائر البشر»، [١١٢].

ولعل مفهوم الخلافة التي جرى تطبيقها في الصدر الأول من العهد الإسلامي، بما أنه يعبر عن مضمون السلطة السياسية التي تقود المجتمع الذي نشدت التغيير، ليس في ما يخص العرب وحدهم، وإنما في أصقاع مختلفة من العالم حيثما وصل العرب المسلمون وبشروا برسالتهم الإنسانية، ودكت حوافر خيولهم المدن التابعة لغير العرب وعموم حواضرهم، فقد كان مفهوماً إشتَقَّتْ مستوياته التكوينية والمعرفية من «إمتزاج التقاليد العربية بالروح الإسلامية أو بتعبير أدق: تأثير التقاليد العربية من خلال تأثرها بالروح الإسلامية.

ففكرة الإنتخاب مأخوذة من التقاليد العربية، ولكن فكرة إستناد الخليفة إلى موافقة الناس عليه عامة لا إلى أسرته وقبيلته مأخوذة من الإسلام، ثم أنَّ فكرة كون مصدر السلطة إلهياً، وضرورة بيان رأي الأمة - التي لا تجتمع على ضلال - في المرشح، فكرة إسلامية، وإنَّ

الطريقة المتبعة في الِانتخاب، سواءً بِاختيار الأمة كانت أم بالتعيين الذي تسبقه معرفة الرأي أم بالشورى – مأخوذة من التقاليد العربية، وهذا يصدق في الكلام على شكل البيعة أيضاً.

ويمكن القول إنَّ تعدد طرق الِانتخاب في عصر الراشدين تدل على قلة تجربة العرب السياسية ومحاولة تطبيق الأساليب العربية في قبيلة أو مدينة على ظروف دولة جديدة. ثم أنَّ صفات المرشح كالتجربة والسن والنفوذ تجتمع فيها التقاليد العربية والمبادىء الإسلامية التي تؤكد الصلة القوية بالرسول. والسوابق في الإسلام والخدمة له. أما النسب القرشي، فكان صفة لازمة. لا شك أنَّ تأكيد قبيلة معينة فيه روح قبلية ولكن قريشاً شرفت بالإسلام لأنَّ الرسول منها»، [١١٣].

ولكن الفارسية الصفوية رأت في هذه الشفافية في النقاش والمصارحة العلنية، والتقاليد التي تنامت على خلفية الحوار بين أولي الأمر القبلي من العرب ممن كانوا يتميزون بالأرجحية العقلية، والنشوء التاريخي لمفهوم الخلافة: كسلطة سياسية لإدارة أوضاع الأمة الجديدة والناشئة.

رأت فيها مجرد عملية تآمر خبيثة من قبل «قبيلة قريش» على أهل البيت النبوي الذين كان أبرزهم خلال تلك الفترة: الإمام علي بن أبي طالب، كما مر معنا من خلال الِاستشهاد برؤية كتاب الكاتب «الشيعي» الإيراني السيد محمد حسين الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان، والعديد من المؤلفات الأخرى. مثلما وضعوا عبر كل الجهد الدعاوي المتتالي مفهوم «الإمامة»، [١١٤]، قبالة مفهوم الخلافة، من أجل خلق تناقضات إحترابية بين المفهومين والرموز المعبرة عنهما، والتكوينات السياسية/ الفقهية التي نشأت على إثر هذا الخلاف، في الوقت الذي بينت التجربة العملية المدى الواضح والصريح لتعاون أئمة آل البيت الأوائل مع الخلفاء الراشدين في المجالات التي كانت تهم العرب والمسلمين، من جهة، وقول الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه بأنه «سيكون وزيراً أفضل من أمير لحظة اِنتخابه أميراً على المسلمين»، وذلك بعد الغياب القسري للخليفة الثالث عثمان بن عفان، [رضى الله عنه]، من جهة أخرى.

- هوامش الرصد السادس عشر -

[١٠٦] - راجع الإِستفاضة النظرية حول مفهوم وتجليات «العولمة الأمريكية» التي كتبها السيد سمير أمين في كتاب العلاقات العربية - التركية: حوار مستقبلي، والكتب هو إجمال لندوة فكرية شارك فيها عشرات الباحثين العرب والأتراك والأجانب، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى الصادرة بتاريخ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥م، ص ٤٩٠ - ٥١٣ بما فيها المصادر، كما تتالت الدراسات والبحوث حول هذه الظاهرة: النازية الجديدة المنفلتة من عقال كل القوانين الدولية التي جاءت في منظومات الأمم المتحدة - على سبيل المثال - في التاريخ المعاصر، والتي تناول تأثيرها على منظومات القيم الثقافية ومن خلال إِستفاضة علمية و«رؤية مستقبلية» رائعة، وفي مناسبات متعددة، وكتب مؤلفة، ومقالات كثيرة، ومقابلات إذاعية ومتلفزة ومحاضرات شهيرة، السيد المبدع المغربي الدكتور المهدي المنجرة، والتي يمكن مراجعة بعضها على العنوان الإلكتروني: **www.elmandjra.org**.

[١٠٧] - راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول، الأسطورة الإمبراطورية والدولة اليهودية، لإصدار دار الشروق، الطبعة الثالثة، ٣ أبريل عام ١٩٩٦م، ص ٩٩.

[١٠٨] - راجع الكتاب الذي ألفه الأستاذ عبد الإله بلقزيز المعنون من العروبة إلى العروبة، أفكار في المراجعة، إصدار الشركة العالمية للكتاب، بيروت/ لبنان، عام ٢٠٠٣م، ص ٥٩.

[١٠٩] - المصدر السابق، ص ٦١.

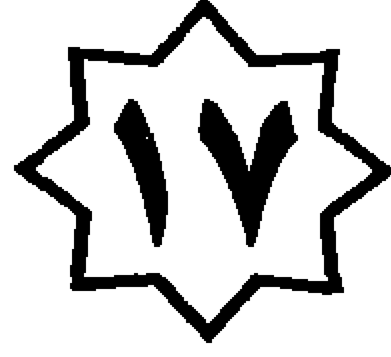
[١١٠] - راجع كتاب الأستاذ الدكتور محمد عابد الجابري المنشور في قضايا الفكر العربي (٣) ضمن سلسة الثقافة القومية (٢٧) والمعنون مسألة الهوية العروبة والإسلام... والغرب، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت / لبنان، الطبعة الثانية الصادرة في كانون الثاني / يناير ١٩٩٧م، ص ٢٢ - ٢٣.

[١١١] - راجع كتاب الأستاذ عبد الإله بلقزيز، من العروبة إلى العروبة، مصدر سبق ذكره، بلقزيز، ص ١٤٩.

[١١٢] - راجع المصدر السابق، ص ١٥٣ - ١٥٤.

[١١٣] - راجع كتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري والمعنون النّظُم الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

[١١٤] - من الضروري الفهم الديني/ المذهبي عند أتباع هذا القسم من المسلمين لمفهوم الإمامة على ضوء التعاليم الإمامية التي تتعلق بالرؤية المذهبية الصحيحة، وليس المنطلقة من الإعتبارات الصفوية الفارسية، إذ أنَّ جوهر هذا المفهوم «يتمثل المبدأ الأساسي، الذي ميز الشيعة عن بقية المسلمين، في فكرة الإمامة، أي القيادة السياسية والدينية، فالإمامة وحاملها نفسه قد نصبها الله وحدهما عن طريق نبيه، وسلطة الإمام تشمل الأرض كلها، فهو يحكمها بلا حدود، لأنَّ الله وكَّل إليه أمرها، وكل ما يوجد فيها وفوقها، سواء أكان معدنا، أم غابة، أم حيوناً، براً أم بحراً، فالأشياء كلها ملك للإمام، وله الخمس مما يكسبه الناس من أعمالهم»... إلخ، راجع كتاب الأستاذ جواد علي المعنون المهدي المنتظر عند الشيعة الإثني عشرية، ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، الطبعة الثانية عام ٢٠٠٧م، منشورات دار الجمل، كولونيا - ألمانيا، ص ١٣]، والكتاب عبارة عن رسالة دكتوراه نال من خلالها المؤلف درجة الدكتوراه، من جامعة هامبورغ في ألمانيا عام ١٩٣٩م. ولعل ما ينبغي ذكره على هذا الصعيد هو مفهوم الخلافة القائم على مشاورة المجموع بهذا المَعْـلم المهم لكل الذين يعيشون في ظل النظام الإسلامي.



وأخيراً : الخاتمة !

الرصد السابع عشر

بعد هذه الجردة من المناقشة للمصادر الموثقة التي اِستهدفت تسليط الأضواء على الخلفيات التكوينية للعقلية السياسية الإيرانية التي يمارسها حكامها الحاليون، والتطرق لأهدافهم المضمرة وربما المعلنة في ظل الأزمات الحادة والمنعطفات الكبيرة، يمكننا اِستخلاص الحقيقة حول مبررات اِستخدام المفهوم «الفارسي الصفوي» أو «الفارسية الصفوية» في الكتابات السياسية العراقية بشكل خاص، والعربية بصورة عامة، كون أي مفهوم يمكن اِشتقاقه من لوحة التناقضات العامة، وعلى ضوء ممارسة الطرف الأقوى السائد بسبب ظروف طارئة لخدمة مصالحه الآنية والإستراتيجية، وتكرره المديد في التاريخ.

والمفهوم، في أية حال، يسهِّل على الكاتب الذي يعمل التفكير في ظاهرة ما... يسهِّل توفير الظروف لـ«معرفة الواقع أبعد مما يسمح به الإحساس والإدراك والتصور»، بسبب أنَّ المفهوم يتعلق أساساً بمفهوم آخر وهو التجريد وعبره يمكن «التعمق من الخارجي إلى الداخل، من الظاهرة إلى الماهية «الجوهر»، وهي خاصية يمتلكها العقل المفكر عند الإنسان، الذي يمتلك تصوراً خاصاً عن الحصيلة المدققة «للنشاط النظري»، وإذا إعتبرنا «الفارسية الصفوية» مفهوما بناءً على الدراسة العينية السالفة، فإننا نستطيع الإستخلاص من بين بنيانها بأنها إحدى «المقولات الفلسفية» السياسية، التي هي - كما يقول العاملون في الفلسفة - «من أوسع المفاهيم وأهمها»، وعليه - لذلك - فإنَّ «صياغة المفاهيم الجديدة تأتي عادة نتيجة بحث علمي جدي»، يأخذ جوهر التفصيلات التاريخية وتطور أساسياتها وتواليها الزمن والتبصر في إفرازاتها: توقعاً أو نتيجة، يرتبط بالعامل المكاني الذي ينتظمها، [١١٥].

وهذا المفهوم: «الفارسية الصفوية» مستمد من معيارين «فكريين» يتعلقان بالماضي البعيد للتقاليد الفارسية الساسانية الكسروية، من جهة، ومحاولة المجتهدين الطائفيين الفرس

لمصادرة المفاهيم العربية الإسلامية بذريعة الدعوة لمباديء التشيع، كونها الأيديولوجية التي يلتزمون بها، وتوظيفها في خدمة سياستهم، من جهة أخرى، ونشوء هذا المفهوم كان في فارس في القرن الثاني الهجري وما يليه حتى القرون الحديثة والمعاصرة، وما يزال في عنفوان نشاطة القائل الغادر، علماً أنَّ بلاد فارس قد تحول إسمها إلى إيران في العام ١٩٢٥م.

إنَّ التأمل الحي والعميق والتفكير التدقيقي الكبير والمخلص والتبصر في الواقع القائم من كل الوجوه في الظواهر المختلفة التي تطبع الممارسات السياسية القائمة في إيران، خلال المرحلة التاريخية الراهنة، تكشف عن الخطوط العامة لهذا التحرك الفارسي الصفوي، فهناك مستوطنات تقام في الأحواز يجلب إليها السكان الفرس فيما يُطرد السكان العرب من أراضيهم ويشتتون في مختلف «جمهوريتهم الإسلامية»، من ناحية أولى، وباتت أطماعهم الإقليمية بادية في الخليج العربي: الجزر العربية الإماراتية الثلاث على سبيل المثال، من ناحية ثانية، ومدى التوغل الفارسي الواسع في العراق المحتل أمريكياً، وعلى كل الصعد السياسية والتنظيمية والإجتماعية والإقتصادية، من ناحية ثالثة، ومدى النشاط «التبشيري المذهبي الطائفي» الذي يحاول التغلغل في النسيج العربي من خلال منظمات فارسية وصفوية، تحت واجهات «منظمات وجمعيات طائفية» التي تعمل على تكثيف السفر إلى إيران بغية «الزيارة السياسية» أو «الدراسة الطائفية المذهبية»، من ناحية رابعة، وتعميم عقلية اللعن والسب والشتم، عند المرتزقة أو المريدين والتشويه لمفاصل أساسية في التاريخ العربي، من خلال الإنتقاص منه عبر شتم وسب صحابة رسول الله، محمد بن عبد الله، [ﷺ]، التي يجري ضخها عبر العديد من المنابر وغالبية خطباء التعازي الحسينية، من ناحية خامسة.

- هوامش الرصد الأخير -

[١١٥] - راجع كتاب المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة توفيق سلوم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧٠ - ٤٧٢.

وثائق جديرة بالقراءة لمن يهمهم أمر العراق:

دراسة أمريكية تكشف الدور الإيراني في العراق قبل الاحتلال وبعده الحرس الثوري جند ٧٠ ألفاً تحت شعار مساعدة الفقراء وقوات القدس تغلغلت في شركات البناء .

واشنطن: أحمد عبد الهادي

إختيار: باقر الصّـراف

(العراق/ هولندا)

كشفت دراسة أصدرتها مؤسسة "جيمس تاون فاونديشن" الأمريكية عن دور الحرس الثوري الإيراني في تأجيج المواجهات الطائفية بالعراق. وخصصت المؤسسة ذات الصلات الوثيقة بوزارة الدفاع الأمريكية الصفحات الأولى من دراستها للتحركات الإيرانية في العراق قبيل الحرب في سياق الاستعداد لاستغلال نتائجها عبر المنظمات العراقية المعارضة التي لجأت إلى إيران.

وقالت الدراسة التي جاءت تحت عنوان "مساهمة إيران في الحرب الأهلية في العراق"، إن فيلق بدر التابع "للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق" بزعامة عبد العزيز الحكيم، على نحو خاص نظم عدداً من الاجتماعات مع الزعيمين الكرديين جلال الطالباني ومسعود البرزاني، كما أنه عقد لقاءات مع عدد من قادة الجماعات المعارضة في الجنوب بحضور مسؤولين في الحرس الثوري الإيراني شارك فيها نائب قائد الفيلق أبو مهدي المهندس وقائد قواته أبو حسن العماري ومسؤول عملياته الاستخبارية أبولقاء الصافي ومسؤول عملياته أبو أيوب البصري وذلك في نوفمبر ٢٠٠١م.

وأشارت الدراسة استناداً على وثائق ضبطت في العراق إلى أن تعليمات قادة فيلق بدر التي نقلوها إلى من التقوا بهم تضمنت الاستعداد لحدوث غزو أمريكي وتقديم الدعم

الضروري والفعال للقوات الأمريكية عند وصولها إلى الأراضي العراقية والقيام بعمليات استطلاع وبهجمات محدودة المدى بهدف شغل القوات العراقية في الجنوب.

فضلاً عن ذلك فقط طلب الحرس الثوري الإيراني من فيلق بدر تشكيل كتيبتين سُميت الأولى "مجاهدي الحسين" ترسل إلى مدينة العمارة وسُميت الثانية "أنصار الحسين" ترسل إلى الناصرية لجمع المعلومات عن انتشار الوحدات العسكرية العراقية قبل شن الحرب ولتحديد مواقع المنشآت الحكومية ومراكز قوات الدفاع الجوي. وأشرف على ذلك جنرال من الحرس الثوري الإيراني يدعى الجنرال محمد. وكان الجنرال محمد قد اتخذ من مكتب في السليمانية مركزاً لاتصاله بشبكة أفراد فيلق بدر. وقد طلب الجنرال من أفراد فيلق بدر السيطرة على الطريق الواصل بين الديوانية والقاسم التي تقع في محافظة بابل فور دخول القوات الأمريكية.

وفي ١١ مارس ٢٠٠٤م - أي بعد الغزو - قامت المخابرات الإيرانية بافتتاح مكتب في النجف أطلقت عليه اسم "مكتب مساعدة الفقراء". وقامت المخابرات الإيرانية بتوزيع ألفي دولار فوراً وألف دولار كل شهر على من يقبلون بالانضمام إلى ميليشيات معينة. وتمكنت المخابرات الإيرانية من تجنيد ٧٠ ألف شخص انضم عدد منهم إلى الميليشيات فيما بقي العدد الآخر للقيام بمهام استطلاع وإسناد.

وتشير الدراسة إلى وثيقة تضمنت اعتراف ضابط إيراني منشق بمدى التغلغل الذي قامت به المخابرات الإيرانية داخل العراق في تلك الآونة. وقال الضابط "إن مدى واتساع عمليات قوات القدس (التابعة للحرس الثوري) في العراق تجاوز ما فعلناه خلال الحرب بيننا وبين صدام، إن هناك مناطق واسعة في العراق تخضع لقوات القدس من الناحية العملية وذلك عبر المتعاونين معها. إن هذه القوات تستخدم شبكة من المؤسسات الخيرية والشركات والواجهات الأخرى لممارسة أنشطتها في أنحاء العراق".

وأضاف الضابط "أننا نقوم بإرسال ضباطنا إلى العراق لفترات تمتد إلى شهور وذلك تحت غطاء العمل في شركات البناء. وقد عملت شركة "مثل شركة الكوثر في النجف مثلاً إلا أنها كانت واجهة لقوات القدس في حقيقة الأمر".

وأشار التقرير إلى أن الإيرانيين أرسلوا خلال العامين المنصرمين نحو ألفي طالب دين إلى النجف وكربلاء للدراسة إلا أن ثلثهم على الأقل كانوا من عملاء المخابرات أو من أفراد قوات القدس. ويقوم هؤلاء بدعم الميليشيات وبتنظيم أعداد من العراقيين في خلايا سرية.

وأشار التقرير إلى وجود اتفاق سري بين إيران وما يسمى حكومة كردستان يقضي بألا تتدخل طهران في الشؤون الداخلية لكردستان وألا تدخل قواتها إلى أراضي شمال العراق خلال تعقب العناصر الكردية الإيرانية المعارضة للحكومة الإيرانية وفي المقابل وافقت الحكومة الكردية على ألا تسمح بأي عمليات عسكرية ضد إيران من أراضيها.

وأشار التقرير أيضاً إلى قيام المخابرات الإيرانية باغتيال أعداد كبيرة من الأساتذة الجامعيين والعلماء والأطباء العراقيين بالإضافة إلى الضباط ولا سيما الطيارين. وذكر أن عدد الطيارين وكبار الضباط السابقين الذين اغتالتهم المخابرات الإيرانية منذ الغزو الأمريكي بلغ ٩٠ ضابطاً وطياراً.

ولأن ذلك مثل لكثير من العراقيين من الشيعة والسنة والأكراد عدواناً على وطنهم من قوة خارجية، أي لأن هؤلاء العراقيين لم ينظروا إلى الأمر على أساس مذهبي أو طائفي فقد تعددت أعمال المعارضة لهذا التغلغل، حتى من بين صفوف الشيعة الذين حاولت المخابرات الإيرانية إقناعهم بأنها تفعل ذلك لخدمتهم.

من ذلك مثلاً ما ذكره التقرير عن اغتيال المخابرات الإيرانية لضابط شيعي يدعى العقيد غازي كان يعمل في إدارة الهجرة والجنسية العراقية عام ٢٠٠٤م لأنه رفض الموافقة على منح الجنسية لإيرانيين ادعوا أنهم عراقيون عائدون من إيران. ووجهت الميليشيات تحذيرات إلى العقيد غازي لوقف معارضته منح أوراق هوية عراقية لغير العراقيين ثم انتهى الأمر باغتياله .

ومن ذلك أيضاً الغضب الذي عبر عنه الرئيس جلال الطالباني عند علمه باستهداف الطيارين والعلماء العراقيين والعرض الذي قدمه لهم بالتوجه إلى شمال العراق حيث

سيتولى حمايتهم إذا تعقبتهم المخابرات الإيرانية. وأشار التقرير إلى شراء عناصر من المخابرات الإيرانية لمساحات واسعة من الأرض ولاسيما في جنوب العراق فضلاً عن ٥ آلاف شقة ومنزل ومحل تجاري في بغداد والبصرة والنجف وكربلاء. وأضاف أن هذه الأماكن تستخدم كمواقع للإيرانيين العاملين في العراق من أفراد المخابرات والحرس الثوري والميليشيات التي تعمل معهم.

وذكر التقرير حجم الدعم الذي قدمته إيران لقوى سياسية عراقية معينة خلال الانتخابات التي جرت عام ٢٠٠٥م بما في ذلك طبع الملصقات والمنشورات بل وإرسال صناديق تصويت معبأة بالأصوات الجاهزة لتوضع محل الصناديق المعروضة في مراكز الاقتراع وذلك مع البدء في فرز الأصوات.

وقال التقرير إن العراق يمر بحالة حرب أهلية وإن إيران تأمل في السيطرة الكاملة على جنوب العراق وفصله من الوجهة العملية عن بقية أنحاء العراق. وأضاف "أن الميليشيات التي تدعمها إيران اخترقت أجهزة الأمن العراقية بكل مستوياتها ووسعت مجال عملياتها في كل أنحاء العراق. وهذه الميليشيات مسؤولة عن مصرع أعداد من المدنيين تفوق أعداد من لقوا مصرعهم على أيدي المتمردين والمقاتلين الأجانب الذين تعتبرهم الولايات المتحدة خصمها الأول."

وأوضح التقرير أن هذه الميليشيات تسيطر تقريباً على القوات التابعة لوزارة الداخلية العراقية. وأضاف "ومن المؤسف أن بعض هذه القوات إن لم تكن أغلبية الميليشيات الشيعية كانت يوماً جزءاً من القوات الأمنية العراقية الجديدة التي دربتها قوات التحالف وأنفقت على تدريبها مليارات الدولارات على أساس أن هذه القوات ستخدم العراقيين وتنقذ العراق بدلاً من أن تتبع الأجندة السياسية الإيرانية".

عن جريدة الوطن السعودية ١٠/ ٢/ ٢٠٠٧م

عن شبكة البصرة الأحد ٨ صفر ١٤٢٨هـ/ ٢٥ شباط ٢٠٠٧م

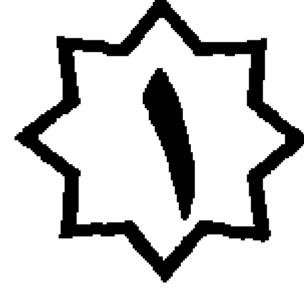
http://www.albasrah.net/ar_articles_2007/0207/hares_250207.htm

الفصل الثاني

دراسات تطبيقية على الأرض
تترجم الفكر الفارسي الصفوي فوق الأرض العراقية

أولاً

اِنتفاضة الإمام الحسين رضى الله عنه: كيف ينبغي فهمها؟



الخلافة العربية الإسلامية وتبدل مضمونها على ضوء تطور الحياة الواقعية

حلّت علينا قبل أسابيع ذكرى خالدة هي الِانتفاضة الحسينية الباسلة التي اِندلعت في العاشر من محرم عام ٦١ هجرية، واجه فيها الإمامُ الحسين الذي دعاه الكوفيون لكي يأمرُّوه عليهم، فرأى لزاماً تلبية دعوتهم وفقاً للمعايير الدينية الإسلامية،... واجه فيها الظالمين الخارجين على المباديء الإسلامية في اِختيار الخليفة العام للمسلمين، إذ هناك معايير معروفة أرساها الخلفاء الراشدون الأربعة لحظة صيرورتهم «أمراء على المسلمين، بعد رحيل النبي محمد - ﷺ -.

لقد مارس فيها البعضُ أنماطاً من الممارسات التي لم تكن في أيٍ منها أي اِستجابة للدعوات الحقيقية التي خرج الحسين من أجلها، وفق ما رأينا صوراً مخزية منها في المحطات التلفزيونية «الفيحاء»/ الفحشاء التي تموِلها الكويت، و«العراقية» اللاوطنية التي تشرف عليها القوات الأمريكية، و«الفرات» الصفوية الناطقة بِاسم مجلس عزيزى حكيمي وقوات غدر، مثلاً، الأمر الذي يتطلب منا تسليط الأضواء على ظاهرة الِانتفاضة الحسينية بغية محاكمة تطوراتها: جذر الظاهرة وتجلياتها ومدى اِنسجامها مع الرؤية العربية الإسلامية أو في حالة تضاد لها، وفق الشواهد الإمامية ذاتها، التي جاد بتعليماتها الأئمة المعصومون من وجهة نظر المذهب الإثني عشري.

ربما يتساءل البعض عن السبب في طرح هذه الرؤية الفكرية في هذه الفترة المتأخرة. لا أكتم الحديث حول تلك الظاهرة، بأنَّ الرغبة والواجب كان يفرضان عليها إصدارها في

الوقت الذي كان فيها العشرة الأوائل من شهر عاشور المحرم في أوج الممارسات «الحسينية المزعومة»، خصوصاً وأنَّ اليوم الأول من شهر محرم الحرام هو يوم عيد الهجرة النبوية قبل ألف عام ونيف الألف، وهو من بين أهم الأعياد العربية الإسلامية على الإطلاق، كونه كان اليوم اللازم لصيرورة المظهر السياسي الرئيسي للإسلام في كل العالم القديم.

ولكن ما روعني هو ممارسات عقلية القطيع الذي سادت على الأتباع في تلك الفترة، فهل الإمام الحسين، سبط الرسول [ﷺ] وسيد الشهداء، الذاهب إلى الجنة الموعودة، يتطلب البكاء واللطم وشق الجيوب وشج الرؤوس؟. وهل كانت الغفلة عند الرسول الأعظم التي أعقبت اِستشهاد عمه الحمزة في معركة أحد، فلم يذرف دمعة واحدة على ذلك المجاهد الكبير؟ ناهيك عن اللطم وشج الرؤوس والضرب على الطبول كي تكون سنّة متبعة عند جماهير المسلمين! وقدوة موحية لممارسة مَنْ يدعون أنهم أتباع الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب!، [رضى الله عنه].

واجه الحسينُ الخليفةَ يزيد بن معاوية الذي تبوأ الخلافة الموروثة وفق منطق الغلبة للسيف والقوة الباغية،[١]، بمنطق قائم على العقل والوعي العميق لمفاهيم الدين الإسلامي، من ناحية، ومضاد كلياً للفهم القبلي الموروث التي حاولت الشريعة الإسلامية نسفه كلياً عبر المقولة التي يكثفها المفهوم: }إنّ أكرمكم أتقاكم{، من ناحية أخرى. كان أغلب الرجال المناوئين للتوريث المتناسل من الأب إلى الاِبن يعترضون على مفهوم المُلك العضوض، وعلى شخصية الخليفة التي توارثت المنصب،[٢]، لا على طبيعة الخلافة العربية الإسلامية. كان معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه يردد «لئن تجتمع أمة محمد أحب من أنْ تفترق»، وهي فلسفة متكاملة إنْ صدَقْ، تسعى نحو العصبية العربية الموحِدة، نذكر ذلك وليس من اِلتزامنا الراهن - وفي هذه المناسبة بالذات - مناقشة مدى حقيقة إيمانه الديني الإسلامي أو من عدمه.

كان الصراع قد اِحتدم على ضوء عقليتين ونمطين من التفكير وأسلوبين في مواجهة التطورات، في إطار الرؤية العربية الإسلامية لمنطق التطورات الموضوعية وسياقاتها، النظرة

المثالية للرؤية الدينية، وإخضاع الواقع الاِجتماعي للنص الفكري، كما تجلى في الرؤية الحسينية، من ناحية، أو متابعة صنع التطورات السياسية والاِجتماعية على أرضية تماسك السلطة بالحق الشرعي أو الباطل الديني، من ناحية أخرى. ومن ثم تبرير السلوك السياسي عبر تفسير التطورات على ضوء النصوص التي يجري اِجتزائها غالباً من سياق مدلولها المعرفي والفقهي. الإمبراطورية الأموية كانت ذا نزعة عربية وتأسست في حقيقة الأمر على النزعة العصبية «القومية»، إن صح الوصف المعاصر لتلك المرحلة التاريخية.

وكانت، وعلى ضوء ذلك الصراع بين العقليتين والنمطين والأسلوبين، قد نشأت مدارس فكرية كثيرة، كان بعضها يتناقض حتى مع الرؤية الدينية ذاتها تحت مفاهيم تبريرية ومخاتلات فكرية، ولكن الجميع لا ينكر سيرورة «تاريخ حضاري عربي إسلامي» في مجرى التطور البشري العالمي، الأمر الذي يعني أنَّ الفرد حتى لو كان من وزن كبير: «الخليفة» مثلاً، أو «الإمام»، ليس هو معيار تفسير التطورات الاِجتماعية، بل التاريخ العربي الإسلامي وتطوراته الموضوعية هو الأساس في اِتخاذ الرؤية النظرية معياراً للتقويم، ولعل اِستشراف الحقيقة التاريخية من خلال قول الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، حول ضرورة التبصر في الواقع الموضوعي الكلي، لا التركيز على الذات والنظر في المرايا المحدبة في تفسير التطورات التي ترافق كل موقف سياسي: «إنَّ الحق لا يُعرف بالرجال، اِعرف الحق تعرف أهله»، هو ما يلخِّص، ويكثف كذلك، تلك الحقيقة التاريخية لمعرفة ماهية التطورات...

لقد كانت ثوابت الرؤية العربية الإسلامية واضحة تجاه الآخر على الصعيد العالمي، تساوى في ذلك الموقف المبدئي للرسول الأعظم [ﷺ] ومعظم الخلفاء الراشدين والمفكرين الأصيلين الذين وضعوا معايير الرؤية الدينية الإسلامية بوصلة سلوكهم العملي. قبل سيادة المصالح البشرية لـ«المؤمنين» وتغلب منطق أنَّ للحيطان آذان على أي منطق آخر، أي تحكم الخوف من الاِنتقام على يد الحاكم الجائر، والذعر من العقاب الدنيوي على يد الظالمين.

كان غالبية العرب الرؤساء آنذاك لا يخشون في قول الحق لومة لائم في الزمن الجاهلي، ونبذوا من بين «رؤيتهم» و«عملهم» في مرحلة العهد الرسالي الأول، وكذلك في العهد الراشـدي، أية ذرائع «نظرية» وحجج «فكرية» وتزييف «سياسي» تبيح النفاق الإجتماعي، والتزييف لأية مضامين حقيقية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

كان الرسول ﷺ مؤسس الدولة يحـثّ الأتباع المؤمنين حقاً على الِالتزام بالمفاهيم العربية الإسلامية، ومن بينها شرط قول الحق أو السكوت [في أتعس الأحوال أو أنسبها] عند مواجهة المواقف المستجدة: التي ينبغي فيها «أنْ يقول الفرد العربي المؤمن وغير المؤمن، أي المسلم: الحقَ أو فليسكت»، كما جاء في الأثر النبوي الشريف، فيما اِشترط على كل فرد سعيه لتغيير المنكر بيده [أي بالعمل والكفاح] أو بلسانه [أي بالتحريض والدعوة وقول ما ينبغي قوله]، [على ضوء معياري الحق والباطل الذي حددته الرسالة الإسلامية] أو بقلبه الذي وصفه [ﷺ] بأنه أضعف الإيمان. والواضح أنَّ هذا القول يخص العاجزين والمقعدين وكبار السن.

كان في ذلك يتماهى مع روحية الغالبية العظمى للأفراد العرب الذين لا ينافقون الأقوياء ويواجهون كائناً مَنْ كانوا بصراحة متناهية: حتى لو كانوا من أولي الأمر، والرحيل عن «الوطن والعشيرة» فيما إذا أصابهم الحيف ولاحهم الضيم ولحقهم الظلم، فقد جُبلوا على المساواة في المنزلة والموقف، من حيث الكرامة الفردية، والتعاون على السراء والضراء في الهم المشترك أو عند نداء الواحد مستنجداً بأخوته، فيلبون دعوته من دون السؤال عن السبب الباعث لطلب النجدة أو الِاستفسار عن دوافعها، كما تشير إلى ذلك الإلماحة الفكرية للبيت الشعري القائلة: «لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا»، أي أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فيما جاهد الرسول [ﷺ] من أجل نسف مضمون تلك النظرة بتغييَّـرَ مبادئها عبر الإسلامُ: أنصره عندما يكون مظلوماً، وِاردعه عندما يكون ظالماً، وفق الرؤية النبوية المحمدية.

ولكن هؤلاء الأفراد جراء نمط العيش: الرعي والتجارة أساساً، وِامتلاكهم اللغة المشتركة المتطورة الذي سادت خلال المرحلة النبوية، وِامتلاك الكتاب المقدس الذي هو

القرآن الكريم، وصيرورتها الموروث العربي المشترك... وجعل «اللغة العربية» واحدة وموحدة من خلال سيادة اللهجة القرشية على ما عداها من اللهجات القبلية، أي على أنقاض اللهجات المتعددة، والإعتزاز بالأرومة القبلية التي تدعوا للتماسك... ولكن هؤلاء كلهم شكلوا مجتمعا متمايزاً، بعد أنْ كانوا قبائل متفرقة لا يجمعهم رابط فكري موحد... متمايزاً عن الآخرين من الأقوام الأخرى المجاورة سواء الفرس أو الروم أو الأحباش، وزادت الرسالة العربية الإسلامية في تماسك ذلك المجتمع على أساس التساوي والتكامل في عمل القبائل.

لقد وجدت الرسالة العربية الإسلامية في مواجهة الأقوام الأخرى سواء بالتصدي لهم: الإقامة في الثغور أو الحرب الجهادية، بعد الدعوة الفكرية للدخول في الدين الجديد، الحل العملي للإختلافات القبلية والخلافات الناجمة عنها، وطريقاً لتوحيد قوتهم وتجميع طاقاتهم، لذلك كان مواجهة الظرف العالمي المتسيد آنذاك، هو الطموح المشترك عند غالبية العرب.

وكان «الروم» و«الفرس» هما القوتان الطاغيتان في تلك الفترة، وحفز القرآن الكريم: كتاب العرب الأساسي النصر القادم والموعود من خلال النص الإلهي: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: ألف لام ميم، غـُلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعدُ ويومئذٍ يفرح المؤمنون﴾، [سورة الروم، الآية ١ - ٤]، وما كان للنصر أنْ ينجز لولا توفر الإرادة والإيمان والعمل، مثلما عملت الحوافز المادية التي نتجت عن الحرب من غنائم وفيرة وأسلاب كثيرة، عملها في ترسيخ نهج الفتوحات والجهاد.

كان الرمز الأساس لتلك الرسالة التي رفعت راية «الله أكبر» العظيمة «الشخصية الكارزمية»، وفق التعبيرات اللغوية والمعاصرة في هذه الأيام: الرسول محمد بن عبد الله [ﷺ]، الذي إستطاع توحيد العرب من خلال الرسالة العربية الإسلامية وحولها إلى قوة مادية وروحية كشفت عن قدرات الأفراد العرب التي تجسَّدت من خلال التوحد والعمل التكاملي، وإذا أردنا إنزال النبي محمد: القائد والمفكر والصادق مع نفسه ومع الآخرين،

للدرجة التي وصفه مجتمع مكة بالصادق الأمين... إنزاله من عالم السماء وأنصاف الحقائق وعشـرات الخـرافات غير المعقولـة، فعلينا ترديد ما قاله الدكتور فيليب حتي حوله: «إنه يبرز لنا رجلاً وجِد ليكون زعيماً، وقائداً ورجل دولة، ومحارباً ظافراً، وخطيباً مفوهاً، ومعلماً، وصاحب رسالة سماوية، فهو ألمع شخصية في تاريخ العرب، ومن ألمع الشخصيات في تاريخ العالم»: كان في أسرة مكية معروفة الدور والقوة والكرم والرأي والحزم، وسليل عائلة قصي المعروف بالحنكة والمقدرة ورجاحة العقل، وهو الذي «أنشأ داراً خاصة لِاجتماع الملأ سميت {دار الندوة}»، [٣].

وكان «أبو سـفيان أبرز شـخصية في ملأ مكة»، [٤]، والد معاوية الذي سيؤسس الإمبراطورية العربية الأموية، في أعقاب اِنتهاء الخلافة الراشدية، أو إنهائها، وذلك خلال مرحلة ما قبل صيرورة الدعوة العربية الإسلامية المظهر الرئيس في التطورات العربية المجتمعية والسياسية آنذاك.

سجلت تلك الاِنتفاضة الحسينية الخالدة في سياقها الفكري والمبدئي الذروة العليا في منطق التطورات التي شهدها الوضع العربي منذ الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي ساد فيها الخلاف في صفوف القرشيين حول أية جماعة قبلية يجب أنْ تسود في الميدان السياسي، ومال فيها التطور الموضوعي للبيت الأموي على صعيد السلطة السياسية في المنطقة، كان الحسين بن علي بن أبي طالب يحاول إعادة التاريخ القهقرى نحو المرحلة المحمدية/ النبوية والعمرية/ الراشدية: الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، عبر التركيز على المفاهيم النظرية القرآنية وسيرة الرسول، [ﷺ]، والقرابة منه: «أطلبُ الإصلاح في أمة جدي». وكان من المستحيل إرجاع عقرب ساعة التاريخ للوراء، لقد استعملت النصوص الدينية كـ«أيديولوجية» لنصرة ذلك الطرف أو لإلحاق الهزيمة في هذا الجناح، فيما كان الصراع صراعاً سياسيا واضحاً.

وليس أدل من ذلك من اِستعمال جميع الفرق المتخالفة المتصارعة على أرضية الحوار بالأفكار أو الاِحتراب بالسـيف... اِستعمالهم النصوصَ الدينية الإسـلامية: القرآن

والأحاديث النبوية لترجيح هذه الرؤية أو تلك، من هنا قال الخليفة الراشدي الرابع الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن القرآن حمّال أوجه، ونصح بعدم الإسراف بالِاحتجاج إليه، ومن هنا أيضاً، نشأت حالة وضع الأحاديث النبوية التي تناسب المنتصرين خاصة. وبقيت الأجنحة التي خسرت معركة الحوار بالسيف متمسكة بالنصوص المثالية حول العدالة المطلقة لتفسير [أو تبرير] رؤيتها أو خسارتها.

إذن كان الصراع صراعاً سياسياً في الدرجة الأولي، حول مَنْ هو الأقدر على القيادة؟ ومَنْ هو الذي يتمكن من الِالتزام بالرؤية العربية الإسلامية؟ ذلك هو المسار الفكري للصراع بين الأمويين ومخالفيهم حول السلطة، يمكن الِاستدلال على ذلك برؤية التاريخ المعاش على حقيقته، فقد ساد جوهرياً منطق الصراع مع الآخر وضده، وشهدت مرحلة الصعود العربي: الفتوحات الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين الأوائل اِنسجاما كلياً، ولكنه كان متكاملاً، في التصورات الفكرية للفتح: أي الجهاد، وجرى التعامل مع الهنّات والأخطاء التي برزت في الحروب والأحداث الخطيرة، عند غالبية القادة المسلمين، بتساهل من قبل غالبية الخلفاء الراشدين، وهي أخطاء أو خطايا اِرتكبتها القيادات العسكرية، مخالفةً في بعض الأوقات النصوص الدينية العربية الإسلامية، كما أراد رسول الله لمعايير الحرب أنْ تسود في أية معركة. فيما كانت الشعوب المفتوحة أراضيها تشهد ظلماً بائناً وربما فادحاً.

وهذه طبيعة كل فتح أو غزو، قد يختلف الأمر بالكم: الفظاعة في الِانتقام أو الرحمة في الإدارة، ولكن النوع غير مختلف: الِاستباحة، خصوصاً وأنَّ معايير الرؤية العربية الإسلامية تؤكد أنَّ من قتل فرداً واحداً مؤمناً، كأنه قتل الناس جميعاً، ولم يجرِ تحديد مفهوم المؤمن فيما إذا اِقتصر على المسلمين أو اِمتد إلى غيرهم من الأديان الأخرى، وكذلك من الضروري التفريق بين المسلمين جميعاً والناس جميعاً، إذ أنَّ المسلمين هم جزء من الناس: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾، كما يقول القرآن الكريم في سورة المائدة، الآية رقم ٣٢.

لقد تنازل الإمام الثاني للرؤية الإمامية الإثنا عشري: الحسن بن علي بن أبي طالب [رضى الله عنهما] عن مركز الخلافة لصالح الخليفة الأموي معاوية اِبن أبي سفيان لصالح «نظام الشورى» القرآني، وذلك بعد اِغتيال أبيه: الخليفة الشرعي وفق المعايير الدينية الإسلامية، والذي لم يوصِ بالخلافة لِابنه عن سؤال المريدين: هل توصي للحسن، وذلك من خلال إجابته التي كشَّفت وجهة نظره بالاِلتزام بالسابقة التي تركها الرسول، محمد، [ﷺ]، كما تقول أغلب المصادر التاريخية، كان ذلك التخلي حول مركز السلطة الدنيوية وليس الدينية، تلك هي الحقيقة العيانية التي أفرزها التاريخ، وفق قناعة فكرية أجاد بها الإمام الحسن ابن أبي طالب رضى الله عنهما تقول: «قد والله طالت الفتنة وسُفكت فيها الدماء وقطِّعَت الأرحام وتقطعت السُبل وعطُلَت الثغور»، [٥]، والتفسيرات المختلفة للحدث هي من قبيل اِلتزام الفرق أو الأجنحة، لكيفية تصرف قياداتها. ولكن معاوية هو مَنْ جعل الخلافة «مُلكاً عضوضاً» بدلاً من المسار التجريبي للخلفاء الراشدين من حيث الاِختيار: الإجماع والمبايعة أو التعيين والاِختيار بعد أخذ رأي أولي الأمر من أهل الحل والعقد، أو الوصية أو المبايعة الجماعية.

وكان معاوية بن أبي سفيان داهية عربية فعلية، والشخصية الحليمة بكل ما ينطوي عليه مفهوم الحُلم عند العرب من تسامح وتسامي وكرم منقطع النظير وعفو عن المسيئين له بالكلام، وحسب الدكتور علي الوردي فإنَّ معاوية بن أبي سفيان أصبح زعيم قريش بعد وفاة أبيه وهو «أشتهر في التاريخ بأنه كان من أدهى العرب وأبعدهم نظراً وأعظمهم حيلة»، [٦]، ودور القبيلة في المجتمع العربي القائم آنذاك دور معروف ومن كثرة البحوث التاريخية والاِجتماعية صار أمراً بديهياً، كان مؤسس الخلافة الأموية يعرف كيف يسوس الناس بغض النظر عن القيم الإسلامية الحقّة التي تساوي بين البشر، لقد اِستعمل الفلسفة البراغماتية: النفعية، والتبريرية كما اِجترحها الفيلسوف الإيطالي نيقولا ميكيافلي في مراحل

لاحقة: الغاية تبرر الوسيلة... اِستعملها على أكمل وجه: «لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أنَّ بيني وبين الناس شعرة ما قطعتها، إذا مدُّوها خليَّتها، وإذا خلّوها مددتها»، بمثل ذلك الفهم «الاِنتهازي» ساد معاوية بن أبي سفيان الناسَ المسلمين وأسس الإمبراطورية الأموية التي ستطبع التاريخ العربي الإسلامي، والعالمي أيضاً، بطابعها طوال قرابة القرن من الزمان، مستعملاً الحوافز المادية والأعطيات الصادقة أو غير الصادقة للبعض المؤثر في المجتمع القائم آنذاك، الرشوة والعقاب غير المباشر بالاِغتيال {لله جنودٌ من عسل} كما جاء في بعض الروايات والمصادر، أو ما تعارف عليه المجموع العربي المسلم: الترغيب والترهيب، في الوصول إلى بغيته، القائم على فهم الواقع واِستثمار إمكانياته. [لمراجعة فهم بعض العلماء المتدينين الإماميين لفلسفة ميكافيلي الشاملة يرجى قراءة ما كتبه محمد حسين الطباطبائي على الصفحة ٤١٥ - ٤١٧، في المصدر الذي سبق ذكره، وفيه يقول الكاتب أنَّ معاوية هو «رجل ميكيافلي بتمام معنى الكلمة»].

هل كانت الميزات الفردية الخاصة بمعاوية هي العامل الأساس في نجاح السلطة نحو التغيير باِتجاه صيرورة الإمبراطورية الأموية؟ كلا بالتأكيد، ولكنَّ معاوية بن أبي سفيان اِستطاع أن يلم الأطراف المتناقضة ويجمعّها في مجرى سياسي واِجتماعي، وكذلك عمل جاهداً على وضعها في مسار سياسي واحد للحكم «بصورة مباشرة، وأنْ يعطل الصلاحيات الشعبية ويكمم الحريّات، ويتحلل من كل مسؤولية أمام» المسلمين، وبالتالي حين تحققت أهدافه السياسية «لم يعد يعترف بالرقابة الشعبية على أية أشكاله» أي عطل كل الأحكام الشرعية وناقض المفهوم القرآني في تشكل السلطة على أساس {وشاورهم بالأمر} لصالح «السيطرة المطلقة». [٧]

ساعده في إنجاز ذلك الهدف وتحقيق تلك الغاية، بما تراكم لديه من خبرة في تلك التجربة المديدة التي قضاها في السلطة الدمشقية/ الشامية كونه كان عاملاً للخلافة الراشدية عليها طوال عدة عقود، وروح المبادرة واِستثمار أية إمكانية متوفرة في الوقت

المناسـب، والحنكة الشخصية في إدارة الأزمات وتوظيف الرموز الإسلامية النابهة، واللباقة السياسية، إنْ صح التعبير، والتعبير البلاغي في البيان العربي الذي تطرب الأذان العربية لسماع الكلام الجميل منه، والإعتماد على العناصر الطيعة التي لا تفرق بين الحلال والحرام وفق المفهوم المحمدي: «نبايعك على قتال مَنْ خالفك»،[٨]، أو لا تعرف الفروق بين العناصر المؤمنة والمسلمة، أو بتعبير آخر، التي لا تفرق بين الجمل والناقة، كما يذهب إلى ذلك المثال المعروف يوم تنازع «العامي» العراقي و«السيد» الشامي على البعير من خلال إدعاء الشامي بأنها ناقته، وما ترتب عليه من نصرة الخليفة معاوية بن أبي سفيان للسيد الشامي على العامي العراقي مع أنَّ الفرق بين البعير والناقة واضح وبين عند الجميع، ولكن الخليفة الجديد معاوية بن أبي سفيان الذي عوض العراقي بعيراً أفضل من بعيره أراد إعلام الخليفة الراشدي الرابع والشرعي - الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه -: بحقيقة أفكار حزبه ونوعية إيمان أتباعه.

المراجع والهوامش

[١] - من الأمثلة المحببة عند المؤرخين المتابعين المنحازين للنظرة الإمامية للدلالة على تلك الغلبة، هو الإستشهاد بقول يزيد بن المقفع الذي قال في حضور معاوية: «هذا أمير المؤمنين - مشيراً إلى معاوية- ثم قال: وإذا هلك، فهذا أمير المؤمنين - مشيراً إلى يزيد - ثم قال مَن يتخلَّف عن البيعة فهذا -مشيراً إلى السيف - فقال له معاوية: أحسنت، أنت سيد الخطباء»، راجع كتاب السيد محمد حسين الطباطبائي، ترجمة جواد على كسّار، الصادر عن مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت / لبنان، الطبعة الثانية ذي الحجة ١٤١٨ هجرية، ص ٤٢٠.

[٢] - راجع كتاب الدكتور عبد العزيز الدوري المعنون النُظم الإسلامية: الخلافة، الوزارة، النظم المالية، النظم الإدارية، إصدار وزارة الثقافة والبحث العلمي/ جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة/ «١»، طبعة جديدة منقحة، ١٩٨٨م، وفيه عرض مستفيض لمفهوم الخلافة في العهود: الراشدية والأموية والعباسية، كجزء من النظم الإسلامية، والذي إستغرق الصفحات من ٢٧ إلى ٦٧، وهناك بحث خاص حول الخلافة في العهد الأموي، ص ٣٨ - ٤٤. وكانت عموم الدراسة تتابع الواقع وتحاول إستخلاص دروسه، قبل التركيز على النظرية الفقهية الإسلامية في معايير الحاكم العادل.

[٣] - المصدر السابق، ص ١٦.

[٤] - نفس المصدر، ذات الصفحة.

[٥] - راجع كتاب الشيخ عبد الله العلايلي المعنون تاريخ الحسين: نقد وتحليل، إصدار دار الجديد، ١٩٩٤م، بيروت / لبنان، الطبعة الثانية: المنقحة، ص ٢٢٤. والتشديد والتلوين من عندي لإعتبارات عديدة من بينها ما ورد في البحث كله.

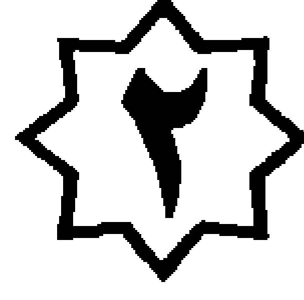
[٦] - راجع كتابه المعنون وعاظ السلاطين، الطبعة الثانية، دار كوفان - لندن، ١٩٩٥م، ص ١٣٤.

[٧] - عبد الله العلايلي، مصدر سبق ذكره، الفصل المعنون الحزبية الذي إستغرق الصفحات ١١٩ -١٣٥.

[٨] كتاب عبد العزيز الدوري، مصدر سبق ذكره في هذه الحلقة، ص ٤١.

الإثنين ٢/ ٣/ ٢٠٠٦م باقر الصراف

كاتب عراقي مقيم في هولندا



تشكّل السلطة الجديدة
وخطأ تقويمها على ضوء النصوص

أسرفت الكتب التاريخية في متابعة أحداث الإنتفاضة: مقدماتها وسيرورتها وصيرورتها ونهايتها النهاية المعروفة، وكذلك إيراد التفاصيل حتى المملة منها لرواية أحداثها، الأمر الذي يعفينا من التطرق إلى ذلك. دروسها أصبحت شاخصة ودلالاتها التاريخية غدت وعياً عند البعض، حتى صارت أحد مبررات رؤية البعض للتطورات التاريخية في الماضي والحاضر كليهما. وباِسم الحسين واِنتفاضته صار البعض يمارس العادات غير الواعية والدخيلة على الدين العربي الإسلامي، وهي رغم كونها مخالفة له مخالفة واضحة... صارت تمارس في العلن وكأنها بديهية دينية وشعيرة إسلامية، رغم نهي الرسول [ﷺ] صراحة عنها: كاللطم وشق الجيوب واللعن. أما عادة التطبير وشج الرؤوس بالسيوف والقامات والسكاكين فهي ممارسة لم تكن تخطر على بال الرسول، [ﷺ]، والحسين، [رضي الله عنه]، معاً. ولأول مرة نرى عجباً وفق المعايير الدينية الإسلامية، يمارس مَنْ يزعمون أنهم أتباع آل البيت، البكاء واللطم على شهيد راحل إلى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين، وفوق ذلك على حي عند ربه يُرزق.

ولكن ما ينبغي متابعته هو تشكل السلطة في الوضع الإسلامي العربي، التي تمثلت بالخلافة، وموقف جميع الفرقاء المسلمين منها، كان الإجماع بشأنها كاملاً، حيث اِتفقت غالبية المسلمين - إنْ لم يكن كلهم - على الاِلتزام بحيثياتها، وعَـدَّ بعضُهم الخروج عنها من قبيل الخروج على الدين، كون طاعة أولي الأمر طاعة واجبة والحساب متروك لله وحده. وكذلك اِنقسم المسلمون تجاه مضمون السلطة ما بين مؤيد لها أو مناوىء لحيثياتها، فيما اِرتضى آخرون الوقوف على التل مرجئين الأمر لله. والبعض في هذا اليوم - مثلاً - يعد

التدهور عند المسلمين كلهم يكمن سببه الأساس في غياب الخلافة الإسلامية {كحزب التحرير مثلاً}. كان الإجماع على شكل الخلافة وضرورة وجود الأمير «بـرٌّ كان أم فاجر» أي عادل أو غير عادل بالمعنى اللغوي، وفق تعبير الإمام علي بن أبي طَالب، [كرم الله وجهه]، أمر أساسي، وذلك رداً على المقولة الأساسية لفرقة الخوارج الذين خرجوا عن الخليفة الرابع بسبب قبوله التحكيم ما بين فريق الحق وفريق الباطل. والحادثة التاريخية معروفة. وهم الذين رفعوا شعار «لا حكم إلا الله»، والذي قال الخليفة الراشدي الرابع كرم الله وجهه بشأنه «كلام حق يراد منه الباطل».

ولكن الموقف من «الخليفة المسلم وممارساته» هو الذي لم يجز الإجماع، وثار الخلاف منه وحوله، بين عموم المذاهب الإسلامية، فمنهم مَنْ أباح الخروج على الخليفة المسلم بشروط، ومنهم مَن رأى طاعته ملزمةً من غير شروط، بإستثناء الكفر الصريح والإنكار التام للمشيئة الإلهية. وكل المدارس ترى في «الأيديولوجية الإسلامية» المنهل الذي تغترف منه الشواهد التبريرية لمسارها وممارساتها.

ولكن الواقع على المستوى العام، إستمر في تعميق مجراه على أرضية فكرة الخلافة الأموية، أو المفهوم الحضاري العربي الإسلامي، وأمام إحتدام مفردات الصراع ما بين الأجنبي غير المسلم والعربي المسلم، مثلما نراه ماثلاً في عراق اليوم وهو مناط الكتابة، كان لابد من إتخاذ المواقف السياسية المبدئية الفكرية والسياسية وفي الممارسة العملية. الغريب أنَّ عدد شهداء الإنتفاضة الحسينية ضد السلطة الأموية بلغ ٧٢ شهيداً، هم كل الراحلين معه بمن فيهم أهله وعائلته الخاصة وأنصاره والأطفال، فلماذا لم يرحل كل المسلمين المؤمنين بمركزه الديني معه؟ ولم يلتزم بموقفه حتى أخيه و«عينُـه التي تراقب الأحوال» في المدينة التي تركها ورحل منها إلى حيث لقي حتفه بشفرات السيوف على تلك الطريقة المأساوية، أعني: محمد بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما: المعروف بإسم محمد بن الحنفية؟ جراء الصدوع بأحقيته الخلافة أو عدم مبايعته للخليفة المستورثأهو الخوف على المصير الذاتي من عموم التطورات القادمة؟ أم عدم الإقتناع الفكري بخطوة الخروج على الخليفة

المسلم؟. وما هي الحدود الفاصلة بين المبايعة للحاكم أو رفضها، من ناحية، وبين الخروج على الحاكم بالسلاح وإعلان الإنتفاضة، من ناحية أخرى؟.

ولماذا خيَّر الثائر الإمام الحسين محاصريه بالذهاب إلى «الثغور» لمحاربة الروم البيزنطيين؟ هل يكون الجهاد كفريضة إسلامية ضد مَن هُم غير مسلمين له الأولوية على جهاد الحاكم المغتصب أو الظالم؟ لماذا لم يستنجد الإمام الحسين بالقوة الرومية الأعظم لنصرته على أعدائه، وهي القوة الرئيسة في ذلك العصر، كما هي القوة الأمريكية في هذه المرحلة الراهنة وهي قوة غير عربية وغير مسلمة - التي رحل إليها ممثلو كل الأحزاب الطائفية وقياداتها المتنفذة أو المخولة وعلى رأسها حزب عبد العزيز حكيمي - ضد الحاكم اليزيدي الظالم [الفاسق والكافر من وجهة نظر البعض]، أو الرحيل إلى عاصمتها في أحسن الأحوال بغية ضمان الأمن الشخصي؟ كلها أسئلة تتعلق بالحاضر الذي تعيشه أرض العراق المحتلة والذي يحيا مجتمعه في ظل غزو عسكري أجنبي، عراق: عربي مسلم يستبيحهم «الصليبيون المتصهينون»: الفرنجة وفق تعبير العلماء المسلمين الذين جابهوا الحروب الصليبية، كمنكر مطلق، يجب تغييره والعمل من أجل دحره بالأيدي والألسنة والقلوب، لا مناصرته من خلال تبوء المراكز السلطوية التي يتحكم بها، أساساً، الأعداء المحتلون، من الذين يتلقون أوامرهم من أهل البيت الأبيض الأمريكي؟ ويمعنون في تمزيق الوحدة الوطنية لصالح الأمريكيين أساساً - وعوا ذلك أم كانوا غير واعين - عبر الإستمرار بقتل المواطنين العراقيين المقاومين والرافضين للسلطة ومن أبناء غير الرؤية الصفوية بإستخدام التعذيب والدريل والرصاص والخنق!.

ولكن هل كانت خطوة الإمام الحسين رضى الله عنه بتخيير قادة الجيش المحاصِر له محاولة أخيرة للفرار من الموت المحتوم والقتل الموعود: كما تقول بعض الروايات؟ من الثابت أنَّ الحسين لم يعرف عنه المداهنة والكذب في أحرج الظروف وأحلك الأزمان وأمر الأزمات، أي أنه ربما كان معتقداً بأولوية جهاد الكفار الأجانب على الخروج على الحاكم الظالم بوسيلة محددة، هي الإنتفاضة العنيفة: الكفاح المسلح بلغة هذه الأيام، وهو ما أراه شخصياً عند معالجة ملابسات «عدم طاعة المبايعة». كان الإمام الحسين رضى الله عنه هو

الإمام الثالث المعصوم عند أتباع المذهب الإمامي، أقواله وأفعاله ملزِمة لجميع الأتباع، وبالتالي لا يمكن، في أي حال من الأحوال، أن يكون موقفه تكتيكياً يسعى للحفاظ على الذات الفردية والتضحية بقضية العقيدة الإسلامية، ومُثلها، على مذبح سلامته الشخصية، والإلتزام بمقولة }لا يكلف الله إلا وسعها{ على أهميتها.

لنتذكر أن الإمام الحسين [رضى الله عنه] كان قد اِعترض بشكل صريح على قائده العسكري الذي خالف وعده للمغلوبين عسكرياً، وذلك إبان مشاركته مقاتلاً مجاهداً في حملة فتح طبرستان التي قادها قائد جيش المسلمين: سعيد بن العاص، في زمن الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان [رضى الله عنه] - أي أنه جاهد تحت الراية العثمانية العربية المسلمة - جنباً إلى جانب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن العباس وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم - وغيرهم الكثير - وهم رهط من أصحاب رسول الله [ﷺ]، لقد سأل سكانُ الحصن المُحَاصَرين الأمانَ من المحاصِرين المسلمين لهم، فمنحهم القائد سعيد بن العاص ذلك «على أنْ لا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن».

ولكن الحسين رضى الله عنه سبط الرسول ﷺ والذي تربي في مدرسته، وتـُحرِّك ممارساتِه معاييرُ المضمون الحقيقي للرسالة العربية الإسلامية رفض هذه المخاتلة اللفظية وجاهد باللسان ضد نزعة التبرير التي سادت عند القائد الإسلامي المُرسل من قبل الخليفة الراشدي الثالث، إذ كان «لا يتغاضى أبداً إذِا انتهكت» المباديء الحقّة، كونه «متقيد بحدود المُثـُل القرآنية والسياسة النبوية» كما يستخلِص ذلك المرحوم عبد الله العلايلي، فليس من المستغرب أمام هذه الواقعة المرفوضة، أنْ يعلن رأيه بصراحة المؤمن بالحق ضد الباطل، فراح «يستنكر اِستنكاراً صارخاً» ضد «أمير الجند، وهو بينهم جندي، حين أعطى عهداً ونكث به، وغدر بستأمنين، والمسلمون، كما جاء في الحديث، عند شروطهم» فيما رأى أبوه علي بن أبي طالب عند وصول أنباء تلك الحادثة المروعة وذلك الاِستنكار الحسيني للمدينة، أنَّ تصرف القائد العسكري كان اِنطلاقاً من الصفة الخاصة للشخصية العسكرية للقائد، وليس اِلتزاماً بالمعايير العربية الإسلامية، ووصفه بـ«الجبار»

وتدل على صيرورة «سياسة الجبروت» واقعاً قائماً في الفتح. وإنْ كل ذلك كان مرفوضاً بالنسبة إليه، [٩].

كان الإمام الحسين رضى الله عنه صادقاً مع نفسه ومع ضميره المعرفي الديني، لذلك كان صادقاً مع الآخرين، أياً كان هذا الآخر، كان يحاكم التطورات السياسية كلها - كما أعتقد - بمنطق كأنك ترى الله في صياغة كل موقف والإتيان بأي عمل، بعد تيقنه الإيماني أنَّ الله يراه في كل مكان وفي كل حين، ولذلك أيضاً، لم يكن موقفه حول الذهاب إلى الثغور للدفاع عن الدولة المسلمة، الذي سأل محاصريه من قادة الجيش الأموي الأخذ به بدلاً من مبايعة الحاكم الظالم، موقفاً تكتيكياً نابعاً من-رؤية ذاتية تستبطِن غير ما تعلن، على أرضية «مبدأ التقية»: المخاتل، الذي يصفه أحد الكتّاب الذين تناولوا البحث في العقائد «بأنَّ روحها النفاق وثمرتها كفر التهود»، فيما قال العالم المجتهد المرحوم محسن الأمين العاملي، وهو من أكبر علماء الإمامية وسمي بالمجتهد الكبير: «إنَّ التقية كانت جائزة في بدء الدعوة الإسلامية حين كانت قريش تضطهد المسلمين الأولين، أما بعد قوة الدولة الإسلامية فهي غير جائزة»، [١٠].

بل كان موقفه بتخيير محاصريه حول الذهاب إلى الثغور موقفاً مبدئياً ينبغي الإتعاظ به في هذه الأيام، بدلاً من سفكِ الدماء بشج الرؤوس وإطلاق اللعنات على بني أمية ولطم الصدور المتعرية وغيرها من ممارسات شنيعة ما أنزل بها الله من سلطان، ناهيك عن أنَّ كلها عادات سقيمة بينها وبين الدين العربي الإسلامي وتعاليمه الحقة: بيدٌ دونها بيدُ، وكان الموقف السياسي المطلوب هو الصدق مع الذات والصدق مع النفس والصدق مع المعايير الإسلامية الدينية، ناهيك عن ضرورة التمسك بالمقاييس الأخرى: كالوطنية والقومية وغيرها.

العمل ضد الأجنبي وجهاده بالعمل المسلح هو المعيار الأساسي عند المؤمنين بالنهج الحسيني في مناوئة غير المسلمين، رحلات الحسين الجهادية إلى شمال أفريقية وطبرستان والروم، لم يكن جهاد دفع فقط، بل كان جهاد مبادرة وإيمان، ولعل متابعة «الرؤية الحسينية» و«الممارسة الحسينية» تتجليان بشكلٍ ساطع في ممارسة اِبنه علي بن الحسين المعروف عند أتباع المدرسة الإمامية بالسجّاد أو زين العابدين، وهو فوق ذلك أنه الإمام

الرابع والمعصـوم عندهـم، وهذا المفهوم يعني «الإحاطة في شـؤون الشـريعة جميعها»، [١١]، وهو «حافظ للشرع كالنبي، لأنَّ حفظه من أظهر فوائد إمامته، فتجب عصمته لذلك، لأن المراد حفظه علماً وعملاً، وبالضرورة لا يقدر على حفظه بتمامه إلا معصوم، إذ لا أقل من خطأ غيره، ولو اِكتفينا بحفظ بعضه لكان البعض الآخر ملغىً بنظر الشارع وهو خلاف الضرورة، فإنَّ النبي قد جاء لتعليم الأحكام كلها وعمل الناس بها على مرور الأيام»، [١٢]، ومن المعلوم للقاصي والداني أنَّ مَنْ لم يتبع الإمام في زمانه وفق التعليمات الإمامية التي يلتزم بها الأتباع نظرياً على الأقل، مات ميتة جاهلية، لذا سنعـدّ رؤية الإمام الرابع للطـائفة الإثنا عشـرية وممارسـاته هي المقياس في تحديد مفاهيم الرؤية الحسينية، وأبرز مقاييس محاكمة تلك الرؤية النقدية نستمدها من:

- موقفه من حصار الروم على المسلمين في العهد الأموي.

- موقفه من حرب الروم على الدولة الأموية.

لقد ترك لنا علي بن الحسين كتاباً، وعدة خطب وأجوبة على مسائل حول أمورٍ مستجدة في عصره، ولكن «الصحيفة السجادية الكاملة» بما اِحتوته من أدعية مكتوبة تلخص رؤيته الدينية الإسلامية والشرعية المذهبية، الأمر الذي ينبغي أن تكون هي المعيار في محاكمة الأتباع أو مَنْ يدعي أنه تابع للمدرسة الإمامية، لاسيما أقواله التي ضمها كتاب الصحيفة السجادية، تلك الطبعة التي تمت تحت إشراف المرجع الديني الكبير السيد محمد باقر الصدر، الذي تعتبره دعاية الأحزاب والمنظمات الطائفية «حسين العصر» وذلك للمتاجرة به كما يبدو، والتي قدَّمَ لهذه الطبعة كذلك، والتي صدرت طبعتها الأولى عام ١٤١٩هجرية عام ١٩٩٩ميلادية، عـن دار المرتضى للطباعة والنشـر والتوزيع، بيروت/ لبنان. ومن المعروف أيضاً أنَّ جميع الأحزاب المذهبية الإثنا عشرية، تدعي الاِلتزام بأفكار السيد محمد باقر الصدر، وإتباع تعليمات المدرسة الصدرية التي مثلتها كتب ومواقف السيد محمد باقر الصدر، [١٣].

إنَّ أول ما يلفت نظرنا في هذا الكتاب: الصحيفة السجادية الكاملة، توجه جميع الأدعية لله مباشرة كونه مؤمناً به من دون غيره ومن دون واسطة على أي مستوى كان، لإيمانه بأنَّ طاعته واجبة ناجمة عن وعي كلي لا تشوبه أية شائبة مهما صغرت، وقصد فكري بذاته ولذاته: تام وموحد، وهو ما يعني أن الدين الإسلامي دين الفطرة العربية التي كانت تعايش الصحراء الفسيحة والسماء الواسعة والفضاء الكبير، توافقت تعليماته مع نفوس رفضت عباد الأصنام المتعددة وآمنوا بالإله الموحد، وتطلعوا للوحدة المجتمعية العربية، إذ أدركوا أنَّ الإله الواحد لا يحتاج الوسطاء أو «النقوش»، [١٤]، كما رأى بعض الرجالات العربية، والعمل الصالح هو المعيار في رضا الخالق، وليس غير ذلك أبداً، يقول الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه في نهج البلاغة: «لأنسبنَّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي. الإسلام هو التسليم. والتسليم هو اليقين. واليقين هو التصدِّيق. والتصديق هو الإقرار. والإقرار هو الأداء. والأداء هو العمل الصالح.» له تذبح الأضاحي وتتوجه إليه الكلمات بالشكر والتطلع إلى المغفرة، يقول الإمام السجاد: «الحمد لله بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخرٍ يكون بعده» و«اِبتدع بقدرته الخلقَ اِبتداعاً، وأخترعهم على مشيته إختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثه في سبيل محبته، لا يملكون تأخيراً عما قدمهم إليه ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه»، [١٥].

وإذا تذكرنا أنَّ الحساب الإلهي سيكون في يوم القيامة الموعود في القرآن الكريم حساباً على أساس فردي وقائماً على أساس العمل المبذول في الدنيا الفانية: ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : ٢١]، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾، [النجم : ٣٩]، فإنَّ بعض الممارسات التي قوامها التوسل بالعبد المتوفى أو بالقوة العالمية الصليبية الصهيونية هي من قبيل إنكار قدرة الخالق المطلقة، والإشراك بالخالق عبر «النية والعمل المضمرين» وخصوصاً في مسؤولياته الحسابية في اليوم الآخر. ومع ذلك دعونا نسلط الأضواء على الإنتفاضة الحسينية عبر الاِستشهاد بالدروس: الأفكار والممارسة التي تركها لنا الإمام الرابع للمذهب الإثنا عشري.

المراجع والهوامش

[٩] - راجع كتاب الشيخ عبد الله العلايلي المعنون تاريخ الحسين: نقد وتحليل، إصدار دار الجديد ١٩٩٤م، وهي الطبعة الثانية، بيروت/ لبنان، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

[١٠] - راجع كتاب الدكتور علي الوردي المعنون وعاظ السلاطين الصادر عن دار كوفان في لندن، الطبعة الثانية عام ١٩٩٥م، ص ٢٥٤، إذ وردت فيها تلك الأقوال.

[١١] - راجع كتاب السيد محمد تقي الحكيم المعنون الأصول العامة للفقه المقارن: مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، إصدار المجمع العالمي لأهل البيت، قم / إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هجرية، ١٩٩٧ ميلادية، ص ١٧٦.

[١٢] - راجع المصدر السابق، ص ١٨١.

[١٣] - يزعم العملاء من الألوان المتأسلمة في طابعها المذهبي الصفوي خصوصاً، ممن ينقذن البرنامج الإمبريالي الأمريكي ويتعاونون معه على كل الصعد، أنهم من أتباع السيد محمد باقر الصدر، ويمارسون بإسمه أشد أنواع التمييز ما بين أبناء التكوين الإسلامي على كل الصعد وعلناً، ويشنون حملات فكرية واجتثائية بشعة بحق أبناء الطائفة السنية حرقاً لبيوت الله التي يرتادوها، وتهجيراً لهم من بيوتهم أو مناطقهم أو أوطانهم... إلخ، في حين كان السيد محمد باقر يقول في خطاباته الأخيرة قبل إعدامه بعد إذاعة خطاباته من الإذاعة الإيرانية، مثلما إذاعة مراسالاته مع القائد الإيراني الخميني، التي روج حينها بعض أطراف حزب الدعوة أنَّ جماعة محمد الشيرازي الذين كانوا يسيطرون عليها، هم المسؤولون عن ذلك وما ترتب عليه من عملية إعدام السيد محمد باقر الصدر...

نقول أنَّ الصدر كان يقول التالي: «إنَّ الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون، والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل عليّ السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول (أبي بكر رضى الله عنه)، وكلنا نحارب تحت راية الإسلام، وتحت راية الإسلام، مهما كان لونها المذهبي. إنَّ الحكم السنّي الذي يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دماً رخيصاً من أجل الحفاظ على راية الإسلام، ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام»، راجع كتاب الحسين يولد من جديد، محطات في حياة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، تأليف كمال السيد، الناشر مؤسسة أنصاريان، طباعة مطبعة الصدر - مدينة قم الإيرانية، سنة الطبع ١٤١٦ هجرية، ١٩٩٦ ميلادية، ص - ١١٩ ١١٨.

ولكننا نرى اليوم حملة راية الصدر المزعومين بدلوا سكان قيادتهم نحو خدمة المحتلين: وهم صليبيون - صهاينة بإمتياز، كما تدلُّ وثائقهم الفكرية والسياسية وتصريحاتهم العلنية يسيرون خلفهم حذو النعل للنعل، فهل هذا السلوك الصفوي إساءة لمحمد باقر الصدر وأطروحاته الفقهية بلهَ حتى المذهبية؟

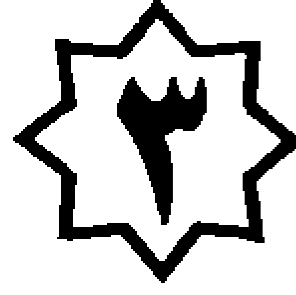
أم كانت تقف «عقلية التقية القائمة على المداهنة والكذب» وراء سلوك هذا الطريق في خدمة رؤية المحتلين الأمريكيين؟ وهل تتناقض عقلية اللعن والسب لكل الصحابة مع الروح الإجتهادية والعقلية للصدر؟.

[١٤] - حول النقوش

[١٥] - راجع كتاب الصحيفة السجادية الكاملة، أدعية الإمام زين العابدين: الإمام الرابع في المدرسة الإمامية وهو المعصوم من وجهة نظرهم، إصدار دار المرتضى، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هجرية، ١٩٩٩ ميلادية، ص ٣٩.

٤/ ٣/ ٢٠٠٦ مباقر الصراف

كاتب عراقي مقيم في هولندا



مثال: «إذلال المسلمين»
والموقف من الحصار على الدولة الإسلامية!

لقد واجهت السلطة التي سادت في الإمبراطورية الأموية العديد من المواجهات الفكرية الداخلية والإنتفاضات العنيفة والتمردات المتنوعة، وكلٌ له أسبابه الفكرية: الصادقة أو غير الصادقة، وطالما هددت تلك السلطة بقطع شأفة تسيدها، ولكن جميع مَنْ قاموا بتلك الدعوات الفكرية المضادة للبيت الأموي، وشنوا الإنتفاضات المسلحة ضد سلطته، والتمردات في وجه صعودها إلى السلطة، سواء بهدف العصيان أو الإستقلال عن الإمبراطورية المركزية، لم يحاولوا إلغاء الخلافة العربية الإسلامية أبداً، وإنْ كانت فرقة الخوارج التي تمردت على الخليفة الراشدي الرابع جرّاء قبوله بالتحكيم، وتمكنت من إغتياله في أحد جوامع الكوفة، على إختلاف نحلها: الأزارقة والأباضية والصفرة لم تشترط الأرومة القرشية في التسييد السلطوي، لكنهم كانوا يبحثون عن الخليفة العادل والخلافة العادلة، يبحثون عن الخليفة الذي ينفذ حكم الله.

لكن المذهب الإثنا عشري، على وجه التحديد، كان يحصر الخلافة في أرومة محددة تناسلت من إبنة رسول الله، أي كان يحصرها في بني هاشم، وعلى وجه الخصوص في المتحدرين من نسل فاطمة بنت الرسول محمد [ﷺ]، ومن الفرع الحسيني دون الحسني، ويقول فقهاؤه في ذلك أنهم يستندون للنص الإلهي والوصية النبوية، رغم أنَّ القرآن الكريم قد شدد على أنَّ الرسول لم يكن مُلكاً لأحد مهما كانت قرابته من الرسول، وإنما كان في

الحقيقة مُلكاً لعموم المؤمنين والمسلمين في العالم، كونه جاء رحمةً للعالمين كافة، قال الله عز وجل ﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾، [سورة الأحزاب، الآية رقم ٤٠]، إذن - كما قلنا سابقاً - أنّ العمل الصالح هو المعيار الموضوعي في التقويم الأخير، وليس القرابة، وهو ما أفاضت بشأنه كتب التاريخ، وهو البعيد عن تفكيرنا في المطلق عند كتابة هذه السطور.

ومن المعروف تاريخياً، أيضاً، أنَّ الإمبراطورية الأموية: بما تمثله من رؤية حضارية عربية إسلامية، واجهت الإمبراطورية البيزنطية الرومية، بعد هزيمة الفرس وفتح إيران وإدخال أتباع الدين الزرادشتي: عبّاد النار، في الدين الإسلامي، لكي تفرض رؤيتها الدينية الإسلامية على الآخر، وكانت الإمبراطورية العربية الإسلامية تحاول فرض الجزية المالية إنْ لم تشأ البلاد المفتوحة الدخول في الدين الإسلامي، [رغم إطلاعنا على أنَّهم ساووا بين الجزية والخراج في بعض الأحيان، وممارسة العنف في تحصيلها، ولكن كان ذلك يعود إلى ضرورات مركزة السلطة وشروط نموها، وسد بعض إِحتياجاتهم المالية، رغم أنّ ذلك التصرف وتلك الممارسة هي مخالفة للتعاليم الشرعية الذي يحض عليها الدين العربي الإسلامي] تخيير البلاد المفتوحة أو الأفراد: الإيمان بأفكار الدين الجديد أو الإِلتزام المعلن بمنطقه الفكري/ من جهة، أو دفع الجزية المالية، من جهة أخرى، إذ كان الصراع الديني يلخص في تلك المرحلة التاريخية طابع المسار الرئيسي لمفردات التاريخ البشري، ولو قلّبنا صفحات التاريخ الكلية، وفي جميع الأمم والدول والأفكار، خلال المرحلة المشار إليها، لرأينا أنَّ المسار الرئيس في العلاقات بينها، هو الصراع المسلح أو الهدنة الحربية. إعداد الجيوش وشن الحملات، من ناحية، أو السجال الفكري المستمر، من ناحية أخرى.

لذا كان لزاماً على أئمة المسلمين تحديد الموقف الفكري من ذلك الصراع، ولم يكن الإمام علي بن الحسين بن علي أبي طالب [رضى الله عنهما] الإمام الرابع للرؤية الإمامية بعيداً عن تأثير ذلك الصراع، فالمسؤولية الفكرية الدينية تفرض عليه تحديد رأي محدد حوله. كيف لا وهو صاحب «رسالة الحقوق ذكر فيها ما يجب على المسلم من حقوق

وواجبات»، وفي مرحلة أصبح فيها «المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدن وقتئذٍ خلال نصف قرن»، كما يقول محمد باقر الصدر في مقدمته لكتاب الأدعية. وكان الإمام زين العابدين رضى الله عنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بشكل دائم.

وليس ما هو أفظع وأشنع من فرض الحصار من قبل غير العرب وغير المسلمين على الأفراد المسلمين والشعوب المسلمة في لقمة عيشهم وأسباب رزقهم ووسائل علاجهم، والاِحتلال الأجنبي الصليبي الصهيوني، كما حدد أفقه الفكري وهدفه السياسي، المحافظون الجدد، المحتلون العسكريون للأرض العربية الإسلامية، مارس ذلك الحصار على كل الصُعُد.

موقف الإمام علي بن الحسين رضى الله عنهما: وهو أحد الأئمة المعصومين بنظر الطائفة، وهو بالنسبة للطائفة الإثنا عشرية: «كالنبي، والفارق أنَّ النبي يتلقى الوحي من السماء، وهؤلاء يتلقون ما يوحى به إلى النبي من طريقه وهم منفردون في جميع الأحكام»، لذا فإنّ أقوالهم «مصدر من مصادر التشريع لديهم، وهم مجتهدون في حجيتها كسائر المصادر والأصول»، كون «ما يأتون به من أحكام {فإنما هو من أحاديث رسول الله [ﷺ] التي لا يعدونها بحال وبعضه بإملائه [ﷺ] وبخط علي [عليه السلام]}»، [١٦]...

موقفه من حصار الروم على المسلمين يجب أنْ يكون هو المرشد والموجه للوقوف ضد الحصار الغربي المفروض على العراق، في الأمس واليوم وغداً، ناهيك عن اِحتلاله الراهن، اِنطلاقاً من ذلك المعيار في اللحظة التاريخية الراهنة يجب أنْ يكون عند جميع الأتباع المُفترَضين.

لا شك أنَّ التاريخ ينطوي على دروس تاريخية هائلة وعِبَر جمة، خاصة وأنَّ المرحلة الأولى من الخلافة الأموية كانت مرحلة توحيد وفرض الاِستقرار السياسي والقضاء على قوة المناوئين العالميين من غير المسلمين، وكان ذلك يتطلب «إعادة تنظيم الدولة وتعريب مؤسساتها ونقدها»، [١٧]، وكانت خطوة تعريب النقد في العهد الأموي، الذي كان خلالها تُستعمل النقود البيزنطية، وتحويله إلى الدرهم العربي، إحدى تلك الخطوات، إذن، جاءت

تعريب النقد خطوة أخرى في طريق الإصلاح العربي الإسلامي، و«جزءاً من سياسة تعريب المؤسسات، وخطوة لتأكيد السيادة الكاملة، كما أنَّ التطورات الإقتصادية، ومشاكل جباية الضرائب والمشاكل النقديـة، وحالة التوتر في العلاقات العربية البيزنطية، كانت على صلة بالموضوع»، [١٨].

ونحن هنا لا نتطرق إلى مَنْ أشـار إلى هذه الفكرة في تعريب النقد، ومَنْ اِقترح سـك العملة العربية الإسلامية، التي اِختلف الرواة والمؤرخون بشأن مجترحها، ولكننا نتطرق هنا، وفي هذه المسألة بالذات على أرضية الرؤية الإسلامية الإمامية، أي الفرقة الإثنا عشرية، كونها ذات علاقة أساسية بموقف الإمام الرابع، ودلالات تلك الممارسة في الواقع الراهن، التي يحيا في ظلها العراقيون اليوم.

إنَّ تلك الخطوة الأموية في سك العملة العربية الجديدة، وموقف الإمام المعصوم والرابع تجاه هذا التطور في الجانب الإقتصادي للإمبراطورية الأموية، وهي خطوة من بين عدة خطوات عربية إسلامية نظمت شؤون الدولة الأموية، كانت خطوة تتعلق أساساً بتقوية الإمبراطورية العربية الإسلامية في مرحلتها الأموية على الصعيد الإقتصادي، ولا تقبل أية مغالطة في توجهاتها الفكرية وتفسـيراتها الدينية وآفاقها المعرفية، في تفسيرها على غير ذلك النحو، خاصةً وأنَّ الإمام علي بن الحسين رضى الله عنهما رأى في تطبيقها هو العنصر الأساس الكامن في مصلحة الأمة، وبالتالي يجب أنْ نضعها المعيار الذي يسبق كل المعايير الأخرى، في تقويم الموقف السياسي القائم على الواقع الملموس، رغم أنَّ معاناته الشخصية من الإمبراطورية الأموية، حيث قـُتلت كل عائلته، وجرجر مربوطاً بالحبال من بلاد العراق إلى بلاد الشام، أي من ميدان المعركة في كربلاء إلى قصر الحكم اليزيدي بمعية النسوة الهاشميات.

كانت رؤيته وممارسته تشكلان موقفه المعلَن من حصار الروم الإقتصادي للإمبراطورية العربية الإسلامية، والدعوة للجهاد ضده، هو الخيار الموضوعي الذي يؤكد القاعدة العامة للرؤية العربية الإسلامية، كما نعتقد، وهما ما سنتطرق إليه لاحقاً:

يقول السيد محمد باقر الصدر في رواية لحادثة محددة، أنَّ الخليفة الأموي الرابع، عبد الملك بن مروان، والمؤسس الحقيقي للإمبراطورية الأموية، وقف مرتبكاً وحائراً أمام ما فرضه الروم من حصار على العملة التي كان يستخدمها الأمويون: «حينما اِصطدم بملك الروم وهدده الملك الروماني بإستغلال حاجة المسلمين إلى اِستيراد نقودهم من بلاد الرومان لإذلال المسلمين وفرض الشروط عليهم وقف عبد الملك [بن مروان] متحيراً وقد ضاقت به الأرض كما جاء في الرواية وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، فجمع أهل الإسلام واِستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به، فقال له القوم: إنك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر! فقال ويحكم مَـنْ؟ قالوا: الباقي من أهل بيت النبي [ﷺ]، قال: صـدقتم، وهكذا كان.

فقد فـزع إلى الإمام زين العابدين، فأرسل رضى الله عنه ولده محمد بن الباقر إلى الشام وزوده بتعليماته الخاصـة، فوضع خطة جديدة للنقد الإسلامي وأنقذ الموقف»، [١٩].

من المعروف أنَّ المحافظين الجدد هم الذين يحددون المعايير الفكرية والبرنامجية للولايات المتحدة الأمريكية ليس في العراق فحسب، وإنما في كل العالم، وهم، كما تقول معظم الدراسات المتخصصة، «لهم ولاء واحد لإسرائيل، وبما أنهم متطرفون فولاؤهم للمتطرفين الإسرائيليين، لذلك اِرتبطت أسماؤهم دائماً بليكود ومجرمي الحرب في قيادة هذا الحزب المعادي للسلام»، [٢٠]، وكان من بين أبرزهم «بول وولفيتز، ودونالد رامسفيلد، وديك تشيني، وإليوت برامز، وجيب بوش، ونورمان بودهررتز، وزوجته ميدج ديكتر، وزلماي خليلزادة، وفرانك غافني، ولويس ليبي، ودان كويل، ودونالد كاغان، ووليام ج. بينيت والمرشح الرئاسي الجمهوري اليميني الناشر ستيف فوربز،[٢١]، ومن المعلوم أنَّ السفير الأمريكي في بغداد زالماي خليل زادة: هو الحاكم الفعلي في العراق خلال هذه المرحلة، لذا هو يطبق رؤيتهم وبرنامجهم بحذافيره، وليس التدخل الخارجي: البيزنطي المعاصر: الولايات المتحدة، لإذلال المسلمين فقط.

ولكن هل ألحقت الإمبراطورية البيزنطية الأضرار بالمجتمع العربي المسلم في المرحلة الأموية، مثلما فعلته الولايات المتحدة بالشعب العراقي العربي المسلم في الماضي وتفعله في

الحاضر، كلا بالتأكيد، أنّ تأثير الأضرار المادية والمعنوية هو مضاعف بعشرات المرات، ولكن الإمام زين العابدين أيد الأمويين عملياً وليس نظرياً فقط ضد البيزنطيين، بينما أيد الأتباعُ المعممون الأمريكيون نظرياً وعملياً، نفذوا مهماتهم المرسومة لهم في برامج المحافظون الجدد، أي أنهم أتبعوا العدو المحتل للعراق كما يتبع الظل أساسه المادي حتى ضد مدن النجف وكربلاء والكاظمية وهي مناطق مقدسة مذهبياً عند أتباع المذهب الإمامي الإثنا عشري، وتشكل خطاً أحمر حسب فرية المراجع والأحزاب الصفوية المتفرسة، قبل قصفها أو إحداث التفجيرات فيها من قبل الأعداء الغزاة وبمساعدة مباشرة من القوات الموالية لأهل البيت الأبيض.

في الماضي - مثلاً - يقول أحد الكتاب الغربيين: «إنَّ الولايات المتحدة هي المهندس الواعي لعملية الإبادة هذه التي تستمر منذ أعوام. ويعمل المسؤولون الأمريكيون عن قصد وبتصميم قاس وفظ على منع الإعانة عن شعب يعاني الجوع والأمراض. ولا تنفي واشنطن هذه الحقائق البشعة. فقد كانت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية حالياً،]وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق[، مستعدة لأنْ تؤكد علناً أنَّ قتل نصف مليون عراقي كان عملاً مبرراً»، [٢٢]. فيما قال أحد الدبلوماسيين الغربيين لصحيفة الغارديان في ١٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٥م «إنَّ سياستنا هي الإبقاء على العراق في قفصه»،[٢٣]، بينما قالت مادلين أولبرايب عندما مندوبة البيت الأبيض الأمريكي، وقبل أنْ تصبح وزيرة الخارجية في عهد كلينتون: «سنعمل مع الآخرين على نحو مشترك عندما نستطيع وعلى نحو فردي عندما ينبغي»، [٢٤].

فمن أي معين فكري وديني كان يغترف أتباع الرؤية الإمامية المدعون أفكارهم بشأن مساعدة الصليبيين المتصهينين الجدد ضد الشعب العرقي؟. وهل المقالة / الوثيقة التي نشرها البروفسور هيثم غالب الناهي حول اِجتماع إبراهيم الجعفري برئيس وزراء كيان الاِغتصاب الصهيوني نتن ياهو يمكنها تفسير بعض أبعاد التطورات الراهنة؟،[٢٥]؟!.

أما في الحاضر فنجد الجريمة الأمريكية بحق العراق مستمرة منذ شن الحرب العدوانية عليه في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م، وما تزال، يقول الكاتب البريطاني ذاته، في كتاب آخر، كانت النوايا الأمريكية واضحة: «توسيع وجود عسكري كوني وتثبيته من أجل القضاء على ضغوط المنافسة، سواء أكانت عقائدية أم إستراتيجية أم تجارية، وما إنْ حل شهر أيار/ مايو ٢٠٠٣م حتى وصلت بيتزا هات [Pizaa Hut] وبيرغر كنغ [Burgr King] إلى العراق، وسُلِّم ميناء أم قصر إلى شركة تعهدات أمريكية خاصة، وكانت شركتا هاليبرتون وبكتل تكسبان صفقات هائلة لإعادة الإعمار، كما عُين أحد أتباع كيسنجر مسؤولاً عن صناعة النفط العراقية. ومُنحت شركة بكتل في ٢٣ أيار/ مايو عقد إعادة إعمار بقيمة ٥٠٠ مليون دولار تفرّع عنه عقود ثانوية لصالح شركات بريطانية وأجنبية أخرى، ولا يشك أحد في أنَّ الجزء الأعظم من العقود الأولية التي تُقدَّر قيمتها بحوالي ١٠٠ بليون دولار، ستُعطى لشركات بكتل وهاليبرتون وفلور وسواها من الشركات الأمريكية الكبرى التي يرتبط معظمها بعلاقات مع أعضاء حكومة الرئيس بوش. إنَّ محرِّك الطموح الأمريكي هو القوة الديناميكية للشركات، تدعمها آلة عسكرية لا منافس لها تتربَّع فوق الكرة الأرضية بأسرها. وتكمن في هذه الحقبة الأدلة التي نحتاج إليها لفهم مستقبل العراق؛ الدولة التي يراد لها أنْ تكون محكومة إلى الأبد بالعيش من دون خدمات اِجتماعية ملائمة، وفي ظلِّ إختلالات مالية متفاقمة، وضحِّية للإستغلال الأجنبي.»، [٢٦].

ولكن عبد العزيز حكيمي وإبراهيم جعفري ومحسن عبد الحميد وأتباعهم الطائفيين شغلوا مركز العضوية في مجلس بول بريمر الحاكم المحكوم منذ الإحتلال الأمريكي للعراق وحتى رحيله، بمعية المليارات المسروقة من الدولارات العراقية، من جهة، ويتعمدون إغفال القاعدة الإسلامية المعروفة: دفع الضرر الراهن الدنيوي والمحتمل في المستقبل على جلب المنفعة، وهو اليوم مؤكد في الحاضر والمستقبل وليس محتملاً فقط، من جهة ثانية، فإذا اِستيقظ الإمام الرابع من رقدته السرمدية الأبدية، ماذا كان يمكن أنْ يقول عن الأتباع/ المدعين!؟، من جهة ثالثة وأخيرة.

المراجع والهوامش

[١٦] - راجع كتاب الأصول العامة للفقه المقارن، مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، تأليف العلاّمة محمد تقي الحكيم، تحقيق المجمع العالمي لأهل البيت، قُمْ / إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هجرية / ١٩٩٧ ميلادية، ص ٥٧٤ و ص ٥٧٥ على التوالي.

[١٧] - راجع كتاب الدكتور عبد العزيز الدوري المعنون التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت/ لبنان، ١٩٨٦م، ص ٤٠.

[١٨] - راجع كتاب الدكتور عبد العزيز الدوري المعنون تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت/ لبنان، كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥م، ص ٢٣٦.

[١٩] - راجع مقدمة كتاب الصحيفة السجادية الكاملة، مصدر سبق ذكره في الحلقات الفائتة، ص: ٨. ومن المعلوم أنَّ الإمام محمد الباقر هو الإمام المعصوم الخامس عند تلك الفرقة، لذا تـُعد مشاركته في وضع الخطة دليل آخر على تعاون المسلمين: مؤمنين وغير مؤمنين ضد الأجانب من غير المتسلحين بالرؤية العربية الإسلامية، ناهيك عن المؤمنين بها، فمن أية آراء ومستندات إمامية وحجج فكرية يتعاون فيها الأتباع - كما يدعون - مع القوات الصليبية الصهيونية ضد العراق ويقاتلون الوطنيين العراقيين، ويغتالون المسلمين من أبناء غير الطائفة الإثنا عشرية؟، إن لم تكن الرؤية الفارسية الصفوية هي دينـّها الفكري والسياسي؟. نتساءل حول ذلك الإتجاه ونحن نعرف أنَّ أتباع الإمامية يصفون الإمام الخامس: محمد الباقر كونه باقر علوم الأولين والآخرين، وكونه «هو الشخص الذي تم إختياره من جانب الحق سبحانه ليتقدم صراط الولاية، ويمسك بزمام الولاية المعنوية» [ص ٢١٣ من كتاب محمد حسين الطباطبائي المعنون بالشيعة: نص الحوار مع هنري كوربان، مصدر سبق الإشارة إليه في الحلقات السابقة].

[٢٠] - راجع كتاب السيد جهاد الخازن المعنون المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون، إصدار دار الساقي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٥٦.

[٢١] - المصدر السابق، ص ١٠٥.

[٢٢] - راجع كتاب جيف سيمونز المعنون التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت/ لبنان، كانون الأول/ ديسمبر/ ١٩٩٨م، ص ١٣.

[٢٣] - المصدر السابق، ص ١٢.

[٢٤] - المصدر السابق، ص ١٩.

[٢٥] - المقالة التي عنونها السيد الناهي بالتالي:

متى يُخرس الجعفري نهيق أصحابه

لم يكن ينتهي اللاعقون لأحذية الاحتلال بعد من مشاكلهم وتهافتهم على إرضاء الاحتلال حتى نهق ناهق جديد؛ ولكن بصوت هندي بليد لا يمت للعراق وأبنائه وعشائره بشيء يذكر. فسحنته السمراء الصفراء مازلت تذكرني ببركاش بائع السنبوسة في شارع سوق الهنود؛ وتحايله مازال يذكرني بغجر الهنود وسلوكياته لا ترتقي إلا أن تكون من مناطق كان يسكنها من يجمعهم الهف واللف والدف. هؤلاء شراذم لا يتمكنون من أن يفقهوا ما يحيط بهم من علم وعليم؛ ولا يتشجعون من أن ينطقُوا بكلمة؛ إلا وكان الشيطان الرجيم بين أحرفها ورغالا نبراسا لمعانيها؛ هم تعلموا على البذيئة والكذب والاتهام. ونحن نقول لهم مرحاً مرحا لتنكشفوا أمام من يعرف الشرفاء من أبناء العراق. هؤلاء الذين ما فتيء الجعفري يعطيهم اليد الطولى لكي يذكروا المؤمنين بالدين والوطن والشعب بصوت ذكره القران بصورة واضحة لعل الجمع يفقهون.

أحدهم والذي احتفظ بلقب دكتور ببسي وهو بالمناسبة لا دكتور ولا بطيخ بل بائع خضار جيد؛ ونحن هنا نجل ونحترم هؤلاء البائعين الذين يكسبون لقمة عيشهم بحلال وشقاء ونجلهم إجلالاً كثيراً ولكن نحتقر من هم كانوا يعملون معهم وطردوهم لأنهم خانوا الأمانة بسرقة ثلاث محلات على التوالي؛ فأصبح من البساطة أن يسمي نفسه دكتور وسحقا للشهادات التي صار كل من هب ودب يحملها ويحاول أن يدنس العلوم ويتهم الآخرين بعدم أحقيتهم بما يحملون على الرغم من مراتبهم العلمية بشرف وأمانة منحت من قبل مؤسسات وجامعات عريقة.

قبل أربعة أشهر تحدثنا عن لقاء بعض المعارضين (عفوا كانوا معارضين واليوم لاعقين) بمستشار نتنياهو ومن ثم معه؛ ونتيجة وساطة البعض من الخيرين بعدم فضح أوراق من اجتمع معهم التزمنا بما أملي علينا من الإخوة على أن يمتنع الناهقين من أعوان إبراهيم الاشيقر من توجيه سمومهم وبذاءات ألسنتهم إلينا؛ وحددنا هؤلاء بالاسم والعنوان فقبل هؤلاء السكوت وسحبوا سمومهم ووافق الاشيقر على أن يتركوا زمرته ما تعلموه من وسائل كالوسائل التي تربوا عليها عندما كانوا مع الفاسدين من الصداميين. ويبدو أنهم لم يتمكنوا من نسيان ماضيهم المخابراتي الصدامي فعادوا اليوم وأتوقع بإشارة من حاخامهم الاشيقر ليبدؤوا بنشر أوساخهم بأباطيل لا ترقوا لان تكون أراجيف على جيف.

فقبل أيام معدودة راح طالب رماحي (الرماحي) والذي حاز لقب دكتور ببسي بصورة فخرية وبجدارة؛ يتحدث على أناس سيبقون أسياداً له مهما أن تخفى بعباءة امرأة أو عمامة قبلت أن تكون

عبدا لاحتلال وسخ قبيح. وتحدى نذكر كيف ومتى التقى لجعفري بنتنياهو وراح يمزح وهذه خصلة جدية تستحق أن تروى في كتاب جنس للحمير الذي سيكون سيده؛ إذ قال سكت صاحب المقولة ولم يفتضح الأمر على الرغم من مطالبة الكثيرين بالإفصاح عن هذه الحقيقة. متناسيا إن سيده أسكته ووضع اللجام على فمه وهدده بأن سوف يبعثه إلى الهند مرة ثانية بعقاب أكل الفلفل الحار لمدة ثلاثة أشهر إنْ تعرض إلينا. إلا أن حلاوة الفوز لتشكيل حكومة الاحتلال الرابعة جعلته يحاول أن يثأر من الذي يعرف عنه الحقائق. متناسيا انه سوف لا يتربص على الكرسي أربعة سنوات أخرى على الرغم من بيعه كل ما يتعلق بالشخصية والمباديء والشرف وغيرها الكثير مما لا نعلمه فأين نحن من باعة الشرف والمباديء. وأبعدنا الله عنهم وحشرهم مع من يحبون يوم القيامة من الأمريكان والصهاينة الذين يعتبرونهم محررين فاتحين ونحن نعتبرهم محتلين غاصبين.

القصة التي نحن بصدد روايتها عن هؤلاء تنحصر أنهم حاولوا عن طريق المقبور مجيد الخوئي أن يتوسط إليهم لدى الأمير حسن لمعرفة هواجس الأمريكان تجاه العراق لأنهم سئموا الانتظار. وعند نقل الأمر إلى الأمير حسن في أحدى زياراته إلى مركز الخوئي وبالتأكيد في السابع عشر من آب عام ١٩٩٩م أجابهم بأن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن يكون هناك فهما واقعيا لعلاقتكم المستقبلية مع الدولة العبرية. وحين انفرد إبراهيم الاشيقر بالأمير حسن قال "لا مانع لدينا من الاعتراف بهم".

لم تمر إلا عشرة أيام على تلك المقولة حتى بعثت الولايات المتحدة الأمريكية مبعوثها للمعارضة العراقية ريتشارد دوني والتقى بكل من إبراهيم الجعفري ومجيد الخوئي وعلي حسين (الملكية الدستورية) وموفق الربيعي والمعمم محمد بحر العلوم وحامد البياتي (طالب البياتي) واحمد الجلبي واخبرهم بأن الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد لان ترتب اجتماعا بذلك. ولعل القاريء يستغرب من أين عرفنا تلك المعلومة ؛ فكما يقولون رب صدفة خير من ألف ميعاد ؛ ففي الواقع كان لدوني صديق في جامعة أكسفورد وهو أستاذ معنا في حينها متخصص بشؤون الشرق الأوسط للعلوم السياسية زاره بعد الاجتماع مع هؤلاء لترتيب اللقاء مع نتنياهو والتقينا معه في نادي الجامعة مصادفة حين كان يحتسي القهوة من زميله الأستاذ وحين عرفني من العراق وتجاذبنا الحديث وقال بالحرف الواحد " انك سوف لا تتقدم خطوة واحدة في حياتك السياسية لأنك لا يمكن أن تلتقي مع إسرائيل عكس جماعتك". منها استفهمت من خلال عدة أسئلة عن اللقاء حول الترتيبات المزمع عقدها مع مستشار نتنياهو.

في الرابع عشر من أيلول ١٩٩٩م فاتحني مايكل الأستاذ في العلوم السياسية بأن دوني سوف يصل للقاء مجموعة المعارضة واستضافتهم للقاء مستشار نتنياهو وهو يدعوك للانضمام لهم؛

فقهقهت قوياً وقلت مرحا مرحا بالمعلومة التي تأتي إلينا ولا نذهب إليها. وصل دوني في السادس والعشرين من أيلول عام ١٩٩٩م وأعلمني الدكتور مايكل أنهم التقوا مستشار نتنياهو في شقة بمارلبون ستريت بلندن الساعة السابعة وسبعة عشر دقيقة مساءً واستمر الاجتماع مدة ٤١ دقيقة وكان ايجابيا واعترف السبعة الحاضرون الذين سبق وان ذكرنا أسماءهم بمظلومية إسرائيل وتعاهدوا على أن يعطوا إسرائيل حق العيش كدولة شرق أوسطية إذا ما استلموا دفة الحكم.

في الخامس من تشرين الأول وصل نتنياهو إلى لندن وتم إصرار دوني لالتقائه من خلال زميله مايكل ونحن نضحك ولا نرد لنتمكن من جمع المعلومة. والتقى نتنياهو شخصيا في فلة بونزر بالشخصيات السبعة بالإضافة إلى ليث كبة [المستشار السياسي لجعفري] الذي انضم إليهم بدعوة خاصة من دوني؛ وتم كذلك دعوة شخصيات أخرى ورفضت الحضور. وردنا بعد ذلك أن الجعفري اجتمع على انفراد مع نتنياهو ثلاث مرات متتالية في لندن ورتبوا لقاءاتهم لان تكون في واشنطن بدلا من لندن للحيلولة دون افتضاح أمرهم. وذات ليلة التقيت الجعفري وسألته هل وصل اللهث على الكرسي حد التقاء نتنياهو فهمس بأذني "لا يجوز أن نعلم الآخرين بما تقوم به القيادات" وصمت.

كان في يوم اللقاء اجتماع صغير ضم حسين الشعلان وعبد الأمير علوان وفائق الشيخ علي ونوري العبد وجلال البياتي وفلاح شفيع وسامي فرج علي وطالب علي وقاسم غالي وكاتب السطور في فندق مزووك بـ«بادنكتن» وأشعرتهم بالاجتماع وبالمؤامرة التي تحاك ضدنا فأجابني حسين الشعلان بأنه يعرف ودعي للقاء نتنياهو ورفض وأثنى عليه جلال البياتي؛ وأكدوا أن كل ما نقلته إليهم من وقائع صحيحة وسجلت في محضر اجتماع المستقلين ألسابع عشر وأرفقت فيه الوثائق

عن شبكة «البصرة» المناضلة

الأربعاء ٢٣ محرم ١٤٢٧ هـ/ ٢٢ شباط ٢٠٠٦م

ملاحظة:

إبراز السطور باللون الأحمر والمغاير في الحجم تم من قبلي، لتوجيه الأنظار للنقاط المهمة.

والصورة التالية تكشف الإتجاه الحقيقي لموقف جعفري:

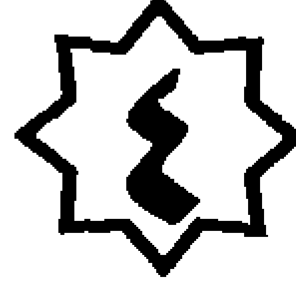


وريث يهود خيبر: دونالد رامسفيلد يستلم سيف ذي الفقار للإمام علي من إبراهيم الجعفري ربما للاعتذار من اليهود الذين قتلوا في الحرب على خونة بني قُريضَة

على يد أحد أتباع الرؤية الطائفية الصفوية الفارسية

[عن موقع التحالف الوطني العراقيwww.iraqipa.net: مقالات ومتابعات]

[٢٦] - راجع كتاب جيف سيمونز المعنون عراق المستقبل: السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، ترجمة سعيد العظم، الصادر عن دار الساقي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م، ص ٤٣٧. وللإطلاع التفصيلي على دور الشركات الأجنبية في العراق، يرجى مراجعة كتابنا المعنون «العولمة الأمريكية ضد الدولة العراقية»، الجزء الرابع، المنشور على موقع www.arabistan.org وفي القسم المخصص للكتب.



بين رؤية علماء أهل البيت الأبيض
ورؤية علماء أهل البيت

هناك تراث عند المسلمين العراقيين من أتباع المدرسة الإمامية في مواجهتهم الأجانب من غير المسلمين، نتناول هذا التراث من هذه المدرسة ورؤيتها هنا بشكل محدد وعلى وجه الخصوص، كي نتابع ما حدث من تطورات ملموسة في الجغرافية المحددة، وتكرار الأمثلة في الصراع بين الحق والباطل، بين الغزاة من الأمم الأخرى من غير الأمم المسلمة، والمدافعين المسلمين عن أرض المسلمين وبلاد المسلمين، في الزمان السرمدي المتعاقب، بغية إيجاد المعايير الفكرية والعملية، للتعرف على الأحكام الدينية العربية الإسلامية بصدد الواقع الراهن الذي يغزو فيه الصليبيون المتصهينون العراق: البلد العربي المسلم، من خلال أفكار وممارسات الإمام الإسلامي، المعصوم من وجهة نظرهم.

ليس تلك الآراء النظرية والخطوات العملية الملموسة التي سطرها الإمام الرابع علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم [٣٨ هجرية - ٩٥ هجرية]، فقط، من خلال الحالة التي جسّدها موقفه من حرب الإمبراطورية الرومية على الإمبراطورية الإسلامية، في مرحلتها الأموية، التي جسدها دعاؤه «لأهل الثغور»، بل علماء ومجتهدو الإمامية أيضاً، لرؤية تصرفات «علماء أهل البيت» الأبيض في الوقت الحاضر من واقع الصراع الراهن في العراق وعلى المنطقة العربية، الذين ليسوا مَنْ أيد الأمريكيين بالقول العمل فقط، من خلال العمل على تفتيت الجبهة الداخلية وبث الأراجيف فيها، بل أسهموا في نصرة عدوانه وأتباعه أيضاً.

لعل أبرزها مجريات الجهاد في عام ١٩١٤م، و١٩٢٠م، ١٩٤١م.

من المعروف أنَّ السؤال السياسي هو المفتاح الأساسي، وليس الرئيس فقط، لكل فعالية نظرية أو عملية، عند مواجهة التطورات الموضوعية، أية تطورات. كيف يمكن مواجهة الوضع السياسي الراهن في عراق اليوم، آنذاك، الذي كان يمر بلحظة تاريخية من التغييرات السياسية الدراماتيكية، وفي اللحظة الزمنية الملموسة تلك؟ ذلك هو السؤال الشاخص الذي أطلقته الجماهير العراقية في جنوب العراق: البصرة من خلال ندبهم رجال الدين العراقيين وتحفيزهم للتحرك، في البصرة، وعموم المنطقة الجنوبية التي يعتمد فيها مجلس حكيمي وقوات غدر على القوات الأمريكية لمحاولة جعلها اليوم أو غداً حالة مماثلة للمحمية الاِنعزالية في شمال العراق.

تقول إحدى «البرقيات التي اِستنجد بها المواطنون من مختلف مناطق العراق برجال الدين في العتبات المقدسة، يطلبون منهم النهوض والإعلان بالجهاد المقدس والنفير العام، لمقاومة الجيش البريطاني المحتل»،[٢٧]، وكان العلماء المجتهدون آنذاك هم الفئة المثقفة والواعية والمؤثرة بشكل رئيسي في البلاد نتيجة غياب المدارس والمعهد والجامعات وسياسة التجهيل العثماني المفروضة على البلاد، ولغالبيتهم الكلمة المسموعة عند الجماهير نظراً لتجرد غالبيتهم عن الزخارف الحياتية والمباهج الدنيوية وتواضعهم الملموس وعدم الاِرتباط بالأجنبي، كونهم اِرتبطوا بصاحب القدرة والجلالة من حيث المبدأ وعلى الدوام أيضاً، باِستثناء مَنْ تعامل منهم مع البريطانيين وقبض الرواتب الناجمة عن «وقف أودة» الهندي من سفارتهم في بغداد،[٢٨]، والتي يتحكم في عطاءاته المستعمرون البريطانيون الذين هم صليبيون غزاة لبلاد المسلمين...

تقول إحدى تلك البرقيات: «ثغر البصرة، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع»،[٢٩]، وكان بعض الأفراد العراقيين ورؤساء العشائر العربية قد توجهوا بأسئلتهم للمراجع العليا من المجتهدين، وللمرجع الأعلى على وجه الخصوص، تضمنت التالي: «لا يخفى على نجابتكم بموجب ما طرق مسموعنا، أنَّ جنابكم مآمرين بالجهاد، وهذا أخذناه من أفواه الناس بلا تحقيق، فإذا

جنابكم مآمر بالجهاد المرجو تعرّفونا سـراً حتى نكون على بصيرة من أمرنا، وإذا هذا الخبر ما له صحة نرجو كذلك تعرفونا، حتى لا يشعر أحد من الناس في هذا الخبر. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٢٩ ذا الحجة ١٣٣٢ هـ، الداعي سيد نور السيد عزيز»،[٣٠]، كانت أفكار الجهاد ضد الغزاة قد إختمرت في أذهان الجماهير العراقية جراء تفكير حضاري عربي مسـلم مديد، وقد تجلت أفكاره في ذلك التسـاؤل المطالب بأمر العشائر بالدفاع عن الوطن، فضلاً عن أحاديث أبناء المجتمع العراقي في بعض المدن والتي وصلت أخبارها للسيد نور الياسري.

وأمام هذه الأسئلة الواضحة في ضرورة إعلان الموقف، وضرورة المبادرة بإصدار الأوامر بالجهاد، فقد كانت الأجوبة إلزامية على الأسئلة الموجهة للفئة المثقفة الواعية التي تشتغل في الأمور الدينية، بتجرد ونزاهة والخوف من الإله الواحد الصمد الذي بيده الثواب والعقاب في اليوم الآخر، هنا نورد بعض الفتاوى التالية التي تحدد ضرورة مجابهة الأجنبي، وذلك رداً على السؤال التالي: القيام القيام يا إسلام ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤]. تُرى أمع وجود الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وإجماع علماء الدين، يبقى مجال عذر لأحد؟!. «كيف وإنْ يظهروا عليكم ولا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة»،[٣١]، وكيف تجسد جواب العلماء على تلك الأسئلة إذن التي هي مفتاح لكل فعالية سياسية وعملية جهادية ملموسة؟:

«غير خفي على أحد، أنَّ الدول الأوربية وخاصة إنجلترا وروسيا وفرنسا من قديم الأيام تتعدى وتتجاوز على الممالك الإسلامية دائماً، [...]، لذلك يجب على العشائر التي تقطن الثغور وعامّة المسلمين المتمكنين - إذا لم يكن فيه كفاية لحفظ الحدود - أنْ يحفظوا حدودهم، ويدافعوا عن بيضة المسلمين حسب قدرتهم، والله الناصر والمعين والمؤيد للمسلمين. الأحقر: محمد كاظم اليزدي». «على جميع العشائر والعائلات الساكنين في الحدود والثغور، وعلى عموم المسلمين لازم وواجب بما أوتوا من قوة، ومهما تمكنوا أنْ

يحفظوا الثغور وحدود البلاد الإسلامية. محمد تقي الشيرازي». «حفظ هذه الثغور من عدونا الكفور واجب حِفظها، حَفـَظـَها الله. حرره محمد سعيد الحبوبي. مصطفى الحسيني الكاشاني». «لا شبهة في لزوم دفع وقلع وقمع الكفار في مفروض السؤال كما يأمر المرقوم – مد ظله العالي». حرره الراجي إسماعيل صدر الدين محمد حسين الحائري المازندراني، الأقل علي بن الشيخ (قدس سره)، الجاني مهدي آل السيد حيدر الحسيني. «وجوب دفاع [أي دفع] الكفار عن بلاد المسلمين من ضرورات الدين، ومنكره معدود من الكافرين. الراجي محمد مهدي». «بسم الله وله الحمد، لا ريب في وجوب ذلك. حرره إبراهيم السلماسي الكاظمي، الراجي عفو ربه ورضاه راضي آل المرحوم الشيخ عزيز، بسم الله سيد حسن صدر الدين». «المطلب كما أمر به في المتن حضرة حجة الإسلام آية الله في الأنام روحي فداه بلا شك ولا شبهة. حرره الأحقر عبد الحسين أسد الله، الأحقر عبد الحسين آل يس، بسم الله الرحمن الرحيم، أقل الداعين محمد أمين أسد الله»، [٣٢].

المعروف أنَّ تلك الفتاوى هي إقرار بضرورة الجهاد بكل السبل والقتال في مقدمتها في الحالة السياسية الملموسة التي كان يتعرض إليها ثغر العراق للغزو البريطاني، وهي الحالة التي تتكرر اليوم مع العراق كله، وليس البصرة فقط، أو أجزاء منها في جلية الأمر: الشعبية، ومع ذلك يلتزم «المجتهدون المسلمون» التابعون للرؤية الفارسية الصفوية في كل العالم الإسلامي، صمت القبور عن الِاحتلال الصليبي الصهيوني للعراق، رغم إدراكنا إلى حقيقة موقف العلماء والمجتهدين في المذهب الإثني عشري إلى أنهم {لا يجيزون الجهاد إلاّ إذا كان بأمر أو موافقة من الإمام المعصوم، الذين يتمسكون بأقوال نائبه: على خامنئي على ما فيه من قصور فقهي قياساً لمفهوم «الأعلمية الدينية»، الذي هو مُلازِم للتقليد عند الأتباع الإمامية، غير أنهم يجيزون الجهاد في حالة تعرض البلاد الإسلامية لخطر مهاجمة الكفار له، وهم عند ذلك يطلقون عليه اِسمَ «الدَفاع»}، [٣٣].

ولكن الأتباع لا يمارسون اليوم جهاد الدفع فقط، إنما يشنون «جهاد» الهجوم والمبادرة ضد العرب والمسلمين المقاومين للأمريكيين، ويشنون الحملات العسكرية جنباً

إلى جنب، أو خلف، القوات الأمريكية، وتحت الرايات الصليبية الصهيونية. ناهيك عن معتقلات الجادرية وغيرها والهجوم على مدن العراق المختلفة ودريلات قوات غدر وجلاوزة وزارة الداخلية، هي الشهادات الموثـقـة على ذلك «الجهاد الحفيزي» الأمريكي التابع لتعليمات أهل البيت الأبيض.

لقد ذهبت دعوات العلماء محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري، وغيرهم، للجهاد العيني في مواجهة الفرنجة الإنكليز أدراج الهواء حول «وجوب مشاركة الحكومة المسلمة في دفع الكفار عن بلاد الإسلام»،[٣٤]، يؤكد أحد الكتاب الصفويين يوم كان يعمل ناشطاً ضمن ما يسمى بصفوف المعارضة الإمامية المزعومة التالي: «لقد كان علماء الشيعة سبّاقين إلى الفعل السياسي المؤثر الذي يدعم الدولة ضد التحديات الإستعمارية. إنهم يتناسون مآسي الأمس، لأنهم يجدون في تحديات اليوم خطراً يستهدف الإسلام والمسلمين، وهذا ما شكل مفاجأة مذهلة للدولة العثمانية عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى»،[٣٥]، ولكنه اليوم يشارك في ثرائد المحتلين، ويتلقى «أسهم غنائمهم»، مثلما يساهم في حض الأتباع في «قتال الإرهابيين» أي المقاومين باستخدام أوصاف وذرائع ومخاتلات أتباع الزرقاوي الذي يقول أحد المتابعين لنشاطه المزعوم في العراق: روبرت فيسك، أنه لم يشارك بوفاة أمه أو والدته ولو بكلمة تعزية واحدة، أو يدفع أي درهم لزوجته: عِرضه ولو بقرشٍ واحد رغم إملاقها الشديد وبحثها عن عملٍ تسد بها أودها.

متناسياً ما سطره في الأمس، مثلما عمله في هذا اليوم، الذي كان - كما يبدو - مجرد جهاد أيديولوجي من أجل وصول المحتلين الأمريكيين: الصليبيين المتصهينين، لبلد العراق العربي المسلم، ولا نريد في هذه الأوراق من التمادي في النقاش الموضوعي مع مَنْ يدعون الإلتزام بالنظرة الإمامية، إذ أننا نريد من عرض هذه الرؤية والأفكار الجوهرية عن «الأئمة المعصومين» وأتباعهم الحقيقيين، تبيان المعايير الإسلامية في كيفية مواجهة الغزاة غير المسلمين، وذلك من خلال التطرق إلى ما أفاضت به نظرة الشيخ مهدي الخالصي

الكبير حول كيفية تجليات السلوك الإمامي في مواجهة مثل هذه الحالة،[٣٦]، وضروراته الدينية، فتلك النظرة موثقة لمن يريد التدبر في لوحة الصراع الكلية..

ورغم أنَّ بعض كتب الجهاد ورسائل الحق بالدفاع عن شريعة الإسلام وبلاد المسلمين قد كُتبت باللغة الفارسية، إلا أن أحداً من أبناء فارس - وواحداً فقط - لم يأتِ للجهاد ضد الإنكليز، شأنهم شأن بعض الأعراب العملاء للبريطانيين الذين حاولوا [ونجحوا في ذلك مع الأسف] منع جهاد المسلمين في البلدان الذين يديرون وضعها السياسي، ضد المستعمرين،[٣٧]، وفي المقابل هبّت الجموع العربية من الأحواز بنصرة إخوانهم العراقيين والمسلمين عبر التطوع الواسع،[٣٨]، مثلما حدث عند اِحتلال أمريكا للعراق في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م حيث تدفق الألوف من الأحوازيين على العراق، فيما حاولت السلطات الأمنية الفارسية منعهم واِعتقالهم، وفيما كانت الحكومة الفارسية، أيضاً، كما يقول محمد أبطحي ممثل رئيس الجمهورية الإيرانية «الإسلامية» للشؤون البرلمانية، ونائبه، في ندوة في الإمارات العربية المتحدة تتعاون [اِقرأ تتواطأ] مع الأمريكيين ضد العراق في الحرب العدوانية التي شنتها في ٢٠ آذار من العام ٢٠٠٣م.

ومن الجدير ذكره أن أتباع شيوخ عشيرة السعدون: وهم بعض القادة الميدانيين للجهاد، ممن ينتمون إلى مدينة البصرة، قد لعبوا دوراً ملموساً وكبيراً في عملية الجهاد المسلح ضد الغزاة البريطانيين، إذ كان عجمي السعدون «أبرز قادة المجاهدين وغدا اسمه مضرب الأمثال في الشجاعة والشهامة وحيكت حول أعماله أساطير كثيرة لا تزال تتناقل جيلاً بعد جيل»،[٣٩]، فيما كانت مائدة عبد الله الفالح السعدون تطعم ثلاثة آلاف مجاهد ومسافر وأعرابي، يومياً، وفي كل وجبة طعام، اِبتغاء مرضاة الله والعمل في سبيل محاربة الكفار ومحاولة صد الغزاة عن أرض العراق، أو كما يقول عبد اللطيف الشواف: أحد الكتاب العراقيين «كمثل على رجولة عبد الله الفالح وكرمه وتضحياته في سبيل الإسلام»،[٤٠]، ورفض بإباء كبير وأنفة عالية كل إغراءات البريطانيين: الأعداء الغزاة المحتلين لِاستمالته هو واِبن عمه المجاهد عجمي السعدون. ومن المعلوم أنَّ أبناء السعدون هم أحد الطوائف الإسلامية المغايرة لأتباع الرؤية الإمامية.

أما في ثورة العشرين، وفي المقدمة منها ذلك الِاصطفاف الإسلامي الرائع ما بين الطوائف المسلمة الذي شهدت بغداد العاصمة ممارساتهم المشتركة، والعمليات البطولية في تلعفر، وذكريات الجهاد ضد الغزاة المستعمرين في الشعيبة، وإنتفاضة رجالات النجف الأشرف ضد البريطانيين في عام ١٩١٨م، ومختلف الأعمال المناوئة للمحتلين البريطانيين الذين أرادوا فرض اِنتدابهم على العراق: أي حكمهم المباشر، مثلما يقوم به الأمريكيون اليوم من خلال القوة العسكرية التي يبلغ عددها حوالي الـ ٢٠٠ ألف عسكري بما فيهم حلفاؤهم الغربيون الأتباع، ناهيك عن أفراد الشركات الأمنية من العسكريين المرتزقة والقتلة المتفرغين، علاوة على «شبانتهم»،[٤١]، العراقية الجديدة: المغاوير والحرس الوثني والشرطة وقوات غدر.

فقد كانت فتاوى العلماء في مقاومة الِاحتلال البريطاني بشتى الوسائل والأساليب لا تعرف المخاتلة والتدجيل والتحدث في لقاءاتهم السرية بلغة سياسية مستسلمة ومؤيدة للعدو المحتل، والإدعاءات أمام الجماهير بلغة كلامية حماسية سياسية أخرى، [كما هو حال العلماء الحفافيز الصفويين والفرس الجدد]، وإصرار الجماهير العراقية بضرورة تعميمها على كل الأوساط العراقية من خلال تعليقها في المساجد والشوارع وكل أمكنة تجمعات الناس، والحث على ضرورة الِالتزام العملي بمضمونها الفعلي، لا الكلام في شكلها اللغوي، والقيام بمتطلباتها بشكل متواصل من أجل التعبئة العملية ضد العدو الصليبي الصهيوني المحتل، وكانت من حيث الوضوح والصراحة للدرجة التي غدت الشاشة المعرفية والتحريضية التي تعكس معرفة الحقيقة العملية الملموسة، وتمييزها عن النفاق المذموم قرآنياً، مثلما شكلت المقياس الموضوعي لمعرفة الملتزمين فعلاً بالرؤية الحضارية العربية الإسلامية، ناهيك عن دور اِشتعال فصولها العملية الناجمة عنها وعن غيرها، في رسم نهج الثورة المناوئة للِاستعمار الغربي، وأصبحت المعايير المشعة والوضاءة في إنارة جميع الأعمال، وبالتالي تمكنت تلك الفتاوي من فضح بعض ممارسات «الحفافيز» الجدد: كالمقبور باقر حكيمي وأخيه عزيزي ومَنْ هم على شاكلتهما الكثير. وبالتالي مزقت فضائحَهم وسواترَهم أعمالُهم الدنيئة المشمولة بخزي الدنيا وعار الآخرة ذاتـُها.

المراجع والهوامش

[٢٧] - راجع كتاب السيد كامل سلمان الجبوري المعنون النجف الأشرف وحركة الجهاد عام ١٣٣٢ - ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت / لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م، ص ٥٩. وغيره من الكتب الذي تناولت موضوع الجهاد.

[٢٨] - راجع كتابنا المعنون العولمة الأمريكية ضد الدولة العراقية، الجزء الخامس، الفصل المعنون بـالصفحة النقدية الثانية، حول البعض المتاجر بالقضية الوطنية العراقية: العدو الأمريكي يفضح أنصاره.

اللهم لا شماتة

والمنشور على موقع عربستنا: **www.arabistan.org**، وفي باب الكتب، حيث أوردنا أسماءهم ومركزهم والمصدر الذي إعتمدنا عليه في ذكر الوقائع.

[٢٩]، الجبوري، المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

[٣٠] - المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٣١] - المصدر السابق، ص ٦٠.

[٣٢] - كل الإستشهادات مقتطفة من الصفحات ٦٠ - من كتاب السيد كامل سلمان الجبوري التي أورد الوثائق المصورة عن بعضها.

[٣٣] راجع كتاب الدكتور علي الوردي، اللمحات، مصدر سبق ذكره في الحلقات السابقة، ج ٤، ص ١٢٧.

[٣٤] - المصدر السابق، ص ١٢٨.

[٣٥] - راجع كتاب سليم الحسني المعنون دور علماء الشيعة في مواجهة الإحتلال ١٩٠٠م — ١٩٢٠م، إصدار دار الغدير ١٤١٥ هجرية / ١٩٩٥ ميلادية، بيروت / لبنان، ص ٧٩. والمآسي المقصودة عند الكاتب، هي الحوادث التالية: «إنَّ تاريخ العلاقة بين الدولة العثمانية والشيعة يشير في أرقامه السريعة إلى الإضطهاد الذي عاناه الشيعة من قبل السلاطين العثمانيين، فقد كانت أول رد فعل طائفية لهم عندما أعلن الصفويون في إيران أنَّ التشيّع هو المذهب الرسمي لدولتهم، فبادر العثمانيون إلى إضطهاد الشيعة، ومارس السلطان سليم الأول سياسة إضطهاد قاسية ضدهم، فقد اعتبر الشيعة غير مسلمين، وأعلن ضدهم الحرب المذهبية، وإستصدر من رجال الدين في دولته فتوى بتكفير الشيعة وجواز قتلهم، وبناء على تلك الفتوى أقدم على قتل أربعين ألف شيعي» فيما قتل مراد الرابع «خمسين ألف شيعي» في عام ١٦٣٨م، وفي كربلاء «قتل نجيب باشا عشرين ألفاً من سكان المدينة» في عام ١٨٤٢م، ويعطي السيد سليم الحسنى العديد من الحوادث والشواهد

الأخرى لكي يبرهن على فكرته الطائفية، [ص ٧٧ / ٧٨]، ويتضح ذلك جيداً من تجريده تلك الحوادث، وفي الأعم الأغلب، من عوامل الزمان والمكان والصراع بين الكيانين: الفارسي والعثماني الذي كان ضحيته الأولى أبناء الشعب العراقي: سنة وشيعة، ولكن مع ذلك يتناسى الكاتب الذي زعم أنه مسلم يدعو لمواجهة الأجنبي الغازي بالأمس، في هذه الأيام كل ما كتبه في السنوات السابقة ويقف اليوم في صفوف الزمرة المؤيدة للإحتلال الأمريكي للعراق، من خلال قلمه / دعايته، وموقعه السياسي كعضو في الجمعية «المنتخبة» في ظل حماية الأمريكيين ودستورهم الذي فصّله نوح فيلدمان / بول بريمر ولبسه العملاء وفق المقاس التبعي لكل واحد منهم، وعِبْرَ مناوئته للمقاومة الوطنية العراقية المسلحة التي تخوض نضالاً باسلاً ضد القوات المحتلة للعراق.

ولتغدو فكرته الأيديولوجية المريبة والقائلة «وبذلك إندلعت الثورة العراقية في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، ليستكمل فيها المشروع الشيعي منهاجه الطويل في العمل السياسي ضد الإستعمار، والذي بدأ بالتحرك السياسي، ثم لجأ إلى العمل المسلح حين لم ثمة خيار آخر غير الثورة»، [المصدر ذاته، ص ٢٤٤]، مجرد فكرة للشعوذة والتضليل على ما فيها من سفاهة طائفية تحاول إلباس الواقع العراقي كله، القائم آنذاك، لبوس الرؤية الطائفية التي كانت أحد الأسباب الأساسية في الإحتلال الأمريكي: الصليبي المتصهين للعراق، ويبدو فيها اليوم أنَّ القوات الأمريكية وحلفاءها: الدولة المعتدية الغازية المحتلة هي المسعف لتوجههم السياسي، والمنفذ لمخططاتهم السود، وهي التي نقلت قادتهم الذين يتزيون بالعمائم ويروجون مزاعم التدين من الخارج إلى بغداد بإستخدام الطائرات أو أبراج الآليات العسكرية، من وجهة أصحابه وأنصار الرؤية الطائفية، بحيث لا مناص من الإتكاء على فعلهم المجرم بحق العراق: الماضي والحاضر والمستقبل كون الإستعانة بالصليبي الصهيوني ضد العرب المسلمين، هو الحل الوحيد عندهم، إذ «لم يعد خيار آخر غير» إمتطاء الدبابات الأمريكية للوصول إلى بغداد.

[٣٦] - لم يكتف الخالصي الكبير بالجهاد ضد المحتلين البريطانيين للثغور التي أوضحها في رسالته المعنون «الحسام البتار في جهاد الكفار» بل أضاف لها عندما «أصدر حكماً أوجب فيه على المسلمين صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفار، ومَنْ إمتنع عن بذل ماله وجب أخذه منه كُرهاً».، راجع كتاب الدكتور علي الوردي المشار إليه وعلى نفس الصفحة.

[٣٧] - من قبيل ما فعله حكّام الكويت من آل صباح عندما منعوا أي تطوع ينطلق من جنوب العراق في الكويت، بذرائع: التعاون: [إقرأ العمالة] المطلقة وحجج متهافتة من بينها ما قاله مبارك جد الحكام العملاء الحاليين من أسرة آل صباح «أنا مسلم عثماني أغار على ديني وعلى دولتي ولا أحب مَنْ يمسها بسوء غير أني إتفقت مع الإنكليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي، ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم وإنْ كنت لا أحبهم وديني غير دينهم»، راجع المصدر السابق، ص ١٤٤. ورغم غزوهم لبلاد المسلمين وقتلهم لآلاف العرب المسلمين ونهبهم، فإنَّ المقبور لا «يرضى الطعن فيهم»، مجرد

طعن الكلام فيهم [أي التحريض الكلامي] والجهاد ضدهم، واليوم يسير آل الصباح في طريق العمالة الذي سلكه أسلافهم، وفي أعقابهم، خطوة إثر خطوة، ليغدو من خونة الدين والوطن والتاريخ العربي الإسلامي، والمثال العملي الموبوء لتراث أجدادهم الذي خلفوه لهم، ويتبعه اليوم سادة الأسرة السِـفاحية ضد العراق ولصالح الأمريكيين في هذه المرة. وهل تلد الحية الصفراء السامة غير الحية الصفراء النابية؟. التي تمثلها روحية القبح والوقاحة المضافة إلى تصرفاتهم الحالية، والفجاجة والعهر إلى ألسنتهم بتصريحاتهم العلنية.

[٣٨] - راجع المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٢ و الصفحة ١٤٦.

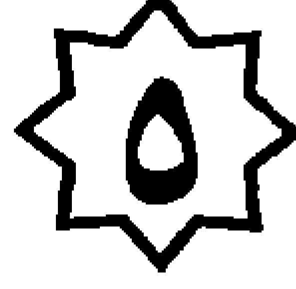
[٣٩] - [راجع كتاب عبد اللطيف الشواف المعنون شخصيات نافذة، الصادر عن دار كوفان للنشر، لندن/ بريطانيا، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص ٣٣.

[٤٠] - المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٤١] - الشبانة منظمة عسكرية أقامها البريطانيون لمساندة المحتلين وتنفيذ تعليماتهم، كما هي حالة التنظيمات العسكرية المشار إليها والتي أنشئت بعد الإحتلال الأمريكي للعراق، وفي الماضي الإحتلالي للعراق قام المحتلون، ايضاً، بذات الخطوة العملية، فقد تمكن البريطانيون «في نهاية سنة ١٩١٧م أنْ يؤسسوا قوات عسكرية قوامها أفراد العشائر سموها «شبانة» - بعد أنْ قدموا لبعض الرؤساء والشيوخ الأراضي والأموال - كان الشعب يسمي «الشبانة» كفاراً ويلعنهم في الشوارع، وكان الناس يعلنون عن نبذهم الإجتماعي للشبانة بطرق شتى. فكانوا لا يقدمون لهم الشاي والقهوة في المقاهي، وكان يكسرون الأواني والمواعين التي يأكلون بها، وكانت نساؤهم تصرخ وتستغيث بأزواجهن من الشعب الغاضب عليهن. وفي كثير من الحالات كان الشعب يعبِّر عن سخطه ونقمته بأخذ زوجات «الشبانة» بالقوة وإرجاعهن إلى عشائرهن، وحتى كن في بعض الحالات يقتلنَّ، وقد نصب الإنكليز «صكبان العلي» رئيساً للشبانة في الناصرية سنة ١٩١٩م. (كتاب ولسن، المجلد ١، ص ٦٨». [راجع تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة الذي يبين الأحوال الإجتماعية والسياسية للعشائر البريطانية وعلاقاتها بالإدارة البريطانية، نقله إلى العربية الدكتور عبد الجليل الطاهر، نقلاً عن النسخة المصورة في طهران، لكتاب العشائر والسياسة، والصادرة عن مطبعة أمير - قم، وتوزيع إنتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى في إيران، سنة الإصدار ١٣٧١هـ (أي السنة الفارسية المتبعة في الكتابات الإيرانية - ب - ص) - ١٤١٤ هجرية، ص ٢ - ٣. فهل نوري العلي الذي إنتحل إسم جواد المالكي هو الوريث «لصكبان العلي»، وكلاهما تبناه البريطانيون والأمريكيون.

٨/ ٣/ ٢٠٠٦م باقر الصراف

كاتب عراقي مقيم في هولندا



الوحدة الاجتماعية: أسبابها
الرؤية التفتيتية: أبطالها

خلال ثورة العشرين الوطنية الكبرى، وعشية تفجرها أيضاً، فقد تجلت الوحدة الاجتماعية العراقية على أساس سياسي واضح، لخص هذا الأساس وكثفه بشكل ملموس، حقيقة نضال العراقيين من أجل الاستقلال السياسي الذي تبلور في أعقاب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م – ١٩١٨م، وحسم خيارهم عند المجموع العراقي بالوقوف ضد السلطة العثمانية التي ارتكبت المجازر [التي كان أبرزها مجريات ما يُعرف بـ«دكة عاكف» في مدينة الحلة التي استباح الجيش العثماني المجتمع الحلي لعدة أيام: يقتلون وينهبون ويغتصبون]، وتسببت بالهزائم العسكرية الفادحة أمام البريطانيين، من ناحية أولى، ومع تطور الوعي السياسي والفكري عند رجال العراق، بشأن الأهداف السياسية للمستعمرين البريطانيين، من ناحية ثانية، فقد كان النهوض الوطني واسعا وتجلياته العملية أوسع من ذي قبل، من الناحية الثالثة، وقد تطرقنا إلى معالم أساسية من ذلك النهوض، في المادة الفكرية أعلاه، ونتواصل في هذا القسم مع التطورات الشبيهة التي نؤكد فيها، وعبرها أيضاً، على جانب وحيد من ظاهرة الثورة المسلحة الوطنية الكبرى: ثورة العشرين، هو الجانب الذي يتعلق بموقف رجالات الدين الذي يدعِّي مرتزقة اليوم المعممون ممن يعملون عند المحتلين الأمريكيين من الذين يتحركون على ضوء إستراتيجية المحافظين الجدد: الصليبيين المتصهينين...

يدعُّون: أنهم ورثة أولئك المجاهدين الذي لم يكتفِ بعضهم بتغيير المنكر الاحتلالي باللسان فقط، بل مارسوا العمل الجهادي باليد المناضلة أو العمل الكفاحي أو الإسهام

بالجهد الوطني المسلح، جنباً إلى جنب عشرات الألوف من الفلاحين العراقيين وأبناء المدن العراقية، مادة الثورة الشعبية ونسغ دمائها الزكي، ضد الأعداء الغزاة البريطانيين المحتلين للعراق آنذاك، كمقدمة لابد منها للوصول إلى موئل تراث أولئك المجاهدين الأوائل من ذلك الرعيل الإمامي الأول وعلى رأسهم الإمام علي بن الحسين بن علي رضى الله عنهما، الذي نعتبره المثال الأقرب والملموس على رؤية الشهيد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما، بغية تسليط الضوء على المجاميع الصفوية الفارسية التي تسيِّر الأتباع من العراقيين، والتي نشهد اليوم بعض آثارها في الممارسات التي تطفلت على رؤية الإنتفاضة الحسينية السياسية.

لقد كانت خطوات ثورة العشرين العراقية الوطنية في سيرورتها واضحة نحو تكتيل جهود جميع الوطنيين العراقيين من كل الطبقات والفئات والإتجاهات السياسية المخلصة للعراق، كان الشعار المشترك للجهود الوطنية هو الإستقلال الوطني ونيل السيادة على الوطن والثروات وإقامة نظام نابع من مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية، هذا الهدف السياسي العام الجامع لأغلب مكونات الشعب العراقي. وكان لممارسات العدو المحتل المتسمة بالعنجهية والصلف والتكبر في مجتمع يعتز بكرامة رجالاته الشخصية أيما إعتزاز دورها الرئيس في نشوب الثورة وصيرورة نتائجها مظهراً عاماً للتطورات السياسية اللاحقة، قبل أي شيء آخر، بما فيها وجهة نظَّر كتَّاب الأيديولوجية الطائفية أو الحزبية.

لقد أراد البعض تفسير حوادثها على أساس طبقي ستاليني، فجاء جهده المعرفي كمن يحاول بري الجسد الوطني العراقي لإلباسه حـُلة عصرية مستوردة من روسيا، وكان كوتولوف هو الأول من بين سلسلة الدارسين حولها على الأساس الطبقي الستاليني. وآخر- الثاني - بذل الجهود الكثيفة ليحصر كل تطوراتها التاريخية وفي المكان العراقي، في سياق منطق طائفي قميء لا يرتبط والدين الإسلامي والقيم العربية السامية بأي رابط حضاري، فقزَّم فيها مساهمة كل الثوار المسلحين من مختلف الفئات العراقية الثائرة، والعمل الفدائي البطولي لجـُل العراقيين، من أجل إظهارها في هيئة الجبة والعمامة وناجمة

عن فتاوى مذهبية/ دينية لبعض الذين لم ترَ الشـمس وجوههم إلا نزراً يسيراً، وهو المشترك في رؤية الطائفيين الذين يخونون حتى منطقهم الأدبي والسياسي عندما يعاونون الأمريكيين في عملية الإحتلال للعراق. والثالث - كما هو الشيخ فريق الفرعون - حاول إرسائها على أكتاف مشايخ العشائر دون غيرهم من أجل تحويل التاريخ الواقعي والحي، إلى تاريخ سلاطين ومشايخ قبائل وعشائر... ونحن نتكلم هنا عن الذين كتبوا عن نجاح الثورة من الناحية السـياسـية، لا المتابعات الفكرية والسياسية من الناحية السلبية، أو الذين اِلتزموا بنظرية المرحوم الدكتور على الوردي حول البداوة والحضارة، والمغالبة، والشـخصية المزدوجة للفرد العراقي، وتجلياتها الإجتماعية في الفرد العراقي في الهروب أو النهب أو الإضطرار في المشاركة كون الآخرين إشتركوا في الثورة.

لقد غابت النظرة العلمية الكلية، لا الجزئية التجزيئية للحدث الثوري، عن تسجيل وقائعها الحقيقية، وغابت نظرات القائمين فيها، مثلما توارى عن الواقع السياسي الملموس منظورهم المستمد من وقائعها عن مسارها السياسي العراقي والعربي، وجرى تغييب المجتمع العراقي بمختلف تلاوينه الإجتماعية والجغرافية، لصالح إحدى التصورات الذهنية المجردة عن الواقع الوطني العراقي المحسوس وامتداداته القومية العربية، لصالح مقولات فكرية طالما كررت نفسها في العراق خلال الفترات اللاحقة، ولكنها لم تقـْدِر على تحريك ليس الواقع فقط وليس تغييره الشكلي أيضاً، بل حتى مقاومته الجماهيرية الشاملة، والدليل على ذلك فقد شكل نفي بعض العلماء المراجع برهاناً ساطعاً على واقع الحال القائم آنذاك، إذ لم يترك غيابهم عن العراق حتى بادرة إحتجاج عامة من أجلهم، ما خلا الإحتجاج عند البعض، فرجعوا للعراق بتلك الصورة الذليلة التي تحدثت عنها رسائلهم المنشورة،[٤٢]، والقرآن يقول في بعض آياته «فتمنوا الموت إنْ كنتم صادقين»، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، [البقرة : 94].

خصوصاً بما فيها قيام الثورة العربية التي قادها الشريف حسين، والتي هدفت للتحرر من العثمانيين وتوحيد العرب، ولكن ذئبية التفكير البريطاني الإستراتيجي ومخاتلاتها السياسية [سايكس - بيكو، وعد بلفور، سياسة الإنتداب المباشر... الخ] وسذاجة قيادات تلك «الثورة الكبرى» التي راهنت على العامل الأجنبي، في وقتٍ لم يتضح أي واقع سياسي تجريبي يدلُّ على دجلهم وكذبهم ومناوراتهم بعد، على العكس تماماً، مما أفرزته الوقائع التجريبية طوال المدة الزمنية التي أعقبت التفكير الشريفي/ الحسيني بعد ذلك، مثلما يتلمسها أبناء شعبنا العربي في كل مكانٍ وزمان خلال هذه المرحلة، وما نتج عنها من اِستبدال واقع سياسي عثماني بغيض: أراد في مرحلة سيادة قيادة جمعية الإتحاد والترقي الطورانية فرض التريك الإداري واللغوي على العراقيين، كما يقول الدكتور توفيق برو،[٤٣]، باِستعمار غربي أشد مكراً في النوايا السياسية الخبيثة ودهاءً في التخطيط والعمل، ناهيك عن تدثره بشعارات زائفة ووعود معسولة حول حقوق الشعوب المستضعفة، وضرورة نيلها الإستقلال السياسي.

لقد كان الوعي السياسي عند العراقيين ممن اِحتكوا بالعثمانيين وتلمسوا سياستهم في كل المؤسسات الحاكمة خلال المرحلة التاريخية البرجوازية التركية الحديثة التي قادها حزب «الإتحاد والترقي»، من جهة، وعاشوا في الغرب، أو قرؤوا عنه، أو سمعوا عن نهضته السياسية الكبرى، من جهة أخرى، قد بين مدى تخلف العرب الشامل والظلم الذي لحق بهم، فنزعوا للاِستقلال السياسي، ومر تطور مراحله من ضرورة التمتع بسلطة الحكم الذاتي الإداري وحتى نيله الاِستقلال السياسي التام، وقد اِستغرقت العملية من أواخر العهد العثماني قبيل الحرب العالمية الأولى التي اِندلعت في عام ١٩١٤م، بحوالي عقدٍ من السنوات وحتى أوائل العام ١٩٢٠م التي كان أبرزها ثورة مصر في عام ١٩١٩م التي رفعت شعار: «الإستقلال التام أو الموت الزؤام»، وثورة العشرين العراقية المسلحة، وغيرهما من حركات اِحتجاج واِنتفاضات في فلسطين وسوريا وفي عموم بلدان المشرق العربي وإنْ لم يكتب لها النجاح السياسي.

لقد جاء الِاحتلال العسكري البريطاني على أمل حصول الشعوب العربية منه التحرر والتوحد كما هي الوعود السياسية المعطاة لهم، ولكن البريطانيين: شأنهم شأن أي إِستعمار آخر أرادوا السيطرة على المنطقة العربية كلها، وكان تقاسم النفوذ ما بين الفرنسيين والبريطانيين هو المعْلَـم الأساس لنتائج الحرب العالمية الأولى، من ناحية إِنعكاساتها على الوطن العربي. وكان العراق المؤلف آنذاك من ثلاث ولايات هي «الموصل» و«بغداد» و«البصرة»، من نصيب الِاستعمار البريطاني، فحكمه حكماً مباشراً معتمداً على قوته العسكرية المباشرة، وعلى توظيف جهد البعض المغفل: المدني والعسكري، إلا فيما ندر: كنوري السعيد الذي نشر فرية وذريعة: ماذا نفعل وقد خسرت الإمبراطورية العثمانية في الحرب؟ وبات العمل عندنا هو العمل في وسعنا من أجل إنجاز ما هو ممكن: مجرد نيل حقوقنا عبر البريطانيين.

وكانت بريطانيا السبب في إِشتعالها أي الحرب والغزو - كما تردد الأحزاب الصفوية «العراقية» مثل تلك الأقوال الآن، وهي تغض النظر عن المخططات السياسية الغربية التي يرسم أبعادها المحافظون الجدد: الصليبيون الجدد، لترمي الطرف العراقي باتهامات سخيفة حول مسببات تلك الحرب العدوانية... لترميها على العراق - في سياق خططه السياسية الرامية للهيمنة والسيطرة والنزوع لتملك العراق كله، أي بالِاعتماد على المرتزقة المحليين الذين كان أبرزهم: التنظيم «العسكري» المسلح لتنفيذ خططه السياسية، وما تتطلبه من عمليات قمع: الذي كناه بـ«الشبانة». وما أشبه اليوم الأمريكي بالبارحة البريطاني.

كانت السياسة البريطانية في العراق سياسة رعناء مجحفة ظالمة جائرة، لقد لخَّص الدكتور علي الوردي آراء معظم الكتاب العراقيين الوطنين، ممن تناولوا بالفحص والتحليل أسباب تلك الثورة الوطنية الشاملة، عبر العديد من مؤلفات بعضهم الرصينة، فبينوا خطوط السياسة البريطانية العامة التي أبرزها: «الضغط والإِستغلال الِاقتصادي وإِستنزاف جهود العاملين في الزراعة» وهو ما أثَّـر على «طبقة الزراع والفلاحين قبل

غيرهم» في كل الريف العراقي، و«الضغط السياسي» على العراقيين، ومنعهم بالتالي من «اِختيار حكامهم وحكوماتهم بملء إرادتهم» وشكل «أبناء المدن والحواضر» رأس الرمح في فتح الفجوات المضيئة في جدار ذلك الضغط المظلم والظالم، وما أدى إلى تمدده في مختلف صفوف المجتمع فتوسعت الروح المطلبية الاِستقلالية، أولاً، وقبل أي اِعتبار أيديولوجي تخطيطي جامد آخر أو أية غاية أيديولوجية طائفية أو عشائرية.

لقد اِحتل البريطانيون العراقَ على خلفية الشعار السياسي الذي أطلقه الجنرال مود: «لقد جئنا محررين ولسنا فاتحين» ولكنهم فرضوا سيطرتهم العسكرية التامة على الوطن العراقي وأذاقوا شعبه شتى صنوف الظلم والعسف والعذاب، فقد «عاملوا أحرارهم وزعماءهم بكل قسوة وشدة وفظاظة، وأخذوا يسلطون عليهم موظفيهم العسكريين المتهورين الجهلة الذين لا يعرفون العراقيين إلا أنهم أعداء للإنكليز يجب إخضاعهم وإذلالهم والاِزدراء بهم والتنكيل بزعمائهم وقادتهم»، وبالتالي «ظهرت سياستهم الخرقاء، وأنزلوا بالعراقيين شتى ضروب الظلم والإرهاق»،[٤٤]، الأمر الذي ألحق الأذى بوضعهم السياسي والاِقتصادي والاِجتماعي، وجرح كرامتهم المعنوية بشكل غير مسبوق، فتوجه بعضهم للقادة الدينيين، يشكونهم مآل الحال، وضرورة الرد «باليد واللسان» على المحتلين، هنا رأى بعض العلماء أنْ يشدوا أزر المجتمع العراقي الغاضب من البريطانيين، ثانياً، وكان عليهم الاِنسجام مع تاريخهم المديد - {قبل أنْ تهيمن عليهم رؤية الزمرة الفارسية الصفوية البغيضة} - يقول الشاعر محمد مهدي البصير الذي كان أحد العاملين النشيطين في تلك الثورة، والمجاهد الوطني الصلب أنَّ العالم المجتهد تقي الشيرازي:

«رضي أنْ يشدَّ أزر الحركة القومية لتقوي بها مركز الإسلام، وعلى هذا أمكن أنْ تجتمع الأيدي العاملة، فتقوم بعمل سياسي مشترك»،[٤٥]، ويعني ذلك فيما يعنيه هو أولوية مواجهة الغازي: العدو الأجنبي الصليبي المتصهين، على ما عداه من اِختلافات مذهبية داخل صفوف المسلمين، {وهو برهان آخر، ومضاف لمسار الإمام علي بن الحسين وما تركه لنا من مثال عملي ملموس سنتطرق إليه بشيء من التفصيل في أواخر هذه الحلقة}، محتواه

يبين، مدى دجل الحفافيز الجدد الذين يجدون في الدين الإسلامي الحق مجرد مقولات جامدة لا حياة فيها ولا نضارة في أي تحرك عملي منها، أليس المقولة الخالدة للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب تنطبق عليهم بالملي متر وبحذافيرها كلها:» الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معايشهم» أو عمالتهم كما تبينه الوقائع اليومية في هذه الأيام.

وهذه الحركة السياسية الواضحة الهدف الوطني قد عزز تبيان محتواها نجل الشيخ تقي الشيرازي العلامة محمد رضا، والذي نفته السلطات البريطانية إلى خارج العراق: جزيرة هنجام بمعية أحد عشر مجاهداً عراقياً من أبناء كربلاء المناوئين للبريطانيين الذين بقوا أسرى هناك لمدة تقارب حوالي العام، في رسالته «إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير علي [بن الحسين] ولي عهد السلطة العربية حفظه الله» التي جاء في سياقها كما يقول الشيخ محمد رضا: «يا سمو ولي العهد، إنَّ القطر العراق كسائر الأقطار العربية التي بايعت جلالة الملك أبيكم، وأزيدكم أنه أكثر تحمساً في سبيل الإستقلال التام، وأشد نعرة قومية، وأقرب إلى الوحدة العربية، وذلك لأنه مسكون بشعب عربي بحت ليس فيه دخيل يُخشى من شره»، وكبر على العلماء منهم «أن يروا تحقير المسلمين وازدراءهم من أعدائهم، نعم كبر عليهم أنْ يروا الأعلام الصليبية تخفق على البلاد العربية، فالله الله في العراق وانتشاله من مهاوي الحيف والجور» فقد «عاث فيها أعداء الإسلام فساداً وضيقوا الخناق على إخوانكم الذين أبكاهم التحكم الغريب والظلم العجيب»،[٤٦]، فأين الكتابات الأيديولوجية والزائفة الراهنة مما قاله العالم محمد رضا نجل آية الله تقي الشيرازي؟ والذي عاداه المحتلون البريطانيون حتى اللحظات الأخيرة، فيما يعين المحتلون الأمريكيون عزيزي حكيم ومحمد بحر الظلمات [العلوم] وإبراهيم جعفري وعبد الزهراء النجدي أعضاء في مجلس الحكم الذي يقوده من خطم أنفه بول بريمر!!.

وسارت على هذا النهج فتوى المرجع الأعلى للرؤية الإمامية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عند الإحتلال البريطاني الثاني للعراق في شهر أيار عام ١٩٤١م، وهو نموذج لفتاوى العلماء المخلصين الباحثين عن الحق - وليس «المجاهدين» في سبيل الأموال

البريطانية والأمريكية والسعودية والصباحية والفارسية الإيرانية - في النجف وكربلاء والكاظمية، نرى ضرورة إيراد نصها كلها في دراستنا هذه كونها تمثل الإتجاه العام والصحيح للرؤية التي سطرها الإمام على بن الحسين في دعاء الثغور الذي تضمنته الصحيفة السجادية، تلك الفتوى التي أجاد بها الشيخ كاشف الغطاء التي جاء فيها: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾، أيها المسلمون في عامة الأقطار والأمصار! تعلمون أنَّ العراق اليوم هو قاعدة الدين، وعاصمة العرب والمسلمين، ومعقل البلاد العربية، ومعقد آمالها، ومفزع أبطالها، ولما أحس رجالات العراق وساسته المخلصون بأنَّ كرامته أصبحت على خطر، وأنَّ صيانته من اِستيلاء الأجانب على مقدراته تحتاج إلى وثبة جبارة، وصلابة في مواجهة النازلة غير العادلة، والقضية الجائرة، لذلك نهضوا هذه النهضة التي يحفزها الحزم، ويقودها العزم، وترف عليها أجنحة النجاة والنجاح بعناية الله جل شأنه، وروحانية الإسلام المقدسة إنْ شاء الله. وبعد هذا فهل يشك أحدٌ من المسلمين فضلاً عن العراقيين في وجوب المؤازرة والنصرة لهذه الحركة الحافظة لسلامة البلاد وكرامتها؟ كل إنسان بقدر اِستطاعته، وأقصى ما في وسعه - القريب والبعيد فيه سواء - مع التعقل والروية، والتمسك بأمراس الحزم على ضوء الحكمة والبصيرة، وتعاضد المسلمين عموماً والعراقيين خصوصاً حكومة وشعباً ليكونوا على ثقة من أنَّ قضيتهم عادلة، وإنَّ الله جل شأنه منجز لهم وعده بقوله: }أنْ تنصروا الله ينصركم{ وحرام وأفظع من كل حرام أنْ يحارب المسلم أخاه المسلم من أي عنصر كان، ومن أي بلاد كان يكون، والسلام عليكم أيها المسلمون جميعاً ورحمة الله وبركاته، حرره في مدرسته العلمية في النجف الأشرف ٥ ربيع ٢ سنة ١٣٦٠هجرية»، [٤٧].

إذن كانت نظرة الشيخ كاشف الغطاء تنطلق من خلال موشور المسألة الفكرية الحضارية العربية الإسلامية وعبر النظرة الكلية للوطن العراقي، وليس التركيز على الجزء، العراق في تلك اللحظة التاريخية الملموسة وصراعه مع البريطانيين هو الكل، والأهداف الطائفية - حتى لو كانت محقة، وهي غير محقة قطعاً وفق معايير النظرة القومية العربية

والمقاييس الدينية الإسلامية - هي الجزء، وعلى ضوئه ومصلحة مستقبله تقاس جميع التطورات اللاحقة. أنها كالمسألة المنطقية في تحديد مفاهيمها وفهم معادلاتها، ففي كلياتها تكمن القراءة الصحيحة للأجزاء، وليس العكس.

ولكن من أين نبع هذا التراث الإسلامي عند علماء الطائفة الإمامية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وفي سنوات ثورة العشرين، وخلال فترة عام ١٩٤١م عشية الغزو البريطاني للعراق؟. إنها تنبع من معين الرؤية العلوية التي سطرها الإمام الرابع للطائفة الإثنا عشرية اِبن الشهيد الإمام الحسين: علي بن الحسين بن أبي طالب رضى الله عنهم المكنى بالسجاد الذي تعده تلك الطائفة إماماً معصوماً، الذي محتواه وفحواه نصرة الدولة الأموية العربية المسلمة كما جاءت سيرورته الفكرية في: دعاء لأهل الثغور، وهم الذين كانوا يرابطون على حدود الإمبراطورية الإسلامية في المرحلة الأموية، فموقفه من العدو الذي يحاول غزو المسلمين هو معيار اِلتزامه الديني على المستوى السياسي، وليس مَن غزاهم واِحتل أرضهم وحل جيشهم وحطم دولتهم ونهب ثرواتهم فقط، يقول عنهم:

«اللهم أفلل بذلك عدوهم، وأقلِم عنهم أظفارهم، وفرق بينهم وبين أسلحتهم، واِخلع وثاق أفئدتهم، وباعد بينهم وبين أزودتهم، وحيرهم في سبُلهم، وضللهم عن وجههم، واِقطع عنهم المدد، واِنقص منهم العدد، واِملأ أفئدتهم الرعب، وأقبض أيديهم عن البسط، وأخزم ألسنتهم عن النطق، وشرِّد به من خَلْفَهم، ونكِّل بهم من ورائهم، واِقطع بخزيهم أطماع من بعدهم، اللهم عقِّم أرحام نسائِهم، ويبِّس أصلاب رجالهم، واِقطع نسل دوابهم وأنعامهم، لا تأذن لسمائهم في قطر، ولا لأرضهم في نبات [...] اللهم وأعمم بذلك أعداءَك في أقطار البلاد من الهند، والروم، والترك، والخزر، والحبش، والنوبة، والزنج، والسقالبة، والديالمة، وسائر أمم الشرك الذين تخفى أسماؤهم وصفاتهم، وقد أحصيتهم بمعرفتك، وأشرفت عليهم بقدرتك، اللهم أشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين، وخذهم بالنقص عن تنقصهم، وثبِّطهم بالفرقة عن اِلاحتشاد عليهم، اللهم أخل قلوبهم من الأمنة، وأبدانهم من القوة، وأذهل قلوبهم عن اِلاحتيال،

وأوهن أركانهم عن منازلة الرجال، وجبنهم عن مقارعة الأبطال، وابعث عليهم جندك من ملائكتك ببأس من بأسك كفعلك يوم بدر، تقطع به دابرهم، وتحصد به شوكتهم، وتفرق به عددهم، وأمزج مياههم بالوباء، وأطعمتهم بالأدواء، وارم بلادهم بالخسوف، وألحّ عليهم بالقذوف، وأفرعها بالمحول. واجعل ميرهم في أحصّ أرضك، وأبعدها عنهم، وامنع حصونها منهم، أصبهم بالجوع المقيم، والسقم الأليم». هكذا كان موقفه من أعداء المسلمين كافة، فهل يشكل الصليبيون المتصهينون: بقيادة المحافظين الجدد، نوعية مختلفة عن تشخيصات الإمام السجاد؟ وإذا كان الأمر لا يختلف عن تلك التحديدات المعيارية التي وضعها الإمام المعصوم بالنسبة إليهم، فماذا يمكن توصيف المجموعة الصفوية التي رأت في نصرة الباطل الأمريكي، وخصوصاً وأنهم جاؤوا في طائراتهم على دباباتهم لحكم العراق؟.

ولكن هل اقتصر توصيفه على الأعداء، وترك شؤون المجاهدين وشأنهم الإلهي من دون الكلام عنهم باعتبارهم مسلمين؟ أبداً، لنقرأ رأيه عنهم في دعاء من أجل الثغور، وهم المرابطون وفدائيي الدين العربي الإسلامي الذين يشكلون المثال القويم الملهم لمجاهدي عراق اليوم من أبطال المقاومة الوطنية العراقية الذين يجاهدون روم العصر: الولايات المتحدة المعتدية الغازية المحتلة لأرض المسلمين:

اللهم «حصّن ثغور المسلمين بعزتك، وأيد حماتها بقوتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك، وكثر عدتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وأمنع حومتهم، وألف جمعهم، ودبر أمرهم، وواتر بين ميرهم، وتوحّد بكفاية مؤنهم، وأعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، وألطف لهم بالمكر، وعرفهم ما يجهلون، وعلمهم ما لا يعلمون، وبصرهم ما لا يبصرون، وأنسهم عند لقائهم العدوَ ذكر دنياهم الخداعة الغرور، وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون واجعل الجنة نصب أعينهم، [...]، حتى لا يهم أحدٌ منهم بالإدبار، ولا يحدِّث نفسَه عن قرنه بفرار» فضلاً عن دعائه لمناصريهم بالقول والعمل من خلال «اللهم وأيما مسلم خَلَفَ غازياً أو مرابطاً في داره، أو تعهد خالفيه في غيبته، أو أعانه بطائفة من ماله، أو أمدده

بعتاد، أو شحذه على جهاد، أو أتْبَعه في وجهه دعوة، أو رعى له من ورائه حرمة، فاجر له مثل أجره وزناً بوزن، ومِثلاً بمِثلٍ، وعوضه من فعله عوضاً حاضراً يتعجل به نفع ما قدم وسرور ما أتى به، إلى أنْ ينتهي الوقت إلى ما أجريت له من فضلك، وأعددت له من كرامتك».

وحول طابع المواجهة بين المشركين والمسلمين، الذين يتجلون اليوم بين أهل العراق المسلمين المدافعين عن رؤيتهم الحضارية العربية الإسلامية، والمقاتلين في سبيل وطنهم العراق، والمواجهين لجيوش الأعداء، من جهة، ضد رؤية المحافظين الجدد الذين يعتقدون بقوة السطوة الغاشمة للأمريكيين، والذين اِتخذوا من مصالحهم الإستراتيجية الأمريكية الإله الذي يتوجهون إليه بالطاعة والإستعانة على المسلمين في كل العالم، من جهة أخرى، يقول الإمام الرابع للرؤية الإثنا عشرية «اللهم أيما مسلم أهمه أمر الإسلام، وأحزنه تحزب أهل الشرك عليهم، فنوى غزوهم أو همَّ بجهاد، فقعد به ضعف أو أبطأت به فاقة، أو أخره عنه حادث، أو عرض له دون إرادته مانع، فأكتب اِسمه في العابدين، وأوجب له ثواب المجاهدين، واِجعله في نظام المجاهدين والصالحين»،[٤٨].

إذن الحقُ، من وجهة نظره، وهو الإمام المعصوم عند أتباع الرؤية الإمامية، بَيّنْ، والباطلُ بَيّنْ، وخيار المسلم ينبع على ضوء توهج الصراع بينهما.

المراجع والهوامش

[٤٢] - راجع نصوصها في كتاب الدكتور علي الوردي المعنون لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء السادس من عام ١٩٢٠م - ١٩٢٤م، إسم المطبعة غير مدون كوننا نستعمل الإصدار الإيراني المجلد، ١٩٧٦م، ص ٢٦١ - ٢٦٤، وفيها يعرب المراجع الدينية الكبار: أبو الحسن الأصفهاني، والمرزا حسين النائيني، والسيد عبد الحسين الطباطبائي، والسيد حسن الطباطبائي فيها عن مواقفهم الحقيقية بتاريخ شعبان من عام ١٣٤٢ هجرية، ومن خلالها يتبرؤون من أي التزام سياسي تجاه الشعب العراقي وتقرير شؤون مستقبله، أننا «قد أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة بالأمور السياسية والاعتزال عن كلما يطلبه العراقيون ولسنا بمسؤولين عن ذلك، وإنما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم»، [ص ٢٦١ من الكتاب]، وذلك قبل أن يعودا للعراق في شهر نيسان من عام ١٩٢٤م، [ص ٢٦٤]، وحسب وثيقة بريطانية يذكر رقمها الدكتور الوردي، فإنَّ شاه إيران آنذاك محمد رضا خان، كان «ينصح أولئك المجتهدين بالعودة دون أنْ يهتموا بالخالصي [أي الشيخ مهدي] وكان يقول لهم أنَّ الخالصي رجل سخيف خالي من التعقل وأنه آلة بيد ابنه الشيخ محمد»، ص [٢٦٠ - ٢٦١].

[٤٣] - راجع كتابه المعنون العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨م – ١٩١٤م، الصادر عن دار طلاس ١٩٩١م، سورية/ دمشق، الطبعة الأولى للدار، الذي فيه تتبع تاريخي لتبديات ذينيك المفهومين: التتريك اللغوي والإداري في الواقع السياسي العثماني الملموس.

[٤٤] - راجع كتاب الأستاذ الدكتور علي الوردي المعنون لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس حول ثورة العشرين: القسم الأول، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد/ العراق، الطبعة الأولى عام ١٩٧٧م، ص ٧ - ١١، وكان أغلب أولئك الكتاب ممن عملوا في صفوف الثورة العراقية أو جايلوها أو من الذين عاشوا في أعقابها بسنوات قليلة، مما يكسب كتاباتهم وجهة نظر ناجمة عن المعايشة اللصيقة لأحداثها، وتبتعد عن النظرة الأيديولوجية المسبقة.

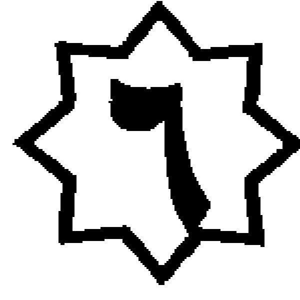
[٤٥] - راجع كتاب المرحوم عبد الله فياض المعنون بالثورة العراقية الكبرى، مطبعة دار السلام / بغداد، الطبعة الأولى عام ١٩٧٥م، ص ٢٧٣.

[٤٦] - راجع كتاب الدكتور علي الوردي، مصدر سبق ذكره، الجزء الخامس، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

[٤٧] - راجع نصها في كتاب السيد عبد الرزاق الحسني المعنون تاريخ الوزارات العراقية، في طبعته السابعة الموسعة والمزيدة، الجزء الخامس، الصادر عن دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد/ العراق سنة ١٩٨٨م، ص ٢٧١.

[٤٨] - راجع كتاب الصحيفة السجادية الكاملة، أدعية لإمام زين العابدين، مصدر سبق ذكره، ص ١٣١ - ١٣٨.

باقر الصراف
كاتب عراقي مقيم في هولندا



مَنْ أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه: الإمام علي

الفرد المسلم الذي يتمسك بالشريعة وفق مدرسة الرؤية الإمامية الحقيقية، لا الفارسية الصفوية، عليه واجب محدد على ضوء رؤية الأئمة ذاتهم، والمعايير التي يقيسون فيها أي فعلٍ سياسي ملموس، من خلال القرآن والسنة، وممارسات الأئمة الإثنا عشر، أي من غير اِبتذال لمفهوم الإمامية الذي أساء له الفرس بترهاتهم الكثيرة التي مزجوا فيها تراثهم المجوسي الفارسي بتراث المفاهيم الإمامية وجعلوها ممارسات عدوانية فارسية عنصرية ومذهبية صفوية مفتتة،[٤٩]، قبل أية نوعٍ من الممارسة المستحبات المذهبية، إذا كانت ممارسة الشعائر، [كما هو حال شج الرؤوس وضرب السلاسل على الظهور واللطم على الصدور العارية] الحسينية من المستحبات المذهبية والدينية، الذي يتقدمها أو يسبقها واجب مواجهة منكر الغزاة، الذي يتجسد بالقصف والقتل والسرقة للنفط، مثلاً، من أجل تغييره باليد أو اللسان أو القلب، كما جاء في الأثر النبوي الشريف، المعروف والمشهور.

أما ممارسة العبادات المفروضة من قبل الإله، فالله وحده يحدد معايير الحساب عنها، والنية والعمل تلعب دورهما في تقييم أي مسألة أو أي ممارسة، وهو الذي ألهم الذات البشرية إرادتها وعواطفها وأعمالها، ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾، [الشمس : 7-10]، ويجزي الله المحسنين عنها، أو يعاقب الخالق العاقّين عليها، يوم القيامة، أي يوم الحساب العام في الآخرة على الأعمال، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة : 7، 8] ، مع الأخذ بنظر الاِعتبار، مفهوم الإمام علي بن أبي طالب [كرم

الله وجهه] عن العبادة وشروطها على أنه مُلزِم للأتباع، يجب التبشير بمضمونها والنهي عن كل ما يخالفها، إذ يشدد على دور الفرد العملي بالذات.

فهو القائل: «مَنْ أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [ن. ب والمقصود من الحرفين هو الإشارة إلى كتاب الإمام علي المعنون بنهج البلاغة، ص ٦٦٢]، الذي يحدد مفهوم الطاعة التي دونها أي طاعة، مداهنة للجمهور أو المخاتلة لهم أو الخشية منهم: «إنَّ ولي محمد مَنْ أطاع الله، وإنْ بعدت لُحْمَتُهُ، وإنَّ عدو محمد مَنْ عصى الله، وإنْ قربت قرابته»، [ن. ب، ص ٦٧٧]، لذا يؤكد عليه السلام على أنه: [إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها]، [ن. ب، ص ٧٢٤]، فيما يصرح بالفم المليان أنه «لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض»، ويقول العلاّمة محمد عبده في شرحه للفرائض، كمن يترك «الصلاة والذكر ويفُر من الجهاد»، [ن. ب، ص ٦٦٧، والتشديد من عندي]. والأمر متروك للعلماء المسلمين عموماً والإماميين خصوصاً، ولكل «المراجع العظام» وكل «آيات الله المجتهدين» المتابعين لهمروجة ممارسات البعض مهمة تفسير معاني هز السيوف وشج الرؤوس ودق الطبول وضرب السلاسل وطرق النحاس وصفق الطوس أو دقها والتي تترافق مع الصيحات المهتاجة المنطلقة من العواطف المضطرمة: حيدر... حيدر، أو حسين... حسين... في ظروف يحتل فيها الصليبيون المتصهينون العراق... وعليهم - أيضاً - وعي ما يمارسه «الذين يهبون مع كل ريح» في طقوسهم الفارسية الصفوية خلال شهر محرم الحرام من كل عام، والأيام العشرة الأولى منها على وجه الخصوص: أي الأيام التي تسبق اليوم الكبير، يوم عاشوراء، يوم اِستشهاد الإمام الحسين عليه السلام على أرضية طلب الإصلاح، وليس الجهاد في سبيل تحرير بلاد المسلمين من عسس غير المسلمين، الذي له الأولوية في الممارسة كما ينبغي.

العلاقة مع الإله هي إحدى علاقات الفرد مع الله الصمد: الخالق، وهو الكفيل بالمحاسبة في نهاية المطاف: بالآخرة، وقد يجزي في الدنيا أو يعاقب فيها، كونه كلي العلم والإطلاع وهو الرؤوف الغفور الرحيم، من ناحية، وصاحب السطوة والجبروت والشديد العقاب، كما ورد في آيات القرآن الكريم، من ناحية ثانية. أما العلاقة مع الذات الفردية فتعود

للشخص ذاته أساساً، كالنظافة والصدق، مثلاً، فهي تخص الفرد ذاته طالما لا تلحق الضرر بأحدٍ من البشر، أما الضمير حولها سواء بالنية المضمرة وسرائر النفس البشرية عند الفرد أو الهدف المعلن من مجمل العمل المبذول تجاه الأنا، فالله وحده علاّم الغيوب والمحاسب عن ذيولها في هذه الدنيا - بشكل غير مباشر - أو في الدنيا الآخرة بشكل مباشر.

فيما العلاقة الإنسانية مع الآخر فلا يحددها معيار موضوعي: سوى معيار الضرر والضرار مع الآخرين، العلاقة الفردية أو الجماعية سواء بسواء، وهي قاعدة فقهية معروفة: «وجوب دفع الضرر المحتمل»،[٥٠]، وهو في كل الأحوال، مقدم على جلب المنفعة خاصة إذا كان الضرر أكبر من المنفعة، ويتفاقم يوماً بعد يوم. فهل ألحق الأمريكيون الأضرار المادية والموثّقة بالعراقيين، وليس المحتملة فقط: أي ضد العراقيين المسلمين كلهم ما خلا حفنة مرتزقة مستفيدة من المحتلين، أم لا، أي كونها مضادة لهم كلياً، ولا تصب أي إفادة في صالح الشعب العراقي وارتباطاته العربية والإسلامية!؟.

هذا هو السؤال الذي ينبغي الإجابة عليه من قبل العلماء المجتهدين أو «الذين يهبون مع كل ريح وينعقون مع كل ناعق» على حدٍ سواء، وفق مقولة/ حكمة الإمام الأول للرؤية الإثنا عشرية حول معيار العمل الصالح... ومن الضروري جداً - كذلك - مواجهة الذين شجوا رؤوسهم بالقامات والسيوف وطبعوا ظهورهم بالسلاسل، ولطموا على صدورهم المتعرية بعنف الكفوف ومعرفة: هل كان بكائهم على الحسين المجاهد والشهيد الذي هو حي عند ربه يرزق، كانَ بكاءً صادقاً أو بكاءً منافقاً؟ وذلك على ضوء واقع العراق الحالي: المُحتل من قبل الأمريكيين والصهاينة، كونه القرآن أنذر وبشّر بذلك: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾، [آل عمران: 67 - ٦٩].

لقد ترك «القرآن الكريم» والسنة النبوية وأحاديث الرسول وكتاب «نهج البلاغة» للإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، تراث كبير في معرفة البوصلة الهادية لمعرفة واقع المسلمين الحقيقي، وموقفهم السياسي والعملي المطلوب، تجاه المستجدات التي يشهدها العالم في كل يوم، على الأقل ذلك ما هو معلن عند كل المسلمين في الإطار العام، مؤمنهم وغير مؤمنهم. ولما كان كتاب «نهج البلاغة» هو الإمتداد المعرفي الأصيل للقرآن والسنة، كون الإمام على بن أبي طالب هو المختار من قبل القدرة الإلهية الذي منحه العصمة، كما يعتقد الإماميون، فإننا سنقتصر في الإستشهادات التالية على محتوياته التوثيقية.

وذلك عندما نريد رسم المعايير الفكرية للمسلم الإمامي في كيفية مواجهة الموقف المستجد، والاستناد عليه عند تحديد المقاييس الموضوعية لا الذاتية تجاه أي موقف وتقنين المعايير، ينبغي إختيار الكتاب الذي لا يناقش حوله أي مسلم إمامي، أي أننا سنرتكز على الكتاب الثالث الذي ينسجم روحياً مع كتاب الله وأحاديث النبي، [ﷺ]، كما أعتقد شخصياً، خاصةً وأننا سبق وأنْ رجعنا إلى الإمامين الرابع والخامس في نُصرة الدولة الأموية بإعتبار سُنتها مقياساً لإستخلاص الحكم الصحيح في لحظة رسم الموقف عندما يحتدم الصراع. والتي يحاول بعض «كتّاب الإمامية» المعاصرين إعتبار الدولة الأموية والأمويين «الكُفْر» كله وقد تجسد في شخوص الخلفاء وتبدى عملياً في حكمهم، إنَّ البعض منهم يعتبر الخلفاء هم مقياس التقويم التاريخي، وليس تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المرحلة الأموية هي معيار القراءة الصحيحة للتطورات. وينتخبون - مثلاً - أيضاً: «يوم رفع القلم» يوماً لسب الصحابة، وفي المقدمة لعن الخلفاء الثلاثة الأوائل، من دون تسجيل القلم الإلهي على الكتفين [كما تقول الروايات] لأي ذنب: صغير أو كبير على البشر. ومعلوم أنَّ هناك جوانب عديدة في محتويات ذلك الكتاب: «نهج البلاغة»، البليغ والمدهش والفريد تمس شتى المجالات، ولكننا سنصطفي الجانب السياسي من الظاهرة الأدبية والفكرية في ذلك الكتاب، أي بتجريد حوادثها عن البعدين الميتافيزيقي، والتربوي،[٥١].

١ - في البدء لابد من إيراد التصور الفكري للإمام عن كيفية التمييز بين الحق والباطل في أية لحظة تاريخية معينة أو محددة يحتدم فيها الصراع بين طرفين مسلمين، وليس بين المسلمين المدافعين عن أرضهم وما لهم وأعراضهم، من جهة، وبين الصليبيين المتصهينين كما يجسدهم المحافظون الجدد، وبرنامجهم السياسي المكشوف، من جهة أخرى. فهل كان الإمام يضع الذات العَلَـوِيَة مقياساً لمعرفة التطورات وبالتالي اتخاذ الموقف الشرعي الملموس تجاهها؟ أم كان يضع التطورات الموضوعية لفقه دور الفرد المؤمن أو المسلم في إطارها، وبالتالي تفسير ذلك الموقف على ضوئها؟.

من خلال ذلك المعيار ينبغي معرفة القول الشائع في الرؤية الإمامية: الحق مع علي وعلي مع الحق، كونه كان يؤكد في أعقد الظروف وأصعبها، على الرؤية الكلية للموقف الملموس الكائن، ومن خلال قراءة موضوعية لأي حدث جدير بالمواجهة الفكرية، فعندما واجه أحد أنصاره في كيفية رؤية مشكلة ما قائمة، خاطبه قائلاً: «يا حارث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحِرتْ، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف منْ أتاه»، [ن. ب، ص ٧١٩]، كان يريد من إيراد هذا القول: التدقيق في العوامل الموضوعية من خلال التبصر في كل مكوناتها وعناصرها المختلفة وما ستفرزه في مراحل تالية، فـ«ليست الروية كالمعاينة مع الإبصار، فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل مَنْ اِستنصحه»، [ن. ب، ص ٧٢٤]، إذن «الحقُ لا يُعرف بالرجال، اِعرف الحق تعرف أهله» أي مَنْ هم مريدوه وأنصاره، وأمام نظرة مخالفيه الذين كانوا يدعون التضامن معه والاِنتصار له، كانت صرخته المدوية التي تقول: قل الحق ولو كان على نفسك، كون «الإيمان أنْ تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأنْ تتقي الله في حديث غيرك»، [ن. ب، ٧٦٢]، وبالتالي أعلن ألمه من خلال القول الشائع المعروف: «ما ترك الحق لي من صديق» أي من صديق يتبع الحق بشكل مطلق.

أي كان ملتزماً بالمعيار الإسلامي الحقيقي لكيفية فهم التطورات، لذا كان «الحقُ فيما بلـغـه» كما تجلى في رؤيته الموضوعية خلال سيرته الحياتية، وكذلك، من خلال الموقع

السياسي الذي شغله أساساً، فالمسألة الأساسية من وجهة نظره كرم الله وجهه، هي في رؤية الكل الموضوعي في مختلف الأحداث وشتى التطورات، لا التقوقع عند الجزء: كتبوء سلطة الخلافة بعد غياب مؤسس الدولة العربية الإسلامية الرسول العربي محمد [ﷺ]، والمؤتمن على تبليغ الرسالة العربية الإسلامية، مثلاً، وتصوير الفوز بمركز الخلافة على أنه قضية القضايا وأساس الرؤية، خاصة وأنه شدد على «إنّ أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة»، [ن. ب، ص ٣٥].

لقد اِرتضى كرم الله وجهه أنْ يكون الناصح الأمين للخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، وقصة منعه للخليفة الثاني عن الذهاب لحرب الفرس والجهاد لنيل الشهادة، [٥٢]، أوسع مدى من أنْ تذكـرَ في هذا السياق، لذا كان واضحاً في توصيفه لمن ترك القتال في صف الحق الموضـوعي، من خلال القول في تقييمه العام لكل «الذين اِعتزلوا القتال مع الصف الذي اِختار الموقف الصحيح: خذلوا الحق ولم ينصـروا الباطـل»، [ن. ب، ص ٦٦١]، إنه أدان الحياد: مجرد الحياد بالوقوف على التل للتفرج على المتقاتلين المتضادين في الموقف تجاه الحق، من أجل الحفاظ على الحياة، عندما حانت لحظة الحسم المصيري في لحظة الصراع.

فكيف كان سيكون موقفه الديني المبدئي والسياسي الواضح تجاه الصفويين الفرس الذين وقفوا مع الأمريكيين الصليبيين المتصهينين: المحافظين الجدد، في برنامجهم السياسي الواضح ضد العراق من خلال العدوان والغزو والاِحتلال: والعراق هو البلد العربي المسلم ومجتمعه المسلم؟.

المراجع والهوامش

[٤٩] - يرجع الكاتب الدكتور علي الوردي ذلك المفهوم أي الصفوي، إلى ميدان نشوئه التاريخي والجغرافي بالقول، «إتخذ النزاع الطائفي بين الشيعة والسنة شكلاً صارخاً أثناء التنافس بين العثمانيين والصفويين على العراق [...] قام الصفويون بدور كبير في تاريخ التشيع، وقد يصح أن نقول بأنّ الصفويين خدرّوا مذهب التشيع وروّضوه. فأزالوا عنه النزعة الثورية التي كانت لاصقة به في العهود السابقة، وجعلوه مذهباً رسمياً لا يختلف عن غيره من المذاهب الدينية. وبذلك دخل التشيع في طاحونة السلاطين فإختفت منه تلك الروح الوثابة التي بعثها فيه علي وأولاده على توالي الأجيال. كان علي بن أبي طالب أنشودة الثورة في تاريخ الإسلام كله، فأمسى على يد الصفوية ألعوبة تُمثَّل في المسارح، [...]، صار التشيع منذ عهد الصفويين مذهباً قومياً في إيران واصطبغ من جراء ذلك بصبغة الغرور القومي وأمسى عقيد سلطانية خامدة، لا تختلف عن أية عقيدة أخرى من عقائد السلاطين، وأخذ الصفويون «يستخدمون في دعايتهم» المذهبية فئة قرّاء المنابر الحسينية، والحسين منهم براء، والمشعوذين الذين جعلوا «الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم» كما قال الإمام الشهيد الحسين بن أبي طالب للدرجة التي - كما يقول علي الوردي - «صار إسم علي سلاحاً بيد السلاطين يستخدمونه في أغراضهم السياسية، كما إستخدموا إسم محمد وإسم الله»، [راجع كتابه المعنون وعّاظ السلاطين: رأي صريح في تاريخ الفكر السياسي في ضوء المنطق الحديث، الطبعة الثانية – ١٩٩٥م، الصادرة عن دار كوفان - لندن/ بريطانيا، ص ٢٤٨ - ٢٤٩]. ولكن الصفويين أضافوا النزعة الفارسية «الواعية» لمصالح الدولة الإيرانية في الراهن الزمني إلى ممارساتهم السافلة، وتواطؤهم مع الأمريكيين، ضد العراق العربي المسلم، وكان ذلك من بين أكبر الدلائل العملية على تلك الخدمة الموضوعية أو الواعية للأعداء الغزاة الصليبيين المتصهينين، فهم العامل الأساس في ثني بعض العراقيين عن مقاومة المحتلين الأمريكيين لأرض العراق في الوقت الحاضر، وتصريحاتهم المتواترة عن تهديد الأمريكيين والبريطانيين بتثوير العراقيين جهادياً مسلحاً: من أتباع آل البيت غير الأبيض ضدهما، برهان جلي على ذلك التماهي بين النزعة الصفوية على صعيد التعليمات المذهبية، من ناحية، والنزعة الفارسية في عنصريتها المكشوفة، من ناحية أخرى.

ولكن هذه الممارسات الفارسية الطائفية هي الوجه الآخر لطائفية ترتبط، بهذه الدرجة، أو تلك، بالرؤى الخرافية من دربشة ودوران حول الذات، مع صياح: حي... حي، من دون أنْ تواجه الأمور السياسية المستجدة على الأرض من إنتهاك صليبي صهيوني للدولة العراقية، والإحتلال الأمريكي الصهيوني للعراق، وإذا كان النظام الرسمي الإيراني يغذي النزعات الطائفية

بالدعايات والأموال، فإنَّ آل سعود، في سياق خطة سياسية مؤيدة للمخططات الأمريكية، يجزلون عطاياهم للأحزاب والمنظمات [التي تدعي الإسلام] الأخرى، كحزب الأخوان المسلمين المسمى: الحزب الإسلامي العراقي، الذي يقوده طارق الهاشمي الذي كان ممثله: أسامة التكريتي فارس الندوات التلفزيونية المضادة للعراق والداعية لِاحتلاله، بغض النظر عن النوايا والأحاديث التضليلية المخاتلة، مثلما شكل حضور مندوبه إياد السامرائي مؤتمر لندن الذي مولته المخابرات المركزية في نطاق مخططها السياسي والعسكري الهادف لِاحتلال العراق، المثال الآخر على ممارسة حزب الأخوان المسلمين تجاه الحاضر الأمريكي المحتل للعراق. مثلما شكلت ممارستهم يوم أمس [أي في المرحلة الناصرية] تجاه الحركة القومية الحديثة من خلال حضور المؤتمر التأسيسي لما يسمى برابطة العالم الإسلامي - الذي أشرف على قيامه مَنْ دعا القوات الصليبية لتدنيس أرض الجزيرة العربية: فهد بن عبد العزيز - في السعودية في عام ١٩٦٥ الذي حضره العلاّمة أمجد الزهاوي، ورئيس الحزب الإسلامي [رئيس حزب الإخوان المسمين في العراق] محمود الصواف وآخرون جنباً إلى جنب التاجر عبد الهادي الجلبي [والد أحمد جلبي] وباقر حكيم وغيرهم. أما عدنان الدليمي صاحب السدارة والدعوات الطائفية، وغيرهم ممن قبضوا أموال آل سعود وملك البحرين، والذين ووجهوا بالنقد الصريح في حينها، وحزب الحركة الإسلامية الكردية الذي يقوده علي عبد العزيز وبمعيتهم آخرين، فهم في عملهم ذاك يخدمون المخططات السعودية الأمريكية لإيجاد الشرخ التفتيتي العمودي في العراق.

إن الجهاد الإسلامي ضد المحتلين: الأمريكيين الصليبيين الصهاينة، والشهداء الصديقين الخالدين الذين يقدمون أرواحهم الزكية فداءً في سبيل المباديء الحضارية العربية الإسلامية، والأرض العراقية والوطن العراقي والمجتمع العراقي، لهي أوضح دلالة وأكثر إضاءة من محاولات البعض الِاتجار ببعض عمليات الإعلام المسلح التي يجري تسلط الأضواء التلفزيونية التي تدور بفلك طغمة آل سعود العميلة عليها، من ناحية، أو الإيحاء بكونها على صلة بالعمليات البطولية ضد الأعداء الغزاة المحتلين، التي تحاول أجهزة الإعلام العربية إسدال ستار تضليلي كثيف عليها، من ناحية أخرى..

[٥٠] - محمد تقي الحكيم، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٠.

[٥١] - «التجريد»: كما يقول أحد المناضلين العرب المخلصين هو «مفهوم يعكس ما هو رئيسي وجوهري في الشيء... الظاهرة موضوعة التحليل والِاستقراء... أما التأمل الحي فيعكس ظواهر الواقع عكساً مباشراً، في حين أنَّ التفكير المجرد يتجه إلى معرفة العلاقات الداخلية المقنونة بين الأشياء والظواهر، أي أنَّ جوهر التأمل الحي ينصب على معرفة خواص ما هو وحيدٌ ومنفرد.

التأمل الحي: تأمل حسي. أما التفكير المجرد فإنه قفزة نوعية في تطور المعرفة من الحسي إلى التفكير المجرد. التأمل الحي... الحسي، تأمل يعكس خصائص ما هو وحيد ومنفرد، والتفكير المجرد يعكس الواقع بشكل مفاهيم... تجريدات عامة لجوانب منفردة من الشيء... الظاهرة، بيد أنَّ إبتعاد الفكرة عما هو محسوس لا يعني الإبتعاد عن الحقيقة فيما إذا كان التفكير صائباً». [راجع كتاب الفقيد هاشم علي محسن المعنون المرحلية والتشويه الإنتهازي للهدف المرحلي، إصدار الدار اللبنانية للتوثيق والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى الصادرة في شهر أيار من عام ١٩٨٦م، من دون ذكر لمكان الصدور، وإنْ أشارت المقدمة المنشورة على الصفحات ٧ - ١١، إلى صدورها في بيروت / لبنان، ص ٢٦٢].

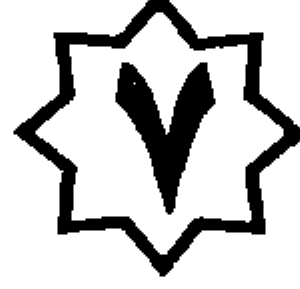
[٥٢] - من المعروف أنَّ الفارسية الصفوية إستطاعت بأساليب ماكرة ودعوات أيديولوجية زائفة توجيه الكـُره الشامل والعميق عند أتباعهم ضد الخليفة الراشدي الثاني: عمر بن الخطاب، للدرجة التي جعلوا هناك يوماً أسموه «فرحة الزهرة» وهو يوم مخصص لسباب الخليفة الراشدي الثاني [رضي الله عنه] خصوصاً. والإحتفال بيوم إغتياله: يُرفع فيه القلم عن تسجيل الذنوب عند الإنسان، فيمكن عند ذاك لأي فرد سب الخليفة كما شاء وبأقذع الألفاظ، من دون حساب وفق مزاعمهم أو محاسبة على الذنوب. وقد مارس كاتب هذه السطور طقوس مخجلة، جماعية وعلنية يأنف من إيرادها ويمتقع اليوم عن ذكر كلماتها وأقوالها وأشعارها وشعاراتها القبيحة، بحق الخليفة الراشدي الثاني عندما كان طفلاً غير واعٍ لسيرورة التاريخ العربي الإسلامي. واليوم يحتفل الفرس بذات اليوم في مدينة كاشان بإيران، حيث أقاموا مرقداً للمجوسي أبو لؤلؤة منذ سنوات طويلة، يرددون موبقاتهم عنه، مقترنة بتمثيليات فاحشة تتطلع عليها نساؤهم من علٍ، النساء اللائي يعدن الأكلات والكرزات المختلفة فرحاً بفعلة ذلك المجوسي القاتل: غلام المغيرة بن شعبة... فعلته المجرمة بحق فاتح بلاد الفرس والقاضي على الدين الزرادشتي إومترجماً للوعد الإلهي الحق بالقضاء على كسري وحكمهم.

ولكن ماذا كان موقف الإمام علي بن أبي طالب [كرم الله وجهه] من الخليفة الراشدي الثاني، [رضي الله عنه]؟. يلخص موقفه العملي والنظري بالحرص على حياته كقطب إداري للدولة العربية الإسلامية، ومقامه السياسي في مركز رئاسة الخلافة: العنوان الأبرز في المعاني السامية للمجتمع العربي الإسلامي، من خلال نظرة كلية للتاريخ العربي الإسلامي، لا الرؤية الجزئية أو العصبية التجزيئية، لنقرأ التالي وقد إستشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه، من أجل نيل بركات الإستشهاد فكان موقفه التالي: «ومكان القيِّم بالأمر {القائم بالأمر به يريد الخليفة. والنظام: السلك ينظم الخرز، كما يشرح ذلك محمد عبده} مكان النظام من الخرز يجمعه

ويضمه. فإنْ اِنقطع النظامُ تفرّق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً. والعرب اليوم وإنْ كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، وعزيزون بالاِجتماع، فكن قطباً، واِستدر الرحى بالعرب، وأصْلِهِم دونك نار الحرب، فإنك إنْ شخصت {أي خرجت} من هذه الأرض اِنتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم لديك مما بين يديك. إنَّ الأعاجم إنْ ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب فإذا قطعتموه اِسترحتم، فيكون ذلك من أشَد لِكَلَبِهِم عليك وطمعهم فيك.»، [ن. ب، ص ٣١٦]، ولكن علماء الفرس الصفويين خالفوا رغبة وتشخيص الإمام الرابع كرم الله وجهه، وجعلوا التناقض بين الخليفتين: أي بين الصحابي الجليل عمر بن الخطاب والرجل الأول في رؤية تعاليم أهل البيت الإمام علي بن أبي طالب، من بديهيات التعاليم الصفوية الفارسية، بالرغم من أنَّ الإمام علي بن أبي طالب قد وصف الخليفة الراشدي الثاني عند المهات بالعادل والتقي وفارق الفتنة وأقام السنة، وهو تعبير دقيق ينطوي على التقويم الأخير لمسار حياته... وصفه بالتالي: «فقد قوم الأود وداوى العمد. خَلَف الفتنة وأقام السنة. ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها. أدى إلى الله طاعته واِتّقاه بحقه»، [ن. ب، ص ٤٩٨].

١٢/٣/٢٠٠٦م باقر الصراف

كاتب عراقي مقيم في هولندا



معايير الصدق مع الذات
والصدق مع الآخر

٢ - دور الذات الفاعلة في الإسهام في التطورات البشرية والموضوعية، هي من أعقد المشكلات في الفكر الفلسفي والسياسي البشري في رسم المصائر التاريخية للتطورات المحتملة اللاحقة، وآفاق سيرورة الأحداث التي ستعقبها، وتطورها القادم من حيث وجهتها هي من أعقد المسائل البحثية لعلاقتها بما يتبغي عليه شكل التطور اللاحق، ولو كان الإنسجام بين الشرط الذاتي والعامل الموضوعي متوفراً بشكل دائم، لما كان هناك إرتداد أو نكوص في التاريخ البشري العام، ولتحكمت النوايا السياسية بأفق التطورات القادمة.

ولكن ما يتميز به الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]، هو الضمير الديني: المنصف والحق والصراحة المتناهية الذي كان يحدد موقفه الملتزم تجاه التطورات كافة، الإيمان بالرؤية المثالية المطلقة، كفلسفة، هي مَـنْ ترسم آفاق حركته وتحدد مساره، ولا يهم بالنسبة لأي مراقِب موضـوعي يحلل مشكلات الماضي طـبيعة الفكرة التي كان يؤمن بها، المهم أنه كان يؤمن بالقـُدرة الإلهية المطلقة.

من هنا كانت المعايير السياسية الناجحة، بمعنى فرصة اغتنام تسلم السلطة كأمير سياسي للمسلمين، عاكسته دائماً، إذ أنَّ التطورات الموضوعية تفوز على الشروط الذاتية في نهاية المطاف، وفي غالب الأحيان ومطلق الأحوال، إذا لم يكن صاحبها تكتيكياً مخاتلا مواربا، يتراجع في هذا المكان ويتقدم في ذلك المكان، يناور في هذه اللحظة ويداهن في تلك، على ضوء المواقف الصراعية التي تسِـم عمل الأطراف التي يتصارعون حولها. إنَّ صرخته

يوم ضربه بالسيف في شهر رمضان من عام اِغتياله وهو في مسجد الكوفة: فزتُ ورب الكعبة: كما يروى في بعض المصادر المتداولة عند الإماميين، أثناء الصلاة، تلخص عظمة إيمانه بقدرة الباري الوحيدة، فلم يتألم من الضربة القاصمة، أو يصرخ مستغيثاً بأي نوعٍ من البشر أو نادباً البعض من أجل أنْ ينصره في تلك اللحظة/ المحنة، إنما حدثته نفسه في تلك اللحظة الاِستثنائية برضا الإله والفوز بالجنة السماوية الموعودة، وكسب حصيلة الحساب في اليوم الآخر، وفي كل ذلك كانِ يتجوهر الإيمان الحقيقي ويفصِح عن مكنونه القويم.

لا شك، وبناءً على ضوء تلك المقاييس الإيمانية عنده، يمكن تفسير ما آل له وضعه السياسي، أنه كان صادقاً مع نفسه كل الصدق ومؤمنا بإيقانه الفكري كل اليقين، لذلك - وهذا هو الأمر الطبيعي - أنه كان صادقاً مع الآخرين: أياً كان هذا الآخر: مسلم أو مؤمن أو غير ذلك، لا يهم مّن يراه من البشر المخلوقين، مادام الله الخالق: صاحب القدرة الكلية يراه، ويتصرف على الحقيقة المعنوية التي يؤمن بها كأنّه يرى الله في كل لحظة، فهو المؤمن الحقيقي الذي «قنع بالكفاف، ورضي عن الله، وعاش مجاهداً»، [ن. ب: مختصر عن كتاب نهج البلاغة، وسنرمز بتك الأحرف حيثما جاءت الإشارة إلى ذلك الكتاب، كما اِتبعنا ذلك فيما كتبنا أعلاه، كمصدر، ص ٦٦٨]، فإرضاء الله هو المبتدأ وهو المنتهى: و«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، [ن. ب، ص ٦٩٧].

لقد عاش إنساناً مسلماً ومؤمنا ومستقيماً وواضحاً ومجاهدا بالسيف والكلمة طوال حياته، لذا لم يتصور أي مراقب أو متابع أبداً: أنَّ من بين أتباعه، أو ممن يدعُّون إتباع منهجه ومساره، يقبلُّون وجنات بول بريمير وجون دي غربونتي وزلماي خليل زادة، ويطيعون تعليماتهم التي تستهدف خدمة الرؤية الأمريكية، مثلما تسعى لخدمة مصالح الشركات النفطية الاِحتكارية وتنفيذ المخططات السياسية الإسرائيلية....

إذ أنَّ الخليفة الراشد الرابع، [كرم الله وجهه]، كان يؤمن إيماناً عميقاً أنَّ: «قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر

غيرته»، [ن. ب، ص ٦٦٩]، وكان لا يبالي في إتباع الحق الموضوعي حيثما كان مَن نطق به أو مَنْ عبّر عنه، فهو القائل «خذ الحكمة أنى كانت، فإنَّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن» فقد رسم طريقه وحدد هدفه فـ«الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»، [ن. ب، ص ٦٧٤]، لذا كان يشدد على ضرب المثل المادي الملموس أمام الآخرين، فـ«مَنْ نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»، [ن. ب، ص ٦٧٢].

كون المسؤولية المادية والمعنوية والعقابية في اليوم الآخر من نصيب ذلك المعلم بالذات، فـ«الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به»، [ن. ب، ص ٦٩٦]، كائناً مَنْ كان: ابن المرجع أو السيد أو مَنْ لفّت رأسَه العمامةُ السوداء أو البيضاء أو مَنْ أطلق لحيته أو هذبها، لذا تقدم بنصيحته التي حث عليها الإسلام والرسول بنصرة المظلوم، من خلال مقولته الخالدة التي يتناساها المتفرسون الصفويون متعمدين: «ردوا الحجر من حيث جاء فإنَّ الشر لا يدفعه إلا الشر»، [ن. ب، ص ٧٣١]، إذا كان قتال المعتدين الغزاة شراً فقط، وإذا لم يكن الرد على الغزاة الصليبيين الصهاينة: المحافظين الجدد، غير واجب على المسلمين وليس مفروضاً على المؤمنين.

وخاصة أن كرم الله وجهه أنْ قال: «أيها المؤمنون إنه مَنْ رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكرَه بقلبه فقد سلم وبريء، ومن أنكره بلسانه فقد أجِرَ وهو أفضل من صاحبه. ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونورَ في قلبه اليقين»، [ن. ب، ص ٧٤٥]، وكان معيار الرؤية الحقة تلك هي الممارسة والفعل أثناء ملابسات الصراع العنيف وليس الإيمان بالمجردات النظرية فقط، على أهميتها في السجال بين الرؤى المتصارعة.

ولكون الفعل الملموس والممارسات الواضحة لها الأولوية في ميادين الحوار السياسي، نستنتج ذلك من وصيته للصحابي عبد الله بن العباس لما بعثه للاِحتجاج على

الخوارج أي محاورتهم حول موقفهم السياسي من الصراع بين الفريق العلوي الذي حاز على البيعة الشرعية، من جهة، ومخالفيه من الخوارج الذي رفضوا التشكيك بموقفهم من خلال رفض منطق الصلح مع الطرف الأموي، من جهة أخرى، وبالتالي شكلوا رؤية خاصة بهم... أوصى مبعوثه بالتالي: «لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسُنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصا»، أي جعل معيار المهارسة لها الأولوية على الفكر حتى لو كان مقدساً عند الجميع، [ن. ب، ص ٦٥١].

المهارسة العملية الواضحة التي كرستها المقولات المحمدية، والفعل العلني الملموس أمام جميع المسلمين، كما تجسدت في السُنة النبوية التي إجترحها الرسول العربي محمد، [ﷺ]، وكذلك تبدّت عند الإمام الأول للرؤية الإمامية الإثني عشرية، [ك]، هي المقياس الموضوعي أمام الذين يناكفون ويعاندون ويحاججون بقلنا وقلتم، وهي - كذلك - المعيار الموضوعي عند الحوار والمناقشة والسجال، لذلك يحق لنا التساؤل عما يمنع أبناء المراجع - مثلاً - أنْ لا يمارسوا عادة شج الرؤوس القميئة ودق الطبول المزمجرة والنفخ في الأبواق والضرب في النحاس والطاس لإصدار الأصوات التي تدعوا للطقوس التي لم يعرف التاريخ العربي لها مثيلاً، مثلاً؟!!.

أما اِتخاذ الموقف الجهادي فلم يكن يخطر على بالهم أبداً، وكيف يكون عليه الأمر كذلك وآباؤهم قدوتهم في الضلالة والتضليل؟!.

فإنْ كانت حراماً حقاً، فلماذا لا يصدرون الفتاوى الواضحة بشأن كل تلك الطقوس، التي تحرِّم عمل الأتباع من القيام بتلك الطقوس التي تسيء للرؤية العربية الإسلامية، قبل أي شيء آخر؟ ناهيك عن تعطيلها لبعض الأحكام الإسلامية في الظروف الشاخصة المتفجرة والملموسة في الزمان والمكان الملموسين: كالجهاد ضد الاِحتلال الأمريكي الصهيوني للعراق، أليس رضاء الله هو ما يجب أنْ يراعيه المجتهدون: الذي يتمتعون بدرجة الأعلمية أو ممَنْ غير الذين يتمتعون بدرجة الأعلمية، وفق المقولات الإمامية ذاتها، التي تطرقنا إليها فيما سبق في هذه الدراسة؟!.

أم يا تُـرى، أن أولئك المجتهدين يقولون ما لا يفعلون في ظل فضائح شائنة ومرئية ظهرت على الشاشات التلفزيونية كالنار المجوسية ومشاعلها التي يرفعها البعض عن سذاجة أو وعي،[٥٣]. وإنْ كانت واجبة أو مستحبة فليمارسها البعض منهم أو فلتمارس من قبل أبنائهم أو أخوتهم، كي يشكلوا نبراساً هادياً للأتباع. يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز الحكيم. ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾، [المائدة : 79، 80] .

٣ - مفهوم الجهاد الإسلامي، إذا راجعنا «مفهوم الجهاد الإسلامي» في كتاب نهج البلاغة، فإننا نرى الإمام علي بن أبي طالب والخليفة الراشدي الرابع يكاد يكرر في أغلب خطبه، والأقوال الذي تدل على تجاربه السياسية والإدارية في الإمامة والحكم، على مفهوم الجهاد ضد الكافرين، فـ«الجهاد عزاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء»، كما كان يعده الأهم ويعتبره دائماً الشعيرة التي لها الأولية، [ن. ب، ص ٧١٢]، إذ أنَّ الجهاد، كما يرى، ينبني على «أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المَوَطِنِ {مواطن القتال في سبيل الحق. والشنآن - بالتحريك - البعض، كما يقول عبده في شرحه} وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهور المؤمنين، ومَن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومَنْ صدق في المواطن قضى ما عليه، ومَن شنيء الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة»، [ن. ب، ص ٦٦٤].

لذا فالجهاد «باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، ومَنْ تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضُـرب على قلبه بالإسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف»، [ن. ب، ص ١٢١ - ١٢٢]، وقد سبق لنا أنْ ربطنا بين ضرورات هذه الشعيرة الإسلامية الأصيلة: الجهاد، وفتاوى العلماء المختلفة في مختلف

الظروف التي واجه فيها وطن المسلمين الغزاة الأجانب من غير المسلمين على وجه الخصوص، فلا داعي لإطالة البحث حولها.

٤ - ولكن ما هو موقف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من البكاء والجزع على المجاهدين؟ وهل كان يحبذ الممارسات التي تشبه الممارسات الشبيهة القائمة عند الأتباع والتي يحاول المراجع العلماء غض النظر بعدم إشهار أي موقف ديني منها نظراً لخوفهم من الغوغاء، كما يجري ترويج هذه الحجة التي يتذرعون بها، إنْ لم نتطرق لبعض التفسيرات الأخرى؟ ممارسات الذين يصنفهم الإمام علي بن أبي طالب على أنهم الـ«همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»، [ن. ب، ص ٦٩١]. ويفسر عبده الهمج بالحمقى من الناش، والرعاع الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم بين الناس، والناعق مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق، أي الذي لا يستعمل عقله.

إنه يؤكد على التالي: «ينزل الصبر على قدر المصيبة. ومن ضربَ يده على فخذه عند مصيبته حَبِط عمله»، [ن. ب، ص ٦٩٠]. ويقول عبده في الشرح أي حرم من ثواب أعماله فكأنها بطلت. وعندما سمع بكاءً على قتلى معركة صفين من أنصاره، فقال مخاطباً وجوه القوم: «تغلبكم نساؤكم على ما أسمع، ألا تنهونهن عن هذا الرنين»، أي حتى عن النساء نهى - عليه السلام - عن البكاء، فكيف بلطم الرجال وضرب السلاسل على الظهور وشج الرؤوس؟! ويقول عبده في شرحه لنهج البلاغة: على ما أسمع من البكاء، وتغلبكم عليه أي يأتينه قهراً عنكم، والرنين صوت البكاء، [ن. ب، ص ٧٣٣].

أم يا ترى، أنَّ الهياج الجماعي الذي هو من عمل الجاهلين المتمثل في لطم الصدور وضرب السلاسل وشج الرؤوس يحتاج إلى النهي أولاً وقبل أي شيء... إنها - كما يبدو - من أفعال الهمج الرعاع الذين حدد الإمام علي الموقف منهم بالقول أنَّ عنوانهم التفريط المتناهي في كل شيء، فهو يقول: «لا ترى الجاهل إلا مفرِطاً أو مفرَّطاً»، [ن. ب، ص ٦٧٢]، فالمؤمن عنده: «لا يقيم أمر الله سبحانه إلا مَنْ لا يصانع، ولا يضارع ولا يتبع المطامع»،

ويقول عبده في شرحه: لا يصانع أي لا يداري في الحق. والمضارعة: المشابهة. والمعنى أنه لا يشتبه في عمله بالمبطلين. وأتباع المطامع الميل معها وإنْ ضاع الحق. [ن. ب، ص ٦٨٢].

٥ - وليس المسلم بطعان أو لعان، كما هو معروف في السنة النبوية. ولكن الأتباع يرون غير ما كان يراه الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه في أشد أعدائه الذين قاتلوا ضده، إذ عندما «سمع قوماً من أصحابه يسبُّون أهل الشام أيام حربهم بصفين قال لهم: إني أكره أنْ تكونوا سبابين، ولكنهم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب إلى القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم اِحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق مَنْ جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان مَنْ لج له»، [ن. ب، ص ٥٦]، ولكن «ما أكثر العبر وما أقل الِاعتبار» كما يقول الإمام علي في كتاب نهج البلاغة على ص ٧٢٨، فـ«الناس أعداء ما جهلوا»، [المصدر ذاته، ص ٧٥٨]، إذ كان شديد التأكيد على الِاستخدام الأمثل لملكة العقل التي وهبها الله للإنسان، يتجلى ذلك في قوله: «اِعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل»، [ن. ب، ٦٧٨].

ولكن ماذا نفعل أمام مئات «الروز خونية»: أي قرّاء المنابر الحسينية المزورين الذين يرددون بغباء مشهود ملموس «المصيبة الحسينية! التي هي ثورة وفق أية معايير تحددها المفاهيم الِاجتماعية والفكرية» في كل عام من على منابرهم ويحشون أحاديثهم شتى الروايات التي ما أنزل بها من سلطان ولا يرضى عن معانيها الرسول الكريم، ويرفضها المنطق القويم لمحتويات الأقوال العلوية في «نهج البلاغة»؟!. مؤكدين على عدم نيله سلطة الخلافة باِعتبارها المقياس الأساس للتدقيق في التاريخ الإسلامي كله، في حين أنَّ الإمام علي رفضها يوم مبايعته بعد اِستشهاد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، [رضى الله عنه]، ولم يقبل مركز الخلافة إلا عندما فُرضت عليه من خلال قوله المعروف: «إنْ تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أميراً»، [ن. ب، ص ٢٣٣]، [٥٤].

المراجع والهوامش

[٥٣] - في فترات طويلة من التاريخ اختلط في التراث العربي الإسلامي بعض مخلفات ما تركته الأمم الأخرى من آراء وتقاليد وأفكار، ولعل عيد نوروز كان من بينها، وقد كان الإمام جعفر الصادق قد أجاب على تساؤل بشأنه بما معناه بالقول: لقد فتشتَ أوراق جدي فلم أجد بينها ما يوحي بذلك العيد، وفي أية حال إذا كان نوروز يعني اليوم الجديد، فإنّ كل يوم هو جديد، ولكن الأغرب ما قرأته [بالنسبة لي على الأقل] هو ذلك القول الصادر كتابةً عن السيد محمد حسين الطباطبائي الذي هو من بين أبرز علماء الإثني عشرية إدراكاً وتفقهاً، وصاحب العديد من المؤلفات التي تعالج الأمور الدينية والفقهية انطلاقاً من منظور الفهم العقلي للمفاهيم والمعاني الإسلامية، ومؤلف كتاب «تفسير الميزان» الموسوعي ذي العشرين جزءاً في اللغة العربية والأربعين جزءاً بترجمته الفارسية، الذي سعى فيه لتفسير القرآن من خلال ما جاء في النصوص القرآنية ذاتها... قوله: «والإسلام يميِّز ثلاثة أديان بنظرة الاحترام من باقي الأديان، وهذه الثلاثة هي: النصرانية واليهودية والمجوسية. إلاّ أنَّ معنى الاحترام الذي يرمي إليه (كما هو واضح من آيات القرآن الكريم) هو أنَّ بمقدور أهل هذه الأديان أنْ يبقوا على أديانهم، لا أنَّ أديانهم حقة»، [راجع كتاب السيد محمد حسين الطبطبائي المعنون مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي، ترجمة جواد علي كسار، إصدار مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الثانية الصادرة في عام ١٤١٨ هجرية، بيروت / لبنان، ص ٥٣١]. وفي مصدرٍ آخر، يؤكد محمد حسين الطبطبائي بأنَّ المجوسية هم من أهل الكتاب كونهم «مجتمع أهل الكتاب (النصارى، اليهود، والمجوس)، [راجع كتابه المعنون رسالة التشيع في العالم المعاصر، من ترجمة جواد علي كسّار، إصدار ذات الدار، الطبعة الأولى الصادرة في شهر رجب عام ١٤١٨ هجرية، ص ٨١]. فهل كان الله يدعو للشرك به: أي الدعوة لعبادته، من ناحية، والدعوة لعبادة النار، من ناحية أخرى؟.

وإذا كان عليه ذلك المعتقد الغريب، من وجهة السيد محمد حسين الطباطبائي، صحيحاً الذي يُستند في حيثياته إلى القرآن الكريم كما يزعم الفقيه المفسر، فما هو المضمون الفكري لقوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾، [الحج :14 - 17]...

إلا أنَّ ذلك «المعتقد الإمامي كما يجسده قول الطباطبائي» هو الذي شد انتباهنا إلى ما ذهب إليه العالـم الإسلامي المذهبي الكبير!.

الذي نتبينه من منطوق الآية ومضمونها، أنّ الله وحده هو الحكم، وأنّ مَن يدخل الجنة هم فقط المؤمنون والعاملون الصالحات، وأنّ الدين عند الله هو الإسلام. فهل عبادة النار، وعَبَدَتها، هي من حيثيات التمييز عن بقية الآيات الواردة في القرآن، العابدة لله؟ وكونهم بالإضافة إلى ذلك من أهل الكتاب؟. إنّ الجواب على تلك النظرة، وذلك التساؤل، يحتاج إلى عناية الرد أو النقاش من أي أخ مسلم متبحر متفقه بالرغم من وضوح الآية ودلالاتها، بسبب قصورنا في مجال البحث التاريخي في فقه الأديان المقارن، والتفسير القرآني الصحيح. فلا غرابة، إذن، أن نرى بعض الممارسات القبيحة التي وردت الإشارة إليها فيما تقدم من هذه الحلقة في دراستنا، حول ظهورها في مواكب اللطم، والتي أثارت اِنتباه البعض وكتبوا عنها، التي من بينها الرؤية السياسية / الثقافية التالي:

أول عاشوراء مجوسية في العراق!

د. نوري المرادي

في موقع الكادر المناضل

١٥/ ٢/ ٢٠٠٦م

من قبيل المنظر القبيح الذي ظهر على الفضائية التي يشرف على إصدارها مجلس عزيزي حكيم حول ظهور المشاعل النفطية في عاشوراء، التي تناول مدلولاتها النظرية القومية وخلفيات أبعادها التاريخية الصديق الدكتور نوري المرادي التي جاء فيها:

«[...]

وحيث افترض هؤلاء المرتدون أن ما يروه من هستيريا بين أتباعهم ثابت مطبق على العقول، وأنهم به فعلا قد ردوا النـاس عن الإسـلام، انتقلوا إلى الخطوة التالية. وهي خطوة مهولة حقـا، لا أرى إلا ورقابهم ستطير جراؤها، وبأيدي أتباع مذهب التشيع قبل غيرهم.

ففي مواكب عزاء هذا العام وسواء في شوارع المدن أو في كربلاء وصحنها الحسيني ظهر حملة شمعدانات النار المجوسية جهاراً نهاراً بين المواكب. ولا يوجد أي مبرر لحمل الشمعدان. فالصحن منوّر هو وكل شوارع كربلاء، ما بالك وهناك مولدات سيارة مع المواكب. وكان حامل شمعدان النار وفي الصحن الحسيني حصراً يدور حول نفسه تماما كما يفعل المجوس في احتفالاتهم الدينية، حيث يدور حامل شمعدان النار وسط جمع يتصارخون حوله.

وحقيقة، فالشمعدان رمز سومري قديم لإلهة الظلام أو الشيطانة (ليليث) التي انتقلت عبادتها إلى الأكدية ثم الآشـورية والمجوسـية واليهودية. سوى فروق بسيطة في شكل الشمعدان، حيث الشمعدان المجوسي من خمسة عشر مشعلا تتدرج أطوالها من الطرف حتى الوسط ثم تعود وتتدرج

بالعكس ليكون الأخير كالأول طولا. وشكله الهندسي كرأس مثلث منفرج. بينما الشمعدان الآشوري (واليهودي) من سبعة مشاعل والمسيحي من خمسة. لليهود رمز آخر يشبه الشمعدان وهو الشبولت (السنبلة السداسية الأذرع) التي تمثل إلهة الخصب السومرية والآشورية (أنشان). وللتذكير فالمثلث والفأس والفرجال والشبولت هي الرموز المقدسة لدى الماسونية. وللتذكير أيضا فأن اسم إبليس من اللغة الآشورية يعني حامل المشعل، ومقابله في اللغة اللاتينية هو ليوسيفر أي حامل المشعل. والتراث الإسلامي يؤكد اسم إبليس تقريبا حيث هو مخلوق من نار.

المهم أن عاشوراء هذا العام شهد أول ظهور لطقوس النار المجوسية، أو بالأدق للطقوس اليهودومجوسية في العراق».

ملاحظة تدقيقية

لقد شاهدت تلك المشاعل النفطية من على محطة تلفزيون «الفرات» التي يصدرها تنظيم مجلس عبد العزيز حكيمي، في النجف. وعندما أرسلت للدكتور المرادي إستفساراً عن تلك الواقعة، فقد أكدها بقوة وقال أنا المسؤول عن رصدها. {فيما نفى أحد المتابعين الموثوقين من كربلاء تلك الواقعة نفياً مطلقاً، جاء ذلك في مهاتفات متوالية للتأكد من الواقعة}. وإذا صح ذلك المشهد القبيح، فإنَّ مقالة الدكتور المرادي تكتسب أهميتها في مسألة الإرتداد عن الدين العربي الإسلامي، عند بعض العامة - من الذين يلتزمون بتعليمات قادتهم - حول الدعوة بنشاط إلى كسروية زرداشتية مجوسية، فضلاً عن الأيديولوجية الصفوية الفارسية، ب/ ص.

[٥٤] - لا يستطيع الفرس الصفويون تصور الشفافية الحوارية في صدر الإسلام، عند العرب المسلمين كلهم، قبيل تشكل السلطة الأموية، كونهم شطبوا مسبقاً على أي فضيلة للعرب، بما فيها حلف الفضول وندوة قريش، فلجؤوا إلى بث عاداتهم وتقاليدهم الكسروية التي تنطوي على الخوف من الآخر، والتبحر في عالم الدسائس، والتآمر والتدليس والتحدث بوجهين متناقضين، من قبيل ما نفثوه من سموم وأفكار وروايات حول مجريات إنتخاب أبو بكر كخليفة راشدي أول في مؤتمر السقيفة، لذلك هم يرددون دائما ما يعد النموذج التالي، عن أفكارهم تجاه التطورات التي شهدها المجتمع العربي الإسلامي:

«لقد إنضم الحزب الأموي إلى حزب المنافقين، {هكذا بالمطلق} وأخذا يكيدان معاً لبني هاشم، ويخططان لكسب معركة الخلافة وضمّها إلى صفهم، وإذا أردنا نبحث في سبب ظاهرة من الظواهر ونقف على عللها، علينا أنْ نأخذ بنظر الإعتبار الطرف المستفيد منها، ومن تعود عوائدها بالنفع عليه. لذلك علينا حينما ندرس إجتماع السقيفة أنْ نأخذ بنظر الإعتبار الفاعلين النشيطين في

عهد «الدولة الجديدة» التي اِنبثقت إثر السقيفة، {وليس الدولة العربية الإسـلامية، وإنما هي دولة جديدة ناجمة عن السـقيفة، كما يقول النص}، ونحلل المواقع التي آلوا إليها. وحينئذٍ نجد أنَّ يزيد بن أبي سفيان وخالد [المقصود بن الوليد، كما يبدو] وأبا عبيدة [بن الجراح] وسعد بن أبي وقاص ومعاوية [بن أبي سفيان] وضرار بن الأزور وأمثال هؤلاء ممّن اِنصرفوا في جيوش فتح العراق والشام، كانو من المستفيدين. وكذلك اِنتفع من وقائع السقيفة كلٌّ من: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ. وكان أغلب هؤلاء من المهاجرين، ومن قريش تحديداً. {والضربة هنا عامة للقرشيين والمهاجرين الذين طالما ردد الرسول الكريم بالتنويه عن أغلبهم ومدح بعضهم القرآن الكريم وفيهم مَنْ فيهم من أصحابه من رجال بيعة الشجرة الذين نزههم القرآن الكريم، ومسلمي الصدر الأول من المؤمنين حقاً}، وعليه لابدَّ أنْ يكون هؤلاء في رأس المخططين لِاجتماع السقيفة، خصوصاً مع ما يبدو من أنَّ الأمر كان يصـدر عن كيد سـابق حـُبِكَ من قبل، حتى إذا ما آن الأوان، واِنعقد اِجتماع السقيفة، ظهر نشاط الجماعة، وهو يخضع لمخطط منظم تسير وفقه الأمور»، [راجع كتاب السيد محمد حسين الطباطبائي، الصادر بِاسم الشيعة نص الحوار مع المستشرق كوربان، ترجمة جواد علي كسـّار، إصدار مؤسسة أم القرى لتحقيق والنشر، الطبعة الثانية، ذي الحجة ١٤١٨ هجرية، بيروت / لبنان، ص٣٢٢. والنص مقتطع من القسم الرابع المعنون بـ«الهوامش التوضيحية» التي كتبها كلٌّ من الشيخ على أحمد ميانجـي والسـيد هـادي خسـرو شـاهي، اللذين كتباها، ص ٢٥٧».

إذن آنَّ أغلب منشئي الخلافة العربية الإسلامية والذين رعوا صيرورتها مظهراً عاماً في التطورات العالمية العامة، هم منافقون، كائدون، متآمرون، أصحاب نوايا سيئة، ومخاتلة، وغير ذلك من أوصاف مغالية قيلت بحق صحابة رسول الله، [ﷺ]!!، ناهيك عن أقوال الإمام علي بن أبي طالب التي أنصفتهم، وسلوك الإمام حسن الذي تنازل للخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وهما الإمامان المعصومان، من وجهة نظرهم.

أما نصوص القرآن وسنة الرسول وأقوال الأئمة الأطهار التي تحض على الجهاد وتغيير المنكر والظلم والِاحتلال، فلا شأن لها بهم ولا أهمية لمحتوياتها الواضحة، طالما لا تخدم الرؤية الصفوية الفارسية.

٢ - ١٤ / ٣ / ٢٠٠٦م

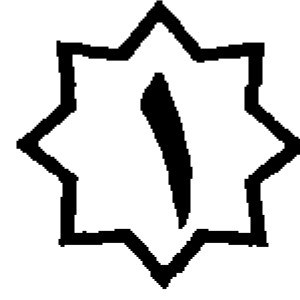
باقر الصراف

كاتب عراقي مقيم في هولندا

ثانيًا

اِنتهت الاِحتفالات: ولكن متى ينتهي عهر الأكاذيب وترويج الطائفية؟! أكاذيب لابد من فضحها!

باقر الصراف
كاتب عراقي مقيم في هولندا



اِنتهت الاِحتفالات «المليونية» في كربلاء - قبل عدة أيام - بمناسبة ذكرى اِستشهاد الإمام الحسين بن على بن أبي طالب، رضى الله عنهما، ولا يغيب عن بال البعض أنها لم تكن ذكرى الأربعين يوماً فقط، وإنما يجب أنْ يضيف إليها عدد السنوات على ذلك الحدث: الاِنتفاضة الحسينية واِستشهاد بطلها، والتي قوامها ألف وثلاثمائة وخمسة وعشرين عاماً، لحظة كتابة هذا الموضوع، أي أنَّ «الأموات» الذين يزعمون محبتهم للحسين وملئوا كتبهم بالأوهام والأكاذيب والدجل، ما يزالون يتحكمون بحركة الأحياء.

كانت الجماهير في تلك المناسبة قد اِتشحت في ملابس السواد تندب عاطفتها الجياشة وهي تلطم على الصدور وتصفع الوجوه وتضرب الرؤوس بصورة مروِّعة مرعبة، فيما كان الرسول العظيم محمد، ص، يفضل اِرتداء الملابس البيض دائماً ولم يبكِ أي من شهداء مسيرته الخالدة علاوة على أنه، [ﷺ]، لم يكرسها نهجاً تراثياً لرؤيته الدينية كونها تتعاكس مع الإيمان بالله وقدرته وتحكمة في مصير البشرية كلها، فضلاً عن تغييب المعنى الحقيقي لمعاني ودروس الاِنتفاضة، التي يتقدمها وجوب مقارعة الظلم والظالمين... وطلب الإصلاح لأمة محمد، [ﷺ]. وليس هناك عسف واِضطهاد أكثر من الأفعال الشنيعة للمحتلين مثلما لم يكن مَنْ هو أقسى منهم في إتباع سياسة التخريب والتدمير على مدى التاريخ كله.

وهذه «الاِحتفالات المليونية» تستحق من علماء النفس إفراد دراسة تحليلية معمّقة حول ظاهرة ما أسماه «علم النفس التحليلي»: بـ«عقلية القطيع الجماعي»، إذ كان تلك الجماهير متقاطرة، بلهَ هي متلاصقة لا يكاد فيها أنْ يلمس القدمُ الأرضَ إلا من خلال وقوعه على قدم التي قبلها أو التي على جانبيها؛ كان هذا هو ظاهر الحال في شارع علي الأكبر ذي ٢٥٠ متراً عـرُضاً، الذي كان من نتائج عمل النظام السابق الذي اِحتل العسكريون الأمريكيون العراق، وأقاموا سلطة بدلاً منه، واِتخذت البعد الطائفي والأيديولوجية الطائفية أساساً معيارياً لمجموع تصرفاتهم ومجمل سلوكهم السياسي، وكذلك في شارعي الإمامين الأخوين «الحسين» و«العباس» اِبنى الإمام علي بن أبي طالب، عليهم السلام، والشوارع والفراغات المحيطة حول مرقديهما المذهبين والمكسوين بالنفيس من الأقمشة والمزججات والإيقونات والريازات المبهرة في نقوشها.

وتلك المساحات والمسافات المكتظة بالسكان والزوار هو الدافع الأساس، كما يبدو، لما قالته محطة «الشرقية» العراقية، وبالمناسبة، هي التي كانت المبادِرة في ترويج «مظاهر عقلية القطيع بعد الاِحتلال الأمريكي للعراق بتاريخ ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م»... دافعها إلى تقدير تلك الجموع المتدفقة على كربلاء بمئات الألوف، بناءً على تقدير مراسلها من كربلاء، وهو الأمر الذي يتسق وجغرافية كربلاء وعلم الإحصاء ويتوافق مع المنطق العقلي ويحترم الظواهر الإسلامية الأخرى: كالحج الذي لم يزدد عدد الراحلين إلى الحرم المكي إلا حوالي المليوني مسلم من مجموع أكثر من مليار مسلم؛ والحج - كما هو معلوم - هو أحد فرائض الإسلام الواجبة على الفرد المسلم مقرونة باِشتراط «مَنْ اِستطاع إليه سبيلا»، كما ورد ذلك نصـّاً في القرآن الكريم: ﴿ولله على الناس حج البيت مَنْ اِستطاع إليه سبيلا﴾، [سورة عمران، الآية ٩٧]، فلنتصور «التقاليد الجديدة» التي يروجها أأصحاب النظام السياسي الطائفي الصفوي، وسادته الأدلاء العملاء للأجنبي المحتل..

أما الفضائيات التي ترفع لواء الرؤية الطائفية البحتة عالياً: كـ«الزهراء» و«الأنوار» و«الفرات»... إلخ، التي يحرص حكام الكويت المأجورين للأمريكان على منح بعضها

التسهيلات الكاملة، وتساندها - كذلك - محطات «الفيحاء» و«العراقية»، فقد رفعت الأرقام لذلك التدفق المتدافع والمتلاصق إلى «الملايين»، إذ تحدثت «الفرات» في البدء عن ستة ملايين موالٍ للإمام الحسين قد تدفقوا لزيارة المرقد الشريف: مشياً على الأقدام، وتفرغت لنقل صور الراجلين نحو كربلاء وإجراء المقابلات الفضائية معهم ليتحدث بعضهم عن مضامين ما تعلمّوه من خطباء المنابر المتخصصين في ترويج «المأساة الحسينية» المغلفة بالزيف الخطابي النوّاحِي، والمبالغات السقيمة الخارجة عن أي مفهوم عقلي أراد تكريسه القرآن الكريم من خلال الدعوة للتفكير وإمعان النظر التدقيقي في كل قضية مطروحة، ناهيك عن محاربة البدع مُنذراً المروجين لأي منها بالعذاب الجهنمي. فيما رفعتها «وكالات أنباء الطوائف» العديدة إلى سبعة ملايين على لسان العديد من مراسليها، وأخيراً قال مصدر يتابع همروجة ذلك الِاحتفال، إنَّ العدد الإجمالي الذي اِنتهت عنده الزيارة الأربعينية كان تسعة ملايين، من ناحية.

فيما تحدث خطيب صلاة يوم الجمعة في النجف المدعو صدر الدين القبانجي عن عشرة ملايين «مؤمن» [؟!] زائر لكربلاء المقدسة مع إيراد مقارنات «ساذجة» و«باغية» بين موسمي الحج المقدّس في القرآن الكريم، وزيارة «الأربعينية الحسينية» «المقدسة»، وتلك المقارنة - في حقيقتها - هي ترجمة واضحة لمعاني الفهم الجاهلي - أو المستمد من التعاليم القومية العنصرية للأمم الأخرى وتقاليدها المعروفة، التي كانت تعد الملك الحاكم: السيد المطلق على «البلاد» و«العباد» المحكومين من قبل ذلك «الملك الحاكم» - التي قضى عليها الإسلام وألغى تقاليدها بعد معركة «القادسية» الشهيرة التي جرت أحداثها المضيئة في زمن الخليفة الراشدي الثاني: «عمر بن الخطاب»، [رضى الله عنه]، وتلك الزيارة «واجبة» عند أصحاب فتاوى الرؤية المذهبية الطائفية، من ناحية أخرى، [1].

وإيراد تلك الأرقام المليونية الخارجة عن نطاق أي تصور عقلاني يعرف فيها المرء: لماذا يحمل رأسه؟ وليس مهووساً بأكل «النِعم الحسينية» المنثورة في الشوارع والطرقات، من دون موجبات الِاحترام لأية نعمة الذي حضَّ عليها الإسلام من ناحية التقدير أو

التقديس، فقد تذكّرنا بمضمون إجابة المذيع اللماح في إذاعة يرفان: العاصمة الأرمنية عشية سقوط الاتحاد السوفييتي، عندما أعـدّ مقابلة صحفية اِفتراضية مع أحد المسؤولين، جاء فيها أنَّ عقوبة أي كذاب يعمل لدي النظـام «الإشـتراكي» سـتكون بإقتطاع جزء من رجله... فما كان منه إلا أنْ علـّق على تلك الإجابة بالقول: إنَّ جميع المسؤولين عن دوائر الدعاية في وسائل الإعلام «السوفيتية الرسمية»، سيمشون، عندها، على بيضاتهم بسبب غياب أرجلهم لإسباب تتعلق بالجزاءات المتتالية والعقوبات المتكررة جرّاء أكاذيبهم الدعائية المستمرة.

فهل سيذهب المالكي وعادل عبد المهدي التي أظهرته فضائية «الفرات» ماشياً نحو كربلاء لمدة ثوانٍ، ولم تتابع زيارته أبداً، كما قالت مصادر متابعة لتلك التمثيلية التافهة الساذجة، الأمر يكشف أنَّ ذلك المنظر قد أعِّد لأغراض «الدعاية السياسية» والقول الفصل بتمثيلية اِبن المنتفكي: وزير الداخلية في الحكومة التي نصبّها الِإحتلال البريطاني في عام ١٩٤١م، لأبناء الجنوب على حد المزاعم الدعائية الصفوية، الذي روجت لها فضائية عزيز حكيمي بأنه أحد الزائرين سيراً على الأقدام معتمراً الطاقية البيضاء والدشداشة السوداء.

لقد أسهبت المحطات الفضائية الطائفية و«الخطيب النجفي للمذهب: القبانجي» وغيرهما من «فرسان الأكاذيب» في وصف تلك الزيارة بالسير على الأقدام، وأضفوا عليها من الدلالات السياسية الكثيرة... فهل سيذهب «الزوار من أنصار الرؤية الأمريكية والصفوية الفارسية» إلى كربلاء - خلال السنوات القادمة - سيراً على بيضاتهم في الأعوام التالية، هذا إذا توفر لهم «المقام الرفيع» في هذه الحياة الدنيا وتحت فيافي بركات الِإحتلال الأمريكي. إذ تواصَلَ كذبهم لمدة خمس سنوات تقريباً: أي منذ الِإحتلال العسكري الأمريكي البغيض والمجرم للعراق العظيم وحتى اللحظة الحالية... تواصل مع هذا الكذب الصفيق حول أرقام هذه المسيرة التي اِنعدمت فيها الفروق بن ستة ملايين مواطن وعشرة ملايين فرد في مجتمع يبلغ تعداده حوالي ثلاثين مليوناً، أولاً، أو غابت عنها المعاني

اللغوية والوقائعية بين التحرير، والاِحتلال للعـراق و«الأنصـار الأمريكيين»، الذين يذيقون عبر كياهم الصهيوني الفلسـطينيين وأبناء الجنوب اللبناني الموت والتدمير والنسف، ثانياً، فيما يوفرون وسائل النقل العسكري المريح لعملائهم كي يصلوا إلى «المواقع والمناصب الوظيفية لحكام في المنطقة الخضراء»، ثالثاً؟!.

لو أجرينا بعض المتابعات الرقمية لواقع الحال العراقي اليوم، فماذا سنكتشف؟.

تقول المعطيات أنَّ العدد الإجمالي لـ«شيعة» العراق تبلغ نسبته أكثر بقليل من الستين بالمائة من المجموع الإجمالي للمجتمع العراقي، ومع تحفظنا المسبق على هذه النسبة، فإنَّ الرقم الإجمالي الموازي لهذه النسـبة يبلغ ١٦ مليوناً من المواطنين، وهي «الكل الشـيعي العراقي» على أبعد تقدير وأقصـى الاِفتراضات، بما فيهم الأطفال الرضَّـع والمقعدين والمرضى والصبايا في مقتبل العمر، ولكن الأرقام الأخرى للمجتمع العراقي تقول: رغم أنها الأخرى نابعة من رؤية أيديولوجية مخاتلة، إنَّ عدد الأكراد أربعة ملايين أو أكثر، والتركمان حوالي المليونين، والمهجرين إلى سوريا والأردن ومصر وبلدان أوروبا، وبسبب الأعمال الاِنتقامية العشوائية والتصفيات الجسدية والتقسيم الطائفي لمناطق السكن العراقية المختلطـة، تبلغ أرقامهم أربعة ملايين مواطن أو خمسـة ملايين مهاجر أو مرحـَّل تحت وطأة التهديد بالقتل، وعدد المسـيحيين لا يتجاوزون الآن المليون مواطن، علاوة على حذف أرقام مَنْ هم دون سن العاشرة من ذلك العدد «الشيعي» من أعمارهم، بالإضافة إلى عموم النساء اللاتي «قـرّنَ في بيوتهن»، كما حضَّ على ذلك: القرآن الكريم، فماذا يتبقى من أعداد العراقيين «الشيعة» القادرين على الزيارة الأربعينية؟!.

أتبلغ أرقامهم الستة ملايين «زائر» ولا نقول العشرة الملايين مواطن بسبب خرافة ذلك العدد الذي لا يصدقه كل مَنْ اِمتلك العقل وتحلى بفضيلة الوعي وتمتع بقابلية الإدراك واِستوعب مقاييس الفهم؟ أم أنَّ الأكاذيب التي اِعتبرها الدين الإسلامي القويم: أم «المصائب والجحود» هي المعيار الأيديولوجي عند الأحزاب والمسميات الطائفية الأخرى التي تطرقنا إلى أسماء فضائياتها عند بدء كتابتنا هذه؟! ثم مَنْ هي الجهة التي

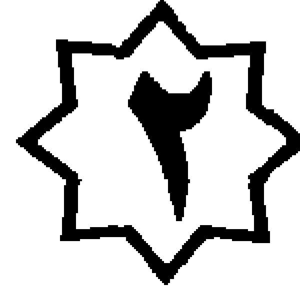
مولت ودفعت مبالغ السفر وسيرت «المجتمع السائر على الأقدام منبقية المحافظات»، وصرّفت الأموال لعوائل الزائرين لمشهد كربلاء التي دُفن فيه الإمام الشهيد الحسين بن أبي طالب؟ وكيف تجمعت لهذه الأحزاب «الإسلامية» المبالغ المالية الكبيرة كي تـُصرف كل تلك النقود على الأنصار والمريدين؟ وكذلك، [وفي الآن نفسه]، تجدر الملاحظة أنَّ «الأزمة السياسية العامة» قد تفشت في كل جوانب الحياة الاِجتماعية والاِقتصادية؟!.

الكذب البواح صفة ملازمة للـ«مسؤولين السياسيين» المنصَّبين من قبل سلطة الاِحتلال الغاشم، كأداة نـُصرة وقمع: نُصرة المحتلين الأمريكيين وقمع أبناء المجتمع العراقي، والقمع الشامل خصيصة بنيوية متكررة على الدوام وسمت عمل الغزاة المحتلين في كل زمان ومكان، فليس المقارنة بين وضع المقاومين للغزو والعملاء للاِحتلال الأجنبي هو المقياس في التقويم فقط، إذ أنَّ ذلك المعيار مكشوف ويكاد يتلمسه جميع المتابعين الوطنين المخلصين من كل فئات وطبقات أي مجتمع يشعر بأهمية العنصر الوطني في سياق التحليل الفكري والسياسي، وإنما الموقف الملموس لجميع أبناء الشعب العراقي تجاه التطورات الماثلة في عراق اليوم أيضاً.

إن المعيار الموضوعي يتحدث عن حوالي مليون شهيد عراقي سقطوا ضحايا الاِحتلال العسكري الأمريكي، وهي معلومات مستمدة من مصادر غربية متعددة، فضلاً عن مجريات ما حدث لمئات الألوف من المعتقلين الأبرياء عند الأمريكيين المحتلين، من جانب، والعملاء التابعين لهم، من جانب آخر، التي من بينها مجريات الوقائع الفظيعة في سجن أبو غريب، وتهريب البضائع لكل ما من شأنه الإضرار الفظيع في المجتمع العراقي، خصوصاً من إيران: «الجارة المسلمة»، من جانب ثالث، ونشر الأمراض الاِجتماعية والصحية في العراق كالإدمان على المخدرات والإيدز، من جانب رابع، وغيرها من عشرات الأمثلة، التي أبرزها سلسلة الاِغتيالات والتعذيب بالحرق والسلق والثقب بالدريل، لكل مَنْ يناويء الاِحتلال من أبناء شعبنا البطل، حيثما تمكن المجرمون الطائفيون من الوصول إليهم، أولاً، قبالة حماية العملاء في المنطقة الخضراء، وتلزيمهم المواقع

الوظيفية الكبرى والحساسة، ثانياً، وتلك هي مجرد أمثلة محسوسة عن بعض تلك الظواهر الملموسة التي أعقبت عملية الإحتلال المجرمة.

التي أبرزها الكذب البواح الذي ورد على ألسنة الطائفيين بكلام واضح وفج، وهو مناط الحديث الذي تجلى شاخصاً في هذه المناسبة.



لماذا كان هذا الكذب الدعائي الأيديولوجي الذي دأبت على ترويجه مختلف الفضائيات الطائفية والأحزاب الصفوية والملتزمة بالرؤية الفارسية بالطريقة التي شهدنا ملامحَ منها قبل الأيام القريبة الماضية؟.

إنَّ الجواب على ذلك التساؤل يتطلب تركيز الأنظار على بعض المشاهد التي تبثها الفضائيات وإمعان التفكير في خلفياتها الموضوعية.

لحظ كل متابع وطني عراقي، بعض الأقوال المغناة بلحنٍ حزين والصور المعبرة عن بعض الأحداث المأساوية التي مرَّ فيها العراق قبل فترات من الزمن الذي أعقبت الإحتلال الأمريكي، ورغم ضغوط القرف النفسي الشديد الذي يأخذ بتلابيب الفرد والذي كان يصل - في بعض الأحيان - حد التقيؤ، عندما يتابع مشاهدة وسماع تلك الفضائيات، ومع ذلك فإننا تابعنا تلك المشاهد الفضائية، لأن ما هو مطروح في تلك الفضائيات يتطلب مغالبة العواطف الإنسانية وتغييب العقل المفكِّر عنها، وتقفيصاً شديداً لإنفلات الأعصاب التي تصطدم من الألف إلى الياء بمعرفة الحقائق التاريخية الخاصة بنشوء وصيرورة الدين العربي الإسلامي على المستوى التاريخي... تصطدم بما دأبت على ترويجه تلك الفضائيات وبات لها إدماناً مرضياً خاصاً مدفوع الأجر.

تستحضرها يومياً بعض الفضائيات تلك، وذلك من أجل بث الكراهية وإثارة نوازع الثأر الحيوانية المترسبة في غرائز الفرد... أي فرد، قبل إدراكه المعرفي لوقائع الماضي الذي أعقب فترة نشوء الرؤية العربية الإسلامية.

لقد كانت تلك الفضائيات: تدعو الأفراد لأخذ الثأر ليس من الأمريكيين: الأعداء المحتلين للعراق، في اللحظة التاريخية الراهنة، وليس من الصهاينة لقتلة الشعب الفلسطيني، وليس مناوئة المسيئين للرسول العربي: محمد بن عبد الله، [ﷺ]، بل أخذه من «النواصب» وأتباع «قوم تيم القرشية: من أجداد أبو بكر الصديق رضى الله عنه» وقوم «عـدي أجداد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه» وقبيلة «حرب قوم أبي سفيان وعموم الأمويين»: ومفهوم النواصب هي كنايات عن «الطائفة السنية» من المسلمين في الحالة العراقية الراهنة، بدلالة الأبيات الشعرية التي تتكرر عن تحريض «الإمام المهدي» والتوسل به لأخذ الثأر من أولئك النواصب، وهو تحريض مقرون مع عرض صور الخراب التي تـُجْسـد نسف القمة الذهبية والتدمير للمآذن العالية في مدينة سامراء: مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، وهي فوق ذلك يعرب الموجهون لها من الناحية الدعائية لتلك الفضائيات عن أسفهم العميق لدفن الإمامين الهادي والعسكري في سامراء وعند النواصب بالذات، مع الإبراز المتكرر للقبة الذهبية المتفجرة وللمآذن العالية، في إيحاءٍ لمسؤولية «السنة» عن ذلك التفجير.

في الوقت الذي يعـلم فيه الجميع أنَّ عملية التفجير المجرم إستغرقت من الوقت ما لا يقل عن الساعات الست والجهود الفنية لأشخاص متمرسين يقارب عددهم العشرة: ما بين منفذ لمفردات الجريمة وزارع للعبّوات الناسفة وحراس للمجرمين ومراقبين لما يجري خوفاً من المفاجئات وآخرين متحفزين لمواجهة أي طاريء قد يحدث بالمصادفة، فأين كانت - إذن - الأجهزة الأمنية السلطوية في حينها لحراسة مثل هذا المرقد الكبير والعظيم؟ وهو ما يدفعنا للقول على طريقة الحسجة العراقية بأنَّ «دود الخل منه وفيه»!.

أما المعاني الرمزية التي تنطوي عليها تلك الأسماء والنعوت لأقوام: تيم وعَدي وحرب، فقد كانت الأولى ترمز لأبي بكر الصديق الخليفة الراشدي الأول رضى الله عنه، كونه من بني تيم القريشية، بسبب ما تتناوله الكتابات الطائفية حول «اِغتصابه» للخلافة الراشدية الأولى عند اِنعقاد مؤتمر سقيفة بني ساعدة، في حين أنَّ الدراسات الموضوعية

تقول التالي: «لقد تمكنت القيادة الإسلامية من فهم الأوضاع الموجودة جيداً، وانعكست فعالية شخصياتها في إدراكهم لتلك الضرورات وتمكنهم من فهم متطلبات مرحلتهم، ولو كان أبو بكر رضى الله عنه عاجزاً عن قراءة سير الأحداث لكانت ضاعت الفرصة، فالإنتصارات التاريخية لا تولد من الظروف الموضوعية وحسب، بل تحتاج للعامل المحرك، والقيادي، للقابلة التي تساعد الجنين على الولادة. إنَّ كل ضرورة تتضمن مجموعة معينة من الممكنات، ولا تتحقق على أساس العامل الداخلي لها، بل قراءتها، وفهم مسارها، وتقدير الممكنات الأخرى هي التي تكشف عبقرية الشخصيات التاريخية، التي تتمتع بقدرة على التحرك في الظروف المعطاة، ويظهر قوة الإرادة عندها؛ وقد كانت قيادة الحركة الإسلامية برئاسة أبي بكر قادرة تماماً على تفعيل دورها في التاريخ، واغتنم الفرصة التي قدمها المثنى بن حارثة الشيباني للخروج من الجزيرة العربية»، [٢].

فيما يرمز قوم بني عَدي للخليفة الراشدي الثاني الفاروق: عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي «ظلّ رجلاً أميناً وفياً لرسالته. ولم يفارقه إيمانه المثلث الذي أشرنا إليه آنفاً، إيمانه بالله، وبمحمد رسوله، وبنفسه. ولم تكن السلطة التي تمتع بها في حياته لتفسد من خلقه الكريم، ولم يقوَ الزمن بموته أنْ يقلل من شهرته. [...]. يحتل عمر بن الخطاب المرتبة الثانية في قائمة عظماء التاريخ العربي. فقد كان مؤمناً وقف حياته في سبيل الإسلام، وقائداً يلتهب حماسة، ومفوّضاً لإحدى أعظم الإمبراطوريات في العالم. ومؤسساً لمنصب الخلافة التي كانت قوة تربط العالم الإسلامي في مدى ثلاثة عشر قرناً»، [٣].

ولكن قرّاءَ تلك الفضائيات الطائفية وخطبائها يقرنونه بالذي تسبب في «كسر ضلع الزهرة» ويعتبرون هذا الكسر معيار المعايير في تقويم تلك الشخصية التاريخية، بسبب روايات ضعيفة وكاذبة، للدرجة التي دفعت أحد آيات الله وهو «الأفقه» كما أعتقد مثلما هو «الأصدق» مع الذات من بين المجتهدين: السيد محمد حسين فضل الله، إلى التشكيك فيها وصولاً إلى تكذيبها تقريباً، [٤]، ولكن لا حياة لمن تنادي طالما أنَّ البعضَ ظل غارقاً في بطون الكتب الصفراء ويترسم خطوات الرؤية الفارسية الصفوية التي أشاعتها إيران، لأسباب تتعلق بتراث كسروي مديد قضي عليه الإسلام بعد معركة «القادسية» المجيدة، [٥].

أما الِإسم الأخير في القائمة التي يتغنى فيها قرّاء المنابر الحسينية: حرب، فيرمز إلى قبيلة آل أمية القرشية بما فيهم عثمان: الخليفة الراشدي الثالث الذي كان الإمام علي بن أبي طالب ثاني مبايع له، بعد عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان مؤسس الإمبراطورية الأموية التي وصلت فتوحاتها إلى حدود الصين، وغيرهم، فكلهم مذنبون بسبب «حرفهم المسيرة الإسلامية» وتوجيهها نحو العصبية القبلية، وقتلْ أحدُ خلفائهم: يزيدُ بن معاوية بن أبي سفيان الإمامَ الحسين بن علي بن أبي طالب، ومطاردة بني أمية لعناصر البيت العلوي، على ما في ذلك التاريخ من رؤى أيديولوجية، أولاً، وروايات مكذوبة، ثانياً، ومواقف أئمة آل البيت في معترك التطورات السياسية التي مرت فيها مرحلة الدولة الأموية، ثالثاً، [٦].

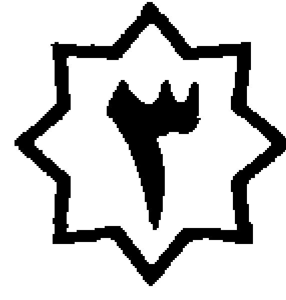
إذن، فإنَّ بعث الطائفية المذهبية، وترويجها، هو الجوهر الثاني لعمل تلك الدعايات الفضائية وبث كم المبالغات ونوع الأكاذيب، والطائفية تلك تخدم المحتلين العسكريين الأمريكيين. لا شك في ذلك. فالطائفية المذهبية في الواقع العراقي الملموس، تتسبب في بث الكراهية للآخر المُخْتَلَف معه، والحقد غير المقدس عليه، وتعمل بنشاط وفعالية على اِستشراء نزعة التفكيك بين أبناء الجسد الواحد: أي المسلمين الذي ينبغي أنْ يكون كلهم كالبنيان المرصوص، كما دعا إلى ذلك الرسول الكريم محمد بن عبد الله، [ﷺ]، ومن ثم التفريق بين الأفراد على أرضية تكفيرية تحرِّض على الشطب والقتل، وصولاً إلى التقاتل المجاني العمودي بين أبناء المجتمع الواحد الذي يلتزم العقيدة الإسلامية.

فالهمروجة المُتحدث عنها هنا، والتي يبلغ عدد المنخرطين فيها «ملايين» العراقيين، تؤدي - شاء البعض أم أبى - إلى نزعة التعالي «الإيماني» والعدوانية المذهبية، والغرور بالقوة التي ضخمها الِاحتلال المجرم: الأمريكي/ الإيراني عند البعض، وبالتالي تملّك هذه الأغلبية المتورمة بالأكاذيب المواقفَ الدينية التي تبيح الِاضطهاد والقتل والخطوات السياسية غير الصحيحة على حساب مواقف الكل العراقي المتوحد في رؤيته للاِحتلال العسكري الأمريكي، الذي ينتمي إلى مختلف المدارس الفكرية والقوميات المتعددة والمواقع

الإجتماعية المتنوعة، ومن دون ضرورة شيوع نزعات التكامل والحرص على عقلية الإصلاح وثبات روحية الإثراء الروحي التي حثَّ عليها الدين العربي الإسلامي.

ومجموع «الردّات الحسينية» التي يرددها ببغاوات «القطيع» دون فقه لمضمون نتائجها المتوقعة، والقصائد الملقاة من فوق المنابر، وكذلك أغلبية الخطب المروية من على المنابر العالية، والتي تجتزيء قصصاً من التاريخ العربي الإسلامي، لاسيما منعطفات الخلافات السياسية المؤسفة فيه، لجعلها المعيار الكلي للنظر في التاريخ العربي الإسلامي... كل ذلك يساهم بشكل فعّال في تفكيك الروابط الإجتماعية التي تواشجت ألفتها المتينة منذ قيام الدولة العراقية الحديثة في العام ١٩٢١م في أعقاب ثورة الوطنية الكبرى في ٣٠ حزيران من عام ١٩٢٠م، وذلك من خلال التجزئة الطائفية للمكونات الإجتماعية الواحدة: أي إتباع سياسة التفتيت.

ويؤدي ذلك إلى تمترس تلك الطوائف حول «رؤى دينية/ مذهبية مقدسة» تعمل على حذف الآخر وشطبه من أي وزن إجتماعي وطني مكون للوطن الواحد، وبالتالي إحداث «التقاسم العدائي» - بين قوى وأفراد المجتمع العراقي الموحد - على أسس طائفية مذهبية، من خلال نشر الكراهية المشينة والحقد المسعور والصراع العبثي اللا موضوعي بين العراقيين، وتعميق الأطروحات «الفكرية» لغرائز «عادة أخذ الثأر» من العرب والمسلمين على يد أتباع الإمام «المهدي» الحي الأبدي والموجود في أذهان البعض الأيديولوجي، من ناحية، والتمسك بالتفاوت بين أبناء الدين الواحد بالتصور المشترك والمصير النهائي: الذهاب إلى الجنة للأنا الطائفي وذهاب الجميع: المُخَـلَـف معه، إلى جهنم الموعودة ولنار الجحيم، إنَّ عدم المساواة بين المنتمين للدين العربي الإسلامي على أرضية الفهم الحضاري الإسلامي، تعد إحدى الخصائص التاريخية للقناعات الفارسية الصفوية: الفكرية والسياسية، التي تلبست لبوس الدين الإسلامي بصورة زائفة، منذ الفتوحات الإسلامية التي كان أبرزها معركة القادسية المجيدة، من ناحية أخرى.



عندما يتحدث التاريخ عن المجازر البشرية البشعة التي تسبب فيها البعض الطائفي، ولأي جهة كانوا يروجون، وتنتظم سطورها وقائع عصية على النسيان، فيمكن القول عندها: لابد وأنْ تكون وراء كل ذلك: دعوات «فكرية/ طائفية» واحدة، وطالما نتحدث نحن في هذه السطور عن «همروجة الِاحتفالات» التي بلغت حدّها الأقصى في تلك المناسبة التي تحدثنا عنها، فيما سلف من صفحات، فالواجب على كل وطني عراقي مخلص يقتضي التذكير ببعض تلك الوقائع الماضية.

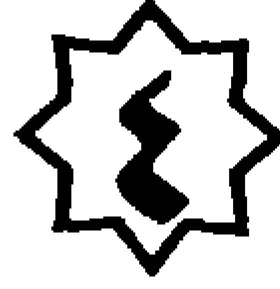
فمنذ أنْ تحولت «الصفوية الصوفية» إلى مشروع سياسي قومي فارسي يتسم بالتعصب - إنْ لم يكن قبلها - ويسعى إلى توسيع نفوذه على حساب العرب العراقيين، وكذلك على عموم العرب، والمسلمين العثمانيين، تصاعدت الممارسات الطائفية الفارسية، الأمر الذي تطلب من سلطتهم العودة إلى الفهم الكسروي للطبيعة القيادية التي ينبغي أنْ تكون بيد «العائلة المقدسة»، وقد أدت تلك الممارسة المتمثلة بالعودة إلى تلك الممارسات «الملكية الكسروية»، من بين ما أدّت - إلى شيوع نزعة التقديس في بعض الأفراد ونزع الصفات البشرية عنهم، وهو الأمر الذي نجم عنه، بغية فرض التعاليم المذهبية التي اِنتقوها كأيديولوجية ترفد الحكم بالتأييد المطلق، إلى اِنتشار عمليات القمع المادي وتعميم الظلم الِاجتماعي ومضاعفة إجراءات القسر والترهيب والمطاردة، والتطبيق الحازم لعقلية التعذيب المتعدد الوجوه والوسائل والتصفيات الجسدية، وبالتالي إجبار بعض أبناء الطائفة السنية/ المسلمة على نقل توجهاتهم الفكرية من مفاهيم «التسنن» على مستوى المعتقد الديني إلى الِالتزام بمفاهيم «التشيع» الفارسي المفصل على قد ومقاس وحجم طموحات تلك «العائلة» الصفوية الحاكمة و«إيمانها المذهبي» الجديد، ومن أجل ترسيخ تلك المفاهيم سوقوا علناً ومشهوداً، جميع أطروحات اللعن والطعن للخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، رضي الله عنهم، وعمل بعض

«علمائهم/ مجتهديهم» على تجويز «سبهم وشتمهم» بالإستناد إلى «آراء فقهية» مستندة إلى تأويلات لأحاديث ملفقة أو أصابها التزوير جرّاء السنوات المديدة «لتراث عربي إسلامي» جـُمعت في كتاب: بحار الأنوار الموسوعي «للعلامة المجلسي» علاوة على التعامل بالمثل - كما أشاعوا - حول السياسة الأموية القاضية ضرورة قيام خطباء المنابر بسب الخليفة الراشدي الرابع، [٧].

وفي ذلك يقول الأستاذ علي الوردي: عالم الإجتماع العراقي المعروف ومن أبناء مدينة الكاظمية، ولكن من التنويه المسبق كونه: لا يلعب الوعي المذهبي الطائفي في دوره المعرفي السياسي المكتوب في مؤلفات كثيرة أي دور ملموس، لقد لجأ الصفويون «إلى الإضطهاد والقتل والتعذيب» وأصبح «مذهب التشيع الصفوي» عندهم «مذهباً قومياً في إيران، واصطبغ من جراء ذلك بصبغة الغرور القومي وأصبح عقيدة سلطانية خامدة» من دون مضمون فكري يرتبط بالزمان والمكان، وكان - كذلك - «جل إهتمامهم منصباً على تشييد المساجد وعلى زخرفة جدرانها وتذهيب منائرها»، وغدت الإنتفاضة الحسينية من وجهة نظرها وطبيعة ممارساتها مجرد طقوس ومراسيم خالية من التمسك بمضامينها الحقيقية والفعلية، مفضلين عليها عزاءات اللطم وأصوات النشيج والبكاء، والزحوف السيّارة نحو كربلاء، التي لا نعرف مصدر تمويلها المالي الضخم: تشجيعاً لأولئك الزاحفين/ القاعدين عن أي عمل منتج، والقائمين على خدمتهم، والمطاعم التي تنتشر على الطرقات من أجل إطعام «المريدين السائرين نحو كربلاء» في وقتٍ تعاني الأوضاع الزراعية في جميع أنحاء العراق من ظواهر التخلف وعدم الإنتاج ويشكو الناس الفقر جراء الأزمة السياسية العامة التي تمر في العراق بسبب الإحتلال. وتلك الظواهر الطارئة بالشكل الذي ظهرت فيه، وأطنان الدعاية التي واكبتها تصور كأنّ الإنتفاضة كان «الهدف الأكبر الذي قـُـتِّلَ من أجله الإمام الثائر: الحسين بن علي بن أبي طالب»: أنَّ تلك المظاهر المسوهة لفعلها المضيء، هو هدفها الرئيس أو الأساس، [٨].

فيما شهدت مصر الخلافة الفاطمية وقائع مشابهة لتلك الفظائع الصفوية من قبيل ما أورده الكاتب المصري الأستاذ خليل عبد الكريم في بحثه حول «المشكلة الطائفية بين المد والجزر» على الشكل التالي «أما الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله: فإنَّ كتب التاريخ حافلة بأوامره البالغة الشذوذ والممعنة في الغرابة»، [...]، من قبيل: «حظر أكل أنواع من الأطعمة على الرعية. وضرب عنق إمام جامع العتيق (السني المذهب)، لأنه صلى بالناس التراويح في رمضان»، [...]، «كما بعث مَنْ ينبش قبري الصديق أبي بكر والفاروق عمر - رضي الله عنهما - ولكن المحاولة الآثمة باءت بالفشل الذريع، وانكشف أمرها»، [٩].

فلا غرابة، إذن، نشهد العنف العبثي في العراق المحتل أمريكياً ضد أبناء الدين الإسلامي الواحد، والتهجير الواسع لأقسام هامة من الشعب العراقي على خلفية ولاءاتهم - أو انتماءاتهم المذهبية بحكم الولادة - مدارس معينة تعني بالتفسير للرؤية الإسلامية تجاه مسائل يفرزها الواقع، ونرى الفرار من الزحف لمواجهة المحتل وترك جهاد الدفع التي هي أحد كبائر الخطايا وفق المعايير الإسلامية، ناهيك عن مشاركتهم الأمريكيين في تحمل أعباء مواجهة «الإرهابيين» أي مجاهدي العراق الأباة: بالكلمة أو الفعل، في حين أنَّ الدين الإسلامي أوجب مقولة: «دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة»، ولا غرابة أنْ نرى مسلمي إيران من غير مسلمي الطائفة الإثنا عشرية يشكون فقدان طهران: العاصمة الإيرانية لأي مسجد يرعي شؤون أبناء المذهب السني بالرغم من أنَّ عددهم في طهران، فقط، يتجاوز رقم المليون مواطن، وأنَّ عددهم الإجمالي في كل إيران يتراوح بين عشرة ملايين وخمسة عشر مليون مواطناً إيرانياً. مثلما يحرّمون على أبناء الأحواز تسمية مواليدهم بخالد وعمر وأبي بكر وعائشة ومهند وعثمان وشيماء وضرار، وغيرها من الأسماء التي ترتبط بأسماء قادة الفتح العربي الإسلامي لإيران... إلخ... إلخ.



إنَّ ما نريد الوصول إليه، هو الإستخلاصات التي سنتطرق إليها، بعد إبداء هذه الملاحظة الأساسية:

١ - إننا لا نتطرق إلى الرؤية الإمامية المسطَّرة في بطون الكتب، كما قال بها شيوخ وسادة متفقهون عالمون صادقون، كما هو شأن السيد محمد حسين فضل الله والسيد محمد مهدي الخالصي ومحمد تقي الحكيم والسيد علي الأمين، وغيرهم الكثير، وإنما نتطرق إلى محاولة تفسير بعض الظواهر الإجتماعية والتي تكثف مقولة «التدين الشعبوي» كما جرى عرضه في الفضائيات الطائفية، ورعته الحكومة الكويتية وبعض وسائل الدعاية الإيرانية و«العراقية»، كون دعاياته هو الأكثر تأثيراً في الشارع والأوفر تماهياً مع تلك الأطروحات الطائفية للدرجة التي لم يتحرج البعض منهم، من عرض صور تلفزيونية لمباني حسينية في البحرين، يقولون فيها - كما هو مثبت على واجهتها: يا مهدي إدركني، في حين أنَّ الإسلام جعل الأمر كله لله من قبلُ ومن بعدُ.

٢ - إنَّ صورة [بالمعنى الفلسفي لمفهوم الصورة] الصراع العالمي الراهن هو ما عبّر عنه العالم المغربي السيد المهدي المنجرة هي التي يجب أخذ معيارها بنظر الإعتبار في التحليل السياسي والتقويم في الأحداث المفصلية، إذ أنَّ الحروب القادمة ستكون تجليات أساسية «لحروب ثقافات وحضارات. بين الشمال والجنوب. بين التسلط والإستبداد الحضاري وبين مبدأ حق الإختلاف والتعدد. إنَّ شكل الصراعات ستكون ثقافية ودينية قائمة بين الشرق والغرب أو بين الغرب والإسلام»، كون الثقافة العربية الإسلامية «تشكل الخطر المتعاظم ضد الغرب»، وهو ما يفترض التوحد، لا التمزق والتفكك، ضد هجمة العولمة الأمريكية. لقد دشن الغرب الأمريكي في ظل أيديولوجية المحافظين الجدد تلك الحرب الإجرامية في العراق وعلى العراق منذ بداية العام ١٩٩١م، والتي إستمرت حتى إحتلاله في العام ٢٠٠٣م. ولا شك أن معول الفهم الطائفي والممارسات الطائفية التي حضَّت على

التفكيك بين أبناء المجتمع الواحد ونشر رايات التمزق كانت هي المحمول الأول والأساسي لمشروع العولمة الأمريكية على الصعيد العراقي، في هذا السياق تأتي الدعوات الطائفية الممزقة والمهلكة.

٣ - ثنائية مفهومي «الغيب والمستقبل» هما الحدان الأساسيان للوعي الإنساني. وهذا الوعي هو ما ينبغي توفر حدوده للولوج إلى مرحلة المستقبل على أرضية الفهم الحضاري العربي الإسلامي. و«مفهوم الغيب» بالنسبة للمسلمين هو شأن خاص وبحت لله الجليل الواحد ذي القدرة الكلية لجميع التطورات في الماضي والحاضر والزمن القادم.

أما بخصوص مفهوم المستقبل - كما يقول العالم المهدي المنجرة - «فقد منحنا الله القدرة لتغيير أمورنا بإرادتنا. وعندما يتحول الأمر إلى اِنعدام مواجهة المشاكل والتخطيط لها في المستقبل للتغلب عليها، مع القيام باِستغلال هذا المستقبل لأغراض ديماغوجية وسياسية لتهدئة الناس؛ فإنَّ هذا الأمر على هذا المنوال يتحول إلى خيانة لعلوم المستقبل وخيانة للشعوب». فماذا يمكننا الحديث - عندئذٍ - عن أولئك الباحثين عن خطايا الماضي، إذا كان ثمة خطايا تتعلق بالماضي، وتوجيه حملات الثار ضد الأشقاء، وليس فقط تناسي التفكير في المستقبل الذي يتعلق بشعوب أقطار الوطن العربي، الهام والضروري لكل الأشقاء والأخوة وأبناء الدين السماوي الأخير والمشترك!؟.

٤ - إنَّ العدوان على العراق في العام ١٩٩١م هو أكثر من «حرب صليبية» كون هدفها الأساس «حضارية وثقافية بالدرجة الأساسية» بالإضافة إلى تحقيق الأهداف الاِقتصادية والسياسية الأخرى، وبوش كان صريحاً وواضحاً عندما تحدث عن «حرب صليبية ذات المضمون اليهودي الصهيوني»، فضلاً عن الوقائع الفظيعة التي تبرهن على ذلك المسعى الأمريكي الخبيث.

لقد تضامن فيها مع «القائد الأمريكي» لهذا العدوان الشامل على الأمة والعراق العظيم، مثلما تواطأ، مجموع «الأنظمة العربية ونخبها المرتزقة المرتشية، العاجزة في صمتها وخطابها، سواء بسواء»، كما شخص ذلك المهدي المنجرة، [١٠].

ويأتي هؤلاء المفككون المفتتون المشتتون على أرضية طائفية، رقماً فاعلاً على الأرض العراقية ومناصراً لهذا العدوان الشامل الذي يتطلب الرد عليه من خلال التوحد والتنسيق والتضامن، وفق الدرجات المطلوبة. إن التعريف الشامل والجديد للتخلف هو «العجز عن توظيف الطاقات الإنسانية وعدم القدرة على حسن إدارة اِستثمارها»، إنَّ المعني الحقيقي لكل ذلك هو الترجمة الفعلية في تلك الاِحتفالات، بما يؤدي إلى مضمون التعريف المانع الجامع لمفهوم التخلف الجديد، يضاف إلى كل ذلك «كم» و«نوع» الاِغتيالات التي طالت الكفاءات العراقية والمبدعين في الحقول العلمية، وشردت الألوف الآخرين من الكوادر المجربة في حقول الاِختصاصات..

٥ – ولكن ما هو المعيار الموضوعي لقراءة التطورات السياسية التي تمر في بلدٍ ما؟ إنه «البرنامج السياسي» للأطراف المتصارعة على «مستقبل الأوضاع الاِجتماعية والسياسية والاِقتصادية» في جغرافية محددة، وهو عراق اليوم والمحتل أمريكياً، فالبرنامج السياسي للمحافظين الجدد الأمريكيين الذين يستحوذون على شؤون الإدارة الحاكمة للولايات المتحدة، هو المقياس لرؤية الحاضر العراقي، البرنامج السياسي الأمريكي كان يفقه ماذا يعني مفهوم «الدولة الموحدة» للإقليم والمجتمع من خلال الحكومة التي حققت اِستقلالها السياسي/ الاِقتصادي الناجز بعد تأميم ثروته الأساسية: النفط في العام ١٩٧٢م، بعد أن كانت قد حققت اِستقلالها السياسي خطوة إثر أخرى، منذ تأسيسها في العام ١٩٢١م، التي كانت ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م المباركة أبرز خطواته العملاقة، لذا كان العنوان الأول لذلك البرنامج هو تحطيم ذلك «المفهوم: أي الدولة» الذي شكل العنوان الرئيسي للتطور العراقي الموضوعي اللاحق.

لقد كانت وسيلتها الأساسية «القدرة العسكرية والتكنولوجية غير المسبوقة في التاريخ» من خلال ما أسماه المنظرون الأمريكيون بـ«الحرب النظيفة»، كونها فوق كل ذلك، أي أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المرحلة التاريخية، هي الأقوى والأوعى والأغنى، أما المعنى الحقيقي للنظافة – كما تبدى لاحقاً – فكان إخلاء العراق من أبنائه

الوطنيين فعلاً، ونشر الخراب والتدمير، وفرض «أحزاب الدعاة الطائفيين» بدلاً من الإعتماد على أبنائه «الواعين سياسياً» والمواطنين المخلصين، ومن ثم كانت الخطوات التالية: تحطيم الجيش العراقي وحله ومطاردة قادته ومحاكمتهم. ونشر الفوضى السياسية في العراق من أجل فرض العملاء الذين قدموا مع القوات الأمريكية المحتلة كحكام ينفذون برنامج الرؤية الأمريكية.

وفرض الدستور التفتيتي على العراق الذي رسمه عتاة الفكر الصهيوني بقيادة نوح فيلدمان والمجرم العضو المتنفذ في عصابة المحافظين الجدد واللص الدولي: بول بريمر. تجزئة العراق سياسياً وتقسيمه إلى مناطق تقع تحت سيطرة أدوات سياسية وفق تسميات «الفيدرالية»، في حين أنَّ الفدرالية هي مفهوم للتوحيد والتكامل، كما أفرزته غالبية التجارب التاريخية، وليس للشرذمة والتقاسم والتقاتل العمودي مثلما هو مطبق في العراق. أما إفلاش المنظمات التقنية العراقية وكسر حلقات التقدم وتدمير المصانع والمعامل المنتجة فهي كثيرة ومتنوعة وعلى المستويات كافة وفي المجالات كلها. فهل الرد على «البرنامج السياسي الغربي الأمريكي الصهيوني» يتمثل بالتفتيت والتشتيت والتحريض على أخذ الثأر من أعداء أهل البيت: بالإستناد إلى وقائع تاريخية عفا عليها الزمن، إنْ صحت رواياتها؟ أم أنَّ المعنى الحقيقي لمعاداة أهل البيت، أم أنَّ المقصود بهم هم: أهل البيت الأبيض الأمريكي؟!. نأمل التفكير في مضمون تلك الأسئلة، والإجابة عليها بضمير وطني ديني شفاف، وممارسة ما يترتب على تلك الإجابة، الذي ينبغي على الضمير الإنساني المخلص أنْ يكون حاضراً عند التقويم النهائي.

٦ - ولكن هل الدور الإسرائيلي الصهيوني لم يكن حاضراً في العدوان على العراق؟. أم أنَّ ذلك هو عدوانه المديد وحربه الإجرامية الآثمة على العراق هو جوهر الموقف السياسي ومن الألف إلى الياء؟!.

لنمعن النظر في بعض الوثائق الصهيونية الإسرائيلية بصدد العراق، وهي على العموم كثيرة، ولكن من بين أبرزها: الوثيقة السياسية المسماة بـ«الخطة الصهيونية للشرق

الأوسط»، المرسومة للمنطقة العربية، كونها الرؤية السياسية العملية الإسرائيلية والمفكرين الأمريكيين من جماعة المسيحيين المتصهينين التي ينبغي التوقف عندها، لإعمال التفكير العراقي الوطني المخلص حول آفاقها بخصوص الدولة العراقية، وبالتالي اِكتشاف الأسباب البعيدة أو الحقيقية لما يجري اليوم من تطورات سياسية راهنة التي تطال كل الوضع العراقي.

بطبيعة الحال لم تكن الحركة الصهيونية العاملة وحدها في ميدان النشاط المرسوم للمنطقة، وإنما كان الأمريكيون يتحرقون للحصول على غنائمهم، كذلك، والذين تحرك نشاطاتهم السياسية شركات المال والإعلام والبترول والصناعات العسكرية والمتعددة الجنسية الكبرى. ولكن الحركة الصهيونية الإسرائيلية، كما تبينه كلمات وجمل وأفكار الخطة السياسية المسماة: «خطة إسرائيل في الثمانينات»، هو الذي يمثل مدى الوعي السياسي والفكري لإمكانية اِستغلال كيان الاِغتصاب هذه القوة الإمبريالية الأمريكية الجبارة في ميدان الصراعات الدولية...

ولكن ما ينبغي طرح في هذه الحالة الشاخصة الملموسة هو: التساؤل الموضوعي التالي: ماذا تقول «الخطة الإسرائيلية في الثمانينات» بصدد العراق على وجه الخصوص؟.

إننا لا نريد التلخيص أو التكثيف، بل ندعو الجميع لقراءة التالي: «والعراق، بما فيه من ثروة نفطية من ناحية وما فيه من تمزق داخلي من ناحية أخرى، قد أصبح مرشحاً مضموناً لأهداف إسرائيل. وتجزئته أمر أكثر أهمية لنا من تجزئة سوريا وعلى المدى القريب فإنَّ القوة العراقية هي مكمن التهديد الأكبر لإسرائيل، إنَّ حرباً عراقية إيرانية سوف تمزق العراق إلى أجزاء وتؤدي إلى سقوطه داخلياً حتى قبل أنْ يصبح قادراً على تنظيم صراع واسع النطاق ضدنا. [؟؟]، وكل نوع من أنواع المجابهة العربية الداخلية ما بينهم سوف تساعدنا على المدى القريب وسوف تختصر الطريق إلى الهدف الهام المتمثل في تقسم العراق إل طوائف مثل سوريا ولبنان. أما تقسيم العراق إلى مقاطعات وفق تقسيمات عرقية/ دينية كما حدث في سوريا أثناء العهد العثماني فأمر ممكن. وهكذا فإنَّ ثلاثة (أو أكثر) من الدول

يمكن لها أنْ تتواجد حول المدن الرئيسة الثلاث: البصرة وبغداد والموصل، وسوف تنفصل المناطق الشيعية في الجنوب عن السنة والأكراد في الشمال. ومن المحتمل أنْ تؤدي المجابهة الإيرانية العراقية إلى تعميق هذا الإستقطاب»، [١١]. إننا نضع تلك الأفكار السياسية الإستراتيجية كلها أمام القاريء الواعي المتبصر الذي ينتج الأفكار والرؤى ويمارس العمل السياسي على أي صعيد كان، لكي يعي التطورات السياسية الراهنة، وكي لا يتوقف مشدوها من دون روية ومن غير اِستبصار وتبصر أمام بعض التطورات السياسية «التكتيكية»، التي يقول بها البعض المشبوه أو المرتزق أو الساذج، لكي يؤسس لأفكار سياسية وهادفة لخدمة الأجنبي، أو يقوم برسم تصورات سياسية محددة تنتمي إلى عالم المخاتلة والزيف.

وبالتالي نعتقد أنَّ ذلك الطرح والتساؤل في صدد تلك الرؤية الصهيونية: تجعله من خلال مناقشته ذلك التساؤل والإجابة الصادقة عنه، هو المعيار الموضوعي في تقويم الفرد كونه عراقياً وطنياً مخلصاً من خلال عدم زوغانه عن «المهمة التنظيرية الإستراتيجية» التي تشدُّ العزائم والهِمَمْ الوطنية والقومية والحضارية على أساس إستراتيجي، وكي تجعله لا يضيع البوصلةَ المركزية في التفكير والممارسة، وتدعه بالتالي، يتلهى بالجزئيات أو الاِنتصار المحدود هنا أو هناك.

تقول الخطة تلك على ضوء تحديد الأهداف المركزية للكيان الغاصب ما يلي:

«تحتاج دولة إسرائيل مع بداية الثمانينات إلى منظور جديد بالنسبة لموقعها وأهدافها ومراميها القومية، سواء أكان ذلك داخل البلاد أو في الخارج. وقد أصبحت هذه الحاجة أكثر أهمية نتيجة لعدد من «العمليات المركزية» التي تمر بها البلاد «إسرائيل» و«المنطقة والعالم»، [...]، نحن بحاجة إلى فهم العمليات العمليات المركزية التي تميز هذه الفترة التاريخية (من ناحية) وإلى نظرة عالمية وإستراتيجية جاهزة للعمل طبقاً للظروف الجديدة، من ناحية أخرى. ولسوف يعتمد وجود الدولة اليهودية ورخاؤها وإضطرادها على قدرتها على تبني أطر جديدة لشؤونها الداخلية والخارجية»، [١٢].

مثلما تؤكد الوثيقة على التالي: «إنَّ الوضع العربي يخلق فرصاً جيدة للسيطرة الصهيونية على المنطقة في الثمانينات من هذا القرن تعوض على الكيان الصهيوني ما فات من فُرص بسبب النظرات السياسية الضيقة والآراء اليهودية المتطرفة وليس أمام الكيان الصهيوني من مفر غير السيطرة على الموارد العربية إذا أراد الإستمرار في الوجود»، وأمام الضعف العربي في نظر واضعي تلك الخطة السياسية الإستراتيجية، «فإنَّ العرب لا يشكلون مشكلة إستراتيجية رئيسية للكيان الصهيوني، إذ أنَّ مشكلة إسرائيل مشكلة إستراتيجية وأساسية تكمن في ضرورة مواجهة الأطماع السوفييتية في المنطقة»، [١٣].

إنَّ المعاني الذي تنطوي عليها الأفكار والخطط السابقة قد أتت أُكُلُها على المستوى السياسي الإستراتيجي فيما يخص العراق وبعض مناطق الوطن العربي. فقد تحولت سلطتها، أساساً وعلى مستوى الصراع القومي، إلى أداة مضافة للقدرة الأمريكية في مخططاتها ضد الأمة العربية.

إنَّ الكيان في رسمه للخطة السياسية يتعامل مع أمتنا العربية ككل، على أساس نظرة سياسية إستراتيجية، لذا ينبغي علينا قراءة ما يلي بنظرة عميقة وحصيفة ومتبصرة، ويجب أنْ لا تأخذنا التصريحات المعادية: أمريكية أو غير أمريكية البعيد عن كيان الإغتصاب الصهيوني بشكل غير مباشر أو مباشر، مأخذ البساطة والسذاجة وتخيل الإستنتاجات المتسرعة بصدد عمل العدو، فالسياسة الكلية على صعيد الأمة العربية هي علاقات موضوعية بالأساس، وفي المقدمة منها، هي التي تسهم في رسم الأحداث وتتحكم في التطورات، ومقارنتها بما يجري في المنطقة العربية، سيوضح لنا لوحة الأحداث السياسية الكلية، لقد إختفت أحاديث البعض العراقي السياسي العميل عن «الواحة الديمقراطية العراقية» الموعودة والنظام «الخليجي» المتوقع، والواقع الذي سيسهم الأمريكيون المحتلون في جعل الرفاء واسعاً وعميقاً وعمياً للدرجة التي قد يغرق العراقيين في بحر العسل، ولكنه العسل المسموم بالتأكيد.

لقد تبينت تلك كل تلك الأمنيات الحلوة، كانت هي تمنيات سياسية ساذجة وغير حكيمة ولا واقعية، بل هي مجرد أضغاث أحلام ثقيلة نجمت عن «لقمة دسمة» غبر

الرشاوى وأمل الدعم الأمريكي الذي نافت عن المائة مليون دولار، جاءت مع الإحتلال وازدردها البعض الساذج سياسياً، ومن غير الواعين وعياً تاريخياً مبادراً. [١٤]

ها هم اليوم ينفذ المحتلون الأمريكيون والعملاء الصفويون الخطة اليهودية الصهيونية الإسرائيلية عبر الخطط السياسية العملية بدءاً من تحطيم القوة العراقية والإغتيالات لكل الكفاءات وانتهاءً بذلك القرار السياسي الذي أقرته المجموعة الأثنية الطائفية للقرار في ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٦م الذي يستهدف تجزئة العراق على أسس طائفية وأثنية. فالسياسة هي علاقات موضوعية في غالب الأحيان.

٧ - ونحن على أعتاب الذكرى الخامسة للعدوان الصليبي الصهيوني على وطننا العربي المسلم، يجب التذكير بأهمية «جهاد الدفع» ضد الغزاة الغربيين، الذين يقودهم المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، ينبغي على كل واحد منا قراءة التساؤل التالي، لكي يعي دوره المأمول: هل كان العدوان الأمريكي الصهيوني الفارسي يستمر كل هذه المدة ويطال التدمير والخراب كل مرافق الوطن والمجتمع، لو كانت هذه الجموع العراقية غير معطلة في عملها المضاد للمحتلين الأمريكيين، وانخرطت بالتالي وككل، في الجهاد ضدهم عبر الكلمة والموقف والتصدي باليد أو اللسان أو القلب؟، وهل الفرار من الزحف الجهادي هو أحد الكبائر الدينية وفقاً للشرائع القرآنية أم لا؟.

٨ - وكيف يمارس العملاء التابعون للمحتل العمل الجهادي وهم ينكرون تواجد حوالي ١٥٠ ألف عسكري أمريكي يجثمون على تربة العراق، وما يقارب مثلهم في العدد من قوات الأمن الأجنبية التي لا تخضع إلى أية «قوانين» أو تعليمات، ليس من البلد المحتل بل حتى من العسكريين المحتلين للعراق: وهم يقتلون ويصادرون وينتهكون ويسرقون؟.

لنقرأ ما نطق به العميل خالد العطية نائب رئيس ما يسمى مجلس النواب العميل والقيادي بمجلس عزيز حكيمي يوم ١١/ ٣/ ٢٠٠٨م، إذ قال إن (العراق!؟) [الغبي يتصور أنه المخول بالتحدث بإسم العراق!] «يرفض وصفه بالبلد المحتل كما جاء بكلمة ممثل جامعة الدول العربية إلى المؤتمر»، وتابع العطية قائلا في مداخلة له انه «لو كان العراق

بلدا محتلا لما بقي عراقي واحد لم يخرج لمقاومة الاحتلال» مشيرا إلى أنَّ القوات الموجودة في العراق الآن إنما هي قوات دولية وجدت وفق قرارات دولية، وأضاف أنَّ العراق طلب رسميا تمديد عمل هذه القوات في العراق تمديدا أخيرا ينتهي بنهاية العام الجاري وذلك للمساعدة في ضبط الأمن في البلاد «ونحن نتفاوض الآن مع هذه القوات لترتيب عملية إنهاء مهامها والاستغناء عنها تدريجيا بالتزامن مع ضبط الأمن في البلاد»، وشدد قائلا «أرجو سحب التعبير من كلمة ممثل الأمين العام لجامعة الدول العربية».

ومن سخريات القدر وخرافاته المتعددة أنّ يهبَّ رئيس ما يسمى بمجلس «الأمة» الكويتي العميل جاسم الخرافي لمساندة شقيقه العميل «العراقي» ليقول: «أنا كمواطن عربي يحق لي أنْ أسال ممثل الجامعة العربية على ماذا استند بتسمية العراق بلدا محتلا»، وتابع العميل الخرافي - المخرف فعلاً - متسائلا «هل هناك قرار من الجامعة العربية أو من أي جهة عربية مسؤولة أخرى أطلقت هذه التسمية رسميا على العراق وهل وصلنا إلى هذه المرحة من التدخل بالشؤون الداخلية بحق بعض الدول دون قرار من قمة عربية» وشدد قائلا «مع كل تقديري أرجو أن لا يتكرر مثل هذا مرة أخرى». وطالب العميل الخرافي بمثل ما طالب العميل العطية ممثل الجامعة العربية بتقديم اعتذاره إلى العراق"!!

وهكذا، فالعملاء على أشكالهم يقع بعضهم على البعض الآخر. فالخرافي يحاول التستر على خلو الكويت من أي معنى للإستقلال وتجثم القوات الأمريكية على أراضيه، وشكلت القاعدة الخلفية للقوات الأمريكية في غزوها للعراق، وهذا الغزو للعراق العظيم لم يكن هو المرة الأولي ففي أعقاب الحرب العالمية شكلت «الأرض الكويتية» القاعدة الأساسية للغزو البريطاني، وفي العام ١٩٤١م شكلت ذات الأرض لتدمير واحتلال بريطانية للعراق، وفي العام ١٩٩١م كان حكامها السبب في العدوان على العراق، وفي العام ٢٠٠٣م جرى الإنطلاق الأمريكي من أراضيها لإحتلال العراق الذي ينكره العطية لأنهم يحمونه، كما يبدو..

المراجع والهوامش

[١] - من قبيل ما يرتبط ذلك المفهوم بالتقاليد الساسانية: «كان للدولة الساسانية صفتان رئيسيتان الأولى وجود دين رسمي لها تعززه مرتبط بالسياسة ومتعاون معها. والثاني التمركز القوي في الإدارة. وكانت السلطة التنفيذية العليا بيد الملك وكان حكمه مطلقاً لا يجوز رده أو نقده بحال من الأحوال، وقد أضفت عليه الديانة الزردشتية صفة قدسية. فكان مبدأ تقديس الملوك راسخاً في فارس. ويظهر سلطان الملك ونظرة الرعية إليه من قول رئيس الموابذة: «إذا أراد الله بأمته خيراً إختار لها أحسن عباده»، فالرعية تطيع والحساب على الله. وكان الملك يحيط نفسه بمظاهر الأبهة والجبروت، ويعيش بمعزل عن الرعية. ولم يكن يصلح للعرش إلا أفراد العائلة المالكة. لأنَّ الله فضلها على العالمين. فعندما أراد الفرس إختيار ملك بعد يزدجرد الأول، وتنحية اِبنه بهرام جور، اِحتج هذا قائلاً «إنَّ هذا فساد في صلب المملكة أنْ تولوا رجلاً ليس من أهلها». وكانت السلطة القضائية العليا بيد الملك وكان هو المرجع الأعلى للمتظلمين وقد اِعتاد الساسانيون الأول أنْ يأذنوا للناس إذناً عاماً مرتين في السنة. في النوروز وفي المهرجان إسماع شكاواهم. وكان يجلس مع الملك في هذه المناسبات رئيس الدين الأعلى. من جهة ثانية، كان للملك حق الحكم بالحياة والموت على الرعية. إذ كانوا بمثابة عبيد له فكان بجنب عرشه الجلاد لينفذ أوامره في الحال. وكان يعاون الوزير وهو المشاور الأول له في كل شؤون الدولة. ولكنه تحت إشراف الملك وكانوا يرون أنَّ من حزم الملك، ألا يكون وزيره متنفذاً وأنْ يكون من صنائعه».

راجع كتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية...، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ - ١٨، ومما هو جدير بالذكر أنَّ الكتاب قد طبع للمرة الأولى في عام ١٩٥٠م. لو أمعنا النظر فيما تقدم وأجلْنا التفكير العميق بتلك التقاليد، ألا نرى «سلطة الخامنئي» الراهنة والمستمدة إلى نيابته عن الإمام المعصوم هي متوارثة عن ما تقدم من رصدٍ عند التراث الفارسي لما تقدم؟!. - نقلاً عن دراستنا التي نُشرت بكتاب: الرؤية السياسية الإيرانية في ظل حكم الملالي، والمنشور عن مركز الحضارة العربية في القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

[٢] - راجع كتاب ميلاد الدولة الإسلامية، للمؤلف مالك مسلماني، الناشر دار حوار للنشر والتوزيع - اللاذقية / سوريا، الطبعة الأولى / ٢٠٠١م، ص ٢١٧ - ٢١٨.

[٣] - راجع كتاب صانعو التاريخ العربي للدكتور فيليب حتي، ترجمة الدكتور أنيس فريحة، نشر دار الثقافة، بيروت / لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ ميلادية - ١٤٠٠ هجرية، ص ٦١ - ٦٢، والفصل المستشهد به هو المعنون: عمر بن الخطاب مؤسس الخلافة العربية المنشور منذ الصفحة ٣٥.

[٤] - عن تلك الواقعة المكذوبة، أثار السيد محمد حسين فضل الله اللبناني الجنسية مجموعة من الأسئلة المشككة حول تلك الحادثة «المشهورة والمألوفة» لدى العوام من أبناء تلك الطائفة، وصولاً إلى عدم الإقتناع بها، ولكن العراقيين القاطنين في منطقة السيدة زينب، [ع]، من المنتمين إلى تلك الطائفة إنقسموا على أنفسهم كالعادة، ما بين مؤيد لرأي السيد فضل الله وهم الأقلية، ورافض لإستنتاجه بحكم إقتناعه بالعادات المتوارثة، وهم الأكثرية.

كيف لا ينقسمون؟ وهم الذين يسمعون قرّاء المنابر يضخون تلك الإدعاءات على أسماعهم ليل نهار، ولم يكتفوا بذلك الإنقسام فقط وما ترتب عليه من شجار عنيف، قُتل على أثره واحدٌ من المؤيدين، لأنه أعرب عن رأي فحواه: إنَّ فضل الله لم يقل كفراً أو يكن منحرفاً، فكان جزائه طعناً بالسكين حتى الموت، وفي هذا السياق كان للشعر الشعبي والردات الحسينية دورها في التحريض، فقال أحد «المعارضين» بحق «المجتهد والأعلم» البيت الشعري الشعبي التالي:

آية الله شلون آية يروح فدوة للمطايا

فلنتصور تلك العقليات التي يتم شحنها يومياً بروحية الثأر وبث الكراهية ونشر روح الإنتقام.

[٥] - والقادسية موقع في العراق شرقي النجف، حدثت فيه معركة كبرى إنتصر فيها العرب بقيادة سعد بن أبي وقاص على الفرس بقيادة القائد العسكري الفارسي رستم بتاريخ ١٤ هجرية / ٦٣٥ ميلادية، [عن المنجد في اللغة والأعلام، توزيع عام ١٩٨٦، ص ٤٣٠]. وما يزال حكّام إيران الحاليون، بالرغم من تشدقهم بالإسلام الذي قضى على الجاهلية وهزم عبّاد النار، يتيحون الفرصة للوفود العسكرية التي تأتي لزيارتهم بغية إصطحابهم إلى المتحف الخاص برستم، كونه أكبر الرموز العسكرية الفارسية، وقائدها، وعندما أبدى أحدهم رأياً قوامه أنَّ رستم قد هُزم على يد الإسلام، أجابوه: «بأنه يمثل العقلية العسكرية الفارسية، وأبرز أبطالها، وما يزال يمثلها».

وفي أية حال، فإن هذه المعركة الكبرى كانت هي الفاصلة الأساسية في عملية التحرير للعراق والأحواز من الهيمنة السياسية والعسكرية الفارسية، وشكلت الخطوة الأولى والرئيسة في تتابع الإنتصارات العسكرية العربية الإسلامية التي أدت في النهاية إلى عملية إسقاط عاصمة الفرس: المدائن، وما تبعها من المعارك البطولية، وما أدت إليه من القضاء المبرم على الدولة الساسانية الكسروية الفارسية، وفي ذلك يقول المؤرخ الأستاذ أحمد عادل كمال ما يلي»حشد عمر [بن الخطاب] لهذه المعركة كل الطاقات المتاحة وجهها إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص فبلغ جيشه شيئاً وثلاثين ألفاً، ووضع خطته على إختيار مكان مناسب على حدود ما بين الصحراء وبين شبكة المجاري والمسطحات المائية تقيهم مخاطر الوقوع في فخاخ المسالك المائية وتحفظ خط

رجعتهم، بينما تحرم عدوّهم من تلك المزايا، وأنْ تكون المعركة حاسمة بحيث تكسر جيش فارسي فينفتح ما وراءه من أرض دولته.

وألقى الفرس في مواجهة المسلمين بكل ما أتيح لهم من طاقة وحشَدوا مائة وعشرين ألف مقاتل ومثلهم للخدمات يقودهم رستم. ودارت المعركة بالقادسية بين خندق سابور ونهر العتيق. اليوم الأول «أرمات» الخميس ١٣ شعبان ١٥ هجرية / ١٩ أيلول ٦٣٦ ميلادية، واليوم الثاني «أغوات» ثم الليل «ليلة السواد» واليوم الثالث «عماس» و«ليلة الهرير» ثم الرابع «يوم القادسية» الأحد ١٦ شعبان ١٥ هجرية / ٢٢ سبتمبر ٦٣٦ ميلادية، وانتهت بهزيمة ساحقة للفرس ومصرع رستم.». وأضاف المؤلف في ذات الصفحة التالي «ومن هنا نلتقط الخيط لنساير مسيرة المسلمين على أرض المجوس». [راجع كتاب الأستاذ أحمد عادل كمال المعنون: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، في سلسلة الفتوحات الإسلامية - ٣، إصدار دار النفائس، بيروت / لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هجرية / ١٩٨٧ ميلادية، ص ١١ - ١٢].

لكن الحكام الإيرانيون الحاليون يحاولون تزوير التاريخ ويرصفون كلماته على ضوء قناعاتهم العنصرية الفارغة، ولعل المثال الملموس الذي صنعته الحرب العراقية الإيرانية في الزمن الحديث كانت في نتائجها العسكرية الحاسمة أبلغ البيانات، فليس شرب ما هو أقسي من السم من قبل «مرجعهم الأعلى: الخميني» وإيقاف الحرب التي طالب بها العراق منذ ١٩٨٣م، تكمن دلالات الهزيمة العسكرية، وإنما أيضاً الفارق الكبير في نسبة القوى المادية بين الطرفين، وعلى الرغم من مساندة كيان الإغتصاب الصهيوني لهم والدعم الأمريكي المعروف بـ«إيران غيت».

وفي تقديري أنهم يربون أجيالهم على تنمية ذاكرة الحقد التاريخي على العراقيين ورثة المسلمين الأوائل: العرب المسلمون، وضرورة أخذ الثأر من العرب الذين دحروهم في التاريخ القديم والحديث، ولعل الآراء المتناثرة في المؤلفات الفارسية الراهنة تصور جميع التطورات الإيجابية في المنطقة العراقية التي حدثت في الماضي، وعموم المنطقة المشرقية العربية، على أنها فارسية الطابع على المستوى التاريخي، وحتى العصر العباسي الأول تجعله إرثاً فارسيا، [راجع - على سبيل المثال لا الحصر - كتاب الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، تأليف الدكتورة تغريد زعيميّان، إصدار الدار الثقافية للنشر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هجرية - ٢٠٠٣ ميلادية، ومن الجدير ذكره أنَّ «جامعة العلامة الطباطبائي» في إيران لعبت الدور الأيديولوجي الموجه للدراسة من حيث الرؤية التاريخية والتي جاء فيها حول العصر العباسي الأول: «وهو العصر الذي إمتاز بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة، كما إمتاز بالنفوذ الفارسي، على أنَّ العرب بسقوط الدولة الأموية التي كانت عربية خالصة كانوا قد خسروا سيادتهم المطلقة في الدولة، فالعباسيون

ركنوا إلى الفرس الذين كان لهم فضل كبير في بنيان العرش العباسي، بذلك فقد العباسيون ثقتهم بالعرب فأقصوهم عن الحكم والسلطان وأبعدوهم عن تصريف شؤون الدولة، وأذلوهم بالحروب والتشريد وانتقال وسفك الدماء. وفي هذا العصر ترسخت أسس الدولة العباسية وانتقلت الخلافة إلى العراق بعد أنْ كانت بالشام، وأصبحت بغداد عاصمة للدولة العباسية بعيدة عن الشـام، ولكنها قريبة من فارس ومن الجوالي الفرس في العراق نفسـه»، [راجع ذلك الكتاب وعلى الصفحة، ١٠٦].

أما تصفية ظاهرة أبي مسلم الخراساني والقضاء على ظاهرة البرامكة إبّان العصر العباسي الأول، فإنَّ الجامعـة العلمية الطباطبائية - كما هـو شـأن المؤلفة كذلـك - تتجاهله وتتجاهل مدلولاته.

وفي ذلك الكتاب الكثير من «الرؤى العنصرية الفارسية» التي تناولت التطورات العراقية والعربية والإسلامية وعلى شتى الصعد وفي مختلف مناحي المعرفة، يجري النظر إليها وتناولها بالتفسير «القومي العنصري الفارسي»، وعلى أنها ليست من تاريخ الإسلام والعرب والعراق، بل من «إبداعات فارس وعلمائها». ناهيك عن اِدعاءاتهم حول عائدية شـريعة حمورابي القانونية: الملك البابلي العراقي لهم، كونها من نتاج عقلهم الفارسي، علاوة على رسمهم الخارطة الإيرانية المترامية الأطراف التي تضم أراضيها: العراق والخليج العربي في غرب إيران وأفغانستان وجوارها في شرق إيران، والتي يجري تلقينها وبشكل دائم ومستمر للطلبة الذين يخضعون لتدريس مناهجها الفارسية الصفوية. عن دراستنا المعنونة الرؤية السياسية الإيرانية في ظل حكم الملالي المنشورة في هذا الكتاب.

[٦] - راجع دراسـتنا المعنونة: كيف ينبغي فهم ظاهرة الإنتفاضة الحسـينية المنشورة في هذا الكتاب

[٧] - راجع، مثلاً، كتاب الأستاذ وجيه كوثراني المعنون الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسية في إيران الصفوية - القاجارية والدولة العثمانية، إصدار دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المنقحة، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، ص ٩٩ - ١٤٣.

[٨] - راجع كتاب الأستاذ الدكتور علي الوردي المعنون وعـّاظ السلاطين، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، إصدار دار كوفان - لندن / المملكة البريطانية، الفصل المعنون قضية الشيعة والسنة، ص ٢٢٩ - ٢٦١.

[٩] - راجع الكتاب المعنون الطـائفية.. إلى أين، من تأليف السـادة الدكتور فـرج فودة، والدكتور يونان لبيب رزق، والأستاذ خليل عبد الكريم، إصدار دار ومطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية في مصر ومكتبة المعارف ببيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م. والاِستشهاد المذكور هنا مقتطع من دراسة الأستاذ خليل عبد الكريم، ص ١٢٩.

[١٠] - لقد تمت الإستفادة من كتاب الأستاذ عبد الكريم غريب المعنون مع المهدي المنجرة الصادر عن «منشورات عالم التربية»، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هجرية / ٢٠٠٧ ميلادية، الدار البيضاء / المملكة المغربية.

[١١] - راجع كتاب الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي: المغرب العربي - فلسطين - الخليج العربي، دراسة تاريخية مقارنة، تأليف الدكتور عبد المالك خلف التميمي، إصدار سلسلة عالم المعرفة، العدد ٧١، محرم / صفر ١٤٠٤ (نوفمبر / تشرين ثاني) ١٩٨٣، ص ٣٤٨ - ٣٤٩..

[١٢] - المصدر السابق، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

[١٣] - المصدر السابق - ص ٣٤١.

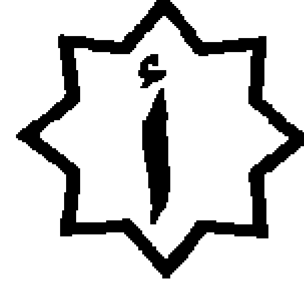
[١٤] - ومن هذه النقطة بالذات، يمكننا فهم لماذا هبَّ كيان الإغتصاب الصهيوني لنجدة «نظام الجمهورية الإسلامي في إيران» وتزويده بالعتاد الحربي وتقديم المساعدات العسكرية ونقل الصور الجوية والخرائط العسكرية لإنتشار القوات العراقية؟! مباشرة أو عبر الطرف الأمريكي.

ولماذا كان التنسيق الثلاثي الأمريكي الإسرائيلي الإيراني الشاهنشاهي في العراق طوال الأعوام الستينية والسبعينية فيما يتعلق بمساندة زمرة مصطفى البارزاني في الشمال العراقي؟!.

ولماذا كان وجود رئيس جهاز الأمن القومي الأمريكي روبرت ماكفرلين وشخصيات مخابراتية أخرى في طهران: العاصمة الإيرانية، وذلك في عهد خميني، والذي جرى ترحيلهم بسرعة إلى خارج إيران بعد أنْ كشفت مجلة «الشراع» اللبنانية عن وجودهم في طهران في «زيارة خاصة»، والذي أتهم مالكها ورئيس تحريرها السيد حسن صبرا بفضح خبرها. {تعرض إلى الإغتيال بعد فترة من نشر المجلة تلك القصة}. كما أتهم مهدي هاشمي مسؤول مكتب منتظري في مدينة قم بتسريب الخبر إلى تلك الصحيفة. {والذي أعْدِمَ لاحقاً}. مثلما أتهم نائب خميني: علي حسين منتظري في تسريب خبر حضوره إلى طهران. {الذي طرد من منصبه ونحي عن موقعه كنائب للخميني}. مثلما أتهم أيضاً العقيد المخابراتي السوري إياد محمود الحسين الملحق العسكري السوري بإيصال المعلومات تلك للمخابرات السورية التي سربتها للمجلة، كما يُروى. {الذي أُعتقل في طهران وطرد منها} [؟!]. مقتطف من دراسة سبق وأنْ كتبتها.

ثالثاً

بمناسبة اقتراب ذكرى ثورة الثالث والعشرين من تموز وما كتبته الشخصية الناصرية المناضل الأستاذ سامي شرف بعنوان: المنهج الناصري المقاوم.. رد وتوضيح..



ولنا في الموضوع المثار رأي:

النقد الذاتي أساس كل نقد، ومراجعة التاريخ المبتدأ وربما المنتهى

ـ ١ ـ

خلال أواخر شهر أيار / مايو، أي بتاريخ ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٨م، أتحفنا الأخ المناضل سامي شرف بجملة من «النصائح الأخوية» المستخلصة من التاريخ الواقعي للصراع المتعدد الوجوه في المنطقة، ما بين مشروعين وخطين سياسيين، أحدهما معادٍ للأمة العربية التحررية وطموحها السياسي، من ناحية، والآخر يحاول الدفاع عن مفهوم الأمة العربية ومستقبلها المتشوف والطموح. صيغت المقالة تلك بـ«القلم القاسي» والفكرة «المرهفة»، و«الرصاصة المستقيمة في سيرها نحو الهدف»، و«الموقف السياسي الواضح والنبيل» على أي صعيد كان، تلك هي المعالم الأساسية للتوجهات السياسية التي سطّرها السيد الكاتب.

مناسبة تلك «النصائح الحيوية» هو إصدار جهة تطلق على نفسها «موقع العروبة نت» نشرتْ فيه رأياً سياسياً قوامه نصرة ما جرى التعريف على أنه «معسكر الموالاة» اللبناني بشكل مطلق، ومناوأة الطرف المسمى بـ«المعارضة اللبنانية» بشكل تام، وذلك عبر نصوص «جريئة» أو وقحة على وجهٍ أدق، ومن كتابة «شخص عراقي» يتكلم بِاسم الناصرية بصوت عالٍ، طارحاً نفسه «كادراً متقدماً وذا علاقة بالمناضل الكاتب للنقد السياسي»، ولا يتوانى في أحاديثه السياسية بمناسبة أو من غير مناسبة، بالاستشهاد بما روى له السيد المناضل سامي شرف، ومن هنا، كما أقدر وأظن، دوافع الكتابة السياسية التي

تقوم على النصح والتبرؤ مما هو مكتوب في ذلك الموقع، والتي أفاض بها قلم السيد سامي شرف من أجل تسديد موقف «الأصدقاء» الآخرين، أو النأي بنفسه عنهم.

قبل البدء بتسليط الأضواء على وجهة النظر السياسية للسيد المناضل شرف، وإيماناً بحق الجميع في التمتع «بفرصة الحوار المتساوي الحقوق»، نود تذكير المجموع المفكر المبدئي والملتزم السياسي، أنَّ المعيار الأساسي في تقويم أي موقف سياسي مسؤول، ويحترم ذاته السياسية، ويجلُّ تاريخه الكفاحي، ويتمثل خصائص الفكر القومي العربي، ويتشرب مفاهيم وإستخلاصات معانيه الأساسية، ومستوعب دروس التاريخ القومي العربي وفق معايير الإخلاص المبدئي، كتجربة ذاتية شخصية وممارسات موضوعية عامة، وفق المفهوم السياسي الناصري ومنهجه في العمل، ينبع من الإيمان العميق بمفهوم الأمة العربية كمعطى تاريخي مشترك، وهو ما يعد القاسم السياسي المشترك في إيمان جميع المتحاورين وقناعاتهم السياسية، بما فيهم كاتب هذا النص السياسي الذي آمل أنْ يسهم في تركيز فحوى النقاش وتعميق الدروس الهادية للممارسات الوطنية والقومية، والمصوبة لمسارهما الفكري والسياسي.

فإذا كان الأمر هو كذلك، وفي ظني أنه كذلك، فالعتب على السيد المناضل شرف، من حيث المبتدأ، هو عدم إقدامه على تصويب آراء السادة الناصريين أولئك - أو غيرهم - ممن هاجموا القضية الوطنية العراقية بذريعة «الحاكم المستبد» المهيمن على الوضع السياسي العراقي، خلال بعض المراحل التي اِنتظم فيها الصراع الشامل ما بين أعداء العراق على تعدد مشاربهم الفكرية والسياسية، من جهة، والدولة العراقية بما هي مفهوم يعبر عن الأرض والمجتمع والمؤسسات الحكومية والسياسية المختلفة، من جهة أخرى. ممن ألحقوا بالمنهج الناصري أبلغ الضرر عندما «شتموا» كل الذين وقفوا مع القضية الوطنية العراقية في «المرحلة السياسية» التي سبقت العدوان الأمريكي الصهيوني على الدولة العراقية في العشرين من آذار ٢٠٠٣م، وما نتج عنه من اِحتلال بغيض في اليوم المشؤوم الموافق ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م.

ـ ٢ ـ

ونأتي بالمثال الملموس على ذلك الِاتجاه الإعلامي/ الدعائي للأحزاب «الناصرية!»، والشخصيات المحسوبة على الفكر الناصري في العراق من خلال اِستعادة اِستذكار المعلومات التالية:

(١) - في بيان أصدرته ثلاثة {أحزاب!} عراقية قومية عربية مناهضة للدكتاتورية، مثلما تشيع عن نفسها

وبمناسبة اِنعقاد دورة تضامنية للمؤتمر القومي العربي في بغداد للإعراب عن موقف مجموعها السياسي: المكون للمؤتمر، مع الموقف الوطني والقومي العراقي وذلك بتاريخ ١٠- ١٣/ ٥/ ٢٠٠١م، جاء فيه إنّ مهمة ذلك المؤتمر الأساسية - وفقاً لمزاعم الناصريين العراقيين أو الذين يدعون الإنتماء لذلك التيار الفكري والسياسي - هي «حشد التأييد للنظام الجاثم على صدور العراقيين منذ أكثر من ثلاثة عقود»، وكان موقف تلك الأحزاب خطل سياسي واضح تنبع أبعاده من تغييب مفهوم الأمة العربية من التحليل الفكري والسياسي، والقفز الأكروباتيكي المخاتل عن مفاهيم «الزمان» و«المكان» لتفسير أي حالة عيانية، وتجاهل مفاهيم القطبية الإمبريالية التسلطية الواحدة والمخططات السياسية الأمريكية والصهيونية الإسرائيلية!.

وقبل أي شيء حيوي وهام، ينبغي أنْ يكون في أي نص فكري وسياسي قومي عربي هو عدم التغييب المتعمّد للدروس السياسية التاريخية التي أفرزتها التجربة الناصرية من حيث علاقة التناقض الرئيس بين الأطراف المتصارعة، وعملية الصراع بين الحركة القومية العربية في مرحلتها الناصرية، من جهة، والعدوان الأمريكي الصهيوني على مصر، كموقع مضاد للرؤى الإمبريالية، من جهة أخرى، كما تجلى في ذروته السياسية في الخامس من حزيران ١٩٦٧م، هو في الواقع السياسي والتاريخي، كان يتماهى مع حالة الصراع السياسي المتعدد الوجوه الذي كان يخوضه العراق ضد الإمبريالية العالمية: والأمريكية على وجه التحديد، كما تشخصه حالة الصراع التاريخي بين الأمة العربية وأعدائها التاريخيين: الذين كانت تتقدمهم الولايات المتحدة الأمريكية طوال النصف الثاني من القرن العشرين..

(٢) - ورأى كاتب يصف نفسه بأنه «قومي عربي وناصري»، في عقد ذلك المؤتمر القومي العربي دورته في

العراق، مجرد عملية مكيجة زائفة للنظام القائم آنذاك «وملابسات تحيط بالظروف الذي دعت {رئيسه خير الدين حسيب} إلى نقل اِجتماعات الدورة الأخيرة في بغداد»، وزاد في إستخلاصاته تلك، الأقوال الزقاقية المعيبة التالية: {فالناصريون الذين حضروا ذلك المؤتمر هم «مرتزقة أفاقون» قد «وضعوا على رؤوسهم قناع الناصرية»، و«اِستمروا في غيبوبتهم، وزادوا من تعاطيهم مع صدام، بحجج متهافتة لا تستند إلى المنطق والعقل السويين، وكشفوا عن نفوس ضعيفة متهالكة»، و«ظهروا على حقيقتهم كمحترفي نصب وإحتيالات يؤمنون {؟!} بأنَّ العمل السياسي مجرد أرباح وأرصدة وشركات»، وأنَّ «أغلبهم ركب رأسه وواصل طريق الضلال والخطيئة» لاسيما «أنَّ هذا النفر الضال والمشبوه {؟!} من المصريين مدعّي الناصرية قد تحول إلى كتبة تقارير ومخبرين»، و«محترفي الاِرتزاق» ومن رموز «زمن الرياء»، وكل ذلك أدى إلى «ممارسة المتعة الحرام والسهرات غير البريئة» {؟!}، وبذلك اِرتكب «هؤلاء الذين خانوا {؟!} الأمانة القومية واِنقلبوا على الوصايا الناصرية»، [١]. [١] - نقلاً عن صحيفة «الإشتراكي» التي كان يصدرها الحزب الاِشتراكي في العراق، الذي أمينه العام «الدكتور» «الناصري» مبدر الويس، العدد الثاني، السنة ٣٥، الصادر في كانون الثاني - ٢٠٠٢م، وكان عنوان المقالة: مُرتزقة أفاقون نعم... ناصريون لا، وكان كاتبه السيد هارون محمد. نقلاً عن كتيب الأمة العربية: المواقف السياسية على ضوء مستقبل أجزائها. تمت الاِستفادة من كتابنا المعنون باِسم الأمة العربية: ماضياً... حاضراً - المواقف السياسية على ضوء مستقبل أجزائها، الطبعة الثانية، الصادرة في أواسط شهر شباط عام ٢٠٠٢م.

(٣) - وناشدت شخصيات عراقية تنتمي لمختلف الاِنتماءات السياسية «القومية العربية» قداسة البابا السابق: بولص الثاني بعدم زيارته للعراق، لأن ذلك سيدعم السلطة القائمة آنذاك، وضمّنت عريضتها الكثير من الآراء السياسية الدعائية على ضوء ما كانت تشيعه الأجهزة الدعائية الإمبريالية الصهيونية والرجعية العربية عن العراق.

وقد ضمت شخصيات محسوبة على الفكر الناصري بَصَمَتْ تواقيعها على العريضة التي ضمت تلك المناشدة إلى جانب تلك الأسماء العراقية ذات الإتجاهات السياسية المتنوعة، أما الأسماء الناصرية التي سنذكرها بعد قراءة النص التالي:

قداسة الحبر الأعظم يوحنا بولص الثاني المحترم:

«... واستمرار النظام الحاكم في إنتهاكاته لحقوق الإنسان، التي شملت أبناء العراق من العرب والكرد والآشوريين والكلدان، مسلمين ومسيحيين، ومن كافة طوائفه المتآخية، وهذه الإنتهاكات الفظة، التي تشمل حملات الإعدام الجماعية المستمرة والتعذيب الوحشي و«الإختفاء» القسري لآلاف المواطنين وجرائم الإبادة بالأسلحة الكيمياوية ضد الشعب الكردي وجريمة تجفيف الأهوار، موثقة في العديد من تقارير المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان، [... إضافة] إلى حقيقة ما يجري في العراق من إمتهان لكرامة الإنسان ومصادرة لحقوقه الأساسية، وفي مقدمته حقه في الحياة [...] وطموحنا الكبير أنْ يعدل قداستكم عن التوجه لزيارة العراق، وهو يرزح تحت حكم طاغية لطخ يديه بدماء الأبرياء من أبناء شعبنا».

لندن ٢/ ٩/ ١٩٩٩م

وهذه عينة من بعض أسماء الموقعين من المحسوبين على التيار القومي الوحدوي الناصري:

٢ - السيد أحمد الحبوبي. {وزير العمل الأسبق - عضو قيادة الحزب الإشتراكي الذي كان يرأسه السيد ماللك دوهان الحسن، وذلك في أعوام الستينات من القرن الماضي}

٦ - السيد حامد الجبوري (الحركة العربية الديمقراطية في العراق).

٢٢ - د. مبدر الويس (الحزب الإشتراكي العراقي).

٢٨ - السيد نوري البحراني (الأمين العام للتجمع الوحدوي الناصري في العراق).

(٤) - ولم تكتفِ بعض الشخصيات الناصرية بتلك المناشدة، بل ذهبت أبعد من ذلك عندما توجهت للملوك والرؤساء العرب بطلب التدخل «لتحرير» العراق على شاكلة «تحرير الكويت»، ولندع تلك العريضة تتكلم وهي مثبتة في جريدة «صوت الكويت» وفي عددها المؤرخ بـ ١١ أيار من عام ١٩٩١م.

«نداء إلى الملوك والرؤساء العرب

شخصيات سياسية عراقية تدعو إلى تحرير العراق من صدام

دمشق - صوت الكويت: وجهت شخصيات من المعارضة العراقية نداء إلى الملوك والرؤساء العرب ناشدتهم فيه السعي إلى عزل نظام العراق وطرده من كل المحافل والمؤسسات العربية والدولية، وتمنت هذه الشخصيات إنقاذ الشعب العراقي من مجازر جلاديه بالطريقة التي تم فيها إنقاذ الشعب الكويتي، وطالبت بنجدة عربية مسلحة يساهم فيها العرب للدفاع عن الشعب العراقي وفي الآتي نص النداء:

الوقت الذي نتمنى فيه على مقاماتكم الجليلة إنقاذه من مجازر جلاديه بالطريقة التي أنقذتم فيها شعب الكويت مطالبين بنجدة عربية مسلحة يساهم، [٢]، فيها العرب للدفاع عن شعبنا الذي يتعرض للإبادة في معركة عسكرية غير متكافئة ضد نظام شرس وحاكم لا يرعى «حرمة» ولا ذمة.

٤ - حسن العلوي (كاتب سياسي).

٦ - الدكتور مبدر الويس (أمين عام الحزب الإشتراكي في العراق).

٨ - الدكتور نوري البحراني (الأمين العام للتجمع الوحدوي الناصري).

١٦ - الدكتور عبد الحسين شعبان (باحث - التيار الديمقراطي).

١٩ - عامر عبد الرحمن البزاز (ممثل التجمع الوحدوي الناصري -ـ سابقاً).

٣٢ - الدكتور سعدي الحلي (ممثل التجمع الوحدوي -ـ هولندا).

٣٣ - صالح حميد (ممثل التجمع الوحدوي -ـ ألمانيا).

٤٣ - الدكتور حيدر البحراني (ممثل التجمع الوحدوي الناصري -ـ كندا).

٤٤ - المحامي غانم السماك (من التيار القومي العربي).

٤٥ - جاسم معروف عبد الرحمن (من التياو القومي العربي).».

[٢] - تمت الإستفادة من كتابنا المعنون: الذاكرة، الجزء الأول.

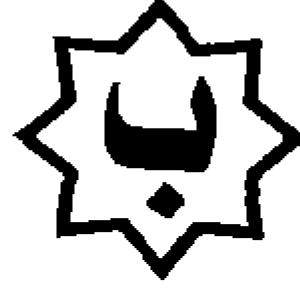
(٥) - علاوة على هؤلاء كان شخص آخر ممن كان - ولا يزال - يتحدث بإسم «حزب ناصري» ويقيم علاقات متينة مع بعض الأحزاب الناصرية في مصر، كان مقيماً بشكل دائم عند السيد جلال الطالباني، يصدر له ومن خلاله الشهادات المتواصلة ضد الدولة العراقية، بذريعة «محاربة الديكتاتورية»، متغافلاً عن المعنى العلمي لمفهوم الدولة في العلوم السياسية الحديثة إضافة إلى إغفاله إلى مفهوم «العمل السياس» كونه خيار مبدئي عند مَنْ يؤمنون بالأمة العربية، وبالتالي ضرورة تخيل المستقبل ورسم المواقف السياسية بإشتقاق المهمات الراهنة على ضوء التحليل السياسي الملموس لمواقف الأطراف المتصارعة الأساسية بصدد الدولة العراقية والمستقبل العراقي.

(٦) - وهناك الكثير من الأسماء «الناصرية، وأحزابها» كانت تقف إلى جانب الرؤية السياسية، بلهه حتى الفكرية، جنباً إلى جنب الرؤية السياسية الأمريكية التي لا تخفي مواقفها الصهيونية الداعمة لإسرائيل كأولوية في كل ممارساتها بصدد المنطقة العربية كلها.

كل هذه المواقف السياسية تجاه العراق الذي هو جزء من الوطن العربي، لم تستفز قلم المناضل سامي شرف من أجل تحديد موقف «المنهج الناصري المقاوم» من الممارسات السياسية لهؤلاء الناصريين، فهل كان الأمر ينطوي على تجاهل متعمد لأهمية العراق؟ أو عدم الوعي بالمخاطر السياسية المحتملة، أم وقعَ السيد الكاتب في حبال أو شِباك غفلة النظرة القومية تجاه رؤية البعض الذي إدعى عن قلة وعي وعدم إدراك تاريخ العلاقة بين

الغرب والعرب؟ وغياب النظرة السياسية القومية الشاملة التي حاول عبرها التملص من مواقف البعض السياسي الذي تلطى بها وراء المسميات الكبيرة التي كانت ممارساتها هي التجلي الأبرز والأكثر إضاءة للمفهوم القومي العربي: أي التجربة العربية القومية التي قادها الرئيس الخالد جمال عبد الناصر.

ومع ذلك دعونا نفهم ونفسِّر الموقف السياسي لحزب الله تجاه مجمل التطورات على الصعيد العربي.



إنَّ التساؤل المطروح الذي تثيره مقالة السيد المناضل سامي شرف، يتمحور حول السبب الذي دفع المناضل الناصري المعروف لرفع صوته اِحتجاجاً على رؤية مجموعة ناصريين كتبوا «نصاً سياسياً محددا» في الموقع - «العروبة نت» - وأبدوا رأيهم السياسي وعبّروا عن موقفهم العملي، حول تطورات الصراع السياسي في لبنان في ظرف اِحتدام واِستعار الصراع بين حركة الأمة العربية، من جهة، وأعدائها من أصحاب الرؤية الغربية الصهيونية، من جهة أخرى، وهي ذات المواقف السياسية تجاه قضية الصراع الإستراتيجي بين العراق والولايات المتحدة، وتنطبق عليه ذات المعايير الموضوعية للمواقف السياسية بصدد ذلك الصراع الذي أقدم عليه «ناصريو العراق» تجاه المواقف العدوانية الأمريكية ضد العراق، التي تطرقنا إلى نماذج منها في الحلقة الأولى.

فلماذا كانت الشخصية الناصرية هنا تتميز في إعلان موقفها السياسي الواضح، بكونها مبدئية وحازمة، عند التقويم السياسي للقضية الوطنية اللبنانية، وبالتالي ضرورة عدم مسِّ بعض الأطراف السياسية «الناصرية» أطراف «المعارضة اللبنانية» نقدياً: عن طريق أسلوب «شديد العقاب»؛ وبصدد القضية الوطنية العراقية كان تعامل المناضل شرف مع الرموز «الناصرية العراقية» التي اِتخذت موقفاً مناوئاً للدولة العراقية عبر عقيلة «غفور رحيم».

أينبع ذلك من كون العراق ليس جزءاً من الأمة العربية؟ أم أنَّ لبنان حالة خاصة تتطلب الدعم؟ أعدو الأمة هناك يرسم مواقفهالسياسية بريشة ملونة يستطيع معها الناقد تمييز الألوان وإدراك المجهولات من لوحة الصراع الكلية، وبصدد الموقف السياسي من مجريات الصراع في الساحة العراقية ينتابها لون أسود قاتم الغموض، مستعصٍ على الفرز والتمييز؟ وبالتالي لا يستطيع معها أي «ناقد» معرفة المجهول / الواضح من تطوراتها السياسية المحتملة والقادمة بالتأكيد؟.

في تقديري أنَّ معركة العراق السياسية ضد الإمبريالية العالمية في مرحلة قطبيتها المتفردة، كجزء فاعل على أي صعيد كان، من الأمة العربية حالة سياسية ملموسة من حيث الدلالة والتقدير... في الحقيقة كانت هذه المعركة أوضح بها لا يقاس من أية معركة سياسية سادت في أوضاع الأمة العربية خلال ربع القرن الماضي، وبالتالي كان ينبغي ضرورة تحديد الموقف السياسي المبدئي الصارم والواضح تجاهها، من خلال تصويب رأي «المحسوبين على الفكر الناصري» بالنقد السياسي الشديد المماثل للموقف السياسي الراهن الذي أبداه المناضل السيد سامي شرف، إذ أنَّ العدوان الشامل على العراق واحتلاله، والذي خططت له الصهيونية من خلال المحافظين الجدد وبرنامجهم السياسي، الذي له أولوية الولاء لكيان الإغتصاب الصهيوني حتى على حساب المصلحة السياسية الأمريكية، قد وسم كل أفعال الطرف الذي صنع ذلك العدوان، وكذلك كان له الأولية في التخطيط والحشد والتنسيق في مرحلة القطبية الواحدة على أية قضية أخرى تخص أوضاع المنطقة العربية برمتها.

إنَّ ملامح الغزو العسكري الأمريكي للعراق كانت جلية ظلالها وواضحة قسماتها منذ العدوان الغربي و «الإسلامي العربي» في ١٧/ ١/ من العام ١٩٩١م الذي قادته الولايات المتحدة تحت عنوان رايات «عاصفة الصحراء» وكودها السري: المجد للعذراء، وكان جورج بوش الأب واضحاً وصريحا في تفسير عدوانه وأسبابه وموقع كيان الإغتصاب الصهيوني في دوافعه، إذ هو يقول بالفم المليان: {{ «إنَّ الولايات المتحدة تتمثل مصالح إسرائيل في كل تصرفاتها، وفي الوقت الحالي فإنَّ الأحداث تجري لصالح إسرائيل دون أنْ تفرض عليها تضحيات لا داعي لها، وهذه يناسبها أكثر.»}}. ولكن أحداً من الناصريين الواعين بدروس التجربة التاريخية الماثلة، وخصوصاً السيد شرف، لم يكلف نفسه عناء لجم «العملاء» ممن يوشّحون ألسنتهم ولافتاتهم «بالفكر الناصري»، وبالتالي إيقافهم عن غيهم المخاتل ومواجهة مواقفهم السياسية المتصهينة بالكلمة النقدية المبدئية والجريئة، بغض النظر عن نواياهم وإدعاءاتهم، وربما منع تخرصاتهم أيضاً عبر حجز الناصرية: كمفهوم سياسي وممارسة عينية ملموسة... حجزه عنهم.

المعيار الثابت، والتاريخي هو الحرص الواعي من قبل القوميين العرب والناصريين عموماً، على كينونة وجود الأمة العربية وتحصين حضورها السياسي من هجوم الأعداء الذين يستهدفون إلغاء حضورها السياسي على أي صعيد كان، بل نقول أيضاً وبكل وضوح - ليس تأثيرها في أية عملية تاريخية فقط، وإنما - كذلك - تهميش كينونتها أو إلغاء وجودها إنْ أمكنهم ذلك، عبر التفتيت الإجتماعي وتجزئة المجزأ: سياسياً الذي يبدو معها أمر «تلك الخطة السياسية الغربية» تطويراً لمضمون إتفاقية سايكس - بيكو في بدايات القرن العشرين (١٩١٦م)، وهذه الإستراتيجية السياسية المعاصرة هما تطوير لعقلية وسياسة الهجوم الغربي المستمر منذ الدخول الغربي للأندلس والحروب العدوانية الغربية التي شنها «الخواجات» تحت مسمى «الحروب الصليبية» في العصور السالفة.

والضحية الدائمة هي الأمة العربية ذات الإمتداد الحضاري العربي الإسلامي، التي كافح أبناؤها بكل قدراتهم من أجلها، وفق مراحل وعيهم بإمكاناتهم وطاقاتهم المادية، من جهة، ووعيهم بتطورات الرؤية السياسية الغربية منذ صعودها الإستعماري في العالم كله وذلك في بدايات القرن الثامن عشر. والوعي القومي العربي في المرحلة الناصرية تجاه كل التطورات الوطنية والقومية والعالمية كان يتميز بالوعي السياسي الكلي في مخططات الغرب السياسية وخططه الإستراتيجية، من جهة أخرى، وكان السلك الذي ينتظم كل العمل السياسي المبادر هو الكفاح من أجل الحفاظ على الأمة العربية وتحديث بنيتها الإقتصادية والإجتماعية وتطوير مواقفها السياسية والسعي لتكتيل جهودها على كل المستويات، يقول الفقيد الرئيس جمال عبد الناصر الذي هو صاحب وصانع أوسع تجربة سياسية في المواجهة مع أعداء الأمة العربية - مثالاً وليس رصداً - {{«إنَّ الأمريكان كانوا مصممين على ضربنا مهما فعلنا، هم حاولوا معنا بكل الوسائل أنْ نتوب عن العمل القومي، وعن التصنيع، وعن التحديث، نحن رفضنا، وإعتبروا مهمتهم أنْ يؤدبونا، ونحن بتصرفاتنا جعلنا المهمة أسهل لهم بدلاً من أنْ نجعلها أصعب، الأسباب التي عرضتها كلها هي ما سهل عليهم مهمة كانوا مصممين عليها»، كما يورد ذلك الصحفي اللامع الأستاذ محمد حسنين هيكل في أحد كتبه، وهو المثال السياسي الذي كان الثابت الإستراتيجي الغربي:

البريطاني الفرنسي والأمريكي تالياً، والثابت الإستراتيجي ذاك ما يزال يتكرر تجاه أية تجربة عربية أخرى مخلصة لذاتها وفي سبيل ذاتها.

لقد أكدنا سابقاً على الحقيقة العيانية الملموسة التالية إنَّ «القطب الأمريكي الواحد ينظر للمنطقة العربية من موشورين اِثنين هما النفط الذي جعلت المصادفة التاريخية غالبيته في بعض بلدان الوطن العربي والعالم الإسلامي؛ من ناحية أولى، وكيان الاِغتصاب الصهيوني في فلسطين، ومشروعه السياسي المعروف باِسم [الشرق الأوسط الجديد]، من الناحية الأخرى»، هذا الثابت الأساس في الرؤية السياسية الغربية سواء في مرحلته البريطانية أو الأمريكية - والمرحلة الاِستعمارية الفرنسية أيضاً - وهي دروس مركزية وتاريخية وأساسية في مسار أمتنا العربية. إنَّ عدم تركيز الأبصار على غير ذينيك «الثابتين» هو من قبيل تضييع البوصلة التي تحدد مسار المخلصين من الوطنيين والقوميين العرب، ولا يليق بحملة الفكر الناصري الوقوع في مطباته والتمرغل في شباكه.

والتحرش المرسوم في جوانب مصالحه الاِقتصادية والعقائدية وممارسة أي فعل مضاد لهما - كما يعتقد الأمريكيون - يتمحور أساساً حول «الدخول إلى المنطقة المحرَّمة [من مصالحه الحيوية] وهو ما أقدم عليه العراق عند: تأميم النفط العراقي في الأول من حزيران عام ١٩٧٢م وتوظيف مدخولاته المالية لصالح تنمية اِنفجارية، وقصف إسـرائيل بالصواريخ: أي توجيه ضربات مباشرة لقصف «نظرية الأمن الصهيوني» حجة الكيان في كل عمليات عدوانه العسكري المستمر، من ناحية، ودعم القضية الفلسطينية: ثورتها الشعبية المسَّلحة واِنتفاضتها الوطنية الباسلة، بشكل واضح وملموس، من ناحية أخرى، التي طالما نوه بالدعم المالي العراقي لها، كل من المرحوم السيد ياسر عرفات «حركة فتح» وأبو موسى «تنظيم الاِنتفاضة» على حدٍ سواء، من جهة، ووثقه الأستاذ «محمد حسنين هيكل»، من جهة أخرى.

لقد شهدت ساحتنا العراقية خطوات علمية كبيرة على صعيد التطور العلمي وتوطين التكنولوجيا، والتقدم المعرفي وبناء القوة العسكرية، مما أهـّلها لتكون منافساً لكيان

الإِغتصاب الصهيوني، وهي في نظر الغرب «جريمة سياسية» لن يغفر القطب الواحد لكينونتها وحيثياتها، فكيف إذا إِقترن ذلك بضرب مفاصل الأمن القومي الصهيوني بالصواريخ العراقية؟ وإِتبع الخطوات السياسية في مجالات عمله السياسي الخارجي، إِنطلاقاً من نظرة قومية عربية على ذلك الصعيد، أولاً، وإِنطلاقاً من رؤية سياسية مبدئية، ثانياً. إنها الخطوة التي يجب أنْ تكون مميتة عبر العمل الجراحي الجذري: العدوان والغزو والإِحتلال، وهو ما كان ذروته في اليوم الأسود بتاريخ ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م.

إذن، الرئيس جمال عبد الناصر مثّلَ حالة وعـي فكري نفاذ إلى رؤية المستقبل الواعد، والمرحوم المنظِّر النقدي العربي: إلياس مرقص يؤكد أنْ «لا معنى للوعي [للضمير والوجدان والوعي] بدون فكرة المستقبل، بدون فكرة الإِستباق»، [كما يقول الفقيد مرقص في كتابه الضخم: «نقد العقلانية العربية الصادر في عام ١٩٩٧م، ص ٥٤٦]، وبدون صيرورة مفهوم الإِختلاف المظـهر الرئيس في المجتمع العربـي أيضاً. ووعي الرئيس المصري بالأمة العربية وضروراتها الوحدوية التاريخية، ووجوب تجسدها العملي في مفاهيم علمية وعملية، كان وعياً تاريخياً وراهناً بـ«القومية العربية» التي هي مفهوم مهم جداً لـ«اليوم وأمس وغـداً» وهي فكرة «هامة جداً، جوهرية تماماً، نسبة لحياتنا ووجودنا، نسبة للعالم والحاضر والمستقبل، نسـبة للديمقراطية والتقدم الإِجتماعي وحقوق الإنسان والسلام العالمي... كثيرون لا يعتقدون ذلك»، [م - س، ص ٨١٨]، ولكن القائد آمن بذلك، بعبارة أخرى: «عبد الناصر فكـّر وعمل، والجماهير تحركت، الجماهير، كل إنسان فرد، في وجدانه ووعيه أولاً، ثم نـزل إلى الشـارع. ولم نذهب إلى لندن. فاتحين أو محررين، لم نغـْزو أحداً، كافحنا الغزو..»، [م - س، ص ٧٧٥»، أي أن الرئيس جمال عبد الناصر أدركَ ذلك مبكراً وبشكلٍ واعٍ تماماً دروس التجربة التاريخية وأهمية المنطقة الإستراتيجية، وهو الذي يجعل من ذكره الدائم مثالاً سياسياً مجسـداً وخالداً. فكرة المستقبل العربي أيضاً هي التي كانت وراء الخطط الأمريكية للقضاء على المثال السياسي المنشود عند العرب الذي جسَّدته ثورة تموز المصرية في عام ١٩٥٢م.

لقد بادر الرئيس الفقيد جمال عبد الناصر بتفجير الثورة الوطنية الشعبية وقيادتها القيادة التاريخية، منذ العام ١٩٥٦م، لم يرتهن لنموذج سياسي ما سابق في التطور المجتمعي والإقتصادي، ومن هنا كانت أصالتها التاريخية، وبالتالي يرهن ذاته في مقولات فكرية مطلقة ويحبسُ نَفْسَه في نزعتها الأيديولوجية، كانت مصر والأمة العربية هي الموشور الدائم الذي ينظر من خلالها إلى تطورات الأحداث العربية والعالمية، وليس في تصرفه السياسي ما هو مغاير لقناعاته التاريخية في هذين المعطيين التاريخيين المشتركين، اللذين أحدهما مكمل للآخر ومتلازم معه.

جاءت مبادرته تلك بعد دراسة جادة ومتبصرة لمفاهيم العلوم الحديثة في التفكير الإنساني والفكر السياسي، وقوانينها الناظمة للتطور على كل الصعُد، ومن أجل قطع خطوة جادة وضرورية للسير نحو أفق المستقبل المرجو. لقد تخصص بالعلوم العسكرية في الكلية العسكرية المصرية، وكانت مفاهيم الرؤى الإستراتيجية هي التي هيمنت على تفكيره العقلي الوطني المصري وتملكت نزوعه القومي العربي.

فالجوهري عند الفكر الوحدوي الناصري هو النضال من أجل ذات الأمة العربية، وكان نبض الفعل الحاسم لها هو التشخيص السياسي للحاضر الملموس: أي معاداة الغرب السياسي الإستعماري للأمة، كون التحالف السياسي المعادي للأمة العربية هو الإمبريالية وسلطتها الكونية الممثلة للقوة الغاشمة: الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى حاشيتها: كيان الإغتصاب الصهيوني والقوى العربية الرجعية والمجاورة لها ممن ترتزق بحمايتها وقواعدها وقواتها، هدفها المعلن تمزيق الوطن العربي، أكثر مما هو ممزق، وتفتيت المجتمع العربي، طائفياً وأثنياً، خدمة لإسرائيل وبرامجها: الثابت الأمريكي الإستراتيجي توفير الأمن لها واعتراف العرب بكيانها المغتصب.

فالإمبريالية الأمريكية، إذن، تهدف السيطرة على الأمة العربية. وتذرير قوتها الحالية والكامنة. وإبقائها متأخرة متخلفة تابعة في حياتها ومعاشها أيضاً، بما يؤدي إلى شلّها وفرض الشلل عليها، تمهيداً للإستحواذ على خيراتها كلها، والواقع القائم الذي تُوِّجَ

بتوجيه ضربة كبرى للأمة العربية المناضلة في سبيل صيرورتها تعمل في سبيل ذاتها... مثلما وجّه الضربات المتتالية للفكر القومي العربي والتجربة الناصرية، دفع بالسيد محمد حسنين هيكل للإستخلاص التالي، بناءً على قراءة تاريخية متمعنة عميقة: إنَّ «المحاولة المستميتة لضرب قوى التغيير والتقدم في العالم العربي لم تتوقف، والسبب واضح هو إنَّ القصد المقصود ليس معركة ضمن معارك، وليس رجلاً ضمن رجال، ولكنها فكرة «مستقبل» يخشاه الذين يحاولون إرغام الأمة على الركود والقعود...». كما يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل في أحد كتبه التي رصدت ملابسات العدوان على مصر في الخامس من شهر حزيران في العام ١٩٦٧م.

إنَّ تشابه برنامج الضربة الأمريكية - الصهيونية الإسرائيلية للتجربة المصرية في عام ١٩٦٧م، والضربة الأمريكية ت البريطانية - علاوة على أتباعها والمتواطئين معها - للعراق في عام ١٩٩١م - التي استكملت في الشهر الرابع من عام ٢٠٠٣م على هيئة غزو وسطو وإحتلال - كبير جداً، فالتاريخ أكد أن هناك تنسيقاً كلياً بين الولايات المتحدة والكيان، و«مؤسسات الإدارة الأمريكية كانت توافق الرئيس بصفة عامة على الخيار الذي إستقر عليه، طوال أعوام ١٩٦٥م و١٩٦٦م و١٩٦٧م»، كما يوثق ذلك الكاتب الصادق مع نفسه الأستاذ محمد حسنين هيكل.

مثلما أكدت الوقائع إنَّ الخطة السياسية الأمريكية كانت تستهدف نهضة التقدم والتنمية والقوة العسكرية في العراق، وكذلك إستهداف السيطرة على الثروات الطبيعية فيه. وكل تلك الأهداف كانت تستبطن خدمة كيان الإغتصاب الصهيوني من الألف إلى الياء، لأنَّ الأمر - وهذه حقيقة سياسية ملموسة عمرها حوالي قرن من الممارسات - يتعلق بالثوابت الوطنية والقومية للأمة، لم يعتدِ العراق على أمريكا أبداً، ودجل الأسلحة المحرَّمة دولياً والعلاقات مع المجاهد أسامة بن لادن بات مكشوفاً ملموساً وموثقاً، بعد أنْ كان محسوساً عن طريق الحدس الفكري والتحليلات السياسية المنطقية، وتعاونت على رسم أنشوطته القاتلة عدة جهات مخابراتية دولية، وعلى سبيل المثال نتطرق لأحد عتاتهم ممن رسموا خطة العدوان على العراق، نعني به الجنرال بول وولف يتز.

وإذا علمنا إنَّ السيد بول وولفويتز نائب وزير الدفاع الأمريكي الحالي هو «جنرال سابق - يهودي - لعب دوراً مهماً في حرب الخليج كضابط اِتصال بين قيادة التحالف وبين رئاسة أركان حرب جيش الدفاع الإسرائيلي، وكان المسؤول عن مطالبة بهذه الصفة في إسرائيل طوال شهري يناير وفبراير ١٩٩١م، وكان هو المسؤول عن مطالبة القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية بأهمية ضبط النفس وعدم الرد على صواريخ عراقية وجِهّت إلى عدد من المواقع في إسرائيل مذكّراً الجميع في تل أبيب بأنَّ إسرائيل أول مستفيد بتدمير القوة العراقية، وبدون تكلفة عليها في الموارد أو في الدم».. كما جاء في كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون: نهاية طرق: العربي التائه، الطبعة ٢، شباط ٢٠٠٢م، ص ٦٥]، يؤكد ما ذهبنا إليه في ما تقدم: من اِستهداف أمريكي صهيوني مشترك للعراق.

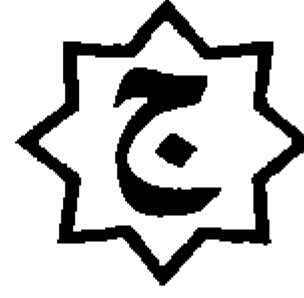
وما برنامج البحث المستمر عن ما يُسمى بأسلحة الدمار الشامل الذي كان الذريعة الأمريكية المستمرة - دون النظر في الرؤية الكلية لقرارات مجلس الأمن على أرضية الشرعية الدولية - والتي لم تنتهِ إلاّ بتمزيق العراق وإرجاعه لعصر التخلف الحجري، وفق ما أعلنه وزير الخارجية الأمريكي الأسبق: جيمس بيكر، وتدمير البشر العراقيين، ووأد حضور علمائه المبدعين في النهضة العلمية العراقية؛ والقضاء على القوة العسكرية التي حققت بعض التوازن الإستراتيجي في المنطقة؛ والسيطرة على ثرواته الكامنة في الأرض وفوق الأرض أيضاً... كان كل ذلك لم يكن سوى تشابه في تحقيق الهدف الأمريكي الغربي - الصهيوني للقضاء على المستقبل العربي، سواء أكان في مصر جمال عبد الناصر أو العراق في عهد الرئيس الشهيد صدام حسين.

إنَّ هذه الصورة الموضوعية لتطور الأحداث التي كانت متوقعة، وإعلان كيان الاِغتصاب الصهيوني المُتكرر عن اِستعداده بالاِشتراك في الضربة الأمريكية: يفرض على كل مَن يلتزم الفكر الوحدوي العربي، لاسيما الخيار الناصري في الاِستقلال والتنمية والتحديث والتطوير والحرية والوحدة والتقدم، بغض النظر عن مشاعره الذاتية الخاصة... كان يفرض عليه المساهمة عبر التحريض والعمل، في معركة الأمة العربية التي يشتد

أوارها على الساحة المشرقية العربية: العراق، من أجل دحر المعتدين الذين يريدون بالوطن شرّاً، والحفاظ على وحدة المجتمـع، والدولة {{كتبنا ذلك قبل الغزو الأمريكي والاِحتلال الذي أدى إلى إفلاش الدولة العراقية التي كان أول خطواتها التأسيسية تبلورت بعد ثورة عام ١٩٢٠م المباركة ضد البريطانيين وقواتهم الغازية- ملاحظة نذكرها بمناسبة نشر الحلقة الثانية من هذه المقالة}} الناظمـة لعملها، وصـيانة القيم التاريخية لأمتنا العربية وحضارتنا الإسـلامية العظيمة... ضد إدارة الولايات المتحدة السياسية صاحبة القطبية الوحيدة في العالم، المنفلتة العقال من الشرعية الدولية: الفاعل الأساسي في عملية إنتاج نظام الهيمنة الغربية مجدداً تحت شعارات سياسية تدجيلية على ضوء الممارسة العالمية لها. وما لحق بقضية الشعب الفلسطيني مجرد شاهد شاخص يتكرر على الدوام في ظِلِّ الهيمنة العالمية للقطب الأمريكي الواحد»}}.

وذلك هو الثابت السياسي في المنهج الناصري، وليس غيره أبداً.

- ملاحظة - [النص المحصور بين القوسين {{ }} مأخوذ نصاً من كتابنا المعنون «العمل القومي العربي: قيادة جمال عبد الناصر على ضوء مفهوم الأمـة العربية ومن أجل تحقيق طموحها السياسي».



المنطلق، إذن هو الأمة العربية، ومقرون بدفاعه عن ذات الأمة السياسية والإِجتماعية وردها الحازم على العدوان الذي يحاول التطاول على كينونتها، ذلك هو الجانب المشرق من التاريخ في هذه المنطقة. وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية - نذكر ذلك كونه هو المشترك الفكري والسياسي عند كل القوميين العرب المخلصين والمناضل سامي شرف والناصريين من بينهم. لا شك في ذلك. مكوناً فكرياً واحداً - فالثورة المصرية التي قادها الرائد الخالد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد إِندلاعها في العام ١٩٥٢م، لم تحظَ بالتأييد العارم من قبل مجموع أبناء الأمة العربية إلا بعد مناهضتها بالقول والفعل للإمبريالية العالمية والصهيونية وكيانها الإِغتصابي والأنظمة «العربية» العميلة للإِستعماريين البريطاني والفرنسي اللذين كانا يشكلان القطب المناهض للأمة العربية التحررية في تلك الفترة؛ وأنَّ تأكيدها العملي على ذلك الإِتجاه السياسي كانت عناوينه الواضحة الحازمة من خلال بناء القوة المصرية عَبرَ توريد السلاح من المعسكر الشرقي، وتغيير المضمون الإِجتماعي لطابع ملكية الأرض وإنصاف طبقة الفلاحين المصرية الفقيرة والعريضة وتدشين قوانين الإصلاح الزراعي بتحديد ملكية الأرض ومحاولة القضاء على الإِستغلال، وطرد مدنسي منطقة القنال من البريطانيين من أجل صيرورة مصر مستقلة حقاً وفعلاً، وما إِستتبعها من عزم على إنشاء السد العالي الذي إِستلزم تأميم قناة السويس، والإصرار على مجابهة العدوان الثلاثي: البريطاني الفرنسي ومخلبهما كيان الإِغتصاب الصهيوني، وإنجاز المطلب الشعبي الذي كان حلماً منذ العشر الأوائل من القرن العشرين، المتمثل بالوحدة العربية من خلال تحقيق وحدة القطرين المصري والسوري وقيام الجمهورية العربية المتحدة. وغيرها من الخطوات السياسية على الصعيد القومي العربي.

كان تجسيد الوحدة العربية هي الرد العملي على التجزئة التي خلقها الإِستعمار الغربي الأوروبي في أعقاب مؤتمر «بانرمان ١٩٠٤م - ١٩٠٧م» الذي شكّل حالة وعي العدو

الغربي: كأنظمة اِستعمارية بما يريده على المستوى الإستراتيجي من «أجل تأبيد مصالحه في المنطقة»، وباتت تلك التجزئة القطرية والعمل على منع أي تشكل وحدوي تحرري، هي التجلي الأبرز «لحالة العنف الإمبريالي» - كما رأى بعض المفكرين القوميين العرب - وستكون الوحدة العربية المناهضة لمفاعيل تلك التجزئة «فعل مواجهة العنف الإمبريالي وكسر شوكته»، وهو ما حرَّض قوى عديدة وذات مشارب قومية متنوعة واجتماعية وطبقية مختلفة، موالية للرؤية الإمبريالية، من أجل تكثيف خططها السياسية وتنسيق عملها الخبيث بغية «القضاء» على ذلك التجسّد الطامح للمستقبل على أرضية الفهم القومي العربي، ومن هنا ينبع إيراد أهمية هذا المثال القومي في سياق هذا التحليل والرصد.

وفي هذا المعنى الإستراتيجي يلحظ المفكر العربي السوري الفقيد إلياس مرقص «الحقائق السياسية التالية»: «الشعب السوري والشعب المصري أقاما وحدة لكن هذه الوحدة كانت مدعومة بالشعب العربي كله وبالأمة العربية من الخليج إلى المحيط. هذا أمرٌ يجب أنْ لا ننساه، وإنها معركة ضد اِستعمار قديم، ضد اِستعمار جديد، ضد إمبريالية، ضد حلف تركي باكستاني، ضد حلف بغداد، ضد مبدأ أيزنهاور الذي يريد ملء الفراغ، وكانت معركة صاحبتها فكرة نهضة شاملة مرتبطة بالوحدة، ومد ثوري يمتد إلى البلاد العربية المجاورة لهذه الوحدة» ، من جهة ، وكذلك ، كما يضيف المفكر الفقيد مرقص «يجب أنْ لا ننسى موضوع الدول الكبرى الذي هو مسألة موضوعية جداً، الدول الكبرى الإمبريالية الغربية كانت ضد الوحدة جميعها، الدول المحيطة بسوريا وبمصر، بعض الدول العربية وإسرائيل وتركيا وإيران بدرجات متفاوتة كانت جميعها ضد الوحدة. نوري السعيد ضد الوحدة، كميل شمعون ضد الوحدة، لم تكن دول كبرى في العالم مع الوحدة»، [1].

وإذا لم يكن الأمر كذلك، أي كون الأمر الأساسي يتعلق بمفهوم الأمة العربية والحرص على مستقبلها، فليقل لنا مَنْ يشاء عن الفروقات العينية بين الموقف السياسي للرئيس الفقيد جمال عبد الناصر، بطل نهج المقاومة والنضال في سبيل صيرورتها «رقماً فاعلاً» في عموم التطورات السياسية العالمية، من جهة، وبين الموقف السياسي للرئيس أنور السادات

كونه يجسد قضية تتطلع إلى تحقيقها الإمبريالية العالمية وكيان الإغتصاب الصهيوني حول عزل مصر وانعزاليتها عن شؤون الأمة العربية الحيوية، من جهة أخرى؟ ولماذا كان العدو الإمبريالي يمارس الحصار والعدوان والتآمر ضد الخط السياسي للرئيس جمال عبد الناصر، من ناحية، وعلى كل الصعد، في حين تلقى أنور السادات كل الدعم السياسي والمادي من أمريكا في أعقاب نهج كامب ديفيد، إنْ لم يكن قبله أيضاً، من ناحية أخرى؟!.

ولماذا اِقترن تبدل الموقف السياسي الأمريكي، والغربي عموماً، من الزعيم معمر القذافي لحظة تغيير مقوده السياسي من الرؤية القومية العربية إلى الإبحار في الفضاء الأفريقي؟ ولماذا حورب المسار العرفاتي الذي تمسك بمضامين «ثورة حتى النصر» خلال فترة ما، ورضي الغرب عنه عندما رفع شعار: يا وحدنا وانساق في سياسة إقليمية بحتة على أساس خط التسوية التي لن تكون مقبولة إلا إذا كانت اِستسلامية المضمون والشكل وفق المطامع الصهيونية وتصوراتها الإسرائيلية؟!.

لقد عبرت المضامين السياسية عن مفهوم الأمة العربية مع اِنبثاق أفكارها الأساسية في أعقاب اِنبلاج الرسالة العربية الإسلامية، وتجدد مضمونها مع الفتح العربي لفارس وهزيمة الروم، وفي مواجهة التتار، ومقارعة الحروب العدوانية الصليبية والاِنتصار عليها، وفي مواجهتها للرؤية السياسية الغربية التي تعد الغزوة الصهيونية وتأسيس كيان الاِغتصاب الصهيوني وهي إحدى مظاهر تلك الهجمة وأسوأ تجلياتها الأكثر سواداً، وقد تنوعت الهوية السياسية لعناوين تلك المقاومة، فمنها ما كان وطنيا أو قومياً أو دينياً، ولكن مضمونها كان - وما يزال - يتحدد في مواجهتها الفعلية للعدو الذي يستهدفها.

في الراهن السياسي، حيث المواجهة الشاملة للعدو الإمبريالي الصهيوني سواء بالسلاح، وهو الشكل الأرقى للمواجهة الفعلية، أو الموقف السياسي والفكري المخلصين، ووفقاً لكل مرحلة نضالية من مراحل كفاح أمتنا العربية، هو المضمون السياسي الأساسي الذي ينبغي من خلاله قراءة كل التطورات السياسية الجارية على صعيد المنطقة العربية، وفيها أيضاً.

ولم يشذ نضال أبناء الجنوب اللبناني، وعموم الوطنيين اللبنانيين، عن ذلك الِاتجاه الوطني فقد تبلور مشروعهم الوطني المقاوم منذ مواجهتهم الكبرى للخط السياسي الأمريكي الصهيوني في العام ١٩٥٨م، والدعم اللامحدود للثورة الفلسطينية وإنخراطهم في الحركة الوطنية اللبنانية المسلحة، وتبلور موقفهم السياسي في التحالف والتآزر المشترك مع حركة المقاومة الفلسطينية طوال أعوام السبعينات وبداية العقد الثمانيني. ومن ثم كان المضمون السياسي لِانطلاقة حركة المقاومة الوطنية اللبنانية ذات نهج ماركسي واضح من خلال تبوء الأحزاب الماركسية اللبنينية الموقع المبادر في إطلاق الرصاصة الأولى لعمليات جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية التي أعلن عن تأسيسها من خلال التكوينات السياسية التالية: الحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي اللبناني وحزب العمل الِاشتراكي العربي في لبنان، وذلك بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٩٨٢م، وتوالت عمليات تغيير المضامين السياسية والفكرية لحركات المقاومة الوطنية اللبنانية التي كان يتحدد موقفها على ضوء معادلات الصراع مع الحركة الصهيونية ونابضها كيان الِاغتصاب الصهيوني، والبرنامج السياسي للمفهوم الإمبريالي/ العولمي الذي تقوده الولايات المتحدة.

وتجيء مرحلة الصراع ضد الغزوة الإمبريالية التي يقودها حزب الله اللبناني، من حيث المضمون والوسيلة، وبما تحقق له من عوامل الحشد والتوجه والنجاح العسكري والتقدم السياسي في ميدان الصراع الممتد منذ مائة عام وللمرحلة التاريخية الراهنة، عملية تجديد للحركة القومية العربية في مناهضتها للأعداء، ويجب أنْ لا يتطرق الشك إلى طابع مضمونها القومي والطبقي أساساً، أما الجهات الداعمة فهي من العوامل المساعدة التي لا ينبغي جعلها معيار المعايير في تحديد طابع المواقف السياسية للأطراف المتصارعة، هذا إذا إِعتبرنا الموقف العربي السوري هو مجرد خرقة مهترئة معلقة على شاحنات الأسلحة الواردة إلى حركة المقاومة اللبنانية التي يقودها حزب الله في هذه المرحلة، وهو ما لا نتفق معه عند التقويم النهائي لمجريات الصراع في المنطقة العربية وعلى المنطقة، إذ أننا نعد العامل العربي السوري هو الأكثر فعلاً في طابع المعركة الشاملة ضد كيان الِاغتصاب الصهيوني، والعنصر الأكبر في مواقف أطرافها المتصارعة.

إنَّ الخط السياسي الأكثر اِحتداماً هو الصراع السياسي بين خط الاِستسلام والمساومة والتراجع كيف ما كان، من ناحية، وخط المقاومة العربية للمشاريع الإمبريالية والصهيونية التي يرتكز إلى أشكال متعددة من الممانعة العملية الملموسة، من ناحية أخرى، وفي هذه النقطة بالذات نستطيع إدراك الخط النضالي المشترك ما بين المقاومة الوطنية العراقية والفلسطينية واللبنانية، وغيرها من المقاومات العربية، التي تواجه الرؤية السياسية الغربية والصهيونية.

وكذلك اِنطلاقاً من المحتوى السياسي لهذه الرؤية الموضوعية نرى خطل الموقف السياسي لموقف «الأحزاب والمسميات الناصرية» عند تحديد موقفها السياسي تجاه التطورات السياسية، وخطأ رؤيتها الفكرية والسياسية، كونها لا ترى في الثابت السياسي: وهي الأمة العربية ومصلحتها ومستقبلها، البوصلة التي ينبغي رصد مساراتها، وعدم التلهي بقشور معارك الشوارع القطرية والبذور الفاسدة لصراع زواريبها النتنة، التي قد تكون لصالح هذا الطرف الإقليمي أو ذاك، ولكن ما ينبغي تسديد البصر عليه هو طابع الحلقة المركزية للصراع.

إنَّ البرامج السياسية التاريخية للأطراف المتصارعة هي المعيار في التقويم عند كل الأحزاب اللبنانية، وليس مسألة الموقف السياسي للحلفاء، وإذا أخذنا المواقف السياسية للحلفاء، فينبغي عندها عدم الاِكتفاء بالتدبر في الموقف السياسي للحلفاء الخاصين بحزب الله، وإنما كذلك التدبر في موقف حلفاء الفريق «الاِنعزالي» اللبناني الآخر الذي بين مجموعاته أبطال المجازر الفاشية ضد الوطنيين اللبنانيين، كسمير جعجع وأترابه، وأمين الجميل بطل اِتفاقية ١٧ أيار عام ١٩٨٣م المقبورة مع كيان الاِغتصاب الصهيوني ووليد جنبلاط وأطروحاته الأخيرة المنساقة حتى سنام رأسه في الرؤية السياسية الإمبريالية الصهيونية.

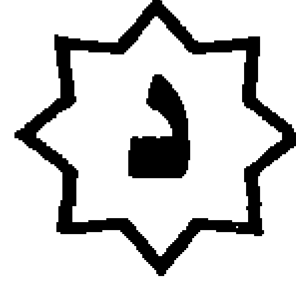
أما مَن هو هذا الحليف العربي للقوة: الإمبريالية الأمريكية والتابع الفعلي لأيديولوجية المحافظين الجدد ونزوعهم للهيمنة العالمية، وفي المنطقة العربية، فهو السلطة

السعودية في الجزيرة العربية التي كان لدورها في التآمر على مصر خلال الستينات - خطة الفهد الغاضب على سبيل المثال - والعراق خلال أعوام التسعينات من خلال دورها الجغرافي والمالي في الغزو الأمريكي للعراق: جنباً إلى جنب بلدان آل ثاني وآل صباح وآل خليفة وسلطة عبد الله الثاني في الأردن، وغيرهم أيضاً، الأثر الحاسم في تحقيق النصر السياسي الأمريكي. إنَّ أدوارهم العسكرية أو المالية لهي أدوار معروفة ومثبتة في الوثائق الدولية الكثيرة وكذلك في تصريحات وأقوال المسؤولين السياسيين الأمريكيين. أي عند تقويم أي موقف يجب علينا ضرورة التدبر الكلي في اللوحة السياسية الشاملة لمفردات الصراع السياسي في المنطقة، وبالتالي تركيز وجهة النظر الفكرية والسياسية على كافة الأطراف السياسية التي لها علاقة بالموقف السياسي للمعركة في لبنان، ومن مختلف الزوايا بشأنها.

وإذا شئنا التحديد حول مسؤولية الموقف السياسي الإيراني في الغزو الحاصل على العراق، فلعل دورهم العملي كان هو الأخطر، فلم نكن نتصور أنَّ أي نجاح للمخطط الإمبريالي في العراق، بالطريق التي صارت إليه تطورات الصراع في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣م، من دون «قوات المشاة» التي ترافقت حركتها المادية المسلحة مع الغزو والقصف الأمريكي، إذ أنَّ «جمهورية إيران الإسلامية» هي التي تكفلت بتوفير صيرورة المسعى الأمريكي رقماً فوق الأرض العراقية، والتنسيق السياسي المتعدد الوجوه مع النظم الخليجية وأنظمة بريطانية وأمريكا، الذي اِلتزمت به القوى «المتأسلمة التي كانت تقيم في إيران» وتلتزم في برنامجها التعبوي والسياسي، وقبل هذا وذاك، منذ ما قبل مؤتمر لندن ٢٠٠٢م الذي سبقته نصيحة المرشد الأعلى المسمى بعلي خامنئي وضابط المخابرات الإيراني محمدي: مسؤول الملف العراقي في جهاز «الساواما: المخابرات الإيرانية»: حول ضرورة اِستغلال الظروف من أجل الكسب الطائفي المذهبي على حساب المعايير الحضارية العربية الإسلامية، وحتى الِاستخدام الواسع من قبل العملاء لـ«سلاح الإشارة» عبر هاتف الثريا المحمول... إلخ.

لقد تدفق «جيش بدر» وأحزاب الدعوة على اختلاف شظاياه التنظيمية، إلى الأرض العراقية، فضلاً عن توفير عناصر نجاح تلك الغزوة ضد العراق منذ ما يسمى بـ«الانتفاضة الشعبانية» في الشهر الثالث من عام ١٩٩١م وتفكيك المنجز الصناعي العراقي وتدمير الدولة ونشر الفوضى والاغتيالات المتتابعة للكادر العلمي والعسكري العراقي... إلخ.

[١] - راجع أقوال المناضل الفقيد إلياس مرقص تلك في الكتاب الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت / لبنان، بعنوان القومية العربية في الفكر والممارسة، ندوة فكرية، الطبعة الثانية الصادرة في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٠م، ص ٤٣٥ - ٤٣٦.



هناك حقيقة موضوعية تتخلل نسيج الأمة العربية، رسختها قرون عديدة من الأواصر المشتركة والتجارب العملية التي أفرزت حياة اِجتماعية متكاملة خالية من الصراع العمودي: المسلح والعنيف، الجذر المشترك لهذه الحقية التاريخية وحدة اللغة والاِنتماء للإرث الحضاري المشترك، الذي قوامه الرؤية الدينية الإسلامية والمسيحية الشرقية، وما ترتب عليه من وحدة ثقافية بادية للعيان وواضحة للبصائر، وكذلك توفرت مداميكها في سياق الممارسة التاريخية كتطلع وطموح ؛ فضلاً عن خطط الأعداء المضادة لهذا التطلع التي كان أبرزها البرناج السياسي لـ«كامبل بانرمان»، [1]، والعمل من أجل ترسيخ وحدة المصلحة والطموح في المستقبل من أجل بناء الذات الوطنية والقومية المتكاملة، وليس على حساب الذات القومية العربية بالقطع.

والذات القومية تقتضي المواجهة النقدية معها: أين أخطأت؟ وأين أصابت؟ على أرضية فهم الماضي التاريخي المقرون بالإخلاص للذات القومية العربية، ووفقاً لما يقوله أحد النابغين العرب فإنَّ وعي المبدأ لماهية الذات يمر عبر دراسة الماضي، وهو ما يشكل ألف باء جوهر «وعي الذات، وهو ما يوجب نقد الذات» بصورة تفصيلية من أجل التجاوز والدخول في مرحلة قادمة ومستقبلية، وهو ما يعد الـ«مدخل لكل نقد» فعلي وشامل وصريح، وبالتالي تجعل الدروس العملية المستمدة من تاريخ الممارسة والمواجهة حاضرة في الذاكرة السياسية العربية عند أي تصرف سياسي. ويستلزم كل ذلك، الاِبتعاد عن كل رؤية أيديولوجية مسبقة، كونها {أي الرؤية الأيديولوجية} تلغي الفكر وتقدس الأقانيم وتغطي على الوقائع الماثلة وتدلس على الحقيقة وتحذف المعلومة من قاموس التحليل.

والعراق: بما هو وطن نتاج واقع جغرافي وتاريخي صنعه البشر منذ آلاف السنين، هو جزء أساسي من الوطن العربي، ينبغي وضعه في دائرة الاِهتمام والذاكرة السياسية والتاريخية عند التحليل والتقرير، ولا ينبغي لمن يؤمنون بالأمة العربية خصوصاً، إهماله لأي سبب

كان، مثلما كان ينبغي متابعة تطوراته وشؤونه وشـجونه في أية لحظة تاريخية، وجعل اِصطفاء واقعه السياسـي الموضوعي بؤرة الضوء الجاذبة لكل التحليلات، لا التركيز على بعض ممارسات حكامه، شأنه شأن الملايين العربية القاطنة على المنطقة الشرقية للخليج العربي، الذين يعد وجودهم المادي هو الذي يعبر عن محتوى تسمية الخليج بالعربي، مثلاً، الأحواز العربية التي «يتناساها» البعض على مذبح الرؤية الأيديولوجية «الإسلامية» في طبعتها الإيرانية، في أحسن الأحوال، أما إذا أخذنا رؤية الظن غير الحسن في التقويم فنقول: على أرضية «لمعان الذهب الفارسي» الذي يوزعه حكّام إيران ذات اليمين وذات الشمال عبر رؤى وأنفاق متعددة ومتنوعة.

التفتيت بقدر ما يتعلق بالوضع العراقي، هي المرحلة السياسية والاِجتماعية الحالية، وإيران من خلال رؤية مذهبية أيديولوجية هي العامل الفاعل في بذر «سياسة التفتيت» داخل المجتمع العراقي، ونشرها وتعميمها وتعميقها، ولكن قبل تناول مواضيع البرنامج السياسي الإيراني بصدد العراق، وعلاقته بالأمن القومي الإيراني، نريد توضيح بعض المفاهيم التي يصر الإيرانيون على ترديدها صباح مساء من منطلق عنصري ليس إلا، وبالاِستناد إلى رؤى سياسية أوربية عن المنطقة، كتبها مستشرقون واعون لمصالح دولهم الإستراتيجية، نعني بذلك تقولاتهم حول «فارسية الخليج».

في الكتابة السياسية أو الحديث في الصدد الموضوع الأهم والمثار في النقاش السياسي عند الكتابة، ينصح السيد محمد حسنين هيكل: الصحفي اللامع، وبالاِستناد إلى أقوال أحد الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول، وهو من القادة السياسيين الأوربيين الكبار في العصر الحديث، بضرورة اِستحضار عامل التاريخ: كونه البيئة الكونية لأي حدث، وعامل المكان عبر الخرائط الجغرافية بسبب بيئتها التفسيرية لتحليل أي واقع عيني، في أي نص تحليلي سياسي، وإذا أخذنا الواقع السياسي والملموس لتلك المنطقة التي يحدد واقعها الاِجتماعي مفاهيمها السياسية والقومية، فإننا سنطـّلع بالوثائق الحسِّـية أن السكان العرب هم مَنْ يقطنون على ضـفتي الخليج، ومنذ مئات السـنين، {راجع صورة الخريطـة أسـفل

هذه الفقرة}، هذا من الناحية الأولى، وأن الاحتلال الفارسي والرسمي للأحواز لم يبدأ إلا في العام ١٩٢٥م - أو قبيله بقليل - بمؤامرة بريطانية صريحة، [٢]، من الناحية الثانية، أما الإستناد إلى رؤية غربية كتبها «علماء» يتخذ بعضهم من صفات الإستشراق غطاءً تمويهياً لهم، ففضلاً عن كونها تتصادم مع الرؤية العربية الإسلامية للتاريخ والماضي والمفاهيم، فإنه يتعارض مع الحقائق العلمية التي بحثت في نشوء المفاهيم الخاصة بالمنطقة، من قبيل الشرق الأدنى والأوسط وإسرائيل، وغير ذلك، من الناحية الثالثة.



في الحقيقة أنَّ القضية الأحوازية تثير «العطف والشفقة» على بعض «المفكرين العروبيين»، الذين يجهدون أذهانهم وأفكارهم ويسيلون أحبار أقلامهم لنصرة قضايا بعيدة عن الهموم المباشرة لوطنهم العربي، و«يتناسون» في آنْ واحد، شؤون وشجون القضية القومية العربية القريبة منهم، فالأحواز الذي يقطنه عدة ملايين من المواطنين العرب هم محرومون من مدرسة اِبتدائية واحدة - نعم واحدة فقط - يدرس فيها أطفال ينحدرون من الأرومة الاِجتماعية العربية المواد التدريسية بلغتهم الأم التي هي - فوق ذلك - لغة مقدسة وفق المعايير الحضارية الإسلامية، ويعدّها بعض الفقهاء - إنْ لم نقل كلهم - لغة أهل الجنة. وكذلك، يمنعون بشكل رسمي من تسمية أبنائهم بأسماء ذات صلة بالتراث العربي الإسلامي، كأبي بكر، وعمر: مطفيء النار المجوسية - ومن هنا منبع حقدهم الاِستثنائي عليه للدرجة التي أقاموا لقاتله: أبو لؤلؤة المجوسي ضريحا خاصاً «بابا شجاع» - وعثمان، وياسر، وعرفات، وعبد الناصر، ومهند، وشيماء، ورائد، وغير ذلك من الأسماء المتعلقة بالمضامين العربية، كونها لا تتوافق مع الرؤية الطائفية الصفوية، أو ذات علاقة بما آلت إليه

القومية الفارسية في الماضي، التي تسببت في هزيمتهم إبان المراحل الأولى من النهضة العربية الإسلامية ونشوء الخلافة العربية، [؟] حول كتاب خالد مسالمة وكتابي].

علاوة على أنَّ أولئك المواطنين العرب يخضعون لسياسة تربوية متعمدة قوامها التجهيل بتراثهم ووقائع ماضيهم، فيما تكرس السلطة الفارسية بحقهم سياسة متخلفة بعيدة عن أي منظومة حضارية حديثة، من قبيل نشر الروايات والأكاذيب الأيديولوجية الفارسية بخصوص التاريخ العربي، وإخضاعهم لقوانين عشائرية وقبلية ملزمة لهم. ويُطردون من أرضهم التاريخية لصالح جلب «أجانب» فرس بغية الِإستيطان، وبناء الجدران العازلة. وتقام على الحدود العراقية - الأحوازية المعسكرات الإيرانية الرسمية بغية تفريغ الأراضي من سـكانها العرب بذرائع الدواعِي الأمنية في حين أنَّ الهدف الحقيقي هو تغيير البنية السـكانية لمالكي تلك الأراضي.

أما سياسة الِإعتقالات والسجون والتمييز العنصري والكفالات النقدية الباهظة، والمطاردة للناشطين اللأحوازيين والِإعتقالات السياسية المستمرة وفرض البطالة من أجل إجبارهم على الرحيل عن أرضهم، وعدم إقامة أي مشاريع إنتاجية في أي موقع من مواقع الأحواز، رغم أنَّ الثروات الأساسية تنبع من أراضيه: كالنفط مثلاً، حيث تسهم بما نسبته حوالي ٩٠٪ من الدخل القومي الإيراني... أما كل ذلك وغيره فالحديث عنها سيطول جداً، وتشكل المواد الفكرية والسياسية الأساس لعشرات المواقع الإخبارية الأحوازية الإلكترونية.

إنْ لم تكن الأسباب الكامنة وراء السكوت عنها تتعلق بالرؤية العروبية لمفاهيم التطور الخاصة بالأمة العربية، فلتكن «معايير حقوق» الإنسان التي صارت أثيرة على مشاعر البعض منهم، دافعاً لتوجيه «آراء النقد» حتى الخفيف منه، «للنظام الإسلامي» في إيران، الذي يساند بعض العرب من أجل تحرير «مزارع شبعا» وأرض فلسطين، من دون مناقشة التساؤل التالي والمفروض على كل مفكـِّر عربي: هل يسعى البعض فعلاً لتحرير أجزاء عربية محتلة من قبل مَنْ يحتلون أرضاً عربية ويسوم أبناءها سوء العمل العنصري؟!.

يشهر العديد من النقاد بوجه البعض منا، وهم «المتعاطفون مع الرؤية الفارسية» من القوميين العرب، مسألة المشروع العلمي الإيراني «المناويء للغرب» ويضربون مثالاً ملموساً على ذلك المشروع «الأحاديث الإعلامية أو الدعائية»، عن الجهد الكثيف المبذول حول الجهود الإيرانية للتسلح بالقدرة النووية التي يحاول كسبها الحكام الإيرانيون الحاليون، وتدور «حرب إعلامية أو دعائية» حول «الموضوع العلمي ذاك»: يصدقها البعض فيما ينفيها البعض الأخر.

أما السلطة الإيرانية فهي تحاول إسدال حزمة من الغموض حول الموضوع برمته، إتساقاً مع الرؤية السياسية الدبلوماسية الإيرانية على مدى التاريخ التي لا تكشف عن أهدافها أبداً، يقول أمير مهيبيان وهو{إستراتيجي محافظ بارز} «ينبغي ألا نكون دولة يمكن لأعداء إيران معرفة طريقتها في التفكير والتوقع بما ستقوم به»، [٣]، وهذا أسلوب خاص في الدبلوماسية الإيرانية منذ نشأتها، لأنه يتعلق برؤية سياسية واجتماعية في التفكير والتصور، من هنا يصف البعض المتابع لتلك الدبلوماسية السلوكَ الإيراني «بالغدر والتخطيط غير المباشر»، والأمثلة التاريخية على ذلك كثيرة، لعل أبرزها نمط «التقية» المذهبية الذي يسود التفكير السياسي الراهن، وعن محتوى ذلك النمط من الأسلوب يضيف أحد مستشاري الأمن القومي الإيراني، «هذه الطريقة متجذرة في تجارب إيران على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين، عندما مكّن إنفتاح البلاد القوى الخارجية من التلاعب بها من أجل إستغلال ثرواتها الطبيعية وجعلها دولة تعتمد على الغرب»، ترى الحكومة الإيرانية بأنه «ينبغي البقاء على مسافة محسوبة بعيداً عن الأجانب»، على حد تعبير هذا المعاون، الذي يضيف «عليك أنْ لا تجعلهم يفهمون كيفية إدارتك لشؤونك الخاصة، لهذا السبب، أعتقد بأنَّ إثارة الحيرة أمر مقصود، ولهذا السبب يسمحون للمؤسسات المختلفة بالتعبير عن العديد من السياسات المتناقضة، ولا بأس بذلك، فهذا يوفر الأمن لإيران لأننا نعرف ما نقوم به»، [٤]، وبسبب اللوحة العامة لتلك «السياسات المتناقضة» نرى التقديرات المختلفة عند «المفكرين القوميين العرب»، ما بين ناكر لذلك التوجه أو مرجح لهذا التفكير أو ذلك التقدير، فالإشارات التي يطلقها حكام إيران حول هذا

الموضوع بالذات تثير اللبس والغموض ويستهدف إضاعة بوصلة الخصم والعدو أو الإتجاه العام للصديق أو الحليف.

ولكن علينا معرفة التشخيص الصحيح عبر وعي الدروس الفعلية لملابسات التاريخ الإيراني الممارس في الماضي والحاضر، فإيران نجحت مع الأسف الشديد في تلبيث التفكير عند البعض القومي العربي حول الشأن المتعلق بالأحواز الذي يقطنه ما لا يقل عن عدة ملايين فوق مساحة ٣٢٤,٠٠٠ ألف كيلو متر مربع، أي ما تساوي مساحة سوريا ولبنان وفلسطين مجتمعة، وتمتعت في إدارة شؤونها القومية الخاصة ببعد عربي جلي، منذ الفتح العربي الإسلامي، وخضوعها للسيادة العربية خلال مرحلتي الإمبراطورية الأموية والعباسية، وأسست دولتها المشعشعية عام ١٤٣٦م وحتى سنة ١٧٢٤م لتقوم بدلا منها الإمارة الكعبية على كافة الأراضي الأحوازية، التي إحتلها الفرس في العام ١٩٢٥م جرّاء تواطؤ المصالح الغربية البريطانية والزمرة العسكرية الإيرانية التي دعمها الغرب حتى زوال نظام أحد أحفاده في العام ١٩٧٩م.

ومع ذلك، علينا الإقرار بأهمية التطوير العلمي لشعوب العالم الثالث، رغم الموقف السياسي الإيراني من هذه الظاهرة في بقية أراضي وأوطان العالم الإسلامي: أي التطوير العلمي في العراق، «لأنه لا يسمح لأي دولة إسلامية أنْ تكون نسبة الأمية فيها أقل من ٢٠٪ وتتوفر على مستوى عال من البحث العلمي، وإمكانات تكنولوجية ذاتية تمتلكها وتتصرف بها/ مثلما تفعل بعض الدول الأخرى، بحيث لا يسمح بأنْ تكون تجربة في فهم حضارتها وفي أسلوب معيشتها»، كما حدث في العراق - مثلاً - والذي إستحق بسببه ولأسباب أخرى لشن أمريكا وحلفاؤها الحرب عليه، كما يقول المفكر المغربي العظيم، العالم ثالثي، الأستاذ المهدي المنجرة، من هنا ضرورة التبصر في معاني التجربتين العراقية والإيرانية وموقف الأمريكي الغربي منهما. إنَّ ما ينبغي التذكير به هو حقيقة هوية الموردين لهذه التكنولوجية، على سبيل المثال، وبالتالي إثارة النقطة الحيوية تجاه أي مشروع تحديثي وتكنولوجي بشأنه، والتي تتمثل بالسؤال الآتي: هل تسمح أمريكا، بلهه المحافظون الجدد، لأي تطور يسود في إيران إنْ لم تكن حدوده معروفة؟!.

تقول المعلومات التوثيقية التي ينبغي قراءتها بعيون صاحية وعقل نقدي مفكر، «كانت مبيعات هاليبرتون السرية لأجهزة الطرد المركزي لإيران هي التي ساعدت في نهوض برنامج تخصيب اليورانيوم، بناءً على التحقيق الذي اِستمر ثلاث سنوات وشمل مقابلات أجريت مع أكثر من اِثني عشر من موظفي هالبرتون السابقين»، [٥]، والقصة التي يجري ذكرها تقول أن «في يناير من عام ٢٠٠٥م باعت هاليبرتون مكـونات مفاعل نووي أساسية لشركة نفط إيرانية، [... وهي] أويل كيتش وهي إحـدى كبـرى شـركات النفط الخاصة الإيرانية، بالإضافة إلى ذلك، فقد عملت هاليبرتون خلال عامي ٢٠٠٤م و٢٠٠٥م على نحو وثيق مع سيروس ناصري نائب رئيس مجلس إدارة أورينتال أويل كيتش للمشروعات النفطية في إيران، كما أنَّ ناصري عضو مهم في فريق تطوير الطاقة النووية الإيرانية»، [٦].

إنَّ المقارنة التوثيقية بين تجربتي العراق وإيران في ميدان اِكتساب الخبرات والمعارف العلمية والتزود بالمهارات التكنولوجية ستبين الفروقات العينية الملموسة بين الموقف السياس للغرب تجاه المشروعين الإيراني والعراقي في التطوير. والمشروع العراقي - كما هو معروف - تعرض لِاغتيال علمائه ومطاردة العاملين فيه والحصار والقصف، فيما كان المشروع الإيراني يتزود من المصادر الأمريكية التي تشرف عليها عصابة المحافظين الجدد، بله من أشد عتاة المحافظين الجدد الذين جلهم صليبيين متصهينين، التي جاء في بعض صفحاته ما يلي من معلومات: «بكل تواضع، يمكن اِعتبار جهود حملة الإعمار برهاناً يفتخر به عن العزيمة الصـادقة والمرونة الحقيقية والإبداع التي تتحـلى به الروح العراقية، في ظل نظام متماسك [ص ١٦٤]». «كانت الشركة الأمريكية [وستنكهاوس] التي تزود الوقود النووي لكافة المحطات الكهرونووية في اليابان {قد تدخلت لمنع تنفيذ أي اِتفاقات من} المُزمع إنشائها في العراق، عاد وفدنا إلى بغداد وقد اِستوعب الدرس جيدا، [ص ٨٦]». «لابد من الإقرار بأنَّ الحافز المنطقي الوحيد لإسرائيل لقصف هذه المفاعلات كان إقرارها اللئيم في إجهاض حق العراق ومنعه من الحصول على الخبرة والتقنية النووية بحد ذاته، [ص ١٠٦ - ١٠٧]». «إنَّ أهم دليل على نوعية الولاء والنزاهة والاِنضباط في

العمل، بإرادة وسياقات العمل المعتمدة، [...] هو عدم ورود أي تهمة أو إخبارية عن أي عمولة مالية أو تقبل رشوة في تنفيذ كافة أنواع الصفقات والعقود المالية التي بلغت قيمتها ما يقارب عشرة بلايين دولار خلال سنوات البرنامج، من أعلى سلطة في المنظمة ومروراً بعادل فياض وإلى كافة موظّفيه، [ص ١٢٤]». «لم يتم تسريب أي تقرير موثّق لمشروع ٣ pc إلى أيدي وكالات المخابرات الأخرى قبل حرب ١٩٩١م وإلى حين بدء عمل فرق تفتيش الوكالة الدولية للطاقة، [ص ١٤٧]»، [٧].

وحول أحد العملاء الذي وجد الأمريكيون فيه دالتهم على رسم المخطط العدواني يذكر الكتاب الذي أنشأه أحد العلماء العراقيين العاملين داخل إحدى المؤسسات العلمية العراقية أنَّ «تسليم حمزة خضر دوراً قياديا» كان مجرد لفترة محدودة جداً، «إذ بات رئيساً لفريق تصميم القنبلة الذرية. لم تدم له هذه المسؤولية إلا شهوراً قليلة بسبب اِرتكابه جنحة سرقة لأجهزة تبريد ونحّي جانباً، ولم يشارك في نشاطات برنامج التسلح النووي المُتسِّرع الذي شمل حوالي ٧٠٠٠ من العلماء والمهندسين والعاملين خلال السنوات الثلاث التي سبقت حرب عام ١٩٩١م، [ص ٢٥٤]»، والذي هو المتكأ الأساس للأمريكيين في «اِتهام» العراق باِمتلاكه السلاح النووي باِعتباره شاهد عيان. إن مراجعة الفصل السابع من ذلك الكتاب، وهو المعنون بالخاتمة الذي يستغرق الصفحات بين صفحتي ٢٤٣ - ٢٩٨، يبين بوضوح المخطط الغربي: الأمريكي البريطاني على وجه التحديد ضد أمتنا العربية في ساحتها العراقية.

يقال: أنَّ المخلص الواعي مَن يتعظ بتجارب غيره، فهل الغرب الأمريكي يقدم على توجيه ضربة عسكرية قاصمة لإيران؟ أم هل كيان الاِغتصاب الصهيوني يتكفل بإنجاز تلك المهمة؟ وإذا كان الأمر كذلك فلتفكر السلطة الإيرانية بطرق مغايرة لإدارة تعاملها مع الشعوب غير الفارسية ومن ثم الاِنفتاح على حقوقها الطبيعية!، هذا ما نستطيع قوله أو النصح به فيها إذا كانت «أوهامنا» حقائق سياسية ملموسة بصدد الأقوال السياسية للسلطة الإيرانية، والحملات الدعائية لأنصارها أو أتباعها من العرب العروبيين!..

المراجع والهوامش

[١] - ألقى الدكتور المرحوم أحمد سوسة الأضواء على ذلك البرنامج الذي نتج عن قراءة واعية بغية الإجابة على سؤال أرق أذهان القادة السياسيين الأساسيين في الغرب والذي يتمحور حول: كيف يمكن تأبيد سيطرة الغرب الأوروبي على العالم وذلك في العام ١٩٠٤م – ١٩٠٧م، وأورد نصوصاً كبيرة من محتوياته، وذلك في كتابه المعنون العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، في طبعته السابعة الصادرة عن العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، بدون تاريخ، دمشق / سوريا، ص ٧٢٥ - ٧٤٠، وخلاصة ذلك «إنَّ الخطر ضد الإستعمار في آسيا وفي أفريقيا ضئيل، ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط، وهذا البحر هو همزة الوصل بين الغرب والشرق، وحوضه مهد الأديان والحضارات، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان، وكل مقومات التجمع والترابط. هذا فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية. فماذا تكون النتيجة لو نقلت إلى هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانيات الثورة الصناعية الأوربية، وإنتشر التعليم فيها وإرتفعت الثقافة؟! إذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاصمة حتماً بالإستعمار الغربي، وبناء على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالي:

١ - على الدول ذات المصالح المشتركة أنْ تعمل على إستمرار تجزئة هذه المنطقة.. وتأخرها، وبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل.

٢ - ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الأسيوي، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري، قوي وغريب، يحتل المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للإستعمار وعدوة لسكان المنطقة»، [ص ٧٣٠ - ٧٣١]. وعلى ضوء ذلك كانت إتفاقية سايكس - بيكو، في عام ١٩١٥م، ووعد بلفور في عام ١٩١٧م.

[٢] - لقد تناولنا: أنا والأخ عادل السويدي هذا الموضوع بشكل توثيقي وموسع، ومما جاء فيه هو التالي: «لم يستمع الشيخ خزعل لمقترحات، أو لنصيحة بعض الشيوخ العرب لقتل رضا خان في تلك الآونة الملائمة، ويقيناً - كما هو في تقديرنا - إنه إلتزم بتوجيهات الساسة البريطانيين ولم يستكمل مبادراته المتعددة في التعبئة والمقاومة، ولكن هذه الثُلة العسكرية التي تتلقى أوامرها من قادة الرؤية الفارسية، أثبتت كونها حصان طروادة المناسب لتنفيذ الأهداف التي يتطلع إليها رضا خان، الذي كان «يخطط ويدبر لإنهاء». الحضور السياسي العربي في الأحواز، والقضاء على

الحكم العربي هناك وإلحاق كل المجتمع الأحوازي بالحكومة الإيرانية و«بدعم من بريطانيا وبمباركة منها». { والهامش [٢١] ينسب المصدر الموثق لتلك المعلومة على الشكل التالي: [٢١] - راجع كتاب عربستان قطر عربي أصيل، إصدار دائرة شؤون الخليج العربي، طباعة دار الحرية للطباعة، مطابع دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية - بغداد، وزارة الإعلام، سنة ١٩٧٢م، ص ٢١.

كان الغدر الفارسي الوسيلة المناسبة والمتاحة للسيطرة على المحمرة، وعلى شاكلة التآمر في القصور لِإستلام الحكم جرى تنفيذ عملية أُسْر الشيخ خزعل: الرمز المعنوي للعروبة عند أبناء ذلك الإقليم، لقد كلف رضا خان الجنرال زاهدي الذي كان موقعه في إطار ذلك المخطط الهادف للسيطرة على الأحواز: «العامل الذاتي» الواعي بالأهداف السياسية للرؤية الفارسية، أي كحصان طروادة جاهز في الأحواز مطلق حرية التصرف واتخاذ القرار، أنْ «يلقي القبض على أمير المحمرة وينقله إلى طهران بالصورة التي يراها وبالأسلوب الذي يقره». [٢٢]: [٢٢] - المصدر السابق، ص ٢٢، ومما جاء في ذلك المصدر: «وبعد تردد رجع الشيخ خزعل إلى الفيلة، وفي اليوم التالي لوصوله زاره المعتمد البريطاني في مدينة الأحواز برفقة زميله المعتمد البريطاني في المحمرة، وقد أكد المعتمدان لأمير المحمرة صدق إدعاء زاهدي، ومن المؤسف أنَّ الشيخ خزعل كان يثق إلى أبعد الحدود بأقوال الإنكليز».

فأخرج الجنرال مسرحية تركه وجنوده للمحمرة أي مغادرتهم لتلك المدينة ومن ثم الأحواز كلها، وضرورة وداع الأمير له أو ضرورة وداعه الأمير خزعل، وتدخلت بريطانيا هنا عندما أرسلت معْتَمَدَيْها لمرافقة الأمير في وداعه للجنرال زاهدي، فأقام الأمير الذي سَيخُتَطَف قريباً حفلةَ الوداع، في مساء يوم الِإثنين ٢٥ رمضان ١٣٤٣ هـ/ ١٨ نيسان ١٩٢٥م، فأخذ بعض الجنود الإيرانيين الثقاة يتدفقون للحفل بذريعة أنَّ لديهم أوامر عسكرية يريدون إبلاغها للمسؤول عنهم: الجنرال زاهدي، ولكنهم بدلاً من ذلك طوقوا مرافقي الأمير وجردوهم من أسلحتهم وأسروا الأمير خزعل، وتم نقله إلى العاصمة الإيرانية: طهران، وبهذه الوسيلة الخسيسة حقق الفُرس أولى خطوات اِنتصارهم العملية الملموسة والأساسية.

وضمُّوا منذ ذلك التاريخ: الأحواز إلى إيران، رغم مقاومة الشعب العربي الأحوازي وثورة عشائره في أعقاب ذلك الِاختطاف الغادر، فقد نجح رضا خان في تنفيذ مخططه الفارسي القومي، ودفع الشيخ خزعل حياته ثمناً لثقته بالوعود البريطانية، وتقديره لطبيعة الصداقة الإنكليزية على غير رؤيتها المصلحية، من جهة، وغفلته عن أَساليب الأعداء القوميين المخاتلة، وعدم حذره من

أساليبهم الملتوية في الغدر وتنفيذ مآربهم، من جهة ثانية، وعدم إعتماده الكلي على أبناء شعبه الأحوازي الذي كان الوعي الحضاري العربي الإسلامي يشكل جوهر قناعاته الفكرية، من جهة ثالثة، إذ إستشهد في الأسر الإيراني وداخل سجون سلطتها القومية الفارسية حيث مات مخنوقاً فيها عام ١٩٣٦م، من جهة رابعة، فيما علّق أحد الكتّاب الفرنسيين آنذاك بالقول التالي: «كان ذنب الشيخ خزعل إنَّ إمارته قائمة في مكان إستراتيجي في عالم البترول الذي لا يحفظ حقاً ولا ذمة». [٢٣]. [٢٣] - راجع كتاب الصراع العربي الفارسي، صادر عن مؤسسة الدراسات والأبحاث في منشورات العالم العربي: رئيس التحرير: نقولا الفرزلي، مدير التحرير: الدكتور نسيم الخوري، المدير الفني: إلياس ديب، باريس/ فرنسا، دون تاريخ، ص ١٠٠. وذلك في إشارة غير مباشرة للدور البريطاني».

راجع كتابنا المعنون العمل القومي العربي، العروبة والغزو: الهوية القومية والأعداء، تأليف باقر الصراف وعادل السويدي، القضية الأحوازية نموذجاً، الطبعة الأولى، مكان الصدور أوربا، شباط عام ٢٠٠٤م، ص ٣٢ - ٣٥.

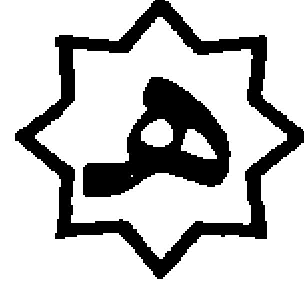
[٣] - راجع كتاب حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، تأليف تريتا بارزي، ترجمة أمين أيوبي، مراجعة مركز التعريب والترجمة، إصدار الدار العربية للعلوم - ناشرون ومكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٣٧٣». وسنورد في الحلقة الخامسة، وهي الأخيرة، أسماء مَن قابلهم المؤلف لتأسيس وجهة نظره.

[٤] - المصدر السابق، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

[٥] - راجع كتاب الرقابة والتعتيم في الإعلام الأمريكي: أهم ٢٥ قصة إخبارية خضعت للرقابة، تحرير بيتر فيليبس ومشروع "مراقب"، ترجمة أحمد محمود، إصدار دار الشروق/ القاهرة، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٧م، ص ٣٩.

[٦] - المصدر السابق، ص ٣٧.

[٧] - وبهذا الصدد يمكن مراجعة الكتاب الهام للسيد عماد خدوري، والمعنون سراب السلاح النووي العراقي: مذكرات وأوهام، إصدار الدار العربية للعلوم، مكتبة مدبولي، الطبعة العربية الأولى {صدرت الطبعة الكندية الأولى عام ٢٠٠٣م} - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.



لم يكن الموقف السياسي الإيراني تجاه العراق نبتاً شيطانياً نما فجأة على قارعة الطريق، ونحن لن نغوص في التاريخ البعيد لنفتش عن الرؤية الصفوية الفارسية تجاه العرب والعروبة في القرون الماضية، فتلك مهمة حيوية سبق وأنْ أنجزتها من خلال تسليط الأضواء على الرؤية الأيديولوجية لحكام إيران الحاليين حول العراق والوطن العربي: المذهبية والسياسية من خلال معلومات توثيقية بحثت في العقل الفارسي خلال الزمن الماضي والحاضر، [1]، وإنما هو مرتبط بجملة اِتفاقيات سياسية وقانونية تمتد إلى مرحلة الإمبراطورية العثمانية، ومنذ العام ١٨٢٣ عندما تم عقد اِتفاقية أرض روم الأولى، وحتى العام ١٩٧٥م على وجه التحديد بما يسمى بإتفاقية شط العرب، ولو دققنا في الظروف العامة لتلك الاِتفاقيات ونتائجها، لاِستخلصنا حقيقة مبادأة إيران في إثارة أزماتها مباشرة أو بشكلٍ غير مباشر.

وجاءت الحرب بين الدولتين: العراقية والإيرانية التي اِستمرت ثمانية أعوام، كحدث تاريخي وسم الصراع عسكرياً في الماضي، تسلسل صعوداً أو هبوطاً، لصالح العراق مرة أو إيران مرة أخرى، على خلفية تلك الأزمات والحلول والأطماع والردود عليها. ولكن ما هو شاخص اليوم على الساحة العراقية يلخِّص الرؤية السياسية الإيرانية بكثافة مشهودة للجميع، إلا مَنْ وضع نظارات أيديولوجية مناصرة سياسياً لإيران على عيونه، وتدعونا تجلياتها ونتائجها لإمعان النظر المدقق في سلبياتها الهائلة. وليس هناك من دليل على طبيعة تلك النتائج من الناحية السياسية سوى نتائج البرنامج السياسي العملي لعمل وأفعال سلطة الملالي الإيرانية، التي هي خير من قبضة هائلة من البرامج «السياسية النظرية»، والنصوص الدعائية التي تعتقد أنها «مقدَّسة»، والأقوال التي تحاول تسطيح المشكلة السياسية بين العراق وإيران: كنظام سياسي أو الرؤية الفارسية.

باديء ذي بدء علينا الإقرار بنتائج ما بات معروفاً حول التواطؤ الأمريكي الإيراني تجاه العراق، والعمل المشترك المباشر سراً أو غير المباشر علناً على اِحتلاله العسكري، من

خلال تصريحات المسؤولين الإيرانيين ذاتهم، وتوفير القوات العسكرية، عبر ميليشيات الأحزاب الطائفية التي تأتمر قياداتها بالتعليمات الأمنية الإيرانية، على الأرض من أجل جعل القصف الأمريكي والغزو العسكري يوفر عناصره الحيوية والأساسية. نعم أن القصف اِنطلق من بلدان وقواعد عسكرية أمريكية تقيم في الوطن العربي والبحار المجاورة له وخاضعة أيضاً لـ«سيادة» أنظمة عربية «مستقلة»، وقطعت القوات الغازية المسافات الطويلة عبر الشريان المائي الحيوي: أي قناة السويس، التي تسيطر عليه مصر نظام كامب ديفيد وهي في طريقها للعدوان على العراق في العشرين من آذار ٢٠٠٣م.

ولكن كل ذلك على أهميته، لن يفوق أهمية إيجاد القوات الأرضية والمعلومات اللوجستية: المشاة وأجهزة المخابرات التي تكفلت بها إيران من خلال قوات بدر، والأحزاب الطائفية المقيمة في إيران، فضلاً عن قياداتها التي رحلت إلى واشنطن ولندن للتنسيق بين الخارج الأمريكي والداخل «العراقي» من أجل تنفيذ بنود عمليات الغزو، كان «التخادم السياسي بين الطرفين الأمريكي العسكري والإيراني» ضد العراق قائماً على قدم وساق وبصمت مَنْ يعرف أهمية مهمته وحدود جريمته وأبعاد المعاني التاريخية لتطور الأحداث.

إنَّ الوثائق على هذا الصعيد كثيرة جداً، لعل أبرزها ما صرَّح به نائب الرئيس الإيراني محمد الخاتمي المدعو: محمد علي أبطحي والذي سنتطرق له لاحقاً، يضاف إلى ذلك في الراهن الزمني، المباحثات الأمريكية والإيرانية المعلنة بصدد شؤون العراق «الأمنية»، أولاً، وزيارة نجادي للمنطقة الخضراء التي ما كان لها أنْ تتم لولا الرضا الأمريكي عنها، ثانياً.

ما يجب لحظه عند تقويم جوانب وآفاق أي موقف سياسي يتخذه طرف ما، ينبغي قراءة البرنامج السياسي الذي يرسمه ذلك الطرف، ويمارس عمله اليومي على ضوء فقراته، والبرنامج السياسي يرتبط، أساساً، برؤية إستراتيجية على صعيد الدولة، أية دولة، وفي إطار ذلك المفهوم وما يترتب عليه، ينبغي علينا رؤية الخطوات الإيرانية ومدى «التخادم السياسي» مع العدوان الأمريكي على الصعيد العراقي:

١ - كان مما يُلحظ غياب أي تضامن مع معركة العراق الدفاعية والحقة في عاصمتين اِثنتين وهما تل أبيب: عاصمة كيان الاِغتصاب الصهيوني، وطهران: العاصمة الإيرانية، على وجه التحديد خلال مرحلة العدوان العسكري على العراق في شهر آذار عام ٢٠٠٣م، وإذا كان الموقف السياسي في «تل أبيب» هو الأمر الطبيعي، كون التناقض الأساسي بين الوطن العربي وتجلياته السياسية الأساسية كافة، من جهة، وكيان الاِغتصاب الصهيوني، من جهة أخرى، قد شمل جميع الأبعاد السياسية والاِقتصادية والفكرية وحتى العسكرية. ولكن ما يثير الاِندهاش هو الموقف السياسي للحكومة الإيرانية التي دأبت على تسيير المظاهرات المليونية - كما تقول - لأسباب أقل هولاً وكارثية بالنسبة للرؤية الحضارية الإسلامية: وهو محاولة اِحتلال بلد عربي إسلامي، ونجاح العدوان العسكري الأمريكي في الحرب على العراق، فهل جاء ذلك الموقف السياسي عفوياً وطارئاً، أو بسبب الحقد القومي الفارسي على الرؤية العربية الإسلامية في ساحتها العراقية أو العربية؟!.

وهل لذلك علاقة بما ذكره قائد قِطَع الحربية التابعة لحاملة الطائرات {إبراهام لينكولن} والمتزاحمة في مياه الخليج العربي: الأدميرال كيلي في غرفة الحرب، الذي نقلته إحدى الصحف العربية التي تصدر في «لندن - العاصمة البريطانية» يوم ١٨/ ٣/ ٢٠٠٣م: جريدة الحياة على وجه التحديد... إننا «لا نعتبر أنَّ إيران تشكِّل تهديداً. إنها تملك شاطئاً طويلاً في شمال الخليج ولها سفن تجارية وحربية في مياهه الدولية وفق القوانين الدولية. نلتقي [!؟] على نحو روتيني قوات إيرانية في البحر، وهذه اللقاءات في الغالب تجري في شكل جيد ونتوقع أنْ تظل هذه اللقاءات كذلك»، أي أنْ يجري تنسيق شامل بين الطرفين «الغريمين» بصدد الدولة العراقية، وذلك الموقف يذكّرنا بموقف إيران إبّان العدوان الأمريكي على أفغانستان.

ومن المعلوم إنَّ جهاز الأمن القومي الإيراني هو الذي يحدد الموقف السياسي الإيراني تجاه العراق، وهو الذي يشرف على سياسة القوى السياسية «العراقية» التي تؤيد الرؤية الفارسية الإيرانية بصدد سياستها على العراق، أما موقف ما يسمى بالمرجعية الخامنئية فهو

مجرد إصدار بيانات تتسم بلغة الصراخ التضليلي في تغطية على الموقف السياسي الإيراني الحقيقي، لاسيما وإنَّ هذه المرجعية تختص بالعمل خارج إيران، ولا تشمل رؤيتها كل علماء الداخل ومراجعها الإمامية.

٢ - ولا ننسى في إطار تحديد الموقف السياسي الإيراني تصريحات المسؤولين الإيرانيين ذاتهم وبلسان أعلى مسؤوليهم، حول دورهم السياسي وحتى العسكري في تسهيل العدوان العسكري الأمريكي البريطاني، وفي نطاق ذلك الموقف السياسي الإيراني - وعلى سبيل المثال فقط - يؤكد نائب الرئيس الإيراني السيد محمد خاتمي للشؤون القانونية والبرلمانية: محمد علي أبطحي في ختام أعمال مؤتمر عقد بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء الموافق ١٣/ ١/ ٢٠٠٤م دليلاً دامغاً على الدور الفارسي في التمهيد للعدوان الأمريكي وتسهيل عملية اِحتلاله، ويقول: إنَّ «بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان والعراق» وما هو يعد: وشهد شاهد من طاقم النظام السياسي الحاكم في إيران على ذلك الدور وتلك المهمة...

إنها شهادة موثقة عن الدور المتواطيء مع العدوان الأمريكي على العراق، الأمر الذي يدحض أقوال المضللِّين السياسيين ويكذب أقوالهم الدعائية المخاتلة حول الدور الإسلامي لإيران في عمَلية الصراع الكلي بين الأمة العربية والعالم الإسلامي، من جهة، وأعدائها التاريخيين منذ الصعود الرأسمالي الأوربي، من جهة أخرى، مثلما تضيف تلك الشهادة لأبطحي صفعة قوية ومدوية لوجوهِ العديد من المحللين والسياسيين العرب، والتي قد تنبه البعض المضلَّلْ، أو تعيد بعض الوطنيين العراقيين المخلصين إلى رشدهم، وبالتالي تفرض عليهم مهمة إعادة قراءة خلفيات مواقفهم السياسية الراهنة وتعليل أسباب مواقفهم السياسية السابقة وإتخاذ الموقف السياسي المناسب على ضوء الإخلاص الوطني العراقي والإيمان بالأمة العربية والتماهي المخلص مع الرؤية الحضارية الإسلامية، وذلك على ضوء الدور الفارسي الذي أشار له الأبطحي.

يقول السيد أبطحي في المحاضرة التي ألقاها في ختام أعمال ذلك المؤتمر والمنوه عنه أعلاه، والمعنون: «الخليج وتحديات المستقبل» الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات

والبحوث الإستراتيجية سنوياً... يقول: «إنَّه لولا التعاون الإيراني مع الأمريكيين لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة، لكننا بعد أفغانستان حصلنا على مكافأة وأصبحنا ضمن محور الشر، وبعد العراق نتعرض لهجمة إعلامية أمريكية شرسة». وهو تصريح علني وقول واضح سيتكرر على ألسنة مختلف المسؤولين الإيرانيين بهذه الصيغة أو تلك، ولكن المضمون الفكري والسياسي واحد، والمقصود بتلك التصريحات إسماع «الطرف الأمريكي» في نطاق سياسة «التخادم السياسي المشترك» ليس إلا، إضافة إلى كل ذلك:

(أ) لقد زجت السلطة الإيرانية بالقوة المسلحة التي كان يمتلكها بعض العراقيين المهجرين والمهاجرين في القتال ليس ضد الجيش العراقي فقط، بل زجها في قتال قوات مجاهدي خلق وضد قوات اِتحاد كومنستهاي إيران، وغيرهما: أي اِتحاد الشيوعيين الإيرانيين ذوي الاِتجاه الفكري الصيني، سواء في الوسط أو في مدينة آمل الإيرانية عندما قاموا «بتحرير» بعض المدن الإيرانية نيابة عن القوات الإيرانية، وهو ما جرى في مدينة: آمل مثلاً، وهذا دليل على كون الإيرانيين يتحكمون بالموقف السياسي [بالمجلس الأعلى لما يسمى بالثورة الإسلامية ونصلها المسلح قوات بدر وحزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي].

(ب) إنَّ تصريح إيران - وذلك ما قرأناه في المساهمة الأولى حول دور المسميات المخاتلة بِاسم الشيعة - لممثلي قوات ما يسمى بالمجلس الأعلى لمجلس آل الحكيم والقوات المسماة: البدر/ الغدر بالذهاب إلى «واشنطن» قبيل العدوان وبعده، و «مؤتمر لندن» الموبوء وهم المقيمون في طهران ويتحركون على ضوء مصالحها السياسية، وهي علامة على الاِتجاه السياسي العام لهذه القوات الطائفية.

(جـ) إنَّ موقفها السياسي الراهن - سواء عبر المشاركة مع القوات المحتلة في إدارة الوضع السياسي تحت معزوفة «السلطة المنتخبة» والمنطق السياسي التبريري، أو بشكل عملي وملموس: الاِمتناع عن المساهمة في المقاومة الشعبية المسلحة ضد قوات الاِحتلال الأمريكي وأتباعها الغربيين أو عبر التحريض السياسي أو الدعم المسلح لأحزاب طائفية

عراقية، ومما يجدر ذكره أنه من الواجب عليها طالما تعلن أنها «جمهورية إسلامية»... من الواجب عليها: دينياً أو فقهيا مناوأة غزاة أرض المسلمين، علاوة على قيامها بالِاغتيالات بشكل مباشر أو بصورة غير مباشرة بذريعة تصفية أعضاء الحزب الحاكم السابق - يدلل على دورها الملموس في منع المقاومة الشعبية المسلحة ضد المحتلين، مما أحرج بعض علماء لبنان: سواء السيد محمد حسين فضل الله أو الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، وغيرهما ودفعهم لإصدار مواقف سياسية لم يجِ تطبيقها عملياً.

(د) إنَّ اِمتناع غالبية الجسم البشري الجنوبي عن المقاومة المسلحة ضد المحتلين الأمريكيين خصوصاً من قبل أتباع الأحزاب الطائفية هو برهان آخر على الدور الإيراني بهذا الصدد، وإلا ما هو الفرق الموضوعي والسياسي بين موقف الجسم الإسلامي المقاوم للاِحتلال البريطاني في أعوام ١٩١٦م، ١٩٢٠م، ١٩٤١م وموقف الجسم الإسلامي في الجنوب كله من الِاحتلال الأمريكي؟! أليس الدور الصهيوني خلال الِاحتلال الأمريكي الراهن هو أكثر وضوحاً من الموقف البريطاني السابق، فوق ذلك؟!.

إذا أخذنا هذه السمات الخاصة في العراق، كحزمة تحليلية: فكرية وسياسية متكاملة وكلية، تجاه القضية الوطنية العراقية في مرحلة العولمة الأمريكية والِاحتلال العسكري، سنكتشف مضمون الرؤية السياسية الإيرانية الفارسية الراهنة، ومدى علاقتها بالرؤية الحضارية العربية الإسلامية تجاه العراق، أساًساً.

(هـ) وزيادة في إلقاء الضوء على الموقف السياسي الإيراني المؤشر التالي: «ذكر قائد قطع الحربية التابعة لحاملة الطائرات {إبراهام لنكولن} والمتزاحمة في الخليج العربي: الأدميرال في غرفة الحرب، الذي ليس هو مسؤولاً عن تلك «القطعة العسكرية في المعدات التقنية» فقط، وإنما هو مسؤول أيضاً عن كل القوات البحرية الأمريكية والحليفة في الخليج العربي كله، كما قلنا أعلاه، يقول هذا الضابط رداً على سؤال يتمحور حول الموقف الإيراني: هل يعتبر إيران التي وضعها الرئيس بوش مع العراق وكوريا الشمالية في «محور الشر» والتي تشرف على شواطيء الخليج كله، تشكل خطراً على قواته؟. أجاب:

«لا نعتبر أنَّ إيران تشكل تهديداً. إنها تملك شاطئاً طويلاً في شمال الخليج ولها سفن تجارية وحربية في مياهــه الدولية وفق القوانين الدولية. نلتقي [!؟] على نحو روتيني قوات إيرانية في البحر، وهذه اللقاءات في الغالب تجري في شكل جيد ونتوقع أنْ تظل هذه اللقاءات كذلك» أي يجري تنسيق شامل بين الطرفين «الغريمين» بصدد الدولة العراقية، يذكّرنا بموقف إيران إبّان العدوان الأمريكي على أفغانستان.

٣ - من بين الدلائل على الموقف السياسي الإيراني تجاه العراق وعلاقته بالرؤية السياسية الأمريكية والإسرائيلية خلال المراحل السابقة المعلومات التالية:

(أ) يقول أحد المتابعين لموضوع العلاقات بين النظام الإيراني وكيان الِإغتصاب الصهيوني والولايات المتحدة ما يلي«عندما تمعنتُ في التقـلّبات التي تشهدها العلاقات الإسرائيلية الإيرانية والعلاقات المثـّـلثية بين الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران، حرصتُ على التركيز على القوى والتطورات الجيوسياسية بدلاً من التركيز على الأيديولوجية، أو التبريرات السياسية العابرة، أو وجهات النظر المانوية التبسيطية»، [٢]، أي ضرورة أخذ الحقائق العينية بنظر الِإعتبار ووضعها في سياق تحليل سياسي كلي، بدلاً من الِإنخداع بالدعايات السياسية والرؤى الأيديولوجية، ويجزم الكاتب أنَّ المعلومات التي بنى عليها اِستخلاصاته السياسية ترتكز إلى كم هائل من المقابلات والمقارنات مع أشخاص «مشاركين في رسم السياسة الخارجية الإيرانية»، [٣]، بالإضافة إلى مقابلات مع شخصيات مركزية في الكيان الصهيونية والولايات المتحدة، [٤]، مما دفعه للقول أنه اِعتمد على «وجهات نظر كبار صناع القرار في البلدان الثلاثة»، [٥].

(ب) وارتباطاً بالنقطة أعلاه، فإنَّ الموقف الأمريكي الصهيوني تجاه العراق إبان الحرب العراقية الإيرانية التي رفضت إيران إيقافها منذ العام ١٩٨٣م رغم كل الوساطات الأممية العالمية ومندوبو الدول العربية الإسلامية ممن لهم صلة بإيران، هي أكثر من مكشوفة وموثـّقة، ولكن بعض «الأوساط القومية العربية المختلفة» تصُر على اِجترار الرأي الفارسي حول الدعم الأمريكي للعراق و«تآمر» الغرب وكيان الِإغتصاب الصهيوني على «النظام

الإسلامي في إيران»، رغم التقارير الإحصائية لمعهد ستوكهولم لأبحاث السلام الذي بينت أبحاثه، أنَّ غالبية التسليح العراقي كان مصدره الشرق السوفيتي، فيما كان مصدر التسليح الإيراني هو الغرب وكيان الاِغتصاب الصهيوني، على سبيل المثال وليس الحصر،[٦١].

في حوارٍ مع أحد متابع الوضع السياسي العربي بالمعلومة والفكرة والقراءة الصحفية الواسعة، وممن يلتزمون الفكر السياسي الوحدوي في الرؤية والتحليل، ومن الناشطين في متابعة نتاجات الفكر العربي ورؤاه السياسية، تناولتُ اِندهاشي لمواقف السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل حول الموقف من الصراع السياسي العراقي والإيراني، وتنويهه بالمواقف السياسية الإيرانية بمناسبة أو من دونها، علـّق على الطرح ذاك الذي ألحقته بنظرة تاريخية تحاول تفسير الحرب العراقية - الإيرانية بالاِستناد إلى رؤية تاريخية وإستراتيجية وشعارات تصدير الثورة، وليس إلى مرحلة إستعار الحرب على مختلف مراحلها، كونها أصبحت تفاعلاتها المباشرة في «ذمة الأرشيف التاريخي»، وأوضحتُ: إنَّ ذلك يقتضي دراسة مختلف أبعاد الخلاف أو الصراع بين الطرفين منذ العام ١٨٢٣م: اِتفاقية أرض روم الأولى وحتى اِتفاقية الجزائر في ١٩٧٥م التي كانت أحد مسببات الحرب المباشرة إضافة إلى موضوع تصدير ما يسمى بـ«ثورة إيران الإسلامية» التي «لعبت» فيه العديد من الأسماء والولاءات المتباينة في نصرة الرأي الطائفي أو القومي العنصري الفارسي، أو من أصحاب التوجهات السياسية الغربية الذين هربوا إلى خارج إيران أو الذين أعدمتهم السلطة الإيرانية لاحقاً، أجابني وهو العراقي من حيث الأرومة والجنسية، ومن دون أنْ يدلل على وجهة نظره بالمعطيات التاريخية والأبعاد السياسية الفعلية والشواهد الحسية، إلى أنَّ المشكلة تكمن بالفروق النوعية بين التفكيرين: المصري والعراقي، وألقى اللوم على العراقيين الذين هم متعجلون في البحث والتدقيق.

لفتُ نظره إلى كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل حول مفاهيم الصراع بين الأمة وأعدائها، وهي كتب متاحة لمن يريد أنْ يقرأ ويدقق منذ ملفات السويس وحتى العروش

والجيوش وما بينهما: سنوات الغليان؛ والإنفجار؛ والسلاح والسياسة حول حرب تشرين ١٩٧٣م، وحرب الخليج: أوهام القوة والنصر، وملف المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل بأجزائه الثلاثة، والإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، وكل مضامين تلك العناوين، وفق أية نظرة سياسية فاحصة ومتفحصة، تدل على آفاق ذلك الصراع بين الرؤية السياسية الغربية: والأمريكية على وجه التحديد من ناحية، والأمة العربية، من ناحية أخرى، وذلك لا يتسق مع رؤيته السياسية الكلية على مستوى الصراع الراهن الذي كان العراق كجزء من الوطن العربي: إحتلاله وتفتيته وتخليفه أبرز مظاهره. وأضفتُ إلى رؤيتي تلك: علينا التفكير أنه في اللحظات التاريخية الصعبة كان الغرب البريطاني سابقاً والأمريكي لاحقاً أي حالياً وكيان الإغتصاب الصهيوني يساند أي نظام كان في إيران ويصُب جهوده المختلفة ضد العرب المخلصين لأمتهم وأوطانهم، وإنَّ ذلك الموقف هو ثابت إستراتيجي منذ مؤتمر «بانرمان» اللندني في عام ١٩٠٤م – ١٩٠٧م الذي خلاله إكتسبت الرؤية السياسية الغربية الوعي المطلوب بناءً على المعلومة والرقم والتاريخ والجغرافية. وطال الحديث وتشعب الحوار.

اليوم نريد تقديم المعلومات التي قدمها أحد الكتاب اللامعين، ممن يعدون في موقع ذروة من بين الذرى الذي يتمتعون بالمصداقية حول الدعم الغربي الصهيوني لنظام الملالي في مرحلة الحرب العراقية الإيرانية، ووضْعها أمام عيون الكتاب والقراء لكي يستخلصوا ما يمكن إستخلاصه على صعيد تفسير الأحداث ورؤية التطورات على صعيد الرؤية الإستراتيجية التي هي الأهم في الدلالة والإستكناه والتصور والتبصر.

يقول السيد جون كولي في كتابه المعنون التحالف ضد بابل ما يلي: «أعلنت إدارة كارتر حيادها الرسمي تجاه الحرب بين إيران والعراق، كما زعمت عدم تسليحها لأي من الطرفين. وعلى الرغم من ذلك إعتمدت إيران بصورة كاملة على الأسلحة وقطع الغيار الأمريكية الصنع. وسرعان ما تبين أنه على الرغم من وصف الخوميني اللاذع لإسرائيل على أنها «دولة شريرة» تدور في فلك «الشيطان الأكبر»: أمريكا، إلا أنَّ تقديم السلاح

وقطع الغيار لإيران ظل مستمراً من خلال القنوات الخلفية الأمريكية وبعض تجار السلاح الإسرائيليين مثل يعقوب نمرودي»، [٧]، وزيادة في التوضيح حول الدور الأمريكي والإسرائيلي في دعمهما لنظام الملالي الإيراني ينبغي علينا قراءة الصفحات التي جاءت في ذلك الكتاب، وعلى الصفحات ٢٣٥ - ٢٤٤، والمعنونة «إسرائيل وفضيحة إيران جيت والحرب العراقية الإيرانية»، و«عملية أوسيراق».

في الختام، وبعد هذه الملاحظات المحددة حول «اللحظة التاريخية الراهنة» التي يعيشها العراق الجريح والمحتل، التي تتزامن مع الذكرى الخالدة لثورة ٢٣ تموز المصرية المجيدة التي ناوئها الغرب الأمريكي وكيان العدو الصهيوني على كل الصعد، ينبغي أنْ نكون مخلصين للرؤية الناصرية الحقيقية تجاه الأمة العربية، في زمن التسيد الأمريكي المنفرد ومرحلة «العولمة الأمريكية» العالمية، كي لا نقع في حبال النشاط الدعائي والإعلامي الأفعوي والمجرم، خاصة بعد أنْ «تمكنت من أسلوب جديد في السيطرة، يقوم على نظام شديد الجرأة والجسارة إلى درجة الإقتحام والإختراق لخصوصيات الدول والشعوب، والقدرة على خطف وعي الآخرين وإرتهانه – أسير إعلام مصور وملون – مكتوب وناطق – يعطي لنفسه إحتكار وضع جدول إهتمامات الرأي العام العالمي وسحب الآخرين وراءهم أو جرهم مهرولين»، [؟]، {كما جاء في كتاب الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، ص ١١}.

ولعل تعبير المجرمين جورج بوش وبلير، كما يذكر المفكر الأستاذ نعوم شومسكي، يلخص حقيقة الموقف السياسي العالمي في المرحلة القطبية من خلال قولهما في إنذار لمجلس الأمن «عليك أن تذعن وإلا فإننا سنقوم بعملية الغزو من دون أنْ تبصم موافقتك التافهة. وإننا سنفعل ذلك سواء غادر صدام حسين وعائلته البلاد أم لا»، وذلك الإنذار دفع شومسكي للتعليق التالي: «إنَّ عصب المسألة هنا هو أنَّ الولايات المتحدة مصرّة على أنْ تحكم العراق»، [٨]. وهي الحقيقة التي تلقي الضوء على المواقف الفعلية للأطراف السياسية «العراقية» و«العربية» و«الإسلامية»، وتبين موقفها السياسي تجاه أطراف الصراع بشكل فعلي، بغض النظر عن موقفها الأيديولوجي المعلن أو المخبوء.

ثم علينا التفكير بما يلي، والتبصر في المستبل المنشود كذلك: هل يضيف الموقف السياسي الغربي: الأمريكي على وجه التحديد في مرحلته القطبية الواحدة في العالم، وفي ظل إدارة المحافظين الجدد ذات النزوع العدواني، تجاه الوطن السودان وشعبه والذي باتت الحرب الأهلية تتقلص إحتمالاتها... هل يضيف هذا العامل دلالة سياسية مهمة ينبغي على أبناء الأمة العربية، والناصريين منهم خصوصاً، قبل الغزو الأمريكي القادم لهذا القطر العربي، لتجزئته سياسياً وتفتيت وحدة شعبه الإجتماعية، التنبه له على ضوء التهديد والوعيد لقيادته السياسية، والتنبيه لمسألة أبعادهما المستقبلية؟!.

إنتهت المادة

المراجع والهوامش

[١] - كان ذلك في الكتاب المعنون الرؤية السياسية الإيرانية في ظل حكم الملالي، باقر الصراف، الصادر في القاهرة عام ٢٠٠٨، الطبعة الأولى، نشر مركز الحضارة العربية الأولى.

[٢] - راجع كتاب حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرّية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، تأليف تريتا بارزي، إصدار الدار العربية للعلوم ناشرون ومكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة / مصر، سنة ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م، ص ٧.

[٣] - المصدر السابق، ص ١٠.

[٤] - نفس المصدر، ص١١، ومن الأسماء التي أجرى فيها المؤلف مقابلاته: وهو مستشار لأحد أعضاء الكونغرس الأمريكي ؛ مع شخصيات ساهمت في رسم السياسة الخارجية الإيرانية، أو الإسرائيلية، أو الأمريكية، وكانت على الشكل التالي:

«بالنسبة إلى سياسة إيران مع إسرائيل في عهد الشاه، وفّر سفير إيران لدى الأمم المتحدة في أواخر سبعينات القرن الماضي فريدون هوفيدا، ووزير الإقتصاد الإيراني علي ناغي علي خاني (وهو زميل مقرب من رئيس المجلس العسكري في عهد الشاه، أسد الله علام)، تفسيرات قيمة لأسس التفكير الإستراتيجي لدى الشاه. وفي ما يتعلق بحقبة ما بعد إنتصار الثورة، وفّر كل من سفير إيران لدى الأمم المتحدة ومساعد وزير الخارجية الدكتور جواد ظريف، ومساعدي وزراء الخارجية الدكتور عباس مالكي والدكتور محمود فيزي والدكتور هادي نجاد حسينيان، بالإضافة إلى الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الإيراني محسن ميردادي، ومحمد رضا طاجيك المستشار السابق لدى الرئيس محمد خاتمي، وأمير موهيبيان، المحرر السياسي في الصحيفة اليومية المحافظة رسالات، وعلي رضا علوي تابار محرر العديد من الصحف الإصلاحية، رؤى لا تقـدّر بثمن عن حسابات الجمهورية الإسلامية.

وفي الجانب الإسرائيلي، حصلنا على معلومات قيمة من الرئيس السابق للموساد إفرايم هالفي، ووزير الخارجية السابق الدكتور شلومو بن عامي، ووزير الدفاع السابق موشية أرينز، ونائب وزير الدفاع إفرايم سنية، ومدير المخابرات العسكرية عموس جلعاد، والسفير الأسبق لدى الأمم المتحدة الدكتور دوري غولد، والمندوب السابق لدى إيران أوري لوبراني، والملحق العسكري السابق في إيران إسحاق سيجيف، والرئيس السابق للجنة إيران ديفيد إيفري، ويوسي

ألفير المستشار السابق لدى رئيس الأمم المتحدة إيتمار رابينوفيتش، وممول صفقات إيران - كونترا ياكوف نمرودي. كما نود أنْ نشير إلى أنَّ المتحدث بإسم لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية في الموضوع الإيراني كيث وايزمان شاركنا أفكاره في صياغة الرؤية الإستراتيجية للوبي المؤيد لإسرائيل. (أجريت مقابلتي ومناقشاتي مع كيث قبل إتهامه بالتجسس وتركه المنظمة).

أخيراً، وبالنسبة للأطراف الأمريكية، حصلتُ - كما يقول المؤلف - على روايات داخلية عن الحسابات التي أجرتها واشنطن من مستشاري الأمن القومي الدكتور زبنيو بريجينسكي، والمقدم روبرت ماكفرلاين، والجنرال برينت سكاوكروفت، والدكتور أنتوني لايك، إضافة إلى مساعدي وزراء الخارجية روبرت بيلـّترو، ومارتن أنديك، ولاري ويلكرسون كبير معاوني وزير الخارجية كولن باول، والمبعوث الخاص لإدارة بوش الحالية في أفغانستان السفير جايمس دوبنز، والسفير دينس روس، والدكتور غاري سيك الذي خدم ككبير مساعدي البيت الأبيض في شؤون الخليج العربي بين عامي ١٩٧٦م و١٩٨١م»، {ص ١٠ - ١١ من الكتاب المذكور}.

[٥] ، المرجع السابق، ص ١٢.

[٦] - راجع كتاب الرؤية السياسية في ظل حكم الملالي، مصدر سبق ذكره، حيث أوردت بحث الدكتور إبراهيم علوش كاملاً، حول الموضوع وتفصيلاته، على الصفحة: ١٤٦ - ١٤٨.

[٧] - راجع كتاب الأستاذ جون كولي المعنون التحالف ضد بابل، ترجمة ناصر عفيفي، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٧م، القاهرة، مصر، ص ٢٣٥.

[٨] - راجع أقواله تلك في كتاب العراق: الغزو - الإحتلال - المقاومة، شهادات من خارج الوطن العربي، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣م، ص ٦٢.

وكنت قد خاطبتُ موقع الفكر القومي العربي بالرسالة التالية بعد توقف الموقع عن نشر بعض الحلقات من دراستي على الشكل التالي:

الأخوة الموقرون في موقع الفكر القومي العربي...

الأخ الدكتور جمال الصباغ المحترم...

تحية العروبة والمبدأ

وبعد

لقد اِستغربت كثيراً عدم نشر الحلقتين الرابعة والخامسة من بحثي المعنون «بمناسبة اِقتراب ذكرى ثورة الثالث والعشرين من تموز وما كتبته الشخصية الناصرية المناضل الأستاذ سامي شرف بعنوان: المنهج الناصري المقاوم.. رد وتوضيح.. ولنا في الموضوع المثار رأي النقد الذاتي أساس كل نقد، ومراجعة التاريخ المبتدأ وربما المنتهى»، ولم يكن منبع اِستغرابي يتعلق بحجب وجهة نظر سياسية تلتزم اللياقات الأدبية، والرؤية التاريخية الصادقة، والمعلومة الموثقة، وإنما منبع اِستغرابي هو المخالفة لمفهوم «حرية الكلمة المسؤولة» وضرورة نشرها، وضرورة مقارعة الحجة بالحجة، والفكرة بالفكرة، وتباري الآراء، لاسيما إذا كان منبعها الحرص على الرؤية القومية العربية واِلتزام المعايير القومية التي ينبغي جعل مفهوم الأمة العربية كمعطى تاريخي مشترك هو المعيار الثابت في كيفية تحديد الرؤية السياسية للأحداث السياسية الجارية في المنطقة العربية.

إنني لا أعترض على عدم النشر كمبدأ ينبغي تطبيق مقاييسه الموضوعية على الجميع لا فرق بين كبير أو صغير، ولكن من الضروري جعل المضمون الفكري لأي نص هو المقياس الجدير الذي يحدد كيفية النشر، وكذلك، تبيان المعايير الموضوعية للنشر، إلا إذا كان رضا الطرف: وهي إيران الفارسية الصفوية الذي تعرض له البحث والدراسة هو

المانع من النشر وعندها سيصبح الأمر مفهوماً، ويغدو عندها لمعان الذهب هو الذي سيعشي العيون ويبدو ثمنه أهم من الكلمة السياسية النقدية، وإلا ما هو الضير في تبادل وجهات النظر السياسية المكتوبة وأنَّ حق المناقشة والرد مكفول للجميع، وقوة المنطق الموضوعي المستند لحقائق الجغرافية وأحداث التاريخ المتساوقة مع الإيمان القومي العربي هي التي ينبغي أن تسود، وأنْ لا يسود المنطق العشائري في الإعلام الذي قوامه: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، خاصة بعد إدراك الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لمضمونه وتصحيح مفهومه حول نصرة الظالم بردعه والمظلوم بالتعاضد معه..

إنَّ وجهة نظري لم تكن تبرز للعيان إلا بعد مراجعتها من قبل العديد من المفكرين المخلصين لأمتهم العربية، لذا ينبغي لجميع القوميين الغرب عدم الإسهام في تكريس الأكاذيب والدجل التي ينفثها الحاقدون على الفكر القومي العربي وتجربته الرائدة: التجربة الناصرية، والقائلة إنها كانت شمولية ولم تكن تؤمن بالديمقراطية السياسية، وهي التي أرست مباديء تحالف قوى الشعب العامل، وموضوعة «فكر مفتوح لكل التجارب»، وغيرها الكثير الذي كان يعبِّر عن ذلك الإتجاه.

ولا شك أنَّ نشر الرؤى السياسية هو المصداق لمعنى الإستفادة من تجارب ماضينا الثرّة، والله من وراء القصد.

باقر الصراف

الأول من شهر آب عام ٢٠٠٨م.

جواب جمال الصباغ على الرسالة أعلاه

رسالة من السيد جمال الصباغ المسؤول عن موقع الفكر القومي العربي الذي وجهتُ إليه الرّسالة السابقة، والتي أرسلها بتاريخ ٣/ ٨/ ٢٠٠٨م، فيما يلي نصها:

الأخ العزيز باقر الصراف

بعد التحية والسلام

وصلتنا رسالتك التي تتساءل بها عن سبب عدم نشر بقية الحلقات من الرد على الأخ سامي شرف وذلك يرجع إلى سببين أولها عمليات التخريب المستمرة التي يتعرض لها الموقع وانشغالنا بالرد على هذه العمليات التخريبية، وثانيا إنَّ الأخ سامي شرف أبدى لنا وجهة نظر اقتنعنا بها وهي الرد عليه خارج موقع الفكر القومي العربي كي لا يكون الأمر شخصيا. وكنا نود أنْ تطرح الموضوع حتى وان اختلفنا بالرأي حوله دون ذكر الأخ سامي شرف كي يبقى الموضوع خارج إطار الشخصنة.

ربما انك لا تقتنع بهذه الحجة ولكنها هي السبب وليس اتخذ موقف ضدك شخصيا أو ضد الحركة الأحوازية التي هي قضينا أيضا، حتى وإن اختلفنا حول الأولويات.

مع تحياتنا الخالصة لك ولجميع الإخوة.

جمال الصباغ

ملاحظة خاصة بالرسالة:

لم يكن الموضوع المطروح في البحث هو الرد على الشخصية الناصرية السيد سامي شرف: تلك الشخصية المميزة في الفكر والسلوك والمعاناة الشخصية - بالرغم من ملاحظاتنا على دوره السياسي الذي إفتقد المبادرة عند مواجهة طغمة الدكتاتور أنور السادات - وبالتالي جعل موضوع الشخصنة الذي يشير إليه السيد الصباغ هو مضمون الحلقات الخمس، والموضوع ذاته لا يتعلق بالموقف المناصر للشخص أو المعادي له، إنما تلك الآراء هي البحث في الدور الإيراني الفارسي الصفوي تجاه وطن ومجتمع ودولة العراق، في المرحلة التاريخية الراهنة التي تتعرض فيه لعدوان آثم، وهو بحث موثق في المصادر الخاصة بالموضوع.

وإتماماً للفائدة

المقاومة العراقية تضع اليد على وثيقة إيرانية خطيرة

ملاحظة لابد منها

زيادة في الفائدة المرجوة، نضيف التالي إلى رؤيتنا السياسية التي سلف الكتابة عنها، ومما يرجى الإنتباه إليه، فضلاً عن الرؤية السياسية، كيفية تقويم السلطة الإيرانية «للمتعاونين معها والمدافعين عن خطها السياسي العنصري»، إذ أنها تعتبرهم مجرد مرتزقة يحبون الأموال أكثر من حبهم لأمتهم ومبادئهم، والقراءة المدققة والمتبصرة للموضوع المنشور في موقع «البصرة المناضل»، والعديد من المواقع الأخرى، يشي بما ينبغي التفكير به والتدقيق في محتواه ومقارنة كل ذلك بالواقع الإعلامي المقروء والمرئي يومياً.

«في أواخر عام ٢٠٠٥م أسرت المقاومة العراقية شخصا إيرانيا وضع لفترة تحت المراقبة، واتضح فيما بعد انه ضابط مخابرات إيرانية كبير (من فيلق القدس) مكلف بالتنسيق مع التنظيمات الموالية لإيران في العراق، وعثرت معه على وثيقة خطيرة تكشف

الخطة الإيرانية في مجال الإعلام الموجه للأقطار العربية، تسلط الضوء على حجم التغلغل الإيراني في أوساط عربية مثل كتاب وصحفيين وسياسيين محسوبين على الخط الوطني والقومي والإسلامي العربي! ورغم تكتم مخابرات المقاومة الوطنية العراقية على أسر هذا الضابط لمدة سنتين لأسباب أمنية إلا أنها كشفت لشبكة البصرة النقاب عن بعض ما ورد في الوثيقة التي كانت بحوزته، وحجبت البعض الآخر لأنها معلومات بالغة الحساسية تتعلق بأسماء شخصيات عربية وكتاب وتنظيمات عربية متورطة مع إيران بطريقتين أما عن طريق صلتها بحزب الله اللبناني، والذي تكشف الوثيقة انه الجهة الأساسية في تنفيذ الخطة الإعلامية الإيرانية في الأقطار العربية والتي تقوم بتمويل هذه الأسماء وتوجيهها مباشرة أو بصورة غير مباشرة، أو ارتباط بعض هؤلاء مباشرة بالسفارات الإيرانية. وأكدت مصادر مخابرات المقاومة الوطنية العراقية لشبكة البصرة بان بقية أجزاء الوثيقة ربما ستكشف في المستقبل. وفيما يلي ترجمة من الفارسية إلى العربية لبعض ما ورد في الوثيقة:

بناء على توجيهات المرشد الأعلى السيد علي خامنئي المتعلقة بتحسين وتصويب الخطة الإعلامية لجمهورية إيران الإسلامية في البلدان العربية بعد أكثر من سنتين على تطبيقها، وبناء على التطورات الخطيرة في العراق المتمثلة في بدء أمريكا حملة ضد جمهورية إيران الإسلامية وبالأخص عملها على فصل بعض أخوتنا في التنظيمات المشاركة في الحكم في العراق عنا ووضعهم تحت سيطرة المخابرات الأمريكية، مستغلة حب هذا البعض للسلطة والمال، وبناء على زيادة النقد الموجه للسياسة الإيرانية في العراق في البلدان العربية، فقد أصبح ضروريا تحسين خطتنا وجعلها قادرة على مواجهة الهجمات الإعلامية والسياسية على جمهورية إيران الإسلامية المرجعية المدافعة عن المذهب والمحافظة عليه والممثل الشرعي له.

إن من المهم أن ندرك بان ثمار ما زرعناه في البلدان العربية، منذ عقود من الزمن بعد الثورة الإسلامية، قد نضجت وحان وقت قطافها، مما يجعل استثمار رصيدنا العربي من الكتاب والمثقفين والساسة العرب، الذين عرف عنهم معاداة أمريكا في المراحل الماضية والوقوف ضد غزو العراق ودعم ما يسمى بـ (المقاومة العراقية) الصدامية الوهابية ضرورة

حاسمة، وخصوصا زج رصيدنا العربي مباشرة في الرد على خصومنا وجعلهم يتصدون للكتاب والصحفيين المناصرين للصداميين والوهابيين أو العفالقة والوهابيين أنفسهم. لقد حان وقت تحرك هؤلاء لأنهم يحظون بسمعة طيبة خصوصا في الأوساط المساندة للصداميين والوهابيين مما يخلق ارتباكا في صفوف مناهضي جمهورية إيران الإسلامية. وتبعا لذلك فان نجاح هذه الخطة يتوقف على دور هؤلاء الأصدقاء العرب لنا، فكلما قاموا بتسليط الضوء على القضايا الجوهرية من وجهة نظرنا كلما حاصرنا الهجمات القوية والواسعة النطاق ضدنا.

من الضروري التركيز من قبل أصدقائنا العرب على الأمور المهمة التالية:

١ – إنَّ المهمة الأساسية في خطتنا الجديدة هي إخراج أمريكا من العراق بعد أنْ نجحنا في جرها إليه وحققنا هدفين كبيرين وتاريخيين أولا القضاء على حكم الطاغية صدام إلى الأبد على يد أمريكا التي صنعته، وبذلك تجنبنا التكاليف البشرية والمادية لحرب أخرى مع العراق، وذلك هدف كان من بين أول الأهداف التي تبنتها جمهورية إيران الإسلامية والإمام خميني قدس الله سره، والهدف الثاني كان توريط أمريكا في المستنقع العراقي من اجل منعها من الاعتداء على جمهوريتنا الإسلامية أمل كل المسلمين والمستضعفين في العالم. وفي هذا الصدد يجب أنْ لا يخجل من يدافع عن إيران من تأكيد أنَّ تعاوننا مع أمريكا ضد الطاغية يخدم أهدافنا الإسلامية ويعزز مركز الجمهورية الإسلامية ويزيل اكبر واخطر عقبة من طريق انتصارنا الحاسم في كل الأمة الإسلامية ونشر مذهبنا فيه وإعادة الحق إلى أهله بعد حوالي ١٤ قرنا على سلبه. ولأجل تعزيز موقف أصدقائنا العرب يجب تأكيد أنَّ المعيار المعول عليه هو أنْ جمهورية إيران الإسلامية هي التي تحارب أمريكا إستراتيجياً الآن وليس تعاونها تكتيكيا مع أمريكا لتدمير الطاغية صدام في بداية الغزو.

٢ – يجب أنْ يستعد أخوتنا لجعل العام القادم عام حسم الصراع في العراق لصالحنا والقضاء في وقت واحد على الاحتلال الأمريكي والإرهابيين الصداميين والوهابيين الذين يشكلون قوة بالغة الخطورة وحسم كل الأمور المعلقة في العراق. إنَّ السبب في ذلك هو أنَّ

أعداء الإسلام في العراق يستعدون لتوجيه ضربات لنا تدفعنا لترك العراق بعد أنْ نجحوا في تعبئة أقسام غير قليلة من الرأي العام العربي ضدنا، لذلك يجب أنْ يكون عام ٢٠٠٦م عام الحسم بالنسبة لنا من خلال المبادرة بتوجيه ضربات قوية لأعدائنا خصوصا في بغداد وجعلها منطلقا لنشر سيطرتنا على العراق. وقد كلفنا الأخوة في التيار الصدري (جيش الإمام المهدي عجل الله فرجه) بالقيام بالسيطرة على بغداد وتطهيرها من النواصب بأسرع وقت ممكن.

٣ — ولأجل توفير جو مناسب لنا عربيا للقيام بعملية السيطرة على بغداد وعدم توفير الفرصة للتركيز على أحداث العراق القادمة اصدر المرشد الأعلى السيد خامنئي أوامره للسيد حسن نصر الله لجعل لبنان ساحة جلب الأنظار عن طريق الاشتباك مع الكيان الصهيوني الغاصب للقدس الشريف، لضمان حشد الرأي العام العربي مع إيران ومنع مهاجمتها بسبب العراق. ولأجل ذلك وفرنا لحزب الله كل ما يحتاجه لأجل تحقيق أفضل صمود ممكن مما يضعف قدرة أعدائنا على مهاجمتنا بنجاح، ويسمح ببقاء الكثير من المثقفين العرب معنا مستندين على ما يحققه حزب الله من انتصارات ومكاسب إستراتيجية، رغم الضغوط العربية الشعبية عليهم. ويجب أنْ لا يغيب عن البال أمر مهم وهو أنَّ السيطرة على العراق لن تنجح إلا إذا كنا مبادرين ضد أمريكا والكيان الغاصب لفلسطين وطرقنا على رأسيهما بقوة تثير إعجاب العرب وتوفر دعمهم لنا مهما كانت سياساتنا في العراق مرفوضة من قبل العناصر القومية الشوفينية العلمانية العربية.

٤ — ويجب أنْ نفهم بأنَّ العراق هو منطقة معركتنا الحاسمة مع أمريكا وما لم نكسب المعركة فيها لن تجد جمهورية إيران الإسلامية أي فرصة أخرى لنشر المذهب في العالم وتحقيق النصر. لقد عطل الطاغية صدام محاولة الثورة الإسلامية الانتشار في الثمانينيات عندما شن حربه الظالمة علينا بدعم أمريكي لذلك يجب أنْ لا نفقد الفرصة التاريخية التي أتيحت لنا مرة أخرى مما يتطلب جعل كل الطاقات الخاصة بنا في العالم العربي تخدم هدفنا الأهم وهو جعل العراق جمهورية إسلامية حليفة لجمهورية إيران الإسلامية ومساندة بقوة لها وتحت قيادة الأخوة العراقيين المساندين لنا. ويجب أنْ يكون واضحا وبلا لبس أنَّ انتصارنا في العراق هو مفتاح تحقيق أهدافنا في البلدان العربية كلها وفي الأمة الإسلامية كلها.

٥ – إنَّ نجاحنا في طرد أمريكا من العراق بالإضافة إلى انه سوف يجعل شعبيتنا كاسحة في البلدان العربية فإنه سوف يحطم الخطة العالمية الأمريكية ويفتح الباب أمامنا لجعل الإسلام الحقيقي القوة الأساسية في العالم الإسلامي وبالتالي يصبح للمسلمين دولة مهابة بين كبار العالم. إنَّ الإسلام سيعود إلى أصوله التي غيبتها سرقة الخلافة وسوف ننجح فيما أجهضه أعداء آل البيت قبل ١٤ قرنا.

٦ – ورغم أننا ضد القومية العربية العنصرية الماسونية التي تقسم المسلمين على أساس عرقي فإنَّ الاستفادة من القوميين العرب أمر مهم جدا لان استمالة بعضهم إلى جانبنا سوف يسبب للعفالقة والصداميين إحراجا كبيرا ويمنعهم من تجميع التيارات القومية ضدنا. ونسجل لحزب الله في لبنان انه تمكن من اختراق أهم التنظيمات القومية وهو المؤتمر القومي العربي وبتوجيه مباشر منا وجعل المؤتمر من أهم منابر الدفاع عن جمهورية إيران الإسلامية والرد على هجمات الصداميين العنصريين علينا ومنعهم من الحصول على دعم كل القوميين العرب. وعلى الأخ السيد (.....) أنْ لا يتردد في منح المزيد من المال وان يتحمل جشع البعض في طلباته المالية لان المال لا قيمة له مقارنة باختراق القوى المعادية لنا وتحقيق أهدافنا الجوهرية.

٧ – يجب على الأحزاب الصديقة لنا في العراق التوقف عن مهاجمة كل القوى القومية والتركيز على العفالقة الصداميين فقط والعمل على جر الناصريين إلى صفنا بكافة الطرق ومهما كلفنا ذلك من مال وجهد خصوصا في مصر حيث أصبح التيار الناصري معنا بغالبيته الساحقة وشاهدنا بسرور دفاع بعض الناصريين في مصر عن جمهوريتنا وتصديهم بقوة لمحاولات إدانة مواقفنا في العراق.

٨ – إنَّ التنظيمات الناصبية المعادية لنا بالأصل كالإخوان المسلمين تجد أنها اقرب إلينا من العفالقة العلمانيين، لذلك فان تمتين العلاقة معهم ضرورة لأجل تحقيق اختراقات تاريخية في مصر بشكل خاص عن طريقهم عبر المساعدة على انتشار المذهب في مصر تحت غطاء تعاوننا مع الإخوان المسلمين هناك. ويجب في هذا الصدد أنْ نكون كرماء جدا مع هؤلاء لأنهم اقدر من غيرهم على عزل التيارات القومية العنصرية العربية.

٩ – وعلينا أنْ نعترف بأنَّ الإرهاب الصدامي الوهابي في العراق يحظى بدعم شعبي عربي واسع النطاق بسبب استخدامه العنف ضد أمريكا، ولأجل إضعاف الإرهاب وعزله على أنصارنا في العراق المكلفين بالعمل ضد الاحتلال سلميا ونقصد التيار الصدري تنفيذ الخطة الموضوعة للقيام بعمليات عسكرية ضد الاحتلال من اجل تحقيق هدفين أساسيين، وهما كسب دعم مناهضي الاحتلال العرب الذين يأخذون علينا (مهادنة) أمريكا في العراق، وممارسة ضغط على أمريكا لأجل عدم مهاجمة إيران. وإذا نجح التيار الصدري في القيام بعمليات عسكرية ذات قيمة ضد الاحتلال فانه وما قام وسيقوم به حزب الله في لبنان سوف يضعفان ناقدي إيران وأعدائها في البلدان العربية ويوفران مبرراً لمواصلة دعم إيران.

١٠ – إنَّ من أهم ما يجب التركيز عليه هو تبرئة إيران من مساعدة الاحتلال في العراق، وتأكيد أنَّ التعاون الذي حصل في بداية الغزو كان ضروريا للقضاء على الطاغية صدام وليس لوجود تعاون دائم بيننا وبين أمريكا. يجب أنْ لا نترك فرصة لتأكيد أنَّ غزو العراق والكوارث التي تعرض ويتعرض لها هي من عمل أمريكا وليس إيران وان من يتهم إيران يخدم أمريكا. كما يجب إدانة الدعاية التي تقول بأنَّ إيران هي التي تنشر الفتن الطائفية والتأكيد على أنَّ أمريكا هي التي تزرعها وترعاها وإنَّ إيران لا صلة لها بالفتن الطائفية في العراق والبلدان العربية.

١١ – يجب نشر الفكرة الواردة في احد تصريحات المرشد الأعلى السيد خامنئي والقائلة بان المواجهة الآن هي بين جمهورية إيران الإسلامية ومعها حزب الله وسوريا وحماس في جبهة، وأمريكا ومن يقف معها من الأنظمة العربية والقوى السياسية التابعة لأمريكا في جبهة ثانية. وبناء على ذلك يجب أنْ نهاجم بعنف من يريد إدانة جمهورية إيران الإسلامية بحجة أنها تعقد صفقات مع أمريكا وعدم التردد في وصف من يقومون بذلك بأنهم يخدمون أمريكا وإسرائيل.

١٢ – يجب أنْ نستثمر كل عمل أو انجاز لحزب الله لتأكيد انه يمثل المقاومة الرئيسية ضد الكيان الغاصب للقدس الشريف وضد أمريكا وان نكشف حقيقة أنَّ ما يسمى بـ

(المقاومة العراقية) هي مقاومة طائفية سنية تكفيرية صدامية تنحصر في مناطق سنية فقط وتقوم بقتل العراقيين وتشعل حربا طائفية في العراق. ومن الضروري في هذا الصدد استخدام الفتاوى التي صدرت بتكفير الشيعة وتحليل دمهم وما أعقبها من هجمات إجرامية دموية ضد شيعة آل البيت المظلومين لأجل إثبات ذلك.

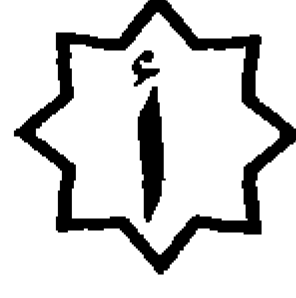
١٣ – لتجنب كشف أو عزل أنصارنا من الكتاب العرب يجب توزيع الأدوار بينهم بدقة وعدم جعل احدهم أو بضعة منهم يقومون بكل العمل الإعلامي المطلوب، فمثلا يجب أنْ يقتصر نقد أحد الكتاب للإرهاب الصدامي على تأكيد انه يقوم على تحقيق هدف العودة للسلطة وليس لتحرير العراق، وان الوهابية التكفيرية تريد إبادة الشيعة وليس تحرير العراق، وان يقوم آخر بنشر فكرة أنَّ الصداميين العفالقة لم ينتقدوا أنفسهم وما زالوا يريدون احتكار السلطة والقيادة وإقصاء الآخرين. ومن الضروري الانتباه إلى أنَّ المطلوب هو نقد هادئ ومتدرج لما يسمى بـ(المقاومة العراقية) وعدم المبالغة فيه أو طرح كل الانتقادات مرة واحدة لتجنب لفت النظر إلى ما يقوم به أصدقاؤنا. ولا نجد مانعا في قيام البعض بنقد موقف إيران من العراق بهدوء من اجل تجنب عزله عربيا ولكن يجب في هذه الحالة التمسك بدعم حزب الله وعدم المساومة حول هذا الأمر بأي شكل من الأشكال ومهاجمة من يشكك بحزب الله.

إننا نؤكد بان العام القادم سيشهد أحداثا كبيرة جدا يجب استثمارها بالكامل.».

تم نشر الموضوع أعلاه – مجدداً – في موقع «البصرة» المناضل بتاريخ ١٨/ ١١/ ٢٠٠٨م.

رابعاً

موضوعات متعددة لتجلٍ واحد



الدور الفارسي في إحتلال العراق

ماذا يعني؟

إنَّ الموقف الإيراني تجاه القضية العراقية واِستمرار الاغتيالات والتدخل في شؤون العراق كله، قد أفاض الكيل بما فيه من تطورات سياسية، وأجبرنا على قول كلمة حق وطني وقومي وحضاري مسلم حول ممارسات البعض الذي يصور نفسه إنه متناقض مع الأمريكيين ويسوق أفعاله باِلإرتكاز على مقارنة مواقفه مع مواقف الأعراب الخونة تجاه العراق على وجه التحديد.

ولعل ما طالب به السيد عبد العزيز حكيم عضو المجلس الإِنتقالي المحكوم عند زيارته إلى فرنسا حول ضرورات دفع مبالغ تزيد عن المائة مليار دولار إلى إيران، تعويضاً عن خسائرها في الحرب العراقية - الإيرانية قد كشف عن الدور المرسوم للبعض، حتى لو تسلق منصب عضو مجلس الحاكم/ المحكوم، ورئاسة تنظيم مجلس «الثورة الإسلامية» فعزيز الذي أسهم باِلإشتراك مع اللواء علي بلالك واللواء أحمد فروزندي والعميد قرباني، في تسيير المجموعات التي تنفذ عمليات عسكرية «للمجاهدين العراقيين» للفتّ في عضد الصمود الوطني العراقي ضد الأمريكيين، أبى إلا أنْ يواصل طريق التبعية السياسية للرؤية السياسية الإيرانية بتلك المطالبة، ولا نعرف إنه كان في تصريحه يريد أنْ يمتدح الأمريكيين الذين يحاولون تقليص مديونية العراق، أو الإعلان عن مطالب الحكومة الإيرانية؟.

ويضيف اليوم نائب الرئيس الإيراني: السيد محمد خاتمي للشؤون القانونية والبرلمانية: محمد علي أبطحي في ختام أعمال مؤتمر عقد بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء الموافق

١٣/ ١/ ٢٠٠٤م دليلاً دامغاً على الدور الفارسي في التمهيد للعدوان الأمريكي وتسهيل عملية اِحتلاله، ويقول: إنَّ «بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان والعراق»... إنها شهادة موثقة عن الدور المتواطيء مع العدوان الأمريكي على العراق [تناولنا شواهد ودلالات أخرى في الجزء الأول من كتابنا المعنون: العولمة الأمريكية ضد الدولة العراقية] الأمر الذي يدحض أقوال المضلِّلين ويكذب أقوالهم الدعائية المخاتلة، مثلما تضيف تلك شهادة أبطحي صفعة قوية ومدوية قد تنبه البعض المضلَّلْ، وتعيد بعض الوطنيين العراقيين المخلصين إلى رشدهم وبالتالي تفرض عليهم مهمة إعادة قراءة خلفيات مواقفهم وتعليل أسباب مواقفهم السابقة واِتخاذ الموقف السياسي المناسب على ضوء الإخلاص الوطني العراقي، وعلى ضوء الدور الفارسي الذي أشار له الأبطحي.

يقول السيد أبطحي في المحاضرة التي ألقاها في ختام أعمال ذلك المؤتمر والمعنون: «الخليج وتحديات المستقبل» الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية سنوياً... يقول: «إنَّه لولا التعاون الإيراني مع الأمريكيين لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة، لكننا بعد أفغانستان حصلنا على مكافأة وأصبحنا ضمن محور الشر، وبعد العراق نتعرض لهجمة إعلامية أمريكية شرسة».

لماذا نزج الِاسم الإيراني في صورة المستقبل الذي آل إليه العراق راهناً؟ كان يمكن لنا غض الطرف عن هذا الدور لو كآن الواقع التالي غائباً عن المشهد العراقي الحالي والتالي بطبيعة الحال:

١ - لقد زج الإيرانيون بالقوة المسلحة التي كان يمتلكها بعض العراقيين المهجرين والمهاجرين في القتال ليس ضد الجيش العراقي فقط، بل زجها في قتال قوات مجاهدي خلق وضد قوات اِتحاد كومنستهاي إيران وغيرهما، سواء في الوسط أو في آمل عندما قاموا «بتحرير بعض المدن الإيرانية نيابة عن القوات الإيرانية»، وهذا دليل على كون الإيرانيين يتحكمون الموقف السياسي [لقوات بدر والدعوة ومنظمة العمل الإسلامي].

٢ - إنَّ تصريح إيران - وذلك ما سنقرأه في المساهمة الأولى حول دور المسميات المخاتلة بإسم الشيعة - لممثلي قوات ما يسمى بالمجلس الأعلى لمجلس آل الحكيم والقوات المسماة: البدر/الغدر بالذهاب إلى واشنطن و مؤتمر لندن وهم المقيمون في طهران ويتحركون على ضوء مصالحها السياسية هي علامة على الإتجاه السياسي العام لهذه القوات الطائفية.

٣ - إنَّ موقفها السياسي الراهن - سواء عبر المشاركة مع القوات المحتلة أو الإمتناع عن المقاومة وقيامها بالإغتيالات بذريعة تصفية أعضاء الحزب السابق - يدلل على دورها الملموس في منع المقاومة الشعبية المسلحة ضد المحتلين، مما أحرج علماء لبنان: سواء السيد محمد حسين فضل الله أو الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، وغيرهما.

٤ - إنَّ إمتناع غالبية الجسم البشري الجنوبي عن المقاومة المسلحة هو برهان على الدور الإيراني بهذا الصدد، وإلا ما هو الفرق الموضوعي والسياسي بين موقف الجسم الإسلامي المقاوم للإحتلال البريطاني في أعوام ١٩١٦م، ١٩٢٠م، ١٩٤١م وموقف الجسم الإسلامي في الجنوب كله من الإحتلال الأمريكي؟، أليس الدور الصهيوني خلال الإحتلال الأمريكي الراهن هو أكثر وضوحاً من الموقف البريطاني السابق فوق ذلك؟.[٢]

إذا أخذنا هذه السمات الخاصة في العراق، كحزمة تحليلية: فكرية وسياسية متكاملة وكلية تجاه القضية الوطنية العراقية في مرحلة العولمة والإحتلال، سنكتشف مضمون الرؤية السياسية الأمريكية الراهنة، ومدى علاقتها بالرؤية الحضارية العربية الإسلامية التي هي موضع كتابنا المتسلسل هذا.[٣]

المراجع والهوامش

[٢] - سبق لنا نشر المواضيع السابقة في صحيفة «نداء المقاومة» الأمر الذي يقتضي التنويه عن ذلك. أما بصدد ما قلناه في الجزء الأول من كتابنا: العولمـة الأمريكية ضد الدولة العراقية فهو التالي: «ذكر قائد قطع الحربية التابعة لحاملة الطائرات {إبراهام لنكولن} والمتزاحمة في الخليج العربي: الأدميرال في غرفة الحرب، الذي ليس هو مسؤولاً عن تلك «القطعة العسكرية في المعدات التقنية» فقط، وإنما هو مسؤول أيضاً عن كل القوات البحرية الأمريكية والحليفة في الخليج العربي كله، الذي نقلته إحدى الصحف العربية التي تصدر في «لندن - العاصمة البريطانية» يوم ١٨/ ٣/ ٢٠٠٣م... يقول هذا الضابط رداً على سؤال يتمحور حول الموقف الإيراني: هل يعتبر إيران التي وضعها الرئيس بوش مع العراق وكوريا الشمالية في «محور الشر» والتي تشرف على شواطيء الخليج كله، تشكل خطراً على قواته؟. أجاب:

«لا نعتبر أنَّ إيران تشكل تهديداً. إنها تملك شاطئاً طويلاً في شمال الخليج ولها سفن تجارية وحربية في مياهه الدولية وفق القوانين الدولية. نلتقي [!؟] على نحو روتيني قوات إيرانية في البحر، وهذه اللقاءات في الغالب تجري في شكل جيد ونتوقع أنْ تظل هذه اللقاءات كذلك» أي يجري تنسيق شامل بين الطرفين «الغريمين» بصدد الدولة العراقية، يذكّرنا بموقف إيران إبّان العدوان الأمريكي على أفغانستان. ومعلوم أنَّ جهاز الأمن القومي الإيراني هو الذي يحدد الموقف السياسي الإيراني تجاه العراق، وهو الذي يشرف على سياسة القوى السياسية «العراقية» التي تؤيد الرؤية الفارسية الإيرانية بصدد سياستها على العراق. أما موقف المرجعية الخامنئية فهو مجرد إصدار بيانات تتسم بلغة الصراخ في تغطية على الموقف السياسي الإيراني الحقيقي، لاسيما وأنَّ هذه المرجعية تختص بالعمل خارج إيران، ولا تشمل رؤيتها كل علماء الداخل ومراجعها الإمامية». عن الجزء الأول من الكتاب، ص ٢٤.

بـين العمـــائـم واللـحى إبليس يضحك على جحا

حول الموقف الفارسي الأصيل

والموقف الفارسي الشبيه البديل

البعض العراقي وضع يده على قلبه خوفاً من المستقبل جرّاء تصريحات وكيل وزارة الخارجية الإيرانية، دون أنْ يلحظ أنَّ كلَ العراق هو في القبضة الأمريكية. إسترضاؤه والتنازلات السياسية أمامه لم تلغ رؤية أمريكا وشركاتها الطامعة الشرهة. لقد قدَّمت الأجهزة المخابراتية الأمريكية: سواء في وزارة البنتاغون أو السي أي آي أو وزارة الخارجية الأمريكية رشاها المالية لمن يتطلع إلى لعب دور وظيفي معين ومحدد بغية ملء طموحه السياسي الآسن والمريض، و«تناسى» بالجملة والمفرق أطنان من الوعود والتصريحات التي فلسفت رؤيته الفكرية السابقة، حول الشيطان الأكبر والإستكبار العالمي والحضارة الإسلامية، وتبين على ضوء الأكاذيب أو الحقائق أنهم كانوا أو باتوا مجرد ماشة نار بيد الأجنبي يحركها لإثارة الفتنة في الزمان المرغوب منه. لقد كانت الحرب العراقية - الإيرانية «حرباً أهلية» بين المسلمين المؤمنين «الإيرانيين»، من ناحية، والعراقيين «الكفرة» من ناحية أخرى وفق المزاعم البائسة للرؤية الفارسية الصفوية. واليوم تصبح الحرب الأمريكية - العراقية حرباً «تحريرية» رغم أنَّ التي تخطط لها وتقودها وتنفذها هي الإدارة الأمريكية بقيادة: المحافظون الجدد على وجه التحديد الذين هم صليبيون صهاينة بالمعنى الحضاري. وبين الحربين كان موقع هذا البعض المميز هو العمل ضد الدولة العراقية، وكأنَّ هدفه السياسي الدائم هو تدمير الشعب أو المجتمع والوطن والنظام والسلطة العراق.

وعلى ضوء التطورات السياسية التي شهدها العراق كان تحطيم الدولة العراقية هو الهدف السياسي لنشاطهم التنظيمي في نهاية المطاف ومن دون زيادة أو نقصان أو إفتراء أو إنتقاص.

لقد جاء يوم الحسم الأمريكي المجرم بإحتلال العراق عسكرياً وكلياً - إلاّ من إرادة أبنائهم الأحرار الميامين الأباة المخلصين للوطن والشعب والتاريخ العربي الحضاري المسلم - فتبين لجميع الوطنيين العراقيين وبشكلٍ ملموس وبالعين المجردة والفعل العملي، هيئات المتعاملين بأجسادهم وشحومهم وأزيائهم الغربية أو المعممة، وبكل وقاحة العاهر الشنكـة الصلفة، أنهم في الحقيقة العينية الملموسة: إحدى الأدوات الرخيصة في أيدي دوائر المخابرات الأمريكية، تحركهم حيثما درّت عليه المطامع الإقتصادية التي تسيل لها لُعابها الشركات الإحتكارية الكبرى، ويستجيبون لتعليماتها حيثما درّت عليه معايشهم، كما يقول الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب [ع]: «الدِّينُ لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درَّ معايشهم». أنهم أما عملاء مأجورون بثمن مالي ووظيفي بخس لقاء رضوان

الشيطان الأكبر عليهم، خصوصاً في مرحلة حكم إدارة المحافظين الجدد، أو مخدوعون سـذج على المستوى السياسي، كونهم تناسوا التاريخ والجغرافية والزمان والمكان وسنوات مديدة من العدوان الإستعماري والإمبريالي والعولمي التي راح ضحاياها ملايين العرب والمسلمين ومن أبناء العالم الجنوبي كله. وكان الأجدر بالوطنيين المخدوعين المخلصين الإنسحاب من ساحة العمل السياسي لكي يبرهنوا أنهم ليسوا عملاء [إنْ لم نقل تبديل قناعاتهم نحو النضال السياسي ضد العدو، فالكفاح المسلح ضد العدو المحتل بعيد التصور]، وإنما هم قد إجتهدوا فأصابوا أو أخطؤوا، وتبين لهم الرشد من الغي والخيط الأبيض من الأسود فتراجعوا عن الخطأ وهو فضيلة، قبل أنْ يذهبوا في نجاسة الفطيس الموبوء، كما ذهب المأثوم بموقع العمل: الرئيس / المآتا الأسبق المدعو عبد الزهرة عثمان: عز الدين سليم وهو في مركز الغي المضلـِّل في الدنيا والإسوداد القاتم في العالَم الآخر، فلم ينفعه الإسم المزور «سليم» عن الوقوع في مرض «الجرب» الأمريكي المتصهين والطمع السياسي الأكشر، مثلما لم تنفع سمعته الزيارة إلى لندن وحضور مؤتمر العملاء فيها قبيل العدوان الأمريكي على العراق فتناساه حتى أصدقاؤه «الحاكمون» التي إرتضت عنهم قوات الغزو والسفير الأمريكي.

كان الأجدر بهم - إنْ كانوا صادقين - الإنسحاب من الحياة السياسية بجريرة سذاجتهم الفكرية وجريمة التعاون مع العدو الغازي المحتل، فالعمل الوطني الملموس هو المقياس في مرحلة الصراع بين الذات الوطنية المتماهية بالعروبة والأفكار الحضارية الإسلامية، من جهة، والرؤية التي يرسم معالمها البرناجية المحافظون الجدد: العنصرية الصليبية الصهيونية، من جهة أخرى، ولكنهم آثروا المصلحة الذاتية الأنانية على المبادىء الفكرية والسياسية الواضحة، وفضلوا اللحظة الزمنية العابرة على الرؤية التاريخية المديدة، وإنساقوا وراء الخيانة للتستر على ممارساتهم / الفضيحة، التي نَشرت - مثلاً - وزارة الخارجية الأمريكية يوم ٢/ ٥/ ٢٠٠٠م حول تقبلهم الرشى الأمريكية، وهو في أية حال مجرد جزءٍ بسيطٍ من جبل الجليد المغمور بالموبقات، علَّ وعسى يأتي زمن التصحيح، ولكن في كل يوم تغطس أرجل الخونة بالمزيد من أوحال أسمدة الخس، وكلما حاولوا الخروج من المستنقع السياسي الآسن زادت ضربات أرجلهم تخبطاً هنا وتأرجحت أصابع توقيعاتهم هناك، وتلوثت - بالتالي - أجسادهم ووجوههم وأيديهم بالمزيد من ذلك السماد الوسخ والنجاسات القديمة والحديثة...

اليوم يتلقى هؤلاء الصفويون «العراقيون» الصفعة المدوّية الأخرى، ولكن في هذه المرّة من قبل «الحليف السياسي الإيراني» الذي رعى تربيتهم الطائفية العنصرية، والعزيز على قلوبهم للدرجة التي أطاعوا فتاواه بضرورة التعاون مع «الشيطان الأكبر» للخلاص من «النظام العراقي المستبد». واللطيف في الأمر أنهم كانوا يتهمون حزب النظام السياسي العراقي ورمز قيادة النظام بـ«العمالة لأمريكا»، ولكن التجربة العملية بيَّنت على ضوء الممارسة أنَّ «العميل المُفترض» ثبت في ميدان المواجهة ودفع الثمن السياسي على المستويات كلها: الفردية والعائلية ومركز رئاسة الدولة عندما أجاب على السؤال الذي لا بد

أنْ يواجهه كل مناضل حقيقي: السلامة لمن؟ للقضية الوطنية ومبادئها السياسية أم للعاملين في سبيلها؟ كان جوابه على ذلك التساؤل واضحاً وحاسماً وشجاعاً وإستثنائياً ومتسلحاً بفضيلة الإخلاص للوطن والأمة العربية والمباديء العربية الإسلامية بغض النظر عن الثمن الذي سيدفعه حتماً، فيما شارك المتقولون المعممون الفرس المتسلطون على السلطة الإيرانية في العدوان على العراق بشكل غير مباشر، وعلى ضوء تصريحات ممثلهم السياسي الرسمي الذي اِعترف علناً في الإمارات العربية المتحدة: السيد محمد علي أبطحي مساهمتهم بشكل مباشر على كلٍ من الدولة المسلمة والإمارة الإسلامية: العراق وأفغانستان.

فقد حملت الأنباء تصريحات علنية لحميد رضا آصفي: وكيل وزارة الخارجية الإيرانية حول الموقف الفارسي تجاه الدولة العراقية، وكان ذلك التصريح قد ورد على الشكل التالي: «الطلب بتعويضات الحرب ومحاكمة الرئيس العراقي جراء بدئه الحرب» أو كما عنونت الأنباء من طهران تلك التصريحات والتي: «أحدثت مطالبة إيران العراق بتعويضات عن الأضرار التي لحقت بها جراء الحرب العراقية الإيرانية صدمة كبيرة لدى الحكومة العراقية التي تعهدت بإغلاق ملف الحرب خلال زيارة كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني إلى العراق قبل أيام»، من ناحية، وما تداولته الأنباء عن أقوال للعميل الأمريكي المعروف برهم صالح وزير تخطيط حكومة إبراهيم جعفري والمسؤول في تنظيم جلال الطالباني حول «محاكمة» الرئيس العراقي الذي يقبع في سجن الاحتلال الأمريكي بناءً على أوامر إيرانية وموافقة واشنطن عليها.

لماذا كانت هذه «الصدمة عند المسؤولين العراقيين المخلصين للإحتلال الأمريكي» التي تكتمت عليها وكالات الأنباء، في حين كشفت عن حقيقتها صحيفة «النيويورك تايمز»الأمريكية بتاريخ العشرين من أيار الحالي [٢٠٠٥م] عبر الخبر المكتوب فيها على الشكل التالي «في حركة قد تؤدي إلى زيادة غضب العرب السنة، الحكومة العراقية تعترف علنا في يوم الخميس بان العراق كان هو المعتدي في ١٩٨٠م عندما بدأ حربا دموية لثمان سنوات ضد إيران، تم هذا الإعلان في التصريح الختامي المشترك عقب زيارة وزير الخارجية الإيراني للعراق».

فهل كانت الصدمة حقيقية أم لا؟.

وهل جاء ذلك الموقف مفاجأة للحاكمين ومجافية للواقع أم كونها نابعة عن عقلية فارسية مخاتلة، كما ينبع الظلام والعتمة من الليل الدامس الشديد والحالك؟.

ثم هل أثار الخبر عراقيي السُنة فقط أم كل العراقيين الوطنيين؟.

ومَن كان هو المعتدي منذ بداية أعوام السبعينات الأولى التي اِنتهت إلى اِتفاقية ٦ / آذار / ١٩٧٥م التي اِستحوذت السلطة الإيرانية فيها على نصف شط العرب وأراضٍ تقدر مساحتها بموازاة الضفة الفلسطينية المحتلة في عام ١٩٦٧م؟.

ثم مَنْ رفض إيقاف تلك الحرب منذ العام ١٩٨٣م وفق «الوثائق الدولية» المودعة بالمؤسسات العالمية والتي بموجبها يتحمل رافض وقفها: الأثمان والكلـف التي نجمت عن إستمرارها؟.

منذ إستيعاب الملك الأردني الحسين بن طلال سياسياً ومخابراتياً للشخصية العراقية الساذجة فكرياً حسين كامل على شاكلة مقابلة الشيخ المتسلط والفلاح الفقير فكرياً. كان واضحاً أنَّ المخطط الأجنبي ضد العراق قد وصل إلى مرحلة جدِّية من مراحل الخطورة التي تستهدف العراق، وكنتُ ساذجاً بما يكفي لكي أتصور أنَّ إيران ستكون بعيدة عن التخطيط الأمريكي الصهيوني لمستقبل العراق والغدر به حتى بالتوافق الموضوعي أو غير الموضوعي مع الشيطان الأكبر مرة أخرى بعد تجربة التعامل معها إبّان العدوان الأمريكي الأطلسي الصهيوني الرجعي المسلم والعربي في العام ١٩٩١م، فتخيلت أنَّ هناك إمكانية لتلاقي إيراني - عراقي على أرضية وضوح الموقف السياسي الأردني الذي يمثله ويقوده الملك حسين بن طلال، [١]، فإلتقيتُ أحد أعضاء الوفد الصحفي الإيراني الذي كان يقوم بزيارة خاصة إلى لبنان.

وكان هذا العضو هو محمد صادق الحسيني المولود في النجف الأشرف، وهو شقيق محمد صالح الحسيني الذي عُرفَ بعقده صفقات السلاح مع البولنديين لصالح قوات ما يُسمى بالحرس الثوري الإيراني، والذي قُتل في بيروت في أوائل الثمانينات. كان محمد صادق الحسيني شيوعياً لجنوياً في الستينات، وأصبح من تنظيم القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في أعقاب إنشقاق تنظيم عزيز الحاج في ١٧/ ٩ / من عام ١٩٦٧م، ومن ثم صار صيني الهوى والإتجاه في السبعينات، وفي أواخرها إنضم إلى «التكتل الماركسي / الخميني» الذي كان يقوده العديد من «المفكرين اليساريين» وعلى رأسهم السيد منير شفيق عسل، القيادي في تيار حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»: «اليساري».

لقد ترقبت عودته من لبنان، وبعد تحين لحظة من عودته من بيروت إلى العاصمة العربية دمشق، التي كنت أقيم فيها إلتقيت به. لقد عرَّفني بالسيد محمد صادق الحسيني الفقيد السيدُ المناضل حسين رياحي: المثقف والمؤلف [ألَّـف كتاباً بأربعة أجزاء حول المسألة الفلاحِيّـة في إيران] والمترجم [ترجم بعض قصص الشهيد غسان كنفاني] وقائد منظمة إتحاد كومنيستهاي إيران: أي إتحاد الشيوعيين الإيرانيين التي كانت تصدر صحيفة «الحقيقة» السرية الذي أعدمته السلطة الفارسية الخمينية [هو وكوكبة من رفاقه الأمجاد] في الثمانينات بعد أنْ قاد إنتفاضة مدينة «آمُل» ضد السلطة الخمينية. لقد كان الخالد الذكر السيد حسين الرياحي من المؤازرين لنظام محمد مصدَّق الذي ثار على الأمريكيين في أوائل الخمسينات. ومن السياسيين الناشطين في معارضة نظام الشاه الفارسي محمد رضا بهلوي، وتنقل بين عُمان: في الجبهة الشعبية لتحرير عُمان ولبنان إبان تواجد المقاومة الفلسطينية بحكم الأمر الواقع وسوريا واليمن «الجنوبي» وباريس وبعض الدول الغربية.

وكان في العراق خلال أعوام السبعينات بطبيعة الحال، وشغل بعض المواقع الإعلامية في الإذاعة العراقية/ القسم الفارسي، ومنها كان يوجِّه دعواته السياسية والفكرية التحريضية ضد نظام وسلطة الشاه

الفارسي، في أوائل السبعينات من القرن المنصرم، ولم تمنع نصائحه للخميني في السبعينات حول العديد من المسائل السياسية التي تمس صميم المواقف السياسية الإيرانية المطلوبة، وتقديم بعض الآراء حول طبيعة العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، وضرورات إتخاذ المواقف العملية من تلك التطورات، وإصدار بيانات كان يكتبها تكثف مواقف جميع الوطنيين الإيرانيين بإسم الخميني، ووجوب تسجيل المواقف السياسية الهامة، وضرورة توجيه بعض الرسائل حول تلك القضية الحيوية أو هذه... لم تمنعه من تلقي مصيره بالإعدام شنقاً على أيدي سلطته الأمنية في مرحلة حكومة مير حسين موسوي بالرغم من كفاءاته المتعددة وتاريخه النضالي الطويل.

كما لم تمنع هدية الخميني له بمناسبة زواجه من السيدة نوال الصفار المذيعة في القسم الفارسي بدار الإذاعة العراقية التي تشير إلى طبيعة العلاقة بين «الرمزين» بإنقاذ رقبة القائد حسين الرياحي: أبو كاوه من حبل المشنقة، فذهب ضحية الجور السلطوي الكهنوتي الطائفي مثَله مثَل عشرات الألوف من شهداء منظمة مجاهدي خلق بقيادة المناضل مسعود رجوي، ومنظمات مجاهدي خلق: أقليت: اليسارية بقيادة إحدى كوادرها، ومنظمة بيكار، وكذلك من أبناء القوميات المختلفة التي تتشكل منها الدولة الإيرانية: العرب والأكراد والأذر وغيرهم الكثير.

كان السيد حسين خاميار هو الوسيط لإجراء ذلك اللقاء، وهو مدير وكالة الأنباء الفارسية في دمشق، وهو شقيق عباس خاميار الشخصية المتنفذة في أجهزة الدعاية السياسية الإيرانية، وكلاهما ينحدرون من أسرة فارسية كانت تقيم في مدينة كربلاء المقدسة التي تقيم فيها جالية إيرانية لا تتجاوز الثلاثة عشر ألف حتى بداية السبعينات. وكانت هذه الجالية تلقى الرعاية والعطف من أهالي كربلاء بسبب موقع مدينتهم التي تضم رفات الشهيد الغريب الحسين بن علي وأخيه الشهيد العباس بن علي بن أبي طالب عليهم رضوان الله تعالي، وصفة الغريب تركت أثراً عميقاً من الإحساس بالذنب على نفوس الكربلائيين، وما عرفوا أنَّ الحسين العربي الهاشمي هو غير أبناء اللؤم الفارسي بالرغم من أنَّ الخبرة العملية التي عرفها أهل كربلاء ولمسوها لمس اليد، برهنت على كونهم كالعقارب السامة التي تلدغ بذنبها المسعور كل مَنْ يتفضل عليها، وهم أشبه بالحية الصفراء السامة التي تعض ضحاياها قبل أنْ تضم رأسها، كما هو متعارف في كربلاء.

وفي لقاء بمنزل أحد الأصدقاء الهاشميين العرب ومن المتدينين المؤمنين حقاً وفعلاً جرى الإلتقاء بذلك الوفدالإيراني الذي كان يزور بيروت، وبحضور صاحب المنزل والسيد حسين خاميار، وأثير في ذلك اللقاء معنى هروب حسين كامل من العراق ولجوئه إلى الأردن على ضوء إتجاهات حسين الملك الأردني السياسية ومدى علاقته بالمخططات الإسرائيلية والرؤية الأمريكية، ولكن الحسيني حاول التهرب من التحليل السياسي الملموس للموقف السياسي الملموس، عبر الحديث عن «التسوية السلمية للقضية

الفلسطينية»، وراح يقدم تحليلاً سياسياً عن الفروق الملموسة عن التسوية الأسدية / السورية والتسوية الرجعية / العرفاتية، وكذلك الحديث المفصّل عن التسوية القومية الحقة والتسوية الصهيونية الباطلة، وكان تحليله صدى لما كتبه آنذاك عن هذه المسألة في جريدة «الحياة» اللبنانية - كما قال - التي تصدر في العاصمة البريطانية: لندن والذي يمتلكها الأمير خالد بن سلطان آل سعود: قائد القوات المشترَكة والمشترِكة في العدوان الغادر على العراق في عام ١٩٩١م.

وجرى التصدي له بالقول: إنّ التسوية السياسية بين الفلسطينيين والإسرائيليين لن تكون إلا إستسلامية، لأن المعيار هو ملكية الأرض، وعودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه هو المقياس، وغير ذلك كله هو من قبيل المعايير والمقاييس الباطلة والرجعية والمغرضة، ثم أضفت: هل تبَدَّل موقفك السياسي؟ فقبل سنوات كنتَ داعية سياسية وثورية وتؤمن بطريق الكفاح المسلح، وسطّرت العديد من الآراء حول تلك المقولات، فما عدا مما بدا؟! حتى تنادي بالتسوية الأسدية وغير الأسدية؟. وتساءلت: أأنت تمثل نظام سياسي أم تعتبر نفسك سياسياً ثورياً؟.

أجاب السيد صادق الحسيني أنني أرغب بالذهاب من سورياً سالماً ولا أريد أي تأخير في «مطار الشام»، وسيكون موعد سفري بعد ساعات. فأضفتُ أيضاً: وأنا لم آتِ للحديث عن سوريا، ولكن أريد معرفة الموقف السياسي الإيراني على ضوء مخطط الملك حسين بن طلال تجاه العراق والمعاني التي تنطوي عليه إستيعابه الأمني والسياسي لحسين كامل. وكلما راوغ بالحديث، كنت أرجعه لجادة الحديث عن دلالات الخطوة السياسية بالنسبة إلى إيران، ولمّا أعياه الهروب من مناقشة المسألة المحسوسة المطروحة للنقاش، أجاب بوضوح وبما ملخصه: =

=كلُ مَنْ يتصور عن أنَّ إيران ستتخلى عن مطالبها السياسية سيكون واهماً، ولما سألته عن ماهية تلك المطالب وما علاقة ذلك في الصراع بالمنطقة وعلى المنطقة، أجاب: إنّ إيران تنتظر بفارغ الصبر: التدمير الشامل للعراق، وتحطيمه ألف مرة قبل أنْ تذهب إلى الأمم المتحدة للمطالبة بالتعويض المالي، ذلك هو الثابت في سياستها، وليكف الجميع عن التفكير الواهم بالمباديء والأفكار والقيم والدين الحنيف، وعن الإستمرار بأحلامهم السياسية، فالمصلحة الإيرانية أولاً وأخيراً، وباقي الناس ومن كل القوميات تراب في تراب.

مقالة كتبها الأستاذ عبد الواحد الجصاني، ونشرها في موقع البصرة، جديرة بالقراءة لمعرفة كيفية التخطيط الإيراني حول العدوان على العراق:

«بحث تاريخي حول العدوان الإيراني على العراق

بمناسبة ذكرى ذلك العدوان واستمراره ثمان سنوات

مقدمة ضرورية: هذا الموضوع المهم الذي يتعلق بمرحلة تاريخية مر فيها العراق، يتسم بطابع حيوي ويستند إلى توثيق تاريخي، لا يمكن أنْ يكتبه سوى مَنْ تابع التطورات بشكلٍ كامل، وقرأ كتابات صناع الأحداث، أو المشرفين على البعض العالمي والمؤثرين به. باقر الصراف.

للعراق كل الحق في مطالبة إيران بتعويضات الحرب

بقلم الدكتور عبد الواحد الجصاني

بغداد - ٣٠ / ٨ / ٢٠٠٦م

بتاريخ ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٦م سلـَّم وزير الخارجية الإيراني إلى وزير خارجية حكومة العراق المنشأة تحت الِاحتلال ملفا يحتوي على لائحة إتهام ضد الرئيس صدام حسين وقيادة العراق الشرعية لتقدم إلى المحكمة الجنائية العراقية العليا بهدف تجريم العراق بتهمة شن الحرب على إيران. وتسعى إيران من خلال هذه الخطوة تثبيت مسؤولية العراق عن الحرب العراقية الإيرانية تمهيدا للمطالبة بتعويضات بمئات المليارات من الدولارات أو بالِاستيلاء على حقول نفطية في جنوب العراق ومنها حقل مجنون النفطي لسداد هذه التعويضات.

إنَّ الوثيقة الأساسية التي تستند إليها إيران في دعواها بمسؤولية العراق عن الصراع هي رسالة الأمين العام للأمم المتحدة خافير بيريز ديكويلار إلى رئيس مجلس الأمن المؤرخة ٩/ ١٢/ ١٩٩١م التي جاء فيها (إن الهجوم على إيران يوم ٢٢/ ٩/ ١٩٨٠م لا يمكن تبريره في إطار ميثاق الأمم المتحدة أو أية قواعد أو مباديء معترف بها في القانون الدولي أو أية مباديء أخلاقية دولية، وهو ينطوي على المسؤولية عن الصراع). (وثيقة الأمم المتحدة S/23273).

ولو عدنا إلى الوقائع لتبين أن رسالة ديكويلار هذه كانت الثمن الذي قبضته إيران في صفقة عقدتها مع الولايات المتحدة بوساطة الأمم المتحدة. صفقة تنتهك ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي وأية مباديء أخلاقية دولية وتجلب العار لكل من شارك فيها. جوهر الصفقة هو الإفراج عن الرهائن المدنيين الأمريكان الذين إختطفتهم تنظيمات تابعة لحزب الله في لبنان خلال الفترة ١٩٨٥م- ١٩٨٨م مقابل

توجيه الأمين العام للأمم المتحدة رسالة إلى مجلس الأمن يحمل فيها العراق مسؤولية شن الحرب على إيران تحت غطاء تنفيذ الفقرة السادسة من قرار مجلس الأمن ٥٩٨ (١٩٨٧م) التي تقول: (يطلب إلى الأمين العام أن يستطلع، بالتشاور مع إيران والعراق، مسألة تكليف هيئة محايدة بالتحقيق في المسؤولية عن الصراع وأن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن في أقرب وقت ممكن).

تفاصيل هذه الصفقة مثبتة بالوقائع والأسماء في مذكرات وكيل الأمين العام للأمم المتحدة جيادومينيكو بيكو «Giadomenico Picco» في كتابه الموسوم رجل بلا سلاح (Man without a gun)، الصادر عن دار النشر Times Books عام ١٩٩٩م.

يستعرض وكيل الأمين العام للأمم المتحدة السيد جيادومينكو بيكو في مذكراته بإسهاب تفاصيل المحادثات السرية الطويلة والمضنية التي أجراها خلال الفترة ١٩٨٨م – ١٩٩١م مع الجانب الإيراني بدءاً بالرئيس رفسنجاني ووزير الخارجية ولاياتي ومندوب إيران لدى المقر الأوربي للأمم المتحدة سايروس ناصري ومندوب إيران لدى الأمم المتحدة كمال خرازي ونائبه السفير جواد ظريف إضافة إلى سفيري إيران في دمشق (أخطري) وفي بيروت (زمانيان) اللذان هيئا له لقاءاته بالخاطفين. كما يستعرض السيد بيكو في مذكراته كيف تغيرت مطالب إيران مقابل إطلاق الرهائن الأمريكان في لبنان حسب تغير الظروف. فكانت خلال الحرب العراقية الإيرانية تركز على الحصول على الأسلحة وقطع غيارها من أمريكا وإسرائيل والتي عرفت فيما بعد بفضيحة إيران غيت.

وبعد وقف إطلاق النار في ٨/ ٨/ ١٩٨٨م أصبح طلب إيران العاجل من أمريكا هو دعوة العراق الموافقة على إتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥م التي ألغاها العراق عام ١٩٨٠م بسبب تدخل إيران في شؤون العراق الداخلية وإطلاق سراح عناصر (الدعوة الإسلامية) الذين قاموا بتفجيرات في الكويت عام ١٩٨٣م، وإطلاق الأرصدة الإيرانية المجمدة في أمريكا. وبعد دخول القوات العراقية الكويت وإنفتاح المواجهة الأمريكية – العراقية على كل الجبهات وجدت إيران الفرصة سانحة لرفع سقف مطالبها فطالبت بإستخدام الفقرة السادسة من القرار ٥٩٨ (١٩٨٧م) لإدانة العراق وإعتباره مسؤولاً عن شن الحرب على إيران. ووافق الأمريكان وتمت الصفقة وأطلق سراح الرهائن الأمريكان جميعا.

وبعد إطلاق سراحهم وجه الأمين العام للأمم المتحدة في ٩/ ١٢/ ١٩٩١م رسالة إلى مجلس الأمن يبلغه فيها أنَّ العراق يتحمل مسؤولية الحرب العراقية الإيرانية. وجدير بالذكر أنَّ هذه الصفقة السرية جرت تحت غطاء سعي الأمم المتحدة لتحقيق تبادل للأسرى بين لبنان وإسرائيل. وكان الخاطفون يطالبون بإطلاق سراح السجناء اللبنانيين في إسرائيل (٦٠٠ أسير) وبالذات الشيخ عبد الكريم عبيد. إلاّ أن الصفقة إنتهت بإطلاق واحد وتسعين منهم فقط ولم يكن الشيخ عبيد من بينهم. كما أن السيد بيكو وعد إيران أن تكون الصفقة مدخلا لتحسين العلاقة بينها وبين أمريكا لكن الأمريكان رفضوا ذلك بعد إطلاق آخر رهينة أمريكي.

ثانيا: اِستعراض موجز لما جاء في مذكرات بيكو

١ - يقول بيكو إن الشيخ محمد حسين فضل الله بعد عودته من النجف إلى لبنان أنشأ حركة الدعوة الإسلامية في لبنان والتي ولد من رحمها حزب الله عام ١٩٨٢م. وذكر أن أعضاء لبنانيين من هذه الحركة قاموا في الثاني عشر من كانون الأول ١٩٨٣م بسلسلة تفجيرات في الكويت (بهدف معاقبة الكويت على دعمها للعراق في حربه ضد إيران) وألقيَ القبض عليهم وكان عددهم ١٧ شخصا وحكموا بالإعدام ثم خفف إلى السجن المؤبد. ومن هنا برزت فكرة اِختطاف مواطنين غربيين، وبالذات أمريكان، في لبنان لكي تضغط حكوماتهم على الكويت لإطلاق السبعة عشر المسجونين لديها (ص ١٢١). وبعد بدء عمليات اِختطاف الغربيين في لبنان وعرض مبادلتهم بالسبعة عشر سجينا في الكويت لم تستجب الولايات المتحدة ولا الكويت لهذا الطلب. ويضيف أنه شخصيا تجاهل هذا الطلب لأنه لا يستحق النظر فيه، (ص ١٢٥).

٢ - ويقول بيكو إنه خلال عمله ضمن فريق الأمم المتحدة لإنهاء الحرب العراقية الإيرانية بدأ بإثارة موضوع الرهائن الغربيين في لبنان مع المسؤولين الإيرانيين لعلمه أن الرابط الأيديولوجي بين الثورة الإيرانية والمجموعات اللبنانية التي أعلنت مسؤوليتها عن خطف الرهائن لم يعد سراً، لكن المسؤولين الإيرانيين اِستمروا لسنوات إبلاغه أن حكومتهم لا علاقة لها بهذه المجموعات. وفي عام ١٩٨٩م عندما بدؤوا بالتفاوض معه حول الرهائن اِعتذروا له عن موقفهم السابق وقالوا إن سببه أن الظروف لم تكن ناضجة لبحث الموضوع. وأضاف (في نهاية عام ١٩٨٨م خولني الأمين العام، بعد أن أخذ موافقة الأمريكان، أنْ أتصل بالإيرانيين طلباً لمساعدتهم في إطلاق سراح الرهائن الأمريكان في لبنان. وكان أول اِتصال لي يوم ١٤/ ٣/ ١٩٨٩م مع سابروس ناصري سفير إيران لدى المكتب الأوربي للأمم المتحدة في جنيف وطلبت منه أن التقي بالرهائن لأطمئن على صحتهم وأن التقي بالخاطفين لِاتعرف على مطالبهم وأكون وسيطا لهم). (ص ٩٩ و ١٠٠).

٣ - وفي ٢٣/ ٤/ ١٩٨٩م اِلتقى الأمين العام للأمم المتحدة (ديكويلار) في نيويورك بوزير الخارجية الإيراني ولاياتي وعرض مقترح الوساطة الذي قدمه بيكو لسايروس ناصري ووعد ولاياتي بدراسة الطلب وأضاف إن بعض اللبنانيين أخبروه بأنَّ الرهينة الأمريكي هيغينس (ضابط أمريكي يعمل في قوات الأمم المتحدة في لبنان - يونيفيل) قتل في تموز ١٩٨٨م ردا على إسقاط الأمريكان طائرة مدنية إيرانية فوق مضيق هرمز. (ص ١٠٦).

٤ - وفي ٣٠/ ٥/ ١٩٨٩م وخلال زيارة السيد بيكو إلى طهران لمتابعة مواضيع تتعلق بأفغانستان أخبره وزير الخارجية الإيراني ولاياتي أن الخاطفين يريدون لقاءه في دمشق، لكنه لم يحدد موعدا للقاء، (ص ١٠٧).

٥ - وفي ١٧/٨/١٩٨٩م أبلغ ولاياتي وزير خارجية الباكستان إنه مستعد للمساعدة في إطلاق سراح الرهائن الغربيين في لبنان مقابل قيام الولايات المتحدة ببعض الخطوات تثبت من خلالها أنها لم تعد معادية لإيران.

وبعد ذلك بعدة أيام أرسل الرئيس بوش (الأب) مستشاره للأمن القومي السيد سكوكروفت إلى نيويورك وأبلغ ديكويلار أن بوش مستعد لخطوات متبادلة مع إيران للتخفيف من حِدة التوتر بين البلدين وبما يسمح بإطلاق الرهائن، (ص ١١٠).

٦ - وإستنادا إلى هذا اللقاء ذهب بيكو إلى طهران والتقى بالرئيس رفسنجاني يوم ٢٥/٨/١٩٨٩م ونقل له رسالة بوش (الأب) في الرغبة بتحسين العلاقات بين البلدين وإن بوش يريد إطلاق الرهائن الأمريكان في لبنان، وسيتخذ بالمقابل إجراء بشأن الأموال الإيرانية المجمدة في الولايات المتحدة ومبادرات أخرى إستناداً إلى المبدأ الذي أعلنه يوم تنصيبه وهو أن النوايا الحسنة تستجلب نوايا حسنة. أجاب رفسنجاني أن علاقات بلاده إنقطعت مع الخاطفين منذ فترة وهم ليسوا من جماعة حزب الله التقليديين، وأن بلاده أجرت الإتصال بهم سابقا بناء على طلب ماكفرلن (مستشار الأمن القومي الأمريكي الذي زار طهران سرا عام ١٩٨٥م لترتيب الصفقة التي عرفت لاحقا بفضيحة إيران غيت) ولكن بعد أن لم يف الأمريكان بوعودهم إنزعجت هذه الجماعات ومن الصعب أن نعيد الإتصال بهم. وأضاف رفسنجاني إن الخاطفين يريدون أولاً إطلاق سراح الشيخ عبيد (خطفته إسرائيل من جنوب لبنان يوم ٢٨/٧/١٩٨٩م) كما أنَّ أمريكا جمدت أرصدتنا بلا أساس قانوني ومع ذلك تريدنا أن نتدخل في قضية لا مصلحة لنا في التدخل بها ونحن مثل الرئيس بوش لدينا مشاغل داخلية وعلى الأمريكان أن لا ينتظروا منا شيئاً مقابل إطلاق أرصدتنا، ولكي نساعد أمريكا فعليها تقديم مبادرات حسن نية ومن ذلك أن عليهم إيقاف عدائهم غير المبرر لنا، (ص ١١٢ - ١١٣ - ١١٤).

٧ - وفي قمة بلغراد لحركة عدم الإنحياز في أيلول ١٩٨٩م التقى ديكويلار مع وزير خارجية إيران ولاياتي الذي طلب أن ترفع الولايات المتحدة، كخطوة أولى، التجميد عن ١٠٪ من الأرصدة الإيرانية. ثم بعد عدة أسابيع طلب ولاياتي من ديكويلار أن تدفع أمريكا تعويضات لركاب الطائرة المدنية الإيرانية التي أسقطت فوق الخليج عام ١٩٨٨م، (ص - ١١٨).

٨ - خلال مشاركة الرئيس بوش (الأب) في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول ١٩٨٩م أبلغ ديكويلار إنه علم بعرض ولاياتي إطلاق ١٠٪ من أرصدة إيران المجمدة ولم يعلق عليه. وبعد ذلك بعدة أيام أي في ١٩/٩/١٩٨٩م أبلغ جيمس بيكر ديكويلار أن بلاده لن تجيب على رسالة رفسنجاني حتى لا تبدو الولايات المتحدة متعطشة للتعامل مع إيران، (ص ١١٥).

٩ - وفي بداية عام ١٩٩٠م عين كمال خرازاي مندوبا دائما لإيران لدى الأمم المتحد وأبلغ بيكو أن شروط إيران للتوسط في موضوع إطلاق الرهائن في لبنان هي رفع التجميد عن الأرصدة الإيرانية ودعم أمريكا لإتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥م وحث العراق على الإنسحاب من بعض الأراضي الإيرانية التي لا يزال يحتلها، (ص ١١٨).

١٠ - ويقول بيكو: «أغنانا النظام العراقي عن مناقشة طلبات إيران ففي الثاني من آب ١٩٩٠م دخلت القوات العراقية الكويت وحررت جميع السجناء بضمنهم السبعة عشر الذين قاموا بتفجيرات الكويت. ثم فاجأنا صدام من جديد بقبوله في ١٥ آب ١٩٩٠م بإتفاقية الجزائر»، (ص ١٢٥).

١١ - ويذكر بيكو أنَّ عدد الرهائن في نهاية آب ١٩٩٠م كان ستة أمريكان وبريطانيان وألمانيان ويستعرض بيكو أسماء الرهائن الأمريكان وهم مدنيون: موفد الكنيسة الأنجليكانية (تيري ويت) الذي توسط لإطلاق الرهائن ومراسلو صحف وأساتذة جامعة.. أما الألمانيان فقد كانا رهينتين لدى أسرة حمادي لمبادلتهم مع إثنين من هذه الأسرة محتجزين في ألمانيا: الأول عن إختطاف طائرة TWA عام ١٩٨٥م، والثاني عن تهريب متفجرات إلى ألمانيا، (ص ١٤٨).

١٢ - وفي أواسط شباط ١٩٩١م قام السفير كمال خرازي بإبلاغ بيكو إنه يسعى لترتيب لقاء له مع الشيخ فضل الله. وفي ١٣ / ٤/ ١٩٩١م سافر بيكو إلى طهران لترتيب موضوع اللقاء حيث التقى بوكيل الخارجية الإيراني ومنها إلى دمشق ومن دمشق إلى بيروت. ويضيف (في بيروت التقيتُ بالشيخ فضل الله، والذي يسمونه خميني لبنان وهو الأب الروحي لحزب الله. وعبر الشيخ فضل الله عن أمله في أن تتحسن العلاقة بين أمريكا وإيران وقال إنه ليس صاحب قرار في موضوع الأسرى لكنه مستعد للمساعدة وأكد أن خطف الرهائن يتعارض مع عقيدته الإسلامية وأثنى على دور الأمم المتحدة وقال إن دورها يحفظ ماء الوجه للجميع ولا يعطي الإنطباع بأنَّ هناك صفقة ما)، (ص ١٣٩-١٤٢). وجدير بالذكر إن رأي السيد فضل الله هذا هو نفس رأي سكوكروفت الذي كان يلح على أن تظهر الأمم المتحدة أنها تسعى لتبادل الأسرى بين لبنان وإسرائيل حتى لا تبدو أن هناك صفقة تجري على حساب الرهائن ولكي لا تتعامل أمريكا مباشرة مع إرهابيين، (ص ١٤٩).

١٣ - يقول بيكو إنه كان يضغط على الإيرانيين وعلى الخاطفين للإسراع في إنجاز الصفقة قبل نهاية عام ١٩٩١م، موعد ترك ديكويلار منصبه كأمين عام للأمم المتحدة.

١٤ - التقى بيكو مع السفير جواد ظريف في ٢٧ تموز ١٩٩١م الذي أبلغه إن حكومته تتحرك بسرعة لمساعدة الأمين العام في غلق ملف الرهائن قبل نهاية مدة الأمين العام وإن الرئيس رفسنجاني يرغب في أن يزور ديكويلار طهران قريبا لوضع اللمسات الأخيرة على الإتفاق. وقال بيكو (كان جوهر إتفاقي مع ظريف هو أن تعمل إيران مع المجموعات اللبنانية لتحرير الرهائن الغربيين مقابل أن تقدم

الأمم المتحدة الفقرة ٦ من القرار ٥٩٨، أما إذا إستطعنا أن نحصل على أكثر من ذلك أي تحرير السجناء اللبنانيين في سجون إسرائيل وتقديم معلومات عن الدبلوماسيين الإيرانيين الأربعة المفقودين في بيروت وعن الجنود والطيار الإسرائيلي (رون أراد) المفقودين في لبنان فسيكون ذلك كالقشطة التي توضع فوق الكعكة، لكن أصل اللعبة هي الفقرة السادسة. وكنا نعلم أن إيران تريد إدانة رسمية للعراق لشنه الحرب على إيران لكننا لم نكن نعلم كم كان ذلك مهماً لإيران من الناحية السياسية). وأضاف بيكو: (قلت لظريف إننا نستطيع التعامل مع مقترحك حول الفقرة السادسة فأجاب ستكون زيارة ديكويلار ناجحة لو نُفذت الفقرة السادسة)، (ص ١٥٠ - ١٥١).

١٥ - وفي ١/٨/١٩٩١م إلتقى ديكويلار بمندوب إيران الدائم لدى الأمم المتحدة السفير خرازي وأبلغه إنه ينوي البدء بإجراءات تنفيذ الفقرة السادسة ويريد أيضا إغلاق ملف الرهائن بأسرع وقت، (ص ١٥١).

١٦ - وفي الأيام التي تلت لقاء ديكويلار مع خرازي عمل بيكو مع جواد ظريف على وضع تفاصيل مقترحات إطلاق سراح الرهائن وتنفيذ الفقرة السادسة، (ص ١٥١).

١٧ - وفي ٧/٨/١٩٩١م قام ديكويلار بإبلاغ سكوكروفت بهذه التطورات، (ص ١٥٢).

١٨ - في ١٠/٨/١٩٩١م أطلق سراح الرهينة الأمريكي السيد تريسي، (ص١٥٢).

١٩ - إلتقى بيكو في مقر السفارة الإيرانية في بيروت يوم ١١/٨/١٩٩١م مع السفير الإيراني زمانيان الذي أبلغه بأنه أجرى الترتيبات للقائه مع الخاطفين وطلب منه الخروج من السفارة والتمشي في الشارع ومن هناك ستأتي سيارة لأخذه إلى مكان اللقاء. وجاءت السيارة والتقطته وعصبت عيناه وأخذ إلى مقر الخاطفين (الصفحتان ١٥٢-١٥٣). خلال حديثه مع الخاطفين الملثمين خمّن أنهما عماد مغنيه ونسيبه مصطفى بدر الدين. ووقتها كان عماد مغنيه مسؤول الأمن الخاص في حزب الله وكان قبلها الحارس الشخصي للشيخ فضل الله ويعتقد انه شارك في خطف طائرة TWA عام ١٩٨٥م وطائرة الجابرية الكويتية عام ١٩٨٨م. أما نسيبه مصطفى فقد كان ضمن المجموعة التي قامت بتفجيرات الكويت عام ١٩٨٣م وأفرج عنهم العراق بعد دخوله الكويت. ويذكر بيكو أن اللقاء ركز على موضوع إطلاق الأسرى اللبنانيين لم يتفق فيه على شيء محدد (ص ١٦١). وتلت ذلك عدة لقاءات لبيكو مع الخاطفين يبدو أن هدفها إعطاء الإنطباع أن الأمم المتحدة تتصل بالخاطفين لإطلاق سراح الرهائن وتحويل الأنظار عن الصفقة الإيرانية الأمريكية.

٢٠ - وفي يوم ٢٠/٨/١٩٩١م وصل بيكو إلى طهران للتحضير لزيارة ديكويلار. وفي يوم وصوله التقى بوزير الخارجية ولاياتي الذي وكان شاغله الأساسي معرفة ما عملته الأمم المتحدة بشأن الدراسة التي تعدها حول المسؤولية عن الحرب العراقية الإيرانية أو ما إصطلح عليه بالفقرة السادسة.

فأجابه بيكو أن ثلاثة أساتذة أوربيين أوكل لهم الأمين العام دراسة المسألة. وسأل بيكو ولاياتي هل ستكون زيارة ديكويلار لطهران ناجحة؟ أجاب ولاياتي إنه مسرور لأن الفقرة السادسة تحت نظر الأمم المتحدة، وفهم بيكو مغزى إشارة ولاياتي، (ص ١٧١).

٢١ - وفي لقاء ديكويلار برفسنجاني في طهران يوم ١١/ ٩/ ١٩٩١م بدأ رفسنجاني الحديث عن الفقرة السادسة وأهميتها وسأل عن موعد صدور التقرير بشأنها فأجاب ديكويلار إنه يأمل إصداره في نهاية تشرين الأول. فأجاب رفسنجاني إن تقرير الفقرة السادسة مهم جدا لإيران، وإن إيران كانت تربط نهاية أزمة الرهائن بالإفراج عن الأموال الإيرانية المجمدة في الولايات المتحدة أما الآن فإنها أزالت هذا الربط وتركز على الفقرة السادسة، (ص ١٨١).

٢٢ - بعد لقاء ديكويلار برفسنجاني اِلتقى بيكو بالمفاوضين الإيرانيين من جديد الذين أمطروه بالأسئلة محاولين معرفة طبيعة وموعد صدور تقرير الفقرة السادسة ويضيف بيكو، (كان التقرير وسيلة الضغط الوحيدة لدينا على الإيرانيين. وبغض النظر عن مواقف الحكومات، لم أقبل أن أقترح على الأمين العام أن يطلق التقرير قبل إطلاق آخر رهينة أمريكي)، (ص ١٨٤). وفعلا أطلق جميع الرهائن الأمريكان ثم صدر التقرير، (أي رسالة الأمين العام إلى مجلس الأمن بموجب الفقرة السادسة من القرار ٥٩٨).

٢٣ - ويقول بيكو «بعد إطلاق جميع الرهائن الأمريكان اِستقبلنا الرئيس بوش أنا وديكويلار في البيت الأبيض وقلدنا أوسمة وكان خمسة من الرهائن الأمريكان المحررين حاضرين في الحفل. وكان هذا اليوم تاريخيا لسبب آخر وهو نشر رسالة الأمين العام إلى مجلس الأمن حول الفقرة السادسة الخاصة بالمسؤولية عن الحرب بين العراق وإيران. ولقد تطلب الأمر منا شجاعة وإصرارا. صحيح أنَّ هناك قليل من الشك حول مسؤولية العراق عن الحرب ولكن من الممكن أن يثار موضوع أنَّ التقرير كان ثمرة صفقة سهّلت فيها إيران عملية إطلاق الرهائن مقابل وثيقة تصف العراق بالمعتدي»، (ص ٢٦٧).

٢٤ - ويصف بيكو نهاية مهمته بالقول إنه بعد أن أطلق جميع الرهائن الأمريكيين و٩١ سجينا لبنانيا اِقترحتُ على سكوكروفت اِقتراحا متواضعا بقيام شركة أوربية بتزويد إيران بقطع غيار نفطية يستوجب الحصول عليها موافقة أمريكا، لكن سكوكروفت رفض المقترح. ولذا توجه في أواخر ربيع عام ١٩٩٢م إلى طهران والتقى بالرئيس رفسنجاني وقال له إنه جاء ليبلغه بأنه نكث بوعده في أن تكون صفقة إطلاق الرهائن مقابل الفقرة السادسة مدخلا لتحسين العلاقة الأمريكية الإيرانية حيث لم يقبل الأمريكان بادرة حسن نية بسيطة لتحسين العلاقة مع طهران. وقال إن رفسنجاني غضب وطلب منه مغادرة إيران بسرعة إذ لو سمع المتشددون بذلك فلن يسمحوا له بالمغادرة. وغادر إيران على عجل وقرر أن إنهاء عمله في الأمم المتحدة، (ص ٤ و٥).

ثالثا: هل كانت رسالة ديكويلار قانونية وتستجيب لمتطلبات الفقرة السادسة من القرار ٥٩٨

أجاز ميكافيلي إستخدام وسائل غير مشروعة للوصول إلى هدف مشروع. أما هذه الصفقة فكانت إستخداما لوسائل غير مشروعة لتحقيق هدف غير مشروع. ولأن الصفقة أعدت على عجل بين أطراف لا تحترم القانون الدولي، فقد كان مضمون رسالة ديكويلار إلى مجلس الأمن متناقضاً مع الإجراءات المطلوبة بموجب الفقرة السادسة من القرار ٥٩٨ ومخالفا لميثاق الأمم المتحدة. وأدناه الملاحظات عليها:

١ - تقول الفقرة الثانية من الرسالة «وفي أثناء المفاوضات التي جرت خلال السنوات الثلاث الماضية سنحت لي عدة فرص للتشاور مع الطرفين بشأن الفقرة السادسة. وفي حين أتاحت لي تلك المشاورات فهما معينا لوجهات النظر المتباينة التي يؤمن بها الجانبان، فإنها لم تصل إلى مرحلة يتولد فيها الشعور بإمكانية تقديم تقرير ذي مغزى إلى مجلس الأمن». هذا الفقرة تفضح الطبيعة السياسية للرسالة. فخلال السنوات الثلاث التي إنقضت منذ نهاية الحرب العراقية الإيرانية لم يتولد لديه شعور بإمكانية تنفيذ الفقرة السادسة، فما الذي إستجد الآن من حقائق أو وقائع بشأن موضوع الفقرة لكي يتولد لديه شعور بإمكانية تنفيذها؟ لا شيء غير أن إيران جعلت من تنفيذ هذه الفقرة لصالحها ثمناً لإطلاق المختطفين المدنيين الأمريكان في لبنان.

٢ - يقول ديكويلار في الفقرة الرابعة من رسالته (وبغية فهم الموضوع على أكمل وجه قررت أن أستشير على إنفراد بعض الخبراء المستقلين). وهذا مخالف لما طلبته الفقرة السادسة التي تقول (يطلب إلى الأمين العام أن يستطلع، بالتشاور مع إيران والعراق، مسألة تكليف هيئة محايدة بالتحقيق في المسؤولية عن الصراع وأن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن في أقرب وقت ممكن). وبموجب هذه الفقرة كان على الأمين العام أن يستشير العراق وإيران، أولا، عن التوقيت المناسب لتنفيذ هذه الفقرة، ثم عليه أنْ يستشير الدولتين حول أسماء الخبراء ومؤهلاتهم والتثبت من حياديتهم ويأخذ موافقتهما عليهم. كما كان عليه أن يبلغ مجلس الأمن بأسماء الخبراء الذين إتفق مع العراق وإيران على تكليفهم بالمهمة. ثم على الخبراء أن يعملوا كفريق لا أن يستشيرهم على إنفراد. ولكون موضوع المسؤولية عن الصراع مسألة حساسة تترتب عليها مواقف وإلتزامات تؤثر على السلم والأمن الإقليمي والدولي فكان المفروض بفريق الخبراء أن يعكف على دراسة حجج وأسانيد الدولتين ويدققها ويزور عاصمتي الدولتين ويلتقي مسؤوليهما ويتحقق من الوقائع المذكورة في وثائق البلدين.

فمثلا عندما يقول العراق أن لديه شاهد حي على شن إيران غارات واسعة على العراق قبل ٢٢/ ٩/ ١٩٨٠م وهو الطيار الإيراني الأسير (لشكري). فالمطلوب أن يتحقق الخبراء من ذلك ويزوروا الطيار في سجنه في العراق ويستفسروا منه عن مهمته الحربية فوق العراق وتاريخ إسقاط طائرته. وبعد إستكمال كل وسائل التحقق من وثائق الطرفين، يقدموا تقريرهم إلى الأمين العام الذي ينقل إستنتاجات

الخبراء إلى مجلس الأمن لا أنْ يستخدم هو آراء الخبراء المزعومين للوصول إلى اِستنتاجات لا أساس قانوني لها. علماً بأنَّ ديكويلار وجه رسالتين إلى حكومتي العراق وإيران يطلب فيهما موقف الدولتين من موضوع الفقرة السادسة. إيران أجابت بتسليمه ملفاً كاملاً بينما اِستفسر العراق منه عن سبب الطلب وتوقيته. ولم يكلف ديكويلار نفسه إجابة العراق بل اِكتفى بنقل وجهة نظر إيران فقط للخبراء المزعومين. وجدير بالذكر أن محكمة العدل الدولية عندما تنظر في قضايا أهون بكثير من موضوع المسؤولية عن الحرب تأخذ سنيناً من البحث والتقصي وسماع مرافعات الطرفين.

٣ - يقول في الفقرة السابعة من رسالته (وحتى لو كان هناك قبل اِندلاع الصراع بعض تعدٍ من جانب إيران على إقليم العراق، فإن هذا التعدي لم يكن يبرر العدوان العراقي على إيران الذي تبعه اِحتلال العراق المستمر لأراضٍ إيرانية خلال الصراع اِنتهاكا لحظر اِستعمال القوة الذي يعتبر إحدى قواعد القانون الملزم). وهنا أيضا تبرز مجانبته للحقيقة وتعدّيه على صلاحيات مجلس الأمن. فهو من جانب يقر بإعتداء إيران على إقليم العراق لكنه يسمي رد العراق على هذا التعدي على أرضه عدوانا. كما أن إطلاق وصف (العدوان) ليس من اِختصاصه كون مجلس الأمن هو الذي يقرر حصول عدوان من عدمه ومهمة الأمين العام هي (تنبيه مجلس الأمن إلى أية مسألة يرى أنها قد تهدد حفظ السلم والأمن الدولي - المادة ٩٩ من الميثاق). ولعل هذه السابقة الوحيدة في تاريخ الأمم المتحدة التي يعتدي فيها الأمين العام على صلاحيات مجلس الأمن بهذا الشكل الفاضح. أما إشارة الرسالة إلى (اِحتلال العراق المستمر للأراضي الإيرانية خلال الصراع) فهي غير صحيحة حيث اِنسحبت القوات العراقية من الأراضي الإيرانية عام ١٩٨٢م وكانت مستعدة لهذا الاِنسحاب منذ ٢٨/ ٩/ ١٩٨٠م لو وافق الإيرانيون على القرار ٤٧٩ (١٩٨٠م).

وبالمقابل كانت القوات الإيرانية تواصل اِحتلال أراض عراقية طيلة فترة الصراع. وفي سنين الصراع الأخيرة اِحتلت مواقع ومدن عراقية هامة كالفاو والشلامجه وجزيرة أم الرصاص وحقل مجنون النفطي وأجزاء كبيرة من المنطقة الجبلية في شمال العراق.

٤ - ولأن الصفقة عقدت بين طرفين يتربص أحدهما بالآخر فقد جاءت الفقرة التاسعة من رسالة ديكويلار لتأخذ من الإيرانيين ما أعطتهم إياه في الفقرات السابقة حيث جاء فيها: «ومن رأيي أنه لا طائل من وراء تنفيذ الفقرة ٦ من القرار ٥٩٨. ولمصلحة السلم وتمشيا مع تنفيذ القرار ٥٩٨ بصفته خطة سلام شاملة، يلزم الآن المضي في عملية التسوية. وما يستوجب العناية العاجلة الآن هو الحرص على إقامة علاقات سلمية بين الطرفين وعلى إقرار السلم والأمن في المنطقة بأسرها». أي أنَّ ديكويلار يطلب من مجلس الأمن أن لا يتخذ أي إجراء لتنفيذ الفقرة السادسة. وهنا يثار سؤال: إذا كان الأمين العام لا يرى طائلا من تنفيذ الفقرة السادسة فلماذا اِستشار الخبراء وأصدر أحكاما سياسية بشان مضمونها؟.

رابعا: المسؤولية عن بدء الحرب وعن إستمرارها

يقول العراق بأن الحرب بدأت في الرابع من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٠م بقصف جوي ومدفعي إيراني للأراضي العراقية صاحبه قيام وحدات من الجيش الإيراني بالإستيلاء على أراضي عراقية في المناطق الحدودية إضافة إلى رفض إيران إعادة أراضي عراقية إستولت عليها رغم إقرارها بعائديتها للعراق (سيف سعد وزين القوس). ويدعم العراق أدلته بشاهد حي هو الطيار الإيراني الأسير (لشكري) الذي أسقطت طائرته فوق العراق خلال تلك الغارات. ولقد وثّق العراق في ٢٦٠ مذكرة رسمية للأمم المتحدة وللجامعة العربية ولمنظمة المؤتمر الإسلامي مواقف وممارسات إيران العدوانية ضد العراق منذ قيام الجمهورية الإسلامية في عام ١٩٧٩م ومنها دعوتها إلى إسقاط النظام العراقي بالقوة (كون الحرب تبدأ في عقول البشر) ومنها ما نقله السيد بيكو نفسه في الصفحة ٧٠ من مذكراته عن لقاء ديكويلار بالرئيس صدام حسين يوم ٨/ ٤/ ١٩٨٤م حيث ذكر الرئيس صدام حسين أنه أرسل ثلاثة وفود إلى إيران مطالبا بوقف تدخلها في شؤون العراق الداخلية إلا أن الرئيس الإيراني بني صدر قال لأحد الوفود إذا أراد الجيش الإيراني الوصول إلى بغداد فلن يمنعه أحد، (ص ٧٠).

إضافة إلى تصريحات مسؤولين إيرانيين كثيرين على رأسهم خميني تدعو إلى إسقاط النظام السياسي في العراق وأقرنت هذه التصريحات بأعمال إرهابية من خلال إرسال مجاميع مسلحة من إيران إلى العراق قامت بعمليات تهدف إلى إغتيال أعضاء في القيادة العراقية وتفجير الأماكن العامة في المدن العراقية لإشاعة عدم الإستقرار.

أما إيران فإنها تقول إن الحرب بدأت يوم ٢٢/ ٩/ ١٩٨٠م بهجوم واسع غير مبرر شنته القوات المسلحة العراقية على الأراضي الإيرانية، وإن الأعمال العسكرية الإيرانية التي سبقت هذا الهجوم الواسع لم تكن أكثر من مناوشات حدودية.

وإذا كانت المسؤولية عن بدء الحرب قضية خلافية بين العراق وإيران، فإن مسؤولية إيران عن إستمرار الحرب هي قضية محسومة قانونا ولا يمكن لأحد أن يجادل فيها. فبعد نشوب الحرب بعدة أيام أصدر مجلس الأمن القرار ٤٧٩ في ٢٨ أيلول ١٩٨٠م دعا فيه إيران والعراق الى الوقف الفوري لإستخدام القوة وحل خلافاتها بالوسائل السلمية طبقا لمباديء العدالة والقانون الدولي. ووافق العراق على القرار بعد أيام من صدوره ولم توافق عليه إيران كما لم توافق على القرارات اللاحقة الصادرة من مجلس الأمن وهي القرارات ٥١٤ في ١٢/ ٧/ ١٩٨٢م و ٥٢٢ في ٤/ ١٠/ ١٩٨٢م و٥٥٢ في ١/ ٦/ ١٩٨٤م و٥٨٢ في ٢٤/ ٢/ ١٩٨٦م و٥٨٨ في ٨/ ١٠/ ١٩٨٦م و٥٩٨ في ٢٠/ ٧/ ١٩٨٧م. وهذه القرارات ملزمة للطرفين والعراق قبلها جميعا وإيران رفضتها جميعا لغاية ٨/ ٨/ ١٩٨٨م. لذا فإن إيران مسؤولة قانونا عن إستمرار الصراع طيلة هذه المدة.

وحتى لو أخذنا بالمنطق الإيراني القائل أنَّ العراق شن الحرب على إيران في ٢٢/ ٩/ ١٩٨٠م وأنَّ إيران كانت في حالة دفاع عن النفس، فإن المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة تنص على حق الدول في الدفاع عن نفسها إذا إعتدت قوة مسلحة عليها لحين إتخاذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي. ومجلس الأمن إتخذ التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي بقراره ٤٧٩ في ٢٨/ ٩/ ١٩٨٠م وقبله العراق أي إنتهى المبرر القانوني لإستخدام حق الدفاع عن النفس. لذا فإن رفض إيران تنفيذ قرار مجلس الأمن ٤٧٩ القاضي بوقف إطلاق النار يحولها إلى دولة معتدية ويرتب للعراق عليها إلتزامات منها المطالبة بالتعويضات عن الأضرار التي سببها العدوان الإيراني عليها من ٢٨/ ٩/ ١٩٨٠م ولغاية ٨/ ٨/ ١٩٨٨م.

أما لماذا أصرت إيران على المطلب غير القانوني وغير المنطقي بتحميل العراق مسؤولية الحرب ومطالبته بالتعويضات عن أضرارها قبل أن توقف إطلاق النار، فقد كشفت الوقائع أن إيران أرادت من وراء ذلك مواصلة الحرب يحدوها الأمل في إحتلال بغداد. ويروي السيد بيكو في مذكراته (ص٦٢) إنَّ الإيرانيين كانوا يرفضون قرارات مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ويتشبثون بمقولة زرادشت (العدالة أهم من السلام) ويقولون إن الحرب تنتهي عندما يحدد المعتدي ويدان ويدفع التعويضات.

ومن جانب آخر فقد كان العراق مقتنعا بمسؤولية إيران عن نشوب الحرب وعن إستمرارها إلا إنه لم يجعل ذلك شرطا لوقفها، بل إقترح تشكيل هيئة قانونية دولية محايدة تقوم بعد وقف إطلاق النار بدراسة دفوعات الطرفين وتقرير المسؤولية في ضوء ذلك. وفعلا توصل مجلس الأمن إلى صياغة مناسبة تضمنها قراره ٥٩٨ المؤرخ ٢٠/ ٧/ ١٩٨٧م (الفقرة السادسة) التي تطلب من الأمين العام (أن يستطلع، بالتشاور مع إيران والعراق، مسألة تكليف هيئة محايدة بالتحقيق في المسؤولية عن الصراع وأن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن في أقرب وقت ممكن تنفيذا لذلك الطلب).

وعندما تبددت أوهام إيران في تحقيق نصر عسكري حاسم على العراق وأصبحت على شفا الإنهيار العسكري الكامل أرسلت مندوبها الدائم لدى الأمم المتحدة السفير محلاتي ليلتقي يوم ١٨/ ٧/ ١٩٨٨م بالأمين العام للأمم المتحدة ويبلغه رسالة عاجلة من السيد خامنئي رئيس جمهورية إيران بالموافقة على القرار ٥٩٨ ويطلب منه إعلان الوقف الفوري لإطلاق النار (متناسيا حكمة زرادشت). وأجاب الأمين العام للأمم المتحدة أن عليه التشاور مع العراق لتحديد موعد وقف إطلاق النار. وبعد عدة أيام شعر حكام إيران أن تأخر وقف إطلاق النار لأيام إضافية أخرى قد يعصف بوجودهم، فأرسلوا مندوبهم الدائم السفير محلاتي لمقابلة الأمين العام للأمم المتحدة يستعجله في إعلان وقف إطلاق النار ويحذره بالقول: ()إعتبارا من اليوم فإن دم كل مدني إيراني يسقط هو في ذمة الأمم المتحدة». (الصفحة ٨٣ من مذكرات بيكو). وهذا إقرار إيراني بأن الطرف الذي يرفض أو حتى يؤجل وقف إطلاق النار لبضعة أيام

يتحمل مسؤولية الدماء التي تراق خلالها. فكيف بإيران وهي التي رفضت وقف إطلاق النار لمدة (٢٨٧٠) يوما؟!.

وبعد قبول إيران وقف إطلاق النار بدأت قوات البلدين الإنسحاب من أراضي البلد الآخر وبدأت الأمم المتحدة بالإشراف على تنفيذ بنود القرار بهدف الوصول إلى تسوية شاملة وعادلة ومشرفة مقبولة للطرفين.

وخلال الفترة من ٨/ ٨/ ١٩٨٨م ولغاية ٢/ ٨/ ١٩٩٠م لم تبذل إيران جهوداً جدية لحث الأمين العام على تنفيذ الفقرة السادسة من القرار ٥٩٨ (١٩٨٧م) الخاصة بالمسؤولية عن الصراع لأنها تعلم أنَّ لدى العراق من الأدلة والقرائن ما يجعل من المستحيل على أية جهة محايدة أن تحمّله مسؤولية بدء الصراع ناهيكم عن مسؤولية إستمرار الصراع لثمان سنوات الذي تتحمل إيران مسؤوليته بموجب القانون الدولي. ومما يؤكد ذلك أنها لم تجعل تنفيذ الفقرة السادسة لصالحها شرطا لإطلاق الرهائن الأمريكان في لبنان إلا بعد أن وجدت رغبة أمريكية لا حدود لها للتنكيل بالعراق، فركبت الموجة خاصة وأن هيمنة أمريكا على الأمم المتحدة كانت مطلقة بعد إنهيار المعسكر الإشتراكي وظهور نظام القطب الدولي الواحد.

خامسا: الخلاصة

١ - إنَّ رسالة الأمين العام بشأن مسؤولية العراق عن الصراع هي ثمرة صفقة لا قانونية ولا أخلاقية بين إيران والولايات المتحدة عبر الأمم المتحدة ولا قيمة قانونية لها. بل إنها تدين إيران التي ما كانت تلجأ لهذا الأسلوب غير الشرعي لو كانت مقتنعة بعدالة موقفها. كما إن هذه الصفقة تثير الشكوك بجميع مواقف وبيانات إيران حول الحرب بل وبمواقفها الدولية عموما. فالذي لا يتورع عن إستخدام وسائل غير مشروعة كخطف المدنيين لتحقيق إمتيازات سياسية على حساب دولة جارة لا علاقة لها بموضوع الخطف، غير جدير بأن يعامل كطرف دولي يحترم مسؤولياته بموجب القانون الدولي. ناهيكم عن تناقض هذا السلوك مع إدعاءاتها أنها دولة إسلامية تعتمد القرآن وسنّة الرسول (ﷺ) وأهل بيته الأطهار دستورا ومنهجا.

٢ - الوقائع القانونية تحمل إيران مسؤولية شن الحرب كونها الطرف الذي بدأ بالأعمال العدائية. وإيران مسؤولة بشكل لا يقبل الجدل عن إستمرار الحرب. لذا نقترح على القوى الوطنية العراقية بأن تعلن لشعب العراق وللعالم أجمع أنها ستبدأ حملة مطالبة إيران بالتعويضات عن عدوانها على العراق لثمان سنوات لتعرف إيران أنَّ للعراق دينا بذمتها لا يسقط بالتقادم، وإنَّ إيران قد تستطيع أن تخدع بعض الناس كل الوقت أو تخدع كل الناس بعض الوقت ولكنها لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت. كما نقترح أن توجه المنظمات القانونية العربية رسائل إلى الأمم المتحدة تطالب فيها فتح تحقيق حول رسالة ديكويلار كونها إنتهاكا فاضحا لمسؤولياته وصلاحياته بموجب ميثاق الأمم المتحدة، بل هي وصمة عار في جبين

الأمم المتحدة، كما تطالب أن تتخذ الأمم المتحدة من الإجراءات ما يمنع إستخدامها ختما لصفقات لا قانونية ولا أخلاقية في المستقبل.

٣ - ونأمل من حزب الله أن يراجع دوره في هذه الصفقة وكيف جرى إستخدام تنظيماته أداة لتنفيذ سياسة إيران العدوانية تجاه العراق وفق معادلة (حزب الله يخطف وطهران تفاوض وبغداد تدفع). هذه الوقائع تضاف إلى ما صرح به وزير الداخلية الإيراني الأسبق السيد محتشمي لصحيفة (شرق) الإيرانية يوم ٤/٨/٢٠٠٦م من أن مقاتلي حزب الله شاركوا بجانب الجيش الإيراني في الحرب العراقية الإيرانية، وما ذكره مقاتلو جبهة تحرير الأحواز عن مشاركة مقاتلي حزب الله في قمع إنتفاضتهم، وما هو معلن من مواقف قيادة حزب الله من المقاومة العراقية للإحتلال الأمريكي. ونأمل من قيادة حزب الله أن تقوم بمراجعة نقدية لمواقفها تلك وتعتذر لشعب العراق وتحصّن نفسها من التأثير الإيراني الضار وتحافظ على إستقلاليتها. [١].

٤ - نقترح قيام مراكز البحوث العربية بترجمة كتاب بيكو أو فصول منه ونشر الحقائق الواردة فيه. علما بأنَّ إيران بذلت جهودا كبيرة لثني بيكو عن إصدار الكتاب وتدخل جواد ظريف في مراجعة المسودة وحذف منها إشارات كثيرة. وبعد صدور الكتاب حاولت إيران رشوة بيكو من جديد بأنْ إقترحت على الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي عنان) تعيينه ممثلا شخصيا للأمين العام للأمم المتحدة لسنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات (وهو مشروع تبناه الرئيس خاتمي) وكان لها ما أرادت. كما نقترح أن تستضيف مراكز البحوث العربية السيد بيكو (وهو حاليا رئيس شركة إستشارات نفطية في نيويورك ورئيس منظمة الإستشارات غير الحكومية للسلام في جنيف) لمزيد من التوثيق لهذه الصفقة غير الشرعية. ولا شك أن لدى بيكو الكثير مما لم يقله في كتابه. وجدير بالذكر أنَّ مذكرات بيكو تضمنت أمور عديدة أخرى تستحق التوثيق ومنها:

ألف - خلال لقائه وديكويلار برفسنجاني (وقتها رئيس البرلمان الإيراني) في آذار ١٩٨٥م بحضور وزير الخارجية ولاياتي قال رفسنجاني «منشآتنا لإنتاج الأسلحة الكيمياوية أكثر تطورا من منشآت العراق لكننا لا نريد إستخدام هذه الأسلحة»، (ص ٦٧).

باء - تحدث عمّا أسماها حسابات القيادة العراقية الخاطئة بالوثوق بإيران وإرسال أسطول طائراتها أمانة لدى إيران خوفا عليها من التدمير على يد قوات التحالف، إلا أنَّ الإيرانيين إستولوا على الطائرات وصبغوها بألوان خطوطهم الجوية، بل وأمعنوا في إيذاء العراق بأنْ قدموا لقوات التحالف كل ما يستطيعون من معلومات إستخبارية، [٢]، (ص ١٢٦).

جيم - تحدث عن مراوغة وخداع المفاوض الإيراني بقوله «عندما تبدأ التفاوض مع الإيرانيين يعطوك إنطباعا بأنهم عقلانيون ومرنون ومتجاوبون وعلى إستعداد لتغيير موقفهم لكن سرعان ما

تكتشف أن هذه المرونة اللفظية هي قناع يخفي الحقيقة. فهم مترددون في قبول تغيير الموقف بل وأحيانا يرغبون في نقض ما اِتفقوا عليه»، (ص ٧١).

ختاما... عسى أن يقود كشف هذه الحقائق، وغيرها كثير، جمهورية إيران الإسلامية إلى فتح صفحة جديدة مع جيرانها العرب أساسها حسن الجوار والمصالح المشتركة والتعاون وأخوة الدين وقيم الدين الإسلامي الحنيف ونبذ أوهام الهيمنة والتآمر التي لم ولن تجلب لشعوب إيران والمنطقة إلاّ المزيد من الكوارث. والله من وراء القصد.

ملاحظات حول الهوامش: من إعداد ناشر الموضوع، مرةً أخرى:

[١] - خلال تلك الفترة من المساومات، والمفاوضات، بين الأطراف «الدولية» التي تشرف عليها أمريكا، من الناحية الأولى، والنظام الإيراني، من الناحية الثانية، وما أسفرت عنه، صرخ الشيخ صبحي الطفيلي متألماً: وهو الأمين العام لحزب الله الأسبق عن مدى اِستفادة اللبنانيين من كل المجريات الخاصة بالأسرى الغربيين، وقضية إطلاق سراح الأسرى: الشيخ عبد الكريم عبيد وإخوانه، ولكن اِحتجاجه المشوب بالغضب ذهب أدراج الهواء، وأدى صراخه المُعلن في مجالسه الخاصة إلى طرده من الأمانة العامة للحزب، كونه لم يدرك أنَّ «قرارات الحزب» مربوطة بأجهزة المخابرات الإيرانية: الساواما، وبعض مكاتب الخارجية الإيرانية، والمصادر المالية الإيرانية الممولة لحركة الحزب اليومية. لقد طُرد الأمين العام «المنتخب من قاعدة الحزب» لمجرد إعلانه في أطر الحزب القيادية الخاصة عما جناه «الحزب» من عملية الخطف، لاسيما وأنَّ شروطه الخاصة حول إطلاق الشيخ عبيد قد تم تجاهلها في رحلة المفاوضات تلك بشكلٍ تام.

[٢] - لم يقتصر الأمر على المعلومات الاِستخبارية فقط، كما يذهب إلى ذلك السيد الكاتب، وإنما كذلك وفر النظام الفارسي الصفوي كل قوة التنظيمات العسكرية التي تدور في فلكها سواء في فيلق: بدر (غدر)، وحزب الدعوة، وغيرها من التنظيمات المسلحة، وعموم سلاح الإشارة والإتصالات الهاتفية، ناهيك عن الطاقة الإعلامية/ الدعائية التي تمتلكها الدولة الإيرانية وأتباعها في إيران ولبنان وسوريا وكرباج قمعها المؤثر على الإعلاميين اللبنانيين خصوصاً، وهي خطوط عامة وأساسية في عمليات العدوان العسكري لقيادات التحالف التي تعمل وتتحرك تحت مسؤولية الإدارة الأمريكية في مرحلة نزوعها وبرنامجها السياسي الإمبريالي المتعولم ونابضها الروح المذهبية الأنجيليكانية الصهيونية.

خبر لا يحتاج إلى تعليق
كونه يدل على «التخادم السياسي» المشترك

القوات الأمريكية تعثر
على وثائق إيرانية لـ «"تهجير السنة"» من بغداد

ذكر، أنَّ القوات الأمريكية عثرت أثناء هجوم على مقر مسؤول إيراني في بغداد على خرائط لأحياء في العاصمة في خطة تستهدف تهجير السنة من بغداد، ونُقل عن وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس قولها إنَّ العمليات الأميركية الأخيرة في العراق ضد مصالح إيرانية جاءت بأمر من الرئيس جورج بوش أصدره قبل عدة أشهر ويقضي بشن هجوم واسع النطاق على مثل هذه المصالح في العراق.

وأضافت رايس التي لم توضح تاريخ صدور أمر بوش، إنَّ الرئيس اِتخذ هذا القرار بعد فترة لوحظ خلالها زيادة في نشاط الإيرانيين في العراق وزيادة في عدد القتلى ناتجة عن هذا النشاط. وجاءت تعليقات رايس بعد اِحتجاجات من الحكومة الروسية على اعتقال مسؤولين إيرانيين في مدينة أربيل شمال العراق. [...].

وأوضح الرئيس الأمريكي "وحدهم العراقيون [!!] يمكنهم وضع حد للعنف المذهبي وجعل شعبهم يتمتع بالأمن. قادتهم [بمعنى آخر: عملاؤنا] يدركون ذلك ويبذلون جهودا في هذا الاتجاه. لكنهم بحاجة إلى مساعدتنا ومن مصلحتنا أنْ نقدم لهم المساعدة".

على ضوء الوثائق التي تكشفت محتوياتها
بعد إلقاء القبض على ضباط المخابرات الإيرانية في بغداد وأربيل:
المعلومات إلى ماذا تشير؟

لعل من بين أبرز الأسماء التي جرى الإشارة بأنها قد أعتقلَت في بيت رئيس ما يسمى بالمجلس الأعلى عبدو عزيز حكيمي هو اللواء أحمد فروزندي مسؤول المخابرات الإيرانية الحقيقي في إقليم عربستان المحتل، أي المسؤول عن اِرتكاب كل الجرائم الخسيسة بحق الأخوة العرب في ذلك الإقليم، من جهة. والقبض على ضباط أمن إيرانيين في أربيل حتى باِعتراف المالكي نفسه الذي قال أنَّ المعتقلين الإيرانيين في تلك المدينة ليسوا من الدبلوماسيين، وهو ما ينفي صحة التصريحات الإيرانية حول «عملهم الدبلوماسي»، من جهة ثانية، إضافة إلى أنَّ المعتقلين في تلك المدينة الشمالية، وكم ونوع الوثائق الأمنية حول ضرورة نشر الفتن في كافة أرجاء العراق، من أجل تفتيت مجتمعه، من جهة ثالثة، قد يلقي الأضواء على تشكيل تلك القائمة التي عددنا أسماءها في عدد «نداء المقاومة» المرقم [بالسابع - الملحق الصادر في ١٥/ ٧/ ٢٠٠٦م، ونعيد نشره تالياً لأهميته] بإسم فرق الموت، ويشكل أفرادها المنتمون إلى حزب بارزاني

والمخابرات الإيرانية وعملاء إسرائيل من أتباع جلبي، من ناحية أهدافهم السياسية، فيما إذا كانت القوات الأمريكية - التي في حوزتها الوثائق والمعتقلين - حريصة على حياة جنودها وعسكرييها وأجهزتها الأمنية، ومخلصة لمسألة بقاءهم في العراق على أرضية عدم النهب المستمر للعراق. وهو ما نستبعده إطلاقاً.

كان اللواء أحمد فروزندي هو أحد أربعة أشخاص مجرمين ممن تتشكل منهم لجنة الأمن الإيرانية التي كانت تشرف على تنفيذ الأعمال الإرهابية الإجرامية ضد أبناء العراق: جيشاً وشعب، قبل العدوان والغزو الصليبي المتصهين والإحتلال الأمريكي المجرم للعراق، الذي إبتدأت ملامحه السود ووقائعه الإجرامية في العشرين من آذار ٢٠٠٣م، وذلك في سياق خلخلة الوضع الأمني والسياسي الداخلي العراقي لصالح الرؤية السياسية الأمريكية التي ينفذها المحافظون الجدد: المسيحيون المتصهيونون.

والأربعة هم اللواء علي بلالك، والعميد قُرباني، وعبد العزيز الحكيم - إضافة إلى اللواء المذكور أعلاه: أحمد فروزندي - كانت المهمة تقتضي إرسال مخبرين و«متطوعين» ممن يحملون الجنسية العراقية، أجبرتهم الظروف التي نجمت عن الحرب العراقية - الإيرانية، بالهرب من العراق والفرار إلى إيران المحاددة للدولة العراقية... إرسالهم إلى بعض المدن العراقية للحصول على معلومات أمنية تخدم الإستراتيجية السياسية الإيرانية، وإيصال رسائل وأموال وتعليمات إلى بعض العملاء، وإغتيال الضباط العائدين إلى معسكراتهم بعد إنتهاء إجازاتهم الشهرية، من خلال الغدر بهم وتصفيتهم الجسدية... أي عودتهم لإتخاذ المواقع القتالية ضد الطيارين الأمريكيين والبريطانيين ممن كانوا يكثفون هجماتهم الجوية على مختلف المواقع العراقية المضادة للقوى الغربية المعتدية، وبالتعاون العسكري الرسمي وغير الرسمي مع السلطات السعودية وحكام: قطر والإمارات والكويت التي دأب المقبور باقر حكيمي على زيارة كويت آل صباح والتنسيق مع دوائرهم في عملهم الأمني والإرهابي والدعائي ضد العراق، وتنفيذ متطلبات جهدهم المشترك.

لقد إستمر العمل من قبل كل الأطراف المعادية للعراق، على تنفيذ الهدف السياسي التخريبي ضد الدولة العراقية بغية العمل على تجزئتها عملياً، من ناحية، وتفتيت المجتمع العراقي إلى طوائف وإثنيات متصارعة متقاتلة، من ناحية أخرى، في إطار خطة سياسية لتحطيم الدولة العراقية وتسهيل عملية العدوان والغزو والإحتلال. إنّ تدفق طرائق غريبة على المجتمع العراقي، من إختطاف وقتل وتعذيب وسلق وثقب بأجهزة المثقب الكهربائي [الدريل]، لهي برهان مضاف على طبيعة التدخل الإيراني الهادف التضحية بالعراقيين على مختلف رؤاهم الفكرية وشتى إنتماءاتهم السياسية الوطنية، من أجل إدامة الفوضى وتحييد قطاعات شعبية واسعة في توجهها نحو طريق المقاومة الوطنية الواسعة ضد الإحتلال الأمريكي / البريطاني، وهي مهمة مقدسة: وطنياً ودينياً وإنسانياً تفرضها الشرائع الدنيوية والسماوية.

مثلما كان الإجتثاث الشامل لكل الكفاءات العراقية من المدنيين والعسكريين، هو برهان آخر لم يستعصِ فهمه على الوطنيين العراقيين ولم يتراجع عن وعي العراقيين، لأنه ماثل بالمعلومة والنوع المستباح

والتحرك التنفيذي الذي أقدم عليه العملاء، ناهيك عن ما تكشف مؤخراً من وثائق ومعلومات بثها العراقيون المخلصون مجدداً من محطة «المستقلة» الفضائية عن الدعم المباشر الذي قدمته إيران إلى تنظيم الزرقاوي من أموال ووثائق وتنقلات وإقامة في طهران وأصفهان وزاهدان وغيرها رغم كونه كان من «أكبر العناصر التكفيرية». وتستطيع القوات الأمريكية المحتلة إدراك خطوط التحرك السياسي والتنظيمي والعملي الإيراني بسهولة، فيما إذا كان «تخادمهما السياسي المشترك» ضد الوطنيين العراقيين، ومنذ ما قبل الغزو الأمريكي وللفترة الراهنة، ولعل العملية العسكرية التي نفذت في كربلاء والحلة التي ذهب ضحيتها عشرة عسكريين من أجل إفراجها عن عناصرها المخابراتية الإيرانيين المحجوزة عند الأمريكيين منذ إعتقالهم في أربيل... لعلها كانت هي آخر أعمالهم الإجرامية في العراق، وبطبيعة الحال لن تكون الأخيرة. ولكن في كل الأحوال أنَّ النضال مستمر حتى طرد المحتلين والقضاء على عملائهم، فالعراق باقٍ والإحتلال إلى زوال.

ملاحظة لا بد من قولها:

مقالة كتبتها بمناسبة القبض على أولئك الإيرانيين نشرت في جريدة نداء المقاومة، العدد ٥١، الصادرة بتاريخ ١/ ٢/ ٢٠٠٧م، وكانت مغفلة التوقيع بإسم كاتبها: الذي هو كاتب هذا النص.

أما الأسماء التي تشكلت منها عصابات الإختطاف والغدر والقتل والإغتيال فهي:

«ملحـق

الجلبي يقود فرق الموت في العراق

مهدي مصطفي

الموساد الإسرائيلي دمج عناصر فرق الموت في الأجهزة الأمنية المستحدثة.. وعناصره تقدر بـ٧٠٠ فرد..ومن يعترض تتم تصفيته علي الفور.. وقيادة القوات لا تنتمي إلي الدولة العراقية، القتل للعرب – سنة وشيعة – ولا يمس الأكراد والصابئة المندائيين والتركمان والمسيحيين فرق الموت تستخدم سيارات الجماعات المسلحة حتى تتهم من جانب الشيعة بأنها تقوم باختطافهم وقتلهم الجلبي أشرف علي حادث جسر الأئمة الذي ذهب ضحيته أكثر من ١٠٠٠ شيعي..

وكان يتوقع أن تنشب الحرب الأهلية فوراً مع حلول الظلام يبدأ الرعب في العراق. فحظر التجول يسري في الحادية عشرة مساء. عربات الهامفي الأمريكية، وسيارات الشرطة المصفحة تجوب الشوارع الخالية. يلوذ العراقيون بالمنازل المحصنة، وبين الحين والآخر يستمعون إلي أصوات زخات الرصاص، وانفجار الهاونات والقنابل.

يأتي رجال يرتدون أزياء أجهزة الشرطة العراقية ويستقلون سياراتها ويستخدمونها وأجهزة اتصالاتها، ثم يأخذون الضحية بذريعة التحقيق، وفي اليوم التالي يتم العثور عليه جثة مرمية في أحد

الأماكن المهملة، مقتولا برصاصة في الرأس بعد تعذيب وحشي باستخدام الدريل' الشنيور الكهربائي' في الغالب، أو رأسا بلا جسد موضوعا في صندوق فاكهة، والضحايا جميعا يعاملون بنفس الطريقة.

تصاعدت هذه العمليات القذرة بعد الاعتداء الآثم علي ضريحي الإمامين الهادي والعسكري في مدينة سامراء في الثاني والعشرين من فبراير الماضي، وتزامن معها تهجير آلاف العائلات العراقية من سكناها إلى مناطق أخرى علي خلفيات مذهبية، ثم مجازر في أسواق شعبية بسيارات مفخخة، واعتداءات على مساجد سنية وحسينيات شيعية.

في البداية اتهم العراقيون لوائي الذئب والعقرب التابعين لوزير الداخلية العراقي السابق باقر صولاغ، وقوات فيلق بدر التابع لإيران، والقوات الأمريكية المتخصصة في الاغتيالات، تلك التي شكلها جون نجروبونتي رئيس أجهزة الاستخبارات الأمريكي، والسفير لفترة قصيرة في بغداد - قبل مجيء السفير الحالي زلماي خليل زادة - مستفيداً من خبرته في تشكيل فرق الموت في أمريكا اللاتينية، وتصفية الثوار اليساريين في السان سلفادور في الثمانينيات.

وبدأ همس العراقيين فيما بينهم عن وجود «فرق موت» تقوم بالتصفيات علي الهوية، لصالح عدة جهات منها : الاحتلال الأمريكي، وأحزاب في السلطة العراقية الجديدة، ودولتان مجاورتان، وقومية طامحة إلي انتزاع دولة خاصة، وأخيراً إسرائيل التي تعمل بأجهزتها ورجالها في قلب عراق ما بعد الاحتلال خاصة في الشمال.

وكل هذه الجهات ضالعة في مثلث برمودا العراقي، ولها مصالح وأهداف بعيدة وقريبة، فالقوات الأمريكية تريد إشعال الحرب الأهلية، وحكومة الأئتلاف «الشيعية» الجديدة ترغب في استقلال الجنوب المكون من تسع محافظات لإقامة دويلة نفطية، دعا إليها عبد العزيز الحكيم، رئيس المجلس الأعلى لما يسمى بالثورة الإسلامية، وفي الشمال صرح مسعود البرزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني، بأنه إذا وقعت الحرب الأهلية بين السنة والشيعة فإن كردستان سوف تعلن الاستقلال، أما إيران فأهدافها معروفة، الانتقام من حرب الثماني سنوات، وجعل العراق رهينة بين أيديها لتفاوض عليه الأمريكيين، وهناك دولة أخري تعمل ليل نهار علي تقسيم العراق بهدف تصغير حدوده إلي أصغر ما يمكن حتى لا يعاود تهديدها في المستقبل.

لكن هذه الإشارات وغيرها لم تحدد هوية مرتكبي هذه الجرائم بدقة، ولم تصل إلى معرفة من هم أعضاء فرق الموت، فلم يتم القبض علي أي شخص يزعم أنه ينتمي إليها، ولماذا يقوم بهذه العمليات ولصالح من؟.

وبقيت الاتهامات تتأرجح بين هذا التيار الوطني وذاك القادم مع دبابات الاحتلال الأمريكي، وكلا الطرفين ينفي ارتكابه للتصفيات الطائفية، وينفي ضلوعه في تفجير الأسواق الشعبية واستهداف المدنيين أو الأماكن المقدسة مزارات ومساجد.

وفي الأسبوع الماضي مع تصاعد حرب الجثث عثرت الشرطة العراقية علي عشرين جثة، ولاحظت من خلال الأوراق التي يحملها الضحايا أن أسماءهم العشرين تبدأ باسم عمر، وبعدها بأيام عثرت الشرطة أيضا علي ثماني جثث، يبدأ الإسم الأول لأصحابها بحيدر، وكانت هذه الإشارة بداية لفك لغز فرق الموت والاقتراب من معرفة زعيمها المافياوي الكبير الذي حيَّر العراقيين ووسائل الإعلام العالمية بما فيها الأمريكية والغربية العاملة مع أجهزة الاستخبارات المتعددة.

فقد حصلت «الأهرام العربي» على وثيقة مسربة من داخل فرق الموت، سربها ضابط ينتمي إلي ما يسمي بـ«قوات العراقيين الأحرار fif» التي أسهمت في غزو واحتلال العراق في مارس ٢٠٠٣م، وتاريخ هذه الوثيقة يعود إلي شهر مايو الماضي، وهي غير منشورة في أي مكان، ويقول هذا الضابط للذين وجه إليهم الوثيقة إنه مستعد للشهادة وفضح فرق الموت والذين وقفوا وراء تشكيلها لتنفيذ أهداف مريبة.

واعترافات هذا الضابط خطيرة، فهي تتهم بوضوح أحمد عبد الهادي الجلبي، زعيم المؤتمر الوطني العراقي بقيادته لفرق الموت، مع جماعات كردية تنتمي إلي مسعود البرزاني، إضافة إلي رجال الموساد الإسرائيلي، وعناصر من اطلاعات: جهاز الاستخبارات الإيراني.

ويقدم الضابط وثيقته المدوية بأسماء الأشخاص الضالعين في هذه الجرائم، وأماكن تدريبهم، ومواقع تنفيذ عمليات القتل في طول وعرض العراق، ويؤكد أنه شعر بالخطر عندما اكتشف زيف دعاوي تحرير العراق بعد تزايد عمليات القتل والتصفيات، ويشير إلي أنه اكتشف بعد دخوله العراق مع الغزو أنه تعرض إلي عملية غسيل دماغ، وتحول الهدف من تحرير العراق من صدام حسين، وحسب روايته، إلي أنهم: قتلوا إخوتهم العراقيين، سنة وشيعة، ومن يعترض يصفي علي الفور.

وهنا نص ما كشفه ضابط الـ FIF في اعترافاته في صحوة ضمير نادرة لأحد أعضاء فرق المـوت في العراق:

نص الوثيقة*

السبت ١٠ / ٦ / ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المصدر: ضابط في قوات تحرير العراق"fif".

حقائق تنشر لأول مرة.... بتاريخ شهر أيار - مايو ٢٠٠٦م

فرق الموت في العراق.. لمحاربة العرب والإرهاب

توصلنا من خلال مصدر يعمل عن قرب داخل هذه التشكيلة المنظمة - ونعتذر عن ذكر اسمه حفاظا عليه، وهو مستعد للشهادة في حالة تم إلقاء القبض علي قيادة فرق الموت في العراق، لذا وجب التنويه - ومن مصادرنا الإستخباراتية الأخرى إلي اكتشاف تشكيلة فرق الموت وارتباطاتها والأعمال المنوطة بها في القضاء علي العراق ووحدة شعبه من خلال تنفيذ أعمال إرهابية ومجازر رهيبة في قتل العرب المسلمين حصراً دون غيرهم.

حيث تم التوصل إلي حقائق مرعبة لا غبار عليها، أن ضحايا فرق الموت هم من العرب المسلمين من الشيعة والسنة حصرا، وأن الأكراد و غيرهم في منأى عن فرق الموت، حيث تتعمد فرق الموت هذه اختطاف العرب السّنة بسيارات الدولة ولباس المغاوير والشرطة والحرس الوطني، وتقوم نفس تلك المجاميع الإرهابية باختطاف العرب الشيعة بسيارات الأوبل وآلبي إم دبليو، والتي تستخدمها الجماعات المسلحة لتحقيق أهداف واضحة ومرسومة ضمن خطة سحب العرب الشيعة والسنة إلي اقتتال طائفي يستمر لعشرات السنوات، حتى يجني الكرد ومن ورائهم إسرائيل وأمريكا وإيران حصتهم في تقاسم العراق ويذبح العرب السنة والشيعة بسكين كردية صهيونية أمريكية.

ولكم وللتأريخ هذه الحقائق، حيث لم أستطع إلا إرسالها إلي العراقيين الأشراف لينتبهوا ويوحدوا صفوفهم، وقد غرر بنا من قوات العراقيين الأحرار، وأخبرونا وغسلوا أدمغتنا في تحرير العراق من صدام وجرائمه، وها نحن اليوم من قوات العراقيين الأحرار نقوم بأبشع دور في قتل إخوتنا وأبنائنا من العرب السنة والشيعة، ومن يعترض منا فإنه يصفي في ساعات كما حدث للدكتور همام من المؤتمر الوطني العراقي.

نطلب من العراقيين أن يسألوا الدكتور أحمد عبد الهادي الجلبي الأسئلة التالية:

أولا: أين ذهب أفراد(من قوات العراقيين الأحرارFIF) والذين يبلغ تعدادهم أكثر من ٨٠٠ إرهابي تدربوا في إسرائيل والولايات المتحدة وبولندا وهنجاريا المجر ونزلوا قبل احتلال العراق في شمال العراق؟ ومن ثم نقلوا بالطائرات الأمريكية إلي مدينة الناصرية، ومنها إلي بغداد، حيث انضم إليهم الطابور الخامس من داخل العراق، ومن بينهم العتاكة الذين يقومون بشراء العتيق من بيوت بغداد يعني بائعي الروبابيكيا، وكذلك السجناء والمجرمون المفرج عنهم من سجون العراق بموجب العفو الصادر من صدام حسين بتأريخ أكتوبر٢٠٠٢. والذين أرسلوا إلي التدريب بعد الاحتلال في معسكرات خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من دول الجوار بحجة أنهم الشرطة العراقية والجيش العراقي والحرس الوطني الجديد.

ثانيا: في حادثة جسر الأئمة كان أول الحاضرين الدكتور أحمد الجلبي وهناك مبدأ يقول إن المجرم يحوم حول جريمته، وهذا أحمد الجلبي، وكنت معه في حينه، حيث كان يتوقع من هذه الحادثة أن يهجم العرب الشيعة على العرب السنة وتبدأ الحرب الطائفية، وقد أشرف شخصيا على التخطيط لهذه الحادثة المفجعة، أو أمر العميد جليل خلف شويل بالتنفيذ هو ومجموعة فرقة الموت التابعة له، ومقرها الشعبة الخامسة في الكاظمية والتي تقوم يوميا بعشرات الاعتقالات والقتل للعرب السنة من مناطق بغداد.

ثالثا: لماذا يستثنى الأكراد من عمليات فرق الموت، ولم تقع ولا حادثة واحدة ولو بطريق الخطأ لأي مجموعة من الأشخاص من القومية الكردية؟.

كما يجدر الإشارة هنا وللأمانة التاريخية أننا لا نبرئ الآخرين من دم العراقيين العرب وبالأخص الأحزاب التي لديها ميليشيات تقوم بقتل العراقيين العرب من الشيعة والسنة حصرا كل وفق أجندته المرسومة له.

إن قيادات وتنظيم (من قوات العراقيين الأحرارFIF) بقيادة الدكتور أحمد الجلبي التي تحولت إلى فرق الموت الغادرة والتي دمجها الموساد الإسرائيلي في الأجهزة الأمنية المستحدثة بعد الاحتلال، ليكون نواة لهذه التشكيلات، وبعد أن قام الدكتور أحمد الجلبي بخطة حل الجيش والشرطة العراقية، ولكي لا يؤسس العراقيون في يوم من الأيام قوات عراقية وطنية، يكون ولاؤها للعراق فقط، وكي تبقى (من قوات العراقيين الأحرارFIF) بعد تحولها في القوات المستحدثة سرطانا في جسد هذه القوات لينفذ من خلالها خطط الموساد بوجه أية قوي عراقية وطنية.وكذلك فإن الدكتور أحمد الجلبي هو المحرك الأساسي لما يجري في الساحة العراقية من تصفيات وإرهاب لجميع القيادات العربية الشيعية والسنية الوطنية واغتيال لعلماء العراق وأشرافه من العرب الشيعة والسنة حصرا والحث على تهجير جميع النخب العربية من الشيعة

والسنة خارج العراق، وتمكين الأكراد والمرتزقة من لعب دور شبيه بدور جيش جنوب لبنان، لذا تم تحويل جيش تحرير العراق إلى القوات الجديدة التالية:

- الجيش العراقي الجديد.
- الحرس الوطني.
- الشرطة العراقية الجديدة.
- مغاوير الداخلية.
- استخبارات الداخلية.
- القوات الخاصة العراقية.

إنَّ فرق الموت وتسمي رسميا بالقوات الخاصة العراقية ومقرها الرئيسي الآن في مطار بغداد الدولي ولديها مقرات أخري في بغداد والمحافظات بقيادة العقيد فاضل جميل برواري آمر الحرس لمسعود البرزاني وهي تشكيل خاص غير مرتبط بأية جهة عراقية على الإطلاق.

يشرف علي حركته ضباط من الموساد الإسرائيلي بغطاء من الأمريكان لمحاربة العرب والإرهاب العرب ويقصد السنة والشيعة والإرهاب ويقصد به الإسلام ويوجد معهم في العراق بحدود ٧٠٠ خبير إسرائيلي في إطار نظام التعاون الأمني الإسرائيلي - الأمريكي وكان المقر الرئيسي لفرق الموت سابقا في الشعبة الخامسة مديرية الاستخبارات العسكرية في منطقة الكاظمية.

ويتكون معظم ضباط فرق الموت من الأحزاب التالية مركبة في الأجهزة الأمنية العراقية المستحدثة من قبل الموساد والأمريكان، بإشراف مباشر من قبل الدكتور أحمد الجلبي وهي:

- حزب المؤتمر الوطني العراقي بالدرجة الرئيسية.
- الحزب الديمقراطي الكردستاني وجهاز المخابرات الكردي البارستن.
- حزب الاتحاد الوطني الكردستاني.

ولكي لا نطيل عليكم بالشرح كان لابد من إيضاح هذه المعلومات الخطيرة كي نحرك جميع العراقيين لتدارك ما يجري من مخطط صهيوني بأيد أمريكية وكردية بمساعدة بعض ممن باعوا العراق بثمن بخسٍ ونترك للعراقيين الاقتصاص من هؤلاء السفاحين(من قوات العراقيين الأحرارFIF) بقيادة الدكتور أحمد الجلبي وتغلغله وقياداته لجميع تشكيلات الدولة العسكرية من وراء الستار وبمباركة الموساد.

السبت ١٠ / ٦ / ٢٠٠٦م

جسر الأئمة... كلمة السر

في صباح ٣١ أغسطس ٢٠٠٥م توافد فقراء الشيعة من كل قراهم البعيدة، للاحتفال باستشهاد الإمام موسي الكاظم سابع أئمة الشيعة المعصومين من الإثنا عشرية، فقد وافق هذا التاريخ الخامس والعشرين من رجب، وفيه يحتفل الشيعة بالقدوم إلى المرقد المقدس سيرا على الأقدام من المدن والقرى البعيدة.

ويقع مرقد الإمام موسي الكاظم في حي الكاظمية في الجهة المقابلة لحي الأعظمية، والأخير فيه ضريح الإمام أبي حنيفة النعمان، ويصل بينهما جسر يطلق عليه جسر الأئمة، وجاء الشيعة للزيارة ولم يقطعوا العادة رغم ظروف العنف والقتل في البلاد، ووصلوا إلي وسط الجسر، وكانوا بالآلاف غالبيتهم نساء وأطفال وشيوخ كبار.

وسرت بينهم شائعة بأن هناك انتحارياً يلف جسمه بحزام ناسف، وفي دقائق تدافع المساكين في هلع ورعب، وبعضهم مات دهسا تحت الأقدام، وبعضهم الآخر قفز في دجلة، وقبل أن تصل أي نجدة من قوات الشرطة أو الاحتلال وصل القتلى والجرحى إلى أكثر من ألف إنسان في فاجعة يندي لها الجبين.

وقيل في البداية إن أبو مصعب الزرقاوي هو من فجر الجسر، وقيل الجماعات المسلحة السنية، وطالب البعض بالقصاص من السنة مرتكبي الحادث، لكن عقلاء الشيعة لم يقعوا في الفخ، رغم نداءات عمار الحكيم وغيره من الذين سارعوا إلي المطالبة بالقصاص من الزرقاويين والجماعات المسلحة الإرهابية، لكن هذه الأطراف نفت علاقتها بالحادث واستنكرته، واتهمت بارتكابه جهات داخل الحكومة.

وبمرور الوقت تم تناسي حادث الجسر وأيام الحداد الثلاثة التي أعلنها إبراهيم الجعفري رئيس الوزراء المؤقت آنذاك، وكأن ألف شخص لا أهمية لهم، فلجان التحقيق في الحادث تلاشت، ولم يعد أحد يفتح سيرة ما جرى، وحتى أموال التبرعات التي جاءت من الخيرين لم تذهب إلي أهالي الضحايا.

رجل وحيد كان أول القادمين إلى الجسر، وهذا الرجل كان أحمد الجلبي زعيم حزب المؤتمر الوطني، وحسب وثيقة ضابط قوات العراقيين الأحرار، فإنه أشرف علي إخراج الفاجعة بسيناريو محكم، فالشرطة العراقية أغلقت الجسر من ناحية الإمام الكاظم إلا من ممر صغير، فأصبح الجميع محاصرا، ووقع المحظور، وانتظر الجلبي حرباً أهلية بين الشيعة والسنة، لكنها لم تقع، وقال عراقي حصيف ليس الجلبي وحده، إنما هناك شخصية سياسية كبيرة تحكم الآن لا تتورع عن الإقدام عن فعل أي شيء في سبيل هدفه الكبير وهو اقتطاع دولة من جسم العراق حتى لو دمر المراقد والمساجد على المصلين بمن فيها، فهذا السياسي سارع دون معرفة الحقيقة واتهم «الإرهابيين» بارتكابه رغم أن الحادث لم تطلق فيه رصاصة واحدة.

الغريب أن رجل الدين الشيعي جلال الدين الصغير من قائمة الائتلاف الموحد أدان ما أسماه بـ«الموقف الصامت» لمعظم الأنظمة العربية إزاء فاجعة جسر الأئمة، وقال: «لا تقوم الدول العربية ولو بكلمة كاذبة بالإعلان عن أسفها بينما تعرب إسبانيا وغيرها من الدول عن ذلك».

وطالب وزارة الخارجية العراقية بأن «تحمل ملف جسر الأئمة وتعتبره وثيقة لإدانة الدول العربية والإرهاب». وأوضح: «يجب اعتبار هذه الكارثة نقطة تحول في السياسة الخارجية للعراق». وذكر كذلك بموقف عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية عندما وصف الدستور العراقي بأنه «دستور طائفي» معتبرا ذلك تدخلا في شؤون العراق الداخلية.

وبالطبع ذهب هذا التصريح الحاد وأمثاله أدراج الرياح، فلجنة تقصي الحقائق التي أشرف عليها حسين الشهرستاني وزير النفط الحالي بالتأكيد عرفت الحقيقة وابتلعت لسانها خوفا من فرق الموت وزعيمها التليد أحمد الجلبي، فقد قيد الحادث ضد مجهول.

السبت ١٠ / ٦ / ٢٠٠٦م

أسماء قيادات وعناصر فرق الموت

أحمد عبد الهادي الجلبي المنصور الأميرات. أراس حبيب الفيلي المنصور الأميرات. هوكر أحمد علي دزه يي المنصور الأميرات. هيمن أحمد علي دزه يي المنصور الأميرات. حيدر الموسوي المنصور الأميرات. ستانلي مستشار الدكتور أحمد الجلبي المنصور الأميرات. كولونيل ديفيد من الموساد المنصور الأميرات. أحمد كريم سلمان ويكني بمهندس أحمد مسئول ملجأ الجادرية الشهير. حسين كمال يكني حسين برلمان، وكيل وزارة الداخلية لشئون الاستخبارات. فاضل جميل برواري قائد فرق الموت مطار بغداد. جليل خلف شويل قائد فرق الموت الشعبة الخامسة. شورش حمة شريف مرافق هيمن دزه يي وقاتل. جواد رومي الدايني وزارة الدفاع القديمة. محمد جواد الدايني وزارة الدفاع القديمة. مؤيد حميد عبد محيسن الدليمي (CIA). طه ياسين الجغيفي يلقب برائد طه التميمي الشعبة الخامسة. نديم إبراهيم حاجم الجبوري الحسينية والكفاح. عطية أبو حيدر وزارة الداخلية. يعرب المشهداني الأعظمية جاسوس لفرق الموت. غسان علي ثامر الجبوري آمر القصر الرئاسي الأعظمية. محمد صدام القصر الرئاسي الأعظمية. كريم سنجاري جماعة مسعود البرزاني. غازي الأتروشي جماعة مسعود البرزاني. آزاد محمد نجيب برواري جماعة مسعود البرزاني. حسين السنجاري جماعة مسعود البرزاني. عبد الرحمن إسماعيل عقراوي جماعة مسعود البرزاني. محمد أمين عقراوي جماعة مسعود البرزاني. كاميران مفتي جماعة مسعود البرزاني. مصطفي خوخة جماعة مسعود البرزاني. إبراهيم بيداوي جماعة مسعود البرزاني. حسين بيداوي جماعة مسعود البرزاني. نوري حيدر الملقب بهوشيار جماعة مسعود البرزاني. فلك الدين كاكائي جماعة مسعود البرزاني. وريا رءوف الساعاتي جماعة مسعود البرزاني. طه عبد الله الخياط جماعة مسعود البرزاني. جبر عبد

الرحمن جماعة مسعود البرزاني. محمد سعيد الدوسكي جماعة مسعود البرزاني. كمال أحمد برقي جماعة مسعود البرزاني. فاضل مطني الميراني جماعة مسعود البرزاني. قادر قاجاغ جماعة مسعود البرزاني. نيجيرفان أحمد مسيري جماعة مسعود البرزاني. حميد علي سبينداري جماعة مسعود البرزاني. رجب نبي كرمافي جماعة مسعود البرزاني. اشتي كوجر جماعة مسعود البرزاني. كريم قاسم أيتوتي جماعة مسعود البرزاني. رجب كرمافي جماعة مسعود البرزاني. آزاد سعدي كرمافي جماعة مسعود البرزاني. آزاد بوطي جماعة مسعود البرزاني. سكفان رشيد فلك جماعة مسعود البرزاني. تحسين كمكي جماعة مسعود البرزاني. نزهت حالي بندروي جماعة مسعود البرزاني. شهاب عبد الله مايي جماعة مسعود البرزاني. آزاد برواري جماعة مسعود البرزاني. عصمت أركوشي جماعة مسعود البرزاني. مصطفي أركوشي جماعة مسعود البرزاني. مام قاسم جماعة مسعود البرزاني. علي تتر نيروي جماعة مسعود البرزاني. حمزة كوجر جماعة مسعود البرزاني. عادل علي يحيي كوراني جماعة مسعود البرزاني. ناجي أحمد عبد الله جماعة مسعود البرزاني. فريد أسسرد جماعة مسعود البرزاني. الدكتور خليل إسماعيل جماعة مسعود البرزاني. جعفر إبراهيم ئيمنكي جماعة مسعود البرزاني. جوهر نامق جماعة مسعود البرزاني. عبد الفتاح علي كوراني جماعة مسعود البرزاني. عبد الغني علي كوراني جماعة مسعود البرزاني.

السبت ١٠ / ٦ / ٢٠٠٦م

الأب الروحي

يشبه قطعة الفلين. مهما غاصت في المياه فإنها تطفو. هكذا وصف أحد السياسيين العراقيين أحمد الجلبي زعيم المؤتمر الوطني العراقي، مسؤول عقود الطاقة، ورئيس هيئة اجتثاث البعث، وما يسمي بأحد المؤسسين للـ«البيت الشيعي» والرجل الذي أقنع الإدارة الأمريكية بإصدار قانون تحرير العراق عام ١٩٩٨م، وقدم لهم معلومات صدقوها، على الفور، عن أسلحة الدمار الشامل، كذريعة لغزو العراق.

ورغم علاقة الجلبي الوثيقة بشاه إيران السابق محمد رضا بهلوي، فإنه يحتفظ بمصحف - ثمين - يحمل إهداء زعيم الثورة الإيرانية روح الله الخميني وتوقيعه بخط يده بالكلمات التالية: - إلى ابني أحمد - و كان الزعيم الخميني قدم نسخة المصحف هذه إلى الجلبي تقديرا لمساعدته الاستخبارات الإيرانية أثناء حرب الخليج الأولي بين العراق وإيران.

والجلبي الذي وصف بأنه نتيجة من نتائج ٢ أغسطس، أي تاريخ غزو [!!] العراق للكويت، شكل ما سمي بقوات العراقيين الأحرار، وهذه القوات أسهمت في التمهيد للاحتلال وانهيار القوات العراقية، عندما وزعت هواتف الثريا على العملاء في الداخل، وقامت عن طريقهم برمي قطع معدنية قرب الأهداف العسكرية المنتقاة في العراق، لترسل إشارات إلى الأقمار الاصطناعية الأمريكية فيتم قصفها على الفور.

وكانت [ما يسمى بـ] قوات العراقيين الأحرار قد دخلت العراق عن طريق الناصرية في الجنوب على متن طائرات عسكرية أمريكية، وبدأت في زرع أعمدة الاتصالات الحديثة المربوطة بالمخابرات الأمريكية مباشرة، وكانت مهمة هذه القوات التي تدربت في المجر تأمين المناطق التي تحتلها قوات الاحتلال الأمريكي - البريطاني والاتصال بالشعب العراقي، فهؤلاء المقاتلون أطلق عليهم كنعان مكية «العراقيون الأصلاء».

وانطلاقا من الناصرية وصل الجلبي إلى بغداد، واستولي علي مقرات الدولة السابقة، وعلي أندية رياضية، ومباني صحف، ووضع لافتات «المؤتمر» على مؤسسات معظم ما طالته يداه، وكانت قواته مسلحة تسليحاً متنوعاً وجيدا، ويقودها آراس حبيب مدير أمنه الشخصي، وساعده الأيمن، والذي رشحه في وقت من الأوقات ليترأس مدير المخابرات في العراق الجديد.

وآراس مسؤول عن جرائم كثيرة خلال السنوات الماضية، وكان قد هرب إلي إيران بعد اتهامه أمريكيا بأنه هو من سرب الشيفرة الأمريكية إلى طهران، فاقتحمت قوات الشرطة مدعومة بقوات أمريكية أحد مقرات الجلبي في مايو من عام ٢٠٠٤م، ودهست صورته تحت الأقدام، وقيل في تفسير هذا الانقلاب المفاجيء أنَّ الجلبي نفسه هو من سلم هذه الأسرار إلي إيران، وقيل أيضا أنه وقع ضحية صراع بين المخابرات الأمريكية بقيادة مديرها السابق جورج تينت ووزارة الدفاع «البنتاجون»، بزعامة رامسفيلد حيث كان تينت يكره الجلبي بسبب المعلومات المضللة التي قدمها عن أسلحة العراق للدمار الشامل، وأيضا بسبب تبني البنتاجون والمحافظين الجدد له.

كان لآراس حبيب وجود عسكري وأمني في شمال العراق، ولم تكن علاقته بالجلبي تنظيمية فحسب بل طغي عليها الجانب الشخصي و- الأبوي - فكلا الشخصين التقيا على هدف واحد، فالجلبي تعرف إلى وكالة الاستخبارات المركزية عبر ديفيد ماك الدبلوماسي السابق في بغداد، والمدير السابق لمعهد دراسات شرق أوسطي مرموق في واشنطن، وبدأ يوطد علاقاته مع مجموعة من المحافظين الجدد في إدارة الرئيس السابق جورج بوش الأب، وكان يحتاج إلى من يترجم علاقاته الرفيعة مع أجهزة الاستخبارات إلى تعاون فعلي على الأرض ووجد ضالته في آراس ليحقق له هذا الهدف الكبير.

وكانت إحدى الوسائل التي عمل من خلالها الجلبي لتوثيق علاقاته بدوائر القرار في واشنطن محاباة أنصار إسرائيل، الأكثر تأثيرا في الإدارة الأمريكية، ومن هذا المنطلق عقد الجلبي أواصر صداقة مع دانيال بايبس الكاتب اليميني وعضو مجلس أمناء معهد واشنطن للسلام (وزارة الخارجية) ومؤسس منتدى الشرق الأوسط، ومع عدد من معاهد البحوث اليمينية الأمريكية الأخرى منها - معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى - ومعهد - أمريكان إنتربرايز - معقل - المحافظين الجدد.

وفي عام ١٩٩٨م توطدت علاقاته باللوبي اليميني أو الإسرائيلي وأجرى مقابلة مع صحيفة - جيروزاليم بوست - اليمينية الإسرائيلية، وفي هذه المقابلة وصف الجلبي الصراع العربي - الإسرائيلي بأنه

- مواجهة محدودة باتت بديلا للتقدم الحقيقي في اتجاه الديمقراطية وحقوق الإنسان في العراق -. وقال للصحيفة اليمينية التي وصفته بأنه - ثوري أنيق يملك رؤية للسلام - إن خط أنابيب النفط بين كركوك وحيفا الذي ألغي عام ١٩٤٨م لدى قيام الدولة العبرية، يمثل - رمزا - للتعاون المستقبلي بين إسرائيل والعراق.

وتؤكد مصادر عديدة أن الجلبي وقع اتفاقا أثناء وجوده في أمريكا مع جهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد، قبل احتلال العراق في ٩ أبريل ٢٠٠٣م يقضي بأن يتولى حزب المؤتمر تقديم جميع المساعدات الممكنة للموساد للوصول إلى أماكن حساسة، كانت توجد فيها معلومات ووثائق حيوية عن برنامج التسليح العراقي قد تولى هذه المهمة المسؤول الأمني في حزب المؤتمر وهو آراس حبيب، الذي كان له الدور الكبير في نقل أرشيف جهاز المخابرات العراقي السابق إلى إسرائيل بعد تخزينه على أقراص مدمجة (سي . دي).

لكن أكبر خدمات الجلبي لإسرائيل كانت في إقناع واشنطن بحل الجيش العراقي السابق، وإصدار قانون اجتثاث البعث، واعترف بول بريمر الحاكم المدني السابق بأن هذين القرارين صدرا من أجل «أصدقائنا في إسرائيل».

المثير للدهشة أن الجلبي قرر فصل عضو حزب المؤتمر مثال الألوسي عندما ذهب إلى إسرائيل، لكن الألوسي هدد بكشف المستور، فتلقي هدية عبارة عن اغتيال ابنيه ومحاولة اغتياله شخصياً.

لكن ماذا يقول الجلبي عن آراس حبيب الرجل الثاني في فرق الموت؟.

عندما سئل عقب الهجوم الأمريكي على مقراته عن سبب ملاحقة حبيب أمريكياً، قال: «السي. آي. إيه» يكرهونه، يموتون منه! لأنه ناجح وهم «فاشلون».

وأضاف : أن العمليات التي نظمها في شمال العراق تثبت كفاءته، فقد نظم آراس الوضع العسكري ونجح في خلق تنسيق استخباري مع الأطراف العراقية السياسية الأخرى على نطاق واسع، وكانت لديه أدق المعلومات عن تشكيلات صدام المخابراتية والعسكرية والأمنية ونشرناها بالانترنت عام ١٩٩٧م.

واستطاع آراس - والكلام للجلبي - اختراق جهاز المخابرات العراقية بشكل كامل وتحقق له ذلك في الأمن العام والأمن الخاص، ونفذ عمليات كثيرة في هذا المجال، وكشف الكثير من عمليات المخابرات العراقية الخارجية. [ويقيناً أنها كانت شبيهة بأكاذيب سلاح الدمار الشامل والعلاقات مع القاعدة!!، والتعليق مني].

وأثناء التحرير كانت لآراس شبكة من حاملي هواتف الثريا وحقق نجاحات فيها أكثر من شبكة السي آي إيه، وكانت لدينا بفضل هذه الشبكة معلومات كاملة عما يجري في العراق، وساهمنا بالتنسيق مع

أطراف عراقية أخرى في السيطرة على مناطق في الجنوب وإخراج البعثيين منها قبل وصول القوات الأمريكية، [!!] وكان آراس يدير هذه الشبكة ونجح إلى حد بعيد، بعدها هنا في بغداد، نجح بشكل كبير في القبض على المطلوبين في قائمة الـ ٥٥ وكشف إرهابيين آخرين.

لقد كشف آراس الشبكات التي كانت تتعامل مع صدام أثناء هروبه، بالأسماء نفسها التي عثروا عليها معه لحظة اعتقاله، وكنا نعرفهم قبل أن يطلع عليها الأمريكيون عندما أمسكوا به، والأمريكيون صدقوا بهذه الأسماء عندما وجدوها عند صدام فقط.. انتهي كلام الجلبي وهكذا نعرف من أين جاءت فرق الموت.

سبق ونشرت الوثيقة على شبكة البصرة يوم ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٦م على الرابط التالي:

ضابط من ما يسمى قوات تحرير العراق: فرق الموت في العراق لمحاربة العرب ورجال المقاومة.

ملاحظة: كل الأقواس على الشكل التالي [] والتعليقات التي وردت بينها، هي من وضعي أنا باقر الصراف.

عن شبكة «البصرة» المناضلة

الأحد ١٣ جماد الثاني ١٤٢٧ / ٩ تموز ٢٠٠٦م.»

ماذا وراء التصعيد العسكري الواسع في النجف:

تنظيم «القاعدة» المرتبط بإيران ووثائقه في أربيل

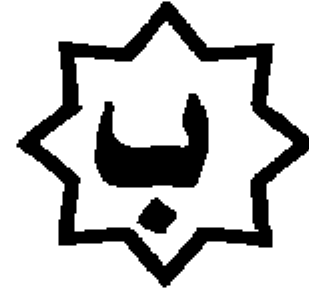
فجأة طغت أحداث النجف على السطح، حيث تعالت أصوات أخبار المعارك العسكرية، بشكل غير مسبوق ووسط اِرتباكات دعائية أو تقولات متناقضة، حول الأصول «الفكرية» أو «السياسية» للمقاتلين، فقد قالت ما يسمى بالسلطات الحكومية الطائفية أنَّ تنظيماً يدعى «جند السماء» أو «القاعدة» أو «جماعة ما يسمى بمهدي المنتظر» التي يقودها أحمد حسن اليماني، الذي ينحدر من مدينة الديوانية، هي التي تسببت في إندلاع القتال الواسع. تلك هي أقوال رددها ما يسمى بمحافظ النجف المدعو أسعد أبو كُـلل، فيما جرى التعتيم الإعلامي على التنظيم الذي يتعرض للحملة العسكرية، التي طابعها القصف الشديد والهجمات المنظمة والقصف بالطائرات حيث اِستعملت القنابل العنقودية، كما قالت مصادر مقربة من منطقة الإشتباك العسكري الواسع المستمر منذ ثلاثة أيام، وما يزال تصعيد الاِشتباكات مستمراً، والتي تحدثت عن تعرض كتيبة عسكرية تابعة للقوات الحكومية لخسائر فادحة.

فما هي حقيقة الأحداث وما هي خلفياتها، وكيف تسربت تلك القوة التي هي «غريبة» عن عشائر المنطقة المعروفة تاريخياً؟!.

الأنباء الموثوقة تقول إنَّ الأمريكيين بعد إِستيلائهم على مجموعة أربيل الأمنية التي قوامها المخابرات الإيرانية إِستولت على وثائق سياسية ثمينة جداً، مثلما أدركت الأجهزة الأمنية الإيرانية خطورة العناصر التي وقعت في أيدي القوات الأمريكية، فتحركت بسرعة وعبر عملائها في مدينة كربلاء، لخطف بعض القيادات العسكرية الأمريكية، وكانت تلك الخطة التي جرى تنفيذها في كربلاء، ومن خلال إحضار ثمان سيارات رباعية الدفع، وخطف الضباط وترك سياراتهم في منطقة عشيرة ألبو علوان المعروفة بإنخراط أبنائها في صفوف المقاومة الوطنية العراقية، في الحلة «لتضييع» أثر الفاعلين الحقيقيين وهم جهاز إطلاعات الفارسية أو من فعل عملائها. ولكن أحداث البساتين الواقعة بين منطقة الكوفة - كربلاء، قد كشفت جزءاً من «الخطة الفارسية» لإثارة الفتنة المذهبية داخل العراق، فقد سهلت السلطات الفارسية شراء أراضي والمنطقة وبساتينها، «بذريعة» أنَّ الساكنين الجدد هم أناس أبرياء مهجرون من قبل «الطائفة السنية»، وزودتهم بمختلف أنواع الأسلحة والمعدات وزودتهم بالأموال.

وشنَّ الأمريكيون حملة عسكرية إِتسمت بالعنف والغطرسة والفاشية، بمساعدة عملائهم في مدينة النجف، وما تزال المعارك متواصلة، وبإِنتظار الأخبار الموثوقة.

٢٩ / ١ / ٢٠٠٧م



بعض ملف جرائم الاغتيالات

ـ ١ ـ

قبل أيام حرصت العديد من المواقع الوطنية المخلصة على إعادة نشر حقيقة إعلامية، باتت معروفة لجميع العراقيين والعرب والمسلمين الذي يتميزون بالإخلاص لوطنهم وأمتهم، وتلك الحقيقة قد تضمنت قائمة بأسماء العلماء العراقيين المبدعين، من ذوي الإختصاصات المتنوعة، ممن تم استهدافهم بالاختطاف والاغتيال والقتل كونهم يشكلون ذخيرة العراق التي حرص الوطن عبر عشرات السنين من الجهد والأموال بغية بلورة شخصياتهم المتميزة المعطاءة، وفي سعي واعي وواضح لدى أصحاب الرؤية الإمبريالية الصهيونية من أجل إخلاء العراق من جذوته المتقدة بالعطاء اللا محدود، وإطفاء نشاطها في شتى المجالات.

كانت أسلحة العدو القاتلة والمجرمة تستهدف العلماء العراقيين بغية ترحيلهم من وطنهم الذي أحبهم فأحبوه، فكان الألوف منهم في خارج وطنهم، والعشرات منهم نزيلوا السجون الأمريكية، فيما جرى توفير الفرص المناسبة للمتخلفين أو العملاء المرتبطين بـ«الموساد» الإسرائيلي و«الساواما» الإيراني والمجاميع الطائفية أو الانعزالية لتنفيذ حملات القتل المجرمة بحق الوطن ومستقبله من خلال استهداف هذه الكوكبة المشعة بالإيمان والمعرفة والتقدم، التي كلفت العراق: الوطن والدولة والعلماء أنفسهم وأهاليهم الأهوال والمتاعب والترقب والدموع ومليارات الدولارات، وبالتالي صيرورتهم «ذات إنسانية» شامخة من أجل تقديم عطاءاتهم المعرفية الثرة لأبناء شعبهم العراقي وخدمة أبناء أمتهم العربية، ومن أجل الإسهام في تطوير العراق على شتى النواحي وكل الأبعاد، ومن أجل خدمة مستقبلهم ومستقبل وطنهم ومستقبل أمتهم.

إنَّ التطرق لأسماء هؤلاء الشهداء الخالدين وإيراد مراكزهم العلمية، لا يستهدف تخليدهم فقط، والإشارة إلى موقعهم الفذ في دائرة إخلاصهم للعراق فحسب، وطبيعة اِنتمائهم الديني والمذهبي والقومي لفضح الدعايات السخيفة حول مظلومية البعض أيضاً، وإنما - كذلك - التأشير على فداحة الجريمة الكبرى التي جرى اِرتكابها بحق العراق والأمة والمستقبل، على يد الأعداء الإمبرياليين الصهاينة وأتباعهم من كل الإنتماءات القومية العنصرية الحاقدة، إضافة إلى تسليط الأضواء على نوعية الجريمة البشعة المتجسدة في شخوص القيادات السياسية الأوغاد الذين ينتسبون للعراق اِسماً، والتي حرضَّت على العراق سابقاً أو التي خدمت القوات المحتلة لاحقاً وراهناً.

إنَّ كل هؤلاء الذين حملوا عناوين مختلفة مشتركين في تلك الجريمة الكبرى التي طالت العلماء المبدعين، بوعي أو من دون وعي، فليس هنا مجال الحكم على النيات أو الاِحتكام إليها، وإنما تقاس الأمور بنتائجها وخواتيمها، إنَّ الإسهام المتواضع في فضح مفردات الجريمة الهمجية الماثلة والمستمرة على العقل العراقي من خلال قوى الجهل والتخلف والغدر والجاسوسية والعمالة والإرهاب الأمريكي الصهيوني والاحتلال الذي تعاون على إنجاز مفرداته الكريهة: بعض الحكّام الأعراب والمتأسلمون، عبر كشف خفايا وخبايا تلك الأعمال المجرمة، وكذلك من خلال ذكر أسماء الشهداء ضحايا الغدر الصهيوني الإمبريالي وعملائهم، والتنويه بِاختصاصاتهم العلمية الفذة، وهم الذين قضوا شهداء ولم يكن في أي يوم من الأيام حاملي سلاح البغض والحقد والاِعتداء على أي كان، في الفترة التي أعقبت الاحتلال الأجنبي للعراق العظيم في التاسع من شهر نيسان عام ٢٠٠٣م ولغاية نيسان من عام ٢٠٠٦م، على أيدي الطغاة والعملاء، منوهين - في ذات الوقت - إلى أنَّ قائمة العلماء الأمجاد ستسمر ضحايا الاِغتيال والغدر، طالما ظلَّ الاِحتلال سائداً ويسير في دبره العملاء من كل الأيديولوجيات.

١ - الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الراوي، رئيس جامعة بغداد، نقيب الأطباء العراقيين، زميل الكلية الملكية الطبية، اختصاص باطنية، اغتيل في عيادته الطبية بمنطقة

المنصور عام ٢٠٠٣م. ٢ - أ. د. مكي حبيب المؤمن، خريج جامعة مشيغان الأميركية اختصاص في مادة التاريخ المعاصر، أستاذ سابق في جامعة البصرة وبغداد ومركز الدراسات الفلسطينية وجامعتي أربيل والسليمانية. بعد السقوط تعرض إلى حادث سيارة مفتعل وتوفي يوم ٢٠/٦/٢٠٠٣م بعد أن أقعده المرض. ٣- أ. د. محمد عبد المنعم الأزميرلي، جامعة بغداد، كلية العلوم، قسم الكيمياء، من مصر العروبة يحمل الجنسية العراقية، تمت تصفيته من قبل قوات الاحتلال في معتقل المطار منتصف عام ٢٠٠٣م لأنه يحمل دكتوراه كيمياء وهو عالم متميز وعمل في مراكز بحثية متخصصة. ٤- أ. د. عصام شريف محمد التكريتي، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، عمل سفيراً للعراق في تونس منتصف التسعينات، اغتيل في منطقة العامرية يوم ٢٢/١٠/٢٠٠٣م مع (٥) أشخاص من أصدقائه. ٥ - أ. د. مجيد حسين علي، جامعة بغداد، كلية العلوم، متخصص في مجال بحوث الفيزياء النووية، تمت تصفيته مطلع عام ٢٠٠٤م لأنه عالم ذرة. ٦ - أ. د. عماد سرسم، أستاذ جراحة العظام والكسور، زميل كلية الجراحين الملكية عميد كلية الطب في جامعة بغداد سابقاً، عضو الهيئة الإدارية لنقابة الأطباء العراقيين، عضو اتحاد الأطباء العرب. ٧ - أ. د.صبري مصطفى البياتي، رئيس قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، اغتيل في حزيران ٢٠٠٤م. ٨ - أ. د. أحمد الراوي، أستاذ سابق في كلية الزراعة، جامعة بغداد/ قسم التربة، نسب للعمل في مركز (إباء) التخصصي. قتل مع زوجته عام ٢٠٠٤م على الطريق السريع في منطقة الغزالية ٩ - أ. د. عدنان عباس خضير السلماني، مدير في وزارة الري، أستاذ في كلية المأمون، اختصاص تربة استشهد في الفلوجة عام ٢٠٠٤م. ١٠ - أ. د. وجيه محجوب الطائي، اختصاص تربية رياضية، مدير عام التربية الرياضية في وزارة التربية. ١١ - أ. د. علي عبد الحسين كامل، جامعة بغداد، كلية العلوم، قسم الفيزياء. ١٢ - أ. د. مروان مظهر الهيتي، جامعة بغداد، كلية الهندسة، اختصاص هندسة كيميائية. ١٣ - أ. د. مصطفى المشهداني، جامعة بغداد،كلية الآداب، اختصاص علوم إسلامية. ١٤ - أ. د. خالد محمد الجنابي، جامعة بابل، كلية الآداب، اختصاص تاريخ إسلامي. ١٥ - أ. د. شاكر الخفاجي، جامعة بغداد، شغل منصب مدير

عام الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية، اختصاص إدارة أعمال. ١٦ - أ. د. عبد الجبار مصطفى، عميد كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، اختصاص علوم سياسية. ١٧ - أ. د. صباح محمود الربيعي، عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية. ١٨ - أ. د. أسعد سالم شريدة، عميد كلية الهندسة، جامعة البصرة، دكتوراه هندسة. ١٩ - أ. د. ليلى عبد الله سعيد، عميد كلية القانون، جامعة الموصل، دكتوراه قانون، اغتيلت مع زوجها. ٢٠ - أ. د. منير الخيرو، زوج د. ليلى عبد الله، كلية القانون، جامعة الموصل، دكتوراه قانون. ٢١ - أ. د. سالم عبد الحميد، عميد كلية الطب، الجامعة المستنصرية، اختصاص طب وقائي. ٢٢ - أ. د. علاء داود، مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية، جامعة البصرة. ٢٣ - أ. د. حسان عبد علي داود الربيعي، مساعد عميد كلية الطب، جامعة بغداد. ٢٤ - أ. د. مروان رشيد، مساعد عميد كلية الهندسة، جامعة بغداد. ٢٥ - أ. د. فلاح علي حسين، عميد كلية العلوم/ الجامعة المستنصرية. ٢٦ - مصطفى محمد الهيتي، عميد كلية الصيدلة، جامعة بغداد، اختصاص علوم الصيدلة. ٢٧ - أ. د. كاظم مشحوط عوض، عميد كلية الزراعة، جامعة البصرة. ٢٨ - أ. د. جاسم محمد الشمري، عميد كلية الآداب/ جامعة بغداد. ٢٩ - أ. د. موفق يحيى حمدون، معاون عميد كلية الزراعة، جامعة الموصل. ٣٠ - أ. د. عقيل عبد الجبار البهادلي، معاون عميد كلية الطب، جامعة النهرين. ٣١ - أ. د. إبراهيم طلال حسين، معاون عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية. ٣٢ - أ. د. رعد شلاش، رئيس قسم البايولوجي، كلية العلوم، جامعة بغداد. ٣٣ - أ. د. فؤاد إبراهيم محمد البياتي، رئيس قسم اللغة الألمانية، كلية اللغات، جامعة بغداد، اغتيل أمام منزله في حي الغزالية في بغداد يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٠٥م. ٣٤ - أ. د. حسام الدين أحمد محمود، رئيس قسم التربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية. ٣٥ - أ. د. عبد اللطيف علي المياح، معاون مدير مركز دراسات الوطن العربي، جامعة بغداد، اغتيل أوائل عام ٢٠٠٤م بعد يوم واحد من ظهوره على شاشة إحدى الفضائيات العربية وهو يطالب بإجراء انتخابات نيابية. ٣٦ - أ. د. هشام شريف، رئيس قسم التاريخ، جامعة بغداد. ٣٧ - أ. د. إيمان يونس، رئيس قسم الترجمة، جامعة الموصل. ٣٨ - أ. د. محمد

كمال الجراح، اختصاص لغة إنكليزية، جامعة بغداد، نسب للعمل في المملكة المغربية، آخر موقع له مدير عام في وزارة التربية، اغتيل في منطقة العامرية يوم ١٠/ ٦/ ٢٠٠٤م. ٣٩ – أ. د. وسام الهاشمي، رئيس جمعية الجيولوجيين العراقية. ٤٠ – أ. د. رعد عبد اللطيف السعدي، مستشار في اللغة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، اغتيل يوم ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٥م في منطقة البياع ببغداد. ٤١ – أ. د. موسى سلوم أمير الربيعي، معاون عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية، اغتيل يوم ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٥م في منطقة البياع ببغداد. ٤٢ – أ. د. عبد الحسين ناصر خلف، باحث في كلية الزراعة، مركز بحوث النخيل، جامعة البصرة، بتاريخ ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٥م عثر على جثته في منطقة الفيحاء بعد اختطافه يوم ١٨/ ٥/ ٢٠٠٥م. ٤٣ – أ. د. محمد تقي حسين الطالقاني، دكتوراه فيزياء نووية. ٤٤ – أ. د. طالب إبراهيم الظاهر، جامعة ديالى، كلية العلوم، اختصاص فيزياء نووية، اغتيل في بعقوبة شهر آذار ٢٠٠٥م. ٤٥ – أ. د. هيفاء علوان الحلي، جامعة بغداد، كلية العلوم للبنات، اختصاص فيزياء. ٤٦ – أ. د. عمر فخري، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص في العلوم البيولوجية. ٤٧ – أ. د. ليث عبد العزيز عباس، جامعة النهرين، كلية العلوم. ٤٨ – أ. د. عبد الرزاق النعاس، جامعة بغداد، كلية الإعلام، اغتيل يوم ٢٨/ ١/ ٢٠٠٦م. ٤٩ – أ. د. محمد فلاح هويدي الجزائري، جامعة النهرين، كلية الطب، اختصاص جراحة تقويمية، اغتيل يوم عودته من أداء فريضة الحج مطلع عام ٢٠٠٦م وهو طبيب في مستشفى الكاظمية التعليمي. – ٥٠ أ. د. خولة محمد تقي، جامعة الكوفة، كلية الطب. ٥١ – أ. د. هيكل محمد الموسوي، جامعة بغداد، كلية الطب. ٥٢ – أ. د. رعد أوخسن البينو، جامعة الأنبار، كلية الطب، اختصاص جراحة. ٥٣ – أ. د. أحمد عبد الرحمن حميد الكبيسي، جامعة الأنبار، كلية الطب، عضو هيئة التدريس. ٥٤ – أ. د. نؤيل بطرس ماثيو، المعهد الطبي، الموصل. ٥٥ – أ. د. حازم عبد الهادي، جامعة بغداد، كلية الطب، دكتوراه طب. ٥٦ – أ. د. عبد السميع الجنابي، الجامعة المستنصرية، عميد كلية العلوم، اغتيل طعناً بالسكين عندما بدأ بتطبيق قرار وزارة التعليم العالي بمنع استخدام الجامعات منابر للمظاهر الطائفية. ٥٧ – أ. د. عباس العطار، جامعة بغداد،

دكتوراه علوم إنسانية. ٥٨ - أ. د. باسم المدرس، جامعة بغداد، دكتوراه علوم إنسانية. ٥٩ - أ. د. محيي حسين، الجامعة التكنولوجية، دكتوراه هندسة ديناميكية. ٦٠ - أ. د. مهند عباس خضير، الجامعة التكنولوجية، اختصاص هندسة ميكانيك. ٦١ - أ. د. خالد شريدة، جامعة البصرة، كلية الهندسة، دكتوراه هندسة. ٦٢ - أ. د. عبد الله الفضل، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص كيمياء. ٦٣ - أ. د. محمد فلاح الدليمي، الجامعة المستنصرية، معاون عميد كلية العلوم، دكتوراه فيزياء. ٦٤ - أ. د. باسل الكرخي، جامعة بغداد، كلية العلوم، اختصاص كيمياء. ٦٥ - أ. د. جمهور كريم خماس الزرغني، رئيس قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة البصرة، وهو أحد النقاد المعروفين على الصعيد الثقافي في البصرة، خطف يوم ٧/ ٧/ ٢٠٠٥م، وجدت جثته في منطقة القبلة الواقعة على بعد ٣ كلم جنوب مركز البصرة. ٦٦ - أ. د. زكي ذاكر العاني، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، اغتيل أمام بوابة الجامعة المستنصرية يوم ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٥م. ٦٧ - أ. د. هاشم عبد الكريم، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، اغتيل أمام بوابة الجامعة المستنصرية يوم ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٥م. ٦٨ - أ. د. ناصر عبد الأمير العبيدي، جامعة بغداد. ٦٩ - أ. د. نافع عبود، اختصاص أدب عربي، جامعة بغداد. ٧٠ - أ. د. مروان الراوي، اختصاص هندسة، جامعة بغداد. ٧١ - أ. د. أمير مزهر الدايني، اختصاص هندسة الاتصالات. ٧٢ - أ. د. عصام سعيد عبد الكريم، خبير جيولوجي، في وزارة الإسكان، يعمل في المركز الوطني للمختبرات الإنشائية، خطف يوم ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٤م واغتيل يوم ١/ ١٠/ ٢٠٠٤م. ٧٣ - أ. د. حكيم مالك الزيدي، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية. ٧٤ - أ. رافي سركسيان فانكان، ماجستير لغة إنكليزية، مدرس في كلية التربية للبنات، جامعة بغداد. ٧٥ - أ. د. نافعة حمود خلف، جامعة بغداد، كلية الآداب، اختصاص لغة عربية. ٧٦ - أ. د. سعدي أحمد زيدان الفهداوي، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية. ٧٧ - أ. د. سعدي داغر مرعب، جامعة بغداد، كلية الآداب. ٧٨ - أ. د. زكي جابر لفتة السعدي، جامعة بغداد، كلية الطب البيطري. ٧٩ - ا.خليل إسماعيل عبد الداهري، جامعة بغداد، كلية التربية الرياضية. ٨٠ - أ. د. محمد نجيب

القيسي، الجامعة المستنصرية، قسم البحوث. ٨١ - أ. د. سمير يلدا جرجيس، الجامعة المستنصرية، معاون عميد كلية الإدارة والاقتصاد، خطف من أمام بوابة الجامعة المستنصرية في آب ٢٠٠٥م ووجدت جثته ملقية في أحد الشوارع يوم ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٥م. ٨٢ - أ. د. قحطان كاظم حاتم، الجامعة التكنولوجية، كلية الهندسة. ٨٣ - أ. د. محمد الدليمي، جامعة الموصل، كلية الهندسة، اختصاص هندسة ميكانيكية. ٨٤ - أ. د. خالد فيصل حامد شيخو، جامعة الموصل، كلية التربية الرياضية. ٨٥ - أ. د. محمد يونس ذنون، جامعة الموصل، كلية التربية الرياضية. ٨٦ - أ. د. إيمان عبد المنعم يونس، جامعة الموصل، كلية الآداب.٨٧ - أ. د. غضب جابر عطار، جامعة البصرة، كلية الهندسة. ٨٨ - أ. د. كفاية حسين صالح، جامعة البصرة، مدرسة في كلية التربية. ٨٩ - أ. د. علي غالب عبد علي، جامعة البصرة، كلية الهندسة. ٩٠ - أ. د. محفوظ محمد حسن القزاز، كلية التربية/ قسم العلوم التربوية والنفسية/ جامعة الموصل، بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٤م، لقي مصرعه إثر إطلاق نار عشوائي من قبل القوات المحتلة الأميركية قرب جامع الدكتور أسامة كشمولة في محافظة نينوى. ٩١ - أ. د. فضل موسى حسين، جامعة تكريت، كلية التربية الرياضية. ٩٢ - أ. د. محمود إبراهيم حسين، جامعة تكريت، كلية التربية. ٩٣ – أ. د. أحمد عبد الهادي الراوي، جامعة الأنبار، كلية الزراعة. ٩٤ - أ. د. شاكر محمود جاسم، جامعة الأنبار، كلية الزراعة. ٩٥ - أ. د. عبد الكريم مخلف صالح، جامعة الأنبار، كلية الآداب/ قسم اللغة العربية. ٩٦ - أ. د. محمد عبد الحسين واحد، معهد الإدارة الفني – بغداد. ٩٧ - أ. د. أمير إبراهيم حمزة، معهد بحوث السرطان، هيئة المعاهد الفنية. ٩٨ - أ. د. محمد صالح مهدي، معهد بحوث السرطان، هيئة المعاهد الفنية. ٩٩ - أ. د. سعد ياسين الأنصاري، جامعة بغداد. ١٠٠ - أ. د. سعد الربيعي، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص علوم بيولوجية. ١٠١ - أ. د. نوفل أحمد، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة. ١٠٢ - أ. د. محسن سليمان العجيلي، جامعة بابل، كلية الزراعة. ١٠٣ - أ. د. ناصر عبد الكريم مخلف الدليمي، جامعة الأنبار. ١٠٤ – أ. د. حامد فيصل عنتر، جامعة الأنبار، كلية التربية الرياضية. ١٠٥ - أ. د. عبد المجيد حامد الكربولي، جامعة

الأنبار. ١٠٦ - أ. د. غائب الهيتي، جامعة بغداد، أستاذ في الهندسة الكيمياوية، اغتيل في آذار ٢٠٠٤م. ١٠٧ - الدكتور اللواء سنان عبد الجبار أبو كلل، جامعة البكر للدراسات العليا، استشهد في سجن أبو غريب عام ٢٠٠٤م. ١٠٨ - د. علي جابك المالكي، اختصاص محاسبة، منسب إلى وزارة المالية، مديرية الضريبة العامة، اغتيل عام ٢٠٠٤م. ١٠٩ - أ. عاشور عودة الربيعي، ماجستير جغرافية بشرية-جامعة مشيغان الأميركية، شغل موقع مدير مركز الدراسات والبحوث/ المنصور، اغتيل في منطقة العامرية عام ٢٠٠٤م. ١١٠ - أ. د. كاظم طلال حسين، معاون عميد كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، اغتيل يوم الجمعة ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٥م في منطقة الصليخ مع ٣ من مرافقيه. ١١١ - أ. د. مجبل الشيخ عيسى الجبوري، عضو لجنة كتابة الدستور، اغتيل يوم ١٩/ ٧/ ٢٠٠٥م في بغداد. ١١٢ - أ. د. ضامن حسين عليوي العبيدي، عميد كلية الحقوق، جامعة صلاح الدين، عضو لجنة كتابة الدستور، قتل يوم ١٩/ ٧/ ٢٠٠٥م في بغداد. ١١٣ - أ. د. أسامة يوسف كشمولة، جامعة الموصل، كلية الزراعة، دكتوراه زراعة، عين محافظاً للموصل يوم ٥/ ٤/ ٢٠٠٥م وجرى تشييعه يوم ١٤/ ٧/ ٢٠٠٤م. ١١٤ - أ. د. علي مهاوش، عميد كلية الهندسة-الجامعة المستنصرية، اغتيل يوم ١٣/ ٣/ ٢٠٠٦م. ١١٥ - د. كاظم بطين الحياني، أستاذ علم النفس، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، اقتيد من قبل عناصر تابعة لأحد الأحزاب الدينية، بتاريخ ٣/ ٣/ ٢٠٠٦م وجدت جثته في مشرحة الطب العدلي وعليها آثار التعذيب، سبق أن شغل منصب محافظ القادسية حتى عام ١٩٩١م. ١١٦ - أ. د. صلاح عزيز هاشم، المعهد الفني - محافظة البصرة، اغتيل أمام المعهد يوم ٥/ ٤/ ٢٠٠٦م. ١١٧ - أ. د. عبد الكريم حسين، جامعة البصرة، كلية الزراعة، اغتيل يوم١١/ ٤/ ٢٠٠٦م. ١١٨ - أ.المهندس حسين علي إبراهيم الكرباسي، الجامعة التقنية - بغداد - الزعفرانية، اختصاص قسم المساحة اغتيل يوم ١٦/ ٤/ ٢٠٠٦م في منطقة العامرية. ١١٩ - أ. د. عبد الستار الأسدي، معاون عميد كلية التربية، جامعة ديالى، اغتيل يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٠٦م. مع (٣) من الأساتذة. ١٢٠ - أ. د. سلام حسين المهداوي، كلية التربية، جامعة ديالى، اغتيل يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٠٦م. ١٢١ - أ.

د. مشحن حردان مظلوم العلواني، جامعة ديالى، اغتيل يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٠٦م. ١٢٢ - أ. د. ميس غانم، قسم اللغة الإنكليزية، جامعة ديالى، زوجة الدكتور مشحن حردان العلواني، اغتيلت يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٠٦م. ١٢٣ - أ. د. عبد الستار جبار، جامعة ديالى، كلية الطب البيطري، اغتيل يوم ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٦م. ١٢٤ - أ. د. مهند الدليمي، جامعة بغداد- كلية الهندسة، اغتيل عام ٢٠٠٤م. ١٢٥ - أ. د. حسن الربيعي، عميد كلية طب الأسنان- جامعة بغداد، اغتيل يوم ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٤م عندما كان يقود سيارته وبصحبته زوجته. ١٢٦ - أ. د. أنهار التك، كلية الطب/ جامعة الموصل، أحد أشهر أطباء العيون في العراق، حاصل على درجة بروفيسور، اغتيل في شهر تشرين أول٢٠٠٤م. ١٢٧ - أ. د. المهندس محيي حسين، اختصاص هندسة طائرات/ جامعة بغداد، اغتيل منتصف عام ٢٠٠٤م. ١٢٨ - أ. د. فيضي محمد الفيضي، جامعة الموصل، عضو هيئة علماء المسلمين في الموصل، اغتيل أمام داره في منطقة المثنى بالموصل بتاريخ ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٤م، خريج كلية الشريعة عام ١٩٨٥م، حاصل على الدكتوراه نهاية التسعينات. ١٢٩ - الدكتور العميد منذر البياتي، (طبيب) اغتيل أمام داره في السيدية يوم ١٨/ ٦/ ٢٠٠٥م. ١٣٠ - الدكتور العميد صادق العبادي، (طبيب) اغتيل يوم ١/ ٩/ ٢٠٠٤م في منطقة الشعب في بغداد عند دخوله المجمع الطبي الذي شيده لتقديم الخدمات الطبية وبأسعار رمزية١٣١ - الدكتور عامر محمد الملاح، رئيس قسم الجراحة في المستشفى الجمهوري التعليمي، اغتيل قرب داره يوم ٣/ ١٠/ ٢٠٠٤م. ١٣٢- الدكتور رضا أمين، معاون فني في مستشفى كركوك التعليمي، اغتيل يوم ١٥/ ٨/ ٢٠٠٥م في كركوك. ١٣٣ - الدكتور عبد الله صاحب يونس، مدير مستشفى النعمان التعليمي في الأعظمية، اغتيل يوم ١٨/ ٥/ ٢٠٠٥م. ١٣٤ - أ. إبراهيم إسماعيل، مدير عام تربية كركوك، اغتيل يوم ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٤م عندما كان متوجها إلى المعهد التكنولوجي جنوب كركوك. ١٣٥ - أ.راجح الرمضاني، مشرف تربوي اختصاص، اغتيل بتاريخ ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٤م عند خروجه من جامع (ذياب العراقي) في محافظة نينوى. ١٣٦ - أ. د. جاسم محمد العيساوي، أستاذ في كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد، عضو في هيئة تحرير صحيفة (السيادة) اليومية، أحد الأعضاء

المفاوضين مع لجنة صياغة الدستور، اغتيل يوم ٢٢/ ٦/ ٢٠٠٥م في مدينة الشعلة في بغداد وعمره (٦١) عاماً. ١٣٧ - الدكتور المهندس عبد الستار صابر الخزرجي، كلية الهندسة/ جامعة بغداد، اغتيل يوم ٢١/ ٦/ ٢٠٠٥م وهو من سكنة مدينة الحرية في بغداد. ١٣٨ - أ. د. حيدر البعاج، مدير المستشفى التعليمي في البصرة. ١٣٩ - أ. د. عالم عبد الحميد، عميد كلية الطب، جامعة البصرة. ١٤٠ - أ. د. محمد عبد الرحيم العاني، أستاذ في كلية القانون/ الجامعة المستنصرية، وهو طالب دكتوراه في كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد، عضو هيئة علماء المسلمين، اعتقل يوم ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٦م من أمام جامع الفاروق القريب من شارع فلسطين في بغداد من قبل عناصر وزارة الداخلية، وجدت جثته في مشرحة الطب العدلي في بغداد يوم ٢/ ٥/ ٢٠٠٦م. ١٤١ - الدكتور قاسم يوسف يعقوب رئيس قسم الهندسة الميكانيكية في جامعة البصرة اغتيل في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٦م أثناء رجوعه من الجامعة في احد التقاطعات. أولئك الشهداء المبدعين كانوا من فئة الأساتذة الجامعيين، تغمدهم المجد كلهم، وساعة الحساب آتية لا ريب فيها، وعندها فقط ستستقر أرواحهم الخالدة، إذ أنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

وهناك عشرات الألوف من الشهداء/ الضحايا من كافة الإختصاصات العلمية: مدنيين وعسكريين، من غير المذكورين أعلاه. لا شك في ذلك.

ـ ٢ ـ

منذ الإحتلال الأمريكي للعراق كان الأمريكيون ومفكروهم من المحافظين الجدد والحركة الصهيونية واعين كل الوعي لما ينبغي أنْ يكون عليه العراق، وقلنا منذ فترة طويلة - وكررنا القول - أنهم يريدون تنصيب حكومة عميلة تنفذ بنود رؤيتهم السياسية، علاوة على جعل العقل العراقي صفحة بيضاء ينقشون عليها ما يريدون تحقيقه من أفكار صهيونية ورؤى سياسية إسرائيلية، وردت - أساساً - في الوثائق اليهودية والصهيونية والإسرائيلية. ولم يكن في الأمر أية رؤية ميتافيزقية تحاول إكتشاف المجهول بناء على رؤية ملهِمة قوامها الواحد الكلي القدرة والجبروت والعالم في تفاصيل المستقبل، كما لم يكن

الأمر بحاجة إلى عبقرية فكرية إِستثنائية تحاول إستكناه المعادلات السياسية عن الواقع القائم. إنما كان كل في الأمر هو الإيمان بمفردات الوطن العراقي: حاضره ومستقبله والإطلاع على مساره التاريخي في الماضي، والحفاظ على مصالحه التاريخية والحيوية من أجل بناء ذاته الوطنية الموحدة والمتماسكة، ووعي متطلبات شروط تطوره المطلوب للإِرتقاء إلى مستويات مهامه، والإخلاص للأمة العربية وطموحاتها في التحرر والإِستقلال والتوحد، والتمسك بالرؤية الحضارية الإسلامية التي تعد النصل الكفاحي لنشوء الأمة.

كان من الواضح أنّ الأمريكيين، في إطار رؤية إستراتيجية حرص قادتها السياسيون والمفكرون، يحاولون الوصول إلى قلوب وجيوب عشرات القادة السياسيين الذي وضعوا أنفسهم في طواقم القيادات السياسية العراقية، فتم تجميعهم على ضوء رؤية برنامجية صهيونية عبر مائة عشرة ونيف المليون من الدولارات، فكانت مؤتمرات فينا في النمسا ومصيف صلاح الدين في شمال العراق ولندن في المملكة المتحدة، ولا يمكن نسيان، بأية حال من الأحوال، رحلات جهابذة العقل السياسي العراقي المعارض، إلى طهران والرياض والكويت والقاهرة وواشنطن. ويستطيع حتى السذج أنْ يدركوا أنَّ رحلات أولئك القادة السياسيين لم تكن رحلات إِستجمام أو إِصطياف، إنما بسبب جوهري يتمثل بالتنسيق مع الأعداء الإمبرياليين في كيفية شن العدوان على الدولة العراقية، سواء بتزويدهم بالمعلومات أو تنفيذ بعض حلقات العدوان عبر الأعمال التفجيرية، والقيام - بنشاط دونه نشاط الشياطين - بحملات دعائية لتمهيد الأجواء في سير خدمة العدوان العسكري الإمبريالي الصهيوني.

والجولة السريعة، لكنها المدققة، المتفحصة، المتدبرة، في الوثائق الفكرية والسياسية، التي أصدرها المحافظون الجدد في أمريكا وما أصدره متصدرو «إيباك» على المستويات الفكرية تجاه العراق، ونابضهم الحركة الصهيونية، وكذلك الإمعان الشديد في الوثائق الفكرية والسياسية لكيان الإِغتصاب الصهيوني، وممارساته العملية التي إِتخذت الحملات العسكرية في شمال العراق، وقصف المفاعل النووي والتنسيق مع السلطات الإيرانية في

عهد الشاه بغية التعاون ضد الدولة العراقية في الشمال والجنوب، والدعم العدواني بالسلاح ضد العراق في مرحلة حكم الملالي: «ما عُرف بإيران كيت على سبيل المثال»، لكي يكتشف هذا العراقي: المؤمن والمخلص والمتمسك، بأنَّ ما أفرزه الإحتلال للعدوان الأمريكي كان لا يخرج عن مجالات التصور الصهيوني لما ينبغي أنْ يكون عليه العرق: ممزق الكيان السياسي خصوصاً في جانبه العملي، وما يجري في الشمال العراقي من سيطرة متفردة ومستحوذ على كل شؤونه من قبل الإنعزاليين العملاء وعبث منقطع النظر في الجنوب العراقي تقوم به القوات البريطانية والمخابرات الإيرانية وعملائهم، مجرد إعادة القراءة والتدقيق والتبصر في تلك الوثائق المكتوبة، بهدف تعميق الوعي، ومن أجل أنْ يفهم ممن لم يفهم بعد، أنْ يصبح العراق مفتت الوحدة الإجتماعية على صعيد تكوينه البشري، وإلغاء دولته التي تكونت في بدايات القرن العشرين، وتطورت سنة بعد أخرى، من أجل صيرورتها عنصراً فاعلاً يسهم في تقرير مصير المنطقة، إلغاء دولته المنظمة لوحدتي البشر والتكوين الجغرافي للعراق لصالح تجميع كمي لا حول له ولا قوة.

لذا كان تحطيم القوة العسكرية العراقية، وما وصلت إليها العقول المفكرة، بغية وأد إبداعاتها المتنوعة، وعلى كل الصعد، وحتى البسيط منها، ناهيك عن حلقاتها المتطورة، هو الهدف الأول والماثل أمام المحتلين، ولكن العراق سينهض من جديد مثل عنقاء خالدة، فالعراق باقٍ والإحتلال إلى زوال.

أتراهم يقتلون لو كانوا يحملون
أسماءً غير عربية وإسلامية؟!

خلال شهور متعددة مضت - وما يزال أيضاً - عانى فيها شعبنا ويلات متنوعة، جراء وجود المحتلين الأمريكيين، وتحكمهم بالقرار الأمني والسياسي في الأوضاع الذي تسود الوطن، فيما الأتباع لاهون في كيفية معالجة أزمات تشكيل وزارتهم، ويتهارشون في سبيل الحصول على بعض المواقع الوزارية، من أجل تحقيق مكاسب فئوية وطائفية، من دون أي اِعتبار للمصالح العليا للوطن أو أي اِهتمام لحياة أبناء الشعب العراقي وقيمه الفكرية والروحية. العدو الصليبي الصهيوني يعيث في أرض العراق نهباً وفساداً وتجزئةً وتفتيتاً، على أرضية سياسية أمريكية وإسرائيلية، والعملاء يعبدون الدولارات الموزعة عليهم، والمناصب التي بها يوعدون بالرغم من الِاستحقاقات الِانتخابية المزعومة، لذا فإنَّ الأمر الطبيعي أنْ يكون ذلك هو سلوكهم وشأنهم في اِختيار مواقعهم السياسية العميلة بغض النظر عن نواياهم.

في الفترة الأخيرة شهد وطننا تطورات خطيرة على مستوى وحدته الِاجتماعية، وبسبب رؤية أبنائه التاريخية، ورغم إدراكنا أنَّ السبب الأساس لهذا المنحى الخطير، المتمثل بوجود القوات الأمريكية المحتلة، إلا أننا شهدنا مظهراً فريداً يتمثل بإعدام العراقيين، بعد تعذيبهم الشنيع والقذر، جرّاء حملهم أسماء محددة. ولا يمكن لهذه الظاهرة أنْ تنشأ إلا على خلفية تاريخية ناءت النفوس بحملها المريض والحاقد والمرير، وهي تطلعت دوماً لتصفية الحساب مع كل مَنْ يحمل الرمز الدال على قابر النيران المجوسية في إيران منذ اِنبلاج فجر الحضارة العربية الإسلامية، بعد أنْ تمكن أبو لؤلؤة المجوسي من اِغتيال الخليفة الراشدي الثاني، من جهة أولى، وإيجاد شرخ «فكري وعاطفي» بين الصحابة وأهل بيت النبي، من جهة ثانية، وصب جام الحقد على اِسم الخليفة: عمر الذي فُتحت إيران في زمنه، من جهة ثالثة.

إنَّ الخلل الذي يحاول تعميقه العدو الإمبريالي، مباشرةً أو عبر عملائه في الداخل العراقي، يهدف إلى حرف الصراع بين العراقيين، كدولة وحاضر ومستقبل، من ناحية، وبين الأعداء الإمبرياليين المحتلين، من ناحية أخرى، يتكرر اليوم بصورة بشعة تثير التقزز والقرف، كما تكرر بالأمس لآلاف المرات في شتى المواقع العالمية التي جاءت إليها قوات الاحتلال. وأنَّ التغلب على مكامن هذا الخلل يتطلب الوعي السياسي النفاذ من خلال تخيل المستقبل السياسي المحسوس للعراق الوطني الموحد، الذي نتطلع إليه كمجتمع عراقي موحد على صعيد التعاون والتكامل التعاضد والتوحد في وجه المحتلين، فالعراق باقٍ والاحتلال إلى زوال. ومن خلال تحقق الهدف السياسي بالتحرير ونيل السيادة على يد أبطال المقاومة الوطنية العراقية، يتم بالتأكيد قبر مخططات المحتلين، من جهة، وسيحمل العملاء والتابعون معاول التهديم والتجزئة والتفتيت للوطن العراقي والمجتمع العراقي، ويرحلون بقضهم وقضيضهم وحقدهم، من جهة ثانية، فليتوحد المجموع الوطني العراقي في وجه الأعداء الغزاة المحتلين، وليقلع البعض بنفسه عن دائرة الجريمة المرئية الملموسة، وإليكم بعض الذين اغتيلوا على خلفية الإسم فقط.

{{ارتفع عدد العراقيين ممن يحملون اسم (عمر) الذين قتلوا على أيدي بعض العناصر إلى ١٢٢ شخصا بعد مقتل طالب في كلية الصيدلة اسمه 'عمر عبد العزيز' على أيدي عصابات ترتدي الملابس السود بعد اختطافه من أمام باب كلية الصيدلة والواقعة في حي اليرموك حيث وجد قتيلاً بعد تعذيبه في إحدى نفايات الزبالة، فيما أكدت الأنباء: أنَّ عدد الذين قتلوا منذ تفجير قبة سامراء بداية الشهر الخامس، وممن يحملون اسم عمر بلغ حتى الأسبوع الماضي ١٢٢ شخصاً وهم كل من:

عمر محمد خطاب، عمر باسل محمد، عمر عبد الخالق العاني، عمر ناجي أبو الثلج، عمر ناظم عبد الكريم،عمر حامد المحمدي، عمر تيسير خالد، عمر عبد الحكيم الدغيم، عمر ستوري الكبيسي، عمر خلف العيده، عمر جاسم سعدون النعيمي، عمر صباح الجميلي، عمر عز الدين الراوي، عمر سراج الحديثي، عمر محمد علي، عمر نصير الفهداوي،

عمر عبد العزيز، عمر شاكر الفراجي، عمر الخطاب ناصر، عمر مجيد التكريتي، عمر محمد السامرائي، عمر بكر المسعودي، عمر عبد العليم العيساوي، عمر حردان الدرويش، عمر غايب مجباس، عمر فهد شجاع السامرائي عمره ٧ أعوام، عمر مهدي أحمد، عمر حماد الشيحاوي، عمر شيحان الذيابي، عمر نوري العاني، عمر بشير الدوري، عمر عبد الرحمن القيسي، عمر سيروان الكردي، عمر فتاح الدليمي، عمر صادق حميد، عمر جبار الكرحوت، عمر فتيان الهيتي ، عمر مالك رشيد، عمر خزعل الأغا، عمر هوبي إسماعيل، عمر بديوي هنتاف، عمر بدري الكرانة، عمر حقي إسماعيل، عمر طارق إسماعيل، عمر عبد العزيز الجنابي، عمر عبد الله سهيل، عمر منذر البهادلي، عمر جمال الدين عبد الحق، عمر عزة أبو بكر، عمر عباس النظامي، عمر بتال السامرائي، عمر ياسر الدراجي، عمر إياد الخزاعي، عمر حسن رياض، عمر عدي جدعان، عمر الدانوك، عمر روكان رشيد، عمر مروان سعيد، عمر سيف الدين ضياء، عمر عادل الكبيسي، عمر عبد القادر علي، عمر فارس المهداوي، عمر أحمد الفكيكي، عمر فلاح أكرم، ومن المعلوم أنَّ البعض قـُتل بصورة جماعية أو فردية، بعد اِختطافه من مدرسته أو كليته أو أماكن عمله}}، تلك هي عينة من الأسماء، فهل هي تنطق بدلائل يبحث عنها البعض؟!.

دور الفرد في الأزمة السياسية: مجيد خوئي نموذجاً...

الفتنة تتصاعد في حياته ومماته

برز إسم السيد مجيد خوئي في سماء الأحداث السياسية المتفجرة عالياً مؤخراً. المناسبة كانت الدعاية الأمريكية حول مقتله بالطريقة المعروفة التي أعقبت الإحتلال الأمريكي للعراق: التمزيق بالسكاكين على أثر دخوله بمعية القوات الغازية من أجل خلق رافعة «شيعية» تسوق الإحتلال بذرائع الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وهي مباديء سياسية وفكرية منصفة وعادلة، ومفاهيم علمية متشوفة عند جميع العراقيين: الوطنيين منهم وغير الوطنيين فيهم، لأنها مباديء سامية: عالمية وقومية ووطنية تتسع لجميع المتحدثين عنها وذلك بالإعتراف منها.

كونها تصلح للتسويق في كل زمان ومكان، في المرحلة الراهنة على وجه الخصوص وبغض النظر عن الواقع السياسي الملموس، مما يجعلها مطروحة في كل البلدان والمراحل التاريخية التي تمر بها، مثلها في هذا: مثل مفهوم العدالة الإجتماعية خلال المرحلة السابقة التي تتراوح حدودها الفكرية بين الرؤية البولبوتية: التصفية الجسدية لكل مناويء للعدالة والإشتراكية غير الملتزم برؤيتها إلى الفابية التدرجية البريطانية، وما بينهما من مدارس إشتراكية تصل حد الشيوعية: الإلغاء التام للملكية الفردية التي كانت المظهر العام لأغلب العمل السياسي في أنظمة وشعوب العالم التي كانت تخضع لرؤية الإتحاد السوفييتي، قبل سيادة نمط العولمة على البشرية كلها.

الحالة العالمية الراهنة والملموسة هي صيرورة «نظام» العولمة هو المهيمن على العالم، والقطب الأمريكي فيها هو المجرى الرئيس المحدد للتطورات السياسية، «وهي ظاهرة متصلة بالمسيرات الإمبراطورية عبر التاريخ، أي بالهيمنة السياسية من جانب دولة مهيمنة أو مركز، والولايات المتحدة الأمريكية هي النمط السائد». [١]. بوجهها البشع على

الصعيد العربي الإسلامي والدولة العراقية من ضمنه، وهو في الآن نفسه المقاوم الوحيد في عموم المنطقة العربية بالقتال المتطور: التقني والبشري أيضاً، المعلن على الأقل، من أفغانستان إلى العراق وفلسطين ولبنان، والدعوات المعلنة للمناهضة لهذا القطب عند بعض دعاة الرؤية السياسية في إيران.

وإذا كان لابد من تسليط الأضواء على جذور الرؤية الدينية المقرونة بالعصبية الصهيونية المعروفة لتفكير سادتها الإستراتيجيين، فإنَّ أخذ «الإيمان الأيديولوجي» إلى حده الأقصى بإعتباره أحد أسباب عدوان تلك الإمبراطورية على العراق يبدو ضرورياً جداً في تسليط الأضواء على الإطار الموضوعي للعدوان، بغية التعرف على دور الذات السياسية الأمريكية في العدوان على العراق، وبالتالي التعرف على دور «الذات الإسلامية المذهبية الطائفية فيها» كما تتجسد بالسيد عبد المجيد خوئي. إذ تذكر بعض المعلومات التي تستند إلى أقوال الرئيس جورج بوش بالذات، أنَّ الرئيس الأمريكي مهووس بالعودة يومياً إلى «الكتاب المقدس: الإنجيل» وكتاب «التوراة العبرانية» مما يجعل مقولة: الأموات يتحكمون بتفكير الأحياء من وراء قبورهم مناسبة تماماً في تشخيص هذا الحال وذلك المجال، إذ أنَّ القوة الفكرية تتحول إلى قوة مادية عندما يجري تخصيبها بعوامل التطور التكنولوجي.

كما أنَّ هناك كتاب ثالث يواظب على قراءته، يحفز مضمونه البريطانيين للزحف على القدس وإفراغ المسلمين منها جرى تأليفه عام ١٩١٧م، فيما يردد أنصاره الأيديولوجيون أنَّ الدخول القسري للعراق سيتيح المجال لنشر المسيحية وفق الفهم الذي ينظِّر له القس بيل غراهام في العراق، كون الشعب هناك يتطلع إلى سد «الجوع الروحي فيه» وستقوم به رؤية إمبراطورية، ومعلوم أنَّ غراهام هو «الضوء الساطع» الذي يستجلب ذهن جورج بوش للدوران حوله، وهو أحد أبرز المفكرين المسيحيين المتصهينين، وصاحب النعوت التي تنتقص من الإسلام والمسلمين وشخصية الرسول [ﷺ].

ناهيك عن أنَّ كل المفكرين والسياسيين المحيطين بجورج بوش «متدينون حد التعصب» ويؤمنون - كما يؤمن - بأنَّ «الرب أعطاه مهمة تتمركز على كل أعمال الخير» المنتظر لصالح البشرية أو بتعبيره الأثير على نفسه، كما يبدو - فإنَّ بيل غراهام الذي تطرقنا إلى «شذرات» من إيمانه العدواني ودعواته المريبة في الفقرة أعلاه قد أثر عليه كلياً للدرجة التي يقول جورج بوش فيها: غراهام هو الذي «قادني إلى الرب». [٢]. وكل ما تقدم ينبيء عن «المعاني الإسلامية الإيمانية» الحقيقية لعمل السيد مجيد خوئي في نطاق الحملة السياسية - والعسكرية من بينها التي شهدها في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م - على العراق.

والتناقض الأساس - كما هو في تقديري - ينبع من كون الشركات الأمريكية على المستوى الإقتصادي هي المظهر الأساسي في كل العالم في المرحلة التاريخية الراهنة الذي يسود فيها نمط نظام العولمة، التي تسعى من أجل السيطرة على فعالياته الأساسية المختلقة، ولتنشيط عمل «نظام العولمة» يجري الإستعانة بالقوة العسكرية الأمريكية لفك وتركيب الدولة الوطنية - أية دولة - بغية إلحاقها بالنمط السائد عالمياً عن طريق السوق، بينما تصوغ الدولة الوطنية في العالم غير الأمريكي - أو حتى في بعض دول الشمال الأوروبي أيضاً بهذه الدرجة أو تلك - من خلال قياداتها السياسية المخلصة سياستها الوطنية القومية الحضارية الإسلامية أو غير الإسلامية المستقلة والمخلصة، أي بعبارة أخرى: غير التابعة للتعليمات الأجنبية: الأمريكية مباشرةً أو بشكل غير مباشر، إستناداً إلى مفاهيم الإستقلال والسيادة والبرامج الوطنية الخاصة البعيدة عن مصالح الإمبراطورية العالمية.

من بين أبرز ردود الفعل الوطنية على تمظهر هذا التناقض السياسي يكمن في الجانب الحضاري المديد في كل العالم، والذكريات التاريخية لتكوين هذا الجانب، وصيرورته المظهر الرئيس في عموم الأفعال المناهضة لسياسة هذه الإمبراطورية الجديدة، وإذا كان الكون العالمي «إستطاع التواؤم» مع معطيات الرؤية العالمية الأمريكية في مرحلة عولمتها عن خضوع أو إقتناع، فإنَّ الحضارة العربية الإسلامية التي هي المعطى الأساس لكل العرب على وجه الخصوص، هي المستهدفة في بنيتها وتفكيرها ونسق تطوراتها وهي - كذلك - تقاوم.

إنَّ إقتلاع جذور هذه الحضارة الفكرية وتراثها المضيء والقضاء على المقاومة العنيفة وغير العنيفة المرتبطة بها، كما تتبدى في الواقع السياسي والفكري الراهن هي مهمة القوى المحافظة للأمريكيين في الإدارة البوشية الجديدة، وهم صليبيون بالمعنى الذي أفرزته الحروب الصليبية السابقة التي جرت وقائعها على الأرض العربية وفلسطين في مركزها وصلبها بين عامي ١٠٩٦هـ - ١٢٩١هـ.[٣]

الذين تشربوا حتى الثمالة أفكار العهد القديم وروحية المشروع الصهيوني في القرن العشرين ومشارف القرن الحادي والعشرين، نتبين ذلك من أفكار وممارسات جورج بوش ونائبه ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد وبول وولفيتز وشارل بيرس وريتشارد هاس، وقبل هذا في رؤية تطلع الشركات العملاقة وسلوكهما في العراق المحتل على سبيل المثال الملموس، من جهة، والشهادة العملية لمعتقلي سجن أبي غريب - وهو السجن الواحد من بين عشرات السجون الأمريكية في العراق، وأنَّ النهج الأمريكي في التعذيب وانتزاع المعلومات ليس حدثاً يقتصر على ذلك السجن - الأبرياء أبرزه وأقربه تاريخياً، من جهة أخرى.

كانت ذريعة أمريكا وأتباعها لشن الحرب على العراق - كمثال ملموس ويقع في صلب اِهتمامنا - هي توفره على أسلحة دمار شامل، والعلاقات مع منظمة القاعدة أو مع أسامة بن لادن وبالتالي تنظيمه، وكلا المقولتين الدعائيتين اللتين التي جرى تسويق اِختراعهما أمريكياً، كما بينت الأحداث، وأكدت سابقاً نتائج ما يسمى بالتفتيش «الدولي» حول الأولى، فضلاً عن الناطقين الرسميين بإسم الدولة العراقية، كانت اللعلعة اللغوْية: [من اللغو وليس اللغة] حولها واسعة على مستوى الدعاية والتسويق: تحصيل حاصل عند كل محبي الرؤية الأمريكية وحاملي معول أقوال دعايتها السياسية ضد العراق.

يتساوى فعلهم مع فعل الأعداء الخارجيين في رسم وفرض لوحة الضغط السياسي على الدولة العراقية: اِبتداءً من الحرب الشاملة الجائرة كما حدث في بداية العقد التسعيني وعدوان ثعلب الصحراء العسكري، والحصار الشامل والمتعدد الأشكال، والقصف

العسكري بالطائرات والصواريخ الأمريكي البريطاني التي كانت تنطلق من أراضي وأجواء ومياه السعودية والكويت وتركيا، وإنتهاءً بالحملات الإعلامية والدعائية التي كانت ساحاتها العالمية كل غالبية دول العالم وتشترك فيها كل أجهزة الدعاية المقروءة والمسـموعة والمرئية + الأنترنيت وأجهزة الدي أج أل.

وكان لمجيد خوئي - وهو موضوعنا الراهن - دوره في تلك «المعزوفة الهارمونية» التي عزف فيها على أنغام طائفية محببة عند البعض العراقي من دون الوعي بأهدافها الحقيقية، والتي كان يحدد سـقفها قائد الأوركسترا العالمية العملاقة: رمز الإدارة المهيمنة في الولايات المتحدة الأمريكية على كل العالم، بعد أنْ وضعت في يدي السـيد مجيد خوئي ممكنات أداء تلك المهمة من أموال وتسليط الأضواء إضافة إلى مميزات كان يمتلكها الحضور البلاغي والخطابي وإنحداره أرومياً من ظهر المرجع الأعلى السابق للطائفة الأثنا عشرية: السيد أبو القاسـم الخوئي عليه رضوان الله وأمطره بشآبيب رحمته الواسعة.

إذ أنَّ نشاط أي الفرد في إطار أي فعل مفصلي ومحسـوس يمكن قراءته بما ينبثق - كما هو معروف - من معايير دوره العملي الملموس في الظروف التاريخية التي تنجم عن اِتخاذ الموقف السياسي أو الفكري على ضوء مواقف القوى المتصارعة الأساسية، والفرد يضيف جهده العملي لهذا الطرف أو ذاك على ضوء قوة الطرف الأقوى الذي يحدد وجهة نظر الأحداث السياسية الموضوعية - أو العكس - وتلعب الخطط ونسبة القوى والإدراك للرؤية المستقبلية دورها في تحديد الموقف السياسي للفرد من مجمل التطورات، لذا حدد الدين الإسلامي - مثلاً - موقف الفرد بطبيعة اِلتزامه بالرؤية الدينية ورضا الله، خصوصاً إذا كان رجلاً دينياً أو يدعي اِلتزامه الروح الفكرية والفقهية الدينية، وليس أي معيار آخر وليس - كذلك - في خدمة طرف ما: الفرعونية الأمريكية مثلاً، وضرورة تحمل نتائج موقفه الخاص، على ضوء فتاوى السيستاني ومحمد سعيد الحكيم ومحمد حسين فضل الله التي صدرت خلال الفترة التي سبقت الغزو الأمريكي وإحتلال الصليبيين الصهاينة للعراق!...

المقدمات وتحليلها وتوقع ما سينجم عنها، هو المقياس الموضوعي في اِتخاذ الموقف على ضوء مجمل التطورات العالمية، «لأنَّ اِكتشاف حكم المقدمة أما أنْ يستفاد من العقل بقاعدة الملازمة» كما يقول السيد محمد تقي الحكيم.[٤]. أو أنْ يصبح الفرد أسير رأي غيره، ودوره العملي يصب في خدمة عمل الآخرين وجهدهم المبذول لتحقيق أهدافهم الإستراتيجية، لذا أصبح موضوع الذريعة: فتحها أو سدها من الأمور النقاشية عند جميع الأصوليين المتفقهين بالدين الإسلامي.

وإذا كانت الدعاية الأمريكية حول فرية وجود أسلحة الدمار الشامل الملموس التي نفتها بشكل متكرر لجان التفتيش الدولية السابقة والبيانات المتكررة التي كانت تصدر عن حكومة النظام السابق - كما قلنا أعلاه - وسخافة دعوى العلاقات السياسية والأمنية مع القاعدة «الإرهابية» بأي شكلٍ كان، كونهما يفترقان أيديولوجياً في كل شيء فكري بِاستثناء عدائهما السياسي للإمبريالية الأمريكية في مرحلة عولمتها، وهي مقولات دعائية كان قد جرى دحضها عملياً بعد سنة من الِاحتلال، وتبين معها أنَّ هذه الأسلحة قد اِقتصر وجودها وِاستعمالها أيضا على القوة العسكرية الأمريكية فعلاً، كما بينته الدلائل البرهانية الموثقة، وأشرّت إليه الشواهد التلفزيونية الكثيرة. وأنَّ الغزو العسكري هو الذي جلب تنظيم القاعدة الإِسلامي للعراق بغية مجاهدة الأعداء الغزاة المحتلين دفاعاً عن المثل الإسلامية العالمية، كما يقولون.

إنَّ الأمر الذي هو المطلوب راهناً، وبشكل ملموس هو تحديد مضامين تلك المفاهيم من النواحي التاريخية والفكرية والسياسية، على ضوء المصلحة الوطنية العراقية وعلى ضوء الرؤية القومية العربية والفهم الحضاري العربي الإسلامي، وماهية مضامين تلك المفاهيم التي تتطلب عملية تحديدها في الواقع الآني، بغية ضبط الأرضية النظرية للمفاهيم المستخدمة بديلاً عن تسييح الألوان وخلط الأوراق وِانزلاق الأفكار أو سيولتها، وعدم معرفة طرفي الحلقة المركزية في التطور وضياعها من بين أيدينا: عدم معرفة البداية لها أو النهاية فيها، والِاكتفاء بالدوران عليها والتوهان فيها، بغية البحث الجدي عما نمسكه من تلك الحلقة المركزية كمنطلق في التفسير والتحليل وبالتالي تحديد معايير الحوار مع الآخر.

- الذريعة: ونعني بالذريعة خلال هذه الدراسة، هي ما جاء بتحديد مفهومها العملي وليس اللغوي المجرد، كون ثقاة الدين الإسلامي وعلمائهم وفقهائهم قد ركزوا على المفهوم بصورة أساسية، وبينوا أحكامها الشرعية، والذريعة في الإِجمال فإنَّ مفهومها هو: «الذريعة المفضية إلى مفسدة» ووفقاً لتحديد الإمام الشاطبي الذي نستعمله هنا فإنَّ الذريعة «التوسل بشيء بما هو مصلحة إلى مفسدة» أي وفقاً لتحديد العلماء المتأخرين «ما يتوصل به إلى شيء ممنوع مشتمل على مفسدة». [٥]. والإِحتلال الأمريكي الذي جاء السيد الخوئي مع القوات الغازية: التي يشرف عليها الصليبيون الصهيونيون، وما جلبه من كوارث على إِقتصاد العراق. [٦]. ولعل «الفتنة الراهنة» التي توسل بها الأمريكيون ذريعة مقتل مجيد خوئي لمهاجمة مقتدى الصدر وتنظيم «جيش» المهدي والنجف وكربلاء، هي الأخرى ناجمة عن حضوره في تلك الفتنة ومساهمته السابقة في الغزو والإِحتلال.

- الحرية: يرتبط مفهوم الحرية بالتطلعات الفردية، وهذا ما تقول به الرؤية الغربية على المستوى السياسي، وهو ما يعنى في ميدان التطبيق العملي بداهة، حرية تلاقي الأفراد وتجمعهم على أسس فكرية، وإِتحادهم على معايير فكرية وبرناجية: سياسية أو غير سياسية، بهدف التعاون بينهم والعمل التكاملي من أجل إنجاز هدف معين: سياسي أو إِجتماعي، على أنْ لا يكون ذلك، غير مضر، بالرؤية العامة التي تهم الوطن والمجتمع، ولقد حددت معظم الشروط سن ١٨ - ٢٠ لأعمار المتحدين لبلوغهم سن الرشد العقلي، وإمكانية إِتخاذ قراراتهم بصورة واعية حرة وبعيدة عن طغيان المؤثرات الخارجية، ولا شك أنَّ القسر والإجبار الذي قد تفرضه سلطات الدولة أو الإِحتلال ليس له علاقة بمفهوم الحرية الذي يتمتع فيه الفرد أو التنظيم، وهو المفهوم المسؤول أمام الضمير الذاتي الإنساني أساساً.

ولكن مفهوم الحرية بالنسبة للعولمة والرؤية الأمريكية هي حرية التجارة والإِستهلاك أساساً، على كل المستويات، وسيادة النمط الأمريكي على الحياة الإِجتماعية من دون أنْ يعني ذلك وصول المواطنين في «الدول الضحية» لرؤيتها السياسية الغنى الأمريكي ذاته

وبالتالي حصول أبناء شعوب تلك الدول: على الِامتيازات التي يتمتع الفرد فيها في الغرب المتطور: أمريكا، كندا، اليابان، بعض بلدان أوربا الغربية. أما مفهوم الحرية عند الرئيس الأمريكي هي حرية اِكتشاف الرب الذي اِصطفاه لإِيصال رسالته للعالمين كلهم، كما يقول متتبعي حياته الفكرية وصيرورة إيمانه الديني المظهر الرئيس في تفكيره.

- الديمقراطية: جوهر الهدف الديمقراطي الذي هو إرساء النظام السياسي الشامل في الدولة القانونية: أية دولة، وهو صيرورة العدل مظهراً عاماً في كل شؤون الدولة الحديثة والمعاصرة بالقدر الممكن، هذا ما هو معروف ومتداول ومطروح على الصعيد الفكري والسياسي على الأقل، بعبارة أخرى فإنها ظاهرياً محاولة لتقليص الظلم والشعور بعدم المساواة مع الآخرين عند كل المواطنين في الدولة التي يعيشون في ظلها، لذلك يرتبط هذا المقياس، أساساً، بمعيارين هما الحدود الدنيا: الوعي بالحقوق الفردية، وحرية الِاختيار في مَـنْ يمثلهم وينوب عنهم. يستمد هذا التقويم الموضوعي لمفهوم الديمقراطية من الواقع المعاش وبعيداً عن بطون الكتب والدراسات الوفيرة. والديموقراطية تعنى اليوم مع تكرس فوضى العولمة التي يراد لها الصيرورة كنظام عالمي شامل «حرية التجارة وحرية تنقل ورؤوس الأموال، وصيرورة الدعاية السياسية الإعلامية من غير سدود» وبشكل تام وكامل. [٧]

أي توحيد العالم عن طريق السوق كما يذهب إلى ذلك المنظِّر السيد سمير أمين. [١٠]

وذلك بالقضاء على الدولة الوطنية وِاستتباعاً بإنهاء نظام التخطيط المركزي في الدولة الوطنية، لصالح شركات أمريكية في جوهرها متعددة الجنسية في شكلها: بعبارة واضحة صيرورة الِاحتكار هو المهيمن على حياة الفرد في العالم غير المنتمي للشمال وجعله يغنِّي الشعر الرومانسي الحالم بحرية شخصية وهو غاطس في مستنقع مليء بالطين والأوحال حتى فمه ويتخبط في الأزمات الِاقتصادية - الِاجتماعية القاتلة.

- حقوق الإنسان: في مجال حقوق الإنسان التي باتت المقولات بصدده رائجة سياسياً وفكرياً، لابد من أخذ معايير الحضارة العربية الإسلامية بنظر الِاعتبار، فهناك

الكثير من الظواهر الغربية غير ملائمة لواقعنا العربي الإسلامي كمجتمع تسود فيه القيم الدينية الإسلامية... المسيحية... وغيرهما، تحديد المكان لنشر القيم الفردية وبث الحقوق حولها ضرورياً، فالمخدرات والفاحشة والشذوذ هي الأخرى ظواهر ترتبط بحقوق الإنسان كفرد.

ولكن ما نقصده في هذه الدراسة هو اِرتباط حقوق الإنسان بالديمقراطية السياسية وحرية الرأي وعدم فرض النمط الإداري المغاير أو المناقض على مجتمع إنساني معين ومحدد من دون حرية الاِختيار التي يجب أنْ يكون لصندوق الاِقتراع رأيه الواضح فيها، وهو الطريق الذي يفضي إلى تذليل روحية القسر وتجنب حل المشكلات السياسية بالتي هي أخشن، والقضاء على أفكار التعصب المذهبي والسياسي وسيادة العنف الهمجي، وقطع دابر الظروف الموضوعية والذاتية لتفريخ العمل السري أو محاصرته، وكذلك يمهد لمنع ترويج الأكاذيب السياسية عن طريق المطبوعات الصفراء التي تـُنشر في الخارج، وتتلقى الدعم المشبوه من الدول الأجنبية أو منظماتها الهادفة خدمتها أساساً. ومن الجدير ذكره أنَّ حقوق الإنسان كشعار يستحق النضال من أجله لاسيما كونه يرتبط بالمفاهيم الثلاثة السابقة، من وجهة نظرنا، مما يقلل من فرص فساد الحكم وفساد العاملين في صفوفه وتصبح مقولة: حكمت فعدلت فنمت التي تخص الحاكم السياسي هي السائدة في نمط الحياة المتشوف للجميع.

لقد دخل السيد مجيد خوئي العراق بمعية قوات الاِحتلال الذي وظبت ترتيب نقله من بريطانيا عبر الكويت إلى النجف - العراق بغية أداؤه الدور المرسوم له والمطلوب منه. مثله مثل أحمد جلبي الشخصية المدللة عند وزارة الدفاع الأمريكية: البنتاغون الذي تم نقله جواً إلى الناصرية ومعه بعض مساعديه ممن يلبسون الأزياء العسكرية الأمريكية وكروشهم تتدلى أمامهم على غير هيئات العسكريين الأمريكيين. لم يستحِ جلبي عندما دشن عمله في العراق بكذبة كبيرة حول ولادته ونشأته في الناصرية، في وقت يعلم الجميع أنه سليل أسرة عبد الهادي جلبي مدلل الوصي عبد الإله غير المقبور: أو المسحول حد التلاشي بعبارة

أخرى، ومن أبناء مدينة الكاظمية الذي غادرها بمعية عائلته بعد ثورة ١٤ تموز في العام ١٩٥٨م، بالرغم من الغموض حول جذور عائلتهم، كما يتطرق إلى ذلك البحاثة السيد حنّا بطاطو. [٩]. والذي جرى تعيينه عضواً في مجلس الحكم/ المحكوم وهو الذي يعد مقطوع الجذور عن أية خلفية شعبية أو سياسية وطنية عراقية، ناهيك عن سجله المشين في الميدان المالي: تشهد عليه عملية النصب الواسعة في بنك «مبكو» اللبناني وبنك «بترا» الأردني الذي جرى الحكم عليه غيابيا، وبالأشغال الشاقة، بموجب أفعاله التي تضرر منها آلاف المواطنين في الأردن بـ ٢٢ عاماً..

ولكن الغضبة الجماهيرية العارمة من الاِحتلال الأمريكي: العفوية والمباشرة، أعلنت عن موقفها من الاِحتلال العسكري الأمريكي للعراق عبر اِتخاذ موقف واضح من «الرمز الشيعي» المرافق للمحتلين الأمريكيين، فجرى تقطيع مجيد خوئي بالسكاكين إرباً إربا قبل تجميع جثته لدفنه في أرض النجف، من دون الاِحتفاء به وتشييعه المهيب ومن غير إقامة الفواتح عليه كما جرت العادة مع كل العلماء السابقين أو أبنائهم، قبيل بناء القبر اللائق به، ولشخصية دينية تنحدر من صلب المرجع الأعلى للطائفة: أبو القاسم الخوئي، وشكل ذلك ضربة بالصميم للمخططات الأمريكية الهادفة خلق رمز للطائفة تمرر عبره، وبالاِعتماد عليه، آفاق مخططهم المرسوم للعراق في المستقبل على ضوء المصلحة الأمريكية الإسرائيلية.

ولكن مَـنْ هو مجيد خوئي الذي غدا العملة الأمريكية الصعبة التي تعد قضية تصفيته «الورقة المعول» عليها في لعبة القمار الأمريكية على طاولة المباراة السياسية المشؤومة للغزاة المحتلين لفرض رؤيتهم السياسية؟. والذريعة التي جرى عبرها تصدير فتنة الاِقتتال داخل العراق والقبض على رمز التيار الصدري المقاوم لنهج الوجود الأمريكي: السيد مقتدى الصدر!، والذي سيتلوث بالرؤية الفارسية الصفوية الإيرانية وتمارس جماعته عملية القتل والحرق والطرد والتهجير لأبناء الطائفة السنية.

مجيد خوئي هو الاِبن الأخير للسيد أبو القاسم الخوئي الذي اِنتقل إلى جوار الله عن عمرٍ قارب المائة عام في النجف الأشرف، قضاها بالتحصيل العلمي الديني والفقهي منذ

نعومة شبابه، غادر مسقط رأسه في قرية خوي الأذربيجانية التابعة لإيران عندما كان يافعاً لما يبلغ الستة عشر عاماً: أي في مقتبل العمر الشبابي، وبز أقرانه في السعي الجدي والِاجتهاد المعرفي، وأتقن العلوم الدينية واللغوية العربية إتقاناً مميزا حتى قيل فيه أنه المرجع العلاّمة الذي لم تشهد له العصور مثيلاً، عاش في مجتمع يغلب عليه الطابع العشائري ويسود فيه منطق القوة الذي لا مكان يحظى بالِاحترام - ولا مكانة كذلك - فيه للضعيف ولا ينتمي لعشيرة محددة تنصره بالحق والباطل على أرضية النخوة والنصرة في المرحلة التاريخية تلك، التي كان نشوء الدولة العراقية القلِق من أهم سماتها، ومعلوم أنَّ أبا مجيد كان أحد الإيرانيين الذين كانوا يحاولون تجنب الِاختلاط بالمجتمع المحكوم بالقيم العشـائرية بالقدر الذي يسـتطيع، ولكن مع توسع العائلة، فإنَّ مزيداً من الِانخراط لهذه العائلة في الشؤون النجفية الِاجتماعية بات سمة عامة لها، ممن لا تخص بحثنا.

ولكن مع توسع المصاهرة مع العوائل الإيرانية: مع ما يسمى بالمجلس العلمائي، الذي كان يلعب دوراً ملموساً في صناعة المرجعية المذهبية، إضافة إلى تدفق الموارد والتفاف التجار الفرس خصوصـاً وكم المقلدين والأتباع، وبث الخلافات بين المتفوقين: لا الِاختلافات الفكرية والفقهية، كما سادت تلك المظاهر بين البروجردي والحكيم والخوئي والشاهرودي، وغيرهم - كما يذهب إلى ذلك شاهد عيان عاش في ظل ملابسات الحياة المذهبية - الدينية هو السيد عباس الخوئي. [١٠]. فقد زاد الِانخراط في الحياة الِاجتماعية النجفية ومن ثم توسعت إلى مختلف مدن العراق وبقية بلدان العالم الإسلامي...

يقول السيد عباس أنَّ أباه كان متفوقاً في الدراسـة والتدريس، وأنَّه اِختط طريق العلوم الدينية، لماذا: لا أعرف على وجه الدقة، لكن جدي لعب دوراً في توجيهه، فترك مدينته الواقعة شمال إيران، وتوجه إلى مدينة النجف لدراسة الأفكار المذهبية وفقاً للرؤية الإمامية. كان أبناؤه لا يرونه إلا حين الفترة الغداء لِانشغاله بالتحصيل. ودرس على يد العلاّمة السيد حسين النائيني مختلف الأصول والفروع، وكذلك على يد آخرين، ولكنه حاول نقل مقر الدراسة إلى كربلاء، وكان يقدم دروسه بحضور ستمائة طالب - مثلاً - لا

يتخرج منهم سوى العديد من الأفراد: على سبيل الذكر محمد باقر الصدر، وكانت دروسه تشهد ظاهرة فريدة هو رقي الدرس الفقهي الذي تطور على يديه قياساً لما كان سائداً منذ ألف عام... أي منذ بروز العلامة الطوسي. وكان له اِهتمام عملي يطلق عليها السيد عباس اِختراع لتبريد البيت عن طريق سحب الهواء من السرداب بواسطة وضع المروحة بشكل معكوس وتبريد البيت في الصيف، وهي طريقة صارت متبعة في مدينة النجف كما يقول السيد عباس.[١١]

عندما توفي وجد في حوزته أكثر من ملياري دينار، كما قيل ممن لهم علاقة بأسوب وتعامل المرجعيات

وهذا الرقم المالي النقدي الفلكي أثار إهتمامي ولفت إنتباهي، وبغية التوثق من المعلومة التي اِنتشرت واسعاً بين المواطنين العراقيين والآخرين المهتمين، أجابني ممن يعرفون في هذه الأمور جيداً بقولهم الإِستنكاري المتسائل، إنَّ المرجعية تنظيم واسع، أوسع مما تتصوره أنت أو أي فرد من خارج تنظيم المرجعية، وهل تريد السيد الخوئي، أو مَنْ ينوب عنه، أنْ يذهب للبنك في كل شهر أو في كل مناسبة لسحب الأموال للصرف على الأتباع والنواب وشؤون المرجعية والتدريس؟.

يقول السيد عباس - في التسجيل المشار إليه - أنَّ أباه كان يتقن اللغة التركية الأذربجانية بطلاقة ويفضل التكلم بها، واللغة الفارسية واللغة العربية الفصحى التي يقدم بها الدروس الدينية، دون المعرفة التامة باللهجة المحكية في العراق، منصرفاً للشؤون الدينية دون الإِهتمام بشأنه العائلي، ويحاول التقتير بلقمة العيش والملبس، مما دفعنا - هكذا يقول السيد عباس - للتساؤل عن سبب تمييز الضيوف الذين يُكرَمون بأشهى أنواع المأكولات عن واقع حال التقتير الذي نعاني نحن منه، وهو على ما يبدو من هذه الأحوال، ترك عند السيد مجيد تعطشاً لا يقاوم للطمع في نعيم الدنيا ومغانمها بأية وسيلة ممكنة مع شريطة الحفاظ على مركزه الديني.

أما المدارس المتوفرة - أساساً - هي الأهلية غالباً، والحكومية القليلة، النهارية والمسائية - الرسمية وغير الرسمية - وكان يسود فيها العقاب البدني الشديد مع التوصية بها أو قبول أغلب الأهالي لها... مما ترك أثراً في النفوس واللاوعي الذهني، تلك المدارس المتخصصة بالشؤون الدينية تقدم فيها الدروس في نطاق الفهم الديني، والطلبة فيها يدرسون اللغة العربية والفروع الدينية واللغة الفارسية، في الجوامع والحسينيات خصوصاً، والمدارس الدينية هي التي اِصطفاها الأب لأولاده الذكور دون الإناث، إذ كان تدريسهن ممنوعاً، وقد تفوق أغلبهم في تلك المجالات.

في رسالته المؤرخة يوم ١٠/ ٥/ ١٩٩٦م الموافق ٢٢ ذي الحجة ١٤١٦ هـ والمرسلة من دمشق إلى السيد علي خامنئي باِعتباره: «آية الله السيد علي الخامنه ئي مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية» حول «الروحانية المتردية في كل مكان» ووصول بعض الذين اِتخذوا المذهب الإمامي «وسيلة للإثراء الفاحش واللا مشروع» وفي إطار إيمانه «بالمسؤولية العينية» عن تنفيذ مبدأ «النهي عن الخطايا ومحاربة المنكر» أكد السيد عباس أنَّ العديد من الأسماء المهمة قد لعبت في تلميع صورة عبد المجيد خوئي، من قبيل قيام الملك الأردني السابق: الحسين بن طلال بحضور مجلس الفائحة المقام على روح المرحوم الخوئي الذي أقيم في لندن في «مؤسسة الإمام الخوئي بحضور العديد من الأسماء أمثال محمد موسوي الهندي وفاضل الميلاني ومحمد بحر العلوم» وتعزية بطرس غالي: الأمين السابق للأمم المتحدة مجيد بوفاة أبو القاسم الخوئي في آب ١٩٩٢م، وكذلك التعزية الإيرانية لمجيد بتقي الخوئي، في وقت يعلم الجميع أنَّ مجيد «لم يكن سوى معمم شبه أمي». [١٤]

وعن «التركيب الوراثي» للسيد عبد مجيد يقول السيد عباس التالي: «مجيد (خوئي) المزعوم بأنه اِبن المرحوم والدي آية الله الخوئي، وهو إيراني يقيم في لندن. ولا عجب بأنْ يولد مولود مثل (مجيد) من زوجة مكرهة على قبول مَنْ يكبر جدها كزوج وقد باعها أبوهـا الفلاح المعدم بثمن بخس نتيجة فقره وجهله. فإنَّ الناس يستغربون هذا الأمر الواقع ألا وهو الشك بالبنوة، ولكن فالأعمال الشنيعة في صغره والعمالة المكشوفة في

الفرص في كبره إلى صدام أولاً ثم إلى أسياد صدام تدل على أنَّ أمثال مجيد هم من أولاد الحرام أو يعملون أعمال أولاد الحرام لأنهم عانوا مما لا يُطاق نتيجة سوء التربية وفقدان العاطفة من الأبوين».

ويؤكد السيد عباس خوئي أنَّ «الأدلة على ذلك سأشرحها في الوقت والمكان المناسب». [١٥]. وأرى أنَّ الوقت قد أزف وحان لوضع المعلومات في إطارها الصحيح ونطاقها السديد، كون الفتنة التي يتذرعون بها هي محاسبة السيد مقتدى الصدر كونه هو الذي تسبب بمقتل مجيد خوئي، وإتخاذها ذريعة لنشر فتنة الإقتتال الداخلي والهجوم المسلح على الكوفة والنجف وكربلاء، والمعلومات ستسهم في سحب بساط الذريعة من تحت أقدام الأمريكيين من خلال كشف حقيقة العميل المعمم الذي سرق الذهب الورقي من أبيه.

المراجع والهوامش

[١] - كما يلحظ ذلك السيد جميل مطر، راجع كتاب العولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت / لبنان، الطبعة الثانية، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٨م، ص ٦٠.

[٢] - إعتمدنا في إيراد هذه المعلومات على موقع الجزيرة نت، المؤرخ بـ ١١/ ٣/ ٢٠٠٣م وبالإستناد إلى دراسة الكاتب الموريتاني المقيم في أمريكا: السيد محمد بن المختار الشنقيطي المعنونة: بوش... طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية، قسم الكتب.

[٣] - من بين أفضل العروض لمقدمات الحروب الصليبية على فلسطين والوطن العربي والعالم الإسلامي التي تم تكثيفها هو كتاب السيد د. قاسم عبده قاسم المعنون: ماهية الحروب الصليبية، الصادر عن عالم المعرفة الذي يصدرها المجلس الثقافي في الكويت، العدد ١٤٩، والصادر في مايو / أيار ١٩٩٠م.

[٤] - راجع كتاب الأصول العامة للفقه المقارن: مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، للعلامة محمد تقي الحكيم، نشر المجمع العالمي لأهل البيت (رضى الله عنهم) - قم، مطبعة أمير، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هجرية قمرية - ١٩٩٧ ميلادية، ص ٤٠١.

[٥] - لتحديد مفهوم الذريعة إعتمدنا كتاب محمد تقي الحكيم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩٣ - ٤٠١.

[٦] - إستضاف السيد أحمد منصور معد برنامج «بلا حدود» الذي تبثه فضائية الجزيرة من قطر، في برنامجه السيد علي المشهداني أحد مؤسسي رابطة خبراء النفط العراقيين حلقة خاصة عن واقع الإقتصاد العراقي ومستقبله سلط فيها الأضواء على المحاور التالية: مصانع الأسلحة العراقية، دور المقاولين وقوات الإحتلال، إستمرار نزيف نهب ثروات العراق، تدمير وسرقة البنية التحتية ومشاكل الفساد، تخريب الثروة الزراعية والحيوانية، مشكلة تزايد البطالة، طرق الخروج من المأزق الإقتصادي بالعراق، وذلك قي فترة إحتلال الولايات المتحدة للعراق، وذلك في يوم ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٤م. المصدر الجزيرة نت، المؤرخ في ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٤م.

[٧] - أنظر كتاب العولمة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٠.

[٨] - راجع دراسته الممتازة التي وردت في تعقيبه على الباحث الأستاذ ناصيف حتي الذي سلط الأضواء على دور تركيا العالمي في بحثه المعنون: الوطن العربي وتركيا في إستراتيجيات القوى العظمى، والتعقيب إستغرق الصفحات من ٤٩٠ - ٥١٣ بمعية المصادر، والذي توقع فيه: «إن النظام الجديد سيُفرض على شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بالعنف، والعنف وحده، مع التهديد بالإبادة الجماعية في نهاية المطاف». راجع كتاب العلاقات العربية - التركية: حوار

مستقبلي، وهو عبارة عن بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/ الطبعة الأولى، كانون الثاني، يناير ١٩٩٥م.

[٩] - وأحمد جلبي الإبن البار لعميد الأسرة الجلبية: عبد الهادي الجلبي أحد أبرز الشخصيات في الكاظمية، الذي «حظي في العام ١٩٣٨م بعطف عبد الإله الذي كان سيصبح وصياً على العرش لأنه ساعده بالقروض، وأبداً لم يسدد الأمير، الذي كان مغرماً بالرهان في سباقات الخيل، دينه لعبد الهادي، ولكنه جعله في الوقت المناسب وزيراً للأشغال العامة ثم نائباً لرئيس مجلس الأعيان» وعلى خطى هذه الممارسة قدم أحمد جلبي لوزارة الدفاع الأمريكية ومخابراتها «قرض المعلومات المفبركة» ضد العراق لكي ينصبوه عضواً في مجلس المحكومين، وأحمد جلبي الذي كان إسم عائلته حجيجي ينتمي إلى عرب من أربيل هاجروا إلى الكاظمية، وفقاً لقول جواد جلبي، فيما يدعي أحمد أنهم «يتحدرون من قبيلة طي العربية وكانوا يعيشون في جزيرة ابن عمر في الموصل» وهناك تناقضات واضحة في مضمون الروايتين اللذين هما لأفراد يرتبطون برابطة الجيل الواحد، في مجتمع يقدس القبيلة والروح العشائرية ويحرص على حفظ شجرة الأنساب. [راجع كتاب العراق: الطبقات الإجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول، حنا بطاطو، ترجمة عفيف الرزاز، إصدار مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية الثانية ١٩٩٥م، ص ٣٥٢]

ومن سخريات التطور أنْ يصبح هذا اللص الدولي، والجاسوس المزدوج لإيران ولأمريكا التي يتحكم ببنتاغونها اليهود الصهاينة أحد «أعمدة البيت الشيعي» ويفاوض ممثلي السيد مقتدى الصدر بإسمها في محاولة لإضفاء «غطاء سياسي» على حركة العمالة، من ناحية، وتقديم الخدمات المضافة للقوات الأمريكية بالقضاء على مَنْ يناهض حركتها السياسية المحتلة للعراق، من ناحية أخرى. وحسناً فعل السيد مقتدى الصدر عندما أعلن أنه لا يؤمن «ببيت شيعي خاص» وإنما يؤمن بوحدة كل المسلمين، مثلما دعا إلى وحدة جميع الدينيين العرب، على أرضية مناهضة الموقف السياسي الأمريكي الذي يقوده الصليبيون المتصهينون، فتلك المواقف تعد الدحض العملي لأي رؤية تفتيتية تستهدف الوحدة الوطنية العراقية. وقولنا ذلك مرتبط بفترة تاريخية لم يكن فيها متلوثاً بالرؤية الفارسية الصفوية.

والغريب - جد الغرابة - أنْ يصبح أحمد جلبي أحد أعمدة هذا البيت المزعوم بعد المعلومات التي صرّح بها عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة المشارك في الحكم من خلال إبراهيم الإشيقر الجعفري، السيد جواد المالكي - {والذي سيصبح رئيساً للحكومة الطائفية والعميلة} - الذي سبق له وأن أكد أنَّ «أحمد جلبي وهو أحد أبرز وجوه مؤتمر فيينا أخذ أموالاً من منظمة أمريكية تحت غطاء إنساني لتنظيم مؤتمر فيينا، وهنا علاقات الإستخبارات الأمريكية بهذا المؤتمر» من ناحية ثالثة. [نقلاً عن جريد السفير اللبنانية الصادرة بتاريخ ١٢/٦/١٩٩٢م] نقلاً عن كتابنا

المعنون العراق بين الرؤية الغربية وممارسات المعارضة العراقية: في ضرورات وعي الوعي الغربي» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٢م، وطبعته الثانية والموسعة أيضاً صدرت في العام ٢٠٠١م].

[١٠] - تسجيل مقابلة خاصة مع السيد عباس خوئي أجريته يوم ٢٤/٦/١٩٩٦م حول التكوين العائلي للإبن السيد عباس وتأثير العائلة على نشوئه، وما زلتُ أحتفظ به.

[١١] - المصدر السابق.

[١٢] - المصدر السابق.

[١٣] - ترددت هذه المعلومات كثيراً وسط «المجتمع العراقي» الذي كان يقيم وسط حي السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب، عليهم رضوان الله، ولم أجد تفسيراً عقلياً منافياً لتلك الأحاديث يعطي حججا منطقياً لهذا الغنى النقودي المفاجيء عند السيد مجيد خوئي، وقيامه بفتح مدرسة كبرى ببريطانيا وتوزيع الأموال على المريدين والأنصار وطباعة الكتب الضخمة والإعلان عنها وبيعها بأرخص الأسعار.

[١٤] - راجع كراسه المكون من ٤١ صفحة الذي يتضمن قضايا تخص الروحانية الشيعية والإسلام بشكل عام، المطبوعة في دمشق يوم ١٠/ ٥/ ١٩٩٦م، ص ١٥.

[١٥] - المصدر السابق، ص ٢٧. تجدر الإشارة إلى أنَّ الكراس كان قد أُرسل إلى السيد «سماحة آية الله علي الخامنه ئي» وفيه النص التالي: «بعد السلام والدعاء ليثبت الله أقدامنا، أعرض لسماحتكم هذا العدد الأول النسخة الثالثة من الكراس الذي أرخته في ١٠/٥/١٩٩٦م المصادف ٢٢ / ذي الحجة / ١٤١٦ هـ والنسخة الأولى الأصل أرسلتها بالبريد المسجل إلى سفيركم الشيخ الأختري ليبعثها لكم، والنسخة الثانية (الأصل) سلمتها باليد اليوم بعد الظهر إلى الملحق الثقافي الإيراني نعنت زاده الذي شرحت له وشرح لي خطورة النشر، وهذه النسخة الثالثة الأصلية التي أبعثها لكم بالبريد اليباباتي السريع [DCS] الذي يكلفني (٣٥) دولار.

وأرجو أنْ تعرفوا بأنَّ إنتظاري سوف لن يطول أكثر من أسبوعين من هذا اليوم، فإنْ لم يردني الرد سلباً أم إيجاباً فأعتبر الرد سلبياً، وأضطر (لا سمح الله) إلى إرسال نسخ منها إلى نواب الشيعة في البرلمان اللبناني، ومن ثم أرسلها لبعض الرؤساء والملوك المسلمين، يلي ذلك النشر على مستوى الإعلام العالمي إنْ اضطررت إلى ذلك، وعندها أنتم وحدكم المسؤولون عن عواقب النشر لأني انتظرت أربعاً وعشرين سنة دون جدوى.

وقد أُعذر مَنْ أنذر، وأعتذر عن صراحتي التي أبغي بها رضى الله فإنها تريح العدو والصديق.

والله من وراء القصد..

دمشق - ١١/ ٥/ ١٩٩٦م الموافق ٢٣ / ذي الحجة / ١٤١٦هـ. عباس الخوئي».

مرضى الموقف العنصري

رغم تلفعهم بعباءة الفكر الماركسي

١٩/٨/٢٠٠٧م

رغم أننا واجهنا «الرؤية الفارسية» واحدة في عهدين سياسيين مختلفين، كبرنامج عملي سادا في إيران، من حيث المضمون السياسي تجاه الآخر غير الفارسي، وهما عهد الشاه الراستاخيزي: العمل الحثيث على بعث القيم الآريامهر المزعومة، خدمةً لرؤية عنصرية فارسية توسعية، من ناحية، وعهد الملالي التي تحاول تعديل الرؤية الحضارية العربية الإسلامية إلى أقانيم أيديولوجية صفوية، تسعى في نطاقها خدمة النزعة التوسعية الفارسية، أي رؤية صفوية فارسية من حيث الطابع الأيديولوجي، من جهة أخرى... رغم كل ذلك، فإننا قد نكون توسمنا خيراً برؤية أحد الأطراف التمثيلية لليسار الإيراني، بله أقصى قوى اليسار، لحظة حضور وفد التحالف الوطني العراقي للذكرى الخامسة والعشرين للحزب الماركسي اللينيني في ألمانيا.

لقد جمعتنا الطاولة التي تحلق حولها الناطقون باللغة الإنكليزية، كلغة ثانية في إستخداماتهم اليومية، كونها مزودة بأجهزة كهربائية تساعدنا على فهم كلمات الوفود التي ستلقى بإحدى اللغات الأوروبية: لاسيما باللغة الألمانية، وذلك خلال ذلك الإحتفال. كان إلى جانب وفد التحالف، أو بالقرب منه، وفد أحد الأحزاب الشرقية كما تدل ملامحهم على ذلك، عبارة عن شخصين والفارق الزمني بينهما كبير جداً، ربما بلغ الضعف، وما أن تعرفا علينا حتى بادر أحدهما بتحيتنا بتحية الإسلام: السلام عليكم، وكان ذلك الموقف هو الذي فتح باب التعارف والتحادث بين الوفدين، سألوا عنا وإستفسروا حول الإسم ومضمونه، وقبالة ذلك إستوضحنا يافطة تنظيمهم الكبرى، ومضمون مواقفهم الفكرية والسياسية، وعلى خلفية التعارف الأولى، والعابرة، في لحظات الإستراحة بين كلمة وأخرى، أو محاضرة وثانية، عرفنا أنَّ إسم تنظيمهم هو رنجـبَران: الكادحون، ومضمون إلتزامهم الأيديولوجي هو: الماركسية اللينينية.

ولكنني لحظتُ أنَّ سؤاله يتمحور حول كيفية بناء العراق المستقبلي، وتشديده على ضرورة الأخذ بالنظرية الماركسية اللينينة الصافية والمبدئية تجته أية تطورات قادمة، من جهة أولى، ومناوئة الرؤية الدينية الإسلامية بإعتبارها سبب تخلف الشعوب، ومنها إيران على وجه الخصوص، من جهة ثانية، وعندما تمت الإجابة على وجهة نظره تلك، إنَّ خصائص المهمات السياسية المطوحة على عاتق أي شخص مفكر أو تنظيم سياسي ينبغي أنْ تنبع من لوحة التناقضات الموضوعية، لا من طبيعة القناعات السياسية الإيديولوجية، والإلتزامات النظرية الفكرية، كون لحظ تلك التناقضات الموضوعية تعـّـد كشافات توضيحية لرؤية الطريق المستقبلي الذي يتجه نحو التطور المطلوب على أي صعيد جغرافي محدد، وعراق اليوم - كما قلنا، محتل إحتلالاً عسكرياً أمريكياً في ظل نظام متعولم تقوده إدارة أمريكية محددة المعالم الفكرية وملموسة القسمات السياسية وقاعدتها الإقتصادية الأساسية أو الرئيسية هي مصالح الشركات الإحتكارية الكبرى، والتدخلات الإيرانية السياسية والأمنية يستهدف إشاعة نزعة التفتيت الواسعة في نسيج وحدة المجتمع العراقي، وهو ما يقتضي توحيد الصفوف الوطنية المخلصة لمجابهة أعداء الشعب العراقي، وأعداء الوطن العراقي، المحتلين العسكريين وعملائهم من الذين يتزيون ببعض الأطروحات الفكرية/ الأيديولوجية، في الداخل والخارج، على أرضية التحليل الملموس للموقف السياسي الملموس، كانت وجهة نظرنا مكثفة ومختزلة جداً بحكم الوقت والموقف.

ولكن المتحدث الأكبر عمراً في وفد حزب رنجـبَران رفض هذا التوجه السياسي على الفور، وأجاب حول ضرورة فكرية - أو هكذا رآها - أنْ تحدد الأحزاب الماركسية اللينينة توجهاتها الصارمة، وتناويء على الفور الأفكار الإسلامية، بإعتبارها المهمة الآنية التي لا تقبل التأجيل، وأضاف لولا إنتشار الدين الإسلامي في إيران على حساب الإرث الديني الفارسي السابق، لما كنا نشاهد الزمرة الإستبدادية الحاكمة في إيران... إنَّ ذلك الدين هو سبب إبتلاءات إيران الراهنة.

كان واضحاً من موقف أحدهما، وهو الرجل الأكبر سنـّاً، من عضوي وفد رنجـبَران الإيراني، أنه يعتبر الدين العربي الإسلامي هو سبب تخلف إيران، ولا يعطي أي

بعدٍ فكري أو سياسي للمفهوم الفارسي الصفوي، التي تتحكم في عقلية وقناعات السلطة الفارسية القائمة في الحكم الإيراني. هل كان على قناعة بذلك، أم هي طريقة لنشر القناعات السياسية وبذر تخوم الدور المرسوم لهكذا منظمات تتلفع بثياب «التطرف اليساري» من أجل تمرير مواقفها المريبة؟!.

ذلك كان هو محور الحديث المستفيض بيني وبين الدكتور وجدي جهاد في مساء اليوم الأول للمهرجان عند العودة إلى الفندق الذي نستقر فيه. لم أشأ الدخول الفكري حول الفروق بين النظرية المثالية التي تشدد على مبدئي الإيمان والمعرفة، والفلسفة الماركسية التي تركز على عاملي النظرية والممارسة: الأولى توجه الممارسة والثانية تصوب الأولى وتغنيها وتتخطى أخطاءها، كما هو مفترض في تلك الفلسفة المادية الديالكتيكية، وعلى ضوء ذلك: أين أصبح واقع التطبيق العملي في التجربة الميدانية الأولى في نظام «الإتحاد السوفييتي»؟ وإلى أين إنتهت بعد سبعة عقود ونيف من الممارسات العملية، ليس في الداخل الروسي، وإنما في كافة بلدان المسكر الإشتراكي، فلربما يستغرق الأمر من النقاش السياسي طويلاً ونحن في لقاءات قصيرة الأمد!، ولم أشأ الإستفسار عن العلاقة بين روحية الأفكار الإسلامية وانتهازية الموقف «الإسلامي» ذي الأساس القائم على الشكل الطائفي المضمون في إيران وعملهم التفتيتي في الساحة العراقية، فلربما لا تلزمهم «دروس» التوجه الإسلامي الإيراني المزعوم بأي إلزامات ينبغي عليهم أخذ مضامينها بنظر الإعتبار!.

في اليوم التالي كان السؤال الأول من قبلي عن إسمي ممثلي الوفد الذي تشكل منه حزب رنجبران، وتبين أنهما: إبراهام وموجيي، الثاني هو الأصغر سنـّاً، ومنذ تلك اللحظة قررتُ أنْ أوجـّه النقاش إلى جانب آخر، وبعيداً عن المحتوى الديني، الإسلام والزرادشتية والمجوسية وغيرها، التي يصّر «صاحبنا» التركيز عليها، لـ«غرضٍ في نفس يعقوب»، كما يقول المثل العربي، فسألته عن طبيعة النظام القائم في إيران، فلم يزد عن القول، أنه إستبدادي، وتساءلت مرة أخرى، عن مَنْ يكون ضحايا ذلك الإستبداد من الشعوب الإيرانية، ولكنه أحجم عن تحديد مفهوم الإستبداد، مثلما إمتنع عن الجواب بشأن

الموقف من القوميات المكونة لإيران، وحاولت التخصيص الأكثر دقة بمضمون السؤال، فسألتُ عن موقفهم بشأن الأحواز: «عربستان»، ومدى حق شعبها بالتمتع بحقوقهم الطبيعية كالتعلم بلغتهم أيضاً، على سبيل المثال، وكان في ذهني عندما طرحت ذلك السؤال، موقف لينين من حق الشعوب والأمم في تقرير مصيرها، وجزمه القول حول ضرورة اِتخاذ الموقف المبدئي منها: «إنَّ جميع البيانات والإعلانات والتصاريح حول التخلي عن الإلحاقات ليست سوى أكاذيب برجوازية، القصد منها خداع الشعب، أو إنما هي تمنيات ساذجة برجوازية صغيرة، إذا لم يرافقها في الواقع تطبيق حرية الاِنفصال [...] حرية الاِنفصال التامة، الاِستقلال الذاتي (القومي) الأوسع، الضمانات لحقوق الأقليات القومية مع تعيين هذه الضمانات بدقة، ذلك هو برنامج البروليتارية الثورية»!.

فأجاب موجيي: أتقصد المملكة السعودية بقولك «عربستان»، والأحواز كانت غريبة على ذهنه، كما يبدو، أجبت وما علاقة السعودية في إيران، وكلاهما دولة «مستقلة» و«ذات سيادة»؟ وأضفت: إني أقصد الأحواز، وسكانه البالغ عددهم ما يربو على التسعة ملايين وفقاً للمصادر الأحوازية وخمسة ملايين وفقاً لبعض البعض المصادر الإيرانية، وكلهم يتكلمون بلغتهم الأم: اللغة العربية، بل هي تعد لغتهم التاريخية، أجاب الثاني: إبراهام إنَّ أمريكا تريد أنْ تجزيء إيران ونحن نرفض ذلك.

قلتُ أنَّ أمريكا تعمل بشكل يومي وحثيث في حقيقة فعلها السياسي الملموس، على تجزئة العراق سياسياً وتفتيت مجتمعه الموحد إلى مناطق إثنية وطائفية، ودستور بريمر: الحاكم الأمريكي المطلق الشاهد السياسي والفكري على ذلك التوجه، وكل ذلك لا يرتبط بأية مصلحة عراقية كشعب أو مجتمع أو وطن أو دولة، وإيران تسهم بنشاط يومي ومثابر في تلك الإستراتيجية السياسية الأمريكية منذ اِحتلالها للعراق وما تزال، والوثائق عن تلك الرؤية الطائفية والعنصرية والموقف السياسي ناهيك عن الممارسات العملية في كل يوم كثيرة ومرئية. فهل لكم موقف سياسي مما يجري في العراق؟ أم تؤجلون اِتخاذ الموقف السياسي الموقف الراهن في الواقع العراقي إلى رؤية الخطر السياسي بصدد إيران: الماثل في

الأفق سواء أكان مزعوماً أو حقيقياً، وهو ما نتحفظ عليه... تأجيله إلى الموقف السياسي العالمي أو الأمريكي الذي سيُتَخَذ من قبلكم في حالة إذا ما طُبِقَ المثال العراقي في إيران رغم أنه ما يزال في عمر الغيب؟ لم يُجِبْ السيد إبرام عن السؤال وتشاغل عن مناقشة الفكرة!.

ولكني عقبت على تصوراته السياسية من خلال التساؤل عن منظمات سياسية إيرانية كانت قائمة قبل وصول الملالي إلى السلطة في إيران، أين هو تنظيم «إتحاد كومنستهاي إيران» الذي كان يصدر جريدة «حقيقت»؟ وأين هو تنظيم بيكار: الكفاح الذي كان واسع الِانتشار في إيران غداة التغيير الذي طال السلطة الملكية الشاهنشاهية؟ أين هو تنظيم فدائيي الشعب: «أقليت» التي كانت تقوده المناضلة أشرف دهقان؟ أجاب أحدهما أنها تعيش في لندن، فيما الثاني، وهو الكبير في السن أجاب بالقول: لقد اِنتهت، وأضفت معقباً على قوليهما: لقد أعدمت سلطة الملالي كوادرها وقادتها وطاردت مناصريها إلا مَنْ أصبح في خدمة السلطة الفارسية الصفوية، كقادة حزب تودة: الحزب الشيوعي الإيراني الرسمي أو بعض أتباع أكثريت.

وعندما أشرتُ إلى العمل المتواصل الذي تقدمه منظمة «مجاهدي خلق» الإيرانية الذي لها الحضور السياسي والتنظيمي الواسعين في هولندا قاطعني السيد إبرام بشكل مفاجيء، كما هو حال الملسوع على حين غفلة، بأنَّ هذا التنظيم وأتباعه من الخونة، وهكذا نسي «أخونا اليساري الإيراني» الإجابة على الأسئلة السابقة، ونسي كل جهود هذه المنظمة سياسياً وتضحيات أعضائها وكوادرها وشهدائها: السابقة والحالية، ليكتفي بتوصيفها بالخيانة! سألتُ: لمن كانت خيانتها للسلطة الفارسية الصفوية أم لغيرها؟ أو إلى أية جهة يرى أن أفعالها «الجهادية» تسهم في مراكمتها ولمن تستهدف كل أفعالها وأعمالها، قال أنها خائنة للشعب الإيراني والوطن الإيراني، وهكذا غابت «النظرة الطبقية» عن رؤية هذا «اليساري النشيط» وأخذ يتكلم عن الشعب والوطن وفق ذات النظرة التي يأخذ بحذافيرها الفكرية والسياسية الحكام الفرس الصفويون.

ولكني فاجأته بسؤال آخر: وماذا تعطي للسلطة الحاكمة من توصيف سياسي، إذا كنتَ تصف منظمة واسعة: كمنظمة مجاهدي خلق التي ما تزال تناويء سلطة الملالي في طهران بفعالياتها الكفاحية المسلحة والسياسية منذ عشرات السنين، وتضحيات شبانها وشاباتها المستمرة، ومساهمتها النشيطة في إسقاط سلطة الشاه السابق عبر الكفاح العنيف وغير العنيف... تصفها بالخيانة: أجاب بشكل واضح أنها تعمل بإخلاص من أجل الوطن الإيراني - وعليَ الإشارة إلى أنَّ هذا الجواب لم يعجب السيد موجيي، فاِعترض على ذلك بلغة فارسية لم أفقه منها شيئاً باِستثناء الإعتراض على مسألة إخلاصها للوطن الإيراني. خدمة سلطة الملالي لـ«الوطن الإيراني» - هو آخر «حِكَمْ» هذا المندوب عن تنظيم يساري متطرف: العجيب والساكن في الولايات المتحدة الأمريكية - وربما كان قائدها الأساس - منظمة «رنجْبَران»، ولكني لم أكتفِ بجوابه ذلك بل عقبت عليه بالقول التالي:

يعلم السيد إبراهام، أن الوطن الإيراني يضم شعوب وقوميات متعددة رغم تعايش مجتمعه وتوحد دولته، التي تكون - ربما - تحت وطأة السيادة الجائرة لسلطة الملالي بالنسبة لبعضها، وهو ما تجلى في السابق بسلسلة طويلة من الإعدامات «الرسمية» وغير الرسمية التي طالت رموز وكوادر وطلائع بعضها في الداخل والخارج، وتغييب حقوقها القومية كالعرب والأكراد والبلوش والأذريين - على سبيل المثال - فكيف ترون ذلك في إطار النظرة الماركسية اللينينية السياسية والمبدئية لحق تقرير مصيرها؟! لم يجب عن ذلك التساؤل الحاد والمدبب: لا سياسياً أو حتى فكرياً بل اِنصرف إلى تعداد تكوينات الشعب الإيراني القومية وأعداد المنتسبين إلى ذلك الوطن وكأننا نجلس في صف دراسي نتعلم فيه المعلومات الجغرافية عن بلد معين وندرس الحالات الإجتماعية له وتلقي الإحصائيات الرقمية المجردة! ولسنا في معرض مناقشة حول قضية محددة بمكان وملموسة في زمان تاريخي.

لقد غابت النظرة السياسة والمواقف الفكرية والرؤية السياسية المتفحصة لمسألة التطور السياسي والنظرة المعمقة بصدد المشكلات السياسية المزمنة والناشبة، وتوارى البعد

الطبقي الذي كان مقياسه الأساس قبل مدة وجيزة عن أي تحليل سياسي أو فكري للمسألة الإيرانية، كما غابت المعايير الفكرية التي تتخذها النظرية الماركسية اللينينية تجاه الظواهر السياسية والاِجتماعية كلها، رغم رفع منظمة «رنجْبَران» راية التطرف اليساري، ومزاعمها عن تمثيلها لكادحي إيران، ومنذ تلك اللحظة رأينا، أنا والأخ الدكتور مجدي، اِبتعاداً متعمداً عنا، رغم كل محاولتنا تحفيز الحديث معهم، ولكنهم كانوا يكتفون بتفخيم أسمائنا وإضافة صفات الأستاذية علينا فهل كان ذلك التفخيم عبارة عن أسلوب فارسي للإساءة إلينا أو من قبيل فرض ضرورة اِحترامهم لنا وبالتالي مقابلتهم بالمثل أو كان وسيلة تكمن فيها عملية الهروب من المناقشة؟ الله أعلم بما في الصدور!.

ولكن الأمر الأكيد أنه قد تبين لنا وبالملموس الناجم عن أحاديث ممثلي هذه المنظمة أنه المثال الساطع والملموس على الواقع الفعلي لبعض المنظمات المتياسرة تجاه التطورات السياسية: أنهم مرضى الموقف العنصري رغم تلفعهم بعباءة الفكر الماركسي اللينيني!. ألم يكن القائد البلشفي والمفكر والمارس الأكبر في النظرية: السيد فلادمير إلج أوليانوف: لينين محقاً عندما شبه بعض الشيوعيين بأنهم يشبهون واقع الفجل الأمريكي: أحمر من الخارج وأبيض من الداخل، أي أنهم شيوعيو الصبغة الشفافة. فالكل متشابه في ذلك الموقف من خيث خدمة العدو الطبقي: ألم نشاهد حزب «وطن حر وشعب سعيد» العراقي في خدمة الرؤية السياسية الأمريكية وخدمة الحكومة الطائفية!؟.

ملاحظة جديرة بالتفكير

في اليوم الثالث من الاِحتفال بالذكرى التأسيسية الخامسة والعشرين للحزب الماركسي اللينيني تصادفنا في تلك المدرسة التي كانت مقراً لنشاط الحزب في ذلك اليوم... تصادفنا وأحد ممثلي تنظيم «توفان» الإيراني، أو هكذا رأينا اِسم الصحيفة الناطقة باِسم تنظيمهم، وكنا في عجلة من أمرنا في سياق محاولة الاِستماع للمحاضرة عن الوضع المالي لتنظيم الحزب الماركسي اللينيني وكيفية تجاوز المآزق التي قد تنتصب أمام عملهم، فادعى

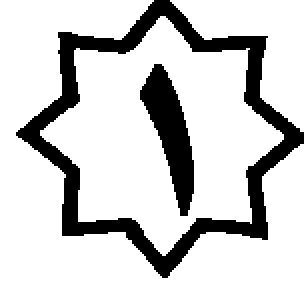
ذلك الممثل لتنظيم «توفان» أنّ له صلة سياسية بتنظيم التحالف الوطني العراقي وذكر إِسـم أحد أعضاء هيئته المركزية، فأكدنا له أنْ لا علم لنا بهذه العلاقة ومتى نشأت وكيف تطورت؟ لكنه في نهاية الأمر جرى توضيح الأمر له بشكل موجز وسريع. أي توضيح مسألة بناء العلاقات السياسية للتحالف مع أي طرف وكيفية نسجها.

وعندما سألناه عن موقف تنظيمه من المطالب السياسية للقوميات غير الفارسية التي تتكون منها الدولة في إيران لأسباب لا مجال لمناقشتها راهناً، أجاب ممثل تنظيم «توفان» بذات الجملة التي اِدعاها ممثلا منظمة «رنجْبَران» الإيرانية: إنَّ أمريكا تريد تجزئة إيران فهل كانت تلك التعويذة السياسية مجرد دجل فارسي صفوي دأبت سلطة الملالي على تسويقه في الدعايات اليومية للخارج، وأخذ بعض المنظمات السياسية والحزبية: المتياسرة يردده كالببغاء من دون التفكير الجدلي في حاضر الوضع السياسي الإيراني ومستقبل هذا الحاضر، كون سلطة الملالي تعادي الولايات المتحدة في العمل اليومي بشكلٍ مكشوف على كل الصعد بما فيها وجوده في العراق، في حين أنها تنسق يومياً مع نظام العولمة الأمريكي على صعيد مستقبل الدولة العراقية على أرضية «تخادمها السياسي المشترك»؟ أم نابع من قناعات فكرية وسياسية عند منظمة «توفان» الذي لم نعرف هدفها السياسي في مواجهة طغمة الملالي الحاكمة في إيران: بالتحديد والضبط!.

الفصل الثالث

قرون الشيطان الفارسي:
ضرورة مسكها وكشف مخاتلاتها

مقالات ودراسات متعددة لمناقشة دور البعث العميل «المتذاكي» عند السلطة الفارسية الصفوية



إعقلوا الخبر كي لا تتورطوا!

السادة في مواقع «الشبكات العربية والعراقية» المحترمون... تحيات لا حدود لها، وبعد

في تقريرين متشابهين في المضمون الصحفي والإخباري، ويحاولان الوصول إلى ذات الهدف السياسي، نشر السادة في موقع «شبكة العراق والعديد من المواقع العربية الأخرى» المحترمون في يوم التاسع والعشرين من الأيام الأخيرة من هذا العام: ٢٠٠٤م، تقريرين إخباريين صادرين من طهران: العاصمة الإيرانية، نقله للموقع الإلكتروني: الإعلامي المشهور الأستاذ نجاح محمد علي، فهل هما له فعلاً؟ إذن لماذا كرر فيهما ذات الأخبار؟ باديء ذي بدء نتساءل ونحن مندهشون من إيراد النصين المتشابهين حتى بالكلمات. ما الأمر؟. أيعقل أنَّ السيد نجاح محمد علي هو مَنْ أرسل المادتين اللتين هما بنفس المضمون؟ هذا الإعتراض من الناحية المهنية والفنية البحتة.

كان عنوان التقريرين هما: اِتهامات إيرانية لعمّان وواشنطن باِغتيال الحكيم وقيادات شيعية. اِتصالات إسرائيلية مع بقايا النظام العراقي في عمان.

ولكن المعلومات ذاتها تتكرر مع اِختلاف طفيف في أسماء المصادر، هل هناك جهاز خاص أو متخصص في فبركة الأنباء على ضوء «الصراعات» الجارية في المنطقة بين إيران وخصومها؟ ومن ثم قد تم دسها على البعض لترويجها، أو فرضها على المخلصين لمهنتهم، بغية نشرها في المواقع العراقية والقومية العربية النزيهة؟.

المسألة كلها تجري في إطار - كما أفترض - جهود طرفين متنافسين حول دورهما المستقبلي في العراق، وهما سلطتا الأردن وإيران وكلاهما سهلا الغزو الأمريكي للعراق بشكل مباشر أو بشكلٍ غير مباشر، وهو ما سلط عليه العديد من المراقبين السياسيين الموضوعيين: الأستاذ محمد حسنين هيكل على سبيل المثال، وأحد ممثلي السلطة التنفيذية الإيرانية السيد محمد علي أبطحي في محاضرة له ألقيتْ في الإمارات العربية المتحدة. فكيف يتم زج أطراف عراقية تعلن عملها في المقاومة الوطنية العراقية في آتون ذلك التنافس بغية نشر الأخبار الملفقة عنها؟ ألا يتناقض فعل تلك الأطراف المقاومة وأنصارها ضد الأمريكيين المحتلين للعراق والصهاينة الداعمين لهم بكل ما هو ممكن مع المضمون السياسي للمذكرة؟.

وكيف تتسق معلومات ناقل التقريرين حول الِإستهداف الأمريكي - الأردني لمصادرة حياة أرفع مسؤولي الحكومة ممن خدموا الِإحتلال الأمريكي منذ هيمنته العسكرية على العراق وللآن؟ وهم الذين نسقوا و«ناضلوا» في سبيل ذات الأهداف السياسية التي كانت تصب في صالح كيان الِإغتصاب الصهيوني من الألف إلى الياء. يورد التقريران التالي: تتحدث «معلومات وردت إلى قيادات شيعية أخيراً تفيد بوجود قائمة معدة لِإغتيال أبرز أقطاب هذه القائمة [الِإنتخابية] وتضم عبد العزيز الحكيم ونائب الرئيس إبراهيم الجعفري (القيادي البارز في حزب الدعوة) وهادي العامري (أمين عام منظمة بدر التابعة للمجلس الأعلى) وعبد الكريم العنزي (عضو المكتب السياسي حزب الدعوة... تنظيم العراق) والعالم النووي حسين الشهرستاني».

الخبر يحاول القول بشكل غير مباشر إنَّ الأمريكيين غير موافقين على الِإنتخابات كون فيها قوائم «وطنية» في الوقت الذي يعلم الجميع بناءً على معلومات مؤكدة، وتصريحات موثقة، أنَّ الولايات المتحدة تصّرُ على إجرائها لإبراز «حكومة شرعية» قاعدتها «القانونية» قرارات بول بريمر السياسية و«القانونية المؤقتة» الذي سوق لكل هؤلاء الموضوعين على قائمة الِإغتيال!. إذن «الِإنتخابات الديمقراطية المزعومة» قد تحَدَدَ سقفها

السياسي منذ زمن بعيد، والقوائم المتنافسة مجرد شهود زور لا تلبث الوقائع أنْ تكشف أهدافهم السياسية وتوجهاتهم في نطاق القبول بالدور الأمريكي، ولكن بعد إلباسه أزياء حريرية: ناعمة ولكنها قوية، لتداولها على الصعيد الدولي بحجة الموافقة «الشرعية العراقية».

كما أنَّ لنا الملاحظات النقدية على الشخصيات التالية:

١ - السيد عبد العزيز الحكيم، رئيس ما يسمى بمجلس الثورة الإسلامية الأعلى: ضد مَنْ يقف وهو الوزير في الحكومة، إذا كان هو ذلك معيار التقييم السياسي المستمد من طبيعة التناقض الموضوعي. لقد كان من أكثر المتعاونين مع الطرف الأمريكي الذي إستهدف العراق، منذ فرض الحصار على المنطقة الجنوبية العراقية من قبل أمريكا وبريطانيا وفرنسا [راجع صحيفة «نداء الرافدين» الناطقة بإسم المجلس التي كانت تصدر في سوريا، في عددها الصادر بتاريخ الخامس من أيلول عام ١٩٩٢م]، إنْ لم يكن قبلها. وفي الفترة التي تلت العدوان العسكري الأمريكي الأطلسي الرجعي العربي المباشر، والصهيوني الإسرائيلي غير المباشر، الذي كانت قنابله تتساقط على العراق منذ ١٧/ ١/ في العام ١٩٩١م كان هو بالذات مسؤول التنسيق مع المخابرات/ القوات الإيرانية عبر العمل الميداني ومن خلال العسكريين الثلاثة: اللواء علي بلالك واللواء أحمد فروزندي والعميد قرباني والإشراف على إرسال الدوريات العسكرية إلى العراق لخلخلة الوضع الأمني في مرحلة إستعار التناقض بين الدولة الأمريكية، من جهة، والدولة العراقية، من جهة أخرى، حتى درجة وصوله مرحلة القتال والقصف المباشرين.

وهو عضو مجلس الحكم السابق الذي قاده «المندوب السامي الأمريكي» الجديد: بول بريمر وأشرف على كل عمله: الكبير والصغير وهو «أي بريمر» من بطانة المحافظين الجدد الأشداء في التعصب. وهو الوزير في حكومة العميل أياد علاوي الذي إعترف علناً وفي تصريح مكشوف للملأ «بتعاونه مع ١٤ جهازاً أمنياً/ إستخبارياً أجنبياً» وفي تقديرنا أنه كان عميلاً مخبراً لها: توصيل الأخبار وتنفيذ المهمات وتلقي الرشاوى.

فإذا أرادت أمريكا اِغتيال عبد العزيز الحكيم فهو تحت مراقبة العين التي تجمع المعلومات، فلماذا يجري وضعه على القائمة؟.

ألم ينفعها في السابق يوم أعلن السيد مقتدى الصدر مقاومته للمحتل الأجنبي وناوئه على كل الصعد؟.

ألم ينفعها حالياً من خلال دوره السياسي والإعلامي والتعطيلي لطاقات شعبية ترغب بالمقاومة الوطنية العراقية؟.

ألم ينفعها من خلال الترويج الطائفي في العراق الذي ينزع نحو التفتيت المجتمعي والشرذمة التقسيمية للوطن العراقي بما يؤدي خدمة المشروع السياسي لـ«أوديد أدنون» وتلك الخطة الإسرائيلية الصهيونية الموضوعة على جدول أعمال التنفيذ البرنامجي بعد أنْ تم إعداده منذ العام ١٩٨٢م؟.

ولا أعتقد أنَّ المعلومات التي لدى السيد نجاح محمد علي خافية عليه حول ذلك الشخص المستهدف [؟!] بالاِغتيال من قبل الأمريكيين، ولا شك أنّه يمتلك من المعلومات ما هو أكثر من ذلك، بحكم موقعه الإعلامي وقربه من ساحة الفعل «الإسلامي في إيران»، فكيف اِرتضى لنفسه ترويج الأوهام والأكاذيب والدعايات المخاتلة، وترويج الأوهام عملٌ ضار بِامتياز وفق كل الشرائع السماوية والوضعية؟.

٢ - السيد إبراهيم الجعفري موضوع على قائمة الاِغتيال للشخصيات الشيعية، يا لها من فرية كبيرة، نائب السيد عجيل الياور رئيس الجمهورية الذي عُين بعد المشاورات السعودية الأمريكية معرَّض للاِغتيال، من قبل الأمريكيين وهو المناصر للاِحتلال منذ اليوم الأول، وعضو مجلس بول بريمر الحاكم وأول «رئيس» للعراق بعد الاِحتلال والمرؤوس الفعلي لقائد المحتلين السياسي: بول بريمر. والجعفري هو الذي طبع قُبل الاِحترام على وجنات بريمر أمام كل المشاهدين العراقيين والعرب والمسلمين المتابعين للشاشات المرئية. والجعفري هو الذي برر من خلال مقابلة تلفزيونية أعمال التعذيب الأمريكي في فضائح

سجن «أبو غريب» وغيره من السجون. وهو الذي أسهم في حرف وجهة نظر بعض الدعاة المخلصين لدينهم وأمتهم نحو رؤية طائفية مقيتة وعطل عملها الجهادي ضد المحتلين الأمريكان البريطانيين واليهود الصهاينة. وتحت قيادته لهذا الحزب حارب عملياً وفكرياً مجاهدي حركة مقتدى الصدر الكفاحية عند مقاومته للأمريكيين... هذا الجعفري معرَّض للاِغتيال على يد الأمريكيين وعملائهم، يا لها من نكتة سمجة لا يقبلها إلا عقل طفل سياسي طائش. وأربأ أنْ يكون السيد نجاح محمد علي من هذا المستوى أبداً.

٣ - «العالم النووي العراقي» حسين الشهرستاني هي الأخرى: الكذبة المستمرة التي أستبعد جداً ترديدها من خلال قلم السيد نجاح محمد علي، فأين هو المشروع النووي العراقي الذي كان يعمل فيه الشهرستاني؟ أم أنَّ الدعاية الصهيونية حول قوة العراق الذرية قد اِنطلت على الجميع أو اِستمرأها البعض الخبيث فروَجها في سبيل خدمة إستراتيجيتها السياسية. هل كانت نوايا «وأعـدوا لهم من قوة... إلخ» وطموحات سـياسـية عند المسـؤولين العراقيين؟: نعم، ولكن هل بدؤوا العمل بتنفيذ بخطواتها، كل المعلومات المنشورة في أربع رياح الأرض ما خلا ما قالته بعض الأوساط الدعائية، تنفي ذلك وبالقطع، لاسيما خلال فترة اِعتقاله في العام ١٩٧٩م واِنهاء عمله الوظيفي، ولو كان يشكل أدنى خطر مباشر أو غير مباشر على المشروع العلمي العراقي لأعدمته السلطة السياسية منذ ذلك الحين، وهي سلطة شيطنها الجميع المعادي للعراق تماماً وعلى كل الصعد! لماذا يغتاله الأمريكيون وهم الذين أوصلوه إلى إيران بعد «إنقاذه»!؟ ألم يذهب إليهم طائعاً لتقديم «أكاذيبه الدعائية التي زودته الأجهزة الإستخبارية الإيرانية فيها» حول أسلحة الدمار الشامل العراقية التي تبين أنها إحدى الأكاذيب التي اِستعملتها الإدارات الأمريكية وأجهزة السي آي أي، ومجموع الترسـانة الإعلاميـة الهائلة بحِرَفِّـيَـة عالية بغية تسـويق العدوان الأمريكي على العـراق: غزوه واِحتلاله في العام ٢٠٠٣م؟.

ألم يرافق البرامج الإعلامية لمجموعة الجلبي في الأهوار العراقية الجنوبية لنشر الدعاية التي تريدها أمريكا في إطار غزوها للعراق؟ وقامت ببثها كل الفضائيات الأوربية وبعض

الفضائيات «العربية» والإيرانية. وإذا كان عالماً نووياً فعلاً - كما يزعم التقرير - فلماذا لم تستبقِه إيران للإستفادة من خبراته العلمية المزعومة، أم أنَّ الأكاذيب الدعائية ما تزال مطلوبة وأوهام الورم الناجم عن تركيز النظر في المرايا المحدبة هي العلامة المسجلة عند السلطات الإيرانية التي تتطلبها رئاسته للقائمة الفارسية الصفوية الاِنتخابية {رؤية وموقف} المطلوبة والتي تجيء مخاتلة الأخبار حول مزاعم اِغتياله مطلوبة لتلميع صورة أنصار الرؤية الفارسية الأثيرة على نفوس البعض؟.

فهل اِنطلت غايات التقرير السياسية على المراسل اللماح السيد نجاح محمد علي؟.

٤ - أما موضوع «الاِتصالات الإسرائيلية مع بقايا النظام» الذي تركز خلاله مضمون أحد التقريرين، هو الحديث المفضل الدائم عند أجهزة السلطة الإيرانية الدعائية المختلفة المستويات، وكذلك المسلسل المشوق الذي تبثه الدعاية الإيرانية، فهو الذي يستحق التوقف عنده ملياً بالقدر المسموح في هذه العجالة، ليس لكون المواقف السياسية الإيرانية غير مكشوفة، وليس لأنَّ التنسيق الإسرائيلي الأمريكي كان ناشطاً على كل الصعد تجاه العراق وضد دولته فقط، وإنما أيضاً لو كان ذلك متوفراً عشر معشار المصداقية من تلك الاِفتراءات لكان لها طريقاً موصلاً لقلوب وعقول المناضلين كلهم، وإذا كان المناضل الوطني العراقي السيد صلاح المختار قد عدّد المحاولات الأمريكية والغربية التي سعت لتمرير المشروع الصهيوني للعراق، من ناحية، وللبرهنة على الرؤية المبدئية في الموقف السياسي الوطني العراقي تجاه تلك المحاولات الأمريكية، من ناحية ثانية، [راجع شبكة البصرة الإلكترونية المعلوماتية ليوم الاِثنين المصادف ١٥/ ذي القعدة/ ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧/ كانون الأول/ ٢٠٠٤م والمقالة تلك بعنوان: عروض ومساومات رفضها صدام حسين، والرمز الإلكتروني للشبكة هي: **www.albasrah.net**]، فإننا نضيف إلى كل تلك المحاولات ما ذكره الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه حول «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل» الذي جاء فيه التالي:

لقد روى المرحوم الحسن الثاني: الملك المغربي السابق أنّ «العراقيين طلبوا منه التوسط لدى الولايات المتحدة الأمريكية لرفع الحصار. ورد عليه الأمريكيون بالشروط التي يطلبونها لرفع الحصار عن العراق وكانت ثلاثة:

١- أنْ يتعهد العراقيون بعدم اِعتراض مسيرة السلام لا مع الفلسطينيين ولا مع الأردنيين ولا مع السوريين.

٢ - أنْ يبدأ العراق بإجراء اِتصال مع إسرائيل في السر أو في العلن - ذلك لا يهم.

٣ - وأنْ تكون بغداد جاهزة بدورها للسلام مع إسرائيل.

وكان تعليق الملك أمام سامعيه: «لم يكن في كل هذه الشروط شرط أمريكي واحد، وإنما كانت كلها كما ترون شروطاً لإسرائيل». [راجع الكتاب الثالث من «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل» المعنون سلام الأوهام أوسلو - ما قبلها وما بعدها، الطبعة الثانية ٢٥/ أكتوبر/ ١٩٩٦م، إصدار دار الشروق، ص ٣٨٩].

فكيف يقبل العدو الصهيوني التفاوض مع مَنْ هم ليسوا في الحكم؟ من جهة، وكيف يقبل المناضلون المكافحون التفاوض مع أجهزة الموساد المخابراتية بعد أنْ كانت متوفرة لهم وأمامهم الفرص المعروضة أمامهم، وهم الذين كانوا يستحوذون على السلطة وما تعنيه كل اِمتيازاتها كما هو معروف؟، من جهة أخرى.

إنَّ حبل الكذب قصير كما يقال، فكيف والأمر قد إنكشفت مع كل الأكاذيب السياسية الدعائية: فضيحة إيران غيت. والأسلحة اليهودية قد اِقترنت بمعلومات عن دور إسرائيلي نشط في إطارها، لقد ثبَّت المعلومات عنها السيد حسين علي منتظري {وهو كان خليفة الخميني يومها، والمرجو} بمذكراته المنشورة في أحد ملاحق جريدة «الزمان» اللندنية. والكشف عن وجود ماكفارلين مسؤول الأمن القومي في دولة الشيطان الأكبر ومساعده في طهران: أمريكا كما كان يقول عنها الولي الفقيه السابق: روح الله الخميني، وترحيله من إيران بشكل سريع على أثر ذلك الكشف، والتي أعدم على أثرها مهدي

هاشمي مساعد السيد منتظري، واعتقل على أثر ذلك الكشف والفضح العقيد المخابراتي السوري أياد المحمود، بعد أنْ أعتدي عليه في أحد شوارع طهران، ومن ثم جرى إبعاده إلى سوريا، ونفذت بسببها عملية اِغتيال السيد حسن صبرا رئيس تحرير مجلة «الشراع» اللبنانية وسط العاصمة بيروت، كون المجلة هي التي نشرت تلك الفضيحة.

هي مؤشرات ليس إلا. ولا شك أنَّ السيد نجاح محمد علي يمتلك المزيد من المعلومات ولكن الظروف قد لا تسمح نشر ما في ذاكرته الوطنية العراقية.

ولكن مع ذلك تبقى التقارير السياسية الدعائية التي روجها السيد نجاح محمد علي تتحدث عن محاولات لِاغتيالات مزعومة بحق مَن جرى تجريبهم في طريق خدمة الغزاة، فيما التقارير الأخرى تتحدث عن «عملاء» لأمريكا رغم خوضهم حرب ضروس ضدها.

٥ - وكما أعتقد جازماً بأنَّ السيد نجاح محمد علي لا يقع في أوهام الحديث عن أي تحرك عسكري لتنفيذ اِنقلاب عسكري يعيد أركان السلطة السابقة إلى سدة الحكم، بما في ذلك الوقوع في مطب التناقضات المكشوفة، وعندما يتحدث التقرير عن محاولات لِانقلاب عسكري الذي سينفذه الجيش العراقي، وهي تقارير مطبوخة عند أناس لا يعرفون ما هو حاصل للعراق في أقل تقدير أو تناسوه عن عمد أو غفلة.

إذ أن السيد نجاح محمد علي يعرف قبل غيره أنَّ القوات الغازية قد أقدمت على حل الجيش العراقي الوطني، مما يجعل إمكانية توفير مقدمات أي اِنقلاب عسكري معدومة تماماً، والأمر الذي تتحدث عنه جهات معينة هو حديث اعِدَّ لغايات سياسية معلومة... وهو مجرد عمليات تهويش دعائية ليس إلا.

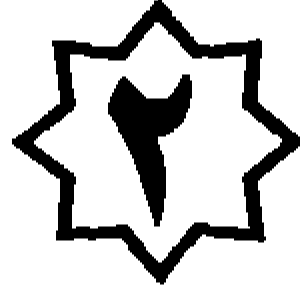
في أية حال إنَّ الِاتعاظ من التجارب التاريخية وفيرة، والمعاني المتوفرة عليها كثيرة، ولكننا نردد القول العلوي {نسبة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكرم الله وجهه} المشهور على ضوء هذه المناسبة التي صدر على ضوئها محتوى ما في التقريرين ونضعه أمام

«العيون» التي تعتلي وجه الكاتب نجاح محمد علي... نردد أمامه ومع كل الوطنيين المخلصين القول التالي:

«الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به» وعليه فإنَّ حكمته [هي الأخرى] مناسبة على هذا الصعيد «إعقلوا الخبرَ إذا سمعتموه عقل رعايةٍ لا عقل رواية فإنَّ رواة العِلم كثير ورعاته قليل» وكان التداول الشفوي هو الأساس قبل سيادة أجهزة الأعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، فـ«ليست الرؤية كالمعاينة مع الإبصار فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل مَـنْ إستصحبه»، كما يقول الأمام الأول للمدرسة الإمامية والخليفة الراشدي الرابع، [كرم الله وجهه].

السيد نجاح محمد علي من مستنقع الدفاع الآثم

إلى «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» بالمعنى الجاهلي، وليس النبوي...



محامي الشيطان لن يكون إلا شيطان آخر

... ولكنه قد يفتقر الشطارة!:

وعى ذلك أم لم يع!

(١)

إرث المظلومية المشترك!

في مقالة دعائية سياسية لإيران ومخاتلة من حيث الصياغة جداً، حاول السيد نجاح محمد علي، نشرها من خلال موقعكم المناضل: عربستان في ٢/ ١/ ٢٠٠٧م، الدفاع غير المباشر عن حفنة من المجرمين القتلة، بذريعة الولاء لـ«المنطق الشيعي» ونظرتهم «التاريخية» منذ «زمن السقيفة» وحتى الآن، كما جاء في إفتراءاته التي يكررها مهوسو الفكر الطائفي الفارسي الصفوي صباح مساء، كون «الشهادة» - كما زعم - مقياس عملهم، وهي فرية «أتقن الصفويون» كما يصفهم المرحوم علي شريعتي، نشرْها في العالم كله، في تمييزٍ لهم: خصائصهم وأفكارهم وعاداتهم، على ضوء «المنطق العلوي» الذي أخذ به الفقيد شريعتي في جعله المعيار لقراءته العلمية... لقد أتقنوا ترويج تلك «الرؤية» بين صفوف أسراهم المرضى برؤيتهم الفارسية الصفوية.

قبل باديء ذي بدء علينا القول، أنَّ تقديم المرء لنفسه أو المجموعة المؤلفة من أقرانه، على أنهم «ضحية مزمنة» هو خصيصة تاريخية أتقن لعبها « أتباع الديانة الموسوية من اليهود» الذين هم أشد أعداء للمؤمنين، كما يذهب إلى ذلك القرآن الكريم، وعداؤهم

للعرب المسلمين والمسيحيين الشرقيين في حقبة هذه المرحلة التي طولها المائة عام يجري تبريرها بذلك الظلم المزمن لهم منذ فجر التاريخ: والهتلري النازي على وجه الخصوص. لقد تلقف الفرس الصفيون تلك الأطروحة اليهودية الذي ينظرون بها إلى كل الأغيار المختلفين عن اليهود، عبر الموشور المعادي لهم.

لكي يصبح «الفرس الصفيون» الأمة الناجية الوحيدة من بين الطوائف والفرق الإسلامية في العالم كله اِتبعوا ذات الطريق ونفس تلك الأفكار ويقومون بالتكتيكات المشابهة، وما زالوا ينشطون بهمة فارسية طابعها الإصرار ونصلها الحقد الدفين، لتسويقها أمام بصر السذج والمخدوعين من الذين قال عنهم الإمام علي بن أبي طالب، [كرم الله وجهه]: «يهبون مع كل ريح وينعقون مع كل ناعق» ووضعوا أثمن ما منحه الله للبشرية: العقل الإنساني على رف الإقالة وإنتهجوا التفكير الطائفي الموبوء.

ولكن تلك الأطروحة لم تنطوِ أي من خفاياها، وبالقطع، على ذوي البصيرة النقدية النفّاذة والمخلصين لأفكار الرؤية الحضارية العربية الإسلامية. ولن تنطوي أبداً على أي عاقل متدبر متبصر يفكر بالخيارات الممكنة والصائبة على ضوء مفاهيم: الزمان والمكان ومرحلة العولمة، حتى لو حشد كل المعممين رؤوسهم باللفات السود والبيض وأظهروا كل دجلهم السقراطي غير الجدلي، لأن الممارسة العملية هي المعيار الموضوعي والمقياس الدنيوي الأهم، وليس غير ذلك أبداً. أما الحكم في الآخرة عندما تحين ساعة وقت الحساب، فهو من اِختصاص الله وحده، ومعيار العمل الصالح هو المقياس الموضوعي في تقويم الفرد: أي فرد، بغض النظر عن الإنتماء الأرومي وطبيعة التسلسل البيلوجي..

إنَّ لجوء السيد نجاح محمد على لمعيار الرؤية الفارسية الصفوية وممارساتها: «بالرغم من التجربة الإيرانية الناجحة في التعامل مع الحكام السابقين»، كما يقول، هو أحد أشكال المخاتلة الإعلامية/ الدعائية والسياسية التي تستبطن غير ما تظهر، فلقد كان ذلك التعامل مع الطاقم الشاهنشاهي في حقيقته العلمية الملموسة، محسوب إمبريالياً أمريكياً وفارسياً إيرانياً، فقد تم إعدام العديد من جنرالات الشاه الذين أستِنفدَت الأغراض السياسية

منهم، فيما تم التعامل مع البقية الباقية من أنصار الشاه الذين كانوا يناصرونه بالموقف الدعائي والعملي على قاعدة: غفور رحيم، بلهَ الِإستفادة منهم في بناء جهاز «السواما: جهاز المخابرات الإيرانية الحالي» على أنقاض مؤسسة «السافاك: جهاز المخابرات الإيرانية في عهد الشاه»، ولكن الِاثنين يمارسان نفس الفعل ضد المواطنين الإيرانيين على مختلف إنتماءاتهم الإيديولوجية وأنواع أرومتهم القومية... وفيما كان نصيب تنظيمات: «مجاهدي خلق» و«أقليت» و«بيكار» و«اِتحاد كومستهاي إيران» و«الأحزاب الكردية» وغيرهم من الأكراد والقوى الأذرية المجاهدة والعرب أيضاً: بمنتهى القسوة والعنف والمطاردة والقتل والِاغتيال والهجمات المسلحة والإعدام في الداخل والخارج.

إنَّ المعيار الموضوعي الذي نحاول أنْ نستذكره هنا، كمثال ملموس، وفي هذا السياق بالذات، هو ما حدث لمنظمة «مجاهدي خلق» الإيرانية، وخاصة من بين الذين أعدم منهم بشكل متكرر هم من الشباب اليافعين لم يبلغوا سن الحلم، فلقد جرى الإعدام الجماعي، ومن دون الإعلان، وفي ليلة واحدة أو ليلتين فقط، ما بين ١٥٠٠٠ - ١٧٠٠٠ شاب لمّا يتجاوز عمر أحدهم سن الرشد، أي أقل من ١٦ عاماً كما ذكرت وكالات الأنباء، [وكما جاء في أحاديث وكتابات الفقيه الكبير المجتهد منتظري: النائب السابق لخميني]، ناهيك عن إعدام خلخالي للأكراد وللمعارضة الإيرانية والتي أثارت ضجة عالمية حول المسخرة التي تبدت في تلك المحاكم «الإسلامية» وخنق المواطنين العرب ورميهم في مياه نهر كارون، وإعدام بعضهم الآخر لمجرد مطالبتهم بحقوقهم البشرية على أرضية الفهم القرآني: «وخلقناكم شعوباً وقبائل»، أما ما جرى للبلوش: سكان المنطقة الجنوبية الشرقية من إيران، وكذلك ما حدث لعميد الرؤية الإسلامية الإمامية التي قال بها المرجع الكبير العلامة كاظم شريعة مداري المرجع الأذري الذي يقلده ١١ مليون مواطن، فهي لن تخفى على أي متابع مهتم.

(٢)
الهدف الدائم تصفية العروبة

نقول بصراحة أنَّ مهمة الحكام المتسلطين على كراسي الحكم في بغداد، ليس محاربة الوحوش كما يذهب إلى ذلك الكاتب في إيحاء واضح لما قاله الفيلسوف نيتشة: السلف المثالي للرؤية النازية وصاحب كتاب هكذا تكلم زرادشت، وإنما محاربة كل العناصر العربية التي تخلص للعراق ولأمته العربية. و«عقلية الدريل» والقتل الذي يستهدف المواطنين العرب من مختلف الاِنتماءات الأيديولوجية والتكوين القومي العربي، بلهَ حتى «على نوعية الأسماء: كعمر وأبو بكر وعثمان» و«الاِغتيال اليومي» بحق أبناء الأرومة العربية: موظفين سابقين ومقاتلين في الجيش العراقي، وكتابة جملة: هذا جزاء كلَّ مَنْ يقصف جزيرة خرج على أبواب بيوتهم في أعقاب الغدر بهم والإقدام على اِغتيالهم، وأساتذة جامعيين نابغين، وأطباء نحريرين، ويمكن تعداد المزيد من الصفات لتكوينات كادر الدولة البشري المخلص للعراق وأمته العربية... إنَّ كل تلك الممارسات الشنيعة مجرد مثال مرئي وملموس وماركة فارسية صفوية بِاِمتياز.

وضحايا هذه الأساليب الإجرامية ليسوا وحوشاً بالتأكيد، بل هم مواطنون عراقيون أبرياء من أي لوثة عنصرية طائفية مصاب بها أركان الحكم الذين نصبهم المحتلون الأمريكيون والصهاينة، فهل يعلم السيد نجاح محمد علي أنَّ في مدينة عراقية واحدة قد أقدمت «قوات غدر» التي تأتمر بتعليمات حكيمي والأجهزة الأمنية الفارسية، وقوات مقتدى الصدر، وجميعهم قد رضعوا لبان حقدهم الطائفي والعنصري من الأجهزة الأمنية الفارسية، على اِغتيال حوالي ٩٠٠ مواطناً كربلائيا أو من الساكنين في كربلاء، من بينهم كل الضباط العسكريين العراقيين الذين خدموا في الجيش العراقي – ممن بقوا في المدينة – بما فيهم ذلك الطيار الذي تداولت قصته الصحف عندما جاء من الأردن لِاِصطحاب عائلته للعيش في الخارج والعسكريين من مختلف المراتب والأجهزة الشرطية والأمنية، فضلاً عن كل أعضاء الجيش الشعبي ممن قاتلوا على الحدود العراقية دفاعاً عن حياض

وطنهم العراق، ناهيك عن الحزبيين الذين كان آخرهم، وبالتأكيد ليس أخيرهم، السيد عبد الصاحب الياسري الموظف في البريد الحكومي، أولئك الشهداء فقط: هم من ضحايا الرؤية الفارسية الصفوية في مدينة واحدة: كربلاء المقدسة، خلال فترة ثلاثة أعوام من عمر الإحتلال الأمريكي/ البريطاني؟!؛ ويعلم القاصي والداني المطلع على شؤون العراق وتقسيماته الإجتماعية بحكم التعاقب الزمني، أنَّ الأغلبية المطلقة لسكانها أو سكنتها هم من أنصار الرؤية الإمامية الأثني عشرية!؟. فما هي الأسباب الكامنة وراء حملة الإغتيالات السياسية تلك، يا ترى؛؟ إنّ لم يكن وراءها البعد القومي العربي للتكوين الإجتماعي للذين جرى الغدر بهم!.

وهل يعلم السيد محمد على أنَّ حوالي ٣٠ عائلة من أهالي الرمادي والفلوجة، يعملون ومنذ عدة عقود طويلة، في منطقة المقالع القريبة من كربلاء والواقعة بينها وبين قضاء شثاثة، ومتصاهرون أيضاً مع عوائل من أهالي كربلاء، قد جرى تصفيتهم جسدياً كلهم، بذريعة «كونهم من العرب السنة» ويدعمون المقاومة الوطنية العراقية؟ وهناك تفاصيل عن هذه الواقعة المخزية لدى منظمة حقوق الإنسان في كربلاء يخشى القائمون عليها من نشرها على الملأ أو الإفصاح عنها للعراقيين والعرب بسبب سطوة قوات «بدر». أليس ذلك من العوامل الأساسية لإشاعة ظاهرة الفتنة والإقتتال الداخلي الذي يحرص الصهاينة الإسرائيليون و الفرس الصفويون على تعميمها في العراق وعلى حدٍ سواء؟. هذا في محافظة كربلاء فقط.

أما في محافظات بغداد والبصرة وديالى بابل والموصل وغيرها، فيستطيع أي صاحب ضمير واعٍ ومستقيم وصادق مع نفسه، وليس مهتماً بالأخبار فقط والدفاع عن الرؤية الفارسية الصفوية، أنْ يعرف «كم» و«نوع» الجرائم المرتكبة بحق العراقيين العرب!، ويدعوه لمراجعة حساباته والتفكير الجدي بالحاضر والمستقبل، مثلما وجوب مناقشة دوافع قول السيد محمد على حول: لماذا تصرف النظام السابق مع عائلة وأقرباء السيد نجاح، بالطريقة القمعية كما ورد في مقالته، إذا كان صادقاً مع نفسه ومع الآخرين،

والذين لم يُعدم أيُ واحدٍ منهم عن طريق الخنق أو الاِغتيال والخطف والقتل، ولم تثقب أجسادهم عن طريق الدريل أو جرى تعذيبهم بواسطة الحرق والسلق وبقية أنواع التنكيل التي أصبحت مثار الحديث الغاضب والمستنكر عند أغلب الوسائل الإعلامية في الوطن العربي والعالم الإسلامي والعالم.

ليست المسألة في الواقع الملموس، أيها المدافع الأشوس عن الرؤية الطائفية الفارسية الصفوية - بالرغم مما حدث لك في طهران وأنت أحد الأنصار لرؤية ملاليها السياسية، فكيف هو الأمر مع مناهضيها؟! - مسألة «خطيئة عابرة» عثر بها البعض أو اِرتكبها عن غفلة وعدم دراية، إنما هي جريمة متسلسلة كانت خطوتها الأولى القدوم مع دبابات الاِحتلال الأمريكي - البريطاني، والاِجتماع بالمجرم الإسرائيلي نتنياهو كما يروي السيد هيثم الناهي صديق الجعفري وأحد أنصار رؤية إسقاط النظام العراقي بأي ثمن، عن لقاءات جعفري/ الإشيقر مع الأعداء للعراق المنشورة في العديد من المواقع الإلكترونية ومنها في مقالتنا المعنونة: كيف ينبغي فهم الإنتفاضة الحسينية، [المنشورة في هذا الكتاب] وليس اِنتهاءً بتقديم سيف الإمام علي: ذو الفقار إلى الأنشط في جوقة المحافظين الجدد: دونالد رامسفيلد: وزير دفاع الجيش الذي غزا العراق واِحتل أراضيه، كما هي الصورة التوثيقية المنشورة على موقع [[www.iraqipa.net]] في باب أخبار وتعليقات أو في هذا الكتاب... ربما للاِعتذار عن حرب خيبر الذي خاضها العرب المسلمون بقيادة الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ضد اليهود في الجزيرة العربية إبان اِنبلاج فجر الحضارة العربية الإسلامية، أو الاِعتذار العملي منهم، على وجه أرجح، الموثق بممارسة الحكم المناصر لرؤية المحتلين والمطالب ببقاء قواتهم الغازية فوق الأرض العراقية يدنسونها صباح مساء ويرتكبون شتى جرائمهم الفظيعة، وما بينهما أو بعدهما من جرائم طائفية إثنية باتت تفقأ العيون لشدة وضوحها وسطوعها.

(٣)

وعي مسبق وإصرار متعمد

وحكومة المالكي وأنصارها ليسوا «ضحايا رؤية سياسية ساذجة وتكتيك أمريكي ذكي»، كما يوحي السيد نجاح محمد بذلك في مقالته المرائية المخاتلة التي تطالب بإخفاء معالم الجريمة الفارسية الصفوية بحق العراق، بل هي - وهم كذلك - الأصبع الأهم في الكف الأمريكي الصليبي الصهيوني واليد التي تبطش بها العنصرية اليانكية اليهودية الصهيونية أبناءَ العراق. ألم تقرأ إصرار الأمريكيين على أنْ يكون حبل المشنقة بطول ٣٩ قدما؟ وما يوحي به ذلك الرقم من إشارة إلى فعل المرحوم الرئيس العراقي السيد صدام حسين الذي خرق نظرية الأمن الصهيوني بـ٣٩ صاروخ عراقي أصابت أهدافها بدقة!، كما يقول الكاتب الكربلائي سلام عبد الهادي بالإِستناد إلى معلومات منقولة إليه من باطن المعتقل الذي كان مقراً للشعبة الثانية الخاصة بالقسم الإيراني الفارسي، والتي تم نشرها في العديد من المواقع الإلكترونية التي من بينها الموقع المذكور أعلاه.

ضحكت كثيراً عندما سمعتُ الفرس الصفويين وأنصار الرؤية الإيرانية يتحدثون أو يكتبون حول مسؤولية النظام العراقي السابق عن جلب المحتلين الأمريكيين للعراق، التي يحاول عزفها العملاء الصفويون من الفرس وغيرهم من المنابت القومية الأخرى، على الطالع والنازل، وكنت أقول أنها أقل من تافهة وأدنى من دعاية سقيمة ولا تستحق حتى النقاش السياسي، وذلك على ضوء المفاهيم التي تكثف ملامح الصراع السياسي الكلي بين الرؤية الغربية وأنظمتها الإِقتصادية والسياسية المتباينة، ضد الحضارة العربية الإسلامية، ومنذ الحروب الصليبية في القرن العاشر الميلادي، كون رواتها يتشبهون - وإنْ لم يفكروا بذلك - بقول معاوية بن أبي سفيان حول رمي الأمام علي بن أبي طالب، الخليفة الراشدي الرابع، للصحابي عمار بن ياسر في آتون القتال بين الجمعين المسلمين بمعركة صفين، والتي تسببت في إِستشهاده.

ولكن الآن، في أية حال، أتذكر تلك الحكاية السجالية الساخرة التي يرددها البعض حول رؤية أمه في منازل الكاولية: أي الغجر أو النوَر، على أساس التعبير بالمواقف

الأخلاقية لأمه، فأجابه المقابل متسـائلاً على سبيل السجال، نعم أمي كانت في خيام الكاولية، ولكنْ ماذا كانت تعمل أمك هناك؟!. والمعنى المادي المستمد من هذه الحكاية واضح: لقد جاء صدام حسين بالإِحتلال الأمريكي، كما يزعم المخاتلون، ولكن لماذا سـار الصـفويون من «أخوتك المتشيعون»: الحكام في العراق، في دبر الإِحتلال وفي أعقاب دباباته وما زالوا في خدمته ينفذون بنود رؤيته الصليبية الصهيونية!؟.

ليس الأمر ينطوي على «حكايات ثأرية» أو عملية تصديق «لتسريبات أمريكية»، حول إمكانية هروب السيد الرئيس من قيود السلطة الأمريكية المحبوكة أقفاصها السجنية، فلو أرادوا تهريبه لم يتمكن لا المالكي ولا زملاؤه في طاقم خدمة الجيش الغازي المحتل، من منع الأمريكيين المتحكمين بشؤون العراق كلها، من القيام بفعلهم، أو حتى عرقلة عمل ضباطهم الذين يستبيحون كل شيء وينهبون كل شيء، من جهة أولى، ولتقدم أولئك الحكام الطائفيون بإِحتجاج عملي واحد على مجريات الوقائع الفظيعة للتعذيب في سجن أبو غريب، المعروفة عالميا بفضائحها الدنيئة المخجلة، بدلاً من تبريرها كما ورد في ذلك الحديث التلفزيوني للجعفري/ الإِشيقر حول ما مارسه المحتلون بحق العراقيين ومقارنته بالأحاديث الكاذبة حول التعذيب الأفظع بحق العراقيين في «سجون صدام حسين» وهو الذي لم يُعتقل يوماً واحداً!، وكأن الحكم والممارسة في عهد صدام، بالنسبة إليه ولحزبه ولطاقمه الحاكم هو القدوة والمثال والمقياس، من جهة ثانية، ولطالب المالكي وحزبه وإِئتلافه، تحت وطأة التهديد بالإِستقالة أو الإقدام عليها، المجرمين العسكريين الأمريكيين من قتلة الشهيدة اليافعة عبير الجنابي في مدينة المحمودية العراقية، بعد إِغتصابها وإطلاق النار عليها، ومن ثم إقدامهم على قتل أهلها كلهم! نقول لكان قد طالب أعضاء سلطة منطقة الغبراء كلهم بضرورة جلب المجرمين الأمريكيين للقضاء العراقي، إنْ كانوا صادقين مع ربهم، من جهة ثالثة.

كلا لم يكن الأمر على ذلك كله. إنما الأمـر في حقيقته الملموسـة وفي التجليات العملية ذاتها، أنَّ أولئك الحكام المُسلطون على العراق ومجتمعه العراقي الإسلامي من قبل قوات الإِحتلال الأمريكي والمسلحون بالغدر المستمر لقواتهم الميليشياوية، هم عملاء

أدلاء للرؤية السياسية الصـليبية الصهيونية، وأذلاء عند العنصريين الأمريكيين الذين غزو العراق، ونفذوا سياسية إمبريالية صهيونية من الألف إلى الياء، بمعايير أنَّ السياسة هي علاقات موضوعية بالدرجة الأساس، التي رسم إستراتيجيتها السياسية الكونية وتكتيكاتها اليومية بصدد العراق المحافظون الجدد، الذين غالبيتهم من أنصار الرؤية السياسية الصهيونية الإجرامية الشارونية، والمتعاكسة خطوطها الفكرية مع بنود الرؤية الحضارية العربية الإسلامية، وبشكل مطلق وعلى كل الصعد.

فالحكّام الحاليون ليسوا شيعة أبداً، كما يروج السيد نجاح محمد علي في مقالته تلك، وحاشا الرؤية الإمامية الحقة أنْ ينحدر حتى المنحطون منهم إلى حضيض قاع الدرك الأسفل من المسؤوليات اللا أخلاقية، إنما هم مترعون حتى الخلية الجسدية الأخيرة من بناء عقولهم وتكوينات عواطفهم بقيود الغل وأصفاد الحقد، ومتشربون تربوياً وحتى الثمالة الأخيرة - كذلك - بأيديولوجية فارسية صفوية، وهي غريبة عن تاريخ العراق كله وتقاليد مجتمعه الذي تعايش أبناؤه: ليس من أبناء الدين الواحد ومدارسه المذهبية المتنوعة فقط، وإنما أبناء الأديان الأخرى أيضاً، ولألوف السنين.

(٤)

بين الشيعة الصفوية والشيعة العلوية

بين الشيعة الصفوية ونقيضها الفعلي الشيعة العلوية علاقة سببية قوية وراهنة، هي علاقة شبيهة بعلاقة الدعاية بالإعلام، وقد اِنتظم ممارساتها على الأرض مسار تاريخي طويل تخللته جميع الأفعال البشرية على أرضية: «وليس للإنسان إلا ما سعى» كما يذهب إلى ذلك القرآن الكريم، منذ نشوء مفاهيم التشيع في المدرسة العربية الإسلامية، التي أرسى مدرستها الفكرية الإمام السـادس: جعفر الصادق بن محمد الباقر، عليهما أفضل السلام، من ناحية، ومصادرة الرؤية الفارسية الصفوية بقيادة الشاه إسماعيل لتلك الظاهرة التي نشأت في تاريخ الفقه العربي الإسلامي، لحساب الرؤية الفارسية الإيرانية، من ناحية أخرى، وهي في الواقع الراهن السياسي الملموس، كالعلاقة بين موقف الإمام علي بن الحسين بن علي أبي طالب رضى الله عنهم، عندما قال بدعاء الثغور نصرة لجيش المسلمين

في المرحلة السياسية الأموية في مواجهتهم للروم: القوة العالمية آنذاك، وناصرَ الدولة الأموية من خلال سك العملة عبر الإمام الخامس: الإمام الباقر، كما يقول محمد باقر الصدر، مساهمة في دحر الروم الذين حاولوا حصار دولة المسلمين في المرحلة الأموية ودرءاً للبيزنطينيين الذين أرادوا «إذلال المسلمين»، من جهة أولى، وفتاوى الطوسي بمناصرة الغزاة المغول المشركين، من جهة ثانية، وكذلك تحريض الفرس المعاصرين الولايات المتحدة: القوة العالمية الراهنة على غزو العراق، والمساهمة بتدميره، من جهة ثالثة.

لقد تناسى الصفويون مفهوم الجهاد وضروراته في الواقع: «أما بعد، فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة. فمن تركه رغبة ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء. وديث بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالأسداء وأديل الحقُّ منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومُنع النصف. ألا وأني وقد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم أغزوهم قبل أنْ يغزوكم، فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم أوطانكم». هذا هو تصور الإمام علي بن أبي طالب [كرم الله وجهه] عن رؤيته لأحد أهم المفاهيم العربية الإسلامية، مفهوم الجهاد عند مواجهة الأعداء الغزاة المحتلين، فما هو الموقف الذي كان سيتخذه ضد الهجمة الصليبية الصهيونية على العراق؟ هل كان سيعاونهم مباشرة مثلما عاونهم الإيرانيون: الفرس الصفويون وسار خلف الغزاة المحتلين الأتباع الحكام المتسلطون على العراق المحتل الذين يتحكمون في شؤونه الإستراتيجية الأمريكيون المحتلون: ورؤية المحافظون الجدد: المسيحيون المتصهيونون، على وجهٍ أخص... الحكام الذين هم «أخوة» السيد محمد علي كما جاء في تعبيره الذي ورد في تلك المقالة!.

وأحب أن أذكِّر هنا بالرؤية الفكرية التالية والمكتوبة من قبل العلاَّمة المرحوم السيد محمد باقر الصدر في مقدمته للصحيفة السجادية الكاملة لأدعية الإمام علي بن الحسين الملقَّب بزين العابدين رضى الله عنهم، في الكتاب الذي أصدرته «دار المرتضى» التي تتخذ من بيروت مقراً لها في العام ١٩٩٩م، قبل صيرورة صاحبها رئيساً للبرلمان العراقي: العميل

خالد العطية، الذي يتناسى اليوم الرؤية الشيعية العلوية لصالح الرؤية الفارسية الصفوية... نورده هنا بغية المقارنة بين الرؤيتين لذوي أنصار الرؤية «الشيعية» الراهنة، بغية صحوة ضمائرهم المذهبية / الدينية، إنْ بقيت لهم ضمائر صادقة لم يعمها الحقد الطائفي: «ولم تكن ثقة الأمة بالإمام زين العابدين على اِختلاف اِتجاهاتها ومذاهبها مقصورة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً ومفزعاً في كل المشاكل الحياة وقضاياها بوصفه اِمتداداً لآبائه الطاهرين، ومن أجل ذلك نجد أنَّ عبد الملك، حينما اِصطدم بملك الروم وهدده الملك الروماني بإستغلال حاجة المسلمين إلى اِستيراد نقودهم من بلاد الرومان لإذلال المسلمين وفرض الشروط عليهم وقف عبد الملك متحيراً وقد ضاقت به الأرض كما جاء في الرواية وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، فجمع أهل الإسلام وإستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به، فقال له القوم: إنك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر! فقال ويحكم مَنْ؟ قالوا: الباقي من أهل بيت النبي [ﷺ]، قال: صدقتم، وهكذا كان. فقد فزع إلى الإمام زين العابدين فأرسل ولده محمد بن علي الباقر إلى الشام وزوده بتعليماته الخاصة، فوضع خطة جديدة للنقد الإسلامي وأنقذ الموقف.

وقد قدِّر للإمام زين العابدين أنْ يتسلم مسؤولياته القيادية والروحية بعد اِستشهاد أبيه، فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول في مرحلة من أدق المراحل التي مرت به الأمة وقتئذٍ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوح الأولى فقد اِمتدت هذه الموجة، بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة وضمت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدن وقتئذٍ خلال نصف قرن»، [ص ٨ - ٩ من ذلك الكتاب المنوه عنه أعلاه]. ومعلوم أنَّ تلك الفترة لعب فيها أمير المؤمنين قائد السلطة الجديدة الشهيد عمر بن الخطاب: الخليفة الراشدي الثاني، وكذلك الخليفة عبد الملك بن مروان: المؤسس الحقيقي للدولة الأموية الدور الأبرز في رسم معالم التاريخ العربي آنذاك، وهو ليس بخافٍ على

إدراك الإمام زين العابدين وفهم معانيه، وموقفه ذاك هو الموقف التاريخي الملموس للإمام المعصوم الرابع عند طائفة الفرقة الإثنا عشرية.

أما الموقف الفارسي الصفوي فقد تبينت مفاهيمه وممارساته على ضوء تصرف محمد خاتمي: رئيس الجمهورية الإيرانية، عند رحلته لإيطاليا، عندما أهدى لبابا الفاتيكان الكتاب المذهب الذي يتضمن أشعار الفردوسي المضادة التاريخ العربي الإسلامي، على ما فيها من غطرسة فارسية مسعورة، وكلمات فارسية عنصرية أدانها الإسلام وقال حولها الرسول محمد [ﷺ] مَنْ أبغض العرب فقد أبغضني. أولاً. والسلوك الإيراني الفاشي في الأحواز الذي تتضمن خطوطه العملية التهجير والقتل والإعدام والِإعتقال ومصادرة الأرض وتفريس الوظائف، بله حتى الأسماء العربية للمواليد الجدد، التي تعبر عن مكنون التاريخ العربي الإسلامي، ممنوعة من تسجيلها في سجل النفوس الإيراني!؟ أذلك كله يمثل الرؤية العربية الإسلامية... «رؤية تعارف الشعوب والقبائل». ثانياً. أم أنَّ الرؤية الصفوية الفارسية التي يمثلها خامنئي ونجاد ورفسنجاني وغيرهم من المعممين الذين إرتضوا مساعدة الصليبيين الصهاينة في العراق وأفغانستان. ثالثاً. وغير ذلك من المفاهيم التي يعرفها القاصي والداني، وهي كثيرة المعالم وعديدة الشواهد، والتي نعتقد أنَّ السيد نجاح محمد علي يتستر عليها بوعي فارسي صفوي بشكل تام منه.

كانت أبرز محددات الرؤية العربية الإسلامية في رؤيتها الإمامية العلويَّة، وفي الممارسات الحياتية في هذه الدنيا، التي يتقدمها عدم «الفرار من الزحف» أمام قدوم العدو الصليبي الصهيوني إلى العراق، كما يقول الإمام جعفر الصادق الذي يضيف، «ومَنْ يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواهم جهنم وبئس المصير»، [كتاب الإمام الصادق: علم وعقدة، نقد ودراسة رمضان لاوند، منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت/لبنان، طبعة أولى عام ١٩٧٩م، ص ٢١]، وهو معيار موضوعي فكري وسياسي خالد، بينه وبين أصحاب السلطة الطائفيين الصفويين بيدٌ دونها بيد، ليس بقرينة الفرار من الزحف في مواجهة الغزاة الصليبيين الصهاينة، فقط، بل في مناصرتهم

لرؤية الأعداء الغزاة من المحافظين الجدد، ومطاردة خصومهم وقتلهم وتدمير ممتلكاتهم. وممارسة البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، إذ يقول الإمام الصادق «البدعة: لقوله عليه السلام: مَنْ تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه» [ص ٢٢ من الكتاب] والتطبير واللطم وضرب السلاسل هي بدعة لم يأتِ بها أي مسلم حقيقي في مختلف العهود الأولى، ودليلنا على ذلك الموقف النبوي من إستشهاد عمه الحمزة بن عبد المطلب عليه رضوان الله في معركة أُحُد، ناهيك عن قول الصادق «ومَنْ ضرب يده على فخذه عند مصيبته فقد حبط أجره» [ص ١٢١ م. ك] وقوله «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث: الفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا»، [١٢٦ م. ك]. وضرورة «إجتناب قول الزور»، [ص ٧٤ م. ك]، في الحياة الدنيا، وليس أبرز من قول الزور سوى حبس الأسماء وإخفاء الأحساب، كما هم مَنْ على شاكلة مزوري أسمائهم كالمالكي والربيعي والموسوي والبياتي، وغيرهم الكثير.

لقد كان الإمام جعفر الصادق يوجب «تعلم الصدق قبل الحديث»، [ص ١٧١ م. ك] فليس المبالغة هو سلوك عربي إسلامي، ومبالغة الفرس الصفويين اليوم هي بضاعتهم الأثيرة على أنفسهم، وبضاعة عملائهم المعميين والمثقفين من الذين يسوقون الأكاذيب الأيديولوجية، سواء على المنابر أو أجهزة الدعاية الحديثة، «فالخُلق الصادق شيء يأتي قبل المعرفة. المعرفة فن وتقنية (تكنيك)، إنها أسلوب في جمع الحقائق وطريقة في التمحيص، ومنهج في جمع الشواهد وتصنيفها أما الخلق الصادق فهي روح الأمة»، [١٧٢ م. ك]، ويبدو اليوم أنَّ البعض الصحفي الدعائي قد تشرب العادات الفارسية الصفوية.

الآن بتنا ندرك جيداً لماذا كان أبرز الأئمة من المدرسة الإثنا عشرية، يقول: كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا، فقد كان المقصود بالشَيَن القبيح الذي يسيء لتراث الرؤية العلوية كما إصطفاها الأئمة الأوائل من أصحاب المدرسة الإمامية، هم الفرس الصفيون، فليس بين الباطل والحق سوى الممارسة اليومية الدالة على المواقف العملية، كما بينته الوقائع

وأوضحته المسارات العملية خلف الرؤية الصليبية الصهيونية التي أعتبر فيها أبرز المحافظون الجدد «الإسلام دين شيطاني جداً» و«الرسول العربي الكريم الشخص الإرهابي الأول في التاريخ».

(٥)

الشجاعة الفردية هبة من الله
تصقلها التجارب التاريخية

ليس بطولة السيد صدام حسين موضع شك، لا أمام نجاح محمد على ولا أمام غيره، منذ أنْ مارس مضمون الآية القرآنية القائلة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] في مواجهته للقطب العالمي المتوحد بالشر الإمبريالي الصهيوني، كان يعي ما يقول حول المواجهة، وهو الجانب الأول من أي موقف سياسي، وعندما تأتي الممارسة لتترجم ذلك الوعي الإستباقي، فتصبح المصداقية العملية هي المعيار في تحديد الموقف من أية ظاهرة إنسانية.

لم تسِل لعاب الرئيس العراقي على مغانم السلطة العراقية، على ما فيها من مغريات التي بتنا نرى فيها البعض يتناسون رفاق الأمس الذين أمروهم بالتضحية من أجل الموقف الحسيني الإنساني النبيل ودفعوهم للمعتقلات ومقاصل الإعدام، أنهم كانوا يجاهدون من أجل مُثل محددة كما عبرّوا أو إعتقدوا أو توهموا، لم يلبث أنْ خانها القادة الأتباع المتهالكون على أطماع السلطة وبهارجها وأموالها، كما زعموا، فلم يهرب من المواجهة ضد الأعداء ولم يتنصل من المسؤولية في مواجهة الغزاة المحتلين ولم يقبل العروض المغرية والمخاتلة التي كلف بها الأمريكيون البعض الخليجي لتقديمها إلى السيد رئيس الجمهورية وعائلته، نقول... لتقديمها إليه بعد أن رفض بعض المسؤولين الأتراك تقديمها له بلسان تركي وعقل أمريكي صهيوني.

المحاكمة التي نصبت للترهيب والتأثير على قناعات ذوي الضمائر التي تربت في حومة الحضارة العربية الإسلامية، لم تؤسس لشجاعة الرئيس العراقي، مثلما لم تكن المشنقة الإختبار الأخير لشجاعته الفذة، بل أن الشجاعة هي منحة ربانية يصطفيها هدية للأعز من خلقه، وكان جديراً بها، وكفى قولاً صادقاً ومثالاً عمليا منسجماً مع مضمون الرؤية القرآنية عن {الذين آمنوا وعملوا الصالحات}.

وإنَّ البعض الذي «أذل المؤمنين» كما قال أحد أنصار الرؤية العلوية في تحيته على الإمام الثاني: الحسن بن علي أبي طالب، كونه ساوم على الحق، كما كان يعتقد ذلك الذي وجه التحية، وقبل «بالرؤية الدينية» لمعاوية بن أبي سفيان لمضمون الخلافة والتمرد على الشرعية الراشدية، لم يتكرر في مواجهة الأمريكيين على يد السيد صدام حسين، والممارسة العملية هنا هي المعيار لا الأقوال والفذلكات والفتاوى، «فالممارسة هي الوحيدة التي بإمكانها أنْ تصبح في خضم الصراع الذي لا مساومة فيه معيار الحقيقة المطلقة»، والمعيار ذاك هو الذي ينطبق على جميع الممارسات النظرية والعملية الموسومة بالتاريخية، وعظمة المثال هنا هو المعيار الأخلاقي تجاه جميع الظواهر.

إنَّ ما هو مطلوب من قبل الذين وُضِع الغبش على عيونهم والضلال الذي تملك عقولهم هو مراجعة ذاتهم الفكرية والسياسية، والقول العلوي المعروف: الحق الذي به يعرف الرجال، وليس شخوص الرجال وأقوالهم، هو المعيار في معرفة الحق، وهو مقياس موضوعي وضعه الإمام الأول للمدرسة «الإثنا عشرية»، على أرضية تكوين قناعاتهم الفكرية: إنْ كانت صادقة، أو الرجوع إلى أنسابهم وأحسابهم، إنْ كانوا عرباً، كما ورد في الرواية المعروفة عن الشهيد الإمام الثالث للرؤية الإمامية: الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم السلام، الذي واجه ظلم مَنْ يقول عن نفسه مسلما: أي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ومجموع محاصريه العسكريين.

والذي حذا حذوه الشهيد المعاصر: السيد صدام حسين الذي لم يجابه الظلم الإمبريالي الصهيوني فقط، بل جابه الغزو الصليبي الصهيوني لبلد عربي مسلم، بقيادة جورج بوش

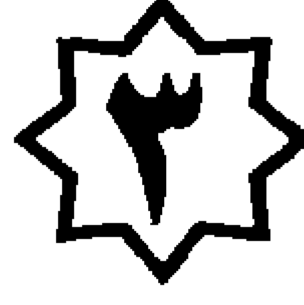
الذي طالما تحدث عن «الفاشية الإسلامية»، في حين أنّ الذين يدعُون الإسلام قد صرح بعضهم علناً: بأنه لولا إيران لما اِحتل الأمريكيون بغداد، كما جاء في تصريح مشهور لمحمد على أبطحي الممثل البرلماني للرئيس الإيراني محمد خاتمي، ونائب رئيس الجمهورية آنذاك.

إنَّ الخزعبلات الدعائية التي يروجها السيد نجاح محمد على حول هوس السيد الرئيس «بجنون العظمة والضجيج الإعلامي»، كما جاء في مقالته البائسة، هو تعبير عند كل الذين لا يفهمون معنى الشخصية التاريخية، ولا يدركون سر عظمة الأحداث التاريخية التي تفرز الشهداء: أبطال التاريخ الحقيقيين، كونهم أمثلة بشرية مفعمة الوجدان الإنساني [كما يذهب إلى ذلك السيد محمد حسنين هيكل في كتابه عن الثورة الإيرانية والمعنون: مدافع آيات الله] الرفيع: الوعي الداخلي والضمير السياسي، والإيمان المتناهي الذي يتملك العقول والقلوب على حدٍ سواء، بالقناعات الفكرية الحقة والعادلة والمستقيمة.

وفي السياق ذاته يقول عنها آية الله محمود الطالقاني كما سمعته من اِبنه السيد مجتبى: أبو كفاح إبان نشوب الثورة الإيرانية ضد الشاه الراستاخيزي العنصري - على سبيل المثال - وقبل اِستحواذ الفرس الصفويين الطائفيين على السلطة، {إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات}، هي محددات فكرية للجميع المخلص للقناعات الفكرية، وبغض النظر عن مفهومي الزمان والمكان، وبغض النظر - كذلك - عن الطابع الأيديولوجي لذلك الإيمان، الذي يتقدمها رؤية مبدئية: سياسية وفكرية، للصراع الكوني وعلى كل الصعد، ببصيرة واضحة ومشرقة على ضوء مقولة الصراع بين الحق والباطل حتى يقضي الله أمراً للبشرية مرسوماً، صراع حقيقي بين الخير والشر.

إنّ المقولة المحمدية التي أفاض بها الرسول العربي الأمي محمد بن عبد الله [ﷺ]، التي يرددها جميع مناصري الرؤية العربية الإسلامية في كل الأزمنة، والتي عاتب فيها [ﷺ] أسامة بن زيد رضى الله عنه عندما قتل «كافراً» نطق بالشهادتين من خلال تساؤله/ الإدانة لسلوك وتصرف الشخص الذي تبناه: هل شققت قلبه لتعرف عما إذا كان الذي قتلته

مسلماً أم لا، ينبغي أنْ تكون حاضرة في الوعي الديني عند الفرد المسلم وعلى الدوام، فليس هناك هرطقة ما في الدين الغربي الإسلامي وتوزيع الوعود وصكوك الغفران بيد البشر أو توزيع مفاتيح الجنة، وصدور الأوامر بالذهاب إلى جنة الفردوس العليا، فيما إذا ذهبتَ إلى صندوق الِاقتراع الِانتخابي الذي نصبه المحتلون الصليبيون المتصهينون، أو الدخول في سعير جهنم في حالة عدم الذهاب للِانتخابات «العراقية»، فالدخول إلى الجنة هو منة إلهية وثواب على الأعمال الخيرة. وتوسد النيران في جهنم وشرب زقومها هو عقاب إلهي بحت. وتلك مهمة الله الواحد الأحد، وليس مهمة «المرجع آية الله» سيستاني ومَنْ لف لفه من بقية المراجع والعلماء غير المعصـومين في أدنى الأحوال مقياسـاً، وأقلها تفكيراً ومعياراً.



نجاح محمد علي :

عندما يصر البعض على فضح موقعه في إطار العمالة ويكرر وقائع إداناته المتتالية من خلال رواياته المتكررة

(١)

دلائل الإعدام في العيد

في أعقاب تنفيذ عملية الإغتيال التي لحقت بالرئيس العراقي المرحوم صدام حسين، التي جرت وقائعها المشينة في الأول من يوم عيد الأضحى المبارك من أواخر كانون الأول من العام ٢٠٠٦م الموافق في، وهو العيد الذي لا يحتل أية أهمية في الأوليات عندما يسمى بجمهورية الإيرانية الإسلامية، إذ تكون فيه العطلة الرسمية ليوم واحد فقط، في حين تبلغ العطلة الرسمية لعيد السنة الإيرانية الجديدة [المسمى بعيد النوروز] التي يكون تاريخها في اليوم الحادي والعشرين من آذار من كل عام شمسي قرابة الثلاثة أسابيع، تعطل فيها كل المصالح الحكومية. باستثناء أجهزة القمع والتعذيب طبعاً.

وعيد الأضحى المبارك الذي كانت فيه العطلة العراقية لأربعة أيام، وما تزال، يسمى بالكبير تمييزا له عن عيد الفطر الذي يعقب شهر رمضان الذي يوصف بالصغير... عيدٌ نص عليه القرآن الكريم: الكتاب الأساسي عند كل المسلمين وهو المحفوظ وفق النص الإلهي، من كل ما من شأنه يؤدي به إلى الضياع أو النسيان، وكان هذا العيد - كذلك - هو أحد الشواهد على الممارسات الطقوسية الإسلامية، في سياق موسم الحج السنوي الضروري كركن للعبادة: ولكن مَنْ اِستطاع إليه سبيلا طبعاً...

في أعقاب تنفيذ عملية الإغتيال الشائنة التي اِشترك فيها الطائفيون والإثنيون وأسيادهما الأمريكيون: الأعداء الغزاة المحتلون، شنّت العديد من الوسائل الإعلامية/

الدعائية التي تدور بفلك السلطة الفارسية الصفوية الإيرانية، حملة سياسية دعائية واسعة تأييداً لذلك الإجراء الغاشم وتنويها به، بل عده البعض: أنه اِنتقاماً إلهياً نفذ على أيدي «الصفوة المؤمنة» التي يستحق قلمها: أي قلم التوقيع الذي اِستعمله نوري العلي = جواد المالكي، أنْ يضع في حضرة التاريخ المرئي أمام الجميع لقدسيته: أي في المتحف، كما جاء في إحدى التعليقات التلفزيونية التي تبثها المحطات الفضائية الملتزمة بالنهج الصفوي، وما أكثرها، وهو الإجراء الذي نفذته أيادي «عراقية» تأتمر بعقول أصحابها الموبوءة بروحية الإنتقام الطائفية والغل الصفوي حتى الخلية الأخيرة من خلايا دماغهم، بالنيابة عن المحافظين الجدد: أي المسيحيين الصهاينة وبرنامجهم السياسي والفكري المضاد لكل ما هو عربي وإسلامي حقيقيين.

ولا شك أنَّ متابعة كل تجسدات تلك الدعاية الأمريكية والإثنية والفارسية الصفوية وتجلياتها العملية، وهذا هو المشترك الأعظم في أنصال تلك الدعاية الإعلامية السياسية المدببة، هو عسير على الرصد في متابعة نقدية واحدة وراهنة، بسبب ضخامة هذا «الفيضان الدعائي» الهائل، الذي حاول رذاذه الخائب إصابة كل مَنْ سمع هديره الطافح من واشنطن والأصوات الكردية العنصرية المبحوحة التي يقودها البارزاني/ الطالباني، وطهران العنصرية تحت حكم الملالي، وخصوصاً من الأخيرة إيران، والمتدفق من الأجهزة العراقية والعربية والإقليمية التي تدور في فلك رؤيتهم السياسية العنصرية والمذهبية، أو شاهد ألسنة تلك الدعاية العنصرية والمذهبية الوقحة القبيحة الآسنة.

وربما كان السبب الكامن، أيضاً، وراء التنصل النسبي عند البعض عن مسؤولية الخوض في أوحال تلك الجريمة، أو التراجع عن التلوث بآثارها السلبية الوسخة، هو الشعور بفقدان الكثير من التعاطف السياسي العربي الكبير مع موقفه السياسي الذي صوره بأنه ينطلق من مبدئية رؤيته السياسية للصراع القومي العربي ضد الأعداء، كما لم يكن ذلك التراجع - كذلك - بسبب الموقف الفكري أو المبدئي، إنما كان في أبسط المقاييس في خسارة التعاطف معه على أساس سياسي. لقد اِكتشفت القوى العربية المخلصة،

خصوصاً، وإنْ كان بشكلٍ متأخر: إنَّ العامل الطائفي هو الذي يفسر قناعاته بشكل صحيح حول مجمل موقفه من عملية النذالة تلك: أي عملية الِاغتيال، [١].

لذلك سأجرد الموضوع السياسي الكلي إلى عدة أجزاء، من ناحية أدوار الأطراف الثلاثة، وأركز على الدور الفارسي الصفوي. وسأتخذ نموذجا محدداً من أتباع الرؤية الفارسية الصفوية في مناقشتي للموضوع من زاوية الصراع العربي - الصهيوني، كمحدد لمفهوم الصراع العربي الذي كان - وما يزال - يشكل القاسم المشترك في دعوات الأفكار والمفاهيم القومية العربية، التي تعبر عن روحية التكوين التاريخي للأمة التي هي موضع عداء للقوى المضادة لها. كون هذا التابع ذا اللسان الذي يعتقد أنه مخفْ ومستور في حين أنه معُلن ومكشوف، الذي اِعتاد على تكرار منظومة دعايته السياسية، وفقاً للتعليمات الإيرانية هو ربما يكون «الجاهل الأنشط» في ترويج الرؤية الفارسية الإيرانية، من جهة أولى، وحاول - مثلما حاولت المخابرات الإيرانية - على تصوير نفسه أنه معارض للرؤية السياسية الإيرانية، في بعض المراحل الزمنية، وقد اِنطلت تلك «اللعبة» الأمنية «الماهرة» على العديد من المراقبين السياسيين والإعلاميين، والتي كنت أحدهم للأسف الشديد، بسبب معلومات السيد سرمد عبد الكريم «المعلنة» والسيد عادل السويدي عبر الِاتصالات المباشرة، اللذين يتمتعان بحسنٍ أخلاقي ومصداقية ثابتة بالنسبة لي، وترويجهما لتلك المواقف بشكل علني ومن على مواقعهما الإخبارية، من جهة ثانية، [٢].

إنَّ إعادة قراءة لوحة التطورات السياسية التي أعقبت عملية الِاغتيال الدنيئة تلك، ومتابعة كتاباته التي شكلت موضوعاتها رداً غير مباشر على رؤية العشرات من الكتاب العرب والمسلمين المخلصين للأمة، من جهة ثالثة، تعد من ضروريات وأساسيات أي بحث علمي حول أية مسألة سياسية تمر بمنعطف خطير. أما السبب الأخير فيتعلق أساساً بقناعتي السياسية حول «موقع عربستان» واِتجاهه السياسي المستقيم البعيد عن المخاتلات الزائفة - كما أعتقد شخصياً بناءً على تجربة خاصة - وقد لاحظت أنَّ السيد «الجاهل الأنشط» «يستغل» هذا الموقع لتمرير معلومات معـدّة في المطبخ الأمني السياسي الفارسي،

وقد فاتحت السيد عادل السويدي: مسؤول الموقع، حول هذا الموضوع بالذات... أي موضوع النشر الفارسي الصفوي غير المباشر في موقع «عربستان»، لكنه فسَّر الأمر بأنَّ الخدمات الإعلامية / الدعائية متبادلة وإنَّ هناك حصاراً إعلامياً حول المسألة الوطنية الأحوازية، وأنَّ «الأخ» المقصود بالحديث الثنائي، يسرِّب لنا المعلومات عن القضية الوطنية الأحوازية لفضائية «العربية» التي كان يعمل فيها، من جهة رابعة، وهكذا قال..

أما مَنْ هو هذا الشخص «الإعلامي الدعائي الفارسي الصفوي» المعني بالمتابعة النقدية، فهو السيد نجاح محمد علي الذي كرر في مقالات متتابعة متتالية ما فاحت به أجهزة الدعاية المخابراتية والسياسية والإعلامية الفارسية الصفوية الإيرانية في مقالات دعائية إعلامية أعقبت تنفيذ عملية الإغتيال المجرم للشخصية الوطنية العراقية والقومية العربية والحضارية العربية الإسلامية: المناضل صدام حسين...، [٣]، أما مناسبة الكتابة فهي ذكرى مرور أربعين يوماً على الغياب الجسدي لرئيس العراق الشرعي، الذي تم إغتياله بأيدٍ صفوية فارسية وعقول المحافظين الجدد الذين أغلبهم من اليهود الصهاينة ويحتل المعنى التاريخي للسبي البابلي الثاني لليهود الذي كان عنوانه القائد العراقي البطل نبوخذ نصر، حيزاً كبيراً في وعيهم السياسي والثقافي، وعبر المحكمة الإثنية/ الطائفية طبعاً.

عندما أتناول هذه الشخصية الإعلامية/ الدعائية التي تدور في ناعور الرؤية الإيرانية التي تحاول - وبشكل دائم - صب المياه الآسنة في طاحونتها التي تهدف خدمة رؤيتها القومية الفارسية والمذهبية الصفوية، فالسبب الكامن خلفها، هو أني لا أتطلع محاورة شخص بعينه، إنما أناقش رؤية دعائية وسياسية تسم النشاط الإعلامي والدعائي الفارسي، [٣]، ولكن بالقدر الذي يتعلق بالإسم المذكور، فمن الضروري مسك الثور من قرنيه لمحاسبة حالة محددة، أي محاسبة وضع سياسي ملموس، وكشف منطق تناقضاته، عبر تمزيق حجب تضليله، وعرض أكاذيبه على الملأ، ولنبتديء أول ما نبتديء من دلالات بعض الأحداث الخاصة به.

المراجع والهوامش

[١] - لعل من أبرز القائلين بوجهة النظر هذه عضو المؤتمر القومي العربي [!!؟] محمد صادق الحسيني في العديد من مقابلاته وتصريحاته، وهو مستشار سابق في وزارة الإعلام الإيرانية، والمدافع «الأذكي» عن الرؤية الصفوية الفارسية، كونه تنقل من الولاء للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، والقيادة المركزية لذلك الحزب، والإتجاه الصيني الذي ترأسه السيد منير شفيق، قبل أنْ يعود إلى العقلية النجفية التي نشأ في أجوائها والتزم الرؤية القموية - الطهرانية في زمن قياداتها الدينية والسياسية المختلفة من خميني إلى نجادي ومروراً برجائي وخاتمي ورفسنجاني وخاتمي.

صحيح أنَّ السيد صادق الحسيني اِتهم جميع الأحزاب المذهبية في العراق: سواء كانت ممثلة بمخلوق المخابرات الفارسية: تنظيم عبد العزيز حكيمي، وكذلك صنف حزب الدعوة، وغيرهما، بالعمالة والمراهنة على العامل الأمريكي لتغيير الوضع السياسي، إلا أنه تناسى دور أغا محمدي مندوب السلطة الفارسية والمسؤول عن الملف العراقي «المعارض» في جهاز الساواما في تحشيد الجهود الفارسية الصفوية لخدمة الحملة الأمريكية ضد العراق، ومساعدة نظامها في إنجاح الحملة العسكرية ضد العراق، وهو تصريح رسمي وعلني أعلنه محمد علي أبطحي، نائب رئيس الجمهورية الإيرانية محمد خاتمي، علانية وعلى المكشوف، أمام العشرات في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كما يمكن التأشير على ذلك التراجع من خلال الإستشهاد بالحديث الذي أدلى به السيد حسن نصر الله لتلفزيون المنار اللبناني الناطق بإسم حزب «الله» خلال الأيام العشرة الأوائل من محرم الموافق في شهر كانون الثاني من عام ٢٠٠٧م الذي يقوده، والذي جاء فيه التنصل الكامل عن تلك الجريمة الهمجية الشنعاء، دون أنْ يتقدم إلى الأمام وينظر إلى الموضوع كله في إطار الصراع بين الرؤية الحضارية العربية الإسلامية، من ناحية، الحضارة الغربية التي يقودها سياسياً في اللحظة التاريخية الراهنة المحافظون الجدد، وهم مسيحيون صهاينة، من ناحية أخرى، فمنظروهم كلهم لا يخفون برنامجهم السياسي تجاه الحضارة العربية الإسلامية أبداً.

كما أنَّ السيد حسن نصر الله لا ينظر إليها من خلال كل تركيبة طبيعة الجريمة السياسية المرتكبة بحق الشعب العراقي من قتل وإعتقال وخطف وتصفية وثقب بالدريل... يقول السيد حسن نصر الله في ذلك الحديث: «الوضع العراقي وفي الشأن العراق قال سماحته " أنا أتمنى على الأخوة السنة في العالمين العربي والإسلامي، وبكل شجاعة أيا كان تقييمهم لما جرى في إعدام صدام حسين الرئيس العراقي السابق، سواء كان لهم موقف من أصل الإعدام أو لهم تقييم مختلف حول شخصية الرجل، أو البعض كان اعتراضه على التوقيت أو بعض الأشكال التي اعتمدت في الإعدام، أيا يكن تقييمهم فليحمـّلوا الجهة التي أقدمت على الإعدام المسؤولية، ولا يحملوا كل شيعة العراق ولا كل شيعة العالم هذه المسؤولية. فلنتفق على مبدأ ونقول إذا أخطأت أنا - أنا

أخطأت - وليس كل شيعة العالم وإذا اخطأ الدكتور فلان أو الشيخ فلان هو أخطأ وليس كل سنة العالم، هذا إذا كنا حريصين على المصالح العربية والإسلامية الوطنية.

أضاف " أنا هنا أتمنى وأوجه نداء إلى السيد نوري المالكي لأن الأمريكيين فتحوا هذا الملف وتركوا الحكومة العراقية لوحدها تتحمل المسؤولية، ليملك شجاعة توضيح الدور الأمريكي في القضية. اليوم كأن الشيعة يقتلون السنة، وتتدخل الولايات المتحدة الأمريكية لحماية السنة في العالم العربي من الشيعة في العراق، وهذه هي الصورة التي بدت بعد الحادثة ليملك الوضوح ويقول الدور الأمريكي في هذه العملية في الإعدام، في قرار الإعدام، في تفاصيل الإعدام، وإلا هناك أسئلة. الرئيس العراقي السابق كان في قبضة الأمريكيين لماذا تم تسليمه إلى الحكومة العراقية قبل العيد بيوم أو يومين، وماذا قيل لهم وكيف تم التصوير، ومن الذين أطلقوا الشعارات هل هم من أنفسهم فعلوا ذلك وان هناك من دفعهم لذلك، مَنْ صور؟ مَنْ الذي سرب التصوير؟ والكل يعرف أنَّ هذه الأخطاء سيتم استغلالها لإحداث آثار ضخمة على مستوى العالمين العربي والإسلامي".

"المسالة الحقيقة اليوم أننا أمام مأساة شعب أسمه الشعب العراقي شيعة وسنة وأكراد وتركمان ومختلف مكونات الشعب العراقي، هذا الشعب يعيش معاناة مؤلمة ومدمرة وقاسية منذ أكثر من ٣٥ عاما، لم يعانِ شعب في المنطقة كما عانى الشعب العراقي قبل الحرب وبعد الحرب وأثناء الحرب، يجب أنْ تهزنا جميعا ليس فقط حادثة إعدام واحدة، يجب أنْ تهزنا جميعا صور أشلاء الأطفال والنساء والرجال التي تمزق سواء بالسيارات المفخخة أو بالخطف والقتل والرمي في أقنية المياه أو نهر دجلة، يجب أنْ تكون خلفيتنا في التعاطي مع الملف العراقي إنقاذية، لأننا بذلك لا ننقذ العراق وشعب العراق لوحده وإنما ننقذ كل الأمة، الأخوة في العراق سنة وشيعة الموجودون في العملية السياسية يرون صلاحهم في العملية السياسية، أنا لو سألوني بحسب التجربة اللبنانية والتجارب الموجودة في العالم، الأمريكيون ما جاؤوا ليقيموا ديمقراطية في العراق وما جاؤوا حتى ليقيموا دولة مركزية ديمقراطية في العراق، الأمريكيون جاؤوا لتقسيم العراق وكل المنطقة، والاحتلال الأمريكي في العراق خطر على شعب العراق. منذ اليوم الأول كان نداؤنا واضح نحن نؤيد خيار المقاومة العراقية الشاملة، في أبعادها المختلفة وفي مقدمتها البعد العسكري، ونعتقد أنْ خلاص العراق يبدأ من تبني خيار المقاومة المسلحة الجهاد في مواجهة قوات الاحتلال".

تابع السيد نصر الله "يؤسفني أنْ أقول انه في إطار التحريض المذهبي الذي اعتمدت في الشهرين الماضيين، حاول البعض أنْ يدخل ما يجري في العراق إلى الساحة اللبنانية، ومن الغريب هنا أنْ يقف بعض السياسيين في لبنان وثيقي الصلة بالولايات المتحدة الأمريكية، والذين ينسقون بالكامل مع الولايات المتحدة الأمريكية ليثيروا السنة في لبنان على الشيعة، بعنوان أنَّ الشيعة عملاء لأميركا أو متعاونين مع أمريكا وهذا من التناقضات العجيبة الغريبة.أنا ما أقوله يجب أنْ نبقي تأثيرات الساحة العراقية في الساحة العراقية نحاصرها هناك ونذهب جميعا لمعالجتها».

وليس لنا تعليق سوى تذكر مضمون القول النبوي [ص] الكريم: {أنصر أخاك مظلوماً وظالما، بالدفاع عنه عندما يكون مظلوماً، واردعه عندما يكون ظالماً}، من ناحية، وإغفال العامل الإيراني عن كلية الأحداث الجارية في العراق، من ناحية أخرى، لا ينفع في التخفي في تحديد الموقف السياسي مما هو ممارس في العراق، حتى لو كان ذلك بإشارة غير مباشرة حول مسؤوليتها المادية: كما رأينا من خلال القبض على عناصر الأجهزة الأمنية الإيرانية في بغداد وأربيل، والمعنوية كذلك، ليس عن هذه الحدث الجلل: الذي هو الإعدام، إنما في كل الجرائم المرتكبة في العراق كله، منذ إحتلال العراق في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م، وتعاون إيران مع الأمريكيين، وحتى اليوم، من ناحية ثالثة، ثم نقول بتساؤل مشوب بالغضب: ألم تستحق العملية الإجرامية تلك كلمة إدانة صريحة من قبل قائد حزب الله؟.

[٢] - راجع مقالتنا المنشورة سابقاً والمعنونة: إعقلوا الخبر قبل أنْ تتورطوا، والمقالة تلك أثارت الإنفعال الشديد عند السيد نجاح محمد علي وقال أنَّ المعلومات مستمدة من المصادر الشيرازية، وهي محض إفتراء، كما أتصور، وقيلت للتبرير وإخفاء مصدر المعلومات الذي هو مطبخ المخابرات الإيرانية الفارسية، وأخذتها على محمل التصديق، وكنت ساذجاً. لا شك في ذلك.

[٣] - وعلى سبيل المثال: فقد ظهر السيد محمد صادق الحسيني في برنامج «الإتجاه المعاكس» الذي يديره الإعلامي السيد فيصل القاسم، ويُبث من قناة «الجزيرة» القطرية، وذلك في يوم في ٣٠/ ١/ ٢٠٠٧م، مدافعاً عن الرؤية الإيرانية الفارسية الصفوية، كذلك، وكان أذكى على المستوى الدعائي من الجميع كونه عاش في العراق ويعرف المزاج العربي، وتنقل في صفوف المدرسة الشيوعية العراقية: اللجنة، ومن ثم القيادة، والإتجاه الصيني قبل أنْ يلتحق بصفوف رؤية جماعة السيد منير شفيق: الفتحاوي اليساري الصيني المتأسلم، ومن ثم ليقفز فوق منبر الدفاع عن الرؤية الفارسية الصفوية في إذاعتها إبان الحرب العراقية - الإيرانية، وغيرها في أعقاب ذلك، وشغل عضوية المؤتمر القومي العربي الإسلامي [!!] لذلك إستند على مقولات وتجارب بداية الثورة الإسلامية الإيرانية دون التطرق لوقائع الحاضر، وتجربة حزب الله في الجنوب اللبناني، وأغفل عن جوانب كثيرة وردت في ذلك البرنامج وبشكل متعمد، أبرزها عدم مناقشته لمسألة إحتفال الإيرانيين بشخصية أبو للؤلؤة المجوسي: قاتل الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وما يبني على ذلك من إستدلالات فارسية عنصرية ومذهبية صفوية، كما لم يتطرق المتحاورون جميعهم، في ذلك البرنامج، لقضية التعامل الفارسي مع الشعب العربي في الأحواز، وفي ظل الإهمال الشامل لأوضاعه الإقتصادية والإجتماعية والتربوية، وعمليات التهجير العنصرية، والإعدام المتتال لشبابه ومطاردة نشطائه السياسيين وإعتقالهم وممارسة «فضيلة» سجن الرهائن من أهلهم بدلاً منهم... والكثير من المظاهر الفارسية التي تدل الإتجاه السياسي السائد في إيران... إلخ.

(٢)

تناقضات في المنطق والممارسة

من المعالم الأساسية للوضع السياسي الداخلي في إيران، هو الإدارة السياسية الشمولية لشؤون كل الأوضاع الإجتماعية في إيران، منذ نهوض «ثورتها الإسلامية» في أواخر العقد السبعيني، فكل ممثلي المجتمعات القومية الإيرانية، بإستثناء التكوين القومي الفارسي والتراتب الطائفي الشيعي الصفوي، يشكون من التهميش والإبعاد ومحاولات التصفية، وفي ذلك يستوي الآذريون والكرد والعرب والبلوش على حدٍ سواء في مجالات الحقوق السياسية، وطالما كانت المطاردة والإعتقال والسجون والإعدام هي الحل المفتوح أمام تطلعاتهم. إذ تعاني الملايين من أبناء التكوين السني الإسلامي من الإضطهاد المستتر أو المكشوف، ويكفي غياب أي مسجد لهم وخاص بهم لممارسة شعائرهم العبادية في العاصمة طهران التي يسكنها حوالي مليون مسلم سني، معياراً موضوعياً لمحاكمة الواقع القائم.

ويشكل غياب كل المنظمات السياسية التي كانت ناشطة قبيل الثورة وفي مراحلها السياسية الأولى، مظهراً سياسياً على مستوى «النظرية والممارسة» لتقويم الموقف السياسي الراهن عند السلطة القائمة من خلال الممارسة العلنية لتلك الأحزاب والمنظمات والتنظيمات، وإلا أين هي منظمات: الجبهة الوطنية الإيرانية، والحزب الديمقراطي الكردستاني وعصبة الأكراد الكادحين، والأحزاب القومية العربية، بما فيها حزب الوفاق الإسلامي، ومنظمة مجاهدي خلق، وتنظيمات: أكثريت، وأقليت، وإتحاد كومنستهاي إيران، وكاركر، وبيكار، وتودة، وغيرها الكثير؟. أين هي منظمات المجتمع المدني المستقلة؟. وجود أي تنظيم سياسي ونشاطه الإعلامي/ السياسي كانت كلها معايير أساسية في تقويم الأحزاب المتأسلة التي تدور بفلك السلطة الإيرانية عند تحليل الواقع السياسي فيما يتعلق بالنظام العراقي، ولكننا نرى اليوم تجاهلها المطبق لتلك المعايير عندما يتعلق الأمر بالنظام الإيراني، فهل تحاكم القضايا السياسية في هذه الدولة التي تدعى «الجمهورية الإسلامية الإيرانية» بمنطق غفور رحيم، وفي تلك الدولة المختلفة مع التوجهات الإيرانية، على أساس رؤية شديد العقاب؟ في الوقت الذي تشكل تلك القضايا ذات حاضر وآفاق مشتركة؟.

وفوق ذلك كله، أنه من المعروف للقاصي والداني المهتـمّ والمتابع لأحداث المنطقة العربية وجوارها، أنَّ حوالي سبعة ملايين موطن إيراني يعيشون خارج إيران أغلبهم من معارضين للنظام السياسي الإيراني، وضاقت بهم سبل العيش في طوق الرؤية الملائية داخل إيران، وفق المعلومات المنشورة في الصحف والأجهزة الإعلامية، وأنَّ عدد ضحايا منظمة مجاهدي «خلق: الشعب» الإيرانية يبلغون عشرات الألوف: إعداماً وقتلاً غيلة: أي اِغتيالاً داخل السجون وخارجها. وأعداد ضحايا الشعب الكردي عشرات الألوف أيضاً وأحداث الهجوم على سنندج وغير ما تزال طرية في الذاكرة، وضحايا محكمة محمد صادق خلخالي «الهزلية»، كذلك، أشهر من نارٍ وهاجة فوق أعلام القمع الجائر. وضحايا الشعب العربي الأحوازي بلغت أكثر من ٢٥ ألف مواطن في أعقاب الهبة الأحوازية التي اِندلعت اِنتفاضتها في شهر نيسان من عام ٢٠٠٥م. والاِغتيالات طالت العديد من رموز المعارضة الوطنية والقومية في الداخل والخارج، وأن كفالة البعض «المعارض فعلاً» لسبب ما، أو ممن لهم أقارب ينشطون سياسياً في الخارج تبلغ المائة مليار ريال إيراني، من أجل الضغط على إخوانهم أو أقاربهم بغية إيقاف نشاطهم الإعلامي في الخارج المعادي للسلطة الفارسية الصفوية.

ذلك هو تكثيف شديد لمعالم الآثار التي تركها الحكم الثيوقراطي على الشعوب الإيرانية التي تتكون من قوميات مختلفة ومتمايزة، والذي لم تستثر كلها القلمَ «السيال» للـ«المعارضة» الدعائية التي يتحدث عنها السيد نجاح محمد علي، والتي تزعم نضالها في سبيل الديمقراطية السياسية التي تتمناها للشعوب التي تعيش في الإطار العربي، أي من غير أولئك «الناس» الذي يحيون في «جمهورية إيران الإسلامية».

ولكن السؤال الذي يثور أمام القراء المتابعين، وفي ذلك الإطار المحدد والملموس الذي يتعلق بموضوعنا الراهن هو: لماذا يُستثنى السيد نجاح محمد علي من تلك الإجراءات إذا كان مناوئاً حقيقياً للرؤية السياسية الإيرانية: الفارسية الصفوية، حتى في درجاتها الدنيا التي تتحدد أبعادها الفكرية والسياسية: المناقشة بروحية: وجادلهم بالتي هي أحسن؟! كما يقول

عن ذاته السياسية «الكريمة». وكيف يستطيع المعارض لتلك الرؤية من العمل في قناة «العالم» الفضائية التي تملكها السلطة الإيرانية في اللحظة الحالية؟ وكيف – وهذا هو الأهم – أنْ يتبوأ اِبنه وابنته مقعدي دراسة في جامعة طهران في الوقت الذي لا يستطيع حتى أبناء إيران الحقيقيين من العمل في إيران، أو الحصول على مقعد دراسي في الجامعة، بلهَ حتى مجرد زيارة مسقط رأسهم لتنفيذ رغبة وطنية وإنسانية مشروعة؟

ألا يشي كل ذلك بالعديد من التفسيرات الموضوعية التي تثير الشكوك حول هويته السياسية الفعلية؟ وكيف يستطيع الفرد – أي فرد – من حمل جواز سفر إيراني والتنقل به من بلد إلى بلد آخر، ناهيك عن الحصول على إقامة رسمية في دولة الإمارات العربية المتحدة، إنْ لم يكن الأمر في حقيقته الفعلية، أنه على صلة وثيقة بالأجهزة الأمنية الرسمية الإيرانية؟ هذه مجرد أسئلة لاحت على بالنا لمعرفة الأسباب التي تكمن وراء هذا التساهل الإيراني مع «شخصية عراقية»، فيما يقدِم أعضاء المخابرات الفارسية على قتل البعض العربي الذي يحمل جنسية إيرانية ويجري تقطيعه إرباً إرباً، قبل نقل بقاياه في كيس من الخيش ورميه في نهر كارون! – على سبيل الذكر – وكيف يُدلل شخص يدعي معارضته للرؤية السياسية الإيرانية بقبول أبنائه في الجامعات الطهرانية ويزود بجواز سفر إيراني رسمي، في حين تتعاون السلطات الفارسية مع أنظمة أخرى – النظام السوري مثلاً – من أجل تسليم مواطنين [أحوازيين] يحملون الجنسية الإيرانية ويتمتع بعضهم بحق اللجوء السياسي في دول الغرب الأوربي، وهو مخالف لأبسط حقوق الإنسان، بل بعد أنْ نالوا بعض الجنسيات الأوربية – النرويجية والهولندية مثلاً – ويحمل البعض جوازاتها أيضاً؟! [٤].

(٣)

الكذب عندما يكون صريحاً

في مقالة معنونة «إلى المدافعين عن صدام: هل اِستعذبتم المهانة والإذلال» كتبها السيد نجاح محمد علي، التي تعد النموذج الصارخ في مسلسل الدعاية السياسية المناصرة للرؤية الفارسية الصفوية، اِختتمها بالقول «أي جهل وغباء يعيشون فيه؟ وأي جهل وغباء يعيش فيه مَنْ لا يفهم بين السطور ممن اعترض على اعتراض من يرفض التوقيت والأسلوب؟..»، فهل كان المدافعون عن صدام حقاً، هم حفنة من الجهلة والأغبياء؟ كما يرى السيد نجاح في كتابته تلك؟ وهل اِستعذب ضحايا النظام السابق المهانة والإذلال، أم ينطلقون فعلاً من رؤية وطنية وقومية وحضارية بغض النظر عن آلامهم الشخصية، ولماذا إذن يواصلون كفاحهم ضد المحتلين الأمريكيين وجلاوزتهم من المرتزقة العراقيين بغض النظر عن أعدادهم، كون المعيار السياسي هو الذي يحدد مفهوم التقويم لعملهم اليومي... ولماذا يواصلون نضالهم بالتي هي أخشن أصلاً؟.

يقول السيد نجاح محمد علي «كثيرون يعتبرون الرجل بطلا لأنه وقف ضد أمريكا وإسرائيل وأطلق ٣ صواريخ على الأخيرة كما رفض الاستسلام أمام الاحتلال الأمريكي وظل يقاتل حتى الرمق الأخير«!!! و«يقولون انه وقف في وجه الإمبريالية والصهيونية فهل فعل ذلك عن اختيار أم لأنه حوصر وراهن بغبائه على جيوش الأصوات العربية البلهاء كتلك التي تترحم عليه الآن ولما لم يجد فائدة آثر أن يهدم المعبد على ساكنيه ويضحي بالعراق في الوقت الذي حرص فيه على إخفاء اِبنيه وتهريب بناته خارج المدينة المقهورة ومعهم كومة من الذهب والأموال اكتشفها العدو الامبريالي واستغلها جيدا في القبض عليه؟، [٥]، هل هذه هي صورة البطل المغوار أم النذل المغوار؟ مواجهة إسرائيل كذبة كبرى انطلت على مغفلي صدام فالرجل أطلق ٣ صواريخ على إسرائيل أثناء الحصار الأخير اثنان منها وقعا في البحر ولم يخدشا إسرائيل مجرد خدش والثالث دمر بيتا عاديا وليس وزارة ولا مكانا سياديا ولا حتى مهمّاً فهل كان المافون عاجزا عن تحديد الهدف بدقة بدلا من تلك البلاهة الغبية؟»، [٦].

فمن هو «الجاهل أو الغبي» عندما نقارن بما ورد أعلاه، بما هو حاصل على الأرض الفلسطينية في ثنايا العدوان الأمريكي الأطلسي «الإسلامي العربي» في العام ١٩٩١م فعلاً؟ أليس «الجاهل والغبي» هو الشخص الذي يعتقد عن دراية ووعي أنه بترديد الأخبار التي يصوغها أعضاء المخابرات الإيرانية ويعطونها لعملائهم لتعميمها على القراء والسامعين؟. قضية ٣٩ صاروخ الموجهة ضد كيان الإغتصاب الصهيوني معروفة للجميع حتى من غير المتابعين لحلقات الصراع العربي - الصهيوني، ولكن من هو الذي يمتلك «تلك الوقاحة الهائلة» على نكران عدد الصواريخ وتجاهل التأثير على البنيان الصهيوني الهش؟ ومَنْ هي الجماهير البلهاء التي ما تزال تقاوم الغزوة الصليبية الصهيونية؟ أم البلهاء هم العملاء والمرتزقة هم الذين تعاونوا معها؟.

المسألة، في تقديري الشخصي، ليس عدد الصواريخ وتأثيرها على الوضع الِاجتماعي الهش في كيان الِاغتصاب الصهيوني، بل ينطوي الدرس التاريخي على أهمية الإرادة الجسورة التي لم تتكرر إلا على يد أفراد المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني، وهو رد دفاعي، فقط، وليس التأشير المادي على الفاعل الحقيقي للعدوان الأمريكي البريطاني الفرنسي على العراق في العام ١٩٩١م فحسب، إنما أيضاً في معناها الأعمق مدي التأثير على مفهوم نظرية الأمن الصهيوني، وهي المقولة السياسية الأساسية، التي تقف وراء جميع المفردات السياسية العدوانية الإسرائيلية الصهيونية، سواء في داخل كيان الِاغتصاب الصهيوني أو خارجه، في البلدان العربية أو البلدان الأخرى، من أمريكا اللاتينية إلى أوربا ومروراً بالدول التي كانت تسمى بالدول الِاشتراكية، تلك هي الدلالة الأساسية لمعنى إطلاق الصواريخ العراقية على كيان الِاغتصاب الصهيوني، ولكن مع ذلك لنتابع النظرة الموضوعية لتاريخ المناضل صدام حسين على هذا الصعيد، فهل بدرت منه مادة واحدة للمساومة مع كيان الِاغتصاب الصهيوني؟!.

المراجع والهوامش

[٤] - وقد أثارت عمليات التسليم ضجة سياسية أثارتها كل الأحزاب الأحوازية ومواقعها الإلكترونية الإعلامية، وكان لها الفضل في كشف ذلك الإجراء/ الفضيحة بمعايير العمل القومي العربي الذي تعلن فيه السلطة السورية اِلتزامها القومي العربي، ويقودها حزب يسمى نفسه حزب البعث الاِشتراكي العربي!، كما تضامنت مع الشعب العربي الأحوازي جهات حزبية عربية ووسائل إعلامية كثيرة في كافة أرجاء الوطن العربي، فيما واجهت البعثات الدبلوماسية السورية اِحتجاجات دبلوماسية رسمية في العديد من دول العالم، الأمر الذي اِضطرها للاِعتراف بذلك التصرف الغاشم.

[٥] - ويردد السيد نجاح كومة أكاذيب دعائية رددتها السلطة الإيرانية كثيراً، ونبح فيها مرتزقتهم طوال الوقت، ولكن عندما حانت لحظة المحاسبة والمراجعة، تبين أنهم رموا داءهم على الآخرين، وإذ هو يقول في أحد مقالاته ما يلي، وتحت عنوان: ثروة العراق في البنوك السرية

«المضحك المبكي في قصة إعدام صدام أن أكثر من ٣٥ عاما من فيلم طويل سجل الجرائم التي ارتكبها الرئيس العراقي السابق، لم تترك دقيقتان منه، لدى الرأي العام المتباكي عليه،الا صورة " البطل الذي هوت به المقصلة وهو يؤدي الشهادتين!"..

دُفن صدام ودفنت معه أسرار لا تريد أطراف عدة الكشف عنها، ومنها بالطبع الأموال الضخمة التي أكدت الوثائق الأمريكية، قبل العراقية أنها تُقدر بـ" مائة " مليار دولار موزعة في حسابات سرية في بنوك عالمية: [بالرغم من أنَّ الإيداع في أي بنك عالمي يقتضي الكشف عن مصدره، ولكن الدعاية السياسية تصنع المعجزات]!!.

وإذا لم تكن الإدارة الأمريكية حصلت على معلومات حول هذه الأموال،فان الواضح - حتى الآن - هو أن هذا الملف يكاد يغلق مع إعدام صدام،ومع "تقليل" الولايات المتحدة ودول غربية من "كفاية الأدلة" بيد السلطات العراقية حول مقدار وكمية هذه الأموال وأسماء الدول أو البنوك التي أُودعت فيها هذه المليارات، مع ملاحظة أن هذه الأدلة تقل بكثير عما بيد السلطات الأمركية في الوقت الحاضر.

لقد أكدت تقارير محفوظة لدى المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي أي) في وقت سابق بعد اعتقال صدام، أن هذه المبالغ المسروقة والتي كانت تشكل الثروة الحقيقية السرية لصدام تصل إلى مائة مليار دولار، جمعها صدام منذ عام ١٩٩٠م حتى ٢٠٠٣م.

واعتمدت المخابرات الأمريكية لتأكيد حجم الثروة الضخم الذي تم تهريبه،على تقارير،أعدها بعض خبراء التفتيش على الأسلحة في العراق،الذين أتيحت لهم فرصة الاطلاع على الكثير من

الأسرار في العراق في عهد صدام حيث كانوا يتصفحون الوثائق السرية ويقومون بتصويرها وتوثيقها لديهم.

ومن أهم هذه الوثائق ما ورد في تقرير أعده مفتش الأمم المتحدة وخبير الاسلحة "جارلس دولفر الذي أكد أن الأموال التي جمعها صدام منذ عام ١٩٩٠م إلى عام ٢٠٠٣م تبلغ نحو مائة مليار دولار.

كما أن هناك وثيقة سرية عثرت عليها قوات الاحتلال الأمريكي أثناء دخولها بغداد وتفتيشها لوثائق البنك المركزي، تشير بوضوح الى أن صدام وجه رسالة الى محافظ البنك المركزي أمره فيها، بتسليم كل من قصي صدام، وحكمت مزبان إبراهيم، مبلغ (٩٢٠٠٠٠٠٠٠) تسعمائة وعشرين مليون دولار، ومبلغ (٩٠٠٠٠٠٠٠) تسعين مليون يورو لإخفائها في مكان آمن.

وبينما لم تحظ هذه القضية بالاهتمام الكافي من الحكومة،ربما بسبب انشغالها بالشأن الداخلي حيث العملية السياسية القلقة، والوضع الأمني المتردي، فان المسؤولين الأميركيين - قبل إعدام صدام - أولوا هذا الملف اهتماما كبيرا خصوصا وأن هذه المبالغ اعتبرت أرقاما خيالية وانفراد مجموعة من الأشخاص بالتصرف بها يشكل مخاطر كبيرة ومن شانها أنْ تمد الجماعات المسلحة المرتبطة بحزب البعث بإمكانات ضخمة، لذا فان وزارة الخزانة الأمريكية كانت أعدت فريقا خاصا لمتابعة هذا الموضوع بالإضافة إلى تعاونها وتنسيقها مع المخابرات المركزية الأمريكية،وقامت بإرسال وفود إلى سوريا وعمان وسويسرا والدانمارك واليابان،ودول أخرى لتقصي الحقائق وجمع المعلومات عن هذه المليارات من الدولارات الموزعة في بنوك عالمية وبأرقام سرية. [لتلاحظ جيداً صمت السيد نجاح عن النتائج العملية للمعلومات التي توصلت إليها هذه الوفود وهو الخبير العليم ليس حول الموضوع فقط، بل حتى بالمعلومات السرية للسي آي أي على هذا الصعيد!!].

كما أن هناك معلومات عن رجال مال كانوا يقومون باستثمار الأموال لصدام،دون استثناء ابنة صدام "رغد" التي يعتقد المسؤولون الأمريكيون والعراقيون أنها مطلعة على جانب مهم من الحسابات السرية لأبيها، وكانت آخر شخص من العائلة التقى بها وتحدث إليها مطولا بشأن خططه المستقبلية، وتزداد الشكوك حول وجود ثروة كبيرة من المال تحت تصرفها،من خلال صرفها السخي للملايين والتي تستثمرها لتغذية الأعمال المسلحة في العراق وتوزيع الأموال على البعثيين والإعلاميين والسياسيين العراقيين المعارضين للنظام ولشخصيات إعلامية وسياسية عربية. [صحيح أنَّ ذلك معروف، وهذا هو مجرد اِفتراض، ولكن لمن: هذا هو السؤال، وكيف عرف «ذلك الصحفي» الذي وضع عقله على الرف واِكتفى بالمعلومات الأمنية التي كُلف بنشرها، عن تلك الثروة ومنافذ توزيعها التي سكت عنها حتى أولئك الذين أطلقوها على سبيل الدعاية السخيفة؟].

كذلك فان المعروف أيضا فان برزان التكريتي هو واحد من أهم حملة مفاتيح الأسرار لعدد غير قليل من الحسابات السرية، ولهذا فقد حظي باهتمام خاص من قبل الأمريكيين من خلال التحقيق معه والذي تناول أسرار هذه الأموال أكثر مما تناول تورطه في عمليات قتل وأسرار تشكيل جهاز المخابرات في عهد النظام البائد. وإذ لم تُعرف بعد المعلومات التي كشفها برزان التكريتي للأميركيين، فان المطلوب من الحكومة العراقية أن تضع على طاولتها هذا الملف الذي يجب أن لا يُغلق ما لم يتم استرجاع هذه الأموال إلى البلد بدلا من "استجداء" الدول المانحة، فلربما عمل برزان لإنقاذ حياته من الإعدام بعد أن شاهد صور تنفيذ حكم الإعدام بأخيه الذي حكم البلاد بلغة الموت التي شاركه في صياغتها- اللهم إلا إذا بقيت في ذهنه الدقيقتان فقط مما سمع بتفاصيلها من المحامين«.!!!. [هل سلطة المالكي المأجورة آخر مَنْ يعلم عن حقيقة «حامل مفاتيح الأسرار» بالرَغم من المحكمة العراقية المستقلة {!!}، كما يقول مروجو رؤية العملاء؟ أم الدعاية الإيرانية تقتضي نشر الأكاذيب، في أية حال كلا الاِحتمالين يمكن قراءتها على ضوء مضمون البيت الشعري: إنْ كنت لا تدري فتلك مصيبة... وإنْ كنت ندري فالمصيبة أعظم].

لقد تم بناء شبكة الأكاذيب العنكبونية حول هذا الجانب وجرى إحكامها، للتستر على عمليات النهب المنظم لثروات العراق التي قام بها الجلبي وأسياده وشركائه... تم بنائها بشكل مماثل لمعزوفة أسلحة الدمار الشامل التي طالما ردد المقبور باقر الحكيم أنه يمتلك المعلومات بشأنها، وكذلك الأكاذيب حول علاقات «نظام صدام» مع القاعدة في الوقت الذي كان يجري التنسيق الإيراني مع شخصية الزرقاوي.

لقد اِتضحت المزاعم الدعائية حول ثرواته الأسطورية، كي لا نقول الخرافية، في حين اِكتنز قادتكم السياسين أموال السحت من الملايين المسروقة في المصارف الأجنبية، ومما زاد في سفالتكم وتزويركم تزويق الدعايات المفبركة والحجج الكاذبة حول تزويد صدام حسين ولأسرته بالمليارات من أموال النفط ومن برنامج ما يسمى النفط مقابل الغذاء، في حين أثبتت الوقائع أن سلطة المنطقة الغبراء وسيدها بول بريمر هم مَنْ سرق أموال الشعب العراقي، ولعل لجان التحقيق الأمريكية التي نشاهد قمة جبل الجليد من فضائحها ستكشف المزيد.

[٦] - إنَّ قضية الآثار التي تركها القصف الصاروخي العراقي على تل أبيب أشهر من إيراد ذكرها التفصيلي، إذ تناولها مئات الكتّاب العراقيين والعرب المخلصين، ولكن يكفي طلب كيان الاِغتصاب الصهيوني المبالغ التعويضية من العراق، مؤشر لمعرفة حجم تلك الآثار على ذلك الكيان. فالمبلغ المطلوب عن الآثار السلبية الناجمة عن القصف بلغ ٤٣ مليار دولار، فهل كان «بيتاً عادياً واحداً» كما يزعم السيد نجاح محمد علي يستأهل مثل هذا المبلغ؟.

(٤)
عبثية المعيار الواحد

محاولة القراءة الواعية للأحداث، وسخافة المعيار الواحد، وهو الذي يحاول فيه البعض التمسك بمكوناته الفكرية والسياسية، إذا كان لها مكونات فكرية وسياسية وليس نابعة من تصورات أيديولوجية مزوَرة في التاريخ ومزوِرة للتاريخ، عند تقويم هذه الشخصية السياسية التي حكمت العراق لمدة ثلاثة عقود، وكان فيها من العناصر الإيجابية والسلبية ما يصلح لدراستها، بعد غياب جسدها بسبب الغزو الأمريكي وتحكم إدارييها بشؤون العراق السياسية كلها، فيجب وضع معايير كمية ومقاييس نوعية تنبع أساسياتها من مفاهيم الصعود والهبوط، ككل ظاهرة سياسية اِجتماعية، وفيها أيضاً مفاهيم التقدم والتراجع، وفيها مفاهيم التطور والنكوص، وكذلك تتضمن مفاهيم السيرورة نحو الأعلى والاِرتداد عن المسيرة التي جرى تحديد معاييرها الفكرية مسبقاً، حيثما يتعلق ذلك بالتاريخ الواقعي المعاش، لا المتخيل في أذهان البعض الذي يضع معايير مثالية لمحاكمة الآخرين وينسى نفسه عند تقويم المثال السياسي الذي «يؤمن به» أو يدافع عنه، بعبارة أخرى، لو وضعنا شخوص الخلفاء العرب المسلمين لتقويم التاريخ الحضاري العربي الإسلامي - على سبيل المثال - فهل يمكننا الحديث عن ١٥ قرن من تاريخ المنطقة على صعيد التبدلات الإيجابية والتغييرات السلبية؟، ناهيك عن القول النبوي الشريف حول ضرورة توفر المعلومات الحقيقية لا المزيفة والمصداقية في الرؤية الفكرية: «إنما أقضي بينكم بالبينات والإيمان».

ولكنْ، وبالقدر الذي يتعلق بموضوعنا الراهن والملموس، وطالما المعيار الذي يتعلق بالعامل الإسرائيلي في الحديث الذي أثاره السيد نجاح محمد علي، فينبغي عندها جعل هذا المقياس السياسي، هو المعيار في التقويم، ومن خلال التبحر في سيروراته العملية، بغية تمكننا من أنْ نستخلص التقرير الحقيقي، ومن بواطنه الحدثية، وكذلك نستنتج الحكم النهائي على صعيد الرؤية السياسية، فهل ساوم الرئيس الشهيد صدام حسين هذا الكيان

وأيديولوجيته أم لا؟ ذلك هو السؤال الأساسي في الموضوع برمته؟ وهل كان القصف العراقي لتل أبيب، ومناطق مختلفة من كيان الإغتصاب الصهيوني، نبتاً شيطانياً أوجده تصادف الصدف: «مواجهة إسرائيل كذبة كبرى انطلت على مغفلي صدام»، كما يقول هذا الصفوي المشبع بالرؤية الفارسية، في سياق كتابة دعائية بحتة، لا تمتلك حداً أدنى من المعلومات التي جرت وقائعها في التاريخ الفعلي، أم كان إجراءً عسكرياً يتسق مع مسار تاريخي طويل يؤشر لأصل العدوان على العرب المسلمين بالمعنى الحضاري، وسبب البلاء الذي عانت المنطقة العربية منه؟.

لنجيل النظر بالمحاور التالية على أرضية متابعة في الوثائق والمصادر العملية التي جرت وقائعها في التاريخ القريب والمعاش، أي الذي يمكن الوثوق منه وفيه عند كل صاحب ضمير نزيه... ضمير وطني عراقي وقومي عربي وحضاري إسلامي:

١ - دور العراق في حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م.

٢ - محاولة كيسنجر لإقامة علاقة بين العراق والكيان.

٣ - محاولة الملك الحسن الثاني التوسط لرفع الحصار عن العراق، والشروط الأمريكية المطلوبة من العراق.

٤ - الإتصالات التي بذلها البابا لإقامة علاقات مع الكيان، وكيفية مواجهة الرئيس للموضوع الذي طرحه المندوب.

٥ - الطريق الذي اقترحه شقيق السكرتير العام للأمم المتحدة السيد بطرس غالي على العراق لإقامة علاقة مع الكيان.

٦ - خلاصة وإستنتاجات حول الإعدام والإغتيال والموقف الإسرائيلي.

١ - المنعطف الأول: حرب تشرين الأول ١٩٧٣م...

جاءت حرب تشرين الأول في العام ١٩٧٣م الذروة السياسية في الموقف العربي الجماعي تجاه كيان الإغتصاب الصهيوني، كونها جسّدت الإرادة العربية السياسية المقاتلة، ووظفت جميع الجهود في سبيل تحقيق أهدافها العسكرية، كان الشعب العربي من المحيط

المغربي إلى الخليج العربي كتلة من الحماس القومي لهذه المعركة المشرفة، كانت قياداتها السياسية تعلن غير ما تضمر. لا شك في ذلك. أرادوها حرباً للتحريك الدبلوماسي وليس لتحرير الأرض وتوجيه الضربة الكبرى للكيان، لذلك وُضعت خطتان لمجريات الحرب، وهو ليس الموضوع الذي يتعلق في مناقشتنا الراهنة، ولكن القيادة العراقية التي أُبعِدت عن مشاوراتها المسبقة، صبت كل جهودها الممكنة في هذا المجرى العنيف من الصراع، بسبب مبدئية رؤيتها: الفكرية والسياسية لطبيعة الصراع في المنطقة، واجتازت الدبابات العراقية الحدود السورية في ظروف قاهرة وغير مواتية أبداً، لتشترك في حرب تشرين الأول من عام ١٩٧٣م على الساحة السورية، وهناك صفحات مجيدة تؤشر لهذا الدور العسكري الملموس، التي أسهمت هذه القوات في حماية العاصمة الأموية العربية دمشق من السقوط في براثن القوات الإسرائيلية الصهيونية، رغم تنكر «البناروما السورية» التي اِبتدعها الكوريون الشماليون، ربما بتوجيه سوري من قيادتها العسكرية، في ذلك الأثر الكبير المقام في المنطقة القريبة من حي مساكن برزة الدمشقي الشهير... رغم تنكرها للدور العراقي في تلك الحرب.

أما على الجبهة المصرية فنكتفي بتلك الفقرات من الحديث الهاتفي بين الرئيسين المصري والعراقي: أنور السادات وأحمد حسن البكر: وهو الرئيس العراقي آنذاك، للتدليل على الرؤية السياسية الفكرية لتجليات الإيمان القيادي الذي كان النائب صدام حسين أبرز شخوصه القيادية التي كانت ترسم الموقف السياسي العراقي.

يقول السادات: الحمد لله، والله أنا عايز أهنيك على الولاد... ولادك اللي عندي.

يجيب البكر: بارك الله فيك.

السادات: هم أولادك اشتركوا اليوم كانوا مجهودهم ممتاز.

البكر: دولة ولادكم. ويوضح الأستاذ محمد حسنين هيكل، أن سرب عراقي اِشترك في الغارة الأولى، «وقد أدى طياروه مهام ناجحة في القتال»، [٧].

٢ - المنعطف الثاني: هنري كيسنجر: وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، ومحاولاته لكسب اِعتراف العراق بكيان الإغتصاب الصهيوني:

هنري كيسنجر: السياسي الإستراتيجي الأمريكي، واليهودي المتصهين حتى النخاع، واللاعب الأساس في رسم السياسة المركزية الأمريكية في عقد السبعينات خصوصاً، وما تزال قامته في السياسة الخارجية الأمريكية مديدة، كما يقول الأستاذ صبحي حديدي مترجم كتاب «حرب العالمين»، بذل جهوداً كبيرة لتليين الموقف المبدئي العراقي تجاه وجود هذا الكيان في المنطقة، ولكن الرؤية السياسية العراقية كانت حازمة في موقفها السياسي والفكري تجاه هذه المسألة التي تتعلق بالشأن القومي العربي أساساً.

لقد تمحورت محادثات السيد سعدون حمادي، وزير خارجية العراق آنذاك، مع كيسنجر حول هذا الإتجاه السياسي بالذات في سياق تحسين العلاقة بين الدولتين، فقد نشرت صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية التي تصدر من لندن بتاريخ ٢ يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٤م الترجمة العربية للوثيقة السياسية الأمريكية حول أول لقاء عراقي - أمريكي في العام ١٩٧٥م، في العهد البعثي الذي أولدته تغيرات ١٧/ ٣٠ تموز ١٩٦٨م في بنية السلطة العراقية، ومما جاء فيها:

«كيسنجر لحمادي: إسرائيل تفضل التعامل مع العراق الراديكالي على التعامل مع مصر السادات»، لم نمانع بتدخل إيران في شمال العراق لأننا اِعتبرناكم تابعين لموسكو.. والآن غيرنا موقفنا لأننا وجدناكم غير ذلك»...

ورداً على رؤية كيسنجر السياسية قال حمادي: «طبعاً لنا وجهة نظر مختلفة وسوف أقول لك لماذا. إنَّ العراق جزء من العالم العربي. ونحن نعتقد أنَّ الولايات المتحدة كانت العامل الأساس في بناء إسرائيل إلى ما هي عليه اليوم»... «ولكن الفرق هو أنكم تعتقدون أن إسرائيل سوف تبقى إلى الأبد، نحن نعتقد إنَّ إسرائيل تم تأسيسها بالقوة وهي حالة ساطعة وجلية من الإستعمار. لقد تم تأسيس إسرائيل على جزء من أرضنا الأم، وأنتم لا تعتقدون في ذلك. ولكن ليست تلك كل القصة، إنَّ إسرائيل هي تهديد لأمن العراق القومي»]ص٤٥٧[، [٨].

٣ - المنعطف الثالث: ماذا قال الحسن الثاني بعد اِتصالاته مع الأمريكيين حول الشروط لرفع الحصار عن العراق.

من المعروف، كما أثبتت الوثائق السياسية، أنَّ الحسن الثاني هو أحد أقطاب الرؤية السياسية الصهيونية في المنطقة العربية، والشخص الذي يمتلك نافذة واسعة ومهمة على الرؤية السياسية والإدارية الأمريكية طبعاً من الجانب العربي، [٩]. وقد تكلم «العراقيون» معه بشأن الحصار على العراق، من جهته فإنَّ الملك الحسن الثاني فاتح الأمريكيين حول الموضع الذي يتعلق برفع الحصار، فأجابوه بالتالي، كما تقول الرواية المنشورة التي لم ينفِ صحتها أي مسؤول مغربي، وعلى شتى مستوياتهم الرسمية:

«روى الملك إضافة إلى ذلك أنَّ العراقين طلبوا منه التوسط لدى الولايات المتحدة لرفع الحصار. ورد عليه الأمريكيون بالشروط التي يطلبونها لرفع الحصار عن العراق وكانت ثلاثة:

١ - أنْ يتعهد العراقيون بعدم اِعتراض مسيرة السلام لا مع الفلسطينيين ولا مع الأردنين ولا مع السوريين.

٢ - أنْ يبدأ العراق بإجراء اِتصال مع إسرائيل في السر أو العلن - لا يهم.

٣ - وأنْ تكون بغداد جاهزة بدورها للسلام مع إسرائيل.

وكان تعليق الملك أمام سامعيه: «لم يكن في كل هذه الشروط شرط أمريكي واحد، وإنما كلها شروطاً لإسرائيل»، [١٠]، فمن هو الأقدر على المساومة: الشهيد صدام حسين الذي اِغتاله الأمريكيون والصهاينة بأيادي صفوية فارسية، أم الأتباع الذين ساروا خلف الدبابات الأمريكية، وليس فقط مَنْ تعاونوا مع الاِحتلال من أخوة السيد نجاح: الطائفيين الصفويين؟.

٤ - المنعطف الرابع: ماذا اِقترح البابا عبر مبعوثه الذي قابل السيد صدام حسين.

لقد توفرت للسيد مبعوث البابا فرصة اللقاء بالسيد الرئيس صدام حسين، ودار حديث حول الظروف الإنسانية التي يعيشها وضع العراق، جراء ظروف سياسة أمريكية

تتعلق بالحصار العالمي على مجتمعه. وعندما تطرق مبعوث البابا إلى مسألة العلاقة بدول المنطقة، أجابه السيد الرئيس بما مضمونه الذي نعتمد فيه على ذاكرتي الشخصية: أنك جئت لطرح مواضيع إنسانية، وها أنا أراك تتطرق لمواضيع سياسية محددة ، تطالب فيها ما طرحه الآخرون، لقد اِستقبلناك على هذا الأساس الإنساني، ولكن يبدو أنك مخدوع كالآخرين بشأن إمكانية تغيير الموقف السياسي العراقي وفق الأجندة الأمريكية / الإسرائيلية، سأترك القاعة لأحد المهتمين بشؤون البروتوكول، وأذهب لأداء مهمات تتعلق بالشعب والوطن. وترَكَ الرئيس المبعوثَ البابوي يتلفت وحيداً، وهو كتلة من الحرج جراء فشله التام.

٥ – المنعطف الخامس: الموقف من عرض اللوبي اليهودي الأمريكي.

وفي الرسالة الموجهة من سكرتير رئيس الجمهورية والمؤرخة في ١٥/ ٥/ ١٩٩٤م إلى المرحوم عدي صدام حسين: رئيس اللجنة الأولمية الوطنية العراقية حدد فيها الرئيس صدام حسين الموقف من المحاولات المبذولة للاِعتراف بكيان الاِغتصاب الصهيوني، والتي جاء فيها النص التالي: «اِطلع السيد الرئيس القائد حفظه الله على رسالتكم المؤرخة في ٢/ ٥/ ١٩٩٤ ومرفقها تقرير لقاء السيد سعد عبد المجيد الفيصل – وكيل وزارة الخارجية بالسيد رؤوف بطرس غالي وعلـّق سيادته بما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أصبحت الإشارة التي وردتنا عن طريق الجاف عن إمكانية شقيق بطرس غالي (الأمين العام للأمم المتحدة) لتغيير مواقف شقيقه هي بالنتيجة محاولة بصورة أو أخرى وضياع في وهم التصور أنَّ هناك إمكانية لتغيير موقفنا من الصهيونية تحت التلويح بإمكانية أنْ يأتي الفرج عن طريقهم، ألا خسئوا وخابوا وخاب العرب الذين طمنوهم في إمكانية أنْ يحصل هذا في سياسة بعض الأنظمة الخائبة، ولذلك يعتبر هذا الباب مغلقاً إلاّ إذا حاول شقيق بطرس إعادة فتحه فلا مانع اللقاء به، ولكن بشرط عدم طرح موضوعة اللوبي الصهيوني معنا أبداً.

للتفضل بالعلم... مع التقدير.

سكرتير رئيس الجمهورية

١٥/ ٥/ ١٩٩٤م»، [١١].

(٦)

سنضع جانباً المقولة التي يزعم فيها المجتهدون من فقهاء الرؤية الإمامية، كمدرسة من المدارس الفقهية المتنوعة في إطار الرؤية الدينية الإسلامية، لأنَّ المعايير التي يلتزم بها المجتهدون ليست حجة على أتباع هذه الرؤية خاصة إذا اِمتزجت الرؤية الطائفية المذهبية بالرؤية العنصرية، عل أرضية الولاء المطلق للرؤية الإيرانية، بصورة لا لبس فيها، ومعززة بالوقائع والمعلومات. حول الاِلتزام بها كمعايير موضوعية لتقويم أي حدث، حول التخلي عن الرؤية المسبقة التي ينبغي التخلص منها في دراسة أية ظاهرة، كون «التجزئة هي في مصاديق الكلي، لا في أجزاء الكل»، إذ أنَّ «الاِجتهاد في الحقيقة هو الوحدة المنتظمة لجميع»، [١٢]، الملكات التي تقوم على أساس معرفة الخبرات أو التجارب على اِختلافها.

ولكننا هنا سنتخذ من رؤية الآخر: المسيحي المتصهين، بالمعنى الحضاري، وكذلك على أساس رؤية تاريخية اِنتظمت مفاعيلها القرون السالفة منذ الغزوة الصليبية والهجوم الرأسمالي الغربي على الأندلس وحتى السنوات الأخيرة ومروراً بوقائع سنوات الاِستعمار الأوربي في مرحلة المزاحمة الحرة: أي في فترات الصعود الرأسمالي، وهي معايير موضوعية تلتزم فيها كل قيادات الحركة الإسلامية المخلصة، وفق شتى مستوياتها التكوينية، فيمكننا عندها توفير مقياس موضوعي لتقويم الشخصية المغدورة: المرحوم صدام حسين، لاسيما وأنَّ القرآن الكريم يشدد على ضرورة الحكم بالعدل على الظواهر الموضوعية: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداءَ بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قومٍ على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إنَّ الله خبير بما تعملون﴾، [سورة المائدة، الآية رقم٨]، وفي هذا المجال ينبغي علينا القول التالي:

لقد مرت يوم أمس ذكرى رحيل القائد العربي التاريخي صدام حسين، على يد زبانية عملاء الاِحتلال الإمبريالي الصهيوني، التي بلغت فيهم الوقاحة التاريخية درجة من النذالة السياسية ما فاقوا بها حتى الرؤية التترية التي اِحتلت بغداد العباسية في الزمن الغابر. التتار كانوا من المشركين وحقدهم على الحضارة العربية الإسلامية كان معروفاً على جميع الصعد.

صحيح أنهم إستعانوا بالعلقمي الفارسي وسيلة لتحقيق مآربهم العسكرية التدميرية، إلا أنهم بقوا بعيدين عن تخريب النسيج الإجتماعي العراقي العربي المسلم، فلقد بقيت الأمثولة التاريخية لروحية الصفوة المقاتلة لجيش نبوخذ نصر البابلي، والخلاصة فتوة بغداد المقاومة للتتار التي هي ظاهرة تاريخية على مدى الأفق الزمني.

كان صدام سليل أولئك «الصفوة البابلية» و«الفتوة البغدادية» بما إمتلكه من مشروع سياسي وحضاري أراده للأمة العربية الإسلامية كلها، لذلك كان مفكراً وكلياً وشاملاً في تصوره ورؤيته [بالمعنى الفلسفيين] للمستقبل العربي، لذلك إعتقد الأعداء - أو هكذا صورت لهم ذائقتهم الحسية المريضة - أنهم بقضائهم على الجسد لهذا الشيخ الجليل الذي بلغ من العمر السبعين عاماً، بأنهم تمكنوا من «تفكيره ورؤيته»، ولم يعلموا أنهم بمحاولتهم إغتيال جسده ووأد وعيه السياسي، قد جددوا ولادته الرمزية كصانع لمشروع سياسي رؤيوي.

لقد حل «المحافظون الأمريكيون الجدد»: أي المسيحيين المتصهينين بما هم أصحاب برنامج لجعل القرن الأمريكي سائداً في العالم، وأحفاد أرومة الحاقدين على الذاكرة التاريخية لنبوخذ نصّر والإمام علي بن أبي طالب: الخليفة الراشدي الرابع، في مواجهته ليهود خيبر، وحملة الحقد «الفرس الصفوي» الذين يحاولون الإنتقام لهزيمتهم في القادسية العربية ومقتل رستمهم: صانع العسكرية الفارسية، كما يقولون عنه وفي متحفه الذي يحتفي به المعممون يومياً... لقد حلوا محل اليهود والفرس والمحافظين الجدد، و لم يعلم أولئك الجمع الكافر بأنهم جعلوا عبد الله المؤمن رمزاً مضيئا في ليل الظلام السياسي العربي الراهن.

لنقرأ ما أورده الصحفي الأمريكي جون كولي في كتاب مشهور تناول خلفيات الرؤية التاريخية للرؤية الصهيونية للقرار الأمريكي:

«مَنْ يحاول سبر أغوار الشرق الأوسط، يرتكب خطأً فادحاً إذا تجاهل التاريخ القديم. فالأسباب الداعية إلى وجود أشد أنصار إسرائيل تعصباً في الولايات المتحدة - بما فيهم بعض أقرب مستشاري جورج بوش - وهم حلفاء متحمسون لساسة وجنرالات إسرائيل اليمينيين والمتدينين اليوم، موجودة في ذلك التاريخ القديم. فهم ينطلقون من

أعماق قصـص التوراة والتاريخ والأساطير، وخاصة دراما الإسرائيليات القديمة وأباطرة الشرق [...] هي بمثابة تاريخ حي للباحثين اليهود والمسيحيين الإنجليكانيين والأصوليون والمؤيدين لهم، الذين يلعبون دوراً في منظومة الدعم الأيديولوجي والعاطفي في الولايات المتحدة [...]ودراسة العراق، وبابل وبغداد في التاريخ القديم - وخاصة التاريخ اليهودي - تساهم في شرح، وفي نفس الوقت تعقيد، الصراع على مستقبل العراق»، [١٣].

لذلك رأينا بشـكل واضـح العمل الجماعـي الذي قام به المحافظـون الجـدد + جماعة الجلبي + الأحزاب المرتبطة بالرؤية الفارسـية الصفوية، لإحكام شبكة العدوان العسكري على العراق، وتكفل الفرس الصفويون + الموساد + الإثنيين في تصفية خيرة العقول العراقية وإغتيال رموزها الذين يتقدمهم الشهيد صدام حسين بإعتباره الرمز التاريخي لهذا المستقبل، على أيدي أصحاب الرؤية الصفوية الفارسية الموبوءة، من الأتباع العراقيين أو المحسـوبين على العراق. ويكشـف جون كولي في كتابه المعنون التحالف ضد بابل التالي - فضلاً عن ما تقدم - ما يلي:

«رتب ووليستر [المشرف على رسالة وولفيتيز] لقاءً يجمع بين بيرل والسناتور هنري جاكسون وهو من ذوي الخبرة العميقة بالحرب الباردة، ومن المؤيدين للمصالح الإسرائيلية. كما أنه قدّم بيرل أيضاً إلى أحمد الجلبي الذي كان يأمل (ولكن دون جدوى) أنْ يصبح رئيساً للعراق الجديد بعد سقوط صدام حسين. ومن المعروف أنَّ بيرل يساند بوجه عام أرئيل شارون ويدعم رؤى حزب الليكود في إسرائيل، وكان يعمل في وقت من الأوقات في مجلس إدارة صحيفة جيروزاليم بوست؛ ذات التوجه اليميني القوي والمؤيد لشارون. ولقد كان لبيرل علاقات بالعديد من المقاولين في مجال الدفاع الذين كانوا مرتبطين بشكل وثيق بعلاقات عمل مع إسرائيل كإستشاريين. وهو حاصل على درجة الزمالة في معهد المشروعات الأمريكية (AEI) الذي يعد بمثابة أحد معاقل الفكر المحافظ. وفي المؤتمرات السنوية التي كانت تعقد تحت رعاية كل من معهد المشروعات الأمريكي والرئيس الأمريكي جيرالد فورد في بيفر جريك بولاية كولارودو، كان كل من الجلبي وتشيني ورامسفيد وولفووتز يلتقون مع بيرل، كما كانوا يلتقون مع بعضهم البعض»، [١٤].

إنّ ذلك الاِتجاه السياسي والفكري المشترك للتحالف الإمبريالي الأمريكي الإسرائيلي الصهيوني الفارسي الصفوي هو التجلي الأبرز لمجريات الفعل السياسي الراهن الذي كانت محطته الأخيرة إعدام الشهيد صدام حسين وأصحابه الأبرار، لأنّ اِغتيال المستقبل العراقي والعربي هو الهدف السياسي للتحالف الثلاثي الشرير.

فهل نكتفي بهذه المؤشرات الموضوعية أم نضيف المزيد من الوثائق، وهو ما سيكون موضوع الحلقة الأخيرة من البحث في غايات وأهداف أصحاب الرؤية الفارسية الصفوية، الذين يحاولون تمرير السم بالدسم.

المراجع والهوامش

[٧] - راجع كتاب محمد حسنين هيكل المعنون أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة/ مصر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، ص ٣٤، والصورة التوثيقية لنص المكالمة منشورة على الصفحة ٧٤٢.

[٨] - راجع كتاب الدكتور خير الدين حسيب المعنون العراق من الاحتلال إلى التحرير، سلسلة كتب المستقبل العربي (١٥)، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/ لبنان تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦م، الطبعة الأولى، ص ٤٤٧ - ٤٦١، وبين جنبات تلك الصفحات نص الوثيقة باللغة الأصلية وترجمتها في جريدة الشرق الأوسط.

[٩] - حول تاريخ الملك الحسن الثاني ودوره في إطار خدمة العمل الأمريكي الصهيوني الإسرائيلي، يرجى مراجعة الصفحات التي تضنها دفتا الرقمين ٣٣٩ - ٣٩١، من كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون كلام في السياسة، قضايا ورجال: وجهات نظر (مع بدايات القرن الحادي والعشرين)، إصدار الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة: نوفمبر ٢٠٠٢ م.

وفيه تقول الوثائق التاريخية عن الدور الإسرائيلي في وصول الحسن الثاني لسدة الملوكية على المغرب لقاء تنفيذ البرنامج الصهيوني بحذافيره بما فيه التجسس على ملوك ورؤساء القمة العربية، وفي الصفحة الأخيرة التي يتناول هيكل مجريات اليوم الأخير من الجنازة الوداعية للملك الحسن الثاني، كتب الأستاذ هيكل التالي «ويوم ٢٣/ يوليو ١٩٩٩م وقع ما كان منتظراً، وبدا الوجود الأمريكي في الجنازة كثيفاً بأكثر مما هو لازم.

وبدا الحضور الإسرائيلي مزعجاً بأكثر مما هو محتمل. وكان بين الصور التي رَوَّجَتها وكالات الأنباء صور الملك الشاب الجديد جالساً ومن حوله نطاق من ثلاثة رجال: رئيس الدولة الإسرائيلي «إيزر وايزمان» جالساً بجوار الملك الجديد، و«شيمون بيريز» مائلاً عليه من اليسار، و«إيهود باراك» مائلاً عليه من اليمين» + تركيز وسائل الإعلامية العالمية «على علاقاته - أي الحسن الثاني - مع إسرائيل وبالذات جهاز «الموساد»، ص ٣٩١ من الكتاب.

[١٠] - راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الثالث: سلام الأوهام، أوسلو - ما قبلها وما بعدها، إصدار دار الشروق، القاهرة / مصر، الطبعة الثانية، ٢٥ أكتوبر ١٩٩٦م، ص ٣٨٩، والتشديد على بعض الكلمات من وضعي.

[١١] - راجع كتاب السيد خير الدين حسيب المعنون العراق من الاحتلال إلى التحرير، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٢، والأصل عبارة عن صورة فوتغرافية لنص الرسالة.

[١٢] - راجع كتاب العلامة السيد محمد تقي الحكيم المعنون الأصول العامة للفقه المقارن: مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، تحقيق المجمع العلمي لأهل البيت، مدينة قم، مطبعة أمير، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٨ هجرية / قمرية ١٩٩٧ ميلادية، ص ٥٦٤ - ٥٦٥.

[١٣] - ويتضمن هذا الهامش [١]، [٢] - راجع كتاب الأستاذ جون كولي المعنون: التحالف ضد بابل، من ترجمة السيد ناصر عفيفي، إصدار مكتبة الشروق الدولية، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى - ١٤٢٧ هجرية - يناير ٢٠٠٦ ميلادية، والإستشهاد مقتطع من الغلاف الأخير من وضع الأستاذ عادل المعلم، أما الإستشهاد الثاني فقد ورد على الصفحة ٢٩٩ - ٣٠٠ من الكتاب، وعلى التوالي.

[١٤] - تم نشر هذه الرؤية السياسية التي نستشهد فيها، في هذه الفقرة، في موضوع كلمتنا والمعنونة: أربعون يوماً: والهاربون من ذاكرة التاريخ العادل يتوهمون محاربة طـواحين الهواء، في موقع التحالف الوطني العراقي: **www.iraqipa.net**. تجدر الإشارة إلى أنَّ كل التشديدات التي وُضعت تحتها خطوط كانت قبلي، نظراً إلى أهميتها في سياق المقالة كما أعتقد.

(٧)
بين رؤيتين متناقضتين

وزيادة في الإيضاح على مسار هذا الرجل من النواحي السياسية والمبدئية والفكرية والريادية، ينبغي علينا إيراد نص الحوار بين «المأسور» صدام حسين، أي بين الشخص: الضعيف والذي يبحث عن إنقاذ رقبته، كما يتصور العملاء والأغبياء، من جهة، ووزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد، صاحب السطوة العسكرية الأمريكية والهيمنة المطلقة على حكام المنطقة الغبراء الأساسيين، من جهة أخري، لكي نتبين «المعلومات التضليلية» التي يروجها نجاح محمد عليِ وَمَنْ هم على شاكلته ومن أمثاله، ومقارنتها بذلك المحضر الذي يبرز الشهيد وهو في ذروة محنته الشخصية، وكان تفكيره فيها منصباً على الرؤية الوطنية والقومية والحضارية، وكذلك كان فيها بعيداً كل البعد عن القضايا الذاتية التي تهم شخصه وحياته الفيزيقية... بله حتى حياة عائلته وأبنائه وأحفاده، لأن قضية تفكيره كانت منصبة على العراق والأمة العربية: كوطن، ومجتمع عراقي، وأبناء أمته العربية، كتكوين اِجتماعي، الأمر الذي يقتضي منا إيراد أغلب ما جاء في مقالاته الثلاث، بغية توفير عناصر المقارنة ومقاييس الموازنة، مع نص ذلك المحضر، واِستخلاص ما ينبغي اِستخلاصه.

يقول السيد نجاح: «ولن أتردد أيضاً في القول إن واشنطن هي مَنْ دفع بطرق مختلفة إلى إعدام صدام في يوم العيد، وأنها ستقوم لاحقا بمحاسبة من نفذ العملية... مع ملاحظة أن واشنطن دعمت مجيء حزب البعث وبالتالي صدام إلى سدة الحكم، وهي من حرضه على إيران وقدمت له كل أشكال المساندة، وشجعته على غزو الكويت، وأيدته في قمع المعارضة الشيعية خلال انتفاضة مارس/ شعبان عام ١٩٩١م، وهي التي أسقطته وقررت محاكمته ورتبت الروزنامة كما أرادت حتى إعدامه«، وهكذا اِختلط حابل المعلومات الأمنية الإيرانية برغبات حامل الأمنيات الدعائية على ما فيها من تناقضات مدهشة لتفسير الدوافع والأفعال، فالولايات المتحدة تساند النظام السياسي وتسقطه تالياً، وتحرضه على

الآخرين وتناويء أفعاله، وترتب الروزنامات كلها على ما فيها من خلاف في المصالح وإختلافات في التقديرات والتقارير. وإحترنا يا قرعة منين نحبك. فشواهد تأميم النفط العراقي، والمشاركة في حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م، وبناء العراق وجعله قوة مركزية في المنطقة التي دفعت الرؤية الإمبريالية والصهيونية لتجريد الحملة العسكرية عليه في آذار ٢٠٠٣م، وتوطين التكنولوجيا في العراق وصرف ما قيمته قرابة المائة مليار دولار على إنجاز تلك المهمة الحيوية من أجل تحقيق الِاستقلال السياسي الفعلي، وإمتلاك أسرار المعرفة التي هي قوة، والنهوض العلمي الشامل والمتوازن، ليست معايير في محاولة قراءة التطورات الموضوعية كلها، وليس التفكير العميق بمدى الإرادة السياسية الحرة، وحقيقة إِستقلالية القرار السياسي، كذلك. وإنما الأيديولوجية الصفوية الفارسية هي المقياس في قراءة لوحة الواقع الموضوعي!.

ولكنه زيادة في التضليل يقر «ومبدئيا نسجل أن التعاون مع الولايات المتحدة لإسقاط النظام السابق، والقبول بمبدأ المحاصصة الطائفية والأثنية، ومجرد الوثوق بواشنطن لتصبح هي من يرسم للعراق خريطته الاجتماعية والسياسية وحتى الجغرافية، هو خطيئة سياسية كبرى ارتكبها بعض زعماء الشيعة تُشاهد آثارها كل يوم في العراق الذبيح».. لذا، وفقاً لمزاعمه، «فهم يتهيؤون كما يبدو لمعاقبة كل من شارك في حفل الإعدام، خصوصا التيار الصدري، بعد أن صورته طقوس الإعدام، جلادا، رغم أنه كان ولا يزال...الضحية»!. هكذا تبدو المسألة يلصقها محمد علي بالشيعة كتكوين إِجتماعي، وهو ظلم سياسي كبير دأب الخبثاء أو العملاء على بثه دائما، وليس هي مسؤولية أحزاب طائفية صفوية فارسية كما هو في حقيقة الواقع، وهذه الأحزاب سارت خلف الرؤية السياسية الأمريكية حذو النعل للنعل. وأيضاً فإنَّ الأمر متروك لأنات الضحايا المثقوبة أجسادهم والمقطوعة رؤوسهم ولعشرات الجوامع المغتصبة والمحروقة وعشرات الآلاف من المهاجرين، وتأكيدات أقوال الفلسطينيين وشهاداتهم، والتطهير الشامل للأحياء، لمعرفة مَنْ هي الضحية الحقيقية التي يشهدها العراقيون، ناهيك عن كل المراقبين المفكرين والكتّاب والسياسيين المهتمين! في كل يوم،

وعما إذا كانت جماعة مقتدي الصدر هي المجرمة القاتلة، أو التنظيم البريء من اِغتصاب الجوامع ومختلف الجرائم الأخرى بما فيها قطع رؤوس البنات!.

ويفرض السيد نجاح الضحك على القراء والمتابعين في هذا الجو المأساوي، عندما يعتقد، ويسوق اِعتقاده للمساكين من أمثالي، حول اِحترام زمرة/ سلطة المالكي للقانون... سلطة المالكي التي صعدت إلى كرسي السلطة بواسطة الدبابات الأمريكية، ونقلته من دمشق/ السيدة زينب إلى بغداد المنطقة الغبراء، بعد أنْ قبض على وكيله في مدينة بابل/ الكفل، السيد سلام المعموري الذي اِعترف بعشرات جرائم القتل والاِغتيال التي شملت المواطنين المناوئين للاِحتلال الأمريكي الصهيوني والأبرياء من أي جريمة سياسية، ومسؤولية المالكي مباشرة عنها، ولكنه لم يعش ليوم واحد قبل نسفه وقتله على يد الزمرة الأمنية التابعة للمالكي وبتعليمات منه مباشرة لأركان حزب الدعوة في منطقة الكفل. يقول السيد نجاح «والقانون في المادة ٢٩٠ من قانون العقوبات لا يجيز إعدامه في يوم عيده» ولا ندري عن أي قانون يتحدث هذا الصفوي الفارسي، هل هو قانون بول بريمر نوح فيلدمان الطائفي التفتيتي المرسوم في دوائر الموساد؟ أم القانون الإسلامي وعرفه الذي يحرم قتل الفرد بغير الحق؟.

ولكنه مع ذلك يتحدث أحاديث خرافة من قبيل «بينما المالكي الذي كان يقرأ تقارير عن نية "تهريب" صدام، أراد تنفيذ حكم الإعدام حالا بعد قرار محكمة التمييز وعدم انتظار مهلة الشهر التي حددتها المحكمة. وفي النهاية وافق الأمريكيون على موعد الإعدام إلا أنهم طلبوا عدداً من الضمانات من أن صدام لن يتعرض لاعتداء جسدي أو إهانة عندما يسلمه الأمريكيون للطرف العراقي. وقال الأمريكيون ليس لدينا اعتراض على تنفيذ الحكم ولكن نريد تأكيدات من عدم خرق القانون، وقال المسؤولون العراقيون "الشيعة" لن نخرق القانون... وهذا هو بداية الطريق نحو الفخ...الأمريكي»، يا سلام: أنه الفخ الأمريكي الذي يرسمه الأمريكيون المحتلون ومنِّصبي سلطة المنطقة الغبراء، ووقع في شباكه المحكمة: «الطاهر - البريء - الطيب» المالكي [!!]، أي سذاجة كتابية تلك، يريد

تسويقها على العراقيين «المفتحين باللبن»، وكذلك «يقرؤون الممحي» كما يقول المثل الشعبي العراقي؟ الأمريكيون حاول خداع تلميذهم الطيع، ولكنه سبقهم للغداء بهم قبل أنْ يتعشوا به، وكأنهم لا يعرفون ما يفعلون وليس السيد صدام هو أسيرهم وسجينهم!.

«وهم يخططون منذ زمن لجر التيار الصدري إلى منازلة غير متكافئة لذبحه، بعد تشويه صورته أمام السنّة الذين دافع عنهم الصدريون» وهكذا يكرر الكلمات ذاتها في مقالتين متتاليتين، فهل التعليمات واحدة أم الغفلة تكمن خلف ذلك؟. ولا يكتفي بتكرار تلك الفكرة، وإنما يكرر الجملة التالية: «ولن أتردد أيضا في القول إن واشنطن هي من دفع بطرق مختلفة إلى إعدام صدام في يوم العيد، وأنها ستقوم لاحقا بمحاسبة من نفذ العملية»، ولكنه لا ينسى من ترديد المحفوظة الفارسية الصفوية... «مع ملاحظة أن واشنطن دعمت مجيء حزب البعث وبالتالي صدام إلى سدة الحكم، وهي من حرضه على إيران وقدمت له كل أشكال المساندة، وشجعته على غزو الكويت، وأيدته في قمع المعارضة الشيعية خلال انتفاضة مارس/ شعبان عام ١٩٩١م، وهي التي أسقطته وقررت محاكمته ورتبت الروزنامة كما أرادت حتى إعدامه»، ومعلوم أننا أثرنا العديد من الأسئلة في مفتتح الموضوع حول هذه النقاط، ونعفي أنفسنا من مناقشة ما يكرره بشكل غبي أو ساذج: السياسي نجاح على القارئين، والمثل الشعبي المناسب الذي ينبغي إيراده هنا، «إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً» أيضاً.

«وبعد الإعدام، تذكر التسريبات الأمريكية أن حكومة المالكي رفضت تسليم الجثة، وأصرت على الاحتفاظ بها في مكان سري حتى تسمح الظروف بتسليمها لعائلة صدام ودفنها، وعندها تدخل الأمريكيون! نعم إن من حق العراقيين أن يعرفوا الأسرار التي دُفنت مع صدام، لكي يكتبوا التأريخ... كما هو وليس كما يريد المنتصر وهو ليس الحكومة العراقية!.»، وفي موضع آخر يصدر قراره الذي هو مناط حقد الأمريكيين والصهاينة ضد القيادة العراقية الوطنية والقومية، إذ أنَّ اغتياله، أو إعدامه وفق أقواله هو «أقل بكثير من العدالة المطلوبة لرجل حكم بلاده بقبضة من حديد ونار» ويتميز غضباً لموقف الرجل

الذي قاد العراق، الثمن الذي واجهه من رد فعل إمبريالي صهيوني: «المضحك المبكي في قصة إعدام صدام أن أكثر من ٣٥ عاما من فيلم طويل سجل الجرائم التي ارتكبها الرئيس العراقي السابق، لم تترك دقيقتان منه، لدى الرأي العام المتباكي عليه، إلا صورة " البطل الذي هوت به المقصلة وهو يؤدي الشهادتين»!"..

وزيادة في ترديد الرؤية الفارسية الصفوية التي دأب على ترديدها الأسياد والعملاء والإقليميين والصغار في العراق، من أجل تعميق الإساءة لنهج القيادة الوطنية العراقية، يقول هذا الصفوي الفارسي لقد «دُفن صدام ودفنت معه أسرار لا تريد أطراف عدة الكشف عنها، ومنها بالطبع الأموال الضخمة التي أكدت الوثائق الأمريكية، قبل العراقية أنها تُقدر بـ" مائة " مليار دولار موزعة في حسابات سرية في بنوك عالمية. وإذا لم تكن الإدارة الأمريكية حصلت على معلومات حول هذه الأموال، فان الواضح - حتى الآن - هو أن هذا الملف يكاد يغلق مع إعدام صدام، ومع " تقليل "الولايات المتحدة ودول غربية من " كفاية الأدلة " بيد السلطات العراقية حول مقدار وكمية هذه الأموال وأسماء الدول أو البنوك التي أُودعت فيها هذه المليارات، مع ملاحظة أن هذه الأدلة تقل بكثير عما بيد السلطات الأمريكية في الوقت الحاضر. لقد أكدت تقارير محفوظة لدى المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي أي) في وقت سابق بعد اعتقال صدام، أن هذه المبالغ المسروقة والتي كانت تشكل الثروة الحقيقية السرية لصدام تصل إلى مائة مليار دولار، جمعها صدام منذ عام ١٩٩٠م حتى ٢٠٠٣م. واعتمدت المخابرات الأمريكية لتأكيد حجم الثروة الضخم الذي تم تهريبه،على تقارير، أعدها بعض خبراء التفتيش على الأسلحة في العراق، الذين أتيحت لهم فرصة الاطلاع على الكثير من الأسرار في العراق في عهد صدام حيث كانوا يتصفحون الوثائق السرية ويقومون بتصويرها وتوثيقها لديهم. ومن أهم هذه الوثائق ما ورد في تقرير أعده مفتش الأمم المتحدة وخبير الأسلحة "جارلس دولفر الذي أكد أن الأموال التي جمعها صدام منذ عام ١٩٩٠م إلى عام ٢٠٠٣م تبلغ نحو مائة مليار دولار. كما أن هناك وثيقة سرية عثرت عليها قوات الاحتلال الأمريكي أثناء دخولها بغداد وتفتيشها لوثائق البنك المركزي، تشير بوضوح إلى أن صدام وجه رسالة إلى محافظ البنك

المركزي أمره فيها، بتسليم كل من قصي صدام، وحكمت مزبان إبراهيم، مبلغ (٩٢٠٠٠٠٠٠٠) تسعمائة وعشرين مليون دولار، ومبلغ (٩٠٠٠٠٠٠٠) تسعين مليون يورو لإخفائها في مكان آمن. وبينما لم تحظ هذه القضية بالاهتمام الكافي من الحكومة، ربما بسبب انشغالها بالشأن الداخلي حيث العملية السياسية القلقة، والوضع الأمني المتردي، فإن المسؤولين الأميركيين - قبل إعدام صدام - أولوا هذا الملف اهتماما كبيرا خصوصا وأن هذه المبالغ اعتبرت أرقاما خيالية وانفراد مجموعة من الأشخاص بالتصرف بها يشكل مخاطر كبيرة ومن شانها أنْ تمد الجماعات المسلحة المرتبطة بحزب البعث بإمكانات ضخمة، لذا فان وزارة الخزانة الأمريكية كانت أعدت فريقا خاصا لمتابعة هذا الموضوع بالإضافة إلى تعاونها وتنسيقها مع المخابرات المركزية الأمريكية، وقامت بإرسال وفود إلى سوريا وعمان وسويسرا والدانمارك واليابان، ودول أخرى لتقصي الحقائق وجمع المعلومات عن هذه المليارات من الدولارات الموزعة في بنوك عالمية وبأرقام سرية. كما أن هناك معلومات عن رجال مال كانوا يقومون باستثمار الأموال لصدام، دون استثناء ابنة صدام "رغد" التي يعتقد المسؤولون الأمريكيون والعراقيون أنها مطلعة على جانب مهم من الحسابات السرية لأبيها، وكانت آخر شخص من العائلة التقى بها وتحدث إليها مطولا بشأن خططه المستقبلية، وتزداد الشكوك حول وجود ثروة كبيرة من المال تحت تصرفها، من خلال صرفها السخي للملايين والتي تستثمرها لتغذية الأعمال المسلحة في العراق وتوزيع الأموال على البعثيين والإعلاميين والسياسيين العراقيين المعارضين للنظام ولشخصيات إعلامية وسياسية عربية. كذلك فان المعروف أيضا فان برزان التكريتي هو واحد من أهم حملة مفاتيح الأسرار لعدد غير قليل من الحسابات السرية، ولهذا فقد حظي باهتمام خاص من قبل الأمريكيين من خلال التحقيق معه والذي تناول أسرار هذه الأموال أكثر مما تناول تورطه في عمليات قتل وأسرار تشكيل جهاز المخابرات في عهد النظام البائد. وإذ لم تُعرف بعد المعلومات التي كشفها برزان التكريتي للأميركين، فان المطلوب من الحكومة العراقية أن تضع على طاولتها هذا الملف الذي يجب أن لا يُغلق ما لم يتم استرجاع هذه الأموال إلى البلد بدلا من "استجداء" الدول المانحة، فلربما عمل برزان لإنقاذ حياته من الإعدام، بعد

أن شاهد صور تنفيذ حكم الإعدام بأخيه الذي حكم البلاد بلغة الموت التي شاركه في صياغتها - اللهم إلا إذا بقيت في ذهنه الدقيقتان فقط مما سمع بتفاصيلها من المحامين.»!!!

{مع ملاحظة أنَّ كل تلك المعلومات كانت ترددها وكالة المخابرات المركزية: السي آي أي، وتوزعها الشبكات المرتبطة بالرؤية الصفوية الفارسية حتى بالمضمون والكلمات نفسها التي يزعم نجاح محمد علي أنه كاتبها، ومن بين تلك المواقع «الوكالة الإسلامية للأنباء». مؤسسة الكوثر الثقافية - المركز الثقافي الإسلامي في أوترخت/ هولندا. موسوعة بلاد الرافدين، مقالة بِاسم د. جمال العلي. موقع شبكة بلاد النهرين نت، نقلاً عن وكالة براثا. وكالة مهر الإيرانية الكائن مقرها في طهران... ألخ ألخ. ولعل من بين أبرز المعلومات عن الموضوع وعن الشخص المعني هو ما أوردته جريدة المدار في مطلع كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦م عن دورٍ للمخابرات الأمريكية والإسرائيلية والمخابرات الأردنية في رسم الأضاليل حول الموقف العراقي، ودور جارلس دوفر فيها. يمكن مراجعة ذلك، بعد كتابة اِسمه في موقع ياهوو [yahoo: WEB SEARCH، جارلس دولفر] في القسم ١، عن اِستنطاق جارلس من قبل السي آي أي، في الفقرة ٣، والمعنون موضوعها عن التحقيق مع جارلس دولفر المأخوذ عن موقع جريدة المدار}. وعودٌ على بدء نقول:

هذه أقوال السيد نجاح محمد علي نوردها بالنص، التي يبدو معها التكرار في الأقوال، واضحاً الأمر الذي يتضح معه أنَّ مصدر المعلومات واحد، من ناحية أولى، ومدى قناعته بالروايات الأمريكية التي شكلت «الميديا» و«السي آي أي» عمودها الفقري، من ناحية ثانية، ومحاولة التشويه المالي للشهيد وعائلته يبدوان حقدين صفويين فارسين متفجرين بلسان طائفي وقلب عنصري فارسي، لم يتوقفا أبداً عن الأجهزة الدعائية ضد العراق، من ناحية ثالثة، والتستر على أدوار العميل أحمد الجلبي في نثر التضليل على هذه القضايا المالية، فإذا كان الجلبي له مصلحة مالية كونه كان السارق الأول للأموال العراقية، فما هي مصلحة السيد نجاح محمد علي: إذا كان عراقياً مخلصاً، في التستر على اللصوص الحقيقيين، من أمثال زمرة المقبور باقر الحكيم وأسياد المنطقة الغبراء، من بول بريمر وحتى

خليل زادة، ناهيك عن العملاء الأذناب من سلاطين المنطقة الخضراء؟!، من الناحية الرابعة.

يمكننا إيراد المزيد عن إلقاء الأضواء على المزاعم الدعائية التي تقيئها آلياً السيد نجاح محمد علي، ولكننا نتوقف عن ذلك، لجعل المحضر ونصوص اللقاء بين وزير الدفاع الأمريكي والسيد صدام حسين، هو المعيار السياسي الموضوعي في قراءة التطورات وموقف الشهيد حولها، فلحظة الفصل والفيصل هي لحظة صدق، قبل أي شيء آخر.

(٨)

... الأطماع الأمريكية...

أسرار اللقاء الأخير بين صدام ورامسفيلد بالمنطقة الخضراء الخطيرة في المنطقة هي سبب التعجيل بإعدام صدام

لقاء مع الدكتور خير الدين حسيب
المنشور في جريدة «نداء المقاومة» الناطقة
باسم التحالف الوطني العراقي
بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٥م

شروط طلبها الرئيس الشهيد من أمريكا أولها البدء بالانسحاب فوراً

وإطلاق المعتقلين العراقيين وتعويض العراق عما ألحق به من دمار.

صدام: "لا أبحث عن طريق لإنقاذ رقبتي من حبل المشنقة التي نصبتموها للعراق كله...

لم يبق لي سوى الشرف وهو لا يباع ولا يشترى".

كشف د. خير الدين حسيب مدير مركز دراسات الوحدة العربية أسرار اللقاء الأخير بين الرئيس العراقي «السابق» الشهيد صدام حسين ووزير الدفاع الأمريكي السابق دونالد رامسفيلد وذلك في حوار أجرته معه فضائية "إيه.إن.بي" وتطرق الحوار إلي مستقبل العراق وطبيعة علاقاته مع جيرانه وماذا ستكون عليه نوعية العلاقات بدءاً من الجارة إيران ومن ثم سوريا ومن دون أنْ ننسي الجارة الكبيرة المملكة العربية السعودية انطلاقا من الوضع العراقي المتفجر المرتبط عضويا مع الوضع في «الشرق الأوسط ومعناها الفعلي: العلاقة مع كيان الإغتصاب الصهيوني»، وماذا سيؤول إليه ملف العلاقات الأمريكية - العراقية والإيرانية؟ تجاذبات حاصلة بين طهران والمجتمع الدولي حول الملف النووي/ من ناحية، وعلاقات العراق مع العالم العربي... وإلي أين تتجه، من ناحية أخرى. وفيما يلي نص ذلك اللقاء:

جورج عون: كيف سيواجه العراق جيرانه وماذا ستكون عليه نوعية العلاقات بدءاً من الجارة إيران ومن ثم سوريا ومن دون أن ننسى الجارة الكبيرة المملكة العربية السعودية. انطلاقاً من الوضع العراقي المتفجر المرتبط عضوياً مع الوضع في الشرق الأوسط وماذا سيؤول إليه ملف العلاقات الأمريكية - العراقية والإيرانية؟ تجاذبات حاصلة بين طهران والمجتمع الدولي حول الملف النووي. العراق والعالم العربي... إلى أين؟ عنوان حلقة اليوم نناقشه مع

مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية الدكتور خير الدين حسيب. أهلاً وسهلاً بك دكتور.

حسيب: أهلاً بك.

جورج عون: دكتور حسيب، من المعروف اليوم أن عملية إعدام صدام حسين أخذت طابعاً مذهبياً إلى حد كبير، ففي رأيك لماذا تمت هذه العملية في هذا الوضع وفي هذا التوقيت؟.

حسيب: أعتقد قبل أن أجيبك على الجانب المذهبي لعملية الإعدام، أحب أن أتكلم عن الإطار العام لعملية إعدام الشهيد الرئيس صدام حسين. أولاً، المحاكمة نفسها لم تكن قانونية وهي محاكمة تمت تحت الاحتلال. الرئيس صدام نفسه كان سجين حرب وفقاً لاعتراف القوات الأمريكية في المرحلة الأولى من الحرب. إجراءات المحاكمة من تعيين القاضي ثم عزله والضغط عليه للاستقالة، ثم تعيين قاضياً آخر أكثر شدة؛ اغتيال بعض محامي الدفاع؛ الإجراءات خلال المحاكمة إلخ؛ كانت كلها تشير إلى أن المحاكمة غير عادلة إضافة إلى أنها غير قانونية، (١). ويمكن القول: إن الانتقام والحقد تغلبا على العدالة، هذا ما يمكن أنه تلخص فيه محاكمة الشهيد الرئيس صدام حسين.

لماذا اختارت الولايات المتحدة في هذه المحاكمة موضوع الدجيل بالذات وليس مواضيع أخرى مهمة؟ إنّ أي كلام عن إعطاء دور لحكومة العملاء لتحكم العراق أو لرئيس الوزراء، هو كلام غير واقعي وغير صحيح، فمن يحكم العراق هو قوات الاحتلال ويوجد منها ١٤٠ ألفاً وهم الذين يديرون الأمور ويقررون ما يريدون.

تمّ اختيار قضية الدجيل كأول قضية، أولاً، لأنه لا يوجد فيها جانب خارجي وليس للأمريكان علاقة في هذه العملية حتى لا تُكشف أية أسرار. ثانياً، وأنا آسف لاستعمال مفردات طائفية ومذهبية لم يعتد لساني عليها ولكني مضطر أن استعمل بعضها لتوضيح الواقع، فان منطقة الدجيل هي مدينة شيعية، وجرت محاولة من مدينة الدجيل لاغتيال الرئيس صدام حسين وكان هذا عام ١٩٨٣م أثناء الحرب العراقية - الإيرانية، وكانت هناك شائعات بان إيران كانت وراء هذه العملية. كما تم تنفيذ الإعدام في "الكاظمية" وهي منطقة شيعية. الهدف إذن هو إثارة قضية طائفية مذهبية في العراق ولها علاقة بإيران. هذا هو جزء من المخطط الأمريكي من البداية لإثارة القضية الطائفية في العراق حتى يقتتل العراقيون مع بعضهم بعضاً، وحتى يتفرقوا ويتمزقوا كي لا يتحدوا تجاه الاحتلال ومقاومة الاحتلال.

لماذا تم الإسراع في عملية التنفيذ؟ مَنْ يعتقد أن نوري المالكي هو الذي قرر التنفيذ هو على خطأ. الأمريكان حاولوا، كما سأبين فيما بعد، بمختلف الوسائل، أن يعقدوا صفقة مع الشهيد الرئيس صدام حسين لإخراجه خارج العراق هو وعائلته وليعيش في بلد أوروبي، ومنحه كافة التسهيلات، مقابل أن يطلب من المقاومة وحزب البعث بالذات الدخول في العملية السياسية وقد رفض هذا العرض. وبعد قليل سأتكلم عن هذا الموضوع.

إضافة إلى الملاحظات العامة التي ذكرتها حول الموضوع، أعتقد أن الشهيد الرئيس صدام حسين أُغتيل ولم يعدم.. لأن هذا الإعدام لا ينطوي على حكم شرعي. أما عن الإسراع في التنفيذ، فلأن الأمريكان لم يردوا أن يتابعوا المحاكمة في قضية حلبجة والأنفال إلخ، لأنها ستكشف الجانب الأمريكي والجانب الأوروبي في تزويد العراق بالأسلحة الكيماوية ودور أمريكا في الحرب العراقية الإيرانية، وهي تريد عدم كشف صدام حسين ذلك. وأرادت لكثير من الأسرار التي تشكل خطراً على الإدارة الأمريكية أن تموت مع الشهيد صدام حسين.

جورج عون: دكتور، أنت إذن تتهم الولايات المتحدة الأمريكية بأنها وراء إعدام الرئيس صدام حسين، ولكن السفير الأمريكي في العراق تنصل من هذه المسؤولية وقال إنه نصح الحكومة العراقية بتأجيل موعد الإعدام على الأقل مدة عشرة أو خمسة عشر يوماً. إذن، لماذا برأيك أنت؟

حسيب: لم يعد من الممكن أن نُخدع بما يقوله الإعلام. فنحن نعرف مصادر الإعلام ومن يسوق هذه الأخبار. الشهيد صدام حسين لم يُسلّم إلى الحكومة العراقية إلا قبل ساعة من موعد الإعدام. وكان بإمكان الأمريكان أن يؤجلوا الإعدام لأنه كان تحت حراستهم وليس بإمكان الحكومة العراقية العميلة أن تنفذ حكم الإعدام إذا لم تستلمه من الأمريكان. فهذا الكلام مرفوض.

ثانياً، نحن نعلم الآن أنه كانت هناك رغبة في دفنه في المنطقة الخضراء وأنه لم تتم الموافقة على نقله ودفنه في مسقط رأسه في العوجة في تكريت إلا بموافقة الرئيس بوش، لهذا أيقظوه من النوم وأخذوا موافقته. وفي المرحلة الثانية اضطروا لأخذ موافقة الرئيس بوش مجدداً عندما أرادت - ما تسمى - الحكومة العراقية أن تنقله في سيارة من المنطقة الخضراء إلى العوجة في تكريت ورفض رئيس العشيرة ذلك لأنه كانت هناك خطة لاختطافه في الطريق والتمثيل به إلخ، وأصرّ على أن يُنقل تحت الحماية والحراسة الأمريكية واضطروا لأخذ موافقة الرئيس بوش مرة ثانية ونُقل بهليوكوبتر. وكل الكلام الذي يقال عن المالكي وغيره ليس سوى محاولة لاستكمال ملف التحريض الطائفي، فنوري المالكي شيعي وحكومته أغلبيتها شيعية، وما قيل عن مقتدى الصدر والأمور الأخرى التي قيلت كان الهدف منها تكريس وتعميق الجانب الطائفي الذي بدأت فيه أمريكا والتي لا تزال تنفذه منذ تشكيل مجلس الحكم إلى الآن. أمريكا منذ أن احتلت العراق لم تتكلم عن شعب اسمه الشعب العراقي بل هي تتكلم عن شيعة وسنة، وتركمان وأكراد وعرب إلخ، فبالتالي أعتقد، وهذا ما تقوله الصحف الأمريكية والبريطانية والعالمية، أمريكا تتحمل المسؤولية.

جورج عون: لكن دكتور إذا قلبنا الموقف، إذا اعتبرنا أن صدام حسين هو من يُحاكِم، هل تعتقد أنه كان سيسمح بإجراء محاكمة علنية بهذا الشكل كالتي حصلت فيه المحكمة؟

هل كان سيسمح لخصمه أن يأخذ حيزاً كبيراً من الإعلام؟ الحكومة الأمريكية أو الحكومة العراقية الحالية سمحت إلى حد كبير لصدام حسين أن يبرز ما يقوله وأعطته فترة طويلة من الأخذ والعطاء.

حسيب: أولا ذكرت لك أن هذه محكمة غير شرعية وغير قانونية. والتساؤل عما كان صدام يفعله لو كان يُحاسِب، يسمح أو لا يسمح، فهناك بيت شعر ساخر يقول:

إذا كنت تجزي الذنب مني بمثله

فما الفرق بيني وبينك يا رب

فوقوع خطأ لا يبرر وقوع خطأ آخر.

وأنا أتكلم عن شيء اسمه قضية الشعب العراقي وقضية العراق ولا أتكلم فقط عن إعدام الشهيد صدام حسين.

أنا أعتقد، إضافة لما قلته حول المحاكمة، سيكون صدام ميتاً أقوى منه حياً في التأثير في التطورات العراقية. صدام مهما قيل في بعض ممارساته، فإن التاريخ لا يحكم على الحكام في العالم من خلال جانب معين فقط من حكم هذا الحاكم، بل يأخذ مجمل إنجازاته وإخفاقاته وفي النتيجة يحكم عليه بحصيلة أعماله. فيما يتعلق بالديمقراطية والديكتاتورية قد يكون معظمها صحيح، ولكن بالنسبة إلى إنجازاته هناك أمامي الآن تقارير أمريكية وبريطانية وغيرها، تشير إلى إنجازاته خلال العقدين الأخيرين من حكمه، ويشير أحدها(٢) إلى سياسته الخارجية القومية **Pan Arab**، كما يشير إلى أن منظمة الصحة العالمية تقول كان في العراق قبل الاحتلال نظام صحي هو أفضل نظام صحي في الشرق الأوسط. كما قام بمبادرات لتعبيد طرق العراق وبناء المستشفيات والمدارس وتعليم العراقيين القراءة، وربما من أهم إنجازاته أنه حافظ على العراق موحداً. وفي الثمانينيات من القرن العشرين أعطت اليونسكو جائزة للعراق كأول دولة نامية تقضي على الأمية. هذا إضافة إلى تطوير الجيش العراقي وتسليحه، وإنشاء قاعدة صناعية كبيرة، وتطوير قاعدة علمية وتكنولوجية مهمة جداً، وغير ذلك من الخدمات لشعبه. والأهم من كل ذلك تأميمه للنفط (شركات النفط الأجنبية في العراق) عام ١٩٧٢م.

جورج عون: لكن دكتور هذا لا يكفي لأن نسامح صدام حسين؟

حسيب: أنا لا أتكلم عن مسامحة الرئيس صدام حسين، بل أنا أتكلم عما يقوله العراقيون وما يقوله الأمريكان. فلننظر أولاً إلى ما يقوله العراقيون:

في أواخر نوفمبر الفائت (٢٠٠٦م)، قام مركز العراق للبحوث والدراسات الإستراتيجية باستطلاع للرأي العام العراقي للوقوف على رؤية العراقيين حول مختلف الأوضاع في بلادهم بما فيها الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية، (٣). وشمل ثلاث محافظات هي بغداد والنجف والأنبار.

ويبين هذا الاستطلاع، إضافة إلى أمور أخرى، إلى أي حد هناك انقسام طائفي في العراق كما يقولون: ففي هذا الاستطلاع سألوا الأشخاص الذين إستطلعوهم عن دينهم ومذهبهم. وقد رفض خمسون بالمائة من الذين استجوبوهم أن يقولوا فيها إذا كانوا شيعة أو سنة، هذا رغم الظروف السائدة ورغم التعبئة الطائفية والمذهبية. سألوهم أيضاً هل ستصوتون لنفس الأشخاص إذا أعيدت الانتخابات؟ ٤٧ بالمائة قالوا لا، ٢٦ بالمائة قالوا نعم و٢٠ بالمائة كانت إجاباتهم: لا أعرف، أي أن ٢٠ بالمائة فقط أكدوا أنهم سينتخبون نفس الأشخاص. وعن السؤال عن مدى الثقة بأعضاء مجلس النواب الحالي؟ قال ٦٤ بالمائة قالوا أنهم لا يثقون بأعضاء مجلس النواب الحالي، إما مطلقاً أو إلى حد ما. سألوهم عن الأوضاع الأمنية في العراق حالياً بالمقارنة مع ما كانت عليه قبل الحرب، وكانت الإجابة ٩٥ بالمائة قالوا: أن الأوضاع اليوم أسوأ. وعندما سألوهم عن الأداء الأمني للحكومة الحالية فان ٩٠ بالمائة وصفوا الأداء الأمني للحكومة الحالية بالرديء وعندما سألوهم عن التوقيت المناسب لمغادرة القوات المتعددة الجنسية، ٥١ بالمائة أجابوا: انسحاب فوري و٢٠ بالمائة وفق جدول زمني. وحول رؤية العراقيين للعهد السابق، ٩٠ بالمائة أجابوا: بأن الوضع الآن هو أسوأ مما كان عليه قبل الحرب. وسألوهم عن تقييمهم للوضع السياسي، ٩٠ بالمائة أجابوا: أسوأ مما كان عليه قبل الحرب. وعن الوضع الاقتصادي أجاب أكثر من ٧٩ بالمائة بأنه أسوأ. وعن دور الحكومة في معالجة الاحتقان الطائفي،

٩٠ بالمائة قالوا إنه سيىء. هذه جوانب مختلفة لآراء عراقيين في استطلاع للرأي العام تم في العراق، وتم في بغداد التي تمثل حوالي ستة أو سبعة ملايين من مجموع ٢٧ مليون نسمة (حوالي ربع السكان) إضافة إلى النجف والأنبار، والأولى شيعية والأخرى سنية.

جورج عون: ولكن لنكن هنا منصفين وعادلين، هل تم سؤالهم: ما رأيكم بصدام حسين عندما كان رئيساً للجمهورية؟ طبعاً لم يسألوهم هذا السؤال. ولكن لو سألوهم هذا السؤال لربما يكون الجواب أنه أدخل العراق في حرب مع إيران وذهب ضحيتها آلاف الأشخاص.

حسيب: هم يسألون عن الوضع الأمني والوضع الاقتصادي وسألوا عن مختلف الجوانب وكان الجواب أن الوضع الآن أسوأ من قبل الاحتلال. أنا لا أجادل فيما يتعلق بنظام الحكم وإلى أي حد كان ديمقراطيا أو ديكتاتورياً، أنا لا أجادل في كل ذلك. لكن كل ما يقال عن طائفية النظام فالذين جاؤوا بقضية الدجيل حتى يسقطوا النظام بهذا الشكل، فحتى السيد السيستاني عندما سألوه عما إذا كان نظام صدام حسين طائفيا، أجاب بلا، نظام صدام حسين لم يكن طائفياً بل كان ديكتاتورياً. أغلبية أعضاء حزب البعث كانوا من الشيعة، وأغلبية قيادة حزب البعث كانوا من الشيعة، وأول اثنين من الأمناء العامين لحزب البعث كانا شيعيين.

جورج عون: لكن دكتور، هؤلاء الأشخاص لم يكونوا شيعة بالمعنى العام للكلمة، بل كانوا مستفيدين من النظام ومن البعث ومن الحكم.

حسيب: لا تستطيع أن تعمم هذا، من الصعب أن تظلم مليونين أو ثلاثة ملايين، لا أعرف عدد الأشخاص المنتمين إلى حزب البعث، فمن الصعب أن تظلم الناس وتسميهم مستفيدين من حزب البعث، الشعب كله كان مستفيدا من الناحية الغذائية ومن الناحية الصحية وخدمات الكهرباء والتعليم والصحة وغيرها، وكان ذلك عكس ما هو موجود حالياً.

جورج عون: صدام حسين جلب الأمريكيين إلى المنطقة، صدام حسين غزا الكويت، صدام حسين قام بعملية عسكرية لمدة ثمانية أعوام مع إيران. كيف يمكن أن نقول أن كل هذه العوامل أتت بمجرد الدخول إلى العراق، فصدام حسين هيأ الأرضية لكل هذه العناصر التي نتكلم عنها اليوم لحدوثها.

حسيب: مرة أخرى أنا لا أناقش في الجانب الذي يتعلق بالحريات وديكتاتورية النظام إلخ. وقد أكون أنا، كما تعرف أنت، أحد ضحايا هذا النظام. فدعني أتكلم عن واحدة تلو الأخرى.

فيما يتعلق بحرب إيران. ما دور أمريكا في حرب إيران؟ما هو السعودية والكويت ودول الخليج في حرب إيران؟ من موّل حرب إيران؟ من جهّز العراق بالأسلحة الكيماوية وغيرها؟ هناك تقارير أمريكية، فالبنتاغون (وزارة الدفاع) بعد انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية أصدر تقريرا في (١٢٠٠) صفحة يبين دور أمريكا في ذلك، ويبين أنه فيما يتعلق بحلبجة (وليس الأنفال) أن أول من استعمل الأسلحة الكيماوية كان الإيرانيون، وقد استعملوا أسلحة كيماوية غير موجودة لدى العراق. إعدام صدام كان لمنع كشف كل هذه المعلومات الخاصة، وسأتكلم عن جانب منها لاحقاً في هذه الحلقة.

فيما يتعلق بالكويت، صدر مؤخراً كتاب ألفه مفكران ودبلوماسيان أمريكيان، هما جورج ماكغفرن الذي كان عضو الكونغرس والمرشح الديمقراطي للرئاسة والدكتور وليام بولك وهو دبلوماسي أمريكي وأستاذ جامعي سابق، وعنوانه "الخروج من العراق: خطة عملية للانسحاب الآن"، وصدر في يوليو الفائت (٢٠٠٦م) وقام مركز دراسات الوحدة العربية بترجمته ونشره قبل أسبوعين ديسمبر ٢٠٠٦م وإذا قرأت الكتاب، ترى كيف أنّ الأمريكان نصبوا فخاً للرئيس صدام حسين كي يحتل الكويت وأنا لا أبرر احتلال الكويت فأنا ضده، لكن دور الأمريكان في احتلال الكويت، ودور بعض الخليجيين في استفزاز العراق في زيادة الإنتاج من النفط وتخفيض الأسعار إلخ أصبح معروفاً وموثقاً. حرب الكويت لها ما قبلها وما بعدها، وأنا سبق أن تكلمت عن هذا

الموضوع في مقابلات سابقة بالتفصيل. أحد الأسباب وراء هذا الاستعجال في الحكم على الرئيس صدام بالإعدام والإسراع في تنفيذ الحكم هو أن يذهب صدام مع ما لديه من أسرار ومعلومات وتذهب معه إلى القبر وتبقى مدفونة، هذا أحد أسباب الاستعجال.

السبب الثاني للاستعجال، وسأكشف هذا الموضوع فيما بعد. كان يُعتقد أنه مادام الرئيس صدام حسين موجوداً وحيّاً حتى وهو داخل السجن، فإن المقاومة، خاصة حزب البعث منها، لن تدخل في المفاوضة مع الاحتلال والالتحاق بالعملية السياسية.

جورج عون: لكن دكتور حسيب، هل يمكن تصنيف صدام حسين على أنه كان يتعاون مع الولايات المتحدة في حربه ضد إيران وفي دخوله إلى حد ما إلى الكويت، فماذا تقول؟ أنت تقول أنه تم إعدام صدام حسين على عجل لإخفاء الأسرار التي كانت بحوزته، فهل هذا يعني أن صدام حسين كان عميلاً للولايات المتحدة الأمريكية؟

حسيب: في اللغة الإنجليزية هناك تعبير يقول "Contradiction In Terms" أي "تناقض في المصطلحات"، إذ كيف تعدم الولايات المتحدة عميلاً لها؟ أنا ذكرت الحرب العراقية - الإيرانية ولا يوجد مجال للتفصيل أكثر، واقترح على من يريد أن يرى أن يرجع إلى خلفيات كيف دُفع صدام للدخول إلى الكويت. لكن هذا لا يبرر الحرب على الكويت، على الرغم من كل الاستفزاز ورغم تدخل دول الخليج ودعمه للعراق ليتخلصوا من الخطر الإيراني.

في عام ١٩٨٨م وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية،عيّنت الولايات المتحدة الجنرال شوارزكوف قائدا عاما للقيادة المركزية، وكانوا يسمونها قوات التدخل السريع. وفي عام ١٩٨٩م طلبوا مَن شوارزكوف أن يقدر المخاطر التي تواجه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وكانت الحرب الباردة تقترب من نهايتها. وكتب شوارزكوف بعد انتهاء حرب الخليج مذكراته وكان القسم الأول عن فيتنام والقسم الثاني عن حرب الخليج. وأول ستين صفحة تتحدث في هذا. وهو تحدث عن تفاصيل جولته وزياراته إلى الشرق الأوسط إلخ. وعاد في آخر عام ١٩٨٩م وقدم تقريرا إلى الإدارة الأمريكية يقول فيه أن الخطر الأول

والأساسي على الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ومصالحها هو العراق. واعتباراً من أول عام ١٩٩٠م بدأت كل الحملة الإعلامية على العراق، عن المدفع الكبير وغيره والجاسوس بازوفت وإلخ، وكانت أمريكا خلال الحرب العراقية الإيرانية قد أعطت تسهيلات ائتمانية للعراق بقيمة عدة مليارات من خلال بنك الاستيراد والتصدير الأمريكي، وكان باقيا منها ملياران أو ثلاثة لم يتم استعمالها فألغتها إلخ. ونتيجة لذلك فإن قوات التدخل السريع التي لديها تمرين سنوي يُحدد فيه العدو وتجرى لمناورات لتدريبه على ذلك الأساس. في عام ١٩٩٠م، وخلافاً لكل السنوات السابقة التي كان فيها الاتحاد السوفييتي هو العدو وحيث إن الحرب الباردة قد انتهت، فكان التمرين في عام ١٩٩٠م على أساس أن العراق هو العدو. ومن ثم يذكر شوارزكوف تفاصيل تحدد حتى الأهداف التي تقصف. والتمرين بدأ في يوليو ١٩٩٠م وتداخل مع الحرب. [أي قبل الدخول العراقي للكويت بشهرين تقريباً - ملاحظة من وضعي].

فقضية التخلص من الرئيس صدام هي قضية سابقة، وموقف أمريكا من صدام هو موقف سابق لقضية الكويت، من عام ١٩٨٩م وأول عام ١٩٩٠م أمريكا وبريطانيا كانتا مصممتين على القضاء على الرئيس صدام حسين. والسؤال لماذا؟.

العراق خرج من الحرب ولديه جيش تعداده حوالي مليون ولديه خبرة قتالية وأسلحة، كما تبين للأمريكان أن الرئيس صدام حسين لديه طموحات وحدوية خارج العراق. وتبين لهم كذلك أن الرئيس صدام حسين استطاع أن يطوّر قدرا من أسلحة الردع تؤثر على إسرائيل وتؤثر على إستراتيجية أمريكا في المنطقة. كما أن موقف العراق من القضية الفلسطينية في ظل نظام الرئيس صدام حسين كان موقفاً لا يقبل المساومة، وأصلاً كان ضد قيام دولة إسرائيل. وهناك وثائق حول ذلك، ولكن ليس لدينا الوقت الكافي حتى نتكلم عنها. وعلى سبيل المثال فقط، في عام١٩٧٥ م اجتمع هنري كيسنجر، عندما كان وزير الخارجية الأمريكية، مع الدكتور سعدون حمادي وزير الخارجية العراقي آنذاك،في باريس وكان الاجتماع سرياً، ونشرت الوثائق، ونشرتُ نص الوثيقة بالإنجليزية في كتابي الأخير عن "العراق: من الاحتلال إلى التحرير".الخلاف الرئيسي بين كيسنجر الدكتور

سعدون حمادي (وهو موقف رسمي للعراق وليس شخص للدكتور سعدون) كان حول الموقف من إسرائيل، وأن العراق لا يعترف بوجود دولة إسرائيل، وأن القضية ليست قضية استرجاع المناطق المحتلة في عام ١٩٦٧م وبعدها زار عدد من الساسة الأمريكان العراق وكان يُثار هذا الموضوع دائماً. والعراق دائما ورغم أنه كان تحت الحصار كان البلد العربي الوحيد الذي يساعد مالياً الانتفاضة الفلسطينية التي بدأت عام ١٩٨٧م، رغم أنه كان تحت الحصار.

جورج عون: لكن هناك من يقول إن هذه المساعدة أتت لأن صدام حسين كان على خصام مع كل الدول المحيطة به، وكانت هذه هي الورقة الوحيدة التي يلعبها في سبيل الوصول إلى هذه القومية.

حسيب: هذا غير صحيح. بعض الأنظمة العربية الأخرى، مصر والأردن واليمن دخلت مع العراق في مجلس التعاون العربي. سمات النظام العراقي الرئيسية لم تتغير منذ أن وصل إلى الحكم حتى الغزو الأمريكي، فلماذا دخلوا معه في مجلس التعاون العربي إذا كانوا غير موافقين على طبيعة النظام؟ أجبني لماذا؟.

بعد قليل سأبين لك دور الأنظمة العربية في اغتيال الشهيد صدام حسين وفي الحرب على العراق وهم مسؤولون عن كل ما حصل ويحصل في العراق، وهم مسؤولون أيضاً عن اغتيال الرئيس صدام حسين، وسأبين لك ذلك بالوثائق وبالتفاصيل.

جورج عون: ولكن دكتور من المعروف أن صدام حسين لو كان لديه بعض العطف من العالم العربي ومن حكام العالم العربي ولم يقم بهذه الأعمال التي فعلاً آذت العالم العربي، فإذا اعترفنا بأن ما قام به في الكويت لا يمكن عمله، أنت تتكلم عن قومية صدام حسين فأين كانت قوميته عندما دخل الكويت واحتلها في ٢٤ ساعة.

حسيب: سبق أن ذكرت لك في البداية أنه لا يمكن للتاريخ أن يحكم على حاكم من خلال حادثة واحدة أو قضية واحدة؟.

جورج عون: هذه ليست حادثة واحدة، بل هي بلد بكامله.

حسيب: سبق أن قلت لك إنني ضد احتلال الكويت، فلا تعدني دائماً إليها وتترك كل ما أقوله لك وتعود لاحتلال الكويت. فأنا أعترف لك بدكتاتورية النظام وبالخطأ في احتلال الكويت.

جورج عون: لكن أنت تدافع عن قومية صدام حسين.

حسيب: صدام حسين ساعد الدول العربية بأكثر مما ساعدها أي نظام عربي آخر. في مؤتمر قمة في عمان عام ١٩٨٠م العراق هو الذي اقترح برنامج مساعدات للدول العربية الفقيرة مثل الصومال وجيبوتي وموريتانيا وغيرها بخمسة مليارات دولار.

جورج عون: لكن أين كان الشعب العراقي؟ وتحت أي ظرف كان الشعب العراقي عندما تبرع صدام حسين للدول العربية؟ أين كان الشعب العراقي؟

حسيب: مع اعترافي بما قلته لك سابقاً، نحن يجب ألا ننظر بعين واحدة، وعلينا ألا نفتح عينا ونغلق أخرى ودون محاولة لتبرير تجاوزات النظام السابق. فالشعب العراقي قد لا يكون هو الشعب العربي الوحيد غير الراضي عن حاكمه، فغالبية الشعوب العربية الأخرى غير راضية عن حكامها. قل لي أي شعب عربي راضٍ عن حكامه. وقد لا يكون هو الشعب العربي الوحيد الذي لم يختر حاكمه بحرية، والشعب العراقي قد لا يكون هو الشعب العربي الوحيد غير القادر على تغيير حاكمه. فلماذا نتحدث عن العراق والنظام العراقي ولا نتكلم عن الآخرين.

جورج عون: لكن، هل هناك أحد من الحكام العرب نكّل بشعبه بقدر ما نكّل صدام حسين بالشعب العراقي؟

حسيب: سوف نرى بعد قليل من نكّل بالعراق ومن شجّع أمريكا وقدم لها التسهيلات لاحتلال العراق وما جرى في العراق.

دعني أُكمل لك بعض النتائج، وأرجو أن أقرأ الآن محضر اجتماع السيد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي مع الشهيد صدام حسين في سجنه وما عرضه عليه، وسبق أن

أشرت إلى هذا اللقاء في محاضرة لي في واشنطن نفسها في جامعة جورج تاون، ولم تجرؤ أية جهة أمريكية على تكذيب ذلك. وعندي الآن نص المحضر، وأريد المشاهدين أن يطلعوا على نص المحضر ليعرفوا ماذا تريد أمريكا. وهل حاولت دفن الأسرار مع الرئيس صدام حسين عن طريق عرض إرساله إلى الخارج لتكميم فمه وفشلت في ذلك، ولذلك لجأت إلى إعدامه، وهذا اللقاء تم بين رامسفيلد في زيارته للعراق خلال الأشهر الأولى من عام ٢٠٠٥م.

جورج عون: أي أثناء محاكمة صدام حسين.

حسيب: لا أذكر الآن متى بدأت المحاكمة.

تفاصيل محضر الحوار بين صدام ورامسفيلد من مصادر أمريكية موثوقة وهذا هو نص المحضر (وأنا اقتبس):

"في بداية الحديث كان الرئيس صدام يبدو هادئاً للغاية، ربما يكون قد فوجئ بأن ضيفه هو رامسفيلد، إلا أنه لم يبد عليه أي توتر عصبي، بدأ رامسفيلد الحديث بالقول:

رامسفيلد: لقد جئت للقائك لأتفاوض معك حول الموقف في العراق، لقد أجرينا اتصالات مع بعض أنصارك داخل وخارج العراق، وقد نصحونا بأن نستمع إليك.

صدام حسين:وماذا تريدون؟ لقد احتلت قواتكم أرض العراق الأبي، وأسقطتم نظام الحكم دون سند من شرعية، واعتديتم على سيادة بلد حر مستقل ذي سيادة، وارتكبتم جرائم سيسجلها التاريخ ليكون شاهداً على حضارتكم المخضبة بالدماء، فماذا تريدون بعد كل ذلك؟.

رامسفيلد (يحاول أن يكتم غيظه): لا داعي للخوض في الماضي لقد جئت خصيصاً لأعرض عليك عرضاً واضحاً ومحدداً، وأريد أن أسمع منك إجابة واضحة ومحددة.

صدام حسين (ساخراً): أظنك جئت للاعتذار وإعادة السلطة للعراقيين.

رامسفيلد: ليس هناك ما نعتذر عنه، لقد شكّلت خطراً على جيرانك وسعيت لامتلاك أسلحة دمار شامل ومارست الدكتاتورية على شعبك وكان طبيعياً أن نمد أيدينا لشعب العراق لنخلصه من المخاطر التي واجهته على مدى أكثر من ثلاثة عقود.[لنلاحظ أن نجاح محمد علي والمذيع يكرر ذات مفردات الميديا الأمريكية المخاتلة!!، ملاحظة مني أنا].

صدام حسين: أعرف أنك جاهل بالتاريخ، وأعرف أن رئيسك لا يقل جهلاً، ولكن يبدو أنكم ظللتم تكذبون حتى صدقتم أنفسكم، إذا كنت تقصد بجيراننا الكيان الصهيوني فنحن فعلاً كنا نشكل خطراً ونعد العدة لتحرير أرضنا المغتصبة في فلسطين، وهذه أمنية كل إنسان عربي وليس كل عراقي فقط. فهذه الأرض عربية وشعبها عربي والصهاينة هم الذين احتلوا الأرض وجاؤوا إلينا من كل أنحاء العالم بمساندتكم أنتم وقوى الاستعمار القديم، أما إذا كنت تقصد الكويت، فأريد أن أسألك: هل انسحبتم من الكويت أم لا؟

رامسفيلد: هذه قضايا أمنية، ثم إنه بيننا وبين الكويت ودول الخليج الأخرى اتفاقات أمنية.. لقد جئنا بناء على طلب منهم، لحمايتهم من تهديداتك.

صدام حسين: أليس مضحكاً أن يؤتمن الذئب على الخراف، إن شعب الكويت شعب عربي، والكويت هي أرض عراقية، ولذلك أدعوك أن تقرأ التاريخ جيداً، وإن كنت على ثقة أنك لن تستوعبه.

رامسفيلد: دعك من هذا الهراء، أنا أعرض عليك...

صدام حسين (مقاطعاً): قبل أن تعرض علي بضاعتك الفاسدة أنا أسألك: هل وجدتم أسلحة الدمار الشامل في العراق أم لا؟.

رامسفيلد (مرتبكاً): لم نعثر عليها حتى الآن، لكن حتماً سنعثر عليها في يوم ما، هل تنكر أنه كانت لديك نوايا لصناعة قنبلة نووية؟

صدام حسين: لم تكن لدينا أسلحة دمار شامل منذ عام ١٩٩١م لقد كنا صادقين ونحن نتحدث مع بعثة التفتيش الدولية، وكنا صادقين في رسائلنا إلى كوفي عنان، وكنتم تعرفون هذه الحقائق، لكنكم كنتم تبحثون عن أية ذرائع كاذبة لاحتلال العراق وإسقاط سلطته الشرعية.

رامسفيلد: لقد استقبلنا العراقيون بسعادة بالغة ورحبوا بنا، وكان السبب هو ممارسات نظامك الدموي على مدى كل هذه السنوات التي حكمت فيها العراق.

صدام حسين:أرجوك يا سيد رامسفيلد.. كفاك كذباً، فأنتم الذين فجرتم شلالات الدماء على أرض العراق، لقد تآمرتم علينا وجئتم ببعض الخونة ليحتلوا السلطة على أرض العراق العظيم.

رامسفيلد: من تسميهم خونة اختارهم الشعب العراقي كقادة له بطريقة ديمقراطية وانتخابات نزيهة لم تحدث في ظل حكمكم للبلاد.

صدام حسين: لقد عرفت أنكم جئتم بجوقة الخونة وفي مقدمتهم الطالباني، (ضحك ساخراً)، العراق العظيم يحكمه الطالباني والجعفري، ألا يدعو ذلك للسخرية؟!... ثم عن أي انتخابات تتحدث... هل يجوز أن تجري انتخابات حرة كما تقول في ظل احتلالكم لبلدنا؟ يا سيد رامسفيلد لقد تعلمنا من التاريخ أن المحتل لن يأتي إلا بأعوانه وعملائه، ثم تريد بعد كل ذلك أن تقنعني بأن شعب العراق يتمتع بالحرية والديمقراطية، إنك حقا تهذي.

رامسفيلد (يكتم غيظه بشدة): أنت معزول ولا تعرف حقائق ما يجري في الخارج، إن الشعب العراقي تحرر من ظلمك، ولو رأوك أنت أو أيا من رجالك في الشارع لفتكوا بك..!!

صدام حسين: وأنا أراهنك إذا استطعت أن تعلن عن مكان وجودك في العراق، لو علمت المقاومة العراقية بمكانك لما استطعت أن تخرج حياً، إنني أريد أن أسدي نصيحة إلى رئيسك "الغبي"، عليك أن تبلغها له وهي أن ينقذ ما تبقى من جنوده، إن الموت يحاصرهم من كل مكان، والتاريخ لن يرحمه.

رامسفيلد: لقد جئت للحديث معك حول عمليات "الإرهاب" التي يحرض عليها رجالك وينفذونها.. لقد قام رجالك مؤخراً بعملية دنيئة استهدفت سجن أبو غريب، حيث أصابوا وقتلوا أكثر من خمسين أمريكياً، كما أنهم قتلوا عددا من المقبوض عليهم بتهم

مختلفة، إن رجالك يستعينون بالإرهابيين من كل أنحاء العالم وهم يهددون التجربة الديمقراطية في العراق.

صدام حسين: وما هو المطلوب بالضبط؟.

رامسفيلد: أنا أعرض عليك عرضاً واحداً وهو أن يفرج عنك وتختار لنفسك منفىً اختيارياً في أي بلد تشاء بشرط أن تظهر على شاشة التلفزيون لتعلن إدانة الإرهاب وتطالب رجالك بالكف عن هذه الممارسات.

صدام حسين: وهل حصلت على موافقة رئيسك على هذا العرض؟

رامسفيلد: نعم هذا العرض تم الاتفاق عليه في جلسة شارك فيها الرئيس ونائبه ووزيرة الخارجية ورئيس جهاز الاستخبارات، وقد كلفت بإبلاغك بهذا العرض.

صدام حسين: إنه ثمن بخس.

رامسفيلد (بلهفة): مستعدون أيضاً لإشراك عناصر مقربة منك في الحكم.

صدام حسين: وماذا أيضاً؟

رامسفيلد: سنقدم لك إعانة مالية محترمة وسوف يحفظ أمنك وأمن أسرتك في البلد الذي ستختاره.

صدام حسين: هل تريد أن تسمع شروطي؟.

رامسفيلد: يا حبذا.

صدام حسين (بلغة فيها كثير من الغرور والتعالي): أنا أريد أولاً منك أن تحدد لي جدولاً زمنياً للانسحاب من العراق، وأن تلتزم به حكومتكم أمام العالم، وأن تبدؤوا عملية الانسحاب على الفور.

وأنا أطلب ثانياً.. الإفراج فوراً عن كافة المعتقلين العراقيين والعرب في السجون التي أقمتموها أو تلك التي قيدتم فيها حرية عشرات الألوف من شرفاء العراق.

وأطلب ثالثاً منكم.. التعهد بتقديم التعويضات الكاملة عن الخسائر المادية التي لحقت بالشعب العراقي من جراء عدوانكم على بلدنا منذ أم المعارك في عام ١٩٩١م وحتى اليوم، وأنا أقبل بالاستعانة بلجنة دولية وعربية لتقدير هذه الخسائر.

وأطلب رابعاً.. أن تردوا الأموال التي نهبها رجالكم من خزائن العراق ونفطه خاصة هذا المجرم بريمر وأزلامه من الخونة والمارقين.

وأطلب خامساً.. إعادة الآثار التي سرقتموها وسلمتموها لمافيا الآثار، فهذه كنوز لا تقدر بمال الدنيا، لأنها تحمل تاريخ العراق وحضارته. صحيح أنكم لا تملكون حضارة ولا تاريخاً وأن عمر بلدكم لا يتجاوز بضع مئات من السنين، ولكن كل ذلك يجب ألا يبرر سرقاتكم وحقدكم على حضارة العراق وثروة العراق.

وأطلب سادساً.. أن تسلموني أسلحة الدمار الشامل إذا كنتم قد عثرتم عليها وأن تعيدوا إلينا حياة كل الشهداء الذين أزهقت أرواحهم، وأن تردوا شرف الماجدات العراقيات الذي سلبتموه.

رامسفيلد: هل هذا نوع من السخرية؟.

صدام حسين: لا، بل هذه هي الحقيقة المرة، التي تعرفونها.. يا سيد رامسفيلد أنتم ارتكبتم أكبر جريمة في التاريخ ضد بلد عربي مسالم.. لقد التقينا معاً في الثمانينيات، هل تذكر عروضك؟.

رامسفيلد: دعنا من الماضي، نحن بصدد إعادة تقييم مواقفنا منكم ومن العديد من القوى التي ناصبتنا العداء في الماضي، نحن قررنا أن نتحاور مع الإسلاميين المعتدلين، وليس لدينا مانع من وصولهم للسلطة عبر صندوق الانتخاب. بل الأهم من ذلك أننا قررنا أن نفتح قنوات للحوار مع منظمات "إرهابية" مثل حماس والجهاد وحزب الله الموالي لإيران، وأيضاً منظمات أصولية أخرى في العالم كله، بل حتى لدينا مشروع للاتصال بحركة طالبان في أفغانستان لدراسة مشاركتها في السلطة مقابل التخلي عن السلاح.

صدام حسين: إذن بدأتم تعيدون التفكير في نهجكم الخاطئ؟.

رامسفيلد: إنه التطور الطبيعي للأمور، نحن نسعى إلى نشر الديمقراطية في كافة البلدان والحركات الخاضعة للاستبداد.

صدام حسين: أفلحتم إن صدقتم، أنا أعرف حقيقة أهدافكم، وإذا كنتم صادقين حقاً فعليكم أن تبدؤوا فوراً أنتم وحلفاؤكم الانسحاب من العراق، وعليكم أيضاً أن تراجعوا موقفكم الداعم لإسرائيل. إنني أعرف أن رئيسك عنيد ومكابر وليس صادقاً.

رامسفيلد: إنه رئيس ديمقراطي منتخب، وليس حاكماً دموياً مثلك.

صدام حسين: الإرهاب صناعتكم والكذب أسلوبكم.

رامسفيلد: إن هذا العرض هو فرصة تاريخية لكم، سنفرج عنك وسنتشاور معك في كل ما يخص شؤون الحكم في العراق، إذا رفضت هذا العرض فان الفرصة لن تعوض.

صدام حسين: أنا لا أبحث عن الفرص، ولا أبحث عن طريق لإنقاذ رقبتي من حبل المشنقة التي نصبتموها للعراق كله، لو أردت ذلك لقبلت بالعرض الروسي وأنقذت ولديَّ وحفيدي من الشهادة، أنا لا أعرف ما هو مصير أسرتي وبناتي وأحفادي، ولكن ثق أنني مهتم بكل مواطن عراقي وبمستقبل العراق العظيم أكثر من اهتمامي بنفسي وأسرتي.

لقد سبق أن عرضتم عليَّ قبل ذلك عن طريق رجالكم أن أقرَّ بأن أسلحة الدمار الشامل هربت إلى سوريا وقلتم إن الثمن هو الإفراج عني، فرفضت وها أنذا أكرر الرفض مرة أخرى.

رامسفيلد: أنا لا أريد منك رفضاً، أنا أريد منك التفكير، نحن نعاود تقييم مواقفنا في الوقت الراهن، نحن نريد وقف الدماء التي تتدفق من كلا الجانبين، ولذلك يأتي عرضنا من منطق القوة وليس من منطق الضعف.

لقد طلبنا من جلال الطالباني أن يدلي بتصريح ينفي فيه أية نوايا لإعدامكم كبادرة حسن نوايا منا، ونحن لدينا استعداد لمراجعة موقفنا كاملاً من العملية السياسية في العراق بأكملها وأن نتحاور معك ومع رجالك في هذا الأمر.

صدام حسين: هل أنتم مستعدون للانسحاب أم لا؟.

رامسفيلد: يمكن أن نبحث إعادة الانتشار، إن قواتنا أعدت قواعد للبقاء فترة طويلة يمكن أن ننسحب من الشوارع والمدن ولكن سنبقى في القواعد لفترة من الوقت.

صدام حسين: إذن أنتم تريدون عميلاً جديداً يضاف إلى هذا الطابور من العملاء، لا يا سيد رامسفيلد.. لا تنسى أنك تتحدث مع صدام حسين رئيس دولة العراق.

رامسفيلد: لكنك خسرت السلطة.

صدام حسين: لم يبق لي سوى الشرف، والشرف لا يباع ولا يشترى.

رامسفيلد: لكن الحياة لها قيمة لا تقدر.

صدام حسين: لا قيمة للحياة بدون الكرامة، وأنتم سلبتم العراق كرامته عندما دنستم أرضه وسوف نسترد كرامتنا سواء بقي صدام حسين أو استشهد.

رامسفيلد: إن أنصارك الذين تحاورنا معهم قالوا لنا إنك صاحب القرار الأول والأخير، هل كانوا يتوقعون رد فعلك؟.

صدام حسين: بالقطع هم يعرفون أن صدام حسين لا يستطيع أن يتراجع على حساب وطنه وكرامته.

رامسفيلد: التاريخ سيحملك مسؤولية الدماء التي تسال في العراق.

صدام حسين: بل التاريخ سيحاكمكم على جرائمكم... لقد حذرتكم من قبل وقلت لكم ستنتحرون على أسوار بغداد، وها أنتم تدفعون الثمن، أرجوك أن تذهب إلى لندن وتقرأ سجلات وزارة الخارجية البريطانية لتعرف بعضاً من ملامح كفاح الشعب العراقي في مواجهة أصدقائكم البريطانيين الذين تكررون أخطاءهم وتشركونهم معكم.. الشعب العراقي شعب عنيد ولا يخاف الموت... المقاومة أقوى مما تتصورون ولذلك أبشركم بالمزيد".

انتهى نص محضر الاجتماع.

جورج عون: يمكننا أن نعتبر هنا أن الولايات المتحدة أعطت فرصة لصدام حسين بأن يعفى عنه وأن تكون هناك صفقة إلى حد ما.

دكتور حسيب، لقد تكلمت عن محضر اللقاء الذي حصل بين رامسفيلد وصدام حسين، ولكن اليوم بعد إعدام صدام حسين والملابسات الكثيرة التي حصلت خلال عملية الإعدام، يبدو أن بذور الانشقاق المذهبي كبيرة وانه بدأ يتجذر في العراق. هناك خريطة محيطة بالعراق وتنذر بالشؤم، وأنت كمراقب للحركة السياسية كيف ترى هذا الإعدام أو بالأحرى هذه الملابسات التي حصلت بعد الإعدام وتداعياتها على مستقبل العراق؟

حسيب: سبق أن ذكرت في مطلع هذه المقابلة إن إثارة الفتنة الطائفية والاثنية والعرقية هي مخطط أمريكي من البداية، منذ أن قام الحاكم الأمريكي للعراق بريمر بإنشاء مجلس الحكم على أساس طائفي ومحاصصة، وكل العملية بما فيها الانتخابات وقيام الحكومة، وحتى الدستور الذي أعد أصلاً من قانون الإدارة المؤقتة الذي أعد في واشنطن نفسها من قبل اثنين من الخبراء وكان أحد أهدافه القضاء على عروبة العراق. فالموضوع الطائفي كان هو أن يقتتل العراقيون فيما بينهم وتأتي أمريكا كما تفعل الآن لتقول أن المشكلة هي مشكلة العراقيين وليست مشكلتنا نحن، فالعراقيون يقتتلوا فيما بينهم طائفياً، لذلك اختاروا قضية الدجيل واختاروا حكاما من الأكراد، وحصل ما حصل. وبحسب القانون يجب أن يوقع رئيس الجمهورية ومجلس الرئاسة وهم ثلاثة يجب أن يوقعوا بالإجماع وواحد منهم كان لا يريد أن يوقع، فحملوا رئيس الوزراء على التوقيع، وفي ما يسمى "الدستور" هذه ليست مسؤوليته. ونشروا تفاصيل أنه أثناء الإعدام صرخوا مقتدى الصدر وما إلى ذلك ونُشرت روايات كثيرة، والغرض من كل ذلك هو إثارة وتعميق النعرة الطائفية.

العراق، للأسف الشديد وبسبب غياب حرية التعبير تختلط فيه الإشاعات بالسياسة، فلا تعرف أي قدر من الإشاعات صحيح أم لا؟ العراق في عمره لم يشهد صراعاً طائفياً، وسبق أن ذكرت تفاصيل ذلك في مناسبات سابقة، فلا يوجد في العراق التقسيم

الموجود في لبنان، أي أن يكون رئيس الجمهورية مارونيا ورئيس الوزراء سنيا ورئيس البرلمان شيعيا، فهذا ليس موجوداً في العراق. فقد كان هناك عدد من رؤساء الوزراء شيعة وعدد آخر كانوا أكراداً، وذكرت لك فيما يتعلق بحزب البعث. ولقد عشت تجربة الحرب الأهلية في لبنان، حين كانوا يسحلون الناس ويقتلونهم على الهوية، وليس فقط بين المسيحيين والمسلمين بل أيضاً بين المسيحيين أنفسهم حتى داخل الشيعة وفي المنطقة الغربية وغير ذلك. فما يحصل في العراق حصل في لبنان، لكنه يحصل في العراق على نطاق أكبر. هم نجحوا في إلهاب القضية الطائفية من خلال ما تم في سامراء وتدمير المرقدين الشيعيين، فمن دمر هذه المراقد؟ أتمنى أن يعلنوا نتائج التحقيق، وبعد هذا هم أشعلوا الفتنة الطائفية. والآن هم يتكلمون بأن العراقيين هم المسؤولون وهم يتقاتلون فيما بينهم.

قبل عدة أشهر أُجري إحصاءان، الأول قامت به وزارة الخارجية الأمريكية مع باحثين مستقلين والآخر تم من قبل جامعة ميريلاند في الولايات المتحدة، وسألوا الشعب العراقي هل تريدوننا أن ننسحب أم لا؟ أكثر من ٨٠٪ قالوا انهم يريدونهم أن ينسحبوا. وسألوهم هل نحن مصدر أمان أم لا؟ فكان الجواب أنهم هم أحد أسباب الوضع الأمني المتردي في العراق.

جورج عون: إذا انسحب الأمريكان، ماذا سيحل بالعراق؟ هل هناك ثقة في الجيش العراقي الحالي الآن؟

حسيب: دعني أقول لك ما يعنيه القول الشعبي "تريدوها كبار كبار وتريدوها صغار صغار". أمريكا تتحدث عن الديمقراطية. وحسب الاستطلاعين اللذين أشرت إليهما قبل لحظات، فان أغلبية العراقيين يريدون من الأمريكيين أن ينسحبوا ويقولون أن وجود القوات الأمريكية هو أحد أسباب الفتنة والبلاء في العراق. والأمريكيون أنفسهم، إذا أرادت أمريكا أن تتحدث عن الديمقراطية، يقولون في أغلبيتهم أن الحرب كانت خطأ ويجب أن تخرج أمريكا من العراق. فإذا أرادوا الديمقراطية فهذا رأي العراقيين ورأي الأمريكان فأين هي ديمقراطية الإدارة الأمريكية؟.

تسألني ماذا سيحدث إذا خرج الأمريكان من العراق؟ وهذه هي الحجة التي يقولوها.

آخر تقرير قدمه البنتاغون للكونغرس وتاريخه ٣٠ نوفمبر الماضي لكنه قُدم في النصف الثاني من ديسمبر يقول أنه خلال الفصل الأخير زادت عمليات المقاومة ويسمونها التمرد (Insurgency)، وليس الإرهاب، في العراق بنسبة ٢٢٪، وان٦٨ ٪ منها موجه للقوات الأمريكية، وهذا يعني أنه إذا انسحبت القوات الأمريكية فإن نسبة ٦٨٪ أي ثلثي هذه العمليات ستتوقف. كما أجمعت تقارير من مؤسسة إستخبارية أمريكية على أن غزو العراق ساهم في زيادة الإرهاب في العالم.

جورج عون: لكن قد تحكم العراق ميليشيات فأيهما أفضل؟.

حسيب: الميليشيات الآن تحكم بوجود الأمريكان وبوجود الحكومة العميلة.فعلى الأقل سيتوقف الجانب الخاص بالمقاومة الذين يقولون هم أن ٦٨ بالمائة من العمليات موجهة للقوات الأمريكية وبالتالي سيتراجع العنف.

جورج عون: لكن الشعب العراقي صوت على الفيدرالية في العراق، أي أن الشعب العراقي لا يريد أن يعيش مع بعضه البعض.

حسيب: فيما يتعلق بهذه الانتخابات، يجب ألا نأخذ الأمور على ظاهرها. هناك، على سبيل المثال لا الحصر، تقرير أصدره مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية في واشنطن لإنطوني كوردسمان، وهو من أهم المراكز الاستراتيجية في أمريكا، وهو عن الانتخابات في العراق وعنوانه «**The True Meaning of The Iraqi Election: A "Trigger not a Turning Point"(14)**» ، "المعنى الحقيقي للانتخابات العراقية" وهو يعطي تقييما حول مدى جدية وصدقية هذه الانتخابات. قانون الانتخاب عمله الأمريكان، واللجنة التي أشرفت على الانتخابات وضع قانونها الأمريكان وهم من قاموا بتعيين أعضائها، وفي كل محافظة في العراق هناك قنصلية أمريكية وأيضاً حاكم عسكري أمريكي وقد أنفقوا ملايين الدولارات عليها. والأحزاب هي أحزاب العملاء. وقد سبق أن أشرت إلى الاستطلاع الذي قام به مركز العراق للبحوث والدراسات الإستراتيجية للوقوف على الرأي العام العراقي حول رؤية العراقيين حول مختلف الأوضاع في بلادهم، وكان من بينها "هل ستصوتون لنفس الأشخاص إذا أعيدت الانتخابات" وعن "مدى الثقة بأعضاء

مجلس النواب الحالي"، وكانت الأجوبة واضحة حول رأي أكثرية العراقيين في تلك الانتخابات والنواب.

جورج عون: لكن من المعروف يا دكتور حتى في ظل حكم صدام حسين كان للأكراد وضع خاص في العراق، وأيضاً الشيعة اليوم يطالبون بشيء يخصهم، وأنت ترمي بكل المسؤولية على الأمريكان والعملاء، وكأن العراقيين هم فعلاً يد واحدة وهم أصلاً مختلفون.

حسيب: هناك أغلبية عراقية صامتة، أما هؤلاء الذين يتكلمون باسم الشيعة أو السنة فهم لا يمثلون كل الشيعة ولا كل السنة وهم عملاء جاء بهم الأمريكان إلى العراق. وعندما يترك الأمريكان العراق سيترك معهم هؤلاء العملاء. والأغلبية الصامتة سيتاح لها الفرصة للكلام.

جورج عون: دكتور نتكلم عن أغلبية صامتة، لكن من المعروف اليوم أن هناك في العراق تدخلات خارجية، هناك تدخل إيراني موجود وفاضح في الجنوب العراقي، واليوم بدأ الهمس عن دعم معنوي من بعض الدول الخليجية للسنة في العراق، فكيف يمكن للعراقيين أن يلتحموا مع بعضهم البعض في ظل هذه الإصطفافات الخارجية حول العراق.

حسيب: هذا هو المخطط الأمريكي الجديد، فهم يريدون الآن تغطية هزيمتهم في العراق بالتوجه نحو إيران وضرب إيران، وهم يهيئوا لضرب إيران، كما هيؤوا لضرب العراق. وإحدى الوسائل لذلك إشعال الفتنة بين الشيعة والسنة ليس في العراق فقط، ولكن في السعودية ودول الخليج الأخرى بشكل خاص أي تلك التي توجد فيها أقليات شيعية، لذلك بدأت مصر والسعودية والأردن بالحديث عن حماية السنة إلخ، وهم كانوا نائمين خلال السنوات الثلاث السابقة عما يحصل في العراق. وسأذكر لك بعد قليل ما كان دورهم في الاحتلال. فهم يريدوا أن يشعلوا القضية من جديد.

أنا أقول أن تصرفات إيران في العراق خاطئة، قبل الاحتلال وأثناء الاحتلال وحتى الآن، ولها دور في تغذية هذه الفتنة الطائفية، وهي ناتجة عن لقاء مصالح بينها وبين أمريكا:

لهم مصلحة في بقاء الأمريكان في العراق ليكونوا رهينة لديهم كيلا يضربوا إيران. وبينهما لقاء مصالح في حل الجيش العراقي، ولقاء مصالح في عدم قيام حكومة مركزية قوية في العراق. دور إيران في الضربة الأمريكية قادم ما لم تحدث تطورات جديدة. ولكن مهما كانت أخطاء إيران الحالية يجب أن ننظر إلى إيران في الأمد المتوسط والبعيد وليس الآن، كعمق استراتيجي إسلامي للأمة العربية، وأن نتعامل معها ونحاول أن نجعل منها صديقاً محتملاً وليس عدواً محتملاً بالرغم من أخطائها.

جورج عون: لكن المشكلة اليوم هي مشكلة كيانات، فهناك الكيان الإيراني وهناك الكيانات العربية، فهل هناك فعلاً مخطط لسحب الهوية العربية من العراقي عبر الكيان الإيراني والأمة الإيرانية.

حسيب: هناك مخطط فعلاً. فأحد أهداف الاحتلال نفسه هو سحب الهوية العربية عن العراق إضافة إلى موضوع النفط وموضوع إسرائيل، والذي بسببه تم حل الجيش العراقي وتم القضاء على الدولة وعلى كل مؤسسات الدولة. هذا صحيح. لكن هل كان هناك نفوذ إيراني في العراق قبل الاحتلال؟ يجب أن ننظر إلى السبب وليس إلى النتيجة. فسبب النفوذ الإيراني الآن في العراق هو الاحتلال، فلنركز على الاحتلال، ويجب على العراقيين أن لا يقعوا في خطيئة ومصيدة بعض الأنظمة العربية والأمريكان في الداخل التي تتصور أن العدو هو إيران الآن، وأن علينا أن نستعين بالأمريكان ضد الإيرانيين، فهذا هو بالتحديد المخطط الأمريكي الآن لإشعال فتنة مذهبية في الوطن العربي.

جورج عون: هناك تخوف اليوم في الخليج من الهلال الشيعي الذي ينطلق من إيران ويمتد إلى لبنان، وما يحدث في لبنان ينطبق كثيراً على ما يحدث في العراق.

حسيب: المقاومة في فلسطين، أي حركة حماس بالذات، هل هي شيعية أم سنية؟ وماذا عن المقاومة في لبنان، والمقاومة في العراق فكيف هو الهلال الشيعي؟ لماذا يقاطع الغرب والدول العربية الحكومة الفلسطينية الحالية، هل هي شيعية أم سنية؟ فإذا هم مع السنة لماذا لا يساعدونها؟ ولماذا لا يساعدون المقاومة في العراق؟ أن الحقيقة هي أن أمريكا

تريد أن تخنق الحكومة الفلسطينية التي جاءت نتيجة انتخابات ديمقراطية باعتراف الأمريكيين، وهي ليست شيعية.

جورج عون: لكن هناك اليوم محورين في العالم العربي، محور الاعتدال كما تصفه الولايات المتحدة وهو مصر والسعودية والأردن وبعض الدول الخليجية وبالمقابل هناك المحور المتطرف وهو إيران وسوريا وبعض التنظيمات التي تكلمت عنها.

حسيب: يجب أن تكفوا أنتم وغيركم من وسائل الإعلام عن ترديد هذه الشعارات. هناك أربعة كتب أشير إليها، بوب وودوورد وهو الذي أسقط نيكسون بفضيحة ووترغيت نشر كتاب بعنوان "Plan of Attack"" خطة هجوم"وهناك كتاب آخر له بعنوان "State وof Denial" حالة انكار"، وهناك كتاب عن مذكرات تومي فرانكس الذي قاد غزو العراق كرئيس للهيئة لمشركة لأمريكية القوات المسلحة الأمريكية اسمه سAmerican Soldier" جندي امريكي" وهناك كتاب صدر مؤخراً بعنوان "الخيبة " FIASCO..

كتاب بوب وودوورد يتكلم عن دور السعودية والأمير بندر (الذي كان آنذاك سفيراً للسعودية في واشنطن(والأمير عبد الله (الآن الملك عبد الله) في احتلال العراق، ويتحدث حول دور السعودية في الاحتلال الأمريكي للعراق، وعن الاجتماعات التي تمت بين بندر والرئيس بوش وشيني ورامسفيلد ورايس حول تفاصيل المواقف العربية من التحضير والتشجيع على الاحتلال. ويتكلم كذلك عن الدور الحقيقي لبعض الأنظمة العربية في التحريض على احتلال العراق وتصفية صدام حسين، وإذا لديك وقت أقرأ لك كل الأمور المذكورة كما لا ننسى دور الأنظمة العربية الخليجية التي قدمت التسهيلات اللازمة للقوات الأجنبية لاحتلال العراق.

جورج عون: هذا موقف تأخذه على مسؤوليتك.

حسيب: أنا لا آخذه على مسؤوليتي، ولكنني أتكلم من خلال وثائق موجودة ونصوص الاجتماعات التي عقدها بندر مع بوش ورسائل الملك عبد الله (وكان الأمير

عبدالله في ذلك الوقت) إلى بوش يستعجلونه لاحتلال العراق وتصفية صدام وكان شرطهم ألا تتم أية تسوية مع الرئيس صدام، وأنه لابد من تصفية الرئيس صدام وألا يبقى حياً.

جورج عون: لأنه في تلك الفترة كان صدام حسين يشكل فعلاً خطراً على هؤلاء، صدام حسين دخل الكويت وكنت تقرأ الوثيقة التي يقول فيها رامسفيلد أنه دخل الكويت، كانت لدى صدام حسين أطماع في الوصول إلى كافة العالم العربي وإلى دول الخليج بالأحرى.

حسيب: الحرب العراقية – الإيرانية من الذي شجعه عليها؟.

جورج عون: هذا موضوع يجب أن نسأل فيه الأمريكان وصدام حسين معا.

حسيب: هناك وثائق حول هذا الموضوع. المساعدات المالية والديون التي يتكلمون عنها الآن ما هي؟ هي مساعدات وديون قدمت إلى العراق أثناء الحرب العراقية – الإيرانية لتمكينه من محاربة إيران، ودور أمريكا معروف وكل هذه الأمور منشورة.

جورج عون: الآن هناك سجال قائم بين الولايات المتحدة وإيران حول السلاح النووي الإيراني، فهل تعتقد أن ما يجري اليوم من تكبير حجم إيران هو في سبيل الوصول إلى تحسين دفتر الشروط من كلا الطرفين، أي من الطرف الإيراني والأمريكي، للوصول في المفاوضات إلى صفقة إجمالية **Package Deal** تتم على حساب الهوية العربية والمنطقة العربية.

حسيب: لا تتحدث عن الهوية العربية والمنطقة العربية، فدور ما يسمى«"الأنظمة المعتدلة" الآن فيما يتعلق بإيران هو دورهم نفسه قبل الاحتلال للعراق حيث كانت احد أهداف الولايات المتحدة، كما ذكرت سابقاً، القضاء على عروبة العراق.

جورج عون: دعنا نخوض الآن في موضوع التغيير في الولايات المتحدة، من المعروف أنه اليوم تم التغيير ووصل الديمقراطيون إلى الكونغرس ومجلس الشيوخ، فهل تعتقد أن السياسة التي ستتبع هي سياسة التغيير لما كان حاصل في الفترة الماضية، وبالتحديد بعد تقرير بيكر هاملتون.

حسيب : المعلومات التي لدي عن السياسة الجديدة والتي من المتوقع أن تعلن في ١٠ يناير الحالي، أن بوش ترك جانباً كلاً من تقرير بيكر - هاملتون وكذلك تقرير مجموعة الأزمات الدولية "International Crisis Group" جانبا وأخذ برأي جون ماكينJohn Maccain المرشح الجمهوري للرئاسة القادمة، وأن الاتجاه سيكون إلى زيادة حجم القوات الأمريكية في العراق إلى ما بين ١٥-٣٠ ألفا والتركيز على بغداد وربما الأنبار أيضاً، وبعد ذلك يأملون بعد توفير الأمن وتدريب القوات العراقية الحالية أن ينسحبوا. فسياسة أمريكا قائمة على أن تنجح العملية السياسية وأن يكون لديهم حكومة عميلة وان يعقدوا معها اتفاقية عسكرية ويبقوا في القواعد لفترة طويلة، وبعد ذلك يدربون جيشاً وشرطة إلخ، فلا العملية السياسة نجحت ولا الجيش ناجح. والمرحلة القادمة سيبدؤونها بتصفية مقتدى الصدر، وهم ماضون في سياسة ما يسمونه "طريقة القضم "معه حيث يبدؤون تدريجياً بتصفيته ومن ثم يأتي دور الآخرين. وفي العراق، في الموصل بالذات، هناك تعبير يسمونه "ربيطة". في الصيف يجلبون خروفاً ويسمنونه ويطعمونه إلى وقت الشتاء وعندئذ يذبحونه ويكبسون لحمه لاحقاً، وهم الآن يسمنون ضحاياهم. ويخطئ من العراقيين من يظن أن الاحتلال أو أمريكا هي صديق دائم، وهذا ينطبق على كل القوى المتعاونة مع الاحتلال بما فيها الأكراد، ولا أعني كل الأكراد، فالشعب الكردي هو شعب عظيم ولكني أتكلم عن القيادة الكردية.

جورج عون: لكن دكتور هناك اليوم بعض الاتصالات التي تجري بين البعثيين والولايات المتحدة، فهل هذه بداية لاستيعاب صدمة صدام حسين، بل بالأحرى كان هذا الموضوع يحدث قبل صدام حسين.

حسيب: هناك من قال للأمريكان أنه طالما الرئيس صدام حسين موجود حياً، فلا المقاومة ولا البعث يمكن أن يدخل في العملية السياسية، هناك مؤامرة كبيرة تجري الآن. فليسمعني جيداً الأخوان الذين في المعارضة السياسية في العراق. يوم ٣ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م وفي القاهرة، اجتمعت كوندوليزا رايس مع وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي الستة بالإضافة إلى اثنين هما وزيرا خارجية مصر والأردن، وبعد هذا الاجتماع

طلبت كوندوليزا رايس الاجتماع مع أربعة من هؤلاء هم الأردني والمصري والسعودي والقطري، وأرسلوا أحدهم إلى السعودية ورتبوا للقاء أحد القيادات العراقية التي كانت خارج العملية السياسية وتم اللقاء معه في السعودية، وبعد ذلك سافر إلى الأردن والإمارات، وطلب ستة شروط حتى يدخلوا في العملية السياسية. وبناء على هذه الشروط الستة الموجودة لدي، وليس لدي ما يكفي من الوقت الآن لأقرأها لك كلها، والتي لم يوافقوا عليها حتى الآن. وبعدما عرض عليهم الشروط الستة، ذهب ستيفين هادلي، مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الأمن القومي، الشهر الفائت ديسمبر ٢٠٠٦م) إلى منطقة كردستان واجتمع مع مسعود البرزاني وجلال الطالباني، وجلبوا المالكي أيضاً لمناقشة هذه الشروط الستة إلخ، ولم تنته العملية حتى الآن إلى نتّيجة محددة. أنهم ماضون في خطة زيادة القوات الأمريكي وبتصفية مقتدى الصدر وجيش المهدي، لكن في نفس الوقت نفسه يعتقدون أنه مع غياب الرئيس صدام حسين يمكن أن ينجحوا في مفاوضاتهم مع قوى المقاومة المسلحة والسياسية. وأنا أتمنى على كل العراقيين الوطنين، بما في ذلك من التحق منهم بالعملية السياسية إذا كان فعلاً وطنياً ومخلصاً، أن ينسحبوا مما يسمى "العملية السياسية" وإلا "فسوف لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم". كما أن مدة بقاء القوات الأجنبية في العراق سيعتمد إلى حد كبير على مدى الخسائر التي ستلحقها المقاومة العراقية بالقوات الأمريكية ومدى نجاحها بالقيام بعمليات كبيرة ضد القوات الأمريكية، ومدى نجاحهم في التنسيق فيما بينهم وتكوين قيادة موحدة، وعلى مدى سرعة انهيار الحكومة الحالية وفشل العملية السياسية.

جورج عون: قبل ختام هذه الحلقة، دعني أسألك سؤالاً وأرجو أن تجيبني عليه باختصار، هل تعتقد أن هناك رابطا بين ما يجري في العراق الآن وما يجري في لبنان؟

حسيب: بالتأكيد هناك رابط. الهدف الآن، وحسب تقرير أحد الخبراء، يقول فيه أنَّ الحرب في العراق كان فيها خصام بين عدوين هما صدام حسين وجورج بوش؛ صدام حسين مات وبوش هُزم، فالاثنان انتهيا بشكل من الأشكال، ولكن الأول دخل التاريخ كبطل والثاني سيدخل التاريخ كمهزوم.

بالنسبة للعلاقة قلت لك أنَّ الهدف الآن هو إيران، وجزء من المخطط الأمريكي إثارة فتنة طائفية في المنطقة وهذا ما يسميه بعض الحكام العرب "الهلال الشيعي". وكان هناك تواطؤ مباشر مع الولايات المتحدة من قبل دول الخليج ابتداءً من الكويت وانتهاءً بمن لديهم قواعد. ولا أشك في أنهم سيكون لهم نفس الدور في هجوم أمريكا على إيران، عندما يتم ذلك. لكنني أريد أن أبين أن العراقيين الذين ماتوا حتى بسبب الحرب والذين قيل أنهم بلغوا ٦٥٠ ألفاً فإن دمهم هو في رقبة السعودية ومصر والأردن وبقية بلدان الخليج التي شجعت وسهلت احتلال العراق.

جورج عون: نحن لا نستطيع أن نتحدث عن هذا لأنه لا يوجد لدينا أحد يمثل وجهة النظر الأخرى.

حسيب: هذا الكلام عن دور الدول العربية سبق أن قلته على فضائيات عربية أخرى، وهو موثق في كتابيْ بوب وودورد وغيرها والتي أشرت إليها سابقاً.

جورج عون: مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية الدكتور خير الدين حسيب أشكرك جزيل الشكر.

أجرت هذه المقابلة مع الدكتور خير الدين حسيب فضائية anb يوم ٤/ ١/ ٢٠٠٧م وأجراها معه - في إطار برنامج "وجهاً لوجه" - جورج عون. والآراء الواردة في هذه المقابلة تمثل وجهة نظره الشخصية ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر مركز دراسات الوحدة العربية. وقد تمت إضافة بعض الهوامش لها فيها بعد لتوضيح بعض النصوص وتوثيقها.

المراجع والهوامش

(١) (انظر مقالة هيفاء زنكنة في جريدة The Guardian البريطانية يوم ٤ يناير ٢٠٠٧م، وكانت مسجونة لبعض الوقت أثناء النظام السابق، حيث تقول:

Haifa Zangana, A drop into the abyss. Saddam jailed me but his hanging was a crime. Iraq's misery is now for worse than under his rule

ومضاف بالعربية: "قطرة في اللّج [لا قعر له صدام سجنني ولكن شنقه كان جريمة. إن مأساة العراق الآن هي أسوأ مما كانت أثناء حكمه".

(٢) انظر: **Lionel Beehner. Saddam Hanged For Past Crimes. Council on Foreign Relations. December 30, 2006.**

(٣) المصدر: برنامج "بانوراما" في فضائية العربية يوم ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م، من "موقع العربية نت".

(٤) وإضافة إلى ما كشفه ذلك الاستطلاع، فإن جانباً مهماً لم يشمله الاستطلاع، هو مدى فساد الحكم القائم بعد الاحتلال. فحسب التقرير الأخير "للمنظمة الدولية للشفافية" كان العراق من أكثر بلدان العالم فساداً ولا يأتي بعد العراق في سلم الفساد إلا بلد واحد فقط هو "هاييتي". انظر

:New York Times. Iraq Rated Among Most Corrupt. November 7, 2006 م.

انظر كذلك تقريراً أمريكياً آخر بيّن أن الفساد في العراق يكلف حالياً أربعة مليارات دولار

:Julian Barger and David Pallister, Corruption: the "second insurgency" casting $ 4 bn a year. One third of rebuilding contracts under criminal investigation. The Guardian, December 2, 2006.م

(٥) انظر: جورج ماكغفرن ووليام بولك، الخروج من العراق: خطة عملية للانسحاب الآن، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر ٢٠٠٦م. حيث يشير أنه "عند التمعن في أحداث تسعينيات القرن الماضي، تتضح بجلاء سلسلة من المحاولات العراقية إلى إدانة صدام حسين بأي شيء يبرر هجوماً على نظام حكمه". ثم يمضي قائلاً (ص ٥٨) "أن صدام كان قد اقتنع بأن أمريكا عازمة على تدميره مهما عمل أو لم يعمل... إلخ".

(٦) انظر:

Norman Schwarzkokf. It Doesn't Take a Hero The Autoheography written Petre Petre (New York Bantom Books, 1992 (مPP. 267-308

(٧) استمر العراق، رغم الحصار الإسرائيلي للتحويلات المالية إلى الضفة والقطاع ورغم الحصار الاقتصادي على العراق، بدفع تعويض مالي مجزٍ لعائلة كل شهيد فلسطيني، وعن كل منزل تدمره قوات الاحتلال كلياً أو جزئياً، ولكل جريح أو معاق نتيجة الانتفاضة، دون أي تمييز بين الأطراف الفلسطينية.

(٨) تم في المؤتمر تكليف الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت بتنفيذ هذا القرار، ولكن العراق دخل بعد قليل من ذلك المؤتمر في الحرب مع إيران ولم يتمكن من تسديد حصته من هذا المبلغ، فكان ذلك حجة للأنظمة العربية الأخرى التي التزمت بمبالغ معينة من هذا المبلغ، لرفض دفع حصتها ما لم يدفع العراق حصته، وهي حجة حتى لا يسددوا حصصهم.

(٩) انظر:

١ -Jonathan Steele, Iraqis Cannot be blamed for the chaos unleashed by invasion. The Guardian. December 15, 2006 م.

٢ -Thomas E. Ricks and Rahin Wright. As Iraq Deteriorates, Iraqis Get More Blame. Washington Post, Nobember 29, 2006م.

(١٠) حسب استطلاع وزارة الخارجية الأمريكية، خلال الفترة أواخر يونيو - أوائل يوليو ٢٠٠٦، فإن أغلبية كبيرة من العراقيين يريدون أن تنسحب القوات العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة فوراً من العراق، ويقولون أنَّ مغادرتهم السريعة ستجعل العراق أكثر أمناً وتقلل العنف الطائفي. ففي بغداد مثلاً، فإن ثلاثة أرباع المستطلعين فيها قالوا أنهم سيشعرون بأمان أكثر إذا تركت القوات الأمريكية والقوات الأجنبية الأخرى العراق، وان (٦٥ بالمائة) منهم يفضلون انسحاباً فورياً، حسب نتائج استطلاع وزارة الخارجية والتي حصلت عليها جريدة الواشنطن بوست الأمريكية.

أنظر:

State Department, Iraq Civil Was Fears Remain High in Sunni and Mixed Areas.

(١١) في الاستطلاع الذي أجراه برنامج اتجاهات السياسة الدولية في جامعة ميريلاند، وُجد أن (٧١ بالمائة) من العراقيين الذين تم استطلاعهم يريدون أن تطلب الحكومة من القوات الأجنبية أن تترك العراق خلال سنة، ويعتقد أغلبية هؤلاء العراقيين أن حكومة الولايات المتحدة سترفض هذا الطلب، وان(٧٧ بالمائة) من الذين تم استطلاع رأيهم يقولون أن الولايات المتحدة تنوي الاحتفاظ بقواعد عسكرية دائمة في العراق. كما يبين الاستطلاع أن كثيراً من العراقيين في كل جزء من العراق يختلفون مع رأي حكومة المالكي وتصريحات السيد جلال الطالباني في الأمم المتحدة بأن على قوات الائتلاف أن تبقى في العراق حتى تكون القوات الأمنية العراقية "قادرة على وضع نهاية للإرهاب والحفاظ على الاستقرار والأمن". انظر

:Amit R. Paley, Most Iraqis Favour Immediate U.S. Pullout, Polls Show. Leaders views out of Step With Public. Washington post. September 27 ,2006 م p. 22.

(١٢) حسب نتائج استطلاع، نُشرت يوم ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٦م، قامت به جريدة الواشنطن بوست وشبكة أخبار ABC، وبين الاستطلاع أيضاً أن أكثرية الأمريكيين (٥٢ بالمائة) يعتقدون أن الولايات المتحدة تخسر الحرب، بالمقارنة مع (٣٤ بالمائة) قبل عام،

انظر

:Peter Baker and Jon Cohen, Americans Say U.S. is losing war. Washington post, December 13, 2006م

(١٣) انظر: التقرير الفصلي الأخير للبنتاغون المقدم للكونغرس حول قياس الاستقرار والأمن في العراق، نوفمبر ٢٠٠٦.

(١٤) C.S.I.S, December 15, 2005 .م

(١٥) التي ذكر فيها أن حكام مصر والأردن أكدوا له قبل الحرب أنهم واثقون من أن العراق يملك أسلحة دمار شامل!!.

(١٦) هذا في حين أن هذه الأنظمة العربية كلها، التي شجعت أو سهلت الاحتلال، مفروض منها، حسب "اتفاقية الدفاع العربي المشترك" أن تحارب القوات الأجنبية الغازية للعراق وليس إلى تشجيع أمريكا على غزو العراق وتقديم التسهيلات لها لاحتلال العراق.

(١٧) انظر:

Bab Woodward, Plan of Attack. New York, London, Toronto, Sudney: Semon & Schuster, 2004م.

وعن موقف السعودية، أنظر: الصفحات ٣٤٧-٣٤٩، والصفحات ٢٣١-٢٢٨ و٢٦٣-٢٦٩ و٢٤-٢٧. وعن دور مصر والمختبرات المتنقلة للأسلحة البيولوجية في العراق وغيرها، انظر: الصفحات ٣١٢-٣١٥. وعن موقف الأردن، انظر ص. ٢٥٧.

(١٨) كان هناك، حسب تلك التقارير ثلاثة خيارات أمام الرئيس بوش: الأول Go big أي زيادة عدد القوات، والثاني Go Long أي تمديد مدة الانسحاب، والثالث Go Home أي الانسحاب الفوري والعودة إلى أمريكا. انظر:

Tom Baldwin. Bush's Three Iraq Options: Go Big, Go Long, Go Home. The Times, November 21, 2006م.

(١٩) للوقوف على تفاصيل هذه الخطة: انظر:

Conflicts Forum. Rici's stillborn talks with the Iraqi resistane. January 4, 2007م.

(٢٠) كما فعلت مساء يوم ١٠/١٠/٢٠٠٦، بالهجوم من ثلاث جبهات للمقاومة على القاعدة الأمريكية الرئيسية في بغداد والمسماة "قاعدة الصقر Falcon"، والتي دمرتها مع ما فيها من صلاح وبشر تدميراً كاملاً، واستمر الحريق والإنفجارات فيها منذ الساعة العاشرة مساءً حتى الصباح.

(٢١) **Gideon Rachman. The president's dilemma. Financial Times, January 1, 2007** م.

(٢٢) تقدر وزارة الصحة العراقية عدد الخسائر المدنية في العراق بـ (١٥٠) ألفاً. انظر:

Associate Press. Iraq Official Estimates: Civilian Toll at 150,000. Los Angeles Times, November 10, 2006م.

تاريخ النشر: الأربعاء / ١٠ يَنَاير / ٢٠٠٧م

على ضوء ما تقدم لعرض الرؤيتين المتناقضتين بين الأقوال الدعائية التي هي من صنع المطبخ الفارسي المخابراتي الإيراني، كما أعتقد، من جهة، وشروط السيد صدام حسين التي طرحها على وزير الدفاع الأمريكي، بغية تحديد مصيره الشخصي، من جهة أخرى... يمكننا الإستخلاص على ضوء إستخدام ملكة العقل الإنساني التي وهبها الله لنا لمعرفة الحق الفعلي والموقف المبدئي والإيمان الوطني والقومي والديني عند السيد الرئيس الشهيد، من جهة، وفقه خلفية أصحاب الدعايات الفارسية الصفوية، من جهة أخرى.

كفروا بماذا؟
ولماذا يكذبون؟، [١]

(١)

في تعقيب موجز أراد السيد نجاح محمد علي الدفاع عن نفسه التي ولغت بعض كلماته وغالبية تقاريره الصحفية في دماء العراقيين المناوئين للحضارة السياسية الغربية: الإمبريالية الصهيونية على وجه التحديد: وعى ذلك أم لم يعِ، من جهة، وأسهمت في ترصين الموقف الفارسي الصفوي المضاد للعراق ومجتمعه كطموح ومستقبل، وناصر ذلك الموقفُ الرؤيةَ السياسيةَ الغربيةَ في الساحة العراقية منذ توقف الحرب العراقية - الإيرانية ورسم أمريكا مخطط تدمير العراق الذي تحدث عنه الجنرال نورمان شوارتزكوف قائد القوات الأمريكية في الجزيرة العربية، والشخص المتنفذ الرئيس والأساسي في إدارة الحرب العدوانية على العراق، وذلك في كتابه/ مذكراته: الأمر لا يحتاج إلى بطل، من جهة أخرى.

وخلال تعقيبه ذاك أورد مجموعة مطوَّلة من الآيات القرآنية والأقوال الشريفة للرسول العربي الكريم - النبي محمد [ﷺ]، ومقتطفات لبعض الأئمة الإثنا عشر، عليهم السلام، على أنها وصايا وعظية وصفات تنسجم مع المُثل الأخلاقية الإسلامية، التي تنهي عن الكذب مثلما تحض على ضرورة الِامتناع عن إيراد الروايات المزورة، وتوصيف الأحداث التي وقعت في المنطقة بشكل مقلوب مِن حيث المعنى والهدف، وختم تعقيبه بترديد الخاتمة المعتادة والمفضلة عند الجسم الصفوي الطائفي «المعارض» الذي يتمحور حول: أنَّ كل مَن يحاول إماطة اللثام عن الحقيقة السياسية التي يمر فيها الوطن العربي، والعراق بضمنه طبعاً، هو «محب لصدام ومناصر للبعثيين أو من «الحزبيين البعثيين» وأنَّ عدائه لهما ينبع من رؤية «إسلامية» أو بالأحرى من نمط معين من «المسلمين»، فيما يتمحور عداء الجميع له من طبيعة اِلتزامهم الأيديولوجي، التي لا شك فيها ولا محيص عنها، وكأن هؤلاء الأيديولوجيين قد وضعوا الثالوث الإمبريالي الصهيوني خلف ظهورهم وباتوا

يركزون كل جهودهم العملية والفكرية على معاداة السيد نجاح محمد علي، من ناحية. وبالتذكير بقصة «أهل بيتي ممن لم نعثر على شيء من جثامينهم الطاهرة»، من ناحية أخرى.

هذا هو تكثيف شديد لما أفاضت به كلمات المراسل الصحفي والكاتب نجاح محمد علي في الموضوع المعنون: بل الذين كفروا يكذبون، الذي نجد نصه في نهاية هذا النقاش لمضمون آرائه، والذي نشره في العديد من المواقع الإلكترونية المعروفة الِاتجاه الفكري والتوجه السياسي.

قبل تناول «وجهة نظر السيد نجاح» و«كلماته المكتنزة بالإستشهادات» التراثية، عليَّ القول بأنَّ مضمون التعقيب ومحتواه هو تعقيب ممن لا تعقيب له في السياق والمعنى، إذ لم يتطرق لمضمون المقالات الأربع السابقة أبداً والتي تناولت بالنقد السياسي لمواقف محددة صادرة عنه وعن إيران، واقتصر مضمون وجهة نظره على اِتهام وجهة النظر الأخرى: السياسية أساساً، بالكذب كمفهوم مجرد عن الحقيقة العينية الملموسة، وما سطّره من كلمات لا تستند إلى أية حجة تفسيرية ملموسة يعضدها الواقع وتؤيدها الوقائع، وهي كناية عن حالة الدفاع البائس عن النفس التي تلازَمَ ظلها مع الأساس المادي الفارسي الصفوي، من جهة، وإضفاء «صفات الطهارة» على جثامين أهل بيته، كونه لم يعثر على بقايا «جثامينهم الطاهرة»، من جهة أخرى.

لماذا تتسم هذه الجثامين بصفات الطهارة؟!. في الحقيقة، لا أعرف، كون معايير الطهارة والنجاسة مفتقدة في سياق غياب مناقشة الحالة السياسية الملموسة، من ناحية، وخلو كتابته من مفاهيم «الزمان» و«المكان» الحيوية والمهمة في أي سياق لتحليل سياسي رصين، من ناحية أخرى. ومَنْ هو الكفيل بتقويم «الأفراد الحاضرين أو الغائبين» والذي يزكي الأحياء والأموات في آن؟ هل نحن البشر غير المعصومين، أم القادر القدير الواحد العزيز خالق البلاد والعباد؟!.

أعتقد أنَّ الجواب على ذلك التساؤل واضح بما فيه الكفاية، إذ أنَّ الأمر متروك لله الواحد العليم بكل شيء والمحيط بكافة الأمور، وبالتأكيد أنَّ الموتى أصحاب الأجساد «الطاهرة» ذهبوا ضحايا الِإبن «المجاهد المسلم»، كحالة شاخصة في سياق المقالة، الذي

كافح بالظفر والناب والرأي والكلمة المكتوبة، من أجل وصول الأمريكيين الصليبيين الصهاينة إلى بغداد واحتلال العراق، كما يبدو: وهم محافظون جدد سبق لبعض منظريهم وأنْ أكدوا «أنَّ الإسلام هو دين شيطاني جداً»، والرسول العربي محمد، ﷺ، «هو أكبر إرهابي في العالم»، وغيرها من مفاهيم سياسية لا تخفى على أي منتبه صادق ورصين يتمتع بحس وطني عراقي وقومي عربي وحضاري عربي إسلامي.

فضلاً عن كل ذلك فإنَّ لنا الملاحظات التالية على الكتابة التي سطرها:

١ - عليَ الإعتراف بأن شيئاً من النزعة الذاتية كانت عاملاً كامناً في إيراد مقالاتي حول الشخص الموما إليه،

يتعلق بضرورة تصفية أوهامي وأخطائي حول الشخص المعني في الكتابة تلك، والمنشورة في العديد من المواقع الإلكترونية الوطنية، كوني كتبت في مرة سابقة مقالة معنونة «إعقلوا الخبر قبل أنْ تتورطوا» تعاملت مع روايته للأحداث والتوقعات، على أنها صادرة عن «اِجتهادٍ معين»... صادرة عن شخص وطني عراقي مخلص، بسبب «العنف الإيراني» ضده و«اِضطهاده السياسي»، كما جرى الترويج الدعائي عن شخصه ومواقفه السياسية، والتي وقعتُ خلالها ضحية لذلك الترويج غير الصحيح، كوني أضفتُ عليه من الصفات الإيجابية التالية: «المالك للمعلوماتِ» و«أربأ أنْ يكون السيد نجاح محمد على من هذا المستوى أبداً» و«المراسل اللماح» و«لا شك أنَّ السيد نجاح محمد على يمتلك المزيد من المعلومات ولكن الظروف قد لا تسمح بنشر ما في ذاكرته الوطنية العراقية».

لقد اِنطلقتُ آنذاك من روحية الظن الحسن بالسيد المراسل نجاح محمد علي. اليوم - أي خلال فترة نشر المقالات - حاولت تصفية تلك الأوهام والأخطاء عنه من خلال مقالاتي اللاحقة بعد أنْ وجدت قرائن عديدة على رؤيته الأيديولوجية البحتة: التي تنطلق من رؤية أيديولوجية فارسية صفوية رغم ما يدعيه من صفات مغايرة.

وكانت تلك المقالة تتعلق آنذاك، بما أورده بمحاولات أمريكية لِاغتيال شخصيات محسوبة كلامياً على بعض السياسيين «المتأسلمين» وهم في حقيقتهم العينية الملموسة

«مقولات عملية» تخدم المشروع السياسي الأمريكي: كالسـيد عبد العزيز الحكيم، وإبراهيم الإشـيقر، وحسـين الشهرستاني، ومزاعم الإنقلاب العسكري المتوقع، وهي ترهات سياسية محبوكة مررها آنذاك السيد نجاح محمد على القراء الكرام وأنا من ضمنهم بطبيعة الحال ولفتت نظري، كونها نُشرت في موقع إلكتروني أحترمه: عربستان، الأمر الذي دفعني واجبي الوطني العراقي والأخلاقي الحضاري العربي الإسلامي للتعقيب على تلك المعلومات المتناقضة والمضحكة، وتحذير «المراسل المخلص» من مغبة القراءة الأيديولوجية للتطورات السياسية، وضرورة التبصر بحقائق الوقائع الملموسة وضرورة التفكير بالظرف التاريخي التي يتصرف خلاله هؤلاء الأشخاص الذين يرأسون أحزاب أو يمثلون المرجع السيستاني، واختتمت مقالتـي تلك بالتحذيرات الفكرية التالية، وهي تحذيرات مسـتمدة من التراث أسـاسـاً، والتي تأتلف وروحية الإلتزام المذهبي لديه - كما يدّعِـي أو يعلن - والتي قلنا فيها: «في أية حال إنَّ الإتعاظ من التجارب التاريخية وفيرة، والمعاني المتوفرة عليها كثيرة، ولكننا نردد القول العلوي {نسبة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه} المشهور على ضوء هذه المناسـبة التي صدر على ضوئها محتوى ما في التقريرين... نردد مع ذلك الإمام القول التالي:

«الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به» وعليه فإنَّ حكمته [هي الأخرى] مناسبة على هذا الصعيد «إعقلوا الخبرَ إذا سمعتموه عقل رعايةٍ لا عقل رواية فإنَّ رواة العِلم كثير ورعاته قليل» وكان التداول الشفوي هو الأساس قبل سيادة أجهزة الأعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، فـ«ليست الروية كالمعاينة مع الإبصار فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل من إستصحبه»، وكانت المقالة مؤرخة في ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٤م. يومها ذكر السيد نجاح - بشكل عاتب وغاضب أيضاً ولا أقول مسعوراً - أنه يستند في كتابة تقريره إلى معلومات ما يسمى بمنظمة العمل الإسلامي التي تقودها الأسرة الشيرازية بشكل غير مباشر. وهو إفتراء تبريري محض.

(٢)

٢ - يدعي السيد نجاح محمد علي أنه لا يؤيد نظرية «ولاية الفقيه» ولا يلتزم بتعليماتها - ربما كان ذلك صحيحاً - التي تشكل ألف باء الحكم الإيراني المعاكسة للرؤية التقليدية المهدوية [نسبة للإمام المهدي المنتظر، وهو التسلسل الأخير في السلسلة الذهبية لمعتقده - التي يعتقد أتباع المذهب الإمامي بوجوده السرمدي ما فوق التاريخ والجغرافية، التي لا يجوز فيها اِستلام السلطة قبل ظهور الإمام الغائب] التي تأخذ بها الرؤية المذهبية الإثنا عشرية، بدلالة غياب الإمام الثاني عشر، لذلك: فإنه يواجه في هذه المرحلة سهام بعض الموالين لتلك الرؤية، إذ يقول في ذلك السياق التالي: «فعلى سبيل المثال يحسبني بعض أصدقاء إيران خصوصا الموالين لولاية الفقيه عدواً للجمهورية الإسلامية»، فمن هؤلاء الذين يناوءون السيد نجاح محمد علي «نظراً لِإستقلاليته»: أهـُمْ مَنْ زودوه بجواز السفر الإيراني الذي يتنقل به؟ أم مَنْ سهـّل قبول اِبنه في الجامعة الطهرانية؟ أمنْ يعاديه: هو مَنْ يسهل دخوله إلى إيران بشكل متواتر؟.

كلها أسئلة تنبثق عن التفكير الجاد بمنطقه «المختال»، ولا أقول المحتال، أولاً.

ثم لماذا يعاني المواطن العربي في إيران، وهو من أبناء الدولة الإيرانية بشكل رسمي، من الكفالة الباهظة جداً جرّاء موقفه السياسي الذي ربما يكون مناوأً فيها لبعض السياسات الإيرانية، والمطاردة والسجن والإعدام في بعض الحالات السياسية الأخرى، في حين يتلقى السيد نجاح محمد علي التسهيلات كلها، ثانياً.

ولا يتحرك العراقيون الذين يعتقدون أنَّ ولاءهم لإيران سوف تشفع لهم وتتيح لهم حرية التصرف في إيران كونهم من الذين هربوا من العراق إلى إيران... لا يتحركون بين المدن الإيرانية إلا بموافقة أمنية إيرانية، في حين يتلقى السيد نجاح محمد علي التسهيلات المادية والمعنوية كلها، ثالثاً.

ولماذا لم يذكر السيد نجاح محمد علي خبراً سلبياً واحداً عن السياسة الإيرانية الرسمية طوال فترات إعداده التقارير الصحفية، التي تغدو تلك السياسيات السلبية في هذه الأيام ملموسة على الساحة العراقية أمام الجميع ومرئية أمام الجميع أيضاً؟ رابعاً.

ألا يستطيع «المراسل الصحفي» القاطن في الخليج العربي من أنْ يروي العكس عما يقوله الآن، ويذكر رواية واحدة تخص جوهر الموقف السياسي الإيراني من الناحية السلبية، خامساً؟.

ولماذا يحاول تمرير بعض المعلومات المضللة على المستوى السياسي والمضادة للرؤية العربية الإسلامية والمناوأة للقضية العربية الأحوازية في آنٍ واحد، من خلال الِإتكاء على أسماء شبحية غامضة: خسرو علي أكبر، مثلاً، قبل تمزيق خيوط هذه اللعبة الخبيثة، وبالتالي إقلاعه التام عنها، أو فرض موقع «إيلاف» الإلكتروني عدم التعامل مع هذا الِإسم والِإمتناع عن نشر مخاتلاته، سادساً.

ولماذا يحرص على نقل الأخبار الإمبريالية الصهيونية التي تعممها الدولة الإيرانية على مواقعها، كونها معلومات خاصة به: كما قلنا في إحدى مقالاتنا: تلك المقالات التي جاء فيها ما يلي: «[مع ملاحظة أنَّ كلَ تلك المعلومات كانت ترددها وكالة المخابرات المركزية: السي آي أي، وتوزعها الشبكات المرتبطة بالرؤية الفارسية الصفوية حتى بالمضمون والكلمات نفسها التي يزعم نجاح محمد علي أنه كاتبها، ومن بين تلك المواقع «الوكالة الإسلامية للأنباء». مؤسسة الكوثر الثقافية - المركز الثقافي الإسلامي في أوترخت الهولندية. موسوعة بلاد الرافدين، مقالة بِإسم د. جمال العلي. موقع شبكة بلاد النهرين نت، نقلاً عن وكالة براثا. وكالة مهر الإيرانية الكائن مقرها في طهران... ألخ ألخ، تنطوي على نصوص متشابهة في المضمون والمعنى ومتطابقة في التكوين والمبنى.

ولعل من بين أبرز المعلومات عن الموضوع السالف ذكره أعلاه، وعن الشخص المعني هو ما أوردته جريدة «المدار» في مطلع كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦م عن دورٍ للمخابرات الأمريكية والإسرائيلية والمخابرات الأردنية في رسم الأضاليل حول الموقف العراقي، ودور جارلس دوفر فيها. [وهو ما حرص على ترديده قي رواياته لبعض الأخداث على أنها من بنات أفكاره]. يمكن مراجعة ذلك، بعد كتابة إِسم جارلس دوفر في موقع ياهوو [yahoo: WEB SEARCH، جارلس دولفر] في القسم ١، عن اِستنطاق

جارلس من قبل السي آي أي، في الفقرة ٣، والمعنون موضوعها عن التحقيق مع جارلس دولفر المأخوذ عن موقع جريدة المدار}، سابعاً.

أما الموضوع الأهم الذي ينبغي التساؤل عنه، والمطلوب من قبل السيد نجاح محمد علي الإجابة عليه، ليس ما يتعلق برؤيته التي تنطوي على الولاء «لولاية الفقيه» المذهبية فقط، ثامناً.

ليس السؤال حول تأييده لنظرية «ولاية الفقيه» أو غيره من الأسئلة، وإنما السؤال الذي يتمحور حول الآتي: هل يساند السيد نجاح محمد علي الموقف السياسي للنظام الإيراني: الصفوي الفارسي، على طول الخط وبكل التفاصيل، أم لا؟. وهل تؤيد كتاباته وتقاريره الممارسة الإيرانية للنظام الطائفي على كل الصعد أم لا؟ وهل موقفه السياسي والكتابي، بالتالي، يشكل إحدى الشظايا التي تفرزها «القنابل الإعلامية الدخانية الإيرانية» التي تروج حضورها السياسي المناويء في زعمها للرؤية والممارسات الأمريكية في الواقع العراقي والعربي والعالمي؟ إنَّ الجواب على تلك الأسئلة هي التي تبين مدى حقيقة «معاداته» أو حتى ملاحظاته النقدية للممارسات الموبوءة للدولة الإيرانية، كما يقول عنها البعض الموالي لنظرية «ولاية الفقيه»، مزعومين أو غير مزعومين، تاسعاً وأخيراً.

نحن هنا لا نتحدث عن ظروف تسلله إلى طهران «بهلوي أريامهر» الراستاخيزي، وأسباب تواجده في إيران الشاه الإيراني قبل ثورتها «الإسلامية العالمية»، ومدى علاقة ذلك بالولاء للنظام القومي الفارسي أو «الشيعي الإمامي» أو المذهب الديني أو الدولة الفارسية الصفوية، والأسباب التي أيد فيها حرب إيران على العراق، والإمبريالي الصهيوني على الدولة العراقية بنفس الحمية، على ما في نظرتها من فروق: حقيقية أو مزعومة؟!، لنتبين أو نكتشف حقيقة اِستقلالية موقفه السياسي الفعلي.

وعودٌ على بدء نقول: هذه أقوال السيد نجاح محمد علي نوردها بالنص، التي يبدو معها التكرار في الأقوال واضحاً، الأمر الذي يتضح معه أنَّ مصدر المعلومات المذكورة بقلمه «الإسلامي» واحد، من الناحية الأولى، ومدى قناعته بالروايات الأمريكية التي شكلت

«الميديا» و«السي آي أي» عمودها الفقري، التي روجتها «إيران الإسلامية» من الناحية الثانية، ومحاولة التشويه المالي للشهيد [المعني به الرئيس صدام حسين] وعائلته يبدوان حقدين فارسين متفجرين بلسان طائفي وقلب عنصري فارسي، لم يتوقفا أبداً عن ترديد ما أفرزته الأجهزة الدعائية الغربية والفارسية ضد العراق، من الناحية الثالثة، والتستر على أدوار العميل أحمد الجلبي في نثر التضليل على هذه القضايا المالية، فإذا كان الجلبي له مصلحة مالية كونه كان السارق الأول للأموال العراقية، فما هي مصلحة محمد علي: إذا كان عراقياً مخلصاً، في التستر على اللصوص الحقيقيين، إنْ لم يكن ينفـِّذ تعليمات أمنية فارسية صفوية، من أمثال زمرة المقبور باقر الحكيم وأسياد المنطقة الغبراء، من بول بريمر وحتى خليل زادة، ناهيك عن العملاء الأذناب من سلاطين المنطقة الخضراء؟! من الناحية الرابعة».

(٣)

٣ - إنني في الحقيقة كنت أناقش «جسد الرؤية الفارسية» الموبوء بالحقد اللئيم والتفكير الأعمى بخصوص العراق، والذي ساعد الِاحتلال الصليبي الصهيوني - [نكرر بالمعنى التاريخي وليس الديني] - في السيطرة العسكرية على العراق، الذي قال أحد زعمائه أنه «لولا إيران لما أحتل العراق بهذه السهولة»، من ناحية، والذي كانت لإجازة إيران المرشد «الولي الفقيه» علي خامنئي لكل الأحزاب الصفوية بالذهاب للندن وواشنطن دورها الملموس من أجل ما ردده محمدي: المسؤول الأمني الإيراني بأنه «علينا اِغتنام الفرصة لنيل السلطة»، أي الِاستنجاد بالقوة العظمى: التي هي أمريكا باِمتياز متفرد ووحيد. وأخذتُ تصرفات تابعهم الذي يتستر على كل التصرفات الكريهة للممارسات الإيرانية، وهو السيد نجاح محمد علي، مثالاً ملموساً على جمهرة القوالين بلسان عربي وهم يرددون الرؤية الفارسية الصفوية بصورة مستترة ومتذاكية - كما يعتقدون - أو غبية ومكشوفة، لا فرق بينهما طالما كانت النتائجَ السياسية والدعائية واحدة، لذلك ذكرتُ في إحدى تلك المقالات ما يلي: «لذلك سأجرد الموضوع السياسي الكلي إلى عدة أجزاء، من ناحية أدوار الأطراف الثلاثة، وأركز على الدور الفارسي الصفوي. وسأتخذ نموذجا محدداً من أتباع الرؤية الفارسية

الصفوية في مناقشتي للموضوع من زاوية الصراع العربي - الصهيوني، كمحدد لمفهوم الصراع العربي ضد المناوئين للأمة العربية والعالم الإسلامي، الذي كان - وما يزال - يشكل القاسم المشترك في دعوات القومية العربية التقدمية والرؤية الإسلامية الحضارية، التي تعبر عن روحية التكوين التاريخي للأمة التي هي موضع عداء للقوى الغربية المضادة لها: ومَنْ يتبعها أيضاً. كون هذا التابع ذا اللسان الذي إعتاد على تكرار منظومة دعاية النظام الإيراني السياسية، ووفقاً للتعليمات السياسية الإيرانية، ربما يكون هو «الجاهل الأنشط، ولكنه المتذاكي» في ترويج الرؤية الفارسية الإيرانية، من جهة أولى، وحاول - مثلما حاولت المخابرات الإيرانية كذلك - على تصوير نفسه أنه معارض للرؤية السياسية الإيرانية، في بعض المراحل الزمنية، وقد إنطلت تلك «اللعبة» الأمنية «الماهرة» على العديد من المراقبين السياسيين والإعلاميين، والتي كنتُ أحدهم للأسف بسبب معلومات السيد سرمد عبد الكريم «المعلنة» في أجهزة الإعلام، والسيد عادل السويدي عبر الإتصالات المباشرة معه، اللذين يتمتعان بحسٍ أخلاقي ومصداقية ثابتة بالنسبة لي، وترويجهما لتلك المواقف بشكل علني ومن على مواقعهما الإخبارية، من جهة ثانية.

إنَّ إعادة قراءة لوحة التطورات السياسية التي أعقبت عملية الإغتيال الدنيئة تلك التي ذهبت بروح الرئيس العراقي الشرعي إلى بارئها الأعلى، ومتابعة كتاباته التي شكلت موضوعاتها رداً غير مباشر على رؤية العشرات من الكتاب العرب والمسلمين المخلصين للأمة، من جهة ثالثة، تعد من ضروريات وأساسيات أي بحث علمي حول أية مسألة سياسية تمر بمنعطف خطير. أما السبب الأخير فيتعلق أساساً بقناعتي السياسية حول «موقع عربستان» وإتجاهه السياسي المستقيم البعيد عن المخاتلات الزائفة - كما أعتقد شخصياً بناءً على تجربة خاصة - وقد لاحظت أنَّ السيد «الجاهل الأنشط» «يستغل» هذا الموقع لتمرير معلومات معدَّة في المطبخ الأمني السياسي الفارسي، وقد فاتحت السيد عادل السويدي: مسؤول الموقع، حول هذا الموضوع بالذات... أي موضوع النشر الفارسي الصفوي غير المباشر في موقع «عربستان»، لكنه فسَّر الأمر بأنَّ الخدمات الإعلامية/ الدعائية متبادلة وإنَّ هناك حصاراً إعلامياً حول المسألة الوطنية الأحوازية، وأنَّ «الأخ»

المقصود بالحديث الثنائي، يسرِّب لنا المعلومات عن القضية الوطنية الأحوازية لفضائية «العربية» التي كان يعمل فيها، من جهة رابعة، وهكذا قال. {مع العلم بأنَّ السيد السويدي قد تراجع عن خطئه بمجرد تأكده من الدور المرسوم لنجاح محمد علي على العكس من مواقف البعض الذي راهن في السابق على العامل الدولي «السوفيتي» لتحرير الأوطان: أفغانستان مثلاً، فيما يراهن اليوم على العامل الأمريكي في نيل الحقوق لعربستان، والتي جعلته يتفاخر بقوله «أني أضع البصطال الأمريكي على رأسي»، على سبيل الذكر والتذكير؟!}.

أما مَنْ هو هذا الشخص «الإعلامي الدعائي الفارسي الصفوي» المعني بالمتابعة النقدية، فهو السيد نجاح محمد علي الذي كرر في مقالات متابعة متتالية ما فاحت به أجهزة الدعاية المخابراتية والسياسية والإعلامية الفارسية الصفوية الإيرانية في مقالات دعائية إعلامية أعقبت تنفيذ عملية الِاغتيال المجرِم للشخصية الوطنية العراقية والقومية العربية والحضارية العربية الإسلامية: المناضل صدام حسين... أما مناسبة الكتابة فهي ذكرى مرور أربعين يوماً على الغياب الجسدي لرئيس العراق الشرعي، الذي تم اِغتياله بأيدٍ صفوية فارسية وعقول المحافظين الجدد الذين أغلبهم من اليهود، ويحتل المعنى التاريخي للسبي البابلي الثاني لليهود الذي كان بطله القائد العراقي البطل نبوخذ نصر، حيزاً كبيراً في وعيهم السياسي والثقافي وبشكل دائم، وعبر المحكمة الإثنية/ الطائفية طبعاً.

عندما أتناول هذه الشخصية الإعلامية/ الدعائية التي تدور في ناعور الرؤية السياسية الإيرانية التي تحاول - وبشكل دائم - صب المياه الآسنة في طاحونتها التي تهدف خدمة رؤيتها القومية الفارسية والمذهبية الصفوية، فالسبب الكامن خلفها، هو أني لا أتطلع إلى محاورة شخص بعينه، إنما أناقش رؤية دعائية وسياسية تسم النشاط الإعلامي والدعائي الفارسي، ولكن بالقدر الذي يتعلق بالِاسم المذكور، فمن الضروري مسك الثور من قرنيه لمحاسبة حالة محددة، أي محاسبة وضع ملموس، وكشف منطق تناقضاته، عبر تمزيق حجب تضليله، وعرض أكاذيبه على الملأ، ولنبتدىء أول ما نبتدىء من دلالات بعض الأحداث الخاصة به».

(٤)

٤ - إنَّ المنطلق بالنسبة لي، هو الذي يرتكز على مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية، وتاريخ مديد من العدوان الغربي على منطقتنا العربية، منذ الحروب الصليبية الأولى في الزمن الغابر وللراهن المعاصر الذي يغزو فيه المحافظون الجدد: وهم صليبيون صهاينة، أراضي الحضارة العربية الإسلامية: وطننا العراق خير مثال على ذلك. تـتَـبَعنا عدوانهم على الأمة العربية والعالم الإسلامي كليهما، ووجدنا الموقف السياسي الإيراني مساند بالموقف والكلمة لكل تلك الِإعتداءات سواء بالكلمة السياسية المجردة أو الخطوات العملية الملموسة، والتحليل الملموس للموقف الملموس والمستند على رؤية طابع الصراعات التاريخية الكبرى، هو الذي يحدد مواقفنا السياسية، مسترشدين بمواقف المخلصين من العرب والمسلمين، فليس هناك من إيراني واحد ساهم في حروب الدفاع عن الوطن العربي وفي أي جزءٍ كان، على سبيل المثال.

ومن ثم نقول: وذلك طوال التاريخ: ألم يرسل الإمام علي بن الحسين اِبنه الإمام الباقر للمساهمة في دفع الروم عن الدولة الأموية من خلال اِقتراح سك العملة العربية، كما يقول محمد باقر الصدر في مقدمته لكتاب الصحيفة السجادية الصادرة في عام ١٤١٩م — ١٩٩٩م عن دار المرتضى، بيروت/ لبنان، لماذا كان موقفه ذاك واضحاً: كان السبب نابعاً عن أنَّ الروم يريدون إذلال المسلمين كما جاء في الرواية التي يرددها الصدر، فما هو الفرق بين إذلال الروم السابق للمسلمين وإذلال الأمريكيين الراهن للمسلمين للعراقيين؟ بله لعموم المسلمين المخلصين المجاهدين بالسيف والقلم في العالم، أم أنَّ «جرائم أبو غريب والقصف باليورانيوم المنضب وسنوات الحصار» وغيرها الكثير، هي من معالم «الجهاد الفارسي الصفوي ضد المسلمين النواصب»!؟، التي يضيف لها الطائفيون «العراقيون» الثقب بالدريل والحرق بالنار والسلق بالماء المغلي والمواد الكيميائية الحارقة وقطع الرؤوس والِاغتيالات للملقاة أجسادهم في المدائن والمناطق المجاور لإيران للدلالة على الحقد الفارسي التاريخي، كون جيش عمر بن الخطاب هو الذي حررها، مقزمين جيش الرؤية العربية الإسلامية إلى جيش الخليفة الفاروق: الراشدي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة

العربية الإسلامية، وخصلة الجهاد الطوعي للعرب المسلمين إلى غزو عبثي صريح يبحث عن السلب والنهب من قبل أناس «يأكلون الجراد والضب ويشربون حليب النوق» كما قالت قصائدهم الشعوبية التي كان يلقيها الفردوسي لقاء تلقيه الأجور في حضرة السلاطين الكسرويين؟!.

يستشهد السيد نجاح محمد علي بآيات من القرآن الكريم، وأقوال الرسول وبعض الأئمة، عليهم السلام، حول نهيهم عن الكذب، ولكنْ: لم يسأل السيد نجاح نفسه، عن جذور وآفاق طابع الرؤية العالمية للصراعات التاريخية التي تجري في المنطقة العربية وعليها، أو أنه يتغافل عنها في أحسن الِافتراضات. ولكن الفرق الواضح بين الرؤيتين الحضارية العربية المسلمة، أي الدينية الكلية، من ناحية، والفارسية الصفوية: التقزيمية المفتتة، أي الطائفية الجزئية، كونها بالذات هي التي ترسم المعايير الموضوعية بين الرؤيتين، وتشكل الفيصل المعياري بين الموقفين، يقول الإمام علي بن أبي طالب لعبد الله بن العباس في كيفية رسم المعايير الموضوعية عند محاكمة الأمور والتطورات «لا تخاصمهم بالقرآن فإنَّ القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسُنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»، أي أنَّ الممارسة هي المقياس في الحكم، فماذا نستخلص من التطورات التي شهدها العراق على ضوء التطورات السياسية والتي رأينا فيها مختلف الأحداث، وأين يكون موقفنا السياسي، وهل تكفي النظرة الطائفية التي ترى المصلحة الذاتية في الطائفة الوحيدة الناجية، على حساب مصلحة الكل العربي المسلم، أم هو العكس؟ وأين مقولة درء المفسدة ومنع الضرر خير من جلب المنفعة ومقدمٌ عليها، التي تعد إحدى المقولات الأساسية في الرؤية الدينية الإسلامية؟، وأين الرؤية العلوية التي جعلها الخليفة الراشدي الرابع، [كرم الله وجهه]، مقياساً لتحديد الموقف المطلوب من أي فرد ومجموعة تجاه كل قضية محددة: عندما أكد بأنَّ الحق لا يُعرف بالرجال، اِعرف الحق تعرف أهله، أم جعل البعض المفاهيم الحضارية العربية الإسلامية والدين الإسلامي مجرد «لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم»، كما يقول الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي حولته الرؤية الصفوية إلى «رمز» جدير بالتطبير واللطم وأكلة القيمة والتمن: الرز، ومناسبة لشتم بعض الخلفاء

العرب وسب الصحابة، بدلاً من جعله رمزاً للثورة على الظالمين وإحقاق الحق، وراية للجهاد ضد الغزاة الصليبيين المتصهينين لديار المسلمين؟!.

(٥)

٥ - يضع السيد نجاح محمد علي صفة الكذب بِاعتباره المعيار الذي يشكل كتابة ألف باء موضوعات باقر الصراف السياسية، وهو يضع كذبه المحض ثابت إدانته التي تطاله شخصياً، عندما يصنفني بعثياً، وأنا الذي تركت العراق في أواخر السبعينات، وعملت في مجلة «الهدف» الفلسطينية و«فتح» الناطقة بِاسم حركة التحرير الوطني فتح - الإِنتفاضة، منذ أواخر السبعينات وحتى خروجي من الجمهورية العربية السورية في منتصف التسعينات، [ولم أكن أعمل في أي وسيلة إعلامية تناصر الموقف الطائفي ومن أية جهة كانت، والتي كانت تنثر أموالها على كل المريدين أو المرتزقة، المعادين للدولة العراقية بالحق والباطل، وهو بالمناسبة موضوع شيق ينبغي أنْ يتضمن متابعة أسماء كل الكتاب وأنصاف الكتاب الذين نشطوا في الوسائل الدعائية التي كانت تتغذى في المعلومات الموظبة سلفاً التي ينتجها المطبخ الإيراني: الفارسي الصفوي]، ولكن عندما رأيت المخططات العدوانية الغربية: والأمريكية تحديداً، تتلملم جحافلها ضد العراق، منذ ٢/ ٨/ ١٩٩٠م، إنْ لم يكن قبل ذلك، كان التماهي مع الموقف الحق هو موقفي السياسي، أدافع بما أمتلك من عناصر القوة عن المفهوم الحضاري العربي الإسلامي. الصدق مع الذات، قبل كل حيثية أخرى، سواء كانت متحزبة أم لا، هي المقياس الموضوعي على المستوى الشخصي الذي حدد موقفي السياسي ورسم طبيعة اِنتمائي، فقد ناضلنا من أجل وطن ومجتمع وأمة ومبادىء وأفكار ورؤى سياسية، «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمن شنئان قوم ألا تعدلوا اِعدلوا هو أقرب للتقوى واِتقوا الله إنَّ الله خبير بما تعملون» [سورة المائدة، الآية رقم ٨]، هكذا علمنا القرآن الكريم: الكتاب السماوي الخالد، ولن نكون ممن يحفظون الكلم بشكل مخاتل: أي يفسرونه بالباطل، كما تقول بعض التفاسير، و«التراجع عن الخطأ فضيلة»، هكذا كانت حكمة الرسول والتي أعطى أمثلة وفيرة عنها.

هذا الرسول العربي الذي قال عن بطل معركة أحُـد التي جرت في صدر الإسلام: المجاهد الكبير خالد بن الوليد الذي اِنتصر فيه المشركون بقيادته الميدانية على المسلمين في معركة «أحُدْ»، بأنه سيف الله المسلول يوم اِنضم إلى صف المسلمين، لم يتوقف عند الماضي حيراناً صامتاً عن قول الحق، يحركه حقد الماضي القريب وليس البعيد فقط، وإنما أنصفه بإضفاء تلك الصفة عليه، ومن المعلوم أنَّ القرآن الكريم ينص على: «وما أتاكم الرسول به فخذوه»، والموقف الجهادي للقائد العظيم خالد بن الوليد على ضوء ما عمل في ميدان الصراع بين الحق والباطل وأدى سيفه الدور الذي اِنتصر لمفاهيم الحضارة العربية الإسلامية، هو الذي دفع الرسول - ﷺ - لِاتخاذ موقفه المشار إليه وإعلان رأيه، ولم يجعل نفسه صاحب قدرة إلهية تفصِّل الأحكام على هذا أو ذاك في الدنيا والآخرة، تدخله في هذا الحين الجنة أو ترميه النار في ذلك الوقت، كما هو شأن بعض «المراجع المقدسة» الذين جعلوا معيار الذهاب للإنتخابات العراقية في ظل الِاحتلال الأمريكي معياراً للذهاب لفيافي الجنة أو الدخول إلى سعير جهنم!!.

لقد كان الموقف السياسي الوطني العراقي، كما تجسد في لوحة التطورات العالمية والسياسة الدولية وما تضمنته من أبعاد الصراع السياسي الإستراتيجي الكوني على المنطقة وفي المنطقة، هو الحق المطلق، ومعيار الموقف السياسي من معركته التاريخية، وهو الذي يحدد دور الفرد الصادق المستقيم والوطني المسلم الحق كذلك، والزوغان عن اِتخاذ الموقف السياسي السليم بصدد مجريات ما يحدث، هو الذي سيصنف هذا أو ذاك، وطني عربي ومسلم صادق ومستقيم، من حيث موقعه في دائرة الصراعات السياسية الكبرى، أو دجال وكاذب ومرائي مخاتل. ولقد رأينا في أمثلة جهاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما في الثغور على الحدود الإسلامية مع الروم البيزنطيين، والجهاد في الشمال الأفريقي، من جهة، والشرق الإيراني أثناء فتح حصن طبرستان، من جهة أخرى، وتحت الراية العربية الإسلامية في المرحلة العمرية: في خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - والعثمانية، في خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وحتى في عهد معاوية بن أبي سفيان، وكذلك ما جاء في «دعاء الثغور» للإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضى

الله عنهم عند الشيعة الإثنا عشرية عندما ناصر الدولة الأموية ضد إمبراطورية الروم، وموقف الإمام الخامس الذي تطرقنا له أعلاه بصدد سك العملة العربية الإسلامية، كما يقول المرحوم السيد محمد باقر الصدر، وهم كلهم أئمة معصومون عن الخطأ عند أتباع ذلك المذهب أو تلك المدرسة الإمامية، وفتاوى بعض العلماء المسلمين الحقيقيين عشية ثورة العشرين وعشية إنتفاضة الجيش العراقي وشعبه ضد البريطانيين في التاريخ الحديث... لقد رأيناها كلها - وهي غيض من فيض - هي الأمثلة الإسلامية المشرقة الحَرِيّة بالتمثل والإتبّاع - وليس الأمثلة النابعة من الرؤية الفارسية الصفوية - التي يجترها البعض - ولابد من وعي دروسها وتمثل قيمها الحقّة عند تقويم أي موقف سياسي موضوعي ولحظة ممارسة الموقف السياسي من قبل أي فرد. لقد تواطأت إيران خامنئي/ خاتمي مع أمريكا في العدوان على حساب العراق ومجتمعه المسلم وغزوه واحتلاله، من جهة، وتضطهد العرب المسلمين في الأحواز في كل يوم في مخالفة صريحة لمبدأ مفاهيم تعاون الشعوب والقبائل القرآنية، من جهة أخرى.

بمن نكفر؟ ولماذا نكذب؟ ومضمونهما يشكلان العمودين التي ترتكز إليهما عملية تعقيبه:

نحن نكفر في حقيقة الأمر بنظام العولمة الجائر الذي يقوده الطرف الأمريكي الصليبي الصهيوني وشركاته الإحتكارية لكل مصادر الطاقة، وهو طرف/ قطب عالمي: قوامه المكثف: الأوعى والأقوى والأغنى، لقد جعله البعض إلهاً واحداً يتوسل بقوته للإبقاء على جيشه المحتل في العراق، حماية لموقعه في الحكم أساساً، ذلك هو موقف عزيز حكيمي وإبراهيم جعفري ونوري المالكي، ونكفر - كذلك - بكل مَنْ ناصره ويناصره في الراهن الزمني والماضي القريب، ولا شك أنَّ القسم الأكبر من القوة الإيرانية التي تزرق العملاء بالمقويات المادية والمعنوية وتزودهم بالخطط السياسية هي التي تناصره.

ألا توحي بما فيه الكفاية عملية التفاوض الإيراني الأمريكي حول العراق الراهن ومستقبله حقيقة الدور السياسي لملالي طهران في العراق!؟.

ومسألة النهج في المواجهة - كما هو في إعتقادنا - هو الأساس في التقويم، وكان ذلك النهج السياسي والفكري للعراق والقيادة العراقية، ينطوي على طبيعة تصادمية مطلقة مع القوى الإمبريالية المتعولمة الغربية التي يقودها المحافظون الجدد التي يرسم أفكارها الصليبيون الصهاينة، والشركات الأمريكية الإحتكارية، وكيان الإغتصاب الصهيوني، ونهج المواجهة هو الذي يقوده رمز ذلك النهج السيد صدام حسين، رئيس الدولة العراقية، وليس غيره أبداً، رغم معزوفات آيات الله الفرس وأحاديث القادة السياسيين الإيرانيين وأكاذيب مسؤولي أجهزتهم الإيرانية، عن الشيطان الأكبر وضرورة توجيه اللكمات القاتلة له. وبما أننا لسنا صناع تلك الأحداث التاريخية التي عصفت بالمنطقة العربية الإسلامية كلها، فقد كان من الضروري تحديد الموقف السياسي والفكري منها، لم نشأ الإعتزال عن تطورات الأحداث، ناهيك عن اتخاذ الموقف المناصر بشكل موضوعي للعدوان، كما هو حال إيران الدولة، أو المساهمة بشكل مباشر في العدوان، كما هو حال قادة المعارضة الصفوية الفارسية التي رحلت إلى واشنطن ولندن للتحريض على غزو العراق، وادّعت كذباً أنها تملك المعلومات عن مسألة تسلح العراق بالأسلحة النووية، وفوق ذلك أنها اجتمعت بنتنياهو قبيل الغزو الأمريكي للعراق، كان هذا حال إبراهيم الجعفري وغيره.

كلها معلومات متوفرة تغاضى عنها السيد نجاح محمد علي وسكت عنها، والرسول - ﷺ - يقول "أنّ الساكت عن الحق شيطان أخرس".

أظن في ما ورد أعلاه هو الذي يوضح مَنْ هو الكاذب ومن هو المؤمن الحقيقي بقدرة الباري عزّ وجلّ، وليس بقدرة نظام العولمة الجديد: الكلي الجبروت، إنطلاقاً من مقاييس الممارسة العملية وليس الإدعاءات الفارغة، والذي يلطخ العراقيون وأنصارهم من العرب والمسلمين، وبشكل يومي، رؤوسَ الغزاة الأمريكيين وحلفائهم بالطين، رغم مناصرة المرتزقة الطائفيين والإثنيين من الزمر الصفوية وحزب الإخوان المسلمين والمجموعات البرزانية والطالبانية في الداخل والخارج: «العربي والإسلامي» والغربي... مناصرتهم للقوات الغازية المحتلة.

يقول الإله الواحد في محكم كتابه المجيد: ﴿الذين قال لهم الناس إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، [سورة آل عمران، الآية رقم ١٧٣]، و﴿لتبلونَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإنْ تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور﴾، [سورة آل عمران، الآية رقم ١٨٦]، وكان ذلك هو موقف الرئيس العراقي الشهيد المرحوم: صدام حسين، فماذا كان موقف المناوئين له. نأمل الجواب من كل الصادقين مع أنفسهم قبل أي اعتبار آخر.

(٦)

٦ - قد يضع البعض معيار القمع والتصفيات السائدة في هذه المرحلة السياسية، وكذلك في المراحل التي سبقها، على خلفية الرؤية الفكرية أو السياسية لنظام العولمة الأمريكية، كون العملية الإعلامية وحرياتها المفتوحة بشكل مطلق، هو المعيار الأوحد لتقويم الأحداث والزعامات في الرؤية التاريخية النقدية للتطورات السياسية كلها. وفي الواقع الموضوعي والمنطقي يقول: إنَّ التفسير لكل الأحداث على ضوء العامل الواحد، لاسيما الذاتي منه، هو خطل كبيرة في تفسير أسباب تطورات الأحداث السياسية الأساسية والمنعطفات التاريخية الكبرى، كانت نظريات من هذا القبيل في السابق هي السائدة... بل حتى قبل ولادة النظرية الخلدونية: التي أجملها العلاّمة بن خلدون في مقدمته الشهيرة، من حيث تفسير الأحداث التاريخية وتطور النـُظم، ناهيك طبعا عن المدارس الفلسفية والتاريخية الحديثة، كانت تشكل أحد مفردات رؤية نظرية مفادها، أنَّ الملوك والأباطرة هم صانعو الأحداث السياسية كلها، ليس في القطر أو الدولة التي يتحكمون بها فقط، وإنما في كل العالم المعروف.

مسقطين الدروس المستمدة من طبيعة هذا العصر الحديث والمعاصر، وهي تتلخص في نسبة القوى الدولية في موازين التسلح، وتقدمها التقني في المجال الجوي خصوصاً، ومتغاضين عن أية مؤثرات معينة للأبعاد الزمانية والمكانية في سياق أي تحليل سياسي عن

تلك الأحداث، ومغيبين قوة الدول واقتصادياتها عن مسألة فرض علاقات الإنتاج العالمية على الواقع الدولي، وشاطبين بعرض الحائط عن ضرورات المقارنة بين سلوك السلطات تجاه مواطنيهم على ضوء المقارنة بين الظواهر بين أنظمة: التجاور والتضاد والتشابه.

القمع السياسي خلال مرحلة النظام السابق الذي كان يتحكم بالشؤون العراقية ظاهرة لم ينكرها أحد، بل لم يقل بها أحد من العقول السياسية الناضجة على حد علمنا: لا الموالي للسلطة أو المؤيد لها، ناهيك عن النظام السياسي العراقي عند الحديث عن نفسه يوما ما عند التحليل السياسي حول مضمون ذاته السياسية، أنه لم يقل عن نفسه أنه نظامٌ ديمقراطي ليبرالي تعددي، ولا المعارضين له بطبيعة الحال. والدولة على العموم هي أداة قمع وإجبار وفرض للنظام من وجهة نظرها، إضافة إلى تنفيذ برامجها السياسية الأخرى، تتساوى في ذلك كل الأنظمة السياسية التي تشير إلى طبيعة النظام السياسي في العالم، أي كونه إقطاعياً أو رأسمالياً أو إشتراكياً أو مختلطاً، أو من حيث الطابع الأيديولوجي: حر أو قمعي، ديني قائم على الشريعة والمفاهيم الدينية أو لا ديني قائم على عناصر الفلسفة الحديثة التي تلخيصها الفكري المكثف: أنَّ الشعب هو مصدر السلطات، حتى لو كان ذلك نظرياً، وهكذا.

ولو أننا جردنا المفاهيم السياسية التي تتعلق بموضوع الدولة، التي يشكل مضمونها التطور الأرقى في أشكال التنظيم السياسي في العالم المعاصر، والذي: أي المفهوم باعتباره جماع مفاهيمي للوطن والمجتمع والشكل السياسي لإدارة شؤونها، فسوف نأخذ طبيعة السلطة في أي بلدٍ كان، كي نقول باللغة العلمية المستمدة من جهد معرفي جاء على لسان كاتب عربي هو الدكتور خلدون حسن النقيب، أصدره في كتابه المعنون الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية، ط ١ صدرت في أيار/ مايو ١٩٩١م، من مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/ لبنان التالي:

«وفي أحوال أخرى يمكن أنْ تكون السلطة (أي القوة على إصدار الأوامر والنواهي) غير شرعية وإنما قسرية (**Coerecive**)، أو مفروضة (**Induced**) بالإغراء، والإغواء، أو

شخصية كما في سلطة الأب أو الخبير، طالما بقيت ممأسسة، أي ضمن الترتيبات الإجتماعية المتصلة بالقيم والمعايير السائدة، [...]، إنَّ علاقات القوة بشكل السلطة هي علاقة الحاكم بالمحكوم، ولذلك تجسد الدولة السلطة في المجتمع، وعلاقة الحاكم بالمحكوم يمكن تتخذ أشكالاً مختلفة أيضاً»، [ص١٧]، لذلك كانت خطوة حل الدولة العراقية - مثلاً - وتحطيم أجهزتها الأساسية: الجيش العراقي الباسل ومؤسسات الإعلام - عبلى سبيل المثال، خطوة محسوبة في سياق سيطرة المحتل على العراق والعراقيين، ولا يلعب تنصيب بعض العملاء في السلطة السياسية أي دور ملموس في تبديل أشكال التسلط على شؤون العراق السياسية.

وفي سياق المقارنة على أرضية مفهوم التجاور، لو أخذنا الوضع السياسي الإيراني، كحالة إجتماعية ملموسة، فإننا سنجد أن الوضع السياسي للشعوب الإيرانية هو أسوأ منه في العراق القائم قبيل اِحتلاله من قبل أمريكا وحلفائها وأتباعها، مرات ومرات، فالشعب الكردي لم يحضَ في إيران بعشر معشار ما ناله الشعب الكردي من حقوق سياسية وثقافية في الساحة العراقية، فإعطاء الحكم الذاتي ونيل حقوق الشعب الكردي الثقافية من حيث الدراسة باللغة الكردية وتأسيس الجامعة وترسيخ اللهجة السورانية كخطوة ملموسة على طريق القضاء على اللهجات الكردية الأخرى: باهدينانية، كرمانجية، لورية، لصالح توحيد لغة قومية كردية موحدة، وتأسيس مجمع لغوي علمي لتقعيد المفاهيم اللغوية، وعشرات الخطوات الإيجابية الأخرى، هي سماتِ غائبة عن وضع الشعب الكردي بإيران، رغم أنَّ أعدادهم تبلغ ضعف أعداد الأكراد في العراق على الأقل.

وفيما يتعلق بالمواطنين الإيرانيين في الخارج الذين يبلغ عددهم أكثر من ستة ملايين مواطن يجري التعامل معهم على أنهم معادون للدولة الإيرانية رغم أنهم أنَّ بعضهم يفتخر بِانتسابه للدولة الإيرانية ولكن له موقف من النظام الأيديولوجي لسلطته الثيوقراطية، وفي هذا الصدد يقول آية الله منتظري في مذكراته المنشورة في مجلة «الزمان الجديد» التالي: «أنه يختلف مع المسؤولين الإيرانيين، بمن فيهم الخميني، حول معارضتهم لعودة الإيرانيين

المغتربين إلى الوطن، ويعرب عن اِستغرابه من مزاعم هؤلاء المسؤولين حول تعارض هذه القضية مع القيم الإسلامية»، وبالتالي لا «يحق لنا أنْ نجعل من آرائنا وتصوراتنا كمعيار وحيد لمنح أو سلب الأفراد حقهم في العيش في وطنهم»، إذ «إنَّ إيران هي ملك لجميع الإيرانيين». [راجع مجلة الزمان الجديد الصادرة في فبراير/ شباط / ٢٠٠١م، الصادرة عن شركة الزمان للصحافة والنشر والترجمة. لندن/ المملكة المتحدة].

وإعدام الفتيات والنساء بذريعة تهمة «محاربة الله»، هي أحد المعالم الأساسية التي تتفرد بها السلطة الفارسية الصفوية وفق كل المعايير السماوية والبشرية، لذا فإنَّ المجتهد منتظري يقول أنَّ الإسلام لم يكن «يعدم المرتدات والمحاربات»، وعلى المرشد الأعلى المسؤول عن كل الوضع الإيراني: أي الخميني، «إصدار أوامركم بإيقاف أحكام الإعدام ضد النساء والفتيات» والمناشدة موجهة للخميني شخصياً، أي أنه يحدد المسؤولية المعنوية ناهيك عن المادية على عاتق شخص محدد هو «المجتهد الفقيه آية الله الخميني»، ولكن لا حياة لمن تنادي، إذ اِستمرت فوق ذلك أيضاً حفلات الإعدام الجماعي ضد أتباع منظمة مجاهدي خلق، مثلاً، ففي ليلة واحدة تم إعدام ما بين ٢٠٠٠ - ٣٨٠٠ مواطناً إيرانياً بدعوى حجج «دينية» باطلة كونهم «منافقون» وذلك بالإستناد إلى فتوى الحاكم بأمره الإمام روح الله الخميني القائلة:

«بما أنّ المنافقين لا يعتقدون بالإسلام إطلاقاً... ونظراً لمواقفهم العدائية ضد الجمهورية الإسلامية وهجماتهم العسكرية في شمال وغرب جنوب البلاد بدعم من حزب البعث العراقي، وكذلك نظراً لإرتباطهم بالإستكبار العالمي، وضرباتهم الغادرة منذ بداية قيام الجمهورية الإسلامية، وحتى الآن، لذا فيجب إجراء أحكام الإعدام بحق أولئك المنافقين، في سجون البلاد كافة، الذين لا زالوا يصرون على نفاقهم... فمن البلاهة والسذاجة أنْ ترحموا ممن حارب ضد الله، [لاحظ أخي القاريء المساواة بين الله وبين الجمهورية الإيرانية] فالشدة والحسم أمام أعداء الله هما من المباديء الأساسية للنظام الإسلامي... وأملي أنْ تفوزوا برضا الله بغضبكم وحقدكم الثوريين تجاه أعداء الإسلام...

ولا ترددوا، ولا تتهادنوا، كونوا (أشداء على الكفار). والسلام. روح الله الموسوي الخميني».

ويقول المجتهد حسين علي منتظري في المذهب الإثنا عشري الإيراني: إنَّ من بين المعدومين ممن «كانوا يصلون ويصومون» في حين أنَّ رئيس اِستخبارات مدينة قم كان يؤكد على ضرورة إعدام الجميع وبسرعة قصوى كون «الإمام الخميني قد أصدر الحكم ضدهم جميعاً، ما علينا إلا التنفيذ» ليتخلص «النظام فوراً من شرهم» بشكل سريع وحاسم. [المصدر السابق، في الموضوع المعنون بمذكرات آية الله منتظري].

ولم يتورع ممثلو الله في إيران من اِرتكاب جريمة «إيران غيت» حول العلاقة مع الشيطان الأكبر، وتعاونهما ضد الشعب العراقي، وإستيراد الأسلحة الإسرائيلية من كيان الاِغتصاب الصهيوني لمحاربة العراق العربي المسلم، وتنفيذ مختلف الجرائم ضد أبناء شعبنا العربي وضد الشعب الكردي عبر محاكم خلخالي الهزلية، ناهيك عن اِضطهاد المسلمين من غير أتباع الرؤية الصفوية المذهبية وترويج المخدرات والتلاعب في مقدرات الشعوب الأخرى: كاِغتصاب أراضي دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو مسلسل نستطيع إيراد عشرات الصفحات من النماذج الخاصة به... فهل تطرق المراسل الذي كان مقيما أو موثوقاً من قبل النظام الفارسي الصفوي إلى شيءٍ من هذا، أبداً، نقولها لعشرات المرات: أبداً، فما هي المعاني التي تنطوي عليها: صفات قول الحق والصدق أو التدليس على الحقائق الصريحة المقرونة بالبينات الواضحة، ومع ذلك فلنتابع حياته «المهنية»، كما قال عن نفسه وفق ما أعلنه موقع «الحوار المتمدن: رزكار».

(٧)

في بعض الأحيان تأتي الصدف موافقة لما نحب ونرجو، ومن المصادفات الغريبة أن يذكر السيد نجاح محمد علي المواقع الإدارية والمهنية التي عمل فيها في إيران، منذ وصول الخميني إلى السلطة، ويبدو أنه أغفل أو تغافل عن ذكر الواقع التاريخي لقناعاته السياسية أيام الشاه الإيراني المقبور، فليس من المعقول أنْ يولد هذا الرجل عملاقاً بمقاييس الدعاية

الفارسية الصفوية، وبالتالي: يتسلم المسؤوليات الضخمة منذ اِندلاع حدث «الثورة الإسلامية»، لذلك أقول إن هذه الرمية أتت من غير رامٍ يقصدها وحدد أهدافها بشكل مسبق. ذلك ما تضمنته البيلوغرافية الشخصية التي حرص على نشرها في موقع «رزكار»، وعلى الرابط التالي:

http://www.rezgar.com/m.asp?i=1308

في تلك البيلوغرافية المطولة أعلن فيها السيد نجاح محمد علي عن حياته «الإعلامية» والمهنية، والتي نعتقد أنها حياة مهنية دعائية ليس إلا! ومقبوضة الأجر بالتومان والدولار، على ضوء المهمة السياسية المكلف بها والدور الدعائي المناط به، لقد تقدم ببراهين وقائعية ملموسة على ما تطرقنا إليه سالفاً، وهي براهين مضافة في مجال سيرته العملية التي جاهدت في سبيل خدمة الرؤية الفارسية الصفوية.

* – يقول في تلك البيلوغرافية أن هرب إلى الكويت وتعاون مع الكويتيين بشكل سري! لم يقل متى ذهب إلى الكويت في المرة الأولى، ولم يقل شيئاً عن دوافع «نضال» أولئك الكويتيين، إذا كان هؤلاء كويتيين فعلاً، وإذا كانوا كذلك فعلاً، فعلام كانوا يعارضون الحكم في العراق في وقت لم تنشب بين الدولتين أو النظامين أو البلدين على مستوى العلاقات السياسية أو الاِجتماعية أية توترات سياسية. في تلك الفترة كان أغلب الكويتيين يؤيدون الموقف السياسي العراقي ضد إيران الشاه الذي أذل بعض الأنظمة العربية، وكانوا، كذلك، يؤيدون الموقف السياسي العراقي في حربه ضد الرؤية السياسية الإيرانية، للدرجة التي دفعت الرؤية الفارسية الأمنية، وأجهزتها، بعض الشبان المؤيدين لها لمحاولة اِغتيال الشيخ جابر الصباح، الحاكم السابق في الكويت، وإذا لم يكن الكويتيون مؤيدين للموقف السياسي العراقي، فإنهم لم يكونوا معارضين أو رافضين لمواقفه السياسية على أقل تقدير.

الصحف الكويتية والإيرانية بمجموعها تشهد على ذلك وعلى حدٍ سواء، ومع ذلك علينا الاِستفسار عن الهدف السياسي الذي يرتجيه أولئك الكويتيون من معارضتهم للنظام العراقي: هل يريدون – مثلاً – إلحاق العراق بالأسرة المتسلطة على الكويت التي

جعلت منها قاعدة أمريكية وبئراً للنفط تنتج على ضوء المصلحة الأمريكية التي سيرت قواتها لحماية آبار الكويت النفطية، وسيرت أبراجها لحراسة الناقلات العملاقة التي تنقل النفط؟!

الإستخلاص الموضوعي الذي يتسق مع المنطق والحقيقة هو أنَّ هؤلاء المعارضين هم على الأرجح إيرانيون بالجنسية والولاء والإستهداف، لذا وجد السيد نجاح موقعه الطبيعي بينهم ويعمل بجد في تنفيذ برنامجهم المضاد للدولة العراقية.

ويؤكد كذلك أنه هرب إلى إيران مجدداً، أي أنه لم يذهب إلى العاصمة أو الدولة الإيرانية للمرة الأولى: هارباً أو متسللاً، فمتى كانت «رحلته الجهادية الأولى»؟ أكانت في مرحلة حكم الشاه المقبور محمد رضا بهلوي، للنضال ضد الدولة العراقية، والتي كانت فيها سلطة الشاه، ومخابراتها تؤيد زمرة البارزاني في شمال العراق والخلايا التي كانت ترعاها المخابرات الإيرانية في الجنوب العراقي، كما تحدث عنها بعض المصادر، التي من بينها كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل: حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، ط١، ص ٥٧٢، ولكن الهدف من وراء تجاهله التطرق إلى التواريخ والحديث عن الماضي، هو محاولة الإخفاء والتعمية حول شؤون الماضي، وشجونه أيضاً، كما أتوقع وأفترض، فهل نجح في ذلك الجهد وتلك المحاولة المبذولة؟ الله أعلم ببواطن الأمور.

* - يعدد السيد نجاح محمد على المواقع التي إشتغل فيها، وكلها من المواقع التي تغدق عليها الدولة الفارسية الأموال، أو أغلبها، وفي الحقيقة أنَّ الحكمة الشائعة والقائلة: «إنَّ مَنْ يدفع يسير»، قد جرى البرهنة على مصداقيتها للمرة الألف، ويا له من تاريخ مجيد في خدمة الرؤية الدعائية الإعلامية الإيرانية: قنوات فضائية إيرانية قلباً وقالباً أي فارسية صفوية، وكلها من وجهة نظره من الإعلام المعارض، ولكنه عمل - والحق يقال - في مجلة - الجهاد التي كان يصدرها حزب الدعوة: الجهاد ضد مَنْ، لا يعرف أحد ما حقيقة مفهوم الجهاد الإسلامي، على ضوء ما آلت إليه أمور العراق ومجتمعه وقضاياه الوطنية الذي تجاوز قتلاه المليون والمهجرين منه عدة ملايين في الداخل والخارج، وسلسلة طويلة من المآسي

والأزمات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، ولكننا نعلم من أقواله بالذات: أنَّ رئيس تحريرها هو «الشهيد» عز الدين سليم: رئيس/ مرؤوس مجلس حكم بريمر، والشهيد، كما هو معلوم مَن اِستشهد في سبيل الله والعرض والمال والأرض، فهل الرئيس عز الدين كان هو الـ«شهيد» في سبيل تلك المفردات التي تشكل بواعث العمل الإسلامي، أم راح كالفطيس الخسيس في سبيل الرؤية السياسية الأمريكية؟.

* - يقول أنه عمل في «صوت الكويت» التي شـهد اِنطلاق فحيحها بعد الثاني من آب عام ١٩٩٠م، والجريدة تلك، كانت في الحقيقة والواقع، صوت أسرة آل السِفاح الحاكمة الفرارة التي أصدرت العديد من الأصوات التي تخدم التوجه الإمبريالي الصهيوني وتسلط أكاذيبها المختلفة على العراق، وخير مثال حديث نيرة اِبنة السفير الصباحي في الأمم المتحدة التي اِفترت فيها قصة حاضنات الأطفال وروجتها مختلف الأجهزة الدعائية في العالم، لقد روجت تلك الجريدة الأكاذيب الزائفة حتى قبل قيام العدوان الثلاثيني على العراق في ١٧/ ١/ ١٩٩١م، ووزعت رشاوى الذهب والفضة على رسامي الكاريتير في الصحف التي كانت تصدر في الوطن العربي والغرب، والأقلام «العربية» المتخصصة وغير المتخصصة، والمأجورة بكثافة. إنه اِعتراف جدير بأن يكون العار في صفحة من الشنار الكريه وصفات النذالة في السجل المشين لمن اِرتكبوه... نقول ذلك على ضوء المعايير الوطنية العراقية ورابطتها الصميمة.

* - يعترف السيد نجاح محمد علي بفمه «الصادق» و«قلمه المجاهد» أنه عمل مع المقبور باقر الحكيم في غدوه ورواحه، يكتب البيانات بِاسمه ويحضر اِجتماعاته مع المسؤولين الدوليين. أكاذيب باقر الحكيم معروفة للجميع، ولم يستطع سوى القول، أنه سيحارب أمريكا إذا غزت العراق، تلك كانت جملته في الرسالة التي كتبها عشية تدمير العراق شهر كانون الثاني عام ١٩٩١م والتي أرسلها إلى القائد الأردني المجاهد ليث شبيلات، ولكنه، وعندما وقع العدوان على العراق في ١٧/ ١/ ١٩٩١م، كانت بنادق قواته تتواصل عمل القوات الغازية وتستكملها، مثلما تجلى كذبه البواح بحديثه «عن

الوثائق التي لديه» حول أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها العراق، وعلاقات نظام صدام حسين الوطيدة مع القاعدة التي يقودها أسامة بن لادن، ولكن الأمريكيين والصهاينة التي كانوا يحتاجونها في مسلسل دعايتهم قد أكفونا بِاعترافاتهم بأنَّ تلك الإشاعات كانت من الأكاذيب الدعائية التي تخبطوا فيها عن جهل، وأخيراً: اِعترفوا فوق ذلك بأنَّ النظام السياسي في العراق الذي كان يقوده الشهيد صدام حسين كان صادقاً في كل ما كان يقوله عن ذينيك الموضوعين.

ملف الأباطيل التي كان يتقيأها رئيس ما يسمى بالمجلس الأعلى باقر الحكيم، والتي كان يقرنها بأطنان الدعاية الكاذبة، معروفة للجميع، وسكوت السيد نجاح محمد علي عن ذلك الباطل جملة وتفصيلا وهو الذي كان يعمل مع المقبور، تجعله «الصادق: كما يبدو» [!؟!]، فمن أين أتى باقر الصراف بصفات الأكاذيب المذمومة التي يزعمها عن السيد نجاح محمد علي!؟.

*- ويحمل ملف نشاطاته «المهنية على الصعيد الإعلامي» في تلك البيلوغرافية، ويوضح المواقع الوظيفية التي شغلها أو التي عمل فيها، ولقد رأينا، باديء ذي بديء، أنها ترافقت أو أعقبت العدوان الأمريكي الأطلسي «الإسلامي» «العربي». إنَّ تلك المهمات «الدعائية الجليلة» توضح بما فيه الكفاية، الِاتجاه السياسي الذي كان يعمل من أجله، كونه اِختار الصف الذي يعمل تحت جناحه، وهو بالتالي يوضح «اِستقلاليته السياسية» في مجال لا يحتمل أية «اِستقلالية سياسية» على المستوى المادي أو المعنوي، من قبل أي شخص إذا كان مطلوباً للعمل كبرغي في آلة موجهة السير نحو هدف ما، وليس «مفروضاً» من قبل كفاءته المتناهية كالإعلاميين الذين يشار لهم بالبنان من الذين يبذلون الجهد الفكري والمعرفي في سبيل الحصول على المعلومات والوقائع، ويقيمون العلاقات الخاصة مع المصادر الفاعلة في الأحداث، ويتمتعون بالنزاهة المالية أي الذين يفتشون عن مصدر دخولهم المالية ويقيّمون أساسياتها، ولا شك بأنَّ السيد المشار إليه لا يتمتع بأي عناصر إبداعية متميزة في سياق المقارنة بين ألوف العاملين في القنوات الفضائية التي ينمو عددها كرؤوس البصل،

كما أنَّ المصادر المالية لتلك الأجهزة الإعلامية والدعائية تتناقض في النهاية في التوجهات السياسية، ولكنها أجمعت «القول والعمل» على معاداة العراق العظيم.

إذ هو «مدير مكتب العربية في طهران»، التي هي العبرية في حقيقتها الفكرية والسياسية وقد اِتخذت الحروف العربية شكلاً، وقد تجسدت سعّاراً مبحوحاً ضد الدولة العراقية كواقع سياسي وطموح مستقبلي، حتى تم إنجاز ما أراد لها الأمريكيون والصهاينة، وما أحاديث مختلف الوثائق السياسية عن دور السفير السعودي في واشنطن، وأدواره السابقة أو الحالية بصدد الموقف العراقي، وتحريضه واشنطن المحكومة من قبل إدارة المحافظين الجدد على اِحتلاله وتدميره، سوى غيض من فيض، وهي قناة ترتبط بالنظام الذي يخدم توجهات ذلك البندر وأسياده في الرياض وواشنطن.

إنَّ ما تبثه «العبرية» من العاصمة الإيرانية من أكاذيب عن العراق، يتسق مع مجمل أخبارها عن ذلك البلد العظيم، ومنذ قبيل عام العدوان على العراق، وما تزال، والتي جلها دعايات سياسية تخدم التوجهات الأمريكية الصهيونية ضد الدولة العراقية التي جرى تحطيمها على يد عصابات المحافظين الجدد، أو يجري توظيف معلوماتها في سياق الدعاية ضد العراق، في أحسن الأحوال، وعدم التطرق للشأن السياسي الإيراني، من ناحية الإجحاف بالمكونات الاِجتماعية للدولة الإيرانية، طوال الفترات الماضية، أي قبل أنْ يصبح الموضوع النووي الإيراني المادة الدعائية المهمة في الإعلام الغربي، ويكفي للبرهنة على ذلك التوجه «الثمن الوظيفي» الذي ناله السيد عباس ناصر: مراسل محطة «الجزيرة» من «البركات القمعية» التي وجهتها له السلطة الأمنية الإيرانية، والسياسية كذلك، لأنه نشر تحقيقاً مصوراً ومحايداً عن الواقع الاِجتماعي العربي الأحوازي: طرداً وإبعاداً من إيران، فما هو الفرق بين مراسل ومراسل؟ إذا لم تكن خدمة الرؤية السياسية للنظام الفارسي الصفوي المجرم؟!.

وكذلك يعمل مديراً لتدريب مراسلي القنوات المصرية في إيران، كيف تعطى إيران للسيد نجاح محمد علي مثل هذه المهمة الحيوية التي تحاول «بناء العقول» وحشوها غير المباشر بالمعلومات التي تتساوق والرؤية الفارسية؟ إذا لم يكن السيد المشار إليه هو أحد

عظام الرقبة المهمين في دائرة الدعاية الإيرانية!!، وهل يندرج هذا العمل في خدمة المشروع الفارسي الصفوي ضد جمهورية مصر العربية التي طاردت إيران اِتجاهه العروبي والإسلامي الحقيقي، إعلامياً دعائياً وترويجاً سياسياً، وما تزال تنشط ضده، وكيف يستقيم التفسير حول التوجهين السياسيين المتناقضين، في كلٍ من مصر وإيران، ولماذا يأتمن جهاز الدعاية السياسية الإيرانية الشخص «العراقي» الذي يتمتع «بفضيلة الاِستقلالية» المهنية حول تنفيذ «مهمة تدريب الإعلاميين» المصريين الذين ينبغي لهم اِستيعاب الرؤية الفارسية الصفوية في تفسير الأحداث؟ أم أنَّ تلك الخدمة الإيرانية مقدمة في سبيل الله وخدمة الحقيقة المجردة؟! هل هناك فرية ما في الموضوع من أجل تضخيم دور الذات؟: الله أعلم.

* - مقدّم برامج إخبارية وكتابة وقراءة التحليل السياسي يقوم بها «الكاتب العراقي» في الإذاعة الإيرانيّة في الفترة الزمنية بين عامي (١٩٧٩م - ١٩٨٩م) هكذا تقول البيلوغرافية المنشورة عن ذاته الخدمية والصحفية، لنفكر في طبيعة الموقع والظرف والزمن، وهي كلها سنوات من المعاداة التامة للعراق، ولقد كفانا السيد أحمد الكاتب: عبد الزهرة اللاري [الذي ولد في كربلاء] خلال أحاديثه المطولة من قناة «الحوار» في البرنامج الحواري الذي نشرته قبل فترة، والذي قام به السيد عزام التميمي، «الفلسطيني المتأسلم» من العاصمة البريطانية، مؤونة الحديث عن أدِوار هذه الشُلة «الإعلامية» في تأزيم العلاقات السياسية بين العراق وإيران في أعقاب الأعوام «المكتنزة بالتطورات المتسارعة والمشبعة بالأحداث المتفجرة»، حول مفهوم تلك الشلة لمعاني تصدير الثورة، وضروراتها العاجلة، وبالتالي مدى أسهامها في صناعة وصياغة تلك الأَزمة السياسية بين الطرفين، وتصاعدها نحو الأزمة العامة التي لم يجد فيها الطرفان سوى الحرب بين الطرفين مخرجاً لها، مستغلين الظرف السياسي غير الطبيعي التي كانت تعيش في أجوائه الأجهزة الإعلامية / الدعائية للدولة الإيرانية.

لماذا جرى كف لسانه عن تنفيذ تلك المهمة في عام ١٩٨٩م، أيرتبط ذلك الجهد الدعائي بتوقف العدوان الفارسي الإيراني على العراق، وشروطه التي من بينها إيقاف

الحملات الدعائية بين الطرفين اللذين تقاتلا لمدة ثمان سنوات تقريباً؟ أم أنَّ الجواب على ذلك التساؤل ينطوي على النفي والسلب: بلا. إذا كان ذلك الإِفتراض الذي تقدمنا به كان صحيحاً، والجواب علية كان إيجابياً، فإن «دعايته الصادقة» و«إِستقلاليته» الموثوقة تغدو معروفة للجميع؟! كون هذه «المهمة الإعلامية» كان يقوم بتنفيذها طوعاً خدمة للسلطة الإيرانية، من قبل «العراقي المعارِض» السيد نجاح محمد علي: كشأن زميله في الإذاعة عبد الزهرة اللاري الذي كان يقود الخلية التابعة لمنظمة العمل الشيرازية [نسبة لموجهها الروحاني والفكري: محمد الشيرازي، الفقيه والمرجع الذي نفى عنه المجتهد أبو القاسم الخوئي درجته الِاجتهادية العالِمة]، في الكويت طوال فترة السبعينات، ووجدت فرصتها المناسبة لنفث سمومها الدعائية ضد العراق!!.

* -خبير ومحلل سياسي لشؤون إيران والعراق وأفغانستان ومنطقة آسيا الوسطى والقوقاز للمؤسسات التالية: قناة العربية، هيئة الإذاعة البريطانية، إذاعة صوت أمريكا، راديو سوا... إلخ، هذا ما يورده السيد نجاح محمد علي في صحيفته البيلوغرافية، نوردها على سبيل المثال وليس الحصر.

التوجه السياسي ضد العراق مجتمعاً ودولة وأفق في تلك القنوات السالفة أعلاه، كما هو ممارس والتي تضخه يومياً، من تأييدٍ للإِحتلال الأمريكي للعراق، والترويج «لخياراته الديمقراطية» واضح بما فيه الكفاية لأي متابع واع يعرف ما تستبطنه الآراء، وأي قاريء متفحص لما يُنشر عن تلك الوسائل الإعلامية/ الدعائية، وهو يفسِّر بالذات: الكيفية التي تحدد اِختيار هذه الوسائل الإعلامية «للخبراء والمحللين» الأذكياء في إخلاصهم «الفكري والسياسي» لتلك الوسائل الإعلامية التي جمعت أوراقها الصفراء الخبيثة اللئيمة ضد الدولة العراقية وعموم المسائل السياسية للشؤون الملتهبة في أفغانستان والعراق، والقوي الإِجتماعية المناهضة أو المضادة لسياسات الغرب بِاعتبار الأفراد الذين ينضوون تحت ألويتها مجرد عناصر إرهابية تستحق القتل والمطاردة والإِعتقال في غوانتينامو، ومن ناحية، والتسويق الدعائي للإِعتدال السياسي للبعض في الوطن العربية وللمواقف الإيرانية، من ناحية أخرى.

إنَّ البيلوغرافية التي رسمتْ معالم النشاط «الإعلامي» والدعائي للسيد نجاح محمد علي والذي اِحتاج إليه «الإعلام السوري» في العام ١٩٩٢م أي في أعقاب توضُـع قواتها في حفر الباطن، هي التي توضح مدى تطابق «الحقيقة المجردة» مع «الدعاية الكاذبة» التي نهض بها قلم السيد نجاح محمد علي طوال الفترات الماضية، وفي خدمة مَنْ كانت تصب المياه الآسنة، أكانت في خدمة العراق الوطني كواقع وطموح؟ أم جاءت في خدمة الرؤية السياسية الفارسية الصفوية؟ وحتى الغربية الأمريكية التي ترسم معالمها البرامج الإستراتيجية لإذاعة صوت أمريكا وراديو سوا، وغيرهما من الأجهزة الدعائية الأمريكية في المنطقة والموجهة لها والتي يعلن عن اِشتغاله فيها.

في الختام على الواعين المخلصين: المؤمنين بالمفاهيم الحضارية العربية الإسلامية، ويدركون معاني الأهداف الفكرية للمحافظين الجدد، وأطروحات حروب «الحضارات» ضد الإرهاب، كما رسمها القادة البوشيويين: العسكريون المجرمون والسياسيون المفكرون، أنْ يقارنوا بين أصحاب الدعاية السياسية الأمريكية وما تستجره - واِستجرته سابقاً - من أكاذيب وفبركات، ودور الموما إليه، الذي حاول باقر الصراف الترويج الزائف عن شخصيته «الصادقة الصدوقة» و«المخلصة في إيمانها»، كما قال عن نفسه في مقالته المعنونة: بل الذين كفروا يكذبون!، والتي كانت خالية من التاريخ المحدد، والتي ناقشناها تفصيلياً، في الحلقات السابقة، والذي حرص على ترويجها في المواقع الإلكترونية المعادية للعراق، هم الذين يجب عليهم اِستخلاص ما ينبغي عليهم اِستخلاصه، رغم قناعتنا أنَّ ثورة «قلمه الباسلة الغاضبة» لم تكن تتعلق بشخصه التي لم تتعود الرد على أحد: كونه الشخص المفكر والسياسي المحنك، بل أن مقالاتنا الأربعة السابقة التي كانت هي الشرارة التي أطلقت «ثورة الغضب» للسيد نجاح محمد علي، كونها تناولت بالفضح السياسة الإيرانية المخاتلة: الدعائية البحتة.

المراجع والهوامش

[١] - مقالة مطولة، نشرت على حلقات في بعض المواقع الإلكترونية، رداً على ما يلي من أفكار وأشباه أفكار قال فيها السيد نجاح محمد علي.

الأخوة في موقع البصرة المحترمون

تحيات كفاحية لا حدود لها، وبعد

لقد تفضلتم بإرسال معلومات ضافية عن المدعو نجاح محمد علي أو حسين دزفولي، وكانت المعلومات غنية. شكراً لكم. ولكن الموضوع الذي كتبته على شكل حلقات أربع، والذي نشرتموه مشكورين، لا يتعلق بشخص «الكاتب السياسي الدعائي» إلا بقدر أخذه مجرد مثال ملموس، على نبات الهالوك الدعائي: الرؤية الفارسية الصفوية الذي يلتف على شجرة العراق العملاقة في محاولة بائسة لقتله وقتل حاضره ومستقبله. ألا خابوا على ما ظنوا وبئس ما فعلوا، ودور العملاء كالمشار إليه في الدراسة، يلعب مجرد ساق هزيلة في ذلك النبات السام والمسموم، هم من الكثرة التي اِستطاع البعض منهم خلط السم بالدسم تحت دعاوى التعاطف مع «موقف سياسي متناقض مع الأمريكيين» وذلك مجرد فرية بدلالة الموقف السياسي من العراق والأحواز والإمارات وحتى الموقف من البحرين،

إنهم كثيرون على مستوى العملاء والأفاقين العرب والمسلمين ممن أغراهم الذهب الفارسي أو الأطروحات الأيديولوجية المخاتلة. وفي العراق الراهن من أمثالهم، الذين يلوكون كلماتهم بلغة عربية ولكنها تنطق بحقد ورؤية فارسية حاقدة، الكثيرين، ويتغطون برؤية فارسية صفوية تصب، في نهاية المطاف بالرؤية السياسية الإيرانية، بغض النظر عن التفاصيل.

في المقدمة الذي كتبته للموضوع والذي أرسلته لكم، التي سأرفقها تالياً، أوضحت أني كنت أنطلق من رؤية روحية الظن في ذلك اللسان الدعائي عندما كتبت الموضوع المعنون: «اِعقلوا الخبر قبل أنْ تتورطوا»، والذي أعدتم نشره على صفحة موقعكم الأغر، وهو ما تجنبته في الحلقات الأربع التالية، كنت أهدف إلى حذف ما تركته كتابتي السابقة من تأثيرات على وعي القراء الكرام، إذا كانوا متابعين لكتاباتي، كاشفاً موقعه في جوقة المعزوفات الأيديولوجية الفارسية الصفوية المضادة للعراق والعرب والمسلمين باِعتبار رسالتهم حضارية للبشر كافة.

شكراً لمبادرتكم التي اِستفدت منها كثيراً.

باقر الصراف

٢٠٠٧/٦/١١م

أعيد إرسال المقدمة التي كتبتها مع الحلقة الأولى المقدمة لكم التي أشرت إليها أعلاه

الأخوة المناضلون الكرام في موقع البصرة المكافح

تحية وطنية عراقية، وبعد:

لقد نشرتم، مشكورين، مساهمتي في الموضوع المتعلق بالكاتب السيد نجاح محمد علي، وعموم الموقف الإيراني الفارسي الصفوي تجاه العراق، وبعض المواقف السياسية، كونها «معادة لأهميتها». وكان الموضوع المنشور في يوم ٥/٦/٢٠٠٧م، قد كُتب بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٤م وعلى ضوء ما كنت أشعر فيه تجاه التطورات السياسية التي يمر فيها العراق، من ناحية، والفكرة الحسنة والمسبقة التي كنت أظنها في الكاتب، من ناحية أخرى، ولكن التطورات اللاحقة قد كشفت العديد من النقاط التي حاولت تصحيحها في مقالة أخرى، ليس فقط حول الرموز العميلة العاملة في خدمة العمل السياسي الأمريكي، قبل وبعد الِاحتلال، سأكون ممتناً لو قمتم بنشرها، هذا أولاً، وبالنسبة لمسؤول الأمن القومي روبرت ماكفرلن ورد خطأً قولي: «قبض عليه في طهران» وفي الحقيقة أنه جرى ترحيله وشخص أمني كبير من الولايات المتحدة على عجل، ثانياً، وربما ما أورده السيد العميد أبو تحرير من بغداد حول الهوية الحقيقية للسيد نجاح، والمهمة المكلف تنفيذها قد يكون صحيحاً لكني لست متأكداً منها، وهو ما يجعلني أنقل ذلك من دون تعليق، التي يقول فيها أنَّ أسمه الحقيقي «حسين دزفولي، إيراني، عضو جهاز المخابرات الإيراني التابع للحرس الثوري الإيراني، منسب للعمل في القسم العربي للتلفزيون والإذاعية الإيرانية»، ثالثاً، ودائماً «يمجد بالدور الإيراني والقوة الإيرانية»، رابعاً، فإذا كان ذلك صحيحاً، فإننا نكون قد وقعنا ضحية الموقف المخابراتي الإيراني، وتعاملنا معه بروحية الظن الحسن جراء بعض الشواهد التي ذهبنا ضحايا ساذجين لها، خامساً.

الخاتمــــة

إستخلاصات لابد منها

بعد القراءة السياسية والكلية المتمعنة للموقف السياسي الإيراني الذي تكون - كما أعتقد - بناؤه الفكري على خلفية تاريخية وتراث كسروي، مذهبي طائفي وقومي عنصري متعصب، تجسد في مزجٍ خطير لمجموعة من الآراء السياسية بغاية محددة: خدمة هدف سياسي واضح، يتمحور حول رؤية سياسية تطمح لإعادة تركيب جغرافية سياسية مفترضة ومنقرضة، تصادف وجودها قبل آلاف السنين وقضى عليها الإسلام العربي في معركة القادسية المباركة، بناءً على وعدٍ قرآني صريح وهمةِ رجال آمنوا بربهم وأمتهم ورسالتهم... تركيبها على وضعٍ تاريخي يتسم بالزهو والعنصرية والطموحات غير الواقعية، في العصر الحالي الذي يجسد وقائعه العملية القرن الحادي والعشرون، ذلك هو جوهر الفكر السياسي الإيراني الحالي في ظل حكم الملالي.

إنَّ مفهوم «الفارسية الصفوية» يجسد المقولات السياسية الإيرانية في حقيقة الأمر، ولكنها مغلفة بشعارات تستبطن غير ما تظهر، وتعلن على العكس مما تمارس، وتتكلم بأكثر من لسان يعطي الحلاوة لمن يريد ويحب ولكنه مسموم قاتل بصمت ومخاتلة، وتظهر أمام كل المواطنين من غير الفرس بأكثر من وجه سياسي، فأمام القوميين العرب تبدو إيران مخلصة لقضايا لبنان وفلسطين، وأمام المسلمين هي المدافعة عنهم والمخلصة لمبادئهم وقيمهم، في حين أنَّ واقع ممارساتها في الوطن العربي بما فيه الأحواز المحتل، يكشف للملأ كلهم حقائق عملية تبرهن على أشكال سياسية تتناقض مع إدعاءاتهم: أي تظهر غير ما تضمر وتخطط. ومناصرة جمهورية الأرمن التي يختلف إلتزامها الديني عن مسلمي أذربيجان، وضد قضية شعب أذربيجان المسلم الذي تعرض للقتل والتشريد والتهجير واضح للعيان. والمناصرة العملية للموقف السياسي الأمريكي ضد الوطن العراقي والشعب العراقي والدولة العراقية ينبغي له أن يتماهى البصر والمرئي على أرض الحياة

المعاشة مع الذاكرة الوطنية والقومية للتبصر بحقائق الأمور وبواطنها الفعلية. وهذا المفهوم: «الفارسية الصفوية» هو مقياس أيديولوجي يفسِّر الرؤية الإيرانية في ممارساتها كلها، وعلى كل الصعد وهو ما أداه القسم الأول من هذا الكتاب.

أما القسم الثاني فقد تناول ملامح أساسية من إنعكاسات ممارساتها وعلى صعيد ذلك المفهوم، وخاصة على صعيد الساحة العراقية تحديداً بإعتبارها هي المعيار الموضوعي الهادي لقراءة موقف سياسة ذلك النظام، وذلك عبر محاور عديدة ومتنوعة تناولت قضايا «فكرية» و«سياسية» و«أفعال وممارسات إيرانية»، وحلقات «تنفيذية» ومتابعات ظرفية تخللتها ممارسات خمس سنوات من الجور والإضهاد لشعب جار لها وعربي ومسلم أعقبت الإحتلال الأمريكي الغاشم، وتناول كيفية تفسير الأحداث التاريخية على ضوء مفاهيم القرآن الكريم وسيرة الرسول العربي الكريم وسيرة الأئمة الهاشميين القرشيين، مثلما تتابعتْ عمليات رصد واقعي لأفعال الزمرة التي تثقفت في إيران وإمتصت طرائق سلوكها على الأرض في ظل دعمٍ سياسي إيراني صريح وواضح.

لقد كان «بصرها» و«ذاكرتها» كفئة متسلطة على شؤون شعبنا المختلفة منبنيان على إعداد مسبق في طهران: تدريباً وتدريساً وتوجيها، كانت إحدى ذراه في تلك الممارسة التي قامت بها «المعارضة الإسلامية التي كانت تقيم في طهران»، لقد كان موقعها الفعلي: كالكف الإسلامي في الذراع الأمريكي الذي يقوده المحافظن الجدد، وعلى خلفية سياسة «التخادم المشترك» بين المحافظين الجدد وإدارتهم الأمريكية الحاكمة وبين ملالي إيران على أرضية رؤيتيهما السياسية المضادة للعراق: دولة ووطن ومجتمع ومؤسسات إدارية وكفاءات علمية، ولعل قراءة ما تقدم في هذا القسم - وهو غيض منشور من فيض موجود - يفسِّر إلى حدٍ كبير تلك الرؤية «الفارسية الصفوية» ومدى تطابق رؤيتها السياسية النظرية مع ممارساتها العملية، وفي ظل المفاهيم المضللة لإسم دولتهم: جمهورية إيران الإسلامية، وتناقضات قادتهم المعممين على مستوى القول والتطبيق فيما يتعلق بالساحة العراقية.

وفي سبيل تمزيق حُجُب التضليل «المحكم» الذي نسج سجادته المخاتلة ملالي إيران المتدينين والسياسيين حول مقولاتهم الفكرية والسياسية، إصطفينا نموذجاً واحداً وحداً ممن يأخذ نهجاً دفاعياً عن السياسة الإيرانية، ووضعنا كتاباته السياسة والإعلامية/ الدعائية تحت مجهر الرؤية السياسية العربية الإسلامية، والوطنية العراقية المخلصة، من أجل القراءة النقدية لـ«منجزه» الإعلامي/ الدعائي، وفي أي وعاء يصب ماءه الهادف إلى غسل الموبقات كلها، ومطالعة هذا القسم الذي كتبناه تحت عنوان: قرون الشيطان الفارسي: ضرورة مسكها وكشف مخاتلاتها وهو عنوان موحٍ بما فيه الكفاية يستطيع أي قاريء حصيق ومخلص لقطره الوطني وأمته العربية ونسيج الرؤية الحضارية العربية الإسلامية، ومدافع فعلي عن شعبه وأمته القومية تمكنه من إستخلاص الدروس العملية التي تخدم حاضره ومستقبله: ذاتاً ووطناً وشعباً وأمةً.

آمل أنْ أكون قد أديت بعض واجبي الوطني العراقي والقومي العربي والحضاري العربي الإسلامي.

ملحق خاص
للتعرف على وجهة نظر نجاح محمد علي

بل الذين كفروا يكذبون!

نجاح محمد علي

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

ليس من عادتي الرد على ما يُكتب ضدي، فأنا أكتب ما أعتقد بصحته إيمانا باستقلاليتي ولا أخاف في الله لومة لائم ولا عذل عاذل وهذا ما يجعلني عرضة لسهام المنتقدين من الجبهتين المتصارعتين. فعلى سبيل المثال يحسبني بعض أصدقاء إيران خصوصا الموالين لولاية الفقيه عدواً للجمهورية الإسلامية، ويعتبرني الكثير من أعدائها خصوصا البعثيين تابعا لها وعميلا، فكل يريدني أن أقف إلى صفه بالكامل من دون لون ولا طعم ولا رائحة.

لن أخوض مع الخائضين وهذه الرسالة القصيرة موجهة أساسا إلى السيد باقر الصراف وغيره من المتباكين على حزب البعث وصدام، وأنا لا أريد الدخول في مساجلات وردود على ما يُكتب ضدي، وليعلم أن كل ما جاء فيما كتبه عني هو والآخرون البعثيون وموالوهم (أكرر: كلما جاء) كذبٌ وغير صحيح على الإطلاق وأقول له:

إياك والكذب؛ فإن من تكذب عليه إما أن يكون واعياً فيحتقرك، أو خبيثاً فيكذب عليك، أو ساذجاً فيخدع بك، ثم ما تلبث الحقيقة أن تنكشف له فيكفر بك، هذا كله عدا عقوبة الله وعذابه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾ [الجاثية: ٧] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقال الباقر (رضى الله عنه): (إن الله جعل للشر أقفالا، وجعل تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب) (١الكافي).

وقال (رضى الله عنه):(كان علي بن الحسين يقول لولده: اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير، اجترأ على الكبير، أما علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا) (١ الكافي).

وقال الباقر (رضى الله عنه): (إن الكذب هو خراب الإيمان)(٢ الكافي).

وقال أمير المؤمنين (كرم الله وجهه): (اعتياد الكذب يورث الفقر) (٣ الخصال للصدوق).

وقال عيسى بن مريم (عليه السلام): (من كثر كذبه ذهب بهاؤه)(٤ الكافي).

وقال رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع: (قد كثرت علي الكذابة وستكثر، فمن كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به) (٥ احتجاج الطبرسي).

أقول: إن السيد باقر الصراف وكل من لف لفه من كتب ضدي من البعثيين وأنصارهم، شرق بحسرته وشجي بغيظه وسلقني بحد لسانه ووخزني بموق عينه وجعلني غرضا لمراميه وقلدني خلالا لم تزل فيه

والله من ورائه محيط وليعلم هو ومن معه ممن يهاجمونني لأنهم يحبون صدام، أن الكذب لن يمنحهم صدقية ولن يقوي حججهم في الدفاع عن ديكتاتور هلك، وقلتُ رأيي فيه بدماء الشهداء من أهل بيتي ممن لم نعثر على شيء من جثامينهم الطاهرة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

المحتويات

الرؤية السياسية الإيرانية

على ضوء التراث و التجربة

هذا الكتاب الذي يتحدث مضمونه عن الرؤية السياسية الإيرانية على ضوء التراث العربي الإسلامي والتجربة الوطنية العراقية ليجيب على الأسئلة التالية: ما هي أيديولوجية السلطة؟ ما هي معالم ممارستها؟ ما هي وظيفة المدافعين عنها؟

يتناول السياسة الرسمية التي تديرها ما يسمى بـــ((جمهورية إيران الإسلامية)) تجاه العراق تحديداً، وتجاه قضايا الأمة العربية عموماً، وهو يتناول بالبحث والرصد والاِستقصاء هذه المسألة كلها، انطلاقاً من ثلاثة أقسام، يرمي مجموعها إلى تبيان حقيقة ((البنية التكوينية)) لعموم الموقف السياسي الإيراني، الفكري السياسي والمذهبي الطائفي، من خلال تسليط الأضواء على الواقع الأيديولوجي ((لذهنية الفئة الحاكمة)) التي تدّعي أنها متدينة مسلمة، لذلك فهو يناقش ماهية رؤيتها الفكرية والاعتقادية، وكيف تكونت في بعديها القومي العنصري، والطائـ[...] منظوراً إليها على أساس سياسي وإستراتيجي وتار[...] التقادم الزمني والتراكمات ((الفكرية)).





مكتبة مدبولي
[MAD]BOULY BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١
6 Talat harb SQ. Tel:25756421
www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com